



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه السلام

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

صَلِّحْ وَخَسِّنْ

عَلَن

لِلصَّالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ

فِي قُرُونِ الرَّبْعِ

لَأَقَمِ مَعْرَ

تَأليف

آيت الله الحاج شيخ محمد ترميزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصحيح و تحشيه على الحضاره الاسلاميه فى القرن الرابع

كاتب:

آيت الله محمد رحمتى

نشرت فى الطباعة:

دفتر آيت الله محمد رحمتى

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	تصحیح و تحشیه علی الحضارها لاسلامیه فی القرن الرابع
٨	اشاره
٨	اشاره
١٣	تصدیر
١٦	کلمه المترجم
٢٠	کلمه المترجم
٢٥	الفصل الأول: المملكة الإسلامية
٢٥	اشاره
٤١	تعليقات الفصل الأول
٤٤	الفصل الثاني: الخلفاء
٤٤	اشاره
٥٨	تعليقات الفصل الثاني
٦٠	الفصل الثالث: الأمراء
٦٠	اشاره
٩٤	تعليقات الفصل الثالث
٩٥	الفصل الرابع: اليهود والنصارى
٩٥	اشاره
١٤٤	تعليقات الفصل الرابع
١٤٨	الفصل الخامس: الشيعة
١٤٨	اشاره
١٧٥	تعليقات الفصل الخامس
١٩٨	الفصل السادس: الاداره
١٩٨	اشاره

٢٢١	تعليقات الفصل السادس
٢٢٣	الفصل السابع: الوزراء والوزراء
٢٢٣	اشاره
٢٤٥	تعليقات الفصل السابع
٢٤٨	الفصل الثامن: المسائل الماليه
٢٤٨	اشاره
٣٢٢	تعليقات الفصل الثامن
٣٢٩	الفصل التاسع: رسوم دار الخلافه
٣٢٩	اشاره
٣٥٥	تعليقات الفصل التاسع
٣٦٠	الفصل العاشر: الأشراف
٣٦٠	اشاره
٣٧٧	تعليقات الفصل العاشر
٤٠٠	الفصل الحادى عشر: الرقيق
٤٠٠	اشاره
٤٢٠	تعليقات
٤٢٠	اشاره
٤٢٠	١ أخذ الرقيق
٤٢٢	٢ معامله الرقيق
٤٢٣	٣ تحرير العبيد
٤٢٥	تعليقات الفصل الحادى عشر
٤٣١	الفصل الثانى عشر: العلماء
٤٣١	اشاره
٤٤٥	تعليقات الفصل الثانى عشر
٤٩٠	الفصل الثالث عشر: علوم الدين
٤٩٠	اشاره

٥٣١	تعليقات الفصل الثالث عشر
٥٩٩	الفصل الرابع عشر: المذاهب الفقهية
٥٩٩	اشاره
٦٠٩	تعليقات الفصل الرابع عشر
٦١٣	الفصل الخامس عشر: القضاء
٦١٣	اشاره
٦٥٣	تعليقات الفصل الخامس عشر
٦٧٤	الفصل السادس عشر: علم اللغة
٦٧٤	اشاره
٦٧٩	تعليقات الفصل السادس عشر
٦٨١	الفصل السابع عشر: الأدب
٦٨١	اشاره
٧٥٥	تعليقات الفصل السابع عشر
٨٣٠	تعريف مركز

تصحیح و تحشیہ علی الحضارہ الاسلامیہ فی القرن الرابع

اشارہ

سرشناسہ: رحمتی، محمد، ۱۳۰۷ -

عنوان قرار دادی: الحضارہ الاسلامیہ فی القرن الرابع الهجرى . شرح

عنوان و نام پدید آور: تصحیح و تحشیہ علی الحضارہ الاسلامیہ فی القرن الرابع / لآدم متز؛ تالیف محمد الرحمتی.

مشخصات نشر: قم: محمد رحمتی، ۱۴۳۲ ق. = ۱۳۹۰.

مشخصات ظاہری: ۸۲۴ ص.

شابک: ۱۰۰۰۰۰ ریال ۹۷۸-۹۶۴-۰۴-۷۸۴۳-۱:

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامہ: ص. ۸۱۰-۸۱۵؛ همچنین بہ صورت زیر نویس.

موضوع: متس، آدام، ۱۸۶۹ - ۱۹۱۷ م. . الحضارہ الاسلامیہ فی القرن الرابع الهجرى -- نقد و تفسیر

موضوع: تمدن اسلامی -- تاریخ

موضوع: فرهنگ اسلامی

موضوع: اسلام -- تاریخ

شناسہ افزودہ: متس، آدام، ۱۸۶۹ - ۱۹۱۷ م. . الحضارہ الاسلامیہ فی القرن الرابع الهجرى. شرح

ردہ بندی کنگرہ: DS۳۶/۸۵ م ۲ ۸۰۲۱۴ ۱۳۹۰

ردہ بندی دیویی: ۹۰۹/۰۹۷۶۷۱

شمارہ کتابشناسی ملی: ۳۱۵۷۶۳۱

ص: ۱

اشارہ

ص: ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تصحیح و تحشیه

علی

الحضاره الإسلامیه

فی القرن الرابع

لآدم متر

تألیف

آیت الله الحاج الشيخ محمد الرحمتی

ص: ٤

سرشناسه: آيه الله الحاج الشيخ محمد الرحمتى، ١٣٠٧

عنوان و نام پديد آور: تصحيح و تحشيه على الحضاره / تأليف محمد الرحمتى

مشخصات نشر: قم، مؤلف: ١٤٣٢ ق = ١٣٩٠

شابك: ٩٧٨-٩٦٤-٠٤-٧٨٤٣-١

وضعت فهرست نويسى: فييا

يادداشت: عربى

موضوع: تمدن اسلام - تاريخ

رده بندي كنگره: ١٣٩٠ ن ٧ ر ٣ / ٦٢ / ٣٥ DS

رده بندي ديويى: ٩٠٩/٠٩٧٦٧١

شماره كتابشناسى ملي: ٢٥٤٥١١٣

تصحيح و تحشيه على الحضاره الاسلاميه فى القرن الرابع

المصحح و المحشى: آيه الله الحاج الشيخ محمد الرحمتى

الناشر: المؤلف

المطبعه القدس

الطبعه: الأولى - ١٤٣٢ ه.ق

العدد: ٧٠٠ نسخه

السعر: ١٠٠٠٠ تومان

رقم الايداع الدولى: ٩٧٨-٩٦٤-٠٤-٧٨٤٣-١

«كافه حقوق الطبع محفوظه و مسجله للناشر»

ايران، قم، فاطمی ۲۶ (دور شهر) نهایی الزقاق - الرقم ۴۵

تصدير

هذا كتاب فى الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى ، وهو العصر الذى بلغت فيه الحضاره والعلوم والفنون الإسلامه ذروتها

ألفه الأستاذ «متر» باللغه الألمانیه ، وقد لفت نظرى إليه فصول كانت تُنشر فى مجله (الثقافه الإسلاميه) **Islamic Culture** التى تصدر فى حيدر أباد باللغه الإنجليزیه ، وكان يقوم بترجمتها من الألمانیه إلى الإنجليزیه المرحوم خُدا بخش ، فأعجبنى منها دقه البحث وحسن الاستقصاء ، والاعتماد على المصادر الكثیره المتنوعه اعتماداً يدعو إلى الدهش ، ويستخرج العجب ، من الصبر على البحث ، والدأب فى العثور على ماده الموضوع .

وقد أحاط المؤلف بنواحى الحضاره الإسلاميه من سكان ومال وإداره وتجاره وعلم وفن وسياسه واجتماع ، وكشّف بيحثه عن نواح غامضه أخذ يعالجها فى صبر وأناه حتى جلاها ، وكانت طريقه معالجته تكاد تقتصر على جمع النصوص الكثیره المتعلقه بالموضوع من مصادر متعدده ، والاكتفاء بها ، من غير أن يدخل شخصيته وآراءه فى المسائل إلا فى القليل النادر .

وقد يوءخذ عليه أنه أحياناً يعسر عليه النص ، فيفهمه على غير وجهه ، وأحياناً يبتز النص ، وقد كان الإتيان به كاملاً يوضح رأيه أو يخالف وجهه نظره ؛ كما

يؤخذ عليه أنه يستدل في بعض المسائل على رأى بنص واحد ، ولو عرضت النصوص كلها لخرج الباحث منها برأى يخالف رأيه ؛ وأحياناً نراه يحكم عقيدته ونشأته واعتماده على النصوص فقط ، دون الروح والذوق الفنى والجو الإسلامى والوسط العربى ، يشرّد فى رأيه ، ويخطئ فى نظره .

ولكن هذا كله لا يذهب بعظم قيمه الكتاب وفائدته للباحثين الإسلاميين ؛ فالكتاب يعلمنا طرق البحث العلمى ، ويقدم لنا درساً قيماً فى صبر العلماء على معاناه البحث ، والاستناد إلى أكبر عدد من المصادر وغربلتها وأخذ خير ما فيها ، ويكشف لنا عن نواحٍ من الحضاره مجهوله .

ولعل كثيراً من المآخذ التى عددناها يرجع إلى أن المؤلف قد عاجلته منيته والكتاب فى مسوداته لم يبيضاها ، ولم يضعها فى شكلها الأخير

رأيت الكتاب قد ترجم من الألمانى إلى الإنجليزى ثم ترجم إلى الإسبانيه ، فقلت إن الأولى أن يترجم إلى العربيه ، فأهلها هم وارثوا الحضاره الإسلاميه ، وهم أولى أن يطلعوا على كل ما كتب فيها .

فلما سنحت لى الفرصه لترجمته برغبه بيت المغرب فى نشر كتب قيمه فى هذا الموضوع وأمثاله ، انتدبت له الأستاذ محمد عبد الهادى أباريده ، كما انتدبته من قبل لترجمه كتاب الفلسفه الإسلاميه للأستاذ دى بور ، فأبلى فيه بلاء حسناً .

وعرفت أن كتابنا هذا يتطلب من مترجمه صبراً من جنس صبر المؤلف ، فكل صفحه منه تتضمن عدّه مصادر ، واشترطت أن تنقل عبارات هذه المصادر بنص مؤلفها لا بمعناها .

وبعض هذه المصادر مخطوط بألمانيا وبعضها مخطوط بهولندا ، وبعضها

مخطوط بفرنسا إلى غير ذلك ، فتقبل الأستاذ أبو ريده القيام بهذا الجهد كله بنفس طيبه تحب العلم وتصبر على الجهد ، وتستلذ العناء في سبيل علم تنشره أو خير تقدمه ؛ وليس يعلم مقدار ما عانى في ذلك إلا الله ومن شاهده أثناء ترجمته وبحثه .

وكان من حسن حظه وحظ الفراء أن أرسل إلى بعثه في فرنسا ، فأتاحت له هذه البعثه فرصه للاطلاع على المصادر في المكاتب الفرنسيه ، ومكنت له من أن يسافر إلى برلين ، ويتصل بهولندا ليقوم بترجمه هذه المصادر كلها ؛ فله الشكر الجزيل على ما عانى ، وعلى ما قدم لقراء العربيه من خير ، وليبت المغرب الشكر على ما أنفق ، وعلى ما اتجه إليه من خدمه العلم .

أحمد أمين

كلمه الترجم

للطبعه الثانيه

الحمد لله والصلاه والسلام على رسول الله وعلى سائر الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين ، وبعد:

فهذه هي الطبعه الثانيه لكتاب « الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى »، يسرنى أن أقدمها للقراء والباحثين ، بعد أن لقى الكتاب من التقدير له والإنتفاع به فى مختلف ميادين البحث ما شجّع على نشره من جديد .

وإنى لتعود بى الذاكره ، عند مراجعتى للكتاب من جديد والإشراف بنفسى على طبعه ، إلى سنه ١٩٣٩م حين أعددت أصوله ونصومه وترجمت هذا الجزء الأول ، والعالم يتأهب للحرب ، وخصوصاً إلى عام ١٩٤٠م حيث أتممت ترجمه الجزء الثانى فى باريس ومدريد ، والحرب قائمه تُذيق أوروبا الويلات وتبلبل قلب الغريب بها ، وتقلق روحه ، فلا يستطيع أن يتسلى عن ذلك إلا بالعمل .

وقد استطعت أن أرسل ترجمه الجزء الثانى ، رغم وقوف المواصلات البريديه ، مفرقةً مع أحد زملائى الأفاضل فى البعثه ، وهو

الدكتور يحيى

الخشاب ومع (صاحب السعاده) كامل البندارى (باشا) ، وزيرنا المفوض فى بروكسل آنذاك ، فلهما اليوم الشكر الذى لم أستطع أن أبلغه إليهما فى تلك الأيام .

وقد شاء القدر العجيب ، فى أثناء الحرب وتقلباتها ومفاجآتها أن أتمّ دراستى ، بعد انقطاعها بباريس ، فى جامعه بازل بسويسره ، حيث كان موءلف الكتاب أستاذاً قبل عشرين عاماً ، وأن أتتلمذ على تلميذه وخليفته فى منصبه ، وهو أستاذى الكريم الفاضل العلامه المتواضع الأستاذ الدكتور رودلف تشودى (Rudolf Tschudi) .

وكان الكتاب أحياناً موضع حديثنا ؛ فأحب أن أُنَبِّه القارئ إلى أن الموءلف كان يقصد من كتابه أن يسجّل حضاره الإسلام فى القرنين الثالث والرابع مع العناية الخاصه بالقرن الرابع ، ليكون كتابه مُقابلاً ومُشابهاً لما كتب عن حضاره عصر النهضة فى أوروبا ، خصوصاً ما كتبه ياكوب بوركهاردت Burckhardt Jacob السويسرى البازلى عن عصر النهضة فى أوروبا وفى إيطاليا .

ولعل هذا هو السبب فى تسميه الموءلف لكتابه باسم Die Renaissance Islams Des ، أى « نهضة الإسلام » ، وهى عبارته مختصره للدلاله على حضاره عصر النهضة فى الإسلام .

وكما أن حضاره عصر النهضة فى أوروبا كانت قائمه على إحياء الحاضره القديمه فى نواح كثيره ومُقتترنه بميلاد القوميات وتجزؤ الدوله الواحده التى قام عليها بناء العصر الوسيط فى أوروبا إلى دول صغيره ، فكذلك كانت حضاره الإسلام بوجه عام متصله بإحياء ثقافات وحضارات متقدمه عليها ، وزاد على ذلك فى العصر الذى يتكلم عنه الموءلف ، وهو القرن الرابع الهجرى ، انحلالُ دوله

الخلافة الكبرى إلى دول صغرى .

فلا غرابه أن يوءخذ الموءلف بهذا التشابه وأن يجعل له شأنًا فى وضعه اسم كتابه ، بل كأنه يوءكد ذلك بأن يشير فى كثير من الأحيان وفى مواضع متفرقة(١) إلى أنه فى القرن الثالث ، وخصوصا فى القرن الرابع ، ظهرت بين المسلمين أفكارًا ونظم ومذاهب وأساليب فى الحياه وعادات كانت موجوده قبل الإسلام عند أمم أخرى ، ثم عادت إلى الظهور من جديد؛ ولعل هذا هو الدعامة الكبرى التى تستند إليها هذه التسميه التى لم يجد الموءلف ما يرضيه غيرها .

وثم نقت أنى أخرى أحب أن أتبه على بعضها ؛ فمن ذلك ما لاحظته فى مواضع كثيرة جداً من عداله هذا الموءلف فى حكمه؛ فهو لا يعرف التعصب ، ويذكر الأمثله من الحضاره العربيه ومن غيرها ؛ بل يبين أن بعض ما نجده فى تاريخ العرب أحياناً من قسوه نفر منها قد أخذه العرب عن غيرهم كالبورنظيين .

وهو يوءكد ، فى مواضع شتى ، خصائص الطبيعه العربيه مبرناً إياها أحياناً ممّا يظهر فى تاريخها من مساوى دخيله عيلها ، وهو منصفٌ أيضاً فى تصوره للنظم الإسلاميه وفى مقارنته معامله العرب لغيرهم بمعامله غيرهم لهم .

وإن مقارناته المتنوعه واتزانه وعدم مبالغته فى تقدير الوقائع الجزئيه لمن الصفات التى يجب أن يربى الباحثُ نفسه عليها .

هذا إلى أنى توخياً للدقه قد صححتُ الترجمه فى مواضع متفرقه ، وذلك بفضل ما تيسر لى أثناء دراستى فى جامعه بازل من إتقان اللغه التى كتب بها

١- انظر مثلاً أول الفصل الرابع عشر وأول الفصل الثامن عشر ، وخصوصا الفصل التاسع عشر فى مواضع كثيرة وغير ذلك .

الكتاب ، كما أنى زدت تعليقات جديده دون الإكثار منها .

والنصوص التى فى الكتاب هى كما فى مصادرها ؛ فإن كان فيها شىء غير واضح ، خصوصاً فيما هو مأخوذ من مصادر مخطوطه ، فلا حيله لى فى ذلك ، لأن المصادر ليست كلها تحت يدى ، فالنصوص التى جمعتها لاتزال فى أوروبا، وأيضاً لأن الأصول الأولى التى كتبتها بىدى تلفت بعد طبع الكتاب فى غيبتى .

ولكن هكذا كله لا شىء إلى جانب المصادر والماده القيمه التى يضعها الكتاب بين يدى الباحث .

ويحتاج هذا الكتاب ، نظراً لكثره ما فيه من موضوعات فى الفصل الواحد ولكثره أسماء الأعلام ، إلى فهرس كبير، أرجو إن شاء الله أن ألحقه بالجزء الثانى الذى قد بدأنا طبعته الثانيه .

وأخيراً فإن قراءتى للكتاب من جديد بعد سبع سنين قد أتاحت لى اللذه التى ذقتها مره فى ترجمته ، كما ذكرتنى بظروف هذه الترجمة وما كان فيها من عناء .

وإنى لأرجو أن ينال القارئ ثمره ما بُذل من جهد ، وأن تكون هذه الثمره له نافع ، وما التوفيق إلا بالله

القاهره فى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ ٢١ سبتمبر ١٩٤٧ محمد عبدالهادى أبو ريده

مدرس بكلية الآداب بجامعة القاهره

كلمه المترجم

للطبعه الأولى

الحمد لله حمداً يكافئ مزيدَ نعمه وجزيل إحسانه ؛ والصلاه والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين ، وبعد :

فهذا كتاب يتناول الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى ، من حيث أصلها وتطورها ، اختاره أستاذنا الجليل أحمد أمين بك ، وشرّفنى بإسناد ترجمته إلّىّ ، ليكون جزءاً من النشاط العلمى الحمود الذى يبعثه بيت المغرب .

ولقد قبلت هذه المهمه متهيئاً مُشفقاً ، بعد أن بَلَوْتُ الترجمة مراراً، ولقيت منها ما لقيت .

غير أن الذى حَبَّبَ إلّىّ القيام بهذا العمل ، أنه ليس فى كتب المستشرقين على كثره تأليفهم إلّا كتب قليله جداً تبحث فى تاريخ الحضاره الإسلاميه(١) على هذا النحو الذى سلكه مؤلف هذا الكتاب ، «آدم متر» المتوفى عام ١٩١٧ ميلاديه .

١- مثل الكتاب القديم الذى ألفه فون كريمر (A.Von Kremer) بعنوان : Culturgegeschichte des Orients unter den Chalifen, Wien, ١٨٧٥-٩

كان هذا العالم أستاذاً للغات الشرقية بجامعة بازل (Basel) في سويسره ويدل هذا الكتاب الذى أقدمه لقراء العربيه على سعه اطلاع موءلفه وتعمقه فى موضوع البحث ؛ فقد تناول الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى من جميع نواحيها العقليه والماديه بعد أن راجع المصادر العربيه وغير العربيه مراجعه واسعه النطاق ، حتى تُتعدّ مراجعُه بالمئات ؛ وقد بلغ عدد المرات التى أشار إليها فى الباب الواحد مئاتٍ أيضاً فى بعض الأحيان؛ ومن جمله مصادره مخطوطاتٌ أُرُبت على الأربعين موجوده فى مكاتب برلين وباريس وليدن وليبتزج وميونخ وفيّنا ولندن ؛ وبعض هذه المخطوطات لم ينشر حتى الآن ، مع عظم قيمته ؛ كما أن الموءلف رجع إلى عدد كبير جداً من المجالات العلميه الأوربيه التى تبحث فى شئون الشرق .

غير أن الأجل أدركه ، وكتابه مكتوب بالآله الكاتبه ، دون أن يتمكن من مراجعته مراجعه أخيره تُهيئُه للطبع ومن غير أن يضع له مقدمه .

إلا أن قيمه هذا الكتاب كانت سبباً فى إظهار للباحثين ؛ فنشره الأستاذ ريكندورف (Reckendorf) عام ١٩٢٢ م باسمه الذى اختاره الموءلف له ، وهو : «عصر النهضه فى الإسلام»^(١)؛ ثم ترجمه إلى اللغه الأسبانيه سلفادور فيلا- (Salvador Vila) ونشره عام ١٩٣٦ م ؛ وترجمه كذلك إلى اللغه الإنجليزيه المرحوم صلاح الدين خُدابخش الهندى الذى كان أستاذاً بجامعة كلكتنا ؛ ومات

قبل أن يتم الترجمة ، فأنمها الأستاذ مرجوليوث بجامعة أكسفورد ، ونشرت كامله سنه ١٩٣٦م .

هذه الظروف فى مجموعها جعلت الترجمة شاقه كل المشقه ، لأن المراجع تُذكر بحث لا يسهل الرجوع إليها ؛ فقد يُذكر الكتاب أحياناً من غير ذكر مؤلفه ولا ذكر المكان الذى يرجع الباحث إليه للمقارنه ، أو قد يذكر المؤلف دون ذكر كتابه ؛ وفى كلتا الحالتين كان يندر أن يذكر زمان الطبع أو مكانه أو رقم الكتاب فى المكتبه التى هو فيها ، إن كان مخطوطاً .

لذلك كان لابد من البحث عن هذه المصادر فى فهرس المكاتب الأورويه للمطبوعات والخطوط ومراجعته ذلك .

وقد استطعت أن أحصل على المواضيع التى أشار إليها المؤلف فى المخطوطات ، وذلك بطلب تصويرها من مختلف مكاتب أوروبا ، كما راجعت بعضها بنفسى فى باريس وبرلين أثناء العام الماضى .

كما استطعت بعد مراجعته الأصول العربيه أن أُصحح أخطاء كثيره فى النصوص أحياناً وفى المراجع فى أغلب الأحيان ؛ كما أنى زدت المراجع إيضاحاً يسهل الرجوع إليها ، وبقيت أشياء يسيره جدا وضعت علامه استفهام إلى جانبها ليحاول معالجتها من شاء .

وكذلك وسعت بعض النصوص وبينت مناسبتها ، لتكون مفهومه للقارئ العربى ومشبعه لحاجته ، وذكرت أسماء الأعلام كامله ، وعلقت تعليقات قليله جدا يتطلبها المقام .

على أنى راجعت كل شىء تقريباً على الأصول التى ذكرها المؤلف مراجعه دقيقه طلباً للدقه والضبط ، وراعت فيما يتعلق بالمراجع العربيه أن يكون الأسلوب متمشياً مع الأصل العربى الذى أشار إليه المؤلف ، لتكون بين يدى القارئ حضاره القرن الرابع بلغه القرن الرابع ولغه رجاله وموءلفيه .

وإذا كان القارئ يرى فى بعض الأحيان ما يشبه التفكك فى العرض ، فمرجع ذلك إلى أن الكتاب كتابٌ علمى يعنى بضبط الوقائع وإحصائها والاستنباط منها .

وقد ترجمت القسم الأول من هذا الكتاب وعرضته على الأستاذ أحمد أمين بك ؛ ففضل بقراءته من أوله إلى آخره قراءه دقيقه استنفدت كثيراً من وقته الثمين ، وأبدى ملاحظات قيمه كان لها أكبر الفضل فى إخراج الكتاب على هذا النمط .

ولا يفوتنى أن أعبر عن شكرى العظيم للأستاذ بول كراوس المدرس بكلية الآداب لمعاونتى فى فهم كثير من النقط الغامضه فى الأصل الألمانى .

لقد كان أستاذنا الجليل أحمد أمين موفقاً كل التوفيق فى اختيار هذا الكتاب للترجمه ، لكى ينشره بيت المغرب فى جملته النشرات القيمه التى يخدم بها الثقافه العربيه .

وأرجو أن أكون قد وُفقت أنا أيضاً فى القيام بهذا العمل على الوجه الذى يحقق النفع ، مع علمى بأن كل جهد فهو دون الكمال .

وإنى لأرجو أن أتمكن من ترجمه القسم الثانى وإكماله بالفهارس اللازمه للكتاب ، وإضافه ثبّت للمراجع خدمه للقارئ .

كما أرجو أن يسدَّ هذا الكتاب فراغاً كبيراً في تاريخ الحضاره الإسلاميه وأن يحرك هَمَمَ الباحثين إلى العناية بتاريخ هذه الحضاره وبذل ما تستحقه من جهود .

والله ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ؟

باريس في أول المحرم سنه ١٣٥٩

٩ فبراير سنه ١٩٤٠

محمد عبد الهادي أبوريده

بكلية الآداب وعضو بعثه جامعه فوءاد الأول بباريس

الفصل الأول: المملكة الإسلامية

إشاره

فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) عادت المملكة الإسلاميه إلى ما كانت عليه قبل الفتح العربى ؛ ونشأت فيها دولٌ صغيره منفصل بعضها عن بعض ، كما كان الحال دائماً فى تاريخ الشرق ، إذا استثنينا فترات قصيره .

وقد تم هذا الانقسام حوالى سنه ٣٢٤ هـ ٩٣٥ م.

وشرع الموءرخون يبينون الأجزاء التى آلت إليها المملكة ، كأنهم يصفون حسابها ؛ وهم يعتمدون فى إحصائهم على مصدر واحد ، كما يدلّ على ذلك ترتيبهم لهذه الأجزاء : تغلب كل رئيس على ناحيته ، وانفرد بها ، فصارت فارس و الرى وأصبهان والجبل فى أيدي بنى بويه ، وكرمان فى يد محمد بن إلباس ، والموصل وديار ربيعه وديار بكر وديار مضر فى أيدي بنى حمدان ، وأصبحت مصر والشام فى يد محمد بن طغج الأخشيد ، والمغرب وإفريقيه فى يد الفاطميين ، والأندلس فى يد عبد الرحمن الناصر الأموى ، وخراسان فى يد نصر بن أحمد السامانى ، والأهواز وواسط والبصره فى يد البريديين ، واليمامه والبحرين فى يد أبى طاهر القرمطى ، وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ؛ ولم يبق

فى يد الخليفة إلاً بغداداً وأعمالها(١). ويشبهه المسعودى فى عام ٣٣٢ هـ ٩٤٤م فِعَلَ أصحاب الأطراف ، وتغلب كل واحد منهم على الصقع الذى هو فيه بفعل ملوك الطوائف بعد موت الإسكندر(٢) .

على أن شبهاً لسياده الخليفة ببغداد ظلَّ وَهَمًا ماثلاً فى الأذهان ؛ والمسعودى نفسه يتكلم عن «عمل» أميرالموءنين ، وينقل عن الفزارى أنه «من فرغانه وأقصى خراسان إلى طنجه بالمغرب ثلاثه آلاف وسبعمائه فرسخ ، ومن باب الأبواب إلى جدّه ستمائه فرسخ ، ومن الباب إلى بغداد ثلاثمائه فرسخ ومن مكه إلى جدّه اثنان وثلاثون ميلاً»(٣) .

على أن أصحاب الأطراف أو ملوك الطوائف كانوا يعترفون بالسياده العليا الدوله ، ويقدمون للخليفة الدعاء فى المساجد ، ويشترون منه ألقابهم ، ويرسلون إليه الهدايا فى كل عام ؛ فمن ذلك أنه لما تمّ لعضد الدوله ابن بويه فتحُ كرمان فى سنه ٣٥٧هـ ، أنفذ إليه من الحضرة ببغداد عهدُ الخليفة وخِلقُهُ والعقدُ على أعمال كرمان كلها(٤) .

وكان مظهرُ سلطان الخليفة منصبه الجليل فحسب ، وهو يشبهه فى ذلك قيصرًا من قياصره الإمبراطوريه الرومانيه المقدسه فى ألمانيا ، يحكم الأمة الألمانيه

١- تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٥ ص ٥٥٣ ٥٥٤ ؛ تاريخ ابن الأثير ، الطبعة الأوروبيه ج ٨ ص ٢٤١ ٢٤٢ ؛ تاريخ أبى الفداء تحت سنه ٣٢٤ هـ [ج ٢ ص ٣٩٨ من الطبعة الأوروبيه] ؛ المنتظم فى تاريخ الأمم لابن الجوزى مخطوط رقم ٩٤٣٦ بالمكتبه الأهليه ببرلين ص ٥٨ ؛ الجزء الرابع من كتاب العيون والحدائق مخطوط برلين أيضاً رقم ٩٤٩١ ص ١٥٤ ب ١٥٥ .

٢- مروج الذهب المسعودى ، الطبعة الأوروبيه ج ١ ص ٣٠٦ ، ج ٢ ص ٧٣ والصفحات التاليه .

٣- مروج الذهب ج ٤ ، ص ٣٧ ٣٨ .

٤- مسكويه ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

وليس له عليها إلا-سلطان قليل. ولكن فكره الدوله لم تَفَقَد، رغم هذا، ما كان له من القوه والسلطان ، حتى إن بنى أميه فى الأندلس لم يتخذوا لأنفسهم لقب الخليفه أوالتسميه باسم «أميرالمومنين» ، بل كانوا يسمون أنفسهم « بنى الخلائف » .

ثم جاء الفاطميون فكانوا أول من خرج على هذه القاعده ، فلم يكتفوا بأن يكونوا أمراء ذوى سلطه دنيويه فقط ، بل أرادوا أن يكونوا الخلفاء الحقيقيين للنبي صلى الله عليه و آله ، فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافه بعد فتح القيروان فى سنه ٢٩٧ هـ ٩٠٩م (١) .

ثم أسرع قيمه هذا اللقب إلى الهبوط حتى نجد حاكم سجلماسه ، جنوبى جبال أطلس ، وكان حاكماً سَيِّئاً صغيراً ، يسمّى نفسه بأميرالمومنين فى سنه ٣٤٢ هـ ٩٥٣م وهو اللقب الذى كان من قبل يبعث فى النفس رهبةً عظيمه (٢) .

ولما علم عبدالرحمان بالأندلس أن العلويين بإفريقيه تلقّوا بأميرالمومنين اتخذ لنفسه أيضاً لقب الخلافه ، وتسمّى بأميرالمومنين فى سنه ٣٥٠ هـ ٩٦١م (٣) .

ولكن لم يكن من شأن هذا الانقسام وتعدّد أمراء المومنين أن يوءدى إلى ضيق فى معنى الإسلام أو فى الوطن الإسلامى ، بل صارت كل هذه الأقاليم توءلف مملكه واحده ، سميت مملكه الإسلام وهو الاصطلاح الذى لم يستعمله

١- كتاب العيون ص ٧٠ نقلا عن ابن الجزار الموءرخ المغربى المتوفى عام ٣٩٥ هـ ١٠٠٤م .

٢- كتاب المغرب فى ذكر بلاد إفريقيه والمغرب لأبى عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكرى ، طبعه الجزائر عام ١٨٥٧ ص ١٥١ .

٣- أبوالفداء تحت عام ٣٥٠ هـ، نفح الطيب المقرئ ج ١ ص ٢١٢ ٢١٣ .

المسعودى تمييزاً لها عن مملكة الكفر، وقامت وحدة إسلاميه لا تتقيد بالحدود السياسيه الجديده .

وهذا عكس ما نشأ عن اتحاد الإمبراطوريه الألمانيه فى القرن التاسع عشر(١) .

يعتبر المقدسى أن مملكه الإسلام تمتد من كاشغر فى أقصى المشرق إلى السوس الأقصى فى المغرب ، وأنها تُقَطَع فى نحو عشره أشهر(٢) .

أما عند ابن حوقل فحدود مملكه الإسلام هى : شرقيها أرض الهند وبحر فارس ، وغربيها مملكه السودان الذين يسكنون على المحيط الأطلسى ، وشمالها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللان والران والخز والبغار والصقالبه والترک والصين ، وجنوبها بحر فارس(٣) .

وكان المسلم يستطيع أن يرتحل فى داخل حدود هذه المملكه فى ظل دينه وتحت رايته ، وفيها يجد الناس يعبدون الإله الواحد الذى يعبه ، ويصلون كما يصلى ، وكذلك يجد شريعته واحده وعُرفاً واحداً ، وعاداتٍ واحده .

١- ربما يقصد المؤلف أن حركة الوحده الألمانيه فى القرن التاسع عشر كان غرضها الوحده ، ولكنها اقتصرت على بعض الألمان ، فلم تشمل النمسا وغيرها : وترك أهل هذه البلاد كأنهم أجنب ، وكانوا يعاملون فى ألمانيا معاملة الأجنب . وهذا خلاف ما نشأ عن انقسام الدوله الإسلاميه كما سيأتى على أن كلام المؤلف ينطبق على الوحده الألمانيه فى القرن التاسع عشر ؛ أما فى عهد هتلر فقد اتجهت فكره الوحده الألمانيه إلى إنشاء ما يسمى ألمانيا الكبرى على أساس الجنس واللغه ، وقد ضمت النمسا وغيرها وبقيت أقليات صغيره كان ضمها من أسباب الحرب الماضيه . (المترجم) .

٢- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفه الأقاليم ، طبعه ليدن ١٨٧٧ ص ٦٤ .

٣- المسالك والممالك ، طبعه ليدن ١٨٧٢ ص ١١٠ .

وكان يوجد في هذه المملكة الإسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حقَّ المواطن ، بحيث يكون آمناً على حرّيته الشخصيه أن يمَسّها أحدٌ، وبحيث لا يستطيع أحد أن يسترّقه على أي صوره من الصور(١). [*١]

وقد طوّف ناصر خسرو في هذه البلاد كلها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) دون أن يلاقى من المضايقات ما كان يلاقيه الألماني الذي كان ينتقل في ألمانيا في القرن الثامن عشر بعد المسيح عليه السلام .

وكان الخليفة الفاطمي على أشد ما يكون من المنافسه لبني العباس ، فكان يخطب له في اليمن والشام زياده على إفريقيه ومصر ، وكان لمذهب الفاطميين «دعاه منبثون في كل صقع وناحيه»(٢) ؛ وتدلنا هذه الحكايه الصغيره على أن الخليفه الفاطمي كان ينسب له فعل كل شيء : كان على صدر زبذب للسلطان عضد الدوله صوره لسبع ذمن الفضه ، فسرق ؛ وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبه عضد الدوله المفرطه ، وكونه شديد المعاقبه على أقلّ جنايه ؛ ثم قلبت الأرض في البحث عن السارق ، فلم يوقف له على خبر ؛ فقبل عند ذلك إن صاحب مصر ، يعنى الخليفه الفاطمي ، دسّ من فعل هذا(٣) .

وفي عام ٤٠١هـ بلغ من جراه قرواش بن المقلد ، أمير بني عقيل ، أنه خطب للحاكم بأمر الله في أعماله كلها ، وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفه ، وذلك تحت سمع العباسيين وبصرهم ، حتى أرسل الخليفه القادر إلى بهاء الدوله فسير

١- لا يقول بغير هذا القول إلا بعض شرار الفرق كالقرامطه[*] .

٢- كتاب الفهرست لابن النديم ، الطبعه الأورويه ص ١٨٩ .

٣- المنتظم ص ١١٨ .

إليه جيشاً؛ فبعث قراوش يعتذر، وقطع الخطبه للعلويين، وأعادها للقادر(١).

وكان الخليفة في بغداد يجد بعض العزاء عما ضاع من سلطانه حين يرى مثلاً أن السلطان محموداً صاحب غزنه، وهو الأمير الذى أخذ نجمه فى الصعود، يظهر له احتراماً عظيماً، ويوقفه على انتصاراته، ويشكو إليه ما يجد؛ وفى سنه ٤٠٣ هـ (١٠١٢م) مثلاً أرسل الحاكم بأمر الله إلى السلطان محمود كتاباً يدعوه فيه إلى طاعته، فبعث محمود بالكتاب إلى الخليفة القادر بعد أن خرّقه وبصق فى وسطه(٢).

وكان النزاع على أشد ما يكون فيما يتعلق بمكة والمدينه من بين الأراضى المقدسه، لأن امتلاكهما أصبح له شأن أكبر من ذى قبل؛ فلم تكن توجد من قبل مناسبة للبحث فى علامه الخليفه الحقيقى؛ أما الآن فقد ظهرت من ثنايا النزاع حول هذا المنصب نظريه جديده، هى أن أميرالموءنين الحقيقى هو من كان ملكاً للحرمين(٣). وهذه هى النظرية التى يستند إليها اليوم فى إثبات حق العثمانيين فى الخلافة(٤).

وكان العلويون فى هذا النزاع على الأراضى المقدسه هم الخصم الثالث الذى يأتى آخرأ فيفوز بالغنيمه، وكان الحسيتون منهم يتمتعون دائماً حول المدينه بمال وجاه عظيم، ولذلك استطاعوا أن يفتحوا مكة حوالى منتصف القرن الرابع

١- ابن الأثير ج ٩ ص ١٥٦ ١٥٧؛ النجوم الزاهره لابن تغرى بردى، نشره W.Popper بكلفورنيا ص ١٠٧.

٢- نفس المصدر ص ١١٤.

٣- مروج الذهب ج ١ ص ٣٦٢.

٤- والآن قد تغير هذا الموقف بعد إلغاء العثمانيين للخلافة منذ عام ١٩٢٤.(المترجم).

الهجرى ، دون أن يعترض عليهم الطرفان الآخران ، وهما العباسيون والفاطيون ونرى فى أواخر هذا القرن فى البلاد المقدسه الحاله التى نراها اليوم. فالمدينه هى مركز الحركه السياسى وقد كانت العاصمه السياسيه قديماً ومنها يسير التيار السياسى إلى مكّه ، وكذلك نجد الأشراف سادّه الحرمين (١).

وفى هذا العصر نجد مملكه الإسلام تعود من الناحيه الجغرافيه إلى حدودها الأولى ، وتفقد مملكتها فى الغرب ، وكان البحر الأبيض المتوسط بعد عصر شارلمان قد أصبح بحرأ عربياً ؛ واستطاع العباسيون منذ أوائل القرن الرابع أن يحافظوا على حدودهم الغربيه من اعتداء البوزنطيين ، وكانت أخبار الانتصارات تُقرأ من أعلى المنابر ببغداد. وفى عام ٢٩٣ هـ ٩٠٤م أخذ قرصان المسلمين مدينه سالونيقى ، ثانيه مدن الدوله البوزنطيه ، وهى مدينه كبيره محصنه بأسوار وحصون وأبراج ، وأسروا من أهلها اثنين وعشرين ألفاً (٢).

غير أن زحف الروم بدأ سنه ٣١٤ هـ ٩٢٦م باستيلائهم على بمدينه ملطيه (٣) .

وفى عام ٣٣١ هـ ٩٤٢م وافت جيوش الروم إلى ديار بكر ، وبلغوا قرب نصيبين ، وطلبوا من أهل الرّها أن يدفعوا إليهم المنديل الذى كان المسيح عليه السلام مسح به وجهه ، وصارت صورته وجهه فيه ، وذلك فى مقابل إطلاق عدد من أسرى المسلمين ؛ وكوتب الخليفه المتقى فى ذلك فاستحضر الوجوه من أهل مملكته لأخذ رأيهم ، وقام جدال عظيم بينهم ، فذكر البعض أن هذا المنديل منذ

١- Hurgroie, Mekka Snouck ، وقد تغير الموقف اليوم فى الحجاز تغيراً كبيراً . (المترجم) .

٢ - ٥٨٩ ، ٤٩١ ، Joannes Cameniata, Corpus script. historiae byzant, Bonnae, S. ٤٩١ ، وكان هذا المؤلف إذ ذاك من بين الأسرى .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٢٤٩ .

الدهر الطويل فى كنيسة الرّها ، لم يلتمسه ملكٌ من ملوك الروم ، وأن فى دفعه إليهم غضاضةً على الإسلام ، لأن المسلمين أحق بمنديل عيسى عليه السلام ، وفيه صورته .

فقال على بن عيسى ، وهو الوزير المُسِنُّ إذ ذاك : إن خلاص المسلمين من الأسر، وإخراجهم من دار الكُفر ، مع ما يقاسونه من الضنك والضرّ أوجب وأحق ، ووافقهم جماعة ممن حضر على قوله ، وسُلم المنديل إلى الروم ، فحملوه إلى القسطنطينية ، وخرج البطريرك وكبار رجال الدولة لاستقباله ، ومشى أهل الدولة بأجمعهم بين يديه بالشمع الكثير ، وحُمل إلى الكنيسة العظمى أجيا صوفيا ، ومنها إلى البلاط(١). ويشكو المسعودى « من ضعف الإسلام فى هذا الوقت وذهابه ، وظهور الروم على المسلمين ، وفساد الحج ، وعدم الجهاد ، وانقطاع السبيل ، وفساد الطريق ، وانفراد كل رئيس وتغلُّبه على الصقع الذى هو فيه ، كفعل ملوك الطوائف بعد مضي الإسكندر... ولم يزل الإسلام مستظهِراً إلى هذا الوقت ، فتداعت دعائمه ، وهى أُسّه ، وهى سنه اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، فى خلافه أبى إسحاق إبراهيم المتقى لله أميرالمؤمنين ، والله المستعان على ما نحن فيه »(٢).

١- تاريخ سعيد بن الطريق ، يليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي مخطوط رقم ٢٩١ بالمكتبة الأهلية بباريس ص ١٨٥ ب ، على أنّ الموءلف يشير أحياناً إلى نسخه مطبوعه لعلها التى ذكرها بروكلمان فى ملحق كتابه : تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ٢٢٨ من طبعه ليدن ١٩٣٧ ؛ وقد وُجِدَت الإشارة فجعلتها كلها بحسب مخطوط بباريس لصعوبه الحصول على النسخه المطبوعه . (المترجم) .

٢- مروج الذهب ج ٢ ص ٧٣ والتى تليها .

أما الإمبراطوريه البوزنطيه فقد أسعدها الحظ فى هذا القرن بثلاثه قواد ذوى كفايه نادره ، تعاقبوا على عرشها ، وهم نقفور فوكاس (Nikephoros Phokas) وزيمسكيس (Zimiskes) ، وباسيليوس (Basilios) .

وقد مكث آخرهم وأكفوءهم على رأسها خمساً وخمسين سنه . وفى سنه ٣٥٠هـ ٩٦١م فتح نقفور جزيره أقرطيش بعد حصار دام ثمانيه أشهر(١) .

وكانت هذه الجزيره أكبر عش للقرصان المسلمين .

وبعد خمس سنين سقطت قبرص فى يد الروم ، فلم تعد للمسلمين السيادة المطلقه التى كانت لهم فى البحر الأبيض المتوسط .

وفى سنه ٣٥١هـ ٩٦٢م ورد نقفور حلب ، وفى سنه ٣٥٤هـ ٩٦٥م فتحت مدينه المصيصة(٢) ، وأخيراً وقعت طرسوس ، مع ماسيَجَل لأهلها من شجاعه ، وكانت أكبر حصن للإسلام فى وجه المغيرين عليه ؛ وقد أخذها الروم بعد أن عَظُم بها الغلاء والوباء حتى بلغ الأمر بالناس إلى أكل الميتة. وفى عام ٣٥٧هـ ٩٦٨م فتح نقفور حماه وحمصا ، وأخذ من حمص رأس القديس يوحنا المعمدانى ، وكذلك فتح مدينه اللاذقيه. وفى الشتاء التالى سقطت مدينه أنطاكيه بعد أن كان يُخَيَّل للناس أنها لن تُغَلَب(٣) .

ولما أعاد الروم فى سنه ٣٦٢هـ ٩٧٢م على الرُّها ونواحيها وساروا فى ديار الجزيره حتى بلغوا نصيبين ودخلوا ديار بكر ، فغنموا استباحوا وقتلوا وسبوا وخزّبوا البلاد ، قصد بغدادَ من نجا من أهل تلك البلاد مُسْتَنْفِرِينَ ، واجتمع معهم

١- يحيى بن سعيد ص ٩٢ ب .

٢- نفس المصدر ص ٩٤ ب .

٣- نفس المصدر ص ٩٥ ب ؛ Michael Syrus, S. ٥٥١ .

أهل بغداد فى الجوامع ، وأصابهم جميعاً غضبُ اليائسين ، فكسروا المنابر ، ومنعوا الخطب ، وقصدوا دار الخليفة ، فحاولوا الهجوم عليه ، واقتلعوا بعض شبابيك دار الخلافة ، وخاطبوا الخليفة بالتعنيف ، فرماهم الغلمان بالنشاب من الرواشن (١).

وقد اجتمع من استنفار العامه للغزاه جمعٌ عظيم من العامه والأجلاد يبلغ زهاء ستين ألفاً ؛ فطلب عزُّ الدوله بختيار بن بويه من الخليفة المطيع لله أن يبعث له مالاً - يخرج له للغزاه ، فامتنع الخليفة بحجه أن الأموال لا- تُجبي إليه ، فلا- تلزمه النفقه على الغزاه ، وهدد بالاعتزال ، وترددت الرسائل بينه وبين بختيار ، حتى بلغ الأمر التهديد ، فبذل المطيع أربعمائه ألف درهم ، واحتاج فى ذلك إلى بيع ثيابه وإنقاض داره من ساج وورصاص ، وشاع بين الحجاج أن الخليفة قد صودر .

ثم تحزب الغزاه إلى سنين وشيعه ، ووثب بعضهم على بعض ، وأعرضوا عن ذكر الروم جانباً ، ولما قبض بختيار المال صرفه فى مصالحه ، وبطل حديث الغزاه (٢).

وفى عام ٣٦٤هـ ٩٧٤م فتحت بعلبك وبيروت ، وأخذت من بيروت صوره المسيح التى تنسب إليها الخوارق ، ونقلت إلى الكنيسه التى أسسها زيمسكيس فى قصر البرنز بالقسطنطينيه .

أما أهل دمشق فقد اضطروا إلى أن يفتدوا أنفسهم بدفع ستين ألف دينار ،

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٠ ب ١٠١ ، والمنتظم ص ١٠٤ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٥٤ ٤٥٥ والنجوم الزاهره لأبى المحاسن بن تغرى بردى ، طبعه ليدن ١٨٥٥ ج ٢ ص ٤٣٥ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ويحيى بن سعيد ص ١٠٠ ب ١٠١ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٥٦ ٤٥٥ ، وأبو المحاسن فى نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣٦ .

يحملونها للروم فى كل عام(١) .

أما فى جنوب المملكة الإسلاميه فقد حافظ المسلمون على الحدود التى كانت للرومان قديماً ، وصدّوا هجمات النوبه .

ويحدثنا المسعودى وهو بمصر فى عام ٣٣٢ هـ ٩٤٣م أن النوبه كانوا قد صولحوا منذ ولايه عبداللّه بن سعد على روءوس من السبى معلومه ، وأن هذا السبى صار سنّه جاريه فى كل سنه إلى عهده ؛ ويدعى هذا السبى بأرض مصر والنوبه بالبّقط ، ويقبضه نائب أمير مصر المقيم ببلاد أسوان(٢) .

وفى عام ٣٤٥ هـ ٩٥٦م سار عسكر مصر وفتحوا مدينه أبريم ، وهى آخر حصون النوبه ممّا يلي مصر(٣) .

وفى أقصى الجنوب الغربى دخلت فى الإسلام مدينه أودغشت ، وهى المدينه التجاريه الكبرى فى غرب الصحراء الإفريقيه ، فصارت هذه المدينه أقصى نقطه للإمبراطوريه الإسلاميه من ناحيه وسط إفريقيا(٤) .

على أنه إذا كان سلطان الإسلام كان ينحسر عن بلاد فى الغرب ، فقد كان يقابل ذلك تقدّمه المستمر فى الشرق .

ففى عام ٣١٣ هـ ٩٢٥م فتحت بلوخستان ، وكانت حتى ذلك الحين على

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٢ ب ، Jean Ebersolt, Le grand palais de Constantinople, Paris, ١٩١٠, p.

. ٢٢

٢- مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٤٠ .

٣- يحيى بن سعيد ص ٩١ ب ؛ وكتاب الخطط للمقريزى طبعه بولاق ١٢٧٠هـ ج ١ ص ١٩٨ .

٤- وقد ذكر المهلبى الذى كتب فى عام ٣٧٠هـ . أن ملك كوكو بالسودان كان يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به (معجم

البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣٢٩ من الطبعه الأوروبيه) ، ولكن البكرى وابن سعيد قالوا فيما بعد إنهم وثنيون (انظر J. Marquart

.) Beninsammlung, S. ×CVII .

وفى سنه ٣٤٩ هـ ٩٦٠م أسلم من الأتراك نحو من مائتى ألف خركاه (٢): وعلى حين أنه فى أواخر القرن الثالث الهجرى كانت أسبيجاب (٣) آخر مدينه للمسلمين مما يلى الترك ، فإن دخول بغراخان فى سلك أمراء المسلمين جعل حدود المملكه الإسلاميه تنتهى حدودها إلى كاشغر (٤).

وفى عام ٣٩٧ هـ ١٠٠٦م كان أهل بلاد ختن مسلمين (٥).

وفى ذلك الوقت شمّر السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنه ، وأخضع بلاداً واسعاً من بلاد الهند لسلطان الإسلام ، وكانت علامه الثقه عند ملوك الهند أنهم يقطعون أصابعهم ، « وكان عند السلطان محمود من أصابع من هادنه

١- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٩ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٠ ، وكتاب العيون ص ٢٦٩ .

٣- كتاب البلدان لليقوبى طبعه ليدن ، ١٨٩١ ، ص ٢٩٥ . وقد قال أحد الفرس المتأخرين إن أسبيجاب هى مدينه صيرم التى تقع على مسافه سبعة عشر كيلو متراً شرقى كُنكنت ، وهذا يتفق مع تعيين ابن خرداذبه لمكانها ، وقد وافق على هذا أيضاً ليقى () (Leviah: Archaeological Journey to Turkestan, p. ٣٥) ، وجرينار : (JA, ١٩٠٠, t.١٥.s.٢٧) (Grenard) Anm.٤ ؛ ولكن هذا غير محقق ، لأن السمعاني (المتوفى عام ٥٥٦٢ هـ ١١٦٧م) ، وكان يعرف آسيا الوسطى جيداً ، يتكلم عن أسبيجاب باعتبارها مدينه كبرى (انظر كتاب تقويم البلدان لأبى الفداء طبعه باريس ١٨٤٠ ص ٤٩٤) ؛ ويصرح ياقوت فى معجم البلدان (ج ١ ص ٢٥٠) بأن أسبيجاب خربها التتر عام ٦١٦ هـ ١٢١٩م ، ولكن الرحاله تشا وتشنج (Caucung) يحكى أنه فى نوفمبر سنه ١٢٢١م نزل بمدينه تسمى ساي لان : (انظر S. ٧٤, ١, Bretschneider, Mediaeval Researches).

٤- المقدسى ص ٦٤ .

٥- J. Marquart, Guwainis Beticht Uberdie Bekehrung der Uiguren, SBBA, ١٩١٢, S. ٤٩٦ .

الكثير» (١).

ولا نريد أن نتعرض هنا للبحث فيما إذا كان انقسام دوله بنى للعباس دليلاً من دلائل التدهور ، إذا نظرنا في هذه المسأله بمنظار هذا العصر الذى نعيش فيه والذى يحكم فى مثل هذه الأحوال على أساس الكمّ وعلى أساس ما يسمونه بالوحده ؛ على أننا نستطيع أن نقول إن الإمبراطوريات العالميه الكبرى تركز دائماً إما على شخص زعيم عبقرى وإما بنوع خاص على وجود طائفه من أهل الخشونه والقوه الوحشيه ؛ ووجود هذه الإمبراطوريات على كلتا الحالتين وجود غير طبيعى .

على أننا لا نجد فى مصر على عهد الإخشيد وكافور والفاطميين ما يدل على تأخرها ، بل هى قد كانت منيعه الجانب ، وافرّه العده ، عظيمه الخيرات ؛ وكذلك يشهد الرحالون بمناقب السامانيين وعدلهم وشريف أعمالهم وما كان لمملكتهم من عظمه ومَنَعه (٢) .

أما بغداد فهى التى قد تنكّرت لها الأيام ، وذلك منذ عام ٣١٥ هـ ٩٢٧م حين أرهّجها العتارون ، وعاثوا فيها فساداً ، وأعملوا فيها النهب (٣) لأول مره .

ثم صار أمرهم يتفاقم كلما ضعفت الحكومه لأول مره ، وكانت أسوء أيامها السنوات التى افلت فيها الزمام مین يد الحكومه فيما بين مقتل بحكم ودخول بنى بويه ، أى ما بين عامى ٣٢٩ هـ و ٣٣٤ = ٩٤٠ ٩٤٥م ؛ وكأنما كان سقوط رأس القبه الخضراء التى فى قصر المنصور بمدينه السلام عام ٣٢٩ هـ ٩٤٠م إرهاباً

١- المنتظم ص ١٨١ ب .

٢- ابن حوقل ص ٣٤١ والصفحات التاليه .

٣- ابن الأثير ج ٨ ص ١٢٦ .

بأفول نجم بنى العباس ، وكانت تلك القبه «تاج بغداد وعلم البلد» ؛ وكان ليله سقوطها مطرٌ عظيم ورعد وبرق شديد(١) .

وفى سنه ٣٣١هـ ٩٤٢م استطاع ابن حمدى ، وهو لص ظهر ببغداد على رأس جماعه من أصحابه ؛ أن ينتهب أموال أهل بغداد ، وكان قد أعى السلطان أمره ، وخلع عليه ابن شيرزاد ، ووافقه على أن يصحح فى كل شهر خمسه عشر ألف دينار مما يسرقه هو وأصحابه ؛ فكان يستوفىها ويأخذ البراءات وروزات الجهبذ بما يوءديه أولاً فأولاً .

وكان ابن شيرزاد فى ذلك الوقت كاتباً للقائد التركى المسمى توزون ، فكان أمر الحكومه فى يديه ، ومضى على الناس فى أيام ابن حمدى وقت تحارسوا فيه بالبوقات فى الليل ، وامتنع عليهم النوم خوفاً من كبسات هذا اللص وأصحابه(٢) .

وخلت المنازل ببغداد من أهلها ، وصاروا يطلبون من يسكن الدار بأجره يعطاها ليحفظها ، وأغلقت عدده حمامات ، وتعطلت أسواق ومساجد(٣) ، وأضيف إلى هذا ما كان بين السنين والشيعة من نزاع دائم ، فكانوا يلقون النار بعضهم على بعض دائماً .

وفى سنه ٣٦١هـ ٩٧١م قامت بالكرخ فتنه ، فأرسل الوزير حاجبه لقتال العامه ، وكان شديد العصبية للسنة ، فاضطر إلى إلقاء النار فى أماكن كثيره ليقتضى على الفتنة ، فاحترق الكرخ حريقاً عظيماً ، وكان عدده من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان ، وثلاثمائة دكان ، وثلاثه وثلاثين مسجداً ، ومن الأموال مالا يحصى .

١- المنتظم ص ٦٧ ، وكتاب العيون ص ١٩١ ب .

٢- كتاب العيون ص ٢٠٦ ب .

٣- المنتظم ص ٧٢ .

وبدأ الناس ينتقلون من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، ولا يزال هذا الجانب إلى اليوم أعمر وأكثر سكاناً (١).

وفي عام ٣٣٢هـ ٩٧٢م تولى ابن شيرزاد القياده بعد موت توزون ، فأخذ في المصادرات ، وقسّط على العمال والكتاب والتجار وسائر الناس ببغداد مالا لأرزاق الجند ، وكثرت الضرائب حتى تهاب الناس من بغداد وفسد الأمن ، وكثرت كبسات اللصوص ، حتى انهم دخلوا دار أحد القضاة ، فتسلق حائطاً لينجو منه ، فوقع ومات (٢).

وفي هذا العصر يصف المقدسى بغداد فيقول إنها «كانت أحسن شيء للمسين ، وأجل بلد ، وفوق ما وصفنا ، حتى ضعّف أمر الخلفه ، فاختلّت ، وخفّ أهلها ؛ فأما المدينة فخراب ، والجامع فيها يُعمر في الجُمع ، ثم يتخلّلها بعد ذلك الخراب ... وهي في كل يوم إلى وراء ، وأخشى أنها تعود كسامرا ، مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان (٣).

ويذكر الصابى عن جماعه من الناس أنهم في عام ٣٩٢هـ ١٠٠١م شاهدوا صينية الكرخ فيما بين طرفى الحدائين والبزازين ، والفواخت والعصافر تمشى في أرضها انتصاف النهار ، وفي الوقت الذى جرت العاده بازدهام الناس فيه بهذا المكان ؛ وذلك لأن البلد كان قد خرب ، وانتقل أهله عنه (٤).

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٠ اب ١٠١ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٦٢ .

٢- كتاب العيون ص ٢٢٩ ب ٢٣٠ .

٣- المقدسى ص ١٢٠ .

٤- كتاب تحفه الأمراء فى تاريخ الوزراء لأبى الحسن الهلال بن المحسن بن ابراهيم الصابى ، نشره أمد روز بيروت سنه ١٩٠٤ ، ص ٤٣٩ .

ولأجل هذا نجد المقدسى يشيد بذكر مدينة الفسطاط بمصر ، ويقول إنها

«ناسخ بغداد ، ومفخر الإسلام ، ومتجر الأنام ، وأجلّ من مدينه السلام»^(١) . ولقد ظلت عاصمه مصر منذ ذلك الحين أكبر مدن الإسلام .

تعليقات الفصل الأول

[*١] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأكرم بريته محمد وآله أجمعين

هذه نظرات وانتقادات وتوضيحات مفيدة على كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هذا الكتاب على الجزء الأول ووجهه النظر فيها على النقاش مع المؤلف ومن يحذو حذوه في عدم تلقى الشيعة لاسيما الإمامية إلا حزباً سياسياً أو جماعه مشاغبين ليس لهم اصول مبيته ولا- قواعد محكمه وليس عندهم علماء متدرّبون ولا- يعتنى بأقوالهم فيما يرتبط بالمسائل الإسلامية في الكلام والفقّه والتفسير فتعرضت لخطأه بقدر ما يستدعيه المقام وأشارت إلى القواعد وبيّنت نظرهم في كثير من المسائل .

وقد يعرض طي كلام المصنّف ما يحتاج إلى تنبيه تاريخي أو ترجمه عالم أو مؤلف أو صاحب مقاله أو نقل أو ثق ممّا اختاره المصنّف ومن الله استمد المعونه أنّه ولى التوفيق .

هم فرقه من المباركيه (نسبه إلى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر .

زعموا ان الامام بعد جعفر بن محمّد عليهما السلام محمد بن اسمعيل بن جعفر) خالفوهم فقالوا لا يكون بعد النبي صلى الله عليه وآله الأ سبعة أئمّه .

على بن أبي طالب عليه السلام . قالوا وهو امام رسول والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمّد عليهم السلام ومحمد بن اسمعيل بن جعفر .

وهو الامام القائم المهدي وهو رسول وزعموا انقطاع الرساله عن النبي صلى الله عليه وآله في اليوم الذي

أمر فيه بنصب علي بن ابي طالب عليه السلام للناس بغدير خمّ وصارت في علي عليه السلام لقوله من كنت مولاه فعلى مولاه ، وهذا خروج من الرساله والنبوه وتسليم منه لعلي عليه السلام ، وقالوا في محمّد بن اسمعيل ، أنّه حتّى لم يمت ، وأنّه القائم ، ومعناه أنّه يبعث بالرساله وبشريعته جديده ينسخ بها شريعته محمّد صلى الله عليه وآله . وزعموا أنّ الله تبارك وتعالى جعل لمحمّد بن اسمعيل جئنه آدم عليه السلام . ومعناها الاباحه للمحارم . وزعموا أنّ لجميع الأشياء التي فرضها الله على عباده وسنّها نبيه صلى الله عليه وآله ظاهر وباطن وأنّ النجاه في العمل على البطون . واستحلّوا استعراض النّاس بالسيف وقتلهم على مذهب (بعض فرق الخوارج) في قتل اهل القبله وأخذ أموالهم . ورأوا سبى النساء وقتل الأطفال وزعموا وجوب البدئه بقتل من قال بالامامه . وليس على أقوالهم خاصّه من قال بامامه موسى بن جعفر وولده من بعده (باختصار من فرق الشيعة للنوبختي ص ٧١ إلى ٧٦) .

وعن المفيد قدس سره ان القرامطه أخلاف المباركيه والمباركيه سلفهم (البحار ٣٧/١٠) وتعرض في تعليقات بيان الأديان للقرامطه وأورد بعض ما يشك في صحته (ص ٤٣٨ ٤٤٤) ويشبه عقيدتهم في قتال أهل القبله وحلّيه الأموال وسبى النساء والأطفال ما تعتقده الوهابيه في ساير المسلمين .

ممن يستغيث بقبور الأنبياء والأولياء فعن الصنعاني (منهم في تطهير الاعتقاد) من فعل ذلك (أي الاستغاثه وأمثالها) لمخلوق فهذا شرك في العباده وصار من تفعل له هذه الامور الهاً لعابديه وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق وإن اقرّ بالله وعبده . وفي موضع آخر فمن رجع و اقرّ حقن عليه دمه وماله وذرايه ومن اصّر فقد أباح الله منه ما أباح رسول الله صلى الله عليه وآله من المشركين . انتهى .

ولمّا دخلوا الطائف قتلوا الرّجال وأسروا النساء والأطفال وعن كتاب التوضيح سليمان بن

عبدالله بن محمد ابن عبد الوهّاب أنّه قال : وابع لأهل التّوحيد أموالهم ونسائهم وان يتخذوهم عبيداً .

وعن تاريخ الأمير حيدر أنّ الوهّابيين فى بعض حروبهم سبوا النساء وقتلوا الأطفال(١) .

[*] ولقد أخبر عن القرامطه(٢) أمير المؤمنين عليه السلام فى احدى خطب الملاحم (ينتحلون لنا الحبّ والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى وآيه ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثا قال ابن أبى الحديد(٣) وصحّ ما اخبر به ، لأنّ القرامطه قلت من آل أبى طالب عليه السلام خلقاً كثيراً وأسماءهم مذكوره فى كتاب مقاتل الطالبين لأبى الفرج الاصفهاني ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابى فى جيشه بالغرّى وبالحاير فلم يعرّج على واحد منهما ولا وقف وفى هذا الخطبه وهو يشير إلى الساريه التى كان يستند إليها فى مسجد الكوفه كأتى بالحجر الأسود منصوباً هاهنا ويحتمل أنّ فضيلته ليست فى نفسه بل فى موضعه واسّه يمكنه هاهنا برهه ثم هاهنا برهه (وأشار إلى البحرين) ثم يعود إلى مأواه وامّ مثواه ووقع الأمر فى الحجر الأسود بموجب ما اخبر به عليه السلام) .

١- كشف الارتباب فى أتباع محمد بن عبد الوهّاب : ص ١٤١ ١٤٢ .

٢- بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٩١ .

٣- بحار الأنوار ج ٤ ص ١٩١ ، شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ١٠ ص ١٣ ١٤ ، اثبات الهداه ج ٢ ص ٥٠٥ ، سفينه البحار ، ج ٢ ص ٤٢٥

الفصل الثاني: الخلفاء

إشاره

لما ثقلت العله على الخليفه المكتفى فى عام ٢٩٥هـ ٩٠٧م كان الوزير أبو أحمد العباس بن الحسن راكباً من داره يوماً ومعه ، كما جرت العاده ، أحد الكُتاب الأربعة الذين يتولون الدواوين ؛ فشاوره فيمن يرشّح للخلافه بعد المكتفى ، وكان الوزير يميل إلى ابن المعتزّ، فأجابه الكاتب ، وهو أبو الحسن على بن محمد بن الفرات الذى صار وزيراً فيما بعد ، أنه يجب ألاّ يولّى فى هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمه هذا وبستانَ هذا ، ومن لقي الناس ولقوه وعرف الأمور وحنّكته التجارب ؛ فقال الوزير : صدقت والله يا أبا الحسن ، فمن نقلد؟ فأشار ابن الفرات بتقليد جعفر بن المعتضد (الخليفه المقتدر) ، «فإنه صبى لا يدري أين هو ، وعامه سروره أن يُصرّف من المكتب » ، فمالت نفس الوزير[*] إلى ذلك وعمل على تقليد المقتدر ، وكان صبيا فى الثالثه عشره (١) .

ونظراً لأن المقتدر كان صغيراً ، فقد كان انتخابه للخلافه انتخاباً غير شرعى ، ولقد ذُبح أحد القضاة ، لأنه أطاع ضميره حين قالوا له : تباع للمقتدر ، فقال : هو

١- كتاب العيون ص ٥٩ ، وكتاب الوزراء ص ١١٤ ١١٤ .

صبي ، ولا تجوز المبايعه له (١) .

ولكن الجماعه المنامرين أخطأوا التقدير ، فإن أمّ المقتدر ، وهى أمّ ولد روميه ، قبضت على زمام الأمر هى وأولياؤها بيد القوه والحزم ؛ فكانت تُولى وتعزل ، وحالت بين القوم وبين انتهاب ما فى بيت المال . ومما يدل على قوه عزيمتها وبعد نظرها طريقتهما فى العنايه بمراقبه ما كان يقروءه أبناؤها : يحدثنا الصولى أنه كان يوماً عند الراضى ، يقرأ عليه شيئاً من شعر بشار ، وبين يدى الراضى كتب لغه وكتب أخبار ، أذ جاء خدّم من خدم السيده جدته ، وهى شغب أم المقتدر ، فأخذوا جميع ما بين أيديهما من الكتب ، فجعلوه فى منديل أبيض كان معهم ومضوا ؛ فوجم الراضى واغتاظ ، فسكن منه أستاذة ، وأفهمه أنهم أرادوا أن يمتحنوا الكتب ، ولما مضت ساعتان أو نحو ذلك ردّوا الكتب بحالها ، فقال لهم الراضى : قولوا لمن أمركم بهذا : قد رأيت هذه الكتب ، وإنما هى حديث وفقه وشعر ولغه وأخبار وكتب العلماء ، ومن كمله الله بالنظر فى مثلها ، وينفعه بها ، وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسّنور والفأر ؛ فخاف الصولى أن يوءدى الخدم قوله ، فيقال : من كان عنده ؟ فيذكرونه ، ويلحقه من ذلك مكروه ، فقام إلى الخدم ، فسألهم ألا يعيدوا قوله ، فقالوا : والله مانحفظه ، فكيف نعيده (٢) ؟ وقد لبث المقتدر على عرش الخلافه زهاء خمسه وعشرين عاماً ، تحت جناحى أمّه ، وقد خلع فى أثناء هذه المده مرتين ، فكان يثور عليه بعض قواده ويزيلونه عن سرير ملكه يوماً أو يومين ، ثم يعود إليه ؛ ولم يخرج فى

١- صله تاريخ الطبرى لعريب بن سعيد القرطبى ، طبعه دى غوى ، ليدن ١٨٩٧ ص ٢٨ .

٢- كتاب الأوراق للصولى ، مخطوط بالمكتبه الأهليه بباريس رقم ٤٨٣٦ ص ٩٨ .

جيش ليقاتل إلامره واحده ، وقد قُتل فيها ؛ وذلك أن قوَّاده طلبوا منه أن يخرج معهم لمحاربه موعنس ، فأبى ؛ وما زالوا به حتى خرج كارهاً ؛ وقد جَهدتْ به أمُّه ألا يخرج ، وكشفت عن ثدييها ، وبكت ، ولكن غلب الفضاء ، فخرج وعليه البرده[*] النبويه التي يتوارثها الخلفاء؛ ووافى أصحابُ موعنس فضربه رجلٌ منهم من خلفه ضربه سقط منها إلى الأرض ، فأضجعه ، وذبحه بالسيف ، وسُلبت ثيابه والبرده فيها حتى سراويله ؛ وتُرك مكشوف العوره إلى أن مرَّ به رجلٌ من الأكره ، فستر عورته بحشيش ، وكان المقتدر ربيع القامه ، إلى القصر أقرب ، دُرَى اللون ، صغير العينين ، أحور ، حسن الوجه واللحيه أصهبهما(١) ؛ وكل ما يحكى عنه يدل على الهدوء وحب الخير وسلامه الصدر : كان الوزير أبو الحسن على بن عيسى يُطلق في كل شهر في جملة نفقات المطبخ لثمن المسك نحو ثلاثمائة دينار ؛ وكان يوماً عند الخليفه فدار بينهما الحديث ؛ وعلم الوزير من سياق الكلام أن الخليفه لا يأكل طعاماً فيه مسك ، ولا يُطرح له من المسك إلا اليسير في الخشكنانج ؛ ثم نهض الوزير ومشى للخروج ، فأمر المقتدر بالله برده ، وقال له : أظنك تنصرف الساعه ، وتفتتح نظرك باحتضار المتولّى للمطبخ وموافقته على ما جرى بيننا في أمر المسك ، وتُسقطه ، فقال : كذلك هو يا أمير الموءمين ! فضحك الخليفه وقال : أحب ألا تفعل ذلك ، فلعل هذه الدنانير تنصرف في أقوات ونفقات قوم ، ولا أريد قطعها عنهم(٢) ؛ وكان المقتدر كثير الشراب(٣) .

-
- ١- التنبيه والإشراف للمسعودى طبعه دى غوى سنه ١٨٩٤ ، ص ٣٧٦ ٣٧٧ ؛ ومكسويه ج ٥ ص ٣٧٩ ؛ وعريب ص ١٧٦ والصفحات التاليه ؛ وكتاب العيون ص ١٣٠ .
 - ٢- كتاب الوزراء ص ٣٥٢ ٣٥٣ .
 - ٣- تاريخ الإسلام للذهبي ؛ انظر مقدمه الإنجليزيه التي كتبها أمد روز لكتاب الوزراء المتقدم ، ص ١١ .

ثم انْتخِب أخوه القاهرُ خليفَهُ بعده ؛ وكان القوم قد اتَّعَظُوا بحكم المقتدر ، فعينوا القاهر ، وقالوا : هو كهل ، ولا أمُّ له ، فخرجوا أن تستقيم أمورنا معه (١). وكان القاهر أيضاً مربوعاً ، حسن الجسم ، أبيض ، تعلوه حمرة ، أعين ، وافر اللحية ، أثلغ (٢) .

وفي سنة ٣١٧هـ ٩٢٩ قامت ثورهُ قُصِدَ منها خلْعُ المقتدر وتنصيب أخيه القاهر مكانه فأخمدت ، وحُمِلَ القاهر إلى أخيه فاستدناه ، وجعل يُهدى من روعه ، ويلتمس له العذر ، ويُبيِّرُهُ من إثم الموءامرهِ ، وهو يقول : نفسى نفسى ، الله الله يا أميرالموءمنين ! يرجو أخاه أن يُبقى على حياته (٣) .

وكان القاهر أهوج ، شديد الإقدام على سفك الدماء ، محبا للمال ، قبيح السياسة ، قليل الرغبة فى اصطناع الرجال ، غير مفكر فى عواقب الأمور ؛ وكان مولعاً بالشراب ، لا يكاد يصحو من السكر ، وكان يسمع الغناء ، ومع ذلك حرّم على الناس الخمر والقيان (٤) .

ولكنه وُفِّقَ إلى القضاء على موءنس القائد رغم ما كان لموءنس هذا من سلطان عظيم (٥) .

كما أنه وُفِّرَ كثيراً من المال ؛ ولما طُلب منه أن يشهد على نفسه بالخلع أبى أن

١- عريب ص ١٨١ .

٢- التنبية للمسعودى ص ٣٨٨ ؛ وكتاب العيون ص ١٤٢ .

٣- كتاب العيون ص ١٢٤ .

٤- مكسوبه ، ج ٥ ص ٢٤ ؛ التنبية ص ٣٨٨ ؛ عريب ١٨٥ .

٥- مكسويه ج ٤ ص ٤١٩ (٤) .

يَحِلُّ الطالبين من بيعته ، فخلع وشملت عيناه ، ولم يسمَل قبله أحد من الخلفاء وملوك الإسلام (١) .

وسيمَل الأعين هذا عاده أخذها المسلمون عن البوزنطيين ، ثم عاش القاهر بعد خلعه سبعة عشر عاماً في دار الخلافة ؛ حتى نقله المستكفي منها ، وكان قد بلغ به الضرّ والفقر إلى أن كان مُلتَقاً بقطن جُبّه ، وفي رجله قبقاب خشب (٢) .

وقد خرج في يوم جمعه إلى جامع المنصور وغطى وجهه ، ووقف فعزّف الناس نفسه وسألهم أن يتصدّقوا عليه ، فقام إليه أحد الهاشميين فأعطاه ألف درهم وردّه إلى داره .

ولما عُيّن الراضي (٣٢٢ ٣٢٩ هـ = ٩٣٣ ٩٤٠ م) ابن أخى القاهر خليفة كان له من العمر خمسة وعشرون سنة .

وكان أسمر ، أعين ، دون الأقبى ، مسنون الوجه ، خفيف العارضين واللحية ، دحداحاً نحيفاً (٣) .

وكان محبا للشعر والإنشاد ، ومن أحسن الناس علماً بالشعر ونقداً له ، كما ينقده العلماء ؛ وكان من أطبع ملوك بنى العباس في الشعر ومن أكثرهم قولاً له ؛ وقد ترك لنا من ذلك ديواناً مكتوباً .

وكان مولعاً بجمع البلّور حتى يقول الصولى : وما رأيت البلّور عند ملك أكثر منه عند الراضى ، ولا عمل ملك منه ما عمل ، ولا بذل في أنمانه ما بذل ، حتى

١- التنبيه ص ٣٨٨ .

٢- ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٢ ٣٣٣ .

٣- كتاب العيون ص ١٨٤ ب ، والتنبيه للمسعودى ص ٣٨٨ .

اجتمع له من آله ما لم يجتمع لملك قط(١).

وقد أولع بهدم القصور فى دار الخلافه وبناء غيرها أو تصييرها بساتين(٢).

وكان الراضى سمحاً ، عظيم العطاء ، واسع النفس ، ينفق ما وجد ؛ ويحكى أنه دخل عليه جماعة من الجلساء ، وهو يهدم شيئاً وبينى شيئاً ، وكان جالساً على آجره حيال الصناع ، فأمرهم بالجلوس فى حضرته ، فأخذ كل واحد منهم آجره فجلس عليها ؛ فلما قاموا أمر أن توزن آجره كل واحد منهم ويدفع إليه وزنها دراهم أو دنانير(٣).

وكان ابن الأنبارى يتردد إلى أولاد الراضى ؛ ويحكى عنه أنه مضى يوماً إلى سوق النخاسين ، وجاريه تُعرض حسنه كامله الوصف ، ف وقعت فى قلبه ؛ ثم مضى إلى دار أميرالمؤمنين الراضى ، فقال له : أين كنت فعرفه ، فأمر بشراء الجاربه له ، وحملها إلى منزله ؛ فلما جاء إليه وجدها هناك(٤).

ولم يجد أصحاب الراضى فيه من العيب إلا أنه كان يوءثر لذته وشهوته على رأيه ، وأنه كان ، رغم مرضه ، لا يحتمى ، وكان إذا وصف له أطباؤه شيئاً لا يستعمله ، وإذا أكل الشىء الضار لم يُعلمهم(٥).

ومات وهو فى الثانيه والثلاثين من العمر(٦).

١- الأوراق للصولى ص ٢٧ .

٢- المنتظم ص ٥١ .

٣- نفس المصدر ص ٥١ ب نقلا عن الصولى .

٤- المنتظم ص ٦٥ .

٥- الأوراق للصولى ص ٥٥ ، وكتاب العيون ص ١٨٢ ، ب ، نقلا- عن ذكاء ، مولى الراضى ، وذلك من طريق الفرغانى الذى كان ذكاء يحكى له بعض الحكايات . انظر مثلاً ص ٢١٥ ٢١٥ ب .

٦- كتاب العيون ص ١٨٤ .

وفى آخر عُلته أخذ فى قضاء ديونه ، وتقدّم بعمل المُعْتَسَل والتابوت ، واختار لنفسه ثياباً لكفنه ، وعزلها فى سفظ ، وكتب رقعته فيها : هذه جهاز الآخره(١) .

ولكن عهده لم يسلم من سفك الدماء ؛ فقد احتال على الوزير ابن مقله بعد تركه الوزاره ، حتى قبض عليه وسجنه . وقبض على جماعه من أهله وأقاربه ممن سعى فى تقليد الأمر لنفسه وبايعه الناس عليه ، فمنهم من قتله ، ومنهم من ضربه وسجنه ، فمات فى سجنه ، ومنهم من استتر طول مدته(٢) .

ثم ارتقى عرش الخلافة بعده أخوه المتقى ، وهو فى السادسة والعشرين من العمر ؛ وكان ربعه دُرّى اللون ، حسن الوجه ، أبيض ، أشهل ، مستدير العينين ، مقرون الحاجبين ، قصير الأنف ، فى شعره شقره وجعوده(٣) .

ولم يشرب النبيذ قط ، وكان يتعبّد ويصوم ، ولم يتخذ جلساء له ، وكان يقول : المصحف نديمى ولا أريد جليساً غيره(٤) ؛ ولكنه كان رجلاً لم يفارقه البوءس ، فلم يزل فيه إلى أن مات ؛ فمن ذلك أنه لما أريد أن يعذر له ، وهو صغير ، عمل له كلُّ شىء حسن ؛ فكان فيما أعده له عشرٌ وصائف للمدبّات وكيزان الماء ، وأمر بأن ينظّفوهن ويزيّنوهن ، فأدخلوا قبل أن يعذر له بلبه . الحمّام ، فسقط عليهن ، فما أفلتت منهن واحده ، فكان هو يخنّ وأولئك يدفنّ ؛ ويقال إنه منذ نشأ ما جعل برسمة خادم لحضانتة إلامات ، فكان الخدم إذا عرضت خدمته عليهم استعفوا ؛ وقد ركب مع ابن رائق يوماً فى رحبه الجسر ، فاجتمع الناس يدعون له

١- نفس المصدر ص ١٨٣ .

٢- نفس المصدر ١٦١ب ، ١٨٤ب ١٨٥ ، وكتاب الأوراق ص ١٤٩ ١٤٨ .

٣- كتاب العيون ص ٢٢١ ، وكتاب التنبيه ص ٣٩٧ ، والمنتظم ص ٦٦ب .

٤- المنتظم ص ٦٦ب .

وازدحموا للنظر إليه ، فانقطع الكرسي وسقطوا إلى دجله ، وهي زائده ، فهلك في ذلك اليوم عالمٌ عظيم من الأولياء والنساء والصبيان(١) .

وظل البوءس حليفاً بعد ارتقائه العرش ، فهو أول خليفه ترك «مدينة السلام» خوفاً وطلباً للنجاه ، ولحق بالحمدانيين ، وظل ينتقل معهم في الجزيرة ، وهم يهزمون مره بعد أخرى ؛ وقد أشار عليه الإخشيد محمد بن طُغج ، بعد أن كتب إليه يستقدمه ، بأن يسير معه إلى مصر والشام ، ويكون بين يديه ، فلم يفعل(٢) .

وقد اطمأن إلى موثيق القائد التركي توزون ، وأمن جانبه بعد أن استوثق منه مره بعد أخرى ؛ ولكن توزون غدر به لأجل ستمائه ألف دينار أخذها من أحد طالبي عرش الخلافة ، فقبض عليه وخلعه ، وأمر بإحضار الجارية الشيرازيه حُسن ، فتولت سِملَه بيد غلامها السندی وعاش المتقى بعد خلعه أربعاً وعشرين سنه ، ومات بداره(٣) .

ثم خلفه المستكفي بعد أن تأمر عليه مع توزون ، وسفرت بينهما حُسن الجارية الشيرازيه ، فارتقى المستكفي عرشَ الخلافة بعار هذه الموءامره ، وكانت أمُّه أُمٌ ولدَ روميه تسمى غُصن(٤) .

وكان أبيض اللون ، صغير الفم ، حسن الوجه والجسم ، بديناً ، أعين ، طويل الأنف ، وافر اللحيه ، رَبَعَه ، إلى الطول أقرب ، وقد وخطه الشيب(٥) ؛ ونادراً ما

١- كتاب العيون ص ٢٢٢ ب .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

٣- كتاب العيون ص ٢٢٠ ، ويحيى بن سعيد ص ٨٥ ب ٨٦ .

٤- كتاب العيون ص ٢٢٣ ب ، وكتاب التنبيه ص ٣٩٨ .

٥- كتاب العيون ص ٢٣٩ ب ، والتنبيه للمسعودي ص ٣٩٩ .

كانت تقر عينه بمنصبه ، وهو بين امرأه جشعه رفعته بدسائسها إلى منصب الخلافة ، وبين الترك الذين أصبحوا سادة بغداد.

وأخيراً جاء بنو بويه ، فكان أول ما طلبه أحمد بن بويه من المستكفي أن يستكتب ابن شيرزاد ؛ وكان المستكفي قد حلف ألا يتصرف ابن شيرزاد في أيامه ودولته ؛ ولما ألح عليه ابن بويه أجابه إلى ما طلب على كره منه ؛ قال ذكاء مولى الراضى : وكنت حاضراً ، فأجابه المستكفي على كره منه ، ورأيت عينيه وقد تغرغرتا بالدموع ، لعظم ما ورد عليه من سوءال ابن بويه(١).

ولما جاءوا إليه ليخلعوه رضى أن يخلع نفسه ؛ ولكنه شرط عليهم أن يقطعوا شيئاً من أعضائه(٢).

غير أن المطيع أخوا المتقى هو الذى خلف المستكفي ، فأمر أن يسمل انتقاماً لأخيه ؛ وطلب من يسمله ، فلم يقدم على ذلك أحد إلا خادمٌ صقلبي كان المستكفي قد استخدمه ، ثم وجد عليه فى بعض أوقاته فضربه مائتى سوط وحبسه ؛ فكان هذا الخادم حنقاً عليه ، فقال للمطيع : أنا أكحله ، وقام بهذه المهمة(٣).

أما الخلفاء المتأخرون فلم يكن لهم عمل بالفعل فى إداره الدوله ، فطال لذلك حكمهم ؛ فأما المطيع فإنه خلع نفسه غير مُستكره ، وترك ولايه الخلافه لابنه الطائع ؛ وذلك أن المطيع كان قد ناله فالج قديماً ، وكان يستره ؛ فظهر وتعددت عليه الحركه .

١- كتاب العيون ص ٢٣٢ ب .

٢- نفس المصدر ص ٢٣٨ ب .

٣- نفس المصدر ص ٢٣٩ ب .

وَتَقُلُّ لِسَانَهُ ، فَتَرَكَّ وَلا يَهُ الْخَلِيفَهُ لِابْنِهِ (١) .

ثم خُلِعَ الطَّائِعَ بَعْدَ ثَمَانِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ حَكْمِهِ ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ . وَاعْتُقِلَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ مُكْرَمًا ، حَتَّى مَاتَ بَعْدَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً (٢) ؛ وَلاَ نَعْرِفُ كَثِيرًا عَنْ هَوَاءِ الْخَلَفَاءِ ؛ فَأَمَّا الْمَطِيعُ فَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَّمٌ وَلَدَ صَقْلِيَّيَهُ ، وَكَانَتْ أَشْهَرَ مِنْهُ ؛ وَتَعْرِفُ بِالصَّفَّارِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَأْخُذُ مِنْ وَرَقِ السُّوسَنِ وَغَيْرِهِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ ، وَتَجْعَلُهُ فِي فَمِهَا ، وَتَصْفِرُ بِهِ صَفِيرًا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، تَحْكِي بِهِ كُلَّ طَائِرٍ أَوْ غَيْرِهِ (٣) .

وَأَمَّا الطَّائِعُ فَكَانَتْ عَلَيْهِ مَلَامِحُ الْجِنْسِ الشَّمَالِيِّ ؛ فَقَدْ كَانَ أَبْيَضَ أَشْقَرَ ، حَسَنَ الْجِسْمِ شَدِيدَ الْقُوَّةِ ؛ وَيَحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ أَيْلٌ عَظِيمٌ يَقْتُلُ بَقْرَنَهُ الدَّوَابَّ ، وَلاَ يَتِمَكَّنُ أَحَدٌ مِنْ مَقَاوِمَتِهِ ؛ فَاحْتِمَالُ الطَّائِعِ حَتَّى أَمْسَكَ قَرْنِيَهُ بِيَدَيْهِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْلَصَهُمَا مِنْهُ ؛ وَاسْتَدْعَى النِّجَارَ ، فَرَكَّبَ الْمُنْشَارَ عَلَيْهِمَا ، وَلَمَّا بَقِيََا عَلَى يَسِيرٍ قَطَعَهُمَا بِيَدَيْهِ (٤) .

وَكَانَ الْقَادِرُ مِنْ أَهْلِ السُّتْرِ وَالِدِيَانَةِ وَإِدَامَةِ التَّهْجِيدِ بِاللَّيْلِ وَكَثْرَةِ الْبَرِّ وَالصَّدَقَاتِ ؛ وَكَانَ يَأْخُذُ ثَلَاثِي الطَّعَامِ الَّذِي يُهَيِّئُ لِإِفْطَارِهِ وَيَقْسِمُهُ بَيْنَ جَامِعَيْنِ كَبِيرَيْنِ (٥) .

وَكَانَ يَخْضِبُ لِحْيَتَهُ الطَّوِيلَةَ الْكَثَّةَ ، وَيَلْبَسُ زِيَّ الْعَوَامِ ، وَيَقْصِدُ الْأَمَاكِنَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْبُرْكَهَةِ مِثْلَ قَبْرِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ ، وَتَرَبَّهُ ابْنُ بَشَّارٍ ؛ وَكَانَ يَتَخَفَّى وَيَغَيَّرُ

١- المنتظم ص ١٠٦ .

٢- نفس المصدر ص ١٣٠ ب، ١٤٩ .

٣- كتاب العيون ص ٢٤١ .

٤- كتاب المنتظم ص ١٠٦ .

٥- نفس المصدر ص ١٣٢ ب .

زيّه ، ويخرج ليتعرف أحوال رعيته ؛ وكان صحيح الاعتقاد ، ويحكى أنه صنّف كتاباً فى الأصول على مذهب أصحاب الحديث ؛ وكان هذا الكتاب يقرأ كلّ جمعه فى حلقه أصحاب الحديث بجامع المهدي ، ويحضر الناس سماعه (١) .

هذه صورته لبعض خلفاء بنى العباس أيام إدار دولتهم ؛ وهى تخالف صورته خلفاء الفاطميين الذين أخذ نجمهم إذ ذاك فى الارتفاع . يدعى الفاطميون أن الإمامه أو الأفضليه صفه خاصه تنتقل من الوالد إلى الولد ، فكفاهم ذلك من أول الأمر موءونه التنازع على عرش الخلافة ؛ ويضاف إلى هذا هدوء السياسه الحازمه وطمأنينتها فى عهدهم ؛ فمن أمثله ذلك أن والى الشام كتب مره إلى المعزّ لدين الله (٣٤١ ٣٦٥ هـ = ٩٥٢ ٩٧٥ م) مباشره وتخطى من دونه ، فممنع الخليفه من ذلك ، وأعاد الكتاب إلى والى من غير أن تُفصّ أختامه . وكان العزيز (٣٦٥ ٣٨٦ هـ = ٩٧٥ ٩٧٦ م) أعظم هوءاء الخلفاء ؛ وكان أسمر ، طويل ، أصهب الشعر أزرق العينين كبيرهما ، عريض المنكبين ، عارفاً بالخيل والجوهر (٢) ، وكان صياداً جريئاً ماهراً ؛ وقد ضرب أول مثل للفروسية العربيه بما تنطوى عليه من العفو وكبر القلب ، وهى التى أثرت فيما بعد تأثيراً كبيراً فى الغرب ؛ فقد حدث أن أحد القواد الأتراك خرج على طاعه جوهر عام ٣٦٥ هـ ٩٧٥ م وهزم جوهرأ ؛ فالتجأ هذا إلى عسقلان ، فأدركه التركى وحاصره مده طويله حتى طلب الصلح ؛ فأجابه وعلّق التركى سيفاً مجزّداً على باب حصن عسقلان ، وخرج جوهر وأصحابه من تحت السيف ، ثم دخلوا إلى مصر ، فلم

١- نفس المصدر ص ١٣٢ ، وطبقات السبكي ، طبعه القايره ، ج ٣ ص ٢ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ٨١ .

يرضُ العزيزُ بالصلح ، وسار بنفسه لمحاربه التركي ؛ فهزمه وأسره ، واستنقذه من بين يدي أسريه ، بعد أن كاد يموت ضرباً ولكماً ؛ وأمنه على نفسه ، ودفع إليه خاتمه ؛ واستسقى التركي ماء ، فأمر العزيز بإحضار قدح شراب جلاب ، فلما أتى بالقدح توقّف التركي على الشرب خوفاً من أن يكون في القدح سمٌّ قاتل ؛ وتبيّن العزيز ذلك ، فأخذ القدح وشرب منه ، ثم أعطاه ليشرب ؛ وأفرد له خيمه ، وتقدّم بأن يُحمل إليه جميع ما يحتاج إليه ، وحمله على دوابّه ، وأمره بالركوب على مركبه ؛ وسأله عن أناس ممن يأنس بهم ، فالتمس إحضار قوم من أصحابه ؛ فأنى إليه بهم من بين الأسارى ، ولما رجع العزيز إلى مصر تقدم إلى وجوه دولته وقواده وأمرائه بإكرام التركي وإجلاله(١) .

وأخيراً جاء الحاكم بأمرالله ، وهو الشخصيه النادره المتناقضه ؛ كان الحاكم رجلاً غريباً في أطواره ؛ فمن ذلك أنه أقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً ، ثم عنّ له أن يجلس في الظلمه ، فجلس فيها مده(٢) .

وكان أحياناً يواصل الركوب ليلاً ونهاراً من غير فتور ولا سكون ؛ وكان يركب في نفر من خاصته ليلاً ؛ فتقدّم أصحاب الأعمال بمصر إلى التجار أن يوقدوا القناديل على حوانيتهم ودورهم ، وأن يتتاعوا بالليل ، فصارت الشوارع والأسواق في الليل بمنزله النهار في العماره(٣) .

وتقدّم بقتل سائر ما في مصر من الكلاب إلا كلاب الصيد ، لأنها كانت تنبح

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٤ ب .

٢- ابن تغرى بردى ، طبعه كلفورنيا ص ٦٢ ٦٣ .

٣- يحيى بن سعيد ص ١١٥ .

بالليل إذا عبر الشوارع(١)، ولما اعتلّ وضعف عن الركوب اتخذت له مَحَفَّةً يجلس فيها ويستلقى عليها ، ويحملها أربعة من رجاله ، ثم يدور الليل والنهار(٢)؛ وفي مثل هذه الأحوال كان يأخذ الرقاع والمظالم بشرط ألا يكتب فيها إلا سطرًا واحد على وجه واحد ، ويأمر صاحب الرقعه أن يأتي له من على يمينه ، وكان يأمرهم بالمصير إلى مكان يعينه لهم في اليوم التالي ، وكان يضع توقعاته وعطاياه في كَمِّه ، ويعطيها لهم يداً بيد . وكان الحاكم ينفق ما استطاع ، ويجزل العطاء لرعيته ، «وأظهر من العدل ما لم يُسمع بمثله ، ولعمري إن أهل مملكته لا يزالون في أيامه آمنين على أموالهم غير مطمئنين على نقوسهم ، ولم تمتد يده قط إلى أخذ مال أحد ، بل كان له جود عظيم وعطايا جزيه»(٣) .

أما روءساء دولته فلم يكن أحد منهم آمنًا على نفسه ؛ فكان يفاجئ أعز أصحابه ، ويشب عليه وثوب المجنون ؛ فمن أمثله ذلك أنه قَرَّبَ عَيْنًا الخادمَ الأسودَ ، ثم نَقَمَ عليه ، فقطع يده اليمنى ؛ ثم اختصَّ به بعد ذلك أعظم اختصاص ، ولقَّبه «قائد القواد ، وأستاذ الأستاذين» ، وكناه وقدمه على سائر أهل دولته ، وكثر ميله إليه وشغفه به ، وبعد مده تنكَّر له ، وقطع لسانه ؛ ثم أعقب ذلك بالزيادة في عطاياه بالإنعام عليه(٤) .

وستنكلم في غير هذا المقام عن مثل هذا التصرف الذي لا ضابط له فيما يتعلق بمعاملته لليهود والنصارى ، وعن زهده ورغبته في الورع ؛ ذلك أنه في

١- نفس المصدر ص ١١٦ .

٢- نفس المصدر ص ١٢٧ ب .

٣- نفس المصدر ص ١٢٣ .

٤- نفس المصدر ص ١٢٤ .

آخر الأمر ربّي شعره حتى طال على أكتافه ، وامتنع من تقصيصه ، ومن تقليم أظافره ، وغير الثياب الصوف البيضاء بملابس سوداء واستبدل بالعمامة الزرقاء عمامة سوداء ، وصار يلبس الكسوة الواحدة المده الطويلة إلى أن تتلبّد بما ينالها ويتداولها من العرق الدائم ، ويعلوها من الغبار المتّصل ؛ وواصل تدوير الصحارى والفيافي ؛ وقصد جبل المقطم حيث كان ينفرد بنفسه ؛ لذلك نجد العالم المسيحي يحيى بن سعيد ، يقول إن حاله صارت غير بعيدة من حال بختنصر ملك بابل الذي صارت البرارى مأوى له كالوحوش ؛ وزادت أظافيره ، فأشبهت مخالب العقاب ، وطال شعره كالأسد جزعاً على إبادته هيكل الرب الأورشليمي ، ولذلك أصاب يحيى حين شخّص مرض الحاكم بأنه صنف من سوء المزاج اليايس المُمرض في دماغه أحدث له ضرباً من ضروب المايخوليا وفساد الفكر ، فاحتاج في مداواته منه إلى جلوسه في دهن البنفسج وترطيبه به (١) .

١- يحيى بن سعيد ص ١٢٧ ب ١٢٨ .

تعليقات الفصل الثاني

[*] هذا من الشواهد على عمل الوزير وأمثاله حسب رأيهم ومصالحه أنفسهم ولا اعتناء لهم بالخليفة وليس لمسحاته طين عندهم

فقد ذكر المسعودي وصيه المكتفي بالعهد إلى أخيه جعفر واشهاد القاضي محمد بن يوسف وعبدالله بن علي بن أبي الشوراب على ذلك (١).

[*] البرده (٢) هي التي خلعتها النبي صلى الله عليه وآله على كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر

المشهور حين تاب وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة وسلم نفسه إليه ومدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول . واشتراها من أهل كعب معاوية بن أبي سفيان بأربعين ألف درهم . (في المجالس ٤٠٠٠) وتوارثها الخلفاء الامويون والعباسيون .

وعن أبي الفداء أنها انتقلت من العباسيين إلى التتر لكنها اليوم في جملة المخلفات النبوية في السراي القديمة في الآستانه واستنظر جرجي زيدان أن العباسيين حملوا البرده معهم إلى مصر فأخذها السلطان سليم مع الخلافة .

ويشك المحشي في كون البرده التي كان سلاطين آل عثمان يحتفظون بها هي برده

١- مروج الذهب: ج ٤، ص ٢٩١.

٢- تاريخ التمدن الاسلامي: ج ١، ص ١٣٧.

الرسول صلى الله عليه و آله (١) وقال المسعودى ولما قتل عامر بن اسماعيل خادم مروان وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونسائه إذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن فأخذوه فسئل عن أمره فقال : أمرني مروان إذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني ، فانكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه و آله الى فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل ، فقال اكشفوا هنا ، فكشفوا . فاذا البرد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير إلى بنى هاشم فوجه بها عامر بن اسماعيل إلى عبدالله بن علي . فوجه بها عبدالله إلى أبي العباس السِّفاح فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس إلى أيام المقتدر .

فيقال : إن البرد كان عليه يوم مقتله ، ولست أدري اكل ذلك باقٍ مع المتقى لله إلى هذا الوقت (وهو سنة ٣٣٢) في نزوله الرقّة أم قد ضيع ذلك . وكعب (٢) هذا عدّه القاضى نور الله نور الله مرقدته من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام وذكر عن السيد المرتضى له في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام هذين البيتين أوردهما في الذريعة :

صهر التّبي وخيرالنّاس كلّهم فكّل من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصلاه مع الامّى أولّهم قبل العباد وربّ النّاس مكفور (٣)

وللنبي صلى الله عليه و آله برد آخر نازع فيه وفي سيفه وترسه العباس علياً عليه السلام إلى أبي بكر وروى ابوبكر للعباس قول النبي صلى الله عليه و آله : أيكم يوازرني فيكون وصيي وخليفتي في أهلي وينجز موعدى ويقضى ديني .

فقال له العباس : فما أعددك مجلسك هذا تقدّمت عليه وتأمّرت عليه .

فقال ابوبكر اغدراً يا بنى عبدالمطلب .

١- مروج الذهب : ج ٣ ، ص ١٦١ ٢٦٢ .

٢- مجالس المؤمنين : ج ٢ ، ص ٤٩١ ٤٩٢ .

٣- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٤٠٣ عن مناقب عن ابن عبد ربّه في العقد .

الفصل الثالث: الأمراء

إشاره

بهذا الاسم كان يسمّى وُلاه البلاد وكذلك أبناء بيت الخلافة إلا كافوراً بمصر ، فإنه امتنع من التسمّى بالإماره ، ورأى تواضعاً أن يجرى على رسمه فى المخاطبه بالأستاذيه(١).

أما لقب «أمير الأمراء» فى بلاط الخلافة فلا شأن له فى الأصل بولاية الحكم ؛ فهو لا يعدو أن يكون لقباً لأكبر رجل بيده الأمر ، كما أن «وزير الوزراء» لقبٌ لأكبر الوزراء ؛ وقد كان موءنس القائد صاحب الجيش يحمل لقب أمير الأمراء ، وإن لم يكن يشعر فى نفسه بأنه يلى حكم ولاية ما .

ولم يكن لأمراء المملكه الإسلاميه علامهٌ تميّزهم من الجهه الرسميه ؛ فكان يدعى لهم فى كل جهه مع الدعاء لحاكمها ، وذلك بعد الدعاء للخليفه .

أما فى العراق فقط حيث كان أميرالموءمنين هو الذى يدبر أمورها بنفسه من

١- يحيى بن سعيد ص ٩٥ . كان لقب الأستاذ فى المشرق لقباً للوزراء ؛ فكان ابن العميد يلقب بذلك (مكسويه ج ٦ ص ٢١٩ ، ٢٢٠) ، وكان يلقب به غير ابن العميد (ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ٣٤) ، واليوم يطلق هذا الاسم فى القاهره على الحوذى . (ولكن الواقع أن لفظ الأستاذ اليوم يطلق على المدرس بوجه عام وعلى المثقف أيضاً ، وإن كان العامه لا يزالون يستعملونه فيما يتعلق بالشيخ المتريى بزى المشايخ) . (المرجم) .

غير والٍ فكان لا يذكر أحدٌ مع الخليفة في الخطبه ، لأن ذلك كان يشعر بشيء من الانتقاص لمنصب الخليفة ، وقد حدث أن اسندت الحجة وراثسه الجيش لمحمد بن ياقوت في عام ٣٢٣هـ ٩٣٤م فأدخل يده في تدبير كل شيء ، ونظر فيما ينظر فيه الوزير ، وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه ، وألا يقبلوا توقيعاً في سائر الأحوال إلا بعد أن يوقع فيه بخطه ، واضطر الوزير إلى أن يحضر مجلسه ، وصار كالمتعطل ملازماً لمنزله لا يعمل شيئاً (١) ؛ ولكن لما دعا الأئمة له في الجانب الشرقي والغربي ببغداد ، بعد دعائهم للخليفة الراضى ، وقزظوه أنكر الراضى ذلك ، وأمر أن يقلد مكان الأئمة جميعاً أئمة من بنى العباس (٢) .

غير أن الراضى اضطر في العام التالي أن يرضى بذكر ابن رائق بعده في الخطبه ، ومعنى هذا أنه اعترف بأمر دونه في العراق (٣)

وكان بنو حمدان ، من بين سائر أمراء البلاد أسوأ من يمثل خصال البدو ومن

١- مكسويه ج ٥ ص ٤٧٣ ٤٧٤ .

٢- الأوراق للصولى ص ٨٣ .

٣- كان لقب السلطان لا يطلق في ذلك الوقت إلا على الخليفة ، وكان يقال دار السلطان ببغداد أى دار الخليفة ؛ أما ما يقوله ابن خلدون (كتاب العبر طبعه بولاق ج ٣ ص ٤٢٠) من أن معز الدوله ملك بغداد واختص باسم السلطان فهو غير صحيح . ويقول أبوالمحسن الموءلف المصرى المتأخر (النجوم الزاهره ، ليدن ج ٢ ص ٢٥٢) إن فرعون لقب ملك مصر قديماً والسلطان لقبهم حديثاً ، وكذلك يرى الظاهرى (من علماء القرن التاسع الهجرى) أن الحاكم الوحيد الذى يسمى السلطان بحق هو حاكم مصر . وهذا يتفق مع ما جرى عليه الأوروبيون فى العصور الوسطى من استعمال كلمه سلطان دائماً فيما يتعلق بمصر . ويظهر أن الحكام المتأخرين ببغداد لم تكن تقام لهم الدعوه بعد الخليفه فى الصلاه ، حتى أكرم عضد الدوله بهذا الشرف عام ٣٦٨هـ ٩٧٩م ، وهو ما اختص به «دون من مضى من الملوك على قديم الأيام وحديثها» (مسكويه ج ٦ ص ٤٩٩ ٥٠٠) .

أمثله طباعهم البدويه أنه لما التقى عليّ بن عبد الله بن حمدان مع المتقى وابن رائق في الموصل نزل المتقى دارَ ابن فهد الموصلى ، ونزل ابن رائق في دار بالقرب منه ؛ أما علي بن حمدان ، فإنه نزل بدير الأعلى في خيمه أقامها .

وكان عليّ هذا قد أنس بابن رائق ، وكان يدعو للشراب ، فكان إذا عمل الشراب فيه وصف نفسه بالشهامه والرجوله وازدرى بنى حمدان وقال لعلى : وأى شىء تشوون أنتم ، وأى يوم كان لكم ، وهل أنتم إلا أعراب !؟ (١) .

وستتكلّم فى غير هذا المقام عن سوء سيره الحمدانيين فى الحكم ونهبهم أموال الرعيه وأملا-كهم ، وجورهم على الزراع وعداوتهم للعماره وللأشجار ، وتخريبهم ، ونقضهم الدائم للعهود التى يقطعونها ؛ ومن أمثله غدرهم أن الحسين بن حمدان ، وهو رأس أسرتهم ، قتل العباس بن الحسن الوزير فى عام ٢٩٦هـ ٩٠٨ م ، وهو راكب يوما إلى بستانه ؛ وذلك أنه أعرضه وعلاه بالسيف ، فقتله (٢) ؛ وكذلك فعل ناصر الدولة أبو محمد بن حمدان بابن رائق ، فقتله وهو ضيفٌ عنده فى خيمته قتل غدر وخيانته (٣) .

وكان النزاع وعدم رعايه حقوق الطاعه سائدين فى بيت بنى حمدان ، ولاسيما فى فرعهم بالجزيره (٤) . وكذلك كان الحال فى فرعهم بالشام حيث قتل أبوالمعالى بن سيف الدوله بن حمدان خاله أبافراس ؛ فقد لحقه وقتله رغم

١- كتاب العيون ص ١٩٣ ب ١٩٤ .

٢- نفس المصدر ص ٦١ ب .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٦٠ ٦١ وكتاب العيون ص ١٩٨ ب .

٤- انظر مثلا مسكويه ج ٦ ص ٢٢٤ لترى ما كان يقع بين ناصر الدوله وبين أولاده .

استثمانه ، ثم أخذ رأسه وترك جثته في البرية (١) .

ولم يظهر أحدٌ من الحمدانيين بشيء من الفروسيه والأعمال العظيمة إلا سيف الدولة . على أننا نلاحظ أنه كان في حربه مع الروم يقع دائماً في نفس الفخ ، ولذلك يقول أبو الفداء : «وكان سيف الدولة مُعجَباً بنفسه ، يحب أن يستبد ، ولا يشاور أحداً ، لئلا يُقال إنه أصاب برأى غير» (٢) .

وكثيراً ما صبَّ القائدان التركيان ، توزون ويجكم ، على رأس الهزائم .

وكذلك يرجع أصلُ البريديين إلى الدولة الإسلامية الأولى ، فقد كانوا حكاماً للعراق زمناً طويلاً ، وكانوا في أول أمرهم كتاباً أصحاب دراريع (٣) .

أكثر مما كانوا قوادا . ومع هذا فقد خاضوا غمار كثير من المواقع وقاتلوا قتال البواسل ؛ ولكنهم من قصر النظر والجشع لم ينزلوا لبني حمدان عن شيء .

وقد بدأ عهد الفساد الحقيقي ببغداد عام ٣٣٠ هـ ٩٤١م ، وهو العام الذي فتح فيه البريديُّ بغداد وفرَّ فيه الخليفة إلى الموصل ؛ وذلك أن البريدي ظلم الناس ظلمه المعروف ، وافتتح الخراج في آزار وخبط أصحاب الأراضي وخبط أهلَ الدمه ووظف على كل كَرٍّ من الحنطه سبعين درهما ، وأخذ جزءاً من مأل التجار غصبا (٤) .

وفرَّ آخر البريديين إلى القرامطه في جنوب جزيره العرب ، ولكنه بعد ذلك

١- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٣٤ ، وانظر ما حكاه ابن خلكان نقلاً عن ثابت بن سنان (الوفيات طبعه ١٢٩٩ هـ ، ج ١ ص ١٥٩) وانظر

.Dvorak : Abu Firas, Leiden, ١٨٩٥, S.I١٤ ff

٢- تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٤٦٨ تحت عام ٣٤٩ هـ .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٥٦٥ .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٥٨ ، وكتاب العيون ص ١٩٣ .

كتب إلى معز الدولة يلتمس الأمان ليصير إلى حضرته ، فأعطاه من التوثقه ما أحب ، فوافاه وقَبِل الأرض بين يديه ؛ وأكرمه معز الدولة ، وأقطعهُ الضياع ، ورسمه بمنادمته(١) .

ولو أننا قارنا بين هوءلاء الأمراء الذين يقترن حكمهم بالنهب وبين القواد الذين جاءوا من الشمال وأقاموا ملكهم في داخل بلاد الإسلام ، لوجدنا أن هوءلاء الأخيرين أحسن سيره في الحكم وأشبه بآباء لرعيتهم . ومنهم السامانيون الذين أرادوا أن ينشئوا بينهم وبين الفرس نسا ، وأن يُرجعوا أصلهم لملوك بني ساسان .

وقد بلغوا أوج عزتهم في أواخر القرن الثالث الهجرى حيث كانت بلاد ما وراء النهر والجبل وأيران كلها إلى كرمان تحت سلطانهم ؛ بل كان في داخل حدود دولتهم الكبيره ولا ياتُ تكاد تكون مستقلة ، مثل لبلاد سجستان التي يحكمها بنو الصفار ؛ وهوءلاء وإن كانوا يخطبون لصاحب بخارى فلم يكن له عليهم إلا حملُ أموال وهدايا ؛ بل اضطر السامانيون نظراً لسعه أرجاء دولتهم إلى إنشاء ما يشبه منصب «نائب الملك» ، فكانوا هم مثلاً يقيمون في بخارى على حين أن صاحب جيشهم كان يقيم في نيسابور التي جعلها الظاهريون قصبه خراسان .

أما عن حكمهم فالمقدسى يمتدح سيرتهم في الحكم ، ويقول إنهم من أحسن الملوك سيره ونظراً وإجلالاً للعلم وأهله ؛ فقد كان من رسومهم مثلاً أنهم لا يكلّفون أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم ، ويذكر المقدسى أن في أمثال الناس : «لو أن شجره خرجت على آل سامان ليست» ، ويقول : ألا ترى إلى

١- مسكويه ج ٦ ص ١٥٤ ، وكتاب العيون ص ٢٤٧ ب .

عضد الدوله وتجبره وتمكنه ، وكمال دولته ، وقوه أمره ! قد فتحت له البلاد طوعا ، وملك ما ملك ، فلما تعرض لآل سامان وطلب خراسان أهلكه الله ، وشئت جمعه ، وفرق جيوشه ، ومكن أعداءه من ممالكه ، فتبأ لمن عائد آل سامان(١).

ولعل هذا الإطراء من جانب المقدسى كان لأسباب شخصيه ؛ فالحقيقه أن الديلم أخذوا من السامانيين إيران كلها ، وإن كان ذلك لم يتم لهم إلا بعد نضال طويل ، حتى كان سبكتكين قائد معز الدوله ببغداد يضطر إلى الإسراع للرى فى كل عام تقريبا لمعاونه أخى معز الدوله فى محاربه السامانيين ؛ ولم يمض أكثر من عشرين سنه على مبالغه المقدسى فى مدح آل سامان حتى اجتاح الترك دولتهم من الشمال والجنوب ، وقُتل آخر ملوكهم هارباً . على أن ملوك السامانيين كانوا دائما يظهرون ولاءهم للخليفه فى بغداد وتعلقهم به ، وكانوا دائما يعثون إليه الهدايا ، بل نجد أحمد بن إسماعيل يرسل فى سنه ٣٠١هـ ٩١٣م إلى الخليفه ببغداد شيخاً يستحمد إليه ما فعله من رد غاره الترك على المسلمين وقتله كثيراً منهم ، ويخطب إليه شرطه ببغداد ، بعد أن خلا منصب صاحب الشرطه بوفاه من كان يشغله من بنى طاهر(٢) ؛ وكذلك نجد نصراً السامانى يرسل للخليفه عام ٣٣٠هـ ٩٤١م هديه كبيره ، ومعها رأس أحد ثوار الديلم ، فكأن نصراً قد رضى أن يضع نفسه فى موضع والٍ من ولاة الخليفه(٣) .

وكان المستقبل للشعوب التى تسكن جبال الألب الآسيويه فى شمال فارس ،

١- مقدسى ص ٣٣٧ ٣٣٩ .

٢- عريب ص ٤٣ .

٣- كتاب العيون ص ١٩١ ا ب .

والتي كانت حتى ذلك الحين بمثابة قواد مدّخرين لوقت يظهر فيه . وقد استطاعوا أن يخضعوا لحكمهم بلاداً أوسع كثيراً من البلاد التي أخضعها نظراؤهم السويسريون الذين يسكنون جبال الألب الأوربية حين بلغوا ذروه قوتهم ؛ وكان القائد مرداويج الديلمي أكبر من استرعى نظر الموءرخين من بين قواد الجبل الذين حكموا إيران الغربية بعد موت يوسف بن أبي الساج .

ولم يكن الإسلام عميقاً في قلب هذا القائد ، فقد فعل بأبناء المسلمين وبناتهم فعل الكفار ، فأعمل فيهم السبى ، حتى قيل إنه تملك من الغلمان والجوارى في قول المقل خمسين ألفاً ، وفي قول المُكثّر مائه ألف ؛ وأعمل السيف والنار في أهل همدان كأنهم كافرون(١) ؛ حتى إن أهل فارس شغبوا في سنة ٣٢٠هـ ٩٣٢م أمام دار الخليفة ببغداد واعترضوا على فرض الحكومه للضرائب في حين أنها لا تقف إلى جانب المسلمين لتحميمهم .

وبعث مرداويج بقائد من قواده إلى مدينة الدينور ، فدخلها بالسيف ، وقتل من أهلها آلافاً كثيرة ؛ «فخرج إليه في مستورى أهل البلد وصوفيتها وزهادها رجلٌ يقال له ابن مشاده وييده مصحف قد نشره ، فقال للقائد : اتق الله ، وارفع السيف عن هوءلاء المسلمين ، فلا- ذنب لهم ولا- جنايه يستحقون بها ما قد نزل بهم ، فأمر بأخذ المصحف من يده فضرب به وجهه ، ثم أمر به فذبح»(٢) .

كان مرداويج رجلاً متفائلاً عريض الآمال والمشروعات ؛ فقد زعم أن يرّد

١- مروج الذهب ج ٩ ص ٢٣ وما بعدها .

٢- نفس المصدر ج ٩ ص ٢٤ ٢٥ .

دوله العجم ويطل دوله العرب (١)؛ وسأل عن تيجان الفرس وهيئتها، فمُثلت له، فاختر صفة تاج كسرى، فُعِمِل له تاج من الذهب جُمعت فيه أنواع الجواهر، وضرب له سريز من الذهب رُصع بالجواهر، فجلس عليه، وجعل عليه منصه عظيمه، وجعل أمامه سريراً من الفضه عليه فرش مبسوط، ودون ذلك كراسى مذهبه ليرتب أصحاب الأقدار مراتبهم في الإجلال؛ وكان ينوي قصد بغداد وتشعيث الدوله؛ وكتب إلى عامل له أن يعد له إيوان كسرى منزلاً، ويعمره كهيته قبل الإسلام. وقد طاف به بعض شياطين الدهاء فزخرفوا له صوره ملك سيظهر، وتجبى له كنوز الأرض، فمال إلى ذلك، وأظهر أنه ذلك الملك الذي يملك الأرض فأراد أن يسير إلى مدينه السلام ويقبض على الخليفه ويولّى أصحابه مدن الإسلام بأسرها في شرق الأرض وغربها، مما في يد ولد العباس وغيرهم؛ واسترسل في مثل هذا الخيال (٢)؛ وكان جنوده يخشون سطوته وغدره وكبرياءه.

ولما حضرت ليله الوقود في أصفهان (انظر فصل الأعياد) جُمعت الأحطاب من الجبال والنواحي البعيده، وأعدت الشموع العظام، وعُمِل بمجلسه الخاص تماثيل وأساطين كبيره من الشمع، وحشد على رؤوس الجبال واليفاعات ما لم تجر العاده بمثله؛ فلما خرج وطاف بذلك استحققه كله واستصغره، «قال وذلك لأجل سعه الصحراء، ولان البصر إذا امتد في فضاء واسع ثم انقلب عنه إلى هذه الأشياء المصنوعه استحقرها. وإن كانت عظيمه»، واغتاظ وسكت ودخل إلى خيمته واضطجع والتف بكسائه، وحول وجهه إلى خلاف الباب لئلا يكلمه أحد؛

١- الأوراق للصولي ص ٨١، ومسكويه ج ٥ ص ٤٨٨.

٢- مروج الذهب ج ٩ ص ٢٧؛ ومكسويه ج ٥ ص ٤٨٩، ٤٩٠.

ولم يجسر القواد والأمراء على مخاطبته ؛ ثم أقنعه الوزير بعد كدّ أن يظهر للناس ، فركب كارهاً متحاملاً بعد لجاج وإباء ؛ فطاف مغضباً مغتاضاً ، وانصرف إلى موضعه ، ولزم حالته الأولى(١) .

وكان له أربعة آلاف من المماليك الأتراك(٢) إلى جانب خمسين ألفاً من الديلم ، وقد استخلص من هوءلاء الأتراك نفراً اختص بهم ، فوجد الديلم من ذلك(٣) .

ورغم أنه كان يوءثر الغلمان الأتراك فقد اتفق يوماً أن شذّبت دوابهم ، وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ، فانتبه مرداويج مذعوراً على هذه الأصوات الهائلة المنكرة ، فأمر أن تُحطّ السروج عن الدواب ، وتُجعل على ظهور الغلمان الأتراك مع جميع آلتها ، وأن يقودوا الدوابّ بأنفسهم من أرسانها إلى الإصطبلات ؛ وكانت الصورة قبيحة ، وقد حقد عليه الغلمان لذلك ثم اتفقوا على الفتك به ، فهجموا عليه وهو فى الحمام وقتلوه(٤) . وقد استطاع أخوه وشمكير وابنه قابوس أن يحتفظا بإماره صغيره فى أقصى الشمال من إيران ؛ ثم آل ميراثهم إلى بنى بويه ، وهم قواد مرتزقه من بلاد الجبل بفارس .

وكان بنو بويه بعيدين عن الثقافه العربيه ، حتى إن معز الدوله لما جاء إلى بغداد ومَلِكها احتاج إلى من يترجم له كلام الوزير على بن عيسى(٥) ؛ وقد رفع

١- مسكويه ج ٥ ص ٣٧٩ ٤٨٢ .

٢- مروج الذهب ج ٩ ص ٢٦ ، ٢٨ .

٣- الأوراق للصولى ص ٨٠ ٨١ .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٤٨٢ ٤٨٥ .

٥- تاريخ الهمداني مخطوط رقم ١٤٦٩ بباريس ص ١٠٠ والمقدمه الإنجليزيه لكتاب الوزراء ص ٧ .

بنو بويه أنفسهم بالدهاء والمكر والمهاره الجنديه ؛ وكانوا لا يترددون ولا يخجلون من ترك خدمه قائد إلى خدمه آخر يدفع لهم أكثر من الأول ؛ فمن ذلك أنه لما هُزم ماكان بن كاكي الديلمي ، وكان معه أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو علي الحسن ، استأذناه في الانحياز إلى مرداويج ، وقالوا- لما كان : «الأصلح لك مفارقتنا إياك ، لتخف عنك موءونتنا ، ويقع كلنا على غيرك ، فإذا تمكنت عاودناك» فأذن لهما(١) .

وكان من أكبر الصفات التي ظهرت فيها مقدره بنى بويه أنهم كانوا يستطيعون جمع المال من كل وجه ، وأن يدخروه حتى يكون بين أيديهم المال دائماً ؛ وقد ساعدتهم الحظ في ذلك بأمور هي من عجيب الاتفاقات ؛ فيحكى مثلاً أن علي بن بويه لما دخل شيراز اجتمع أصحابه وطالبوه بالمال ، ولم يكن معه ما يرضيهم ، فأشرف أمره على الانحلال ، واشتغل قلبه واغتم غما شديداً ، فبينما هو مستلق على ظهره ، وقد خلا للفكر والتدبير ، إذ رأى حيه قد خرجت من سقف المجلس الذي كان فيه من موضع ودخلت موضعاً آخر ؛ وخاف أن تسقط عليه ، وهو نائم ، فأمر الفراشين بإخراجها ، فوجدوا السقف يفضى إلى غرفه بين سقطين ، فأمرهم بفتحها ، فوجدوا فيها عده صناديق من المال وغيره ، فأنفق ذلك في رجاله بعد أن أشفى أمره على الانحلال(٢) .

وكان السبب في ارتفاع علي بن بويه سماحته وشجاعته وسعه صدره وحسن

١- مسكويه ج ٥ ص ٤٣٥ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٤٦٣ ٤٦٤ .

سياسته ؛ فمن ذلك أنه كان فى الرى وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد ، ولم يزل على بن بويه بأبى عبد الله هذا يلاطفه بالهدايا ، حتى غمره بالبز ، فكتب كتابا من مرداويج إلى وشمكير بمنع على من الخروج ، وأسرّ لعلّى بالخروج ، قفاز بالولاية ، ولما وصل إلى الكرج أحسن إلى الرجال ، ولا طف عامل البلد ، فكان يكتب بشكره وضبطه الناحية ؛ واتفق أن افتتح قلاعاً كانت فى أيدي الخرمية فى تلك الأطراف ، ووقع بين أصحابها خلاف ، فانحاز بعضهم إليه ، وأطلعته على ذخائر جليله أخذها وصرفها كلها فى استعماله الرجال واستعطاف القلوب ؛ ولا طف قواد مرداويج ، وأفضل عليهم ، حتى أوجبوا طاعته ، وكان ذا فضل يتسامع به الناس فيميلون إليه (١) .

فلا عجب إذن أن يسهل عليه الانتصار على جيش الخليفة حتى استولى على جنوب إيران .

وكان بنو بويه إلى جانب هذا يحسنون معاملته الأسرى ، ويعفون عنهم ، ويؤمّنونهم من جميع ما يكرهون ، حتى يطمئنوا إليهم ، على حين كان أعداؤهم يعدّون للأسرى قيوداً وبرانس ليشهروهم بها ؛ ولقد ظفر على بن بويه بأعداء له معهم هذه الآلات فعدل عن العقاب إلى العفو ، وابتعد عن الطغيان (٢) .

كان ركن الدولة صاحب الرى «لا- يستجيب إلى عماره نواحيه ، خوفاً من إخراج درهم واحد من الخزانة ، ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت» (٣) .

١- نفس المصدر ج ٥ ص ٤٣٦ ٤٣٩ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٤٤٥ ٤٤٤ .

٣- مسكويه ج ٨ ص ٣٥٧ .

وقد جمع عضد الدوله بما كان فيه من حرص ثروه هائله ، وكذلك ترك فخراً الدوله (المتوفى عام ٣٨٧هـ ٩٩٧م) فى العصور الأخره ، التى لم تكن عصور الغنى العظيم ، مالا- كثيراً ؛ فقد ذكر ابن الصابى أنه خلف ٢٨٤, ٨٧٥, ٢ ديناراً ومن الورق والنقد والفضه ٧٩٠, ٨٦٠, ١٠٠ درهما ، ومن الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والماس والبلور والسلاح وضروب المتاع شيئاً كثيراً ؛ وكان شحيحاً حتى كانت مفاتيح خزائنه فى الكيس الحديد مسمراً بالمسامير لا يفارقه (١) .

وكذلك يقول ابن الجوزى إن بهاء الدوله جمع من الأموال ما لم يجمعه أحد من بنى بويه ، وكان يبخل بالدرهم الواحد ويؤثر المصادر (٢) .

والصفه الثانيه الكبرى مما اتصف به بنو بويه التضافر الوثيق والطاعه التامه ، وذلك فى أجيالهم الأولى على الأقل ؛ ويرجع الفضل فى ذلك إلى الصفات العظيمه التى توفرت لعلى بن بويه الذى لقب فيما بعد بعماد الدوله ، وهو الذى يرجع إليه الفضل فيما بلغه بيت بنى بويه من قوه وعزه .

ومن أمثله طاعتهم والتزامهم النظام أن معز الدوله ، وهو أصغر الإخوه الثلاثه ، وكان حاكماً على العراق إذ ذاك ، لما لقي أخاه عماد الدوله بأرجان عام ٣٦٣هـ قبل الأرض بين يديه ؛ وكان يقف قائماً عنده ، فيأمره بالجلوس فلا يفعل (٣) .

ولما مات الأخ الأ-كبر انتقلت الرياسه إلى أخيه الثانى ركن الدوله فى الرى ، فكان معز الدوله لا يخالف له أمراً ، وكان ركن الدوله يأمره بإنفاذ الجيوش

١- ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ٨٢ ٨٣ .

٢- المنتظم ص ١٥٩ ب .

٣- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٥٣ .

يفعل(١).

ولما أيقن معز الدولة بالتلف وصّى ابنه ، وهو على سرير الموت ، بطاعه ركن الدولة ، واستشارته في كل ما يعرض له من مهمّ ، وكذلك ابن عمه عضد الدولة لأنه أسنّ منه وأقوم بالسياسة(٢).

ولما أراد عضد الدولة هذا أن يأخذ العراق من يد ابن عمه معز الدولة بعد ما أظهر من عدم الكفاية ، وسمع أبوه حال أولاد أخيه من القبض عليهم ، رمى بنفسه عن سريره ، وأقبل يتمرّغ ويزبد ، ويمتنع من الأكل والشرب أياماً ، ومرض من ذلك مرضاً لم يستقلّ منه باقى حياته ؛ وكان يقول : إني أرى أخى معز الدولة متمثلاً إزائى يعصّ على أنامله ، ويقول : «يا أخى هكذا ضمنت لى أن تخلّفنى فى أهلى وولدى !» ، وقد غضب والد عضد الدولة على ابنه ، وأمره أن يخرج من بغداد ويسلمها لأبناء عمه ، فخرج منها طاعه لأبيه ، بعد أن كان قد أقام بها ، واتخذ لنفسه بها داراً(٣).

أما عماد الدولة فلم يكن رجلاً- يمثل خصال السيد الحاكم ، بل كان أشبه يتاجر مخادع ؛ وكانت له مواهب الأكره الأذكيا العمليين ؛ فمن ذلك أنه تقلد من الخليفة الراضى أعمال فارس على أن يحمل له فى كل سنه بعد جميع المؤن والنفقات مائه ألف ألف درهم ؛ فأرسل إليه الوزير ابن مقله الخلع واللواء ، ورسم للرسول ألا يسلم اللواء والخلع ؛ إلا بعد تسليم المال الذى استقر عليه الاتفاق .

١- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٦٦ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٢٩٨ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٤٤٤ ٤٤٦ .

فلما قُرب الرسول من البلد تلقاه على بن بويه على بُعد ، وسار معه وطالبه أن يسلم إليه اللواء والخلع ؛ فعرفه ما رسمه له الوزير ، فخاشنه على بن بويه ، وأرهبه حتى سلم الخلع ، فلبسها ودخل بها شيراز وبين يديه اللواء ، وأقام الرسول مدةً يطالب بالمال ، فلم يدفع عليّ إليه شيئاً ، حتى اعتلّ الرسول ومات بشيراز(١) .

وأما ركن الدولة فقد كان حليماً ، واسع الكرم ، حسن السياسة لرعاياه وجُنده ، رءوفاً بهم ، بعيد الهمه ، يتحرّج من الظلم ، ويمنع أصحابه منه ، وقد أثنى المؤرخون على عدله وكرمه(٢) .

ومن أمثله ذلك أن إبراهيم السلار انهزم من بين يدي عدوّ له ، وورد حضره ركن الدولة «بدابته وسوطه» ؛ فأكرمه ركن الدولة ، وبالغ في إعطائه ، وحمل له من كل صنف يكون عند الملوك ؛ وكان المؤرخ ابن مسكويه حاضراً بالرى ، فركب للنظر إلى الهدايا المحمولة إبراهيم ، وكانت كثيره لم ير ابن مسكويه مثلها(٣) ؛ وقد اقترح الأستاذ ابن العميد وزير ركن الدولة ، بعد ما رأى سوء تدبير إبراهيم واشتغاله بالنساء واللعب والسكر الدائم ، وبعد أن شاهد طمع الناس فيه ، أن يدبّر ركن الدولة الناحية لنفسه ، حتى لا يضيع سعيه في إرجاعها لصاحبها ، ويعوّض إبراهيم بشيء آخر حتى يجلس آمناً فارغ البال ، ويشغل بما يوءثره من صحبه المغنين والمساخر ، «فأبى عليه ركن الدولة وفكر في شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال : يتحدث الناس أنى افتتحت البلاد لرجل لجأ إليّ ؛

١- كتاب العيون ص ١٤٧ ب .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٩٣ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٨٠ ٢٨١ ؛ و ٣٣٥ : Der Islam, III Amedroz .

ثم طمعتُ فيه!!» (١).

ولقد قاسى ابنُ العميد الكثيرَ فى خدمته ؛ وكان ابن العميد وزيراً جيِّدَ التدبيرِ عليهما بصناعه الملك وإصلاح ما فسد من أموره ، ولكن ركن الدولة كان مغلوباً على أمره لا- يرى النظر فى العواقب ، ولا يستمع إلى آراء ابن العميد مع جودتها ، حتى إن ابن مسكويه يذكر ضعف ركن الدولة وفساد الأحوال فى حكومته ، ويذكر كفايه ابن العميد وحسن تدبيره ثم يقول : «فما حيله وزيره ومدبّره» ، وكان ركن الدولة مع فضله على أقرانه من الديلم على طريقه الجند المتغلّبين ، ينعم بما يتعجّل له ، ولا يرى النظر فى عواقب أمره وعواقب أمور رعيته» ، وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ، وكان يوسّع عليهم فى الإقطاعات ؛ وكانوا يتواعدون من الليل إلى مواضع غامضه يجتمعون فيها ؛ وربما خرجوا إلى الصحراء ، واجتمعوا على ظهور دوابّهم ، «وثنوا إرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبّرون الرأى فى وجه الحيله ، فإذا تمّ لهم تدبير يومهم فهو عيدهم ونشاطهم» .

وكان ركن الدولة يرى أن دولته مقرونه بدوله الأ-كراد ، فكان لذلك لا- يمنعهم من العبث ولا- يطلق يد حُماه الأطراف فى قصدهم ، «ويرضى أن يقال له قُطعت القافله ، وسَيقت المواشى ، فيقول : لأن هوء لاء أيضاً ، يعنى الأ-كراد ، يحتاجون إلى القوت (٢)» .

وكان الأمير معز الدولة ، أمير العراق ، حديداً سريع الغضب بذيء اللسان ، يكثر سبّ وزرائه والمحتشمين من حشمه ، وكان يلحق المهلبى من فحشه

١- مسكويه ج ٦ ص ٢٩٢ ٢٩٣ ؛ و ٣٣٦ Amedroz : Der Islam, III .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٣٥٤ ٣٥٧ .

وشتمه مالا صبر لأحد عليه ؛ بل كان يضربه بالمقرعه (١).

ولكن معز الدوله كان خوّاراً فى أمراضه ، فكان كلما اشتدت عليه العله ، وأيقن بالتلف (كان مريضاً بامتناع البول وبرمل فى مثانته) بكى وندب على نفسه على عادة الديلم (٢).

وكان أيضاً «سريع الدمعه» ، وكاد ينهزم فى إحدى المواقع ، فبكى بين أيدي غلمانة ، ثم سألهم أن يجتمعوا ، ويحملوا على العدو ، وهو فى أولهم ، فإما أن يظفر وإما أن يكون أول من يقتل (٣).

وكان لا يعرف للخليفة قدره ، فقد وثب عليه ، وهو تحت سلطانه ، وثبه الجندى المرتزق الغليظ القلب ؛ ولما مات وزيره أبو محمد المهلبى بعد أن ولى الوزاره له ثلاث عشره سنه قبض معز الدوله أمواله وذخائره ، وأخذ المال من أهله وأصحابه وحواشيه ، حتى من ملاحه ومن خدمه يوماً واحداً ؛ فاشتغظ الناس ذلك واستقبحوه (٤).

وبنى لنفسه داراً جديده فى شمال بغداد ، فكان جملة ما خرج عليها ثلاثه عشر ألف ألف درهم ، ولم يتردد فى أن يصادر بسبب ذلك جماعه من أصحابه (٥).

وكان لا يأبه كثيراً لحقوق رعيته ، فاضطر إلى خبط الناس واستخراج الأموال

١- نفس المصدر ج ٦ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

٢- نفس المصدر ج ٦ ص ٢١٠ ، ٢٤١ .

٣- نفس المصدر ج ٦ ص ٢١٧ .

٤- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٥ .

٥- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٩٨ ، ومسكويه ج ٦ ص ١٩٣ ، ويقول ابن الجوزى (المنتظم ص ٩٠) إن معز الدوله أنفق على البناء إلى أن مات مائه ألف ألف دينار .

من غير وجوهها ، وأقطع قواده وخواصه وأتراكه ضياع السلطان وغيرها ، وكان يسامح الوزراء المقطعين ، ويقبل منهم الرشى ؛ واتسع الخرق حتى صار الرسم جارياً بأن يخرب الجندُ إقطاعاتهم ، ثم يرُدُّوها ، ويعتاضوا عنها بما يختارون ، ويتوصلوا إلى حصول الفضل والفوز بالربح .

ورقت أحوال الرعيه ، فمن هارب جالٍ ، إلى مظلوم صابر ، إلى مستريخ لتسليم ضيعته إلى المُقَطَّع ليأمن شرّه وبوائقه ؛ وقلَّ حَفْلُ الناظرين في الأعمال تعويلاً على أخذ ما صفا ، وترك ما كُدَّرَ ، والرجوع على السلطان بالمطالبه .

وفوض معز الدوله تدبير كل ناحيه إلى بعض الوجوه من خواص الديلم ، فاتخذوها مسكناً وطعمه ، والتحف عليهم المتصرفون الخونه ، فبطلت العماره ، وخربت البلادُ ، واعتاض العمال عما يذهب من أموالهم بالمصادره والحيث على الرعيه ، وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الأعمال عن يد السلطان(١) .

ولكن معز الدوله كان يُعنى بسدّ البثوق في سدود الأنهار ، حتى خرج بنفسه مره لسد بثق بادوريا ، وحمل التراب في طرف قبائه ، ففعل جميع العسكر مثل فعله ، وكذلك خرج إلى النهر وانات فسدَّ بثقها ، فعمرت هذه الأجزاء بعد خرابها ، وعم الرخاء ، حتى مالت العامه ببغداد إلى أيام معز الدوله وأحبوه(٢) .

أما ابنه بُختيار الملقب بعزالدوله فقد وُهب قوةً جسديه عظيمه ، وكان شجاعاً ، وبلغ من قوته أنه كان يمسك الثور العظيم من قرنيه فلا يتحرك(٣) .

١- مسكويه ج ٦ ص ١٣٥ ١٣٨ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٢١٨ ٢١٩ ب .

٣- ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ١٩ .

ولكنه فيما عدا ذلك فشل فشلاً يرثى له ؛ «وكان يحب أن يقضى أوقاته فى الصيد والأكل والشرب والسمع واللهو واللعب بالنرد وتحريش الكلاب والديكه والفتاخ ؛ فإذا وقفت أمورهُ قبض على وزيره واستبدل به» (١).

ويقول بعض أصحابه إنه كان من ملذاته دفاترُ عزيزه يضمن بها ، وجوارِ صوانع لا- يسمح بهنّ ، وخيلٌ عرابٌ كان يستأثر بها ويحب أن يشتريها من البادية (٢) ؛ وقد انفق مره أن أسيرَ له فى موقعه بالأهواز غلام تركى ، فجنّ عليه جنوناً ، وتسلى عن كل شىء خرج عن يده إلا عنه ، «وامتنع عن الطعام والشراب وانقطع إلى النحيب والشهيق والعيويل .

وتضجر بالجيش ، وتبرم بحضورهم ، وأطرح التدبير . ثم إذا وصل إليه وزيره وقواده وكتائبه وخواصّه فى المهمّ قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حلّ به والبوح بما فى نفسه ، وتقضت أوقاته ومجالسه بهذا الخطب الجليل عنده . فخف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم» (٣).

وكان عضد الدوله (المتوفى عام ٣٧٢هـ ٩٨٢م) ، دون سائر أعضاء أسرته ، هو الذى يمثل السيد الحاكم تمثيلاً حقيقياً ؛ وقد خضعت لسلطانه ، فى آخر أمره ، البلادُ الممتده من بحر الخزر إلى كرمان وعمان ؛ فلا بدع أن يلقب بشاهنشاه (ملك الملوك) لأول مره فى الإسلام (٤).

١- مسكويه ج ٦ ص ٣٨٦ ٣٨٩ .

٢- نفس المصدر ج ٦ ص ٤١٩ .

٣- مكسويه ج ٦ ص ٤٥٩ ٤٧٠ .

٤- المنتظم ص ١١٩ ب .

بعد أن كان هذا اللقب يشعّر من قبل بالتجروء على مقام الألوهيه ؛ وقد ظل هذا اللقب لمن جاء بعده من ملوك بني بُويه (١). فكان أيضاً إحياء لرسوم الشرق القديمه.

كان عضد الدوله يحمل طابع أهل الشمال ، فكان أزرق العينين ، أشقر ، أصهب الشعر (٢).

وكان الوزير ابن بقيه يسميه أبابكر الغددي تشبيهاً له برجل أشقر أزرق أعمش أئمش يسمى أبابكر كان يبيع الغدد برسم السنائير ببغداد (٣).

وكان عضد الدوله رجلاً قاسياً ، وقد بلغه عن الوزير ابن بقيه أمورٌ ساءت له فطلب من بختيار بن معز الدوله يسلمه إليه ، فسلمه إليه مسمولاً ؛ فطرحه عضد الدوله إلى الفيله ، وأضربت عليه ، فقتلته شر قتله ؛ وهذه العقوبه هي الأولى من نوعها في الإسلام (٤).

وقد بلغ من هيئته وخوف عماله منه أن الوزير المطهر بن عبدالله خرج من مدينه السلام لطلب أحد الخارجين على عضد الدوله ، فالتاث على المطهر الأمر وخاف تعثر عضد الدوله عليه ، فقتل نفسه (٥).

١- كتاب الوزراء ص ٣٨٨ ؛ وكتاب إرشاد الأريب إلى معرفه الأديب (وهو معجم الأدباء) لياقوت طبعه مرجليوث ج ٢ ص ١٢٠ .

٢- الإرشاد ج ٥ ص ٣٤٩ .

٣- وفيات الأعيان لابن خلكان طبعه أوربا ١٨٣٩ ، ترجمه ابن بقيه رقم ٧٢٠ ، نقلاً عن عيون السير للهمداني .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٤٧٧ و ٤٨١ .

٥- نفس المصدر ص ٥١١ ٥١٤: على أنه قد نُسب إلى عضد الدوله أشياء كثيره من الظلم لم يفعلها حقيقه ؛ فيحكى ابن تغرى بردى (طبعه كليفورنيا ص ١٥ ١٦) أنه خطب الأميره جميله بنت ناصر الدوله بن حمدان ، فامتنعت عليه ، فاغتاظ من ذلك ؛ وحين وقعت في يده استولى على أموالها ، ولم يدع لها شيئاً إلى أن احتاجت وافتقرت. وفي روايه أحدث عهداً أنه ما زال يعسف بها في المطالبه حتى عراها وهتكها ، ثم ألزمها ، إما أن تصحح ما عليها من المال ، وإما أن تختلف إلى دار القحاب ، فتكسب فيها ما توءديه من المال المفروض عليها ؛ ولما ضاق بها الأمر ، وأشرفت على الفضيحه انتهزت غفله الموكلين بها وغرقت نفسها في نهر الدجله (مطالع البدور للغزولي ، طبعه مصر ١٣٠٠ هـ ج ٢ ص ٤٨) . والحقيقه أن جميله فرت مع أخيها أبي تغلب عدو عضد الدوله ؛ فلما مات اعتقلها عضد الدوله في بعض الحجر في داره مع جواريه ونسائه (مسكويه ج ٦ ص ٥٠٧) .

ولكن عضد الدوله كان أيضاً قاسياً على نفسه ، فيحكى أن جاريه كانت له شَعَلَتْ قَلْبُهُ بميله إليها عن تدبير المملكه ، فأمر بتغريقها(١).[*]

وكان يعنى بمعرفه الأخبار وسرعه وصولها ، شأن كل من يريد أن يحكم دوله كبيره حكماً صحيحاً ؛ فكان يسأل عن الأخبار الوارده ، فإن تأخرت عن وقتها قامت قيامته ، وسأل عن سبب التعويق ؛ فإن كان من غير عذر أنزل البلايا على أصحاب الأخبار ؛ وكانت الأخبار تصل من شيراز إلى بغداد فى سبعة أيام ؛ أى أنها تقطع كل يوم ما يزيد على مائه وخمسين كيلومتراً(٢).

وقد أحكم نظام الجاسوسيه ؛ «وكان يبحث عن أشراف الملوک ؛ وينقب عن سرائرهم ؛ وكانت أخبار الدنيا عنده ، حتى لو تكلم إنسان بمصر رقى إليه ذلك ؛ حتى إن رجلاً بمصر ذكره بكلمه ، فاحتال حتى جاء به ووبَّخه عليها ، ثم ردّه ؛ فكان الناس يحترزون فى كلامهم وأفعالهم من نسائهم وغلماهم»(٣).

١- المنتظم ص ١٢٠ .

٢- نفس المصدر .

٣- نفس المصدر ص ١١٩ ب ١٢٠ .

وقد طَهَّرَ السبيل من الصوص فى إحدى القوافل بغلا- يحمل حاوى شَيَّبِتَ بالسَّم ، فأكلوا منها فهلكوا ؛ وكانت هذه مكيدة عجيبه (١) .

وأعاد النظام إلى صحراء جزيره العرب وإلى صحراء كرمان ، وكانت أشهر بمخاوفها ، حتى رُفعت الحبايه عن قوافل الحج ، وزال ما كان يجرى عليها من القبائح وضروب العسف ؛ وأقام للحجاج السواقى فى الطريق واحتفر لهم الآبار ، واستفاض الينابيع وأدار السور على مدينه الرسول (٢) ؛ وأمر بعماره منازل بغداد وأسواقها ، وكانت مختلّه قد أُحرق بعضها ، وخرب البعض ؛ وابتدأ بالمساجد الجامعه ، وكانت فى نهايه الخراب ؛ وهدم ما كان مستهدما من بنيانها ، وأعاد بناءها ؛ وألزم أرباب العقارات بالعماره ، فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت المال ؛ وأمر من كانت له دار على الشط من الأولياء والحاشيه أن يجتهد فى عمارتها وتحسينها .

وكان الناس قد استطابوا هدم المنازل وبيع أنقاضها ، فأبطل هذه السنه وأعاد عماره بستان عرصه دار العباس بن الحسين وغيره ، فامتألت الخرابات بالزهر والخضره والعماره ، «بعد أن كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقدار» ؛ وجلبت إليها الغروس من فارس وسائر البلاد ؛ وكانت الأنهار ببغداد قد دُفنت مجاريها وعَفَّت رسومها ، ونشأ جيلٌ من الناس لا يعرفها ؛ فأمر بحفر عمداتها ورواضها ؛ وقد كانت على الأنهار قناطر قد تهدمت وأهمل أمرها ، «فلم تكن

١- كتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٣٨ الباب الحادى عشر نقلاً عن تاريخ الهمداني .

٢- المنتظم ص ١١٩ ج ب .

تخلو من أن يجتاز عليها البهائم والنساء والأطفال والضعفاء فيسقطون ، فُبُنيت كلها جديدة وثيقه ، وعُملت عملاً محكماً ؛ وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد ، فإنه كان لا يجتاز عليه إلا المخاطر بنفسه ، لا سيما الراكب لشده ضيقه وضعفه وتزاحم الناس عليه ؛ فاخترت له السفن الكبار المتقنه ، وعُرِّض حتى صار كالشوارع الفسيحة وحُصِّن بالدار ابزينات ..وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار»(١) ؛ وحول من البادية قوما فأسكنهم فارس وكرمان فزرعوا وعمروا البريه(٢) .

ومع هذا فلم تكن العراق مركز الدوله ، بل كان مركز الدوله في فارس حيث كان يفين قاضى القضاة أيضاً ، ويستخلف له أربعه خلفاء على أرباع بغداد(٣) .

وكان عضد الدوله كثير الغصّ من أهل بغداد والازدراء لهم ، حتى قال : ما وقعت عيني في هذا البلد على أحد يستحق اسم الفضل أو أن يسمى برجل غير نفسين ؛ فلما تأملت وجدتهما ليسا من أهل بغداد ، وأصلهما من الكوفه(٤) ؛ وعمل سوقا للبرازين ، ووقف عليه وقوفاً كثيره(٥) .

وكان ينقل إلى بلاده ما لا يوجد بها من الأصناف ؛ فما نقله إلى كرمان حب النيل(٦) ؛ وبنى بشيراز داراً عظيمة تشتمل على ثلاثمائة وستين حجره(٧) . ووسّع

١- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٧ ٥١٠ .

٢- المنتظم ص ١١٩ ب .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٢ .

٤- ملحق أخبار القضاة طبعه (Guest) ، ليدن ١٩١٢ ص ٥٧٤ .

٥- المنتظم ص ١١٩ ب .

٦- نفس المصدر ، ومسكويه ص ٥٠٨ .

٧- المقدسى ٤٤٩ .

الدار الكبيره التي كانت للقائد سبكتكين ببغداد ، والتي تركها بعد وفاته ، وأجرى إلى بستانه الماء في مجرى عالٍ يخترق الصحراء والأرباض ؛ واستخدم الفيله في نقض هذه الدور ، ورَمى حيطانها ، وفي ذك الأرض ، وكان أول من استعمل الفيول في القتال (١) ؛ وكان عازما على القيام بمشروعات بناء غير ما تقدم فمات قبل ذلك (٢) .

وكانت عادته أن يباكر دخول الحمام ، فإذا خرج وصلى الفجر دخل إليه خواصُه ، فإذا ترجل النهار سأل عن الأخبار الواردة ؛ ثم يتغدى ، والطبيب قائم ، وهو يسأله عن منافع الأَطعمه ومضارّها . ثم ينام إلى الظهر ؛ فإذا انتبه صلى الظهر وخرج إلى مجلس التّدما ، والراحه وسماع الغناء إلى أن يمضى من الليل صدر ثم يأوى إلى فراشه (٣) .

وكان قد تعلّم على أحسن المعلمين ، وكان يفتخر بمعلميه (٤) ؛ وكان يحب العلم والعلماء ؛ ويجرى الجرايات على الفقهاء والمحدّثين والمتكلمين والمفسرين والنحاه والشعراء والنسايين والأطباء والحُساب والمهندسين (٥) .

وستتكلّم عن مكتبته وترتيبها وإعدادها في غير هذا المكان ، (انظر الفصل الخاص بالعلماء) . على أن عضد الدوله كان يتشاغل بالعلم ويتفرّغ للأدب في

١- مسكويه ص ٥٠٨ .

٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبعه سلمون (Saimon) ص ٥٦ وما يليها .

٣- المنتظم ص ١٢٠ .

٤- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي طبعه ليبرج سنه ١٣٢٠هـ ١٩٠٣م ص ٢٢٦ .

٥- المنتظم ص ١٢ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥١٨ .

أيام دولته ؛ وقد وُجد له في تذكره : إذا فرغنا من حل إقليدس كله تصدقت بعشرين ألف درهم ، وإذا فرغنا من كتاب أبي على النحوى تصدقت بخمسين ألف درهم ؛ وكان يحب الشعر ويعطى الشعراء ، ويؤثر مجالسه الأدياء على مناديه الأمراء (١) ؛ وكان يقول الشعر وينشده ، ويحكم على معانيه بعد التقدير له (٢) .

وقد ذكر له الثعالبي شعراً عربياً ينسب إليه ، وهو لا يعدو أن يكون كلاماً موزوناً رديئاً (٣) .

ولكن هذا كله لم يمنع عضد الدولة من إساءه معاملته الصابى ، مع أنه كان سيد الكتاب في ذلك العصر . وقد أفرد عضد الدولة في داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفه موضعاً يقترب من مجلسه ، فكانوا يجتمعون فيه للمفاوضه آمين من السفهاء ورعاع العامه .

وأمر بإدراك الأرزاق على قُوم المساجد والموءذنين والأئمه والقراء فيها ، وإقامه الجرايات لمن يأوى إليها من الغرباء والضعفاء (٤) .

وبنى مارستاناً كبيراً ببغداد. وقد وُجد في تذكره له : وكل ابن يولد لنا كما نحب نتصدق بعشره آلاف درهم ، فإن كان من فلانه فبخمسين ألف درهم ؛ وكل بنت فبخمسه آلاف ، فإن كان منها فبثلاثين ألفاً (٥) ؛ وتجاوزت صدقاته أهل المله إلى أهل الذمه ، فأذن للوزير نصر بن هارون في عماره البيع والديره ، وإطلاق الأموال

لفقراء أهل الذمه (٦) .

غير أن عضد الدولة لم يكن أباً لرعيته ، بل ظل الحاكم الأجنبي عنهم ؛ وهو كالراعى الذى يحسن العناية بغنمه لينتفع منها بأكبر نصيب ؛ وفي آخر أيامه أحدث رسوماً جائره ، وزاد الرسوم القديمه ؛ وكان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق (٧) .

وفي آخر عمره كان دخله فى السنه ثلاثمائة ألف ألف وعشرين ألف درهم ، فأراد ان يبلغ به ثلاثمائة وستين ألف ألف ، ليكون دخله كل يوم ألف ألف درهم ، «وكان مع صدقاته وإيصاله ينظر فى الدينار ويناقش فى القيراط (٨) .

والحكم الأخير الذى انتهى إليه مسكويه فى كلامه عن عضد الدولة أنه قال : «فلولا خِلالُ كانت فى عضد الدولة يسيره ، لا أستحسن ذكرها ، مع كثره فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوتُ له من الآخره رضاه ، والله ينفعه بما قدّمه من العمل الصالح ، ويغفر له ما رواء ذلك» (٩) .

وتتجلى مواهب عضد الدولة السياسيه فى اختياره لولاته : فقد ولى على الجبل وهمدان والدينور ونهاوند وأسد آباد وغيرها بدر بن حسنويه الكردى (المتوفى عام ٤٠٥هـ ١٠١٤م) ؛ وقد قامت هيئته بالشجاعه والعدل والسياسه وكثره الصدقه .. وكانت جريانه وصدقاته متصله على الفقهاء والأشراف والقضاة

- ١- يتيمه الدهر فى شعراء أهل العصر للثعالبي طبعه دمشق ج ٢ ص ٢ ، والمنتظم ص ١٢١ .
- ٢- الإرشاد ج ٨ ص ٢٨٦ وكتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٣٨ .
- ٣- يتيمه الدهر ج ٢ ص ٣ وما بعدها .
- ٤- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٧ ، ٥١٠ ٥١١ .
- ٥- المنتظم ص ١٢٠ .
- ٦- مسكويه ج ٦ ص ٥١١ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥١٨ .
- ٧- ابن الأثير ج ٩ ص ١٦ .
- ٨- المنتظم ص ١٢٠ ب .
- ٩- مسكويه ج ٦ ص ٥١١ ، وهذا الموءرخ كان ممن عرف عضد الدوله وخدمه بنفسه .

والشهود والأيتام والضعفاء ؛ وكان يصرف كل سنة ألف دينار إلى عشرين رجلاً يحجون عن والدته وعن عضد الدولة . وكان يتصدق كل جمعه بعشره آلاف درهم على الضعفاء والأرامل ، ويصرف كل سنة ثلاثه آلاف دينار إلى الأساكفة والحدّائين بين همذان وبغداد ليقوموا المنقطعين من الحاج بالأحذية .

وكان يصرف إلى تكفين الموتى كل شهر عشرين ألف درهم ؛ وعمّر القناطر ؛ واستحدث في أعماله ثلاثة آلاف مسجد وخان للغرباء ؛ ولم يمرّ بماء جارٍ إلا بنى عنده قربه ؛ وكان ينفذ كل سنة في الصدقات على أهل الحرمين وحفظ الطرق ومصالحتها مائة ألف دينار ؛ وكان ينفق على عماره المصانع وتنقيه الآبار وجمع العلوّفة في الطريق ، ويعطى سكان المنازل رسوماً لقيامهم ، وعمل إلى الحرمين والكوفة وبغداد ما يفرق على الأشراف والفقهاء والقراء والفقراء وأهل البيوتات(١) .

وقد تخرّج على يدي عضد الدولة القائد أمير الجيوش (المتوفى عام ٤٠١ هـ ١٠١٠ م) ، وهو الذي ولّاه بهاء الدولة تدبير العراق لإعادته النظام إليها ، فقدم بغداد عام ٣٩٢ هـ ١٠٠٢ م ، والفتن قائمه ؛ فقتل وصلب وغرّق ، حتى بلغ من هيئته أنه أعطى غلاماً له صينية فضه فيها دنانير ؛ وأمره أن يأخذها على رأسه ويسير من أول بغداد إلى آخرها علّ أحداً يعترضه ، فعاد وقد انتصف الليل دون أن يعترضه أحد(٢) .

ولم يخرج بيت بنى بويه بعد عضد الدولة جيلاً يصلح للحكم ؛ واضمحلت في

١- المنتظم ص ١٦١ ب .

٢- المنتظم ص ١٥٦ ب وابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ١١١ .

أواخر الأمر مواردهم الماليه ، واختلت المملكة أيام جلال الدوله ، وقُطعت عنه الماده حتى أخرج ثيابه وآلاته وباعها فى الأسواق ، وخت داره من حاجب وفراش وبواب ، وصار أكثر الأبواب مغلقة ، وانقطع ضربُ الطبل له فى أكثر الأيام لانقطاع الطَّبَّالين (١) .

وأما أمراء الترك فيمثلهم بحكم والإخشيده ، وكلُّ منهما جندى ماهر وحاكم قدير ، وإن كان مظهرهما الخارجى لم يكن بشىء .

أما بحكم الفقيه خصال قائد الجند المرتزقه كلها ؛ فقد انتقل من خدمه ما كان الديلمى إلى خدمه مرداويج ؛ وبعد قتل مرداويج ويقال إنه كانت لبحكم يدٌ فى قتله ذهب مع مئات قليله من الترك والفرس إلى ابن رائق ؛ وظل غلمان مرداويج تحت إمره بحكم (٢) .

ولم يكن عددهم عظيما ؛ فيقول مسكويه إنهم كانوا ثلاثمائة غلام استأمنوا إليه (٣) ؛ ثم تقدم ابن رائق إلى بحكم بأن يكابت كل من بالجبل من الأتراك والديلم بالمصير إليه ، فكاتبهم وصار إليه عدده وافرهم منهم (٤) .

ثم استقلَّ بحكم بدوره السياسى الخاص ؛ فأزال اسم ابن رائق عن أعلامه ، وترك الانتساب إليه (٥) .

وحاربه حتى أخرجه من بغداد ، وصار هو أميراً على العراق ؛ وكان معه فى

١- المنتظم ص ١٨٤ ب .

٢- كتاب العيون ص ١٤٨ ج ب .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٧ ، وفى كتاب العيون ص ١٥٥ أب أنهم كانوا مائتين وتسعين غلاما .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٨ ، وكتاب العيون ص ١٤٨ ب .

٥- كتاب العيون ص ١٦٣ .

ذلك الوقت سبعمائه من الترك وخمسمائه من العجم (١).

وكان الخليفة الراضى يحب بحكم أكثر من حبه لابن رائق، وقد خلع عليه خلع المناديه، وجعله أمير الأمراء (٢).

وبعد موت الراضى طمع بحكم فى جماعه من ندمائه، وظن أنه ينتفع مع عجمته بأدابهم؛ فلما نظر لم يجد منهم من يفهمه ما ينتفع به إلا الطبيب سنان بن ثابت، فوصله وأكرمه، وطلب منه أن بداويه من غلبه الغضب والغيط، وإذا عرف له عيباً ألا يحتشم من ذكره له، ثم يرشده إلى علاجه ليزول عنه (٣).

وكان بحكم ذا شجاعه نادره، فقد لقي عشره آلاف من عسكر البريدى بأتم عدده وأكمل سلاح، ولم يكن معه إلا مائتان وتسعون من الأتراك، فهزم عسكر البريدى؛ وفى إحدى المواقع طرح بحكم نفسه مع جماعه من الأتراك فى دىالى، وسبحوا وعبروا إلى الأرض التى عليها العدو، وذلك أمام عينه، وعبر الديلم فى الطيارات وبعضهم عبر سباحه؛ وقاتل العدو، وهو يظن أنه منه فى أمان، حتى هُزموا وانصرفوا بين يديه (٤)؛ وخرج ابن رائق من بغداد، ولم يتشَفَّ بحكم منه، فلما كان مع الراضى فى سِيرٍ من رأى، وورد الخبر بخروج ابن رائق إلى باب الأنبار استأذن بحكم الخليفه فى أن يعبر من سِيرٍ من رأى إلى هيت مجتازاً الصحراء ليأخذ على ابن رائق الطريق فلا يفوته، فلم يأذن له الراضى

١- كتاب العيون ص ١٦٤ .

٢- الأوراق للصولى ص ٥٥٥٣، وكتاب العيون ص ١٦٧ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٦ والصفحات التالیه .

٤- كتاب العيون ص ١٥٥ ب .

وقال : هذا لا يصح ، لأنه رجل قد أُمِّتته ، وإذا فعلنا ذلك بعد الأمان كان قبيحاً (١) .

وقد غلب بحكم هذا سيفَ الدوله صاحب الانتصارات المشهوره على الروم كلما نزل سيف الدوله لمحاربتة .

ولما جاء بحكم إلى بغداد حمل معه كثيراً من ضروب الغلظه التي اقترنت بحياته الجنديه ؛ وعند ما دخل واسط طالب أهلها بالمال واشتد في تعذيبهم حتى كان يضع على بطن الرجل منهم طستاً فيه جمر ؛ فتبته البعض إلى أنه يفعل ما كان يفعله مرداويج بأهل الجبل ، ودكَّره بأنه في بغداد ودار الخلافه لا الرى وإصبهان ، ولا تحتمل بغداد هذه الأخلاق (٢) .

وقد أبغض أهل بغداد بحكم لقبح سيرته ، فلما ظهر ابن رائق سُزوا به ، وأظهروا ما في أنفسهم من بغض بحكم ، فكان العيثارون والصبيان يهزأون ببجكم ورجاله ويقولون : بجكم حلقوا نصف سباله ؛ فإذا رأوا تركيا عليه قلنسوه صاحوا به : قلنسوه طيرى ! ليس أميرنا بجكم (٣) .

على أن بجكم كان أميراً محبا لعماره البلاد ، حتى إنه رأى قصور الأكاسره الخربه فى المدائن ، فعمر مواضع كبيره فى تلك الناحيه وأنشأها ، وأجرى إليها الأنهار ، وغرس بها غروساً (٤) .

وكان يدفن أمواله فى الصحراء ويأخذ معه رجالا ليعاونوه ، فيطبق عليهم

١- نفس المصدر ص ١٧٦ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٥٧٠ ؛ وانظر أواخر الفصل الخاص بالماليه فيما يأتى .

٣- كتاب العيون ص ١٧٥ ب .

٤- نفس المصدر ص ١٨٠ .

الصناديق ، ويحملهم على بغال إلى جوف الصحراء ؛ وبعد أن يدفن المال يطبق عليهم الصناديق ويعود بهم فلا يدرون إلى أين ذهبوا من أرض الله ولا من أين جاءوا .

وكان هو يتخذ لنفسه علامات يهتدى بها(١) . وأصل هذا التصرف راجع إلى بساطه بجكم وتخبطه فيما يجهله من الأمور غير العسكريه .

أما محمد بن طغج فأصله من أولاد ملوك فرغانه ، وكان جده قد جاء من التركستان في عهد الخليفة المعتصم ؛ وكان هذا الخليفة أول من جلب الكثير من الجنود الأتراك واستخدمهم ، أما أبوه فقد ارتقى حتى صاروا ليا على دمشق ، ولكنه عُزل وسُيِّج هو وابنه محمد ، فذاق هذا الأخير من الحياه حلوها ومرّها ؛ وخدم ابن طغج قواداً كثيرين ، حتى إنه كان مرّه بازياراً لعامل الشام يخرج معه للصيد ويحمل معه الجوارح ؛ وقد أتاحت له فرصه لإظهار شجاعته عند حاكم مصر مما رفعه إن منصب والى مصر ؛ ثم صار أميرها المستقل ، وامتد حكمه أخيراً على بلاد تساوى في المساحه أكبر رقعته حكمها ملوك الفراعنه ، فكانت له مصر والشام واليمن ومكه والمدينه وغيرها(٢) ؛ فلا عجب إذاً أن نرى الخليفه المستكفي يكتب إلى الإخشيد ويعرض عليه إماره بغداد بعد موت توزون ، ويضمن له القيام بالأمر ، فلا ينشط لذلك ؛ وكان الإخشيد أزرق

١- مسكويه ج ٦ ص ٣٩ ٤١ ؛ وانظر أيضاً الفصل الخاص بالماليه فيما يأتي .

٢- انظر ترجمه محمد بن طغج في كتاب وفيات الأعيان ج ٣ ص ٥٥ ٦٤ ، وكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد طبعه ليدن ١٨٩٨ من ص ٤ إلى ص ٢٠ .

بطيناً (١) .

وكان شديد القوه لا يقدر على أن يجزَّ قوسه غيره ؛ ولكنه كان قد ثار به طرف من سواد مرّه ، فكان يعتاده فيخلط (٢) ؛ وقد حَسُنَ حالُ مصر على يديه ، وعنى بالنظام فيها ، وأمر بضرب الدينار الإخشيدى على عيار كامل ، وصلحت النقود فى عهده بعد فسادها (٣) .

وكان جيشه أعظم جيوش عصره ، فلما استدعاه المتقى فى عام ٣٣٣ هـ ٩٤٤م ، واقترب من الرقه والرافقه أشرف أهلها على السواحل والأسوار ونظروا من عظم العسكر وحسن عدنه مالم يشاهدوا مثله (٤) .

وقد التقت فى الإخشيد خصلتان : السداجه وحب التملك ، فكان اجتماعهما طريفاً ؛ وقد بدأ بمصادره جميع العمال الأغنياء ، أصدقاء كانوا أم أعداء ، وأخذ أموالهم فى هدوء من جانبه وبرود ؛ وكثير منهم كان يستحق هذا . وقد اشتهرت عنه محبته للعنبر ، فكان أكثر ما يهدى إليه ؛ وكان إذا جاءت الأوقات التى يهدى إليه فيها أخرج من خزائنه العنبر وباعه إلى التجار ، فيشتره الذين يهدونه إليه ، فيحصل له الثمن الوافر ، ثم يعود العنبر إليه (٥) .

وتحكى عنه حكايات تدل على أنه كان لا يأنف أن يأخذ ما يعجبه إذا وجده

١- كتاب المغرب لابن سعيد ص ٣٩ .

٢- نفس المصدر ص ١٦ ١٧ .

٣- كتاب العيون ص ٢٠٩ ب .

٤- نفس المصدر ص ٢١٣ ب .

٥- المغرب لابن سعيد ص ٣٥ ٣٦ .

عند أحد من أصحابه(١).

ولكن كان الغالب على الإخشيد الحياء ورّفقه الوجه ، وكان إذا صادر أحداً لم يعذّبّه ولم يضربه ، ولم يضيق عليه ، ولم يره حتى تنتهى المصادر ، وكان رسمه ألا يتعرّض للحُرْم(٢).

وكان يحب الصالحين ويكرمهم ويركب إليهم ويطلب دعاءهم . يقول ابن سعيد(٣) : «وحدثني مسلم بن عبد الله الحسيني قال : وصفت للأخشيد رجلاً صالحاً بالقرافه يعرف بابن المسبّب ، فركب معي إليه ، وسأله الدعاء ، ثم انصرف .

فقال لي : تعال أريك أنا أيضاً رجلاً صالحاً ؛ فمضيت معه إلى أبي سليمان بن يونس ، فرأيت شيخاً أديباً جالساً على حصر سامان مَبْطَن ، فقام فتلقّى الإخشيد وأقعده على الحصير ؛ فأدخل يده تحت الحصير فأخرج منه منديلاً نظيفاً مطويًا فغطاه على يده وقراء عليه» . وكان الإخشيد يحب قراءه القرآن ويبكى عند سماعها(٤).

وقد وقع له مره أمرٌ عجيب ؛ وذلك أن رجلاً من أهل العراق صعد فوق زمزم بمكه وصاح : معاشر الناس ! أنا رجل غريب ، ورأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو يقول لي : سِرّ إلى مصر ، والحق محمد بن طغج ، وقل له عنّي يطلق محمد بن علي المادراي ، فقد أضرب بولدي . ثم سارت القافله إلى مصر ، وسار الرجل

١- انظر الفصل الخاص بالأخلاق والعتادات .

٢- المغرب لابن سعيد ص ١٥ ، ٣٧ .

٣- المغرب ص ٣٤ ٣٥ ، ص ٣٩ .

٤- نفس المصدر ص ٣٧ .

ووصل إلى مصر وبلغ الإخشيد خبره ، فأحضره ، وقال إيش رأيت ؟ فأخبره ، فقال : كم أنفقت في مسيرك إلى مصر ؟ قال : مائه دينار ، فقال : هذه مائه دينار من عندي ، وُعد إلى مكة ، ونم في الموضع الذي رأيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا رأيت فقل لرسول الله : قد بلغت رسالتك إلى محمد بن طعج ، فقال : بقي لي عنده كذا وكذا ، وذكر شيئاً كثيراً ، فإذا دفعه إلى أطلقته ، فقال له الرجل : ليس في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله هزل ، وأنا أخرج إلى المدينة ، وأنفق من مالي وأسير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأقف بين يديه يقظان بغير منام ، وأقول : يا رسول الله أديت رسالتك إلى محمد بن طعج ، فقال لي كذا وكذا ، وقام الرجل ؛ فأمسكه ، وقال : حصلنا في الجد ؛ إنما طئنا بك ظناً ، والآن فما تبرح حتى أطلقه ، فأرسل إليه الإخشيد من توسط في أمره وأطلقه (١) .

وفي سنة ٣٣١هـ ٩٤٢م ورد الخبر من دمياط إلى مصر بأن رجلاً أقطع اليد قديماً ، ممن قد أخذ مع قوم اتهموا بقطع الطريق ، غاب عن البلد زماناً ثم عاد ويده صحيحة ، وقد ادعى أنها كانت مقطوعة وأنها كانت عند أهله ؛ وقال إنه كان في مسجد يتعبد فيه وأن يده عادت صحيحة ؛ فافتتن الناس به وكثر القول فيه ، فوجه الإخشيد من أحضره إلى داره ، وسأله عن قصته فقال : رأيت في النوم كأن سقف المسجد قد انفتح ونزل إليّ منه ثلاثه أنفس : النبي وجبريل وعلى عليهم السلام ؛ فسألت النبي ردّ يدي ، فردّها إليّ ، وانتبهت ، وقد عادت . وورد من دمياط كتاب بأن جماعه من المستورين رأوه مقطوع اليد ؛ فأوصله الإخشيد إليه وأكبره ،

واستعظم قدره الله تعالى فيه ، ثم قيل إن هذا الرجل دلس وكذب ، وزالت الفتنة والله أعلم (١).

١- كتاب العيون ص ٢٠٩ ب ٢١٠ .

تعليقات الفصل الثالث

[*١] اظن ان السبب الأصيل لجعل هذه الحكاياه وأمثالها كون عضد الدولة من أسره شيعيته حكمت كثيراً من البلاد الاسلاميه ومنها بغداد وهم الذين عطل في أيامهم يوم عاشورا الاشتغال والتجاره وقام الناس لمراسم العزاء على أبى عبد الله الحسين بن على عليهما السلام كما تعرّض له المصنف ص ١١٤ ١١٨ .

وقد ذكر(١) ابن ابى الحديد تصوير لملوك الروم والديلم صوره أميرالموءمنين عليه السلام على أسيافهم وكان على سيف عضد الدوله بن بويه وسيف أبيه ركن الدوله صورته(٢) ولعضد الدوله(٣) قصه مع عمران بن شاهين ومسجده إلى الآن عامر في طريق الصحن العلوى المطهر إلى خارج باب الطوسى فى النجف الأشرف تذكر فى معجزات مولانا أميرالموءمنين عليه السلام .

١- شح النهج الحديدى ج ١ ص ٢٩.

٢- ويذكر المترجم ذيل ص ٤٧٩ ابن الحجاج أصر أن يكتب على قبره و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد.

٣- سفينه البجار ج ٢ ص ٢٧٤ بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٣١٩-٣٢٠.

الفصل الرابع: اليهود والنصارى

إشارة

إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وبين أوروبا التي كانت كلها على المسيحية في العصور الوسطى وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين ، وأولئك هم «أهل الذمه» الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلاً بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحده سياسيه . وقد ظلت كنائس اليهود والنصارى وأديرتهم أجزاء غريبه ، واستند أهل الذمه إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود وما منحوه من حقوق فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين ؛ وقد حرص اليهود والنصارى على أن تظل «دار الإسلام» دائماً غير تامه التكوين ، حتى إن المسلمين ظلوا دائماً يشعرون أنهم أجانب منتصرون لا أهل وطن ، وحتى إن الفكره الإقطاعيه لم تمت ؛ بل كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح التي ينادى بها المصلحون المحدثون . وكانت الحاجه إلى المعيشه المشتركه وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق مما أوجد من أول الأمر نوعاً من التسامح الذى لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى ؛ ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان ، أى دراسه الملل والنحل على اختلافها ، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم .

وكان تغيير [١] الدين لا يجوز إلا إذا كان دخولاً في الإسلام؛ فكانت الطوائف الدينيه منفصله بعضها عن بعض تمام الانفصال ، وكان المسلم [١] إذا ارتد عن الإسلام عوقب بالقتل ، كما أن قانون الدوله البوزنطيه كان يقضى بقتل المسيحي إذا هو غير دينه (١).

١- ولا بد أن يكون قد سبق هذا التشريع محاولات إلى الارتداد عن الإسلام ، وقد حدث في أوائل عهد الفاطميين أنه : «رفع إلى محمد بن النعمان القاضي (٣٤٥ هـ ٣٨٩ هـ) أن نصرانيا أسلم ، ثم ارتد ، وقد جاوز الثمانين ، فاستتيب فأبى ، فأنهى أمره إلى العزيز ، فسلمه لوالى الشرطه ، وأرسل إلى القاضي أن يرسل أربعة من الشهود ليستيبوه ، فإن تاب ضمن له عنه مائه دينار ، وإن أصر فليقتل ؛ فعرض عليه الإسلام فأبى ، فقتل ، ثم أمر بتغريقه فى النيل» (ملحق أخبار القضاة للكندى طبعه Guest ، ليدن ١٩١٢ ص ٥٩٣) ؛ وقد حدث فى بلده سروج بالعراق فى القرن الثالث الهجرى أن رجلا من المتشددين فى الإسلام عذب نصارى ارتدوا بعد إسلامهم بصروف العذاب ليعيدهم إلى الإسلام ، فأمر به القاضى فُضرب وسجن (Michael Syrus, S. ٥٣٥)، ويقول أبو العلاء المعرى (المتوفى عام ٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م) : . وقد أسلم الرجل النصران مرتغياً وليس ذلك من حب لإسلام أو شائ تزويج مثل الطبى ملعمه للناظرين بأسوار وعلام (اللزوميات طبعه بمباى ص ٢٥٠) . ومن كبار رجال الدين المسيحيين من دخل الإسلام ، فصبّ عليه موءرخو الكنيسه لعنتهم ؛ ففى أواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) اتهم رئيس الأساقفه النسطوريين بمدينة مرو باللواط اتهاماً عليا ، فاعتنق الإسلام ؛ وكان يحط من شأن المسيحيين لدى البلاط (Barhebraeus, Chron. Eccles. III, ١٧١ ff) ؛ وحوالى عام ٣٦٠ هـ ٩٨٠ م اعتنق أسقف أذربايجان الإسلام بعد أن قبض عليه يزننى بامرأه مسلمه (نفس المصدر ص ٢٤٧) ، وفى سنه ٤٠٧ هـ ١٠١٦ م هدد رئيس أساقفه مدينه تكريت بالخلع بسبب ارتكابه للزنا ، فدخل الإسلام وتسمى بأبى مسلم ، وتزوج كثيراً من النساء ؛ ويحكى الموءرخون المسيحيون مسرورين أنه لم ينل من التشريف عند الخلفاء ما كان يناله وهو رئيس لأبناء دينه ، وأنه فى آخر حياته كان يعيش من التكفف (Elias Nisibenus. S. ٢٢٦, Barhebr. Chron. Eccles. III, ٢٨٧ ff) ؛ وكذلك فى الأندلس خُلع أحد الأساقفه الكبار ، وهو صموئيل أسقف مدينه البيرا Elvira لسوء سيرته ، فاعتنق الإسلام (Graf Baudissin, Eulogius Und alvar, ١٨٧٢, S. ١٦٢) . ولقد تمثل أبو العيناء بمثل فريد فى بابهِ فى القرن الثالث الهجرى ، وذلك أنه استأذن يوماً على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول ، فانتظر ؛ فلما أبطأ إذنه قال للحاجب : ما صنع الوزير ؟ قال : يصلى ، قال : صدقت ، لكل جديد لذه ؛ يعيره بأنه حديث عهد بالإسلام (مروج الذهب للمسعودى ج ٨ ص ١٢٢ ١٢٣) .

ولم يكن ثمَّ تزويج بين المسمين ، وذلك لأن القانون المسيحي لم يكن يجيز للمرأة النصرانية أن تتزوج بغير نصراني ، لثلا تنتقل هي وأولادها إلى غير المذهب ، ولا كان يجوز للنصراني بحسب قانون الكنيسة أن يتزوج بغير نصرانية إلا رجاء إدخالها هي وأولادها في النصرانية(١) .

أما زواج المسيحي من مسلمه فكان مستحيلا . على أنه كان في الدوله الإسلاميه ما يضمن لكل ديانه من ديانات أهل الذمه كيانها الخاص ، فكان لا يجوز للمسيحي [١] أن يتهود ، ولا لليهودي أن يتنصر ؛ ولا يكون تغيير الدين إلا إذا كان ذلك دخولا في الإسلام ؛ ولم يكن النصراني [٢] يرث اليهودي ولا العكس ، كما لم يكن اليهودي [٣] أو النصراني يرث المسلم ولا المسلم غير المسلم يهودياً كان أو نصرانياً(٢) .

وقد أصدر الخليفه المقتدر في سنه ٣١١هـ ٩٢٣م كتاباً في الموارث أمر فيه بأن « تُردَّ تركه من مات من أهل الذمه ، ولم يخلف وارثاً ، على أهل ملته » ، على

١- Sachau: SvrlicheRechtsbuche. ١١، S ٧٥، ١٧٠، ١٩٢

٢- كتاب الخراج وصنعه الكتاب لقدامه بن جعفر ، مخطوط رقم ٥٩٠٧ بالمكتبه الأهليه بباريس ص ١٣ب ، حيث ورد في عهد لقاض بولايه الحكم ألا يورث أهل ملتين .

حين أن تركه المسلم كانت تردّ إلى بيت المال(١). [١]

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى صدر منشور كُتب للصائبين عن أميرالمؤمنين ، أمر فيه ، إلى جانب صيانتهم وحراستهم والذبّ عن حريمهم ورفع الظلم عنهم ونحو ذلك ، بالتخليه بينهم وبين مواريتهم ، وترك مداخلتهم ومشاركتهم فيها ، لأن أميرالمؤمنين يرى فى مواريت الصائبين وغيرهم من المخالفين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ يقول فى الأثر الثابت عنه : «لا يتوارث أهل ملّتين»(٢). [١].

وفى أثناء القرن الرابع الهجرى اعترف للمجوس بأنهم أهل ذمه ، إلى جانب اليهود والنصارى ؛ وكان لهم ، كاليهود والنصارى ، رئيسٌ يمثلهم فى قصر الخلافة وعند الحكومه ؛ ولكن كان بين هذه الطوائف الثلاث فروق ؛ فأما اليهود فإنهم استطاعوا أن يستنقذوا مركزهم السياسى من خلال الاتحاد المفكك الذى كان للإمبراطوريه البابليه رغم ما تعرضوا له من مخاطر وتقلبات ؛ وأما المجوس فهم بقيه لعدو باسل مستقل لم يتمّ التغلب عليه فى مواطنه البعيده المنال ؛ أما

١- كتاب الوزراء ص ٢٤٨ ؛ [وبظهر أن الحال كانت قبل عهد المقتدر فيما يتعلق بالمسلمين أن توءخذ تركه من لا وارث له إلى بيت المال ، وكذلك ما يفضل عن السهام المفروضه فى القرآن ، إن لم يكن المتوفى عصبه تحوز باقى ميراثه ؛ وكان لذلك عمال يسمون عمال المواريت ، وقد اشتطوا حتى شكى منهم الناس . والمفهوم من نص كتاب المقتدر أنه أمر بصرف عمال المواريت ، وقد اشتطوا حتى شكى منهم الناس . والمفهوم من نص كتاب المقتدر أنه أمر بصرف عمال المواريت فى سائر النواحي ، وأمر برد ما يفضل من السهام المفروضه على أصحاب السهام من القريه ويجعل تركه من يتوفى ، ولا عصبه له ، لذوى رحمه ، إن لم يكن له وارث سواهم ؛ وهذا رأى عمر وعلى وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم . على أن الكتاب لم يتعرض لتركه المسلم الذى يموت ولا يكون له وارث ولا رحم المترجم].

٢- رسائل الصابى مخطوط رقم ٧٦٦ بمكتبه ليدن بهولنده ص ٢١١ ب .

النصارى فقد كانوا من قبل يخضعون لحكم الساسانيين على ما يشبه حال أهل الذمه ، وكانت الظروف التى عاشوا فيها أقسى عليهم من غيرهم وأقل حفظاً لمصالحهم من اليهود أو من شعوب الولايات التى أخذت من الروم (١) ؛ «وكانت الرياسة فى المجوس واليهود وراثيه ، وكان يلقب روءسائهم ، بلقب المُلْك ، وكانوا يدفعون الضرائب لرؤسائهم ، خلافاً لما كان الحال عليه بالنسبة للنصارى» (٢) ؛ وقد قال بطيريك اليعاقبه فى مجلس له مع الخليفه : إن روءساء المجوس واليهود حكام دنيويون ، وإنه هو رئيس روحى ، ولا- يستطيع إلا- فرض العقوبه الروحيه ، كان يحكم بإزاله القسس والأساقفه عن مناصبهم أو بمنع العلمانيين من حضور البيعه (٣) .

وصار الجاثليق النسطورى ، رئيس المسيحيين الشرقيين ، بعد أن انتقل مركز الدوله الإسلاميه إلى الشرق ، هو الرئيس الأكبر للنصرانيه ، وكانت تنتخبه الكنيسه ويصادق الخليفه على انتخابه ، ويكتب له عهداً كما يكتب لكبار العمال والمتصرفين ، وقد وَرَدَ فى نسخه عهد الجاثليق عام ٥٥٣٣ هـ ١١٣٩ م (٤) .

«ولما أَنهَيْتُ حالك إلى أميرالموءنين ، وأنك أمثلُ أهل ملّتك طريقهً ، وأقربهم إلى الصلاح مذهباً... وحضر جماعهً من النصارى الذين يُرجع إليهم فى استعلام

١- Noldeke : Taburfbuersetzung, S. ٤٨. Anm

٢- Michael Syrus. ed. Chabot, S. ٥١٩ . ؛ وكان أهل الذمه فى الموصل يدفع كل واحد منهم ديناراً ؛ وكان نصف ما يحصل من اليهود يعطى لرئيسهم ونصفه الآخر الحكومه (R. Petachja, S. ٢٧٥) .

٣- Dionys. von Telimachre, ed. Chabot, ١٤٨, Barhebraeuse, Chronicon - ecclesiasticum, ed. Abbelocs et Lamy ١, ٣٧٢

٤- نقلا عن تذكره ابن حمدون التى نشرها أمد روز ٤٦٧ ff, ١٩٠٨, Amedroz JRAS.

سيره أمثالك ... فاتفقوا باجتماع من آرائهم وأهوائهم على اختيارك لرياستهم ومراعاة شؤونهم وتديبر وقوفهم والتسويه فى عدل الوساطه بينهم ، قوئهم وضعيفهم ، وسألوا أيضاً نَصَبَكَ عليهم بالإذن الذى به تثبت قواعده ... وبرز الإذن الإمامى الأشرف لازالت أوامره معضوده بالتوفيق بترتيبك جاثليقاً لنسطورىى النصارى بمدينة السلام ومن تضمنته ديار الإسلام وزعيما لهم ومن عداهم من الروم واليعاقبه والمَلَكِيه فى جميع البلاد وكل حاضر فى هذه الطوائف وبإدِ وانفرادك عن كافه أهل ملتك بتقمص أهبه الجثلقه المتعارفه فى أماكن صلواتكم ومجامع عباداتكم غيرَ مشارك فى هذا الإنسان ولا مفسح فى التحلى به لمطران أو لمطران أو أسقف أو شماس (١). حطاً لهم عن ربتك ووقوفاً بهم دون محللك ؛ وإن ولج أحد فى باب المجادله .. وأبى النزول على حكمك .. كانت العقوبه به حائقه حتى تعتدل قنائه .. وأمر بحملك على مقتضى الأمثله الإماميه فى حق من تقدمك من الجثالقه .. والحياطه لك ولأهل ملتك فى الأنفس والأموال والحراسه للكافظ بصلاح الأحوال واتباع العاده المستمره فى مواراه أمواتكم وحمايه بيعكم ودياراتكم .. وأن يقتصر فى استيفاء الجزيه على تناولها من العقلاء والواجدين من رجالكم (٢) ، دون النساء ومن لم يبلغ الحُلْم من أطفالكم ، ويكون استيفاؤها

١- كانت علامه الجاثليق ، كما يقول الجاحظ ، برطله وعصا (ولعل البرطله آتية من الكلمه اليونانيه hyperbple انظر البيان والنيين طبعه مصر ١٣١١هـ ج ٢ ص ٧٦) على أنه يحكى عن أحد أصحاب الضياع المسلمين فى القرن الثالث الهجرى أنه كان يطوف على ضياعه وعلى رأسه برطله خوص ، انظر كتاب المحاسن والمساوى لليهقى ؛ الطبعه الأورويه نشرها (Friedrich Schwally) عام ١٩٠٠ ١٩٠١ ص ٥٦٦ .

٢- أن تخمين أمد روز لا ضروره له ، فإن الجاثليق لم يكن يقبض الجزيه بل الذى كان يقبضها عامل الخراج .

نوبه واحده فى كل سنه من غير عدول فى قبضها عن قبضه الشرع المستحسنه ، وقسح (هكذا فى النص) فى أن تتوسط طوائف النصارى فى محاكماتها فتأخذ النصف من القوى للمستضعف» .

وكذلك كان يكتب لطريق اليعاقبه عهداً ، فكان لا بد له أن يذهب إلى قصر الخلافه عند تنصيب كل خليفه جديد(١) .

ولكن الخليفه منعه حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م من أن يتخذ ببغداد مقرّاً له(٢) .

وكان للنصارى النوبيين دون سائر النصارى مركزٌ خاص ممتاز فى المملكه الإسلاميه ، فكانوا يدفعون الضرائب لملكهم ، وكان للضرائب عامل من قبله فى بلاد الإسلام ، وقد حدث أن واحداً منهم اعتنق الإسلام ، وكان ابن ملك النوبه ببغداد زائراً ، فأمر باعتقاله وغلّه بالقيود(٣) .

ولا يتكلم الموءرخون المسلمون كثيراً عن رئيس اليهود ؛ ويقول موءرخون اليهود إنه عانى فى القرن الرابع أياما شديده(٤) ؛ وقد تكلم عنه بنيامين (Benjamin von Tudela) وبتاحيا (Petachja von Regensburg) فى القرن السادس الهجرى .

١- Michael Syrus, S. ٥١٩ -

٢- Barhebraeus, Chron. Eccles. III, ٢٧٥, Aum.١ -

٣- نفس المصدر ج ١ ص ٣٨٤، و٥٣٢. Michael Syrus, S. ٥٣٢ -

٤- H. Graetz, Geschichte der juden, V, ٤. Aufl. S. ٢٧٦ ff - وفيما يتعلق بالمراجع العربيه التى تكلمت عن رأس الجالوت انظر Goldziher: Revue des : etudes juives, VIII, ١٢١ff . وقد نقل جولدزيهر عن موءلف عربى مجهول : الجالوت رئيسهم ، ويزعم عامتهم أنه لا يرأس [حتى يكون طويل الباع] حتى تكون أنامل يديه تبلغ ركبتيه ، انظر أيضاً مفاتيح العلوم لأبى عبد الله الخوارزمى طبعه ليدن ١٨٩٥ ص ٣٥ . انظر فصل «الأشراف» .

وقد كان انقسام الإسلام إلى خلافه ببغداد وأخرى بالقاهرة مما أثر في تنظيم المجتمع اليهودي ، ولذلك نجد ببغداد رأس الجالوت الذي لقبه المسلمون بسيدنا ، ولكن كلمته كانت لا تسرى إلا شرقي الفرات(١) ؛ ونجد في القاهرة رئيسا آخر يلقب سر هساريم (أى أمير الأمراء) ، وكان يعين أحبار اليهود في الشام ومصر ، أى في حدود مملكة الفاطميين(٢) .

ولا بد أن يكون الفاطميون قد تكلفوا إيجاد هذه الطائفة الخاصة من الأمراء (ناجيد أمير) بالقاهرة رغبة منهم في معارضة كل ما هو ببغدادى ؛ فعندنا من القرن الثانى عشر الميلادى ، أى بعد سقوط دوله الفاطميين مباشرة ، كتابٌ لرئيس الطائفة اليهوديه بمصر موجّه إلى ببغداد يشكو فيه من إمام غير مقبول أرسل من ببغداد(٣) ؛ ويقدر ربّي بنيامين (وهو رحاله سافر عام ١١٦٥م) اليهود الذين فى المملكه الإسلاميه بعد صرف النظر عن المغرب بنحو ثلاثمائه ألف يهودى ، على حين أن ربّي بتاحيا وقد سافر بعد صاحبه بعشرين عاما يقدر أن عدد اليهود فى العراق وحدها يبلغ ستمائه ألف(٤) .

ولا- تنطبق هذه الأرقام على اشام فى القرن الرابع الهجرى لأن السياسه التى جرى عليها قواد الصليبين إزاء اليهود كادت تفنى الطائفة الإسرائيليه ؛ ويقدر بنيامين عدد سكان الحى الخاص باليهود فى القدس بأربعه أنفس(٥) ؛ ولم يجد

١- Benjamin, S. ٦١ . وعند بتاحيا أن أمره نافذ فى دمشق وعكا .

٢- Benjamin, S. ٩٨ .

٣- Mitteil. Samml. Erz. Rainer, V, ١٣٠ .

٤- Petachja, S. ٢٨٩ .

٥- ويذكر أن عددهم مائتان ، وذلك فى مخطوط واحد .

بتاحيا هناك إلا شخصاً واحداً . ويقول بايلومارسيلوس جورجيوس (Bailo Marsilius Georgius) في خبر يرجع تاريخه إلى أكتوبر ١٢٤٣م إنه لم يكن في الحى الخاص بالبندقين في صور إلا تسعة من شبان اليهود(١).

أما بنيامين فيقول إنه كان يسكن دمشق ثلاثة آلاف يهودى تحت حكم المسلمين وعند بتاحيا عشرة آلاف وفي حلب خمسه آلاف يهودى . أما على نهري دجله والفرات فكان اليهود مجتمعين بكثره كما كانوا بألمانيا في ذلك الوقت على نهري الرين والموزل . وقد كانوا كثيرين على نهر دجله بنوع خاص ، يقول ربى بتاحيا(٢) : «وتمَّ يهود في جميع المدن والقرى التى بين نينوى ودجله» . وكان في جزيره ابن عمر أربعة آلاف ، وفي الموصل سبعة آلاف (وعند بتاحيا ستة آلاف) ، وفي مدينه حربه بأقصى الشمال في العراق خمسه عشر ألفا ، وفي عكبرى وواسط عشرة آلاف ، ولكن من العجيب أنه لم يكن يوجد ببغداد إلا ألف يهودى(٣) ؛ وكانت المدن التى بها يهود كثيرون على الفرات هى مدينه الحله ، وكان بها عشرة آلاف ، والكوفه ، وكان بها سبعة آلاف ، والبصره وكان بها ألفان ، وفي أوائل القرن الرابع الهجرى كان اليهودهم أكثر أهل مدينتى سورا ونهر ملك

Tafel und Thomas, Urkunden zar alteren Handels Staafsgws chichte der Republik – ١
Venedig Wien, ١٨٥٦,II,S.٣٥٩.

٢- ص ٢٧٩ .

٣- Benjamin S. ١٩ وكذلك Petachja, S. ٢٨٠ . ويقال إن بها اليوم أكثر من أربعين ألف يهودى ، لهم إحدى وعشرون بيعة ؛ انظر كتاب Ohermeyer, Modernes Judentum, Wien, ١٩٠٧. S.٢٣ ، وفي الطبعة الأخيره لكتاب بنيامين أربعون ألفاً ، وهذا لايتفق مع ما يقوله بتاحيا ، ولا مع ما كان يتحصل من الجزيه (انظر ص ١١) .

من بين أجزاء العراق الأخرى (١).

وكلما تقدمنا شرقاً زاد عدد اليهود ، فكان بهذان ثلاثون ألفاً ، وبأصفهان خمسة عشر ألفاً ، وبشيراز عشرة آلاف ، وبغزنه ثمانون ألفاً ، وبسمرقند ثلاثون ألفاً (٢).

ويقول المقدسى فى القرن الرابع ما يؤيد هذا فيذكر أن بخراسان يهوداً كثيرين ونصارى قليلين (٣) ، وأن بالجليل يهوداً أكثر من النصارى (٤).

وكان بالمشرق أيضاً المدينتان الوحيدتان اللتان أطلق عليهما اسم اليهوديه : إحداهما قرب أصفهان والأخرى شرقى مرو . وكذلك وجد المقدسى إقليم خوزستان «قليل النصارى غير كثير اليهود أو المجوس» (ص ٤١٤) ، وكذلك فى فارس وجد «المجوس أكثر من اليهود ، وبه نصارى قليل» (٥) (ص ٤٣٩) .

وكذلك الحال فى جزيره العرب ، فاليهود أكثر من النصارى (مقدسى ص ٩٥) ، وهم الغالب على مدينه قرح ، ثانيه مدن الحجاز عماره وتجاره (مقدسى ص ٨٣ ٨٤) . أما مصر فالأرقام التى ذكرها بنيامين أقل مما تقدم بكثير (٦) :

١- أخبار الحكماء للنفطى الطبعه الأوربيه ص ١٩٤ .

٢- هذه الأرقام تقريبيه لأن بنيامين لم يزر المشرق ، ويقال إنه كان فى مدينه خبير ، وهى مدينه صغيره بجزيره العرب ، خمسون ألفاً من اليهود ، وهذا عجيب .

٣- المقدسى ص ٣٢٣ .

٤- نفس المصدر ص ٣٩٤ .

٥- ويقول أحد مؤلفى القرن الرابع عشر الميلادى إن مدينه أبرقوه بفارس تمتاز بأن أبناء اليهود فيها لا يعيشون أكثر من أربعين

يوماً ، انظر S. ٦٥ ، ١٩٠٣ Hamdallah Mustawfi von G. Le Strange .

٦- وهو يتفق مع المقدسى حيث يقول (ص ٢٠٢) : «ويهود قليل» . ويقال : إن اليهود كانوا فى العصور القديمه يوءلفون أكثر من

ثمن السكان (١,٢٧ Caro, Wirtschaft segeschichichte der Juden, ١٩٢٧)

فكان بالقاهرة سبعة آلاف وبالإسكندرية ثلاثة آلاف ، وبمدن الدلتا نحو ثلاثة آلاف ، وثم ستمائه في المدن التجارية بالصعيد .

أما عدد النصاب فلا يمكن تعيينه إلا تعييناً تقريباً ناقصاً جداً ؛ وفي عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان عدد الذين دفعوا الجزية خمسمائة ألف إنسان(١) ، واما معنى هذا أن أهل الذمة بلغوا خمسمائة ألف منهم اليهود(٢) ؛ ويدل إحصاء سكان مصر في القرن الثاني الهجرى على أنه كان بها خمسة ملايين من القبط يدفعون الجزية(٣) .

وهذا يدل على أنه كان بمصر زهاء خمسة عشر مليوناً من النصارى الأقباط(٤) ؛ وبلغ مقدار الجزية ببغداد في أول القرن الثالث الهجرى مائة ألف وثلاثين ألف درهم(٥) ، وفي أوائل القرن الرابع بلغت مائة وستين ألف درهم(٦) .

وبدل هذان الرقمان على أنه كان ببغداد نحو من خمسة عشر ألفاً من أهل الذمة يدفعون الجزية ، ويجب أن نسقط منهم ألف يهودى . ونستطيع أن نقول

١- كتاب المسالك والممالك لابن خردادبه ، طبعه ليدن ص ١٤ .

٢- ولكن يجب أن يراعى أن الجزية لم تكن تؤخذ من جميع أهل الذمة [المترجم] .

٣- ١٥٢ ، S. Führer durch die Samml. Rainer .

٤- يبلغ سكان مصر بحسب إحصاء ١٩٠٧ اثني عشر مليوناً ، [والآن (١٩٥٦) يزيدون على اثنين وعشرين مليوناً المترجم] .

٥- ابن خردادبه ص ١٢٠ ؛ ويقول قدامه بن جعفر فى كتاب الخراج (طبعه ليدن ص ٢٥١) إن جزية أهل الذمة بلغت مائتى ألف درهم عام ٢٠٤ هـ .

٦- ٨١٣ ، S. ٣٦ ، Kremer: Einnahembudget der Abbasiden, DWA.

بشيء من اليقين إنه كان ببغداد ما بين أربعين وخمسين ألف نصراني ، والمدينتان الوحيدتان فيما بين الفرات ودجلة اللتان يقول ابن حوقل إن أكثر أهلهم نصارى هما الرُّها وتكريت ؛ ويقول عن تكريت إنها مدينة قديمه البناء ، وتجمع سائر فرق النصارى ، وبها من البيع والأديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام والحواريين ، لم تتغير أبنيتها وثاقه وجلداً (١) .

أما المجوس فكانوا كثيرين بالعراق (٢) ، وأكثر ما كانوا في جنوب فارس وفي سنة ٣٦٩ هـ ٩٧٩م وقعت فتنه عظيمه بينهم وبين عامه شيراز من المسلمين ؛ ونُهبَت في هذه الفتنة دور المجوس ، وضُربوا ، فسمع عضد الدولة الخبر وجمع كل من له أثر في ذلك وبالغ في تأديبهم وزجرهم (٣) ؛ ولكن شيراز كانت مدينة هادئة في العاده ، وقد عجب المقدسى من أنه لم يَرَ فيها على مجوسى غياراً يميّزه ومن أن الأسواق تُزَيّن في أعياد الكفار .

وفي عام ٣٧١ هـ ٩٨١م مات أحد كبار الصوفيه ، فمشى في جنازته المسلمون واليهود والنصارى .

وكانت تقع في المفازة التي بشرق فارس مدينة القرينين ، وأهلها مجوس ، وكسبهم من كرى حميرهم ، يضربون عليها إلى الأفاق (٤) .

أما الصابئه فكان آخر عهد ازدهر أمرهم فيه أواخر القرن الثاني ، في عهد الخليفة الأمين ؛ ففي ذلك العصر «عاد شأن الوثنيه بحرّان إلى الظهور ، وقيدتْ

١- ابن حوقل ص ١٥٦ .

٢- المقدسى ص ١٢٦ .

٣- ابن الأثير ج ٨ ص ٥٢٢ .

٤- كتاب الخراج وصنعه الكتاب لقدامه بن جعفر طبعه ليدن ١٨٨٩ ص ٢٠٩ .

الثيران فى جميع الشوارع مزينةً بغالى الثياب والورود والرياحين وبالأجراس على قرونها ، وسار خلفها الرجال بالمزامير»(١).

وفى حوالى عام ٣٢٠هـ استفتى الخليفة القاهر أبو سعيد الأصبخري محتسب بغداد فى الصابئين ، فأفتاه بقتلهم ، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى ويعبدون الكواكب ؛ فعزم الخليفة على ذلك حتى جمعوا من بينهم مالا كثيرا فكف عنهم(٢).

وقد صدر حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى منشورٌ كتب للصابئين المقيمين بحرّان والرقّة وديار مضر أمر فيه الخليفة بصيانتهم وحراستهم(٣) ؛ ولكنهم انقضوا حوالى عام ٤٠٠هـ ١٠٠٩م ، حتى إن ابن حزم يقول إنهم فى جميع الأرض لا يبلغون أربعين نفساً(٤).

ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمّة أى باب من أبواب الأعمال ؛ وكان قدمهم راسخاً فى الصنائع التى تُدرّ الأرباح الوافرة ، فكانوا صيارفه وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء(٥) ؛ بل إن أهل الذمّة نظمو أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفه والجهاذة فى الشام مثلاً يهوداً ، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى(٦).

١- Michael Syrus S. ٤٩٧ .

٢- طبقات السبكي ج ٢ ص ١٩٣ .

٣- رسائل الصابى مخطوط رقم ٧٦٦ بمكتبة ليدن ص ٢١١ ب .

٤- كتاب الفصل لابن حزم ج ١ ص ١١٥ طبعه مصر عام ١١١٧ هـ .

٥- كتاب الخراج لأبى يوسف القاضى ، طبعه بولاق ص ٦٩ .

٦- المقدسى ص ١٨٣ .

وكان رئيس النصارى ببغداد هو طيبب الخليفة ، وكان روءساء اليهود جهابذتهم عنده(١) .

وكان أصغر دافعى الضرائب هم اليهود الخياطون والصبّاغون والأساكفه والخزّازون ومن إليهم(٢) .

وقد وجد بنيامين (ص ٣٥) فى القدس فى القرن الثانى عشر الميلادى أن اليهود يحتكرون صنعه الصباغه ، وكذلك الاثنى عشر يهوديا الذين وجدهم فى

١- وفى عام ٢١٠هـ ٨٢٥ م مثلاً- ، قام الطيبب جبريل ورميله ميخائيل باختيار الجاثليق النسطورى (Barhebraeus, Chron. ١٨٧. III, Eccles) ، ويقول أبو نواس (ديوانه طبعه القايره سنه ١٨٩٨ ص ٣٥٦): سألتُ أخى أبا عيسى وجبريل ، له عقل فقلت : الراح تعجبنى فقال : كثيرها قتل فقلت له : فقدّر لى فقال ، وقوله فصل رأيت طبائع الإنسان أربعه ، هى الأصل فأربعه لأربعه لكل طبيعه رطل ويقول شاعر نيسابورى فى الفصد : لما رأيت الجسم ذا اعتلال ودّبت الآلام فى أوصال دعوت شيخاً من بنى الجوالى بطريق عم جاثليق خال فسّل سيفاً ليس للقتال ومرهفاً ليس من الصوالى إلى آخر القصيده ، انظر يتيمه الدهر ج ٤ ص ٣٠٦ .

٢- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٩ ؛ والمقدسى ص ١٧٣ ؛ وقد جاء فى كتاب حكايه أبى القاسم البغدادى تأليف محمد بن على المطهر الأردى ، طبعه متر بهيدلبرج سنه ١٩٠٢ ص ٤٢ : «كأنها نعل كنباتى تصير من دكان ابن عذره اليهودى» ، وفى كتاب ذكر أخبار أصفهان لأبى نعيم (مخطوط رقم ٥٦٨ بمكتبه ليدن ص ١١) ، [ولهذا الكتاب نسخه مطبوعه نشرها الدكتور سفين ديدرنج Dr. Sven Dedering بليدن سنه ١٩٣١]: وسكنتها اليهود مقبلين على صناعتهم القدره كالحجامه والقصاره والقصابه .

بيت لحم؛ فقد كانوا جميعاً صِّبَاغِين (ص ٤٠)، لأن اليهودى ولو كان واحداً فى بلد فإنه يشتغل بهذه الصنائه (بنيامين ص ٣٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٩).

أما حياه الذمى فإنها عند أبى حنيفه وابن حنبل تكافئ[١] حياه المسلم، ودَيْتُهُ دِيَةُ المسلم؛ وهى مسأله مهمه جداً من حيث المبدأ.

أما عند مالك فديهُ اليهودى أو النصرانى نصف ديه المسلم، وعند الشافعى ثلثها؛ أما المجوسى فدَيْتُهُ جزء من خمسهِ عشر جزءاً من ديه المسلم[١]. ومما كان يستحق التأديب، لا الحد، عند فقهاء المسلمين أن يقال للمسلم: يا يهودى أو نصرانى أو ما جرى هذا المجرى(١).

ولم تكن الحكومه الإسلاميه تتدخل فى الشعائر الدينيه لأهل الذمه، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصياتهم(٢)؛ وفى حاله انقطاع المطر كانت الحكومه تأمر بعمل مواكب «يسير فيها النصرارى، وعلى رأسهم الأسقف، واليهود ومعهم النافخون فى الأبواق»(٣)؛ وكذلك ازدهرت الأديره فى هدوء؛ فمن ذلك الدير المسمى دير قُنى، وهذا الدير كان «يقع على

١- كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى، طبعه ليدن ١٨٩٥ ص ٥٥: حكى أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الكتاب فرفع إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال: أنا أحق من وفى بدمه، ثم أمر به فقتل؛ وعن عبدالله بن مسعود قال: من كان له عهد أو ذمّيه فدَيْتُهُ ديه المسلم: انظر أيضاً كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس رقم ٥٩٠٧ ص ٢٩ ب، وانظر: Sachau: Muhammedanisches Recht, ١٨٩٧, S. ٧٨٧. وفى بلاد الغال بفرنسا مثلاً كانت ديه الفرنجى الحرّ ديه الرومانى مرتين.

٢- لم يكن يجوز للنصارى من حيث المبدأ أن يحملوا فى مواكبهم رايات أو صلباناً أو مشاعل، أو يخرجوا بسلاح (كتاب الخراج لأبى يوسف طبعه بولاق سنه ١٣٠٢ هـ ص ٨٠ وما بعدها)؛ ولكن هذا لم يكن ينفذ عملياً. راجع أيضاً الفصل الخامس بالأعياد.

٣- Dionys. von Tellmachre, S. ١٧٦.

مسافه ستة عشر فرسخاً من بغداد ، منحدرأً فى الجانب الشرقى ، بينه وبين دجله ميل ونصف ، وهو دير حسن نزهة عامر ، وفيه مائتة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، لكل راهب قلاية ؛ وهم يتاعون هذه القلاية بينهم من ألف دينار إلى مائتى دينار إلى خمسين ديناراً(١) .

وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار والنخل والزيتون ، وتباع غلته من مائتى دينار إلى خمسين ديناراً ، وعليه سور عظيم يحيط به ، وفى وسطه ، نهج جار ؛ وعيده الذى تجتمع الناس إليه عيد الصليب(٢) .

وكان أكبر الأديره بمصر الدير المعروف بدير أنطانيوس ، وبينه وبين النيل ثلاثة أيام فى البريه ؛ وهو يقع شرقى إطفيح من قبلى مصر ، وهو على جبل عالٍ ، وله بمصر وقوفات وأملاك عده ، وعليه حصن دائر ، وداخل الحصن بستان كبير ، وفيه نخيل مثمر ، وأشجار تفاح وكمثرى رمان وغير ذلك ، وأرضه مزورعه بالبقول ، وله ثلاثة عيون ماء تجرى دائماً ويسقى منها البستان ؛ ومن جملة البستان فدان وسدس كرم عنب ، وقيل إن عدده نخيله ألف رأس نخل ، وبه جوسق كبير وقلال للرهبان مطله على البستان ، وله بإطفيح أيضاً أملاك وبساتين ، وليس مثله فى سائر الديارات التى يسكنها رهبان المصريين(٣) .

١- وحوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م كان الرجل يبتاع لابنه قلاية فى الدير إذا أحب الرهبه ومال إليها (الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٤) .
٢- كتاب الديارات للشابشتى مخطوط رقم ٨٣٢١ بمكتبه برلين ص ١١٥ ب ١١٦ ، [ولهذا المخطوط سوره شمسيه بدار الكتب المصرية] ، أنظر أيضاً Streck, S. ٢٨٤ : ومن أراد معرفه حياه الرهبان فى العراق حتى القرن الثالث الهجرى فليظر : Badge
.. : Book of Governors I. S. C×LCII ff

٣- تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ، طبعه أكسفورد سنه ١٨٩٤ ص ٥٤ ب ؛ ولما كانت قوانين الرهبنة بمصر تحتم الفقر فى طالبيها فإن أديره مصر كانت تنشأ على نظام يخالف نظام أديره الشام كل المخالفه .

على أن الكنيسة الرسميه فى الدوله الرومانيه الشرقيه قد ذهبت فى معاداتها للمسيحيين الذين يخالفون رجالها فى التفكير أبعد مما ذهب إليه الإسلام بالنسبه لأهل الذمه ؛ فلما أعاد الإمبراطور نقفور افتتاح بلاد الشام فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى كان مما وعد به أهل الشام وأمنهم به أن يحميهم من مضايقه كنيسه الدوله ، ولكنه رغم هذا الأمان ، لم يأل جهداً فى مضايقه اليعقوبيين ، فاضطروهم مثلاً إلى الخروج من أنطاكيه ، ولذلك بجد موءرخى اليعقوبيين يصفون البطارقه التى عينتهم الدوله فى أنطاكيه بأنهم أضلّ من فرعون وأشدّ كفراً بالله من بختنصر ؛ ولما أعيد فتح ملطيه أخذ بطيريك اليعاقبه وسبعه من كبار أساقفتهم إلى القسطنطينيه وسُجنوا هناك ، ووضع الملكانيون أيديهم على الكنيسه الكبرى بملطيه (١) ؛ فأما البطيريك فإنه مات منفيّاً على حدود بلغاريا ؛ وكذلك مات أحد أصحابه فى السجن ، ورُجم الثالث أمام قصر الإمبراطور ، ورجع ثلاثه عن المذهب اليعقوبى ، وأعيد تعميدهم ، ولكنهم لم يجدوا السكينه التى يرجونها ، وصاروا موضع السخرية كأنهم شياطين .

وأخيراً لم يستطع روءساء الكنيسه السريانيه أن يقيموا فى مقر بطريقهم بعد دخول المذهب الملكانى ، «وبعد أن أعيدت أنطاكيه إلى المسيحيه» ، كما يقول الملكانيون ، فاضطروا إلى الانتقال إلى آمد طلباً لتسامح أكثر فى بلاد الكفار (٢) .

١- Michael S. ٥٥٦ ff

٢- Barhebraeus Chron, Eccles, I, ٤٣٢ ff. ولعله يقصد بالكفار هنا المسلمين .

ولقد منعت الكنيسة الرسميه نصارى أرمينية من استعمال النواقيس(١).

وكثيراً ما كان رجال الشرطه المسلمون يتدخلون بين الفرق النصرانيه لمنعهم من المشاجرات ، حتى عين حاكم أنطاكيه فى القرن الثالث الهجرى رجلاً يتقاضى ثلاثين ديناراً من النصارى فى الشهر ، وكان مقره قرب المذبح ، وعمله أن يمنع المتخاصمين من قبل بعضهم بعضاً(٢).

وفى سنه ٣٢٢ هـ مات أسقف تّيس ، وكان بينه وبين البطريك وَحْشَهُ ، فلما مات انقسم أهل مصر وأهل تّيس حزبين ، أحدهم مع البطريك والآخر عليه ، «وقام لكل حزب من الحزبين غرض فى نصره هواه ، حتى كان الأبُّ لا يكلم ابنه ولا المرأة تخاطب بعلها» ؛ وكان كل فريق يستعين بالسلطان على الآخر ، حتى خرج جماعه من النافرين عن البطريك ، وذهبوا إلى الإخشيد محمد بن طنج ، فوجّه معهم من ختم الكنيسه الجامعه التى كان الأسقف نازلاً-بها ومنع الصلاه فيها وقبض على الأسقف والبطريك(٣).

وفى سنه ٢٠٠ هـ ٨١٥م أراد الخليفه المأمون أن يصدر كتاباً لأهل الذمّه يضمن لهم حريه الاعتقاد وحريه تدبير كنائسهم ، بحيث يكون لكل فريق منهم مهمما كانت عقيدتهم ، ولو كانوا عشره أنفس ، أن يختاروا بطريقهم ، ويعترف له بذلك ، ولكن روءساء الكنائس هاجوا وأحدثوا شغباً ، فعدل المأمون عن إصدار

١- انظر ١٦٨ S. Schlumberger : Epopée Byzantine . وهكذا فعلت الكنيسه الإنجليزيه مع الكاثوليك حتى

القرن التاسع عشر ، و كما لا تزال أسبانيا وصقلية تفعلان حتى اليوم مع البروتستانت .

٢- Michael Syrus, ٥٣٦.

٣- يحيى بن سعيد ص ٨٣ ب .

الكتاب (١).

أما فيما يتعلق ببناء الكنائس فلم تكن الدوله الساسانيه من قبل تسير على خطه ثابتة في ذلك ، [فكانت تسمح ببنائها أحياناً] ، على حين أن القانون الروماني في العهد الأخير كان يحرم على اليهود أن ينشئوا كنائس جديده لهم ، ولا يسمح لهم إلا بإصلاح ما تهدم منها (٢) .

أما في الإسلام فنجد سياسه الدوله تجمع في أوقات متتابعه بين تسامح الفرس وتعصب الرومان ، فكان يسمح للنصارى أحياناً ببناء كنائس جديده ، وأحياناً كانوا يمنعون حتى من إصلاح الكنائس القديمه (٣) ؛ ففيما بين عامي ١٦٩ و ١٧١ هـ ٧٨٥ و ٧٨٧ م هدم على بن سليمان والى مصر من قبل الرشيد الكنائس المحدثه بمصر ، وبُذِل له خمسون ألف دينار ليترك الهدم ، فامتنع ؛ ثم جاء بعده وال آخر ، فأذن للنصارى في ببناء الكنائس التي هدمها على بن سليمان ، فبُنيت كلها بمشوره الليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة ، وقالوا: هو من عماره البلاد ، واحتجاً بأن عامه الكنائس التي بمصر لم تُبن إلا في الإسلام في زمن الصحابه والتابعين (٤) .

وفي عام ٣٠٠ هـ ٩١٢ م ثار المسلمون فهدموا كنيسه بناها النصارى في

١- Michael Syrus, ٥١٧

٢- Sachau, Von den rechtifchen Verhältnissen der Christen im Sasanidenrekhe, Mittell des Sem. fur Orientalische Sprachen, x, ٢, S. ٧٨ f

٣- يجد القارئ كثيراً من الآراء في هذه المسأله عند Gottbell, Dhimmis and Moslems Egypt, S. ٣٥٣ ff.in

٤- كتاب تاريخ مصر وولاتها للكندى طبعه ليدن سنه ١٩١٢ ص ١٣١ .

تّيس ، فأعان السلطانُ النصارى حتى بنوا الكنيسه(١) .

وفى سنه ٣٢٦هـ ٩٣٨م انهدمت قطعه من كنيسه أبى شنوده بمصر ، فبذل النصارى للإخشيد مالا ليطلق عمارتها ، فقال : خذوا فتوى الفقهاء ؛ فأما ابن الحداد فأفتى بالألا- تُعَمَّر ، وأفتى بذلك أصحاب مالك ، وأفتى محمد بن على بأن لهم أن يرموها ويعمروها ، واشتهر ذلك عنه ، فحملت الرعيه إلى داره النار وأرادوا قتله ، فاستتروندم على فتياه . وشغبت الرعيه وأغلقت الدروب وأحاطت بالكنيسه ؛ فأرسل الإخشيد عسكرياً كبيراً ، فزحفت عليهم الرعيه ورموهم بالحجاره ؛ فدعا الإخشيد بأبى بكر بن الحداد الفقيه ، وقال له : إركب إلى الكنيسه ، فإن كانت تبقى فتركها على حالها ، وإن كانت مخوفه فاهدمها إلى لعنه الله ... فأخذ ابن الحداد معه مهندساً ، فدخلها وأخذ بيده شمعه ، فطاف بها وعاد إلى أبى بكر ، وقال له : تبقى هكذا خمس عشره سنه ، ثم يسقط منها موضع ، ثم تقيم إلى تمام أربعين ويسقط جميعها ؛ فانصرف أبوبكر إلى الإخشيد وعرفه ، فتركها ، ولم يعمرها ، وكان أمرها كما قال المهندس ؛ فعمرت سنه ست وستين قبل تمام أربعين سنه ، ولو تُركت لسقطت(٢) .

وكان أهل الذمه يعاملون فى مارستانات بغداد معاملة المسلمين ، ولكن حدث وباء فى أوائل القرن الرابع ، فوقع الوزير على بن عيسى إلى سنان بن ثابت طبيب الخليفه ، وهو الذى كان يتولى المعالجه وإعطاء الأدوية للمرضى خارج

١- يحيى بن سعيد ص ١٨١ .

٢- كتاب المغرب لأبن سعيد ص ٣٢ ٣٣ ؛ وملحق أخبار الولاة والقضاة للكندى ص ٥٥٤ ٥٥٥ ؛ وراجع Tallquist, ٣٢ f.

بغداد ، بأن يعالج المسلمين قبل أهل الذمه (١) .

وكان موتى المسلمين وأهل الذمه يدفنون كلُّ على حده ، ولكن يحكى أنه فى عام ٣١٩ هـ ٩٣١م جاء إلى تكريت سَيْلٌ كبير ، فغَرَّقَ منها أربعمائه دار وغَرَّقَ خلقاً كثيراً من الناس ، ودُفِنَ المسلمون والنصارى مجتمعين لا يعرف بعضهم من بعض (٢) .

ولم يكن يوجد فى المدن الإسلاميه أحياءٌ مختصه لليهود والنصارى بحيث لا- يتعدونها ، وإن آثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين . وكانت الأديرة المسيحيه منتشره فى كل أجزاء بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحيه .

ولما كان الشرع الإسلامى خاصاً بالمسلمين فقد خَلَّتْ الدوله الإسلاميه بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصه بهم ؛ والذى نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كَنَسِيَّه ، وكان روءساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً ؛ وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون .

ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدوله به .

على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ للمحاكم الإسلاميه ؛ ولم تكن الكنائس بطبيعته الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا ، ولذلك أَلَفَ الجاثليق تيموتيوس (Timotheus) حوالى عام ٢٠٠ هـ ٨٠٠م كتاباً فى الأحكام القضائيه المسيحيه

١- أخبار الحكماء للقفطى ص ١٩٤ من الطبعة الأورويه .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ١٧٤ .

«لكى يقطع كل عذر يتعلل به النصارى الذين يلجأون إلى المحاكم غير النصرانية بدعوى نقصان القوانين المسيحية»^(١)؛ وفى الفصلين الثانى عشر والثالث عشر من هذا الكتاب فرض تيموتيوس على من يذهب طائعاً إلى المحاكم الإسلاميه أن يتوب ويتصدق ، ويقوم على المسح والرماد^(٢) .

ثم جاء خليفته فقّر أن النصارى إذا خرجوا إلى الأحكام البرانيه فإنهم يوءدّبون على قدر جرمهم ، ويمنعون من البيعه إلى حين^(٣) .

وفى عام ١٢٠هـ ٧٣٨م ولى قضاء مصر خير بن نعيم ، فكان يقضى فى المسجد بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج ، فيقضى بين النصارى^(٤) .

ثم خصص القضاء للنصارى يوماً يحضرون فيه إلى منازل القضاء ليحكموا بينهم ، حتى جاء القاضى محمد بن مسروق الذى ولى قضاء مصر عام ١٧٧هـ ، فكان أول من أدخل النصارى فى المسجد ليحكم بينهم^(٥) .

وعلى أى حال فإن بعض فقهاء الإسلام أجازوا تقليد الذمى القضاء بين أهل دينه ، وهذا ، وإن كان العرف به جارياً ، فهو تقليد زعامه ورياسه وليس بتقليد حكم وقضاء ؛ وإنما يلزمهم حكمه لالتزامهم له ، وإذا امتنعوا من التحاكم إليه لم يجبروا على ذلك ؛ فإذا رجعوا إلى قاضى الإسلام^[١] فإنه يقضى بينهم بحكم

١- Sahau : Syrische Rechtsbucher, II, ٥٧ - ١

٢- نفس المصدر ص ٦٧ ، ١٩١ .

٣- نفس المصدر ص ١٦٩ ، ٢٠٤ .

٤- كتاب الولاة والقضاء للكندى ص ٣٥١ .

٥- نفس المصدر ص ٣٩٠ .

الإسلام ، لأنه يكون عليهم أنفذَ ولهم ألزم(١) .

ولاء نجد فيما انتهى إلينا من القوانين التي وضعتها البطارقة سوى عقوبات دينيه كَنَسِيه ؛ فمنها التوييخ أمام الناس ، والقيام على المسح والرماد أمام البيعه ، ودفع كفاره ماليه للبيعه ، والمنع من حضورها ومن التمتع برسوم المباركه الدينيه عند الموت ومن الدفن على الطريقه النصرانيه(٢) ؛ ومن أمثله العقوبه أن النصراني الذي يضرب آخر يَمَنع من البيعه ومن رسوم المباركه من القسيس شهرين ، ويقف كل يومٍ أحدٍ على المسح والرماد ، وعليه أن يتصدَّق على الفقراء بحسب قدرته(٣) .

أما في الأندلس فعندنا من مصدر جدير بالثقه أن النصراري كانوا يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضي إلا في مسائل القتل ؛ فكانوا يقدمون المتهم إليه ويعرضون أدلتهم ، فإذا قال القاضي : « حسنٌ » ، قُتِلَ المجرم(٤) .

ويقول ربّي بتاحيا إن روءساء اليهود في الموصل كانوا هم الذين يعاقبون مرءوسيهم ، حتى ولو كان أحد طرفي الخصومه مسلماً ؛ وكان بالموصل سجن يسجن فيه اليهود(٥) .

١- كتاب الأحكام السلطانيه لأبى الحسن الماوردي طبعه بن (Bonn) بألمانيا ص ١٠٨ ١٠٩ ، وهكذا جاء أيضاً في نسخه عهد لقاض بولايه القضاء ، كتبت بعد عام ٣١٦ هـ ٩٢٨ م . انظر قدامه ابن جعفر مخطوط باريس ص ١٣ ب .

٢- Sachau : Syrische Rechtsbucher II, S. VI .

٣- نفس المصدر ص ٦٨ والتي تليها .

٤- Graf Baudissin : Eulogius und Alvar, S. ١٣Anm, ٦ .

٥- Petachja, ٢٧٥ .

وأكبر ما كان يُحرّم منه أهل الذمّة ويؤثر في نفوسهم تأثيراً عميقاً أنه لم يكن يُسمح لهم بالتقدم للشهادة أمام القضاء ، كأنهم عبيد . وذهب بعض الفقهاء إلى أنه لا تُقبل شهادتهم على أهل دينهم ، وذهب البعض مذهباً آخر (١) .

أما المحاكم النصرانية فإنها كانت تقبل شهادة المسلم على النصراني على كره منها لذلك بالطبع . وكل ما كانت تطلبه هو أن يكون الشاهد تقياً يخاف الله غير مطعون في ذمته ، وهذه هي الشروط التي كان القاضى المسلم يحتمّ توفرها في الشاهد (٢) .

وكان أهل الذمّة ، بحكم ما كانوا يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزية ، كل واحد منهم بحسب مقدرته ؛ وكانوا ثلاث طبقات : تدفع الدنيا منها اثني عشر درهما ، والوسطى أربعة وعشرين ، والعليا ثمانية وأربعين درهما في السنه ، أو ديناراً أو دينارين أو ثلاثة في البلاد التي عملتها الذهب ؛ وكانت هذه الجزية أشبه بضريبه للدفاع الوطنى ، فكان لا يدفعها إلا- الرجل القادر على حمل السلاح ، ولا يدفعها ذوو العاهات ، ولا المترهبون وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسار (٣) .

١- ٧٣٩ Sachau, muhammedanisches Recht, S. . وكان القاضى محمد ابن مسروق الذى ولى القضاء عام ١٧٧ هـ يقبل شهادة النصراني واليهود بعضهم على بعض ، ويسأل عن عدالتهم فى أهل دينهم ؛ وفى عهد لقاض بولايه القضاء أن يقبل شهاده بعض أهل الملل على بعض ، انظر الكندى ص ٣٥١ ، وقدامه مخطوط باريس ص ١٣ ب .

٢- ١٠٧ Sachau : Syrische Rechtsbucher, II, .

٣- يذكر بنيامين (ص ٧٧) ومرسيلوس (انظر مايلي) أنه كان يعفى منها من نقل سنه عن خمس عشره سنه . وفى الدوله الفارسيه كان لا يدفعها إلا من بلغ العشرين انظر. ٢. Aum. ٢٤٦, Noldeke, Tabariuberechtung, .

ويحكى ابن خردادبه (١). أن الروم كانوا يأخذون من اليهود والمجوس ديناراً فى السنه ؛ وكذلك فرض النصارى على المسلمين الجزيه لما فتحوا بلادهم (٢).

على أن غالبه دافعى الجزيه كانوا يدفعون الحد الأدنى ، حتى أن بنيامين يقول : «إن اليهود فى كل بلاد الإسلام يدفعون ديناراً واحداً» (٣).

وكذلك يقول بتاحيا : «إن اليهود فى العراق لا يدفعون شيئاً للخليفه ، وإنما يدفع الواحد منهم فى كل عام ديناراً واحداً لرأس الجالوت» (٤).

ويحكى بيلو مرسيلوس جورجيوس (Bailo Marsilius Oeorgius) فى اكتوبر سنه ١٢٤٣م ، وهو فى مدينه صور ، أن «كل يهودى متى بلغ الخامسة عشره يدفع فى كل عام ديناراً بوزنظياً لعاملنا ، وذلك فى عيد القديسين» (٥).

وقد ظلت الجزيه بوجه عام عند المقدار الذى فرضته الشريعه (٦). وإنما كانت تتغير تغيراً يسيراً بحسب تغير العمله .

وكانت الحكومه فى مصر فى أول القرن الثالث الهجرى تكتفى بأخذ نصف دينار ؛ ولكن فى سنه ٣٩٠ هـ ١٠٠٠م اضطر البطريك جورجيوس المصرى أن

١- المسالك والممالك ص ١١١ .

٢- ابن حوقل ص ١٢٧ ؛ ولما أخذ باسيل الإمبراطور مدينه حلب عام ٣٥٩ هـ ٩٧٠م تقرر الأمر بين الروم وبين أهل حلب على أمور منها أن يدفع ديناراً عن كل رجل حالم يحيى بن سعيد ص ٩٨ بك ل ابن حوقل ص ١٢٧ .

٣- Benjamin, ٧٧ ؛ وقارن ما حكاه الرحاله الصينى عن الجزيه عند الفرس , Noldeke : Tabariuberectzung, ٢٤٠, Aum.

٤- Petachja, ٢٧٥, ٢٨٨.

٥- Tafel und Thomas : Urknnden...II, ٣٥٩.

٦- هذا اشتباه والشريعه لم تفرص مقداراً معيناً.

يدفع ديناراً ونصف دينار ، بعد أن كان يدفع ديناراً واحداً(١)؛ وكذلك يخبرنا البطيريك ديونيسيوس ، وكان بمصر زائراً ، حوالى عام ٢٠٠هـ ٨١٥م عن مدينة تَينس المشهوره بصناعه النسيج ، فيقول : «ومع أن مدينه تينس عامره بالسكان كثيره الكنائس ، فإنى لم أرمن البوءس فى بلد أكثر من بوءس أهلها ، وقد سألتهم عن مصدر هذا البوءس فأجابونى : إن مدينتنا مُحاطه بالماء فلا نستطيع زرعاً ولا تربيه ماشيه ؛ والماء الذى نشر به يُجلب لنا من بعيد ، ونشترى الجرّه منه بأربعه دراهم ؛ ولا شغل لنا سوى نسيج الكتان ، فمساوينا تغزله ونحن ننسجه ، ونُعطي على ذلك نصف درهم فى اليوم من تجار الأقمشه ؛ ومع أن أجرتنا لا تكفى لإطعام كلابنا فإن على كل منا أن يدفع ضريبه مقدارها خمس دراهم ، وفى ذلك نُضرب ونُسجن ونُلزم بإعطاء أبنائنا وبناتنا رهائن ، فيلزمون بالعمل كالعبيد سنتين لأجل كل دينار ؛ ولو ولدت عندهم امرأة طفلاً فإنهم يأخذون قَسَمًا بأن لا نطالب به ؛ وقد يحدث أن تحل ضرائب جديده قبل إطلاق هوءلاء النساء» . فأجابهم البطيريك أنه بحسب قانون العراق عليهم متى طلبت منهم الجزيه أن يدفع الغنى منهم ثمانيه وأربعين درهما والمتوسط أربعه وعشرين والفقير اثنى عشر درهما(٢) .

١- Mitteil aus der Sammlungen Rainer III/III, S. ١٧٨ f

٢- . وقد صار يقرض على الخنازير بالشام فيما بعد ضرائب خاصه بالنسبه للنصارى ، فيحدثنا بيلو البندقى وهو بصور أنه حتى ذلك الحين يجب على كل من أراد أن يذبح خنزيراً أو يشتري خنزيراً أن يدفع للسلطان أربعه دنانير ، وقد ألغى البندقيون ذلك ؛ انظر : ٣٠٠, Tafel und Thomas, Urkunden, II .

وكانت الجزية تؤخذ مقسّطه على ستة أجزاء أو خمسه أو أربعة أو ثلاثة (١) أو اثنين (٢)؛ وقد فرضت في أول الأمر بالعراق في كل شهر (٣)، وذلك لأن عمال المسلمين كانوا يتقاضون منها مرتباتهم في كل شهر؛ وكذلك كان الحال في الأندلس في القرن الثالث الهجري (٤). ولكن في عام ٣٦٦هـ ٩٧٦م صدر أمر الخليفة الطائع بأن تؤخذ الجزية من أهل الذمه في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم، وألا تؤخذ من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم، ولا من ذى سنّ عالية ولا ذى عاهه بادية، ولا من فقير معدم، ولا من راهب متبتّل (٥).

وكانت العادة جاريه بأعطاء براءه لمن يدفع الجزية، وفي العصور السنيّه كانت تعلق على رقبه أهل الذمه علامه البراءه، وتُختَم أيديهم (٦).

وهذه العاده قديمه ترجع إلى عصر الأشوريين الذين كانوا يعلقون في رقاب

١- كما كان الحال في الإمبراطوريه الفارسيه (Noldeke, Tabari. S. ٣٤٢)، وانظر ما قاله كراباجك Karabacek في Samml. Rainer II/III, ١٧٦٤. وكذلك أيضاً ما حكاه ديونيسيوس Dionysius, ed. Chabot, S. ٦١.

٢- Mittel. II/III, ١٦٥.

٣- كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٥٦.

٤- Leovigildus, De habitu clericorum (Esp. sagr, xI) : vectigal, quod omni lunari mense pro Christi nomine solvere. cogimur. Eulogius Memoriaie I, ٢٤٧ : quod lunariter solvimus cum eravi moerore tributum. Graf Baudissin, Eulogius und Alvar S. ١٠. انظر

٥- رسائل الصابى طبعه مدينه بعبداء (بلبنان) سنه ١٨٩٨ ص ١١٢، انظر أيضاً عهد الجاثليق الذى تقدمت صورته.

٦- فمثلا في أواخر العهد الأموى في مصر وسُميت أيدي الرهبان بحلقه من حديد فيها اسم الراهب واسم ديريه وتاريخه، وجعل على كل نصرانى وسُسم، وصوره أسد على أيديهم، انظر الخطط للمقريزى طبعه بولاق ج ٢ ص ٤٩٢ ٤٩٣.

العبيد قطعه من الفخار أسطوانيه مكتوباً عليها اسم العبد واسم سيده (١). وكان اليهود في عهد التلمود يعلون عبيدهم بالختم على الرقبه أو الثوب (٢). وفي عام ٥٠٠م كان حاكم مدينه الرُّها يعلق إلى رقبه الفقراء الذين يأخذون رطل خبز كل يوم قطعه من الرصاص مختومه (٣).

على أن الفقهاء القدماء ، مثل أبي يوسف ويحيى بن آدم لم يقولوا شيئاً في هذا الباب ؛ ويظهر أن هذا الأمر نادراً ما كان يقع .

ويقول ديونيسيوس إنه كان من التجارب الموءلمه لحصر أهل الذمه ومعرفة عددهم «أن يرسل مع عمال الضرائب ختّامون يختمون كل واحد باسم بلده واسم قريته ؛ فكانوا يطبعون على يده اليمنى اسم البلد وعلى اليسرى اسم العراق ، ويعلقون على رقبه كل رجل حلقتين على إحداهما اسم البلد وعلى الأخرى اسم القسم ، وكانوا يقيدون اسم الشخص وأوصافه الجسميه ومسكنه . وكان ينشأ عن هذا اضطراب كبير ؛ لأنه كان يوءدى إلى القبض على كثير من الغزباء ، فيذكرون أسماء مساكن لهم ، فتقيد ، ولا تكون لهم هذه المساكن في الحقيقه. ولو أن هذا النظام اتّبع إلى آخر ما يوءدى إليه لأحدث من الفساد أكثر من كل ما تقدمه من الأنظمه ؛ وإذا وجد العامل أن ما لديه من عمل لا يكفيه فإنه يذهب إلى أى جهه

١- مجله المشرق المجلد الخامس ص ٦٥١ .

٢- Krauss : Talmudische Achaeologie, II, S. ٨٩ .

٣- Josua Stylites, ed. Wright. S. ٤٢ . وكذلك في مدينه استراسبرج في القرن الرابع عشر الميلادى كان يحمل فقراء البلد علامه ظاهره Brucker, Strassburger Zvnft- und Polizeiverordnungen, S. ٦١ . وفي القرن التاسع كان النساء المثبتات في ديوان الزواني بالصين واللابى يدفعن ضريبه البغاء يحملن خانما من النحاس مطبوعا بخاتم الملك ويعلقنه في أعناقهن . (انظر Renaud, Relation des Voyages, S. ٦٩).

تصادفه ، ويقبض على الغادين ورائحين ؛ وقد يطوف بالمكان الواحد أكثر من عشرين مره ، ولا يهدأ له بال حتى يصل إلى تقييد جميع السكان بحيث لا- يفلت منهم أحد ؛ وهكذا وقع ما قاله النبي دانيال والرسول يوحنا : « كل الناس طُبعوا بطابع هذا الحيوان على أيديهم وصدورهم وظهورهم»(١).

ومن الواضح أن البطيريك ديونيسيوس لا يتكلم هنا عن الختم والعلامات باعتبارها شيئاً عادياً . على أن شاعراً بصرياً من العصر العباسي الأول يقول :

ختم الحبُّ لها في عنقى موضع الخاتم من أهل الذمم(٢)

وقد حكى الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ ٨٦٩م عن أحد الثقات الذين يعتمد عليهم أن من تمام آله الخُمُّار أن يكون ذمِّياً مختوم العنق(٣).

وقد وُجِدَت حول مدينه همذان علامه من هذا النوع يرجع تاريخها إلى السنه الأولى من القرن الرابع(٤).

وعندنا نصٌّ صريح على أنه كانت تكتب لأهل الذمه في الربع الأول من القرن الرابع براءة مختومه عند أدائهم للجزيه(٥).

ولم يكن المترهبون المسيحيون يعفون من الجزيه إلا إذا كانوا مساكين يتصدَّق عليهم كباقي المساكين(٦)؛ وهذا كان من حيث المبدأ العام والوجهه

١- Dionys v. Tellmachre, ed Chabot, S. ١٤٨ f.

٢- الأغانى ج ٣ ص ٢٦؛ وهذا البيت لبشار بن برد .

٣- البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٤١. انظر مايلي .

٤- Mitteil. aus der Samml. Rainer II/III, S. ١٧٦.

٥- المروج للمسعودى ج ٩ ص ١٤ ١٥ .

٦- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٧٠ .

النظريه ؛ ذلك أنه في مصر عام ٣١٢ هـ ٩٢٤م «أخذ الرهبان والأساقفة بأداء الجزية ، فأخذت الجزية منهم ، ومن الضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات بأسفل مصر والصعيد ، ومن رهبان طور سيناء؛ وسافر قوم من الرهبان إلى العراق واستغاثوا بالمقتدر ، فكتب لهم ألا تؤءخذ الجزية من الرهبان ولا من الأساقفة .. وأن يجرى أمرهم على ما كانوا عليه»(١) .

على أنه في عام ١٦٦٤م كان يعفى من الجزية بمصر : «جميع الأوربيين والرهبان المتبتلين من المسيحيين والبطيرك وجميع الأتراك (أى المسلمين)»(٢) .

ولم يكن أخذ الجزية أرحم من غيرها من الضرائب ، وإن كانت الشريعة الإسلامية قد أمرت بعدم القسوه في تحصيلها ، فقد نُهي في الإسلام عن اتباع الأساليب القديمه القاسيه ، من تعذيب ، أو تكليف أصحابها ما لا يطيقون ، أو إقامتهم في الشمس وصبّ الزيت على رؤسهم ونحو ذلك ؛ وإنما أجاز الفقهاء حبس أهل الذمه حتى يوءدوها(٣) .

وقد وُجدت في بلاد الإسلام من أول الأمر تعليماتٌ خاصه باللباس ؛ فقد أمر هارون الرشيد عام ١٩١ هـ ٨٠٧م بأن يوءخذ أهل الذمه في مدينه السلام بمخالفه هينتهم هيئه المسلمين في بلاسهم وركوبهم ، فأخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات مثل الخيط ، وبأن تكون قلائسهم مضرّبه ، وأن يجعلوا شراك تعالهم مثنيه ، وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القرايس مثل الرمانه من خشب

١- يحيى بن سعيد ص ٨١ .

٢- M. Wanslebs : Beschreibung von Aegypten, S.٥٧ .

٣- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٧١ .

وتمتّع نساؤهم من ركوب الرحائل ، ولا يركبن يهودى ولا نصرانى على سرج ، بل على أكاف(١). وكان اليهود فى القرن الثانى (الثامن الميلادى) يلبسون براطيل طويله شبّهها بعض الشعراء بالأميال الطوال أو بالمقاعيد على روءوس القروود(٢).

وكان النصارى فى ذلك الوقت يلبسون البرانس ، ولكن لما صارت القلانيس الطوال عند المسلمين لباساً قديماً لبسها النصارى وبقيت خاصه بهم(٣).

أما اللون فلم يصلنا فى التعليمات القديمه أن أحداً ألزم باتخاذلون معين ؛ ويظهر أن هذه المسأله تُركت للعادات المحليه ، ويصف الجاحظ (المتوفى عام ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م) عاده العراقيين فيقول : «من تمام آله الخمار أن يكون ذمياً ، ويكون اسمه آذين أو مازبادا أو أزدانقاذا أو ميشا أو شلوما ، ويكون أرقط الثياب مختوم العنق»(٤).

وقد حدث فى عهد هارون الرشيد أن ولى القضاء محمد بن مسروق ، فتحامل على أهل مصر ، فأساءوا عليه الذكر والثناء ، ودعوا عليه فى المسجد الجامع ، فوقف على باب المقصوره غير خائف ، وقال بأعلى صوته : «أين أصحاب الأكسيه العسليه ؟ أين بنو البغايا ؟ لم لا يتكلم متكلمهم بما شاء حتى يرى ويسمع ؟ فما تكلم أحد بكلمه»(٥).

١- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٧١٣ ، كتاب الخراج ص ٧٥ .

٢- الكندى ص ٤٢٤ ، وكان لباس الرأس عند اليهود يسمى بمصر بُرطله ، وكانت هذه فى المشرق جزءاً من أهبة الجاثليق . وفى سنه ١٥٣ هـ ألزم المنصور رعيته بلبس القلانيس الطوال فشبهها أبو دلامه بدنان اليهود . (كتاب الأوائل لعلى ده مخطوط برلين ٩٣٧٢ ص ١٥٨) .

٣- انظر المستطرف ، على هامش مفيد العلوم طبعه مصرل ١٣١٠ ص ٢٠٠ .

٤- البيان والتبيين ج ١ ص ٤١ .

٥- الكندى ص ٣٩٠ .

وقد صدر أمر المتوكل في عام ٢٣٥ هـ ٨٤٩م بأخذ النصارى وأهل الذمّه بلبس هذه الطيالسّه العسلية ؛ ومن أراد لبس قلنسوه مثل قلنسوه المسلمين فليجعل عليها زرين ؛ وكذلك أمروا بأن يجعلوا على ما ظهر من لباس مماليكهم رقعتين ، لونهما يخالف لون الثوب الظاهر ، وأن تكون إحدى الرقعتين بين يديه عند صدره ، والأخرى خلف ظهره ، وأن تكون كل واحده من الرقعتين قدر أربع أصابع ولونها عسليا ، وكذلك أمر بمنع مماليكهم من لبس المناطق وأمرهم بلبس الزنانير ، وبأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين(١) ، وفي عام ٢٣٩ هـ ٨٥٣م أمر المتوكل أن يقتصر أهل الذمه في مراكبهم على البغال والحمر ، دون الخيل والبراذين(٢) .

على أن هذه الأوامر المضحكه لم تثمر إلا قليلا ؛ وكان أهل الذمّه يأبون الخضوع لها بشجاعه ، وفي سنه ٢٧٢ هـ ٨٨٥م ثار عامه بغداد على النصارى لأنهم خالفوا وركبوا الخيل ، وهُدمت في هذا الشغب كنيسه كليل يشو(٣) (إكليل يسوع) ؛ وكذلك نجد الشاعر ابن المعتز يشكو حوالي عام ٢٩٠ هـ من مغالاه النصارى في البغال والسروج ، ومن تحكّمهم في المسلمين ؛ ويعتبر هذا من

١- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٣٨٩ وما بعدها . انظر المقرئزي (الخطط) ج ٢ ص ٤٩٤ حيث يقول : على دراريهم بدلا من على ذراريهم . (أبو المحاسن ج ٢ ص ١٧٤ ١٧٥) . وكان للصابئه أيضا لباس ذولون خاص (يتيميه الدهر ج ٢ ص ٤٥) . وقد حدث لأول مره في الغرب عام ١٢١٥ م في موءتمر لاتيـران مأن طُلب إيجاد علامه خاصه لليهود ، ولعل هذا أتى من معرفه الغربيين بأنظمه الشرق .

٢- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٤١٩ ، ويحكى بنيامين (ص ٢٤) أن اليهود كانوا يمنعون في القرن الثاني عشر الميلادي من ركوب الخيل بالقسطنطينيه .

٣- Elias Nisibenus, S. ١٨٨ . ؛ ويحكى الطبري تهديم العامه للبيع في حوادث سنه ٢٧٢ هـ .

علامات ظهور المسيح الدجال (١). وقبل أول القرن الرابع بأربع سنين عادت القوانين الخاصه باللباس إلى الظهور ، وشُدِّدَ في أمرها ، ثم لم نسمع عن مثلها شيئاً في القرن الرابع كله ؛ فقد نامت ولم تظهر إلا عند ما قوى أمر أهل السنّه في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حيث عادت بشكل جدى .

وفى عام ٤٢٩ هـ ١٠٣٧م صدر توقيع الخليفه بإلزام أهل الذمه ملابس يعرفون بها عند المشاهده ، واستدعى لذلك جاثليق النصرى ، ورأس جالوت اليهود فى جمع حافل من الأشراف والوجوه ، فقالوا : السمع والطاعة (٢) .

وظهر فى هذا العصر لأول مره منع أهل الذمه من تعليه بيوتهم على أبنيه المسلمين ؛ فإن ملكوا بيوتا عاليه أقرُّوا عليها ، ومنعوا من الإشراف منها على المسلمين وأهل الذمه (٣) .

وأول من ذكر هذا فيما أعلم هو أبو الحسن الماوردى المتوفى عام ٤٥٠ هـ ١٠٥٨م .

وقد سرت هذه الفكره بعد ذلك إلى الغرب ، فوجد البابا إنوسنت الثالث يشكو من أن اليهود بنوا فى مدينه سِنس كنيسه لهم تعلق على كنيسه مسيحيه مجاوره لها (٤) .

١- ديوان ابن المعز طبيعه مصر ١٨٩١ ، ج ٢ ص ٩ ، فارن النجوم الزهراه طبعه ليدن ج ٢ ص ٢٣٣ ٢٣٤ .

٢- المنتظم ص ١٩٢ ب .

٣- الأحكام السلطانيه للماوردى ص ٤٢٨ . وقد بين الماوردى أن الأصل فى ذلك المنع من الإشراف على منازل الناس .

٤- انظر. Caro, I ٢٩٥.

ولم يكن الاستهزاء والبغضاء بين الأديان أقلّ منه بين الأجناس ؛ ومن أمثله ذلك أن اليهود وُصفوا بأنهم أنتن خلق الله فنَاءً (١) ، وكذلك وُصف النصارى بشده السكر وخصوصاً غداه عيد الفصح (٢) ، وبأن راهباتهم وشمامستهم ضعفاء الفضيله .

وكذلك يرمى الصابئه بأن بينهم من المعاداه ما لا يكون بين غيرهم ، وأن بعضهم يسعى فى بعض ، ويَقْبَح عليه ما وجد إلى ذلك سبيلاً (٣) .

وكان المسلمون المثقّفون يعلمون حقا أن المسيحيه قد حثّت على المحبه ورقّه القلب أكثر مما حثت على ذلك جميع الديانات ؛ ولكنهم كانوا يرون أن النصارى قلّمًا يعملون بذلك ؛ يقول الجاحظ : «وكلُّ خِصاء فى الدنيا فإنما أصله من قِبَل الروم ؛ ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدّعون من الرحمه والرأفه ورقه القلب والكبد ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبُك بالخِصاء مثله وحسبُك بصنيع الخاصى قسوة» (٤) ؛ وكذلك تكلم البيرونى فى صدد كلامه عن العقوبات والكفاره عند الهنود عن فلسفه نبيله بينهم فهو يقول : «مثال الحال فيهم على شبيه بحال النصرانيه فإنها مَبْتَيّه على الخير وكفّ الشر ، من ترك القتل أصلا ، ورمى القميص خلف غاصب الرداء ، وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الأخرى ، والدعاء للعدو بالخير ، والدعاء للعدو بالخير ، والصلوات عليه ؛ وهى لعمري سيره فاضله ، ولكن أهل الدنيا ليسوا بفلاسفه كلهم ؛ وإنما أكثرهم جُهّال ضلّال ، لا يقوّمهم غير السيف

١- انظر مثلا أدب الكاتب لابن قتيبه طبعه مصر ١٣٠٠ هـ ص ٢٦ .

٢- يتيميه الدهر ج ٣ ص ٩٧ حيث يتمثل شاعر بسكر النصارى فى هذا اليوم .

٣- أخبار الحكماء للقفطى ص ٣٩٨ من الطبعه الأورويه .

٤- كتاب الحيوان طبعه مصر ١٩٠٧ ص ٥٦ .

والسوط ، ومنذ تنصَّبَ قسطنطينوس المظفَّر لم يسترح كلاهما من الحركة ؛ فبغيرهما لا تَتَمُّ السياسة» (١).

ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرِّفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية ؛ فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام (٢) ؛ والشكوى من تحكيم أهل الذمة في أبحاث المسلمين وأموالهم شكوى قديمه (٣) ؛ ويحكى عن عُمَرَ بن الخطاب أنه لما عرف أن لأبى موسى الأشعري كاتباً نصرانياً ضرب فخره ، وقال : ألا اتخذت رجلاً حنيفاً ، وكان عُمَرُ أيضاً يأبى أن يتخذ الكتاب من النصارى أو اليهود (٤).

وقد قلَّد ديوان جيش المسلمين لرجل نصراني مرتين في أثناء القرن الثالث ، فَوَجَّه اللوم للوزير لأنه «جعل أنصار الدين وحُماه البيضة يقبلون يديه ويمتلون أمره» (٥).

وكان المتصرِّفون النصارى واليهود يقسمون اليمين ، شأنهم شأن المسلمين ؛ وقد جاءت في كتاب ديوان الإنشاء الذي أُلِّف عام ٨٤٠ هـ ١٤٣٦م صيغته اليمين الذي كان يقسمه اليهود في ذلك العهد ؛ وذكر أيضاً أن أوَّل من استحدث هذه الأيمان لأهل اليهودية الفضلُ بن الربيع وزير الرشيد ، أحدثها له كاتب عنده ،

١- كتاب تحقيق ما للهند من مقوله طبعه سخاو ص ٢٨٠ .

٢- فيما يتعلق بالشام انظر المقدسى ص ١٨٣ ، وفيما يتعلق بمصر انظر يحيى بن سعيد ص ١٢٢ .

٣- عيون الأخبار لابن قتيبة طبعه جوتنجن سنة ١٨٩٩ ص ٩٩ .

٤- نفس المصدر المتقدم ص ٦٢ .

٥- كتاب الوزراء ص ٩٥ .

ومنها استنبطت هذه الألفاظ (١).

وكانت الحركات التي يقصد بها مقاومه النصارى موجَّهه أولاً إلى محاربه تسلُّط أهل الذمه على المسلمين ، وسيطره أهل الذمه شىء لا يحتمله المسلم الحق . وفي عام ٢٣٥ هـ ٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل ألا يُستعان بأهل الذمه فى الدواوين وأعمال السلطان التى تجرى أحكامهم فيها على المسلمين (٢) ؛ فمن ذلك أمر بعزل النصارى عن مقياس النيل (٣) ، ولكن هذا الخليفة نفسه بنى بعد ذلك بعشر سنين ، قصرة المسمى بالجعفرى ، وأجرى إليه نهراً ، وصير النفقه عليه إلى دُليل بن يعقوب النصرانى (٤) ؛ وفى عام ٢٩٦ هـ ٩٠٩م كان النصارى قد علا أمرهم وغلبوا على الكتَّاب ، فأمر المقتدر بما أمر به المتوكل من رفضهم وإطراحهم عن الخدمة (٥) ؛ وفى هذه السنه نفسها أمر المقتدر ألا يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا فى الطب والجَهَبْذَه (٦) ، ولكن أمر المقتدر كان ضعيف الأثر إلى درجه مضحكه ؛ فقد كان وزيره أبو الحسن على بن الفرات يدعو أربعة من النصارى إلى طعامه كل يوم ، وكانوا فى جملة الكتَّاب التسعه الذين اختص

١- كتاب ديوان الإنشاء مخطوط باريس رقم ٤٤٣٩ ص ٣٠٣ ٣٠٤ ، وانظر S.٢٢٩. ١٩١٠. Pagnsn, Rev. Et. juives.

٢- تاريخ الطبرى ج ٣ ، ص ١٣٨٩ ١٣٩٠ .

٣- الولاة للكندى ص ٢٠٣ .

٤- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٣٨ .

٥- عريب ص ٣٠ .

٦- أبوالمحسن طبعه ليدن ج ٢ ص ١٧٥ ١٧٤ ؛ وكان النصارى فى مصر مثلاً يستخدمون كثيراً فى أعمال الجَهَبْذَه ، كما تدل على ذلك أوراق البردى ، وفى عام ٣٤٩ هـ ٩٦٠م كان أحدهم يطبع البراءات بختمه الذى عليه الصليب . (انظر Karsbacek, Mitteilungen II/III S. ١٤٨).

وكان الكتاب المسيحيون منتشرين في كل مكان حتى إن محمد بن عبدالله بن طاهر في القرن الثالث اتخذ له قهرماناً نصرانياً (٢) ، ولما أراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم عام ٣١٩ هـ ٩٣١م راسله في أن يجتهد في إصلاح أعدائه ، فابتدأ ببني رائق ، فكان يمضى إلى كاتبهم النصراني ويضمن له الضمانات ؛ ثم فعل ذلك بأصطفن بن يعقوب كاتب موءنس ، وقال له : إن تقلدت الوزاره فأنت قلدتنيها» ، وكذلك فعل بغير هوءلاء من كتّاب النصارى (٣) .

وكان الحسين بن القاسم يسعى دهره في طلب الوزاره ، وكان يتقرب إلى النصارى الكتّاب بأن يقول لهم : «إن أهلى منكم ، وأجدادى من كباركم ، وإن صليباً سقط من يد عبيدالله بن سليمان ، جدّى ، فى أيام المعتضد ، فلما رآه الناس قال : هذا شىء تبرك به عجائزنا ، فتجعله فى ثيابنا من حيث لا نعلم» تقرّباً إليهم بهذا وشبهه (٤) .

ولقد كان تقدير هذا الوزير صحيحاً ، ففى عهد امقتدر نفسه ، وهو الذى أراد أطراح النصارى عن المناصب العامه ، تقلد هذا الرجل الذى كان يتقرب إلى النصارى ويتملقهم منصب الوزاره . وإلى جانب ما ذكرنا نجد أن رئيس المتآمرين على موءنس المظفر كان مفلحاً الأسود الخادم ، وكان الأمر كله ، كما يقول عريب ، لهذا الخادم ولكاتبه النصراني بشر بن عبد الله ، وكان بشر هذا

١- كتاب الوزراء ص ٢٤٠ .

٢- كتاب الديارات مخطوط برلين المتقدم ص ٥١ .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٣٥٢ .

٤- عريب ص ١٦٢ .

مجبوراً (١).

وفي عام ٣٢٤ هـ ٩٣٥ م مات أصفط بن يعقوب النصراني صاحب بيت مال الخاصه (٢).

وكذلك ابتداءً على بن بويه بأن اتخذ له كاتباً نصرانياً من أهل الرى (٣).

ولما خرج الوزير عز الدوله إلى البصره عام ٣٥٧ هـ ٩٦٧ م استخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصراني بالحضره (٤). وكذلك كان للخليفه الطائع (٣٦٣ ٣٨١ هـ = ٩٧٣ ٩٩١ م كاتبٌ نصراني (٥).

وفي النصف الثاني من القرن الرابع اتخذ كل من عضد الدوله (المتوفى عام ٣٧٢ هـ ٩٨٢ م) فى بغداد والخليفه العزيز فى القاهره وزيراً نصرانياً.

وقد استأذن نصر بن هارون وزير عضد الدوله سيده فى عماره البيع والديره وفى إطلاق المال لفقراء النصارى ، فأذن له (٦).

وقد أفتى بعض فقهاء الإسلام الكبار بأنه يجوز أن يكون وزير التنفيذ لا وزير التقويض من أهل الذمه (٧).

١- عريب ص ١١٢ ١١١ .

٢- الأوراق للصولى ص ٩٦ .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٤٦٤ ٤٦٥ .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٣١٠ .

٥- ديوان ابن الحجاج ج ١٠ ص ١٨ .

٦- مسكويه ج ٦ ص ٥١١؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٥١٨ .

٧- وزير التنفيذ لا- يباشر الحكم ولا- يقلد العمال ولا يدبّ الجيش ؛ أما وزير التقويض فهو الذى يفوض السلطانُ إليه تدبيرَ المملكه برأيه ، وهو يشارك السلطان فى حكمه ، وليس وزير التنفيذ إلا سفيراً بين السلطان والرعيه . انظر كتاب العقد الفريد لأبى سالم محمد بن طلحه المتوفى عام ٦٥٢ هـ ص ١٤٧ من طبعه مصر . (المترجم) .

وقد ولىّ المأمون على مدينه بوره بمصر عاملا مسيحيا ، فكان إذا جاء يوم الجمعة لبس السواد وتقلد بالسيف والمنطقه ، وركب بزوناً وقدامه أصحابه ، فإذا وافى باب المسجد وقف ، ودخل خليفته، وكان مسلماً يصلى بالناس ويخطب للخليفه ، ثم يخرج إليه (١).

وكان لخمارويه وزير نصرانى فاجتاز يوماً راكباً فتعرض له بنان الحمال الصوفى وأنزله عن دابته ، وقال له : لا تركب الخيل ، فأمر خمارويه أن يوءخذ بغان وي طرح بين يدي سبع ، ف طرح وبقى ليلته ، فلما جاء الصباح وجدوا بُناناً قاعداً مستقبلاً للقبلة ، والسبع بين يديه (٢).

وفى عام ٣٨٩ هـ ٩٩٩م توفى القاضى محمد بن النعمان ، فوجد عليه مالٌ من أموال اليتامى وغيرهم ، فأرسل كاتب نصرانى يسمى فهداً ، فاحقاظ على القاضى وشرع فى تغريم الشهود الذين كان القاضى أودع عندهم الأموال ، وألزم ابن القاضى بيع ما خلفه أبوه للوفاء بالودائع (٣).

ومن العجيب أنه على الرغم من هذا الوضع الذى لم يكن طبيعياً لانجد الموءرخين ، حتى المسيحيين منهم ، يذكرون إقليلا من المشاغبات بين المسلمين وأهل الذمه فى القرن الرابع الهجرى ، وسأفصّيه كما ذكروها : فى سنه ٣١٢ هـ ٩٢٤م ثار المسلمون بدمشق هدموا كنيسه كبيره ، وأخذوا منها زهاء

١- يحيى بن سعيد ص ٧٤ ب .

٢- أبوالمحسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٢٣٣ ٢٣٤ .

٣- القضاء للكندى ص ٥٩٥ ، ٥٩٧ .

مائتى ألف دينار من صلبان ذهب وفضه وكوءوس وِصَوَانٍ ونحوها ، ونهبوا دياراتٍ كثيره ؛ وكذلك ثاروا بالرمله فهدموا كنيستين للملكيه وهدموا كنيسه قيساريه ؛ فرفع النصارى الأمر إلى المقتدر فوقَّع لهم ببيان هذه الكنائس (١).

وكذلك ثار المسلمون بعسقلان ، فهدموا كنيسه كبيره ، ونهبوا مافيها ، وأحرقوها ؛ وعاضد اليهود المسلمين فى هدمها ، وكان اليهود يشعلون النار فى الحطب ويجرونه بالبكر إلى أعلى السقوف حتى يحرقوها وينحل رصاصها تقع العمدة ، وقد خرج أسقف عسقلان إلى مدينه السلام متوسِّلاً لرُدِّها ، فلم ينجح له سعى (٢).

وفى سنه ٣٨١ هـ ٩٣٧م ثار المسلمون فى بيت المقدس ونهبوا بعض الكنائس (٣). وفى سنه ٣٨١ هـ ٩٩١م استهزأ رجلاان من المسلمين بمنجم مسيحي لأنه لم يكن يحمل علامات النصارى .

فشكا ذلك إلى رئيسه ، فسجنهما فشعثت بعد ذلك كنيستان ؛ وقد هدا الجائليق هذه القصة بعد هدايا كثيره (٤).

ثم هاج المسلمون بعد ذلك ، لأنهم وجدوا رأس خنزير فى أحد المساجد ، وظنوا أن النصارى هم الذين رموه (٥) وفى عام ٣٩٢ هـ ١٠٠٢م ثار العامه بالنصارى فى مدينه السلام لمقتل أحد المسلمين ، ونهبوا بيعه وأحرقوها ،

١- يحيى بن سعيد ص ٨١ ، والخطط للمقريزى ج ١ ص ٤٩١ .

٢- يحيى بن سعيد ص ٨٤ ج ب .

٣- نفس المصدر ص ٨٢ .

٤- Barhebraeus Chron. eccles. III, ٢٥٩ .

٥- نفس المصدر .

فسقطت على جماعه من المسلمين رجالا وصبيانا ونساءً ، وكان الأمر عظيماً (١) .

وفى عام ٤٠٣هـ ١٠١٢م توفيت بنت أبي الهيجاء ؛ فأخرجت جنازتها نهاراً ، ومعها الطبول والنوايح والزمور والرهبان والصلبان والشموع ؛ فقام رجل من الهاشميين فأنكر ذلك ، ورجم الجنازه ، فوثب أحد الغلمان بالهاشمى ، فضربه بدبوس على رأسه فشجّه فسال دمه ؛ وهرب النصارى بالجنازه إلى بيعه باب الروم ؛ فتبعهم المسلمون ، ونهبوا البيعه وأكثر دور النصارى المجاوره لها ؛ وشارت الفتنة بين غلمان أبي الهيجاء وبين العامه ، ورُفعت المصاحف فى الأسواق ، وغُلقت أبواب الجوامع ؛ وقصد الناس إلى دار الخليفة على سبيل الاستنفار ، فطلب الخليفة الكاتب من المناصح ، فامتنع فغاض الخليفة امتناعه ، وتقدّم بإصلاح الطيار للخروج عن البلد ، وجمع الهاشميين إلى داره ، واجتمعت العوامُ فى يوم الجمعة ؛ وقصدوا دار المناصح فدفع غلمانُه رجلاً ذُكر أنه علوى ، فزادت الشناعه ؛ وامتنع الناس من صلاه الجمعة وظفرت العامه يقوم من النصارى ، فقتلوهم وتردّدت الرسائل بين الخليفة وبين المناصح إلى أن بذل الكاتب النصرانى إلى دار الخلافه ، فكفّ العامه عن ذلك ، ثم أُفرج عن الكاتب بعد قليل (٢) .

وهذه الحوادث قليلة جداً بالقياس إلى بلاد المشرق كلها على سعتها . أما فى مصر فكانت العلاقات بين المسلمين والنصارى متوتّره ؛ فقد كان فى مصر كنيسه

١- نفس المصدر ص ٢٦٢ ، وما يليها ، كتاب الوزراء ص ٤٤٣ ، والمنتظم لابن الجوزى ص ١٤٧ اب .

٢- المنتظم ص ١٥٩ .

متحده أمام الإسلام ، وكان بها شعبٌ له لغته الخاصه وشخصيته أمام العرب ، ولم يبدأ القبط فى ترك لغتهم القبطيه إلا حوالى أواخر القرن الرابع (١).

وفى القرنين الأولين للهجره لم تنقطع ثورات القبط ؛ بل تابعت حتى أحمدت آخرها عام ٢١٦هـ ٨٣١م . وفى ذلك الوقت كان كل أهل الطبقة الوسطى بمصر نصارى ؛ وكان بين العرب والقبط من قله التفاهم ما كان بين اليونان والمصريين من قبل ، وذلك على الرغم من أن الأقباط قد أدخلوا منذ أول الأمر فى الحديث يوصى فيها به الكتاب النصارى فى الدوله الإسلاميه ، وفى حديث ذكره : وهم (القبط) أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم ، قالوا : كيف يكونون أعوانا على ديننا يا رسول لله ؟ قال : يكفونكم أعمال الدنيا ، وتتفرغون للعباده» (٢) ؛ ولقد قام الأقباط بهذا الدور خير قيام حتى إن أكثر الفتن التى وقعت بين النصارى والمسلمين بمصر نشأت عن تجرّب المتصرفين الأقباط ؛ ولما

١- ولعل أحسن ما يشهد بهذا أن المقدسى ، وقد كان بمصر فى أواخر القرن الرابع ؛ يقول عن أهل مصر : إن ذمتهم يتحدثون بالقبطيه (ص ٢٠٣) ، على حين أن أسقف أشمون بمصر يقول فى كتابه سير البطاركه الذى ألقه بعد عام ٤٠٠هـ ١٠١٠م بقليل : إنه استعان ببعض المسيحيين الأكفاء على نقل ما وجدته من أخبار البطاركه بالقلم القبطى واليونانى إلى القلم العربى «الذى هو الآن معروف عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى واليونانى من أكثرهم» . (كتاب سير البطاركه لساويرس بن المقفع طبعه بيروت سنه ١٩٠٤ ص ٦) . على أن الشعر القبطى الشعبى الذى عرفناه من القرن العاشر الميلادى هو شعر دينى خالص كما رأيت ذلك من ترجمه العالمين H. Junker, A. Erman لهذا الشعر .

٢- الخطط للمقرئى ج ١ ص ٢٤٢٥ ، وكتاب تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ص ٢٨ ب نقلا عن كتاب فضائل مصر .

جاءت انتصارات الروم على المسلمين حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى كان لها صداها فى مصر ؛ فلما ورد الخبر بأن الروم دخلوا الشام عام ٣٤٩هـ ٩٦٠م وقتلوا وخرّبوا ، هاج المسلمون على النصارى ، ووقعت صيحة فى الجامع العتيق بعد صلاة الجمعة فهاج الرعاع ونهبوا كنيستين(١) .

ولما غزا الإمبراطور نقفور جزيره أفريطيش فى العام التالى ووصل خبر ذلك إلى مصر ثار المسلمون وقصدوا كنيسه ميخائيل التى للملكيه بقصر الشمع فشعثوها وخرّبوها ، وظلت مغلقة مده طويله وأبوابها مطمورة بالتراب(٢) .

وقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمه تسامحاً نَعَجِب له ؛ إذ لا يُتَظَر ذلك من قوم مثلهم ، لهم مذهبٌ خاص انفردوا به ، وخالفوا به جمهور المسلمين ؛ فقد كان للخلفاء الفاطميين أطباء من اليهود ، ولم يَحْتَجِ هؤلاء الأطباء إلى تغيير دينهم(٣) ؛ وعظم نفوذهم حتى صار لا يعمل شىء فى بلاط المعز إلا بمعونه اليهود ؛ عرف ذلك الوزير الداهية ابن كلّس الذى كان يهودياً ، فأسلم وصار يتحيز إلى إخوانه فى الدين من قبل(٤) .

وكانت النزعه العقلية فى مذهب الإسماعليه واعتقادهم بإمكان إقامة الدليل النظرى عليه مما مهّد للمناقشه العلنيه بين المسلمين والنصارى لأول مره فى تاريخ الإسلام(٥) .

١- يحيى بن سعيد ص ٩٢ .

٢- نفس المصدر ص ٩٢ .

٣- Graetz : Gesch. der Juden V, ٤. Aufl. S. ٢٦٦ .

٤- De Goeje : ZDMG, ٥٢, s. ٧٧ . نقلا عن ابن الجوزى مخطوط ٣٨٠ jahr ٦٧٩ . Bodl. Uri.

٥- Guyard: Grand Maitre des Assassins, S. ١٤ .

وفى عهد العزيز بالله زاد بلاط الخليفة فى إكرام النصارى ؛ وذلك أنه كان للعزيز أصهارٌ مسيحيون منهم أرسطس خال السيده ابنه العزيز بالله ، وقد صُيِّر بطيركا على بيت المقدس ، وصُيِّر أخوه أرمانوس مطراناً على القاهره ومصر ، وكان لهما جميعاً محلٌّ لطيف عند العزيز وتقدّم فى مملكته(١) .

فلا عجب بعد هذا أن نجد الشاعر الحسن بن بشر الدمشقى يقول تعريضاً بهذه الحاله :

تنصّر ، فالتنصّر دين حق عليه زمانتا هذا يدلُّ

وقل بثلاثه عزّوا وجلّوا وعطّل ما سواهم فهو عطل

فيعقوب الوزير أبٌ وهذا الع زيز ابن وروح القدس فضل

ولما شكّا الفضل إلى العزيز أمرَ هذا الشاعر وطلب معاقبته امتعض منه ، إلا أنه قال : أعف عنه ، فعفا عنه ؛ ثم دخل الوزير على العزيز وشكّا إليه أيضاً ، فقبض على الشاعر ثم أطلقه(٢) .

ثم إن هذا الخليفة نفسه استوزر بعد ذلك عيسى بن نسطورس النصرانى ، واستتاب بالشام يهودياً اسمه منشا ؛ فاعتزّ بهما النصارى واليهود ، وآذوا المسلمين ، فكتب أهل مصر رقعه وجعلوها فى يد صوره عملوها من الورق ، وأقعدوا الصوره فى طريق العزيز والرقعه بيدها ، وفيها : بالذى أعزّ اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذلّ المسلمين بك إلا كشفت ظلامتى ! فلما رآها العزيز علم ما أريد ، فقبض على الرجلين وصادرهما(٣) .

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٨ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ٨٢ .

٣- نفس المصدر ص ٨٢ ٨١ .

وفى عهد هذا الوزير النصرانى وقعت فتنه بين المسيحيين والمسلمين وذلك أنه لما خرج الإمبراطور باسيلوس إلى الشام لفتحها فى عام ٣٨٦هـ ٩٩٦م برز العزيز فى سائر جيوشه وأظهر العزم على غزو بلاد الروم ، وأمر عيسى بن نسطورس بإنشاء أسطول يسير معه ؛ فلما تم إعداده وقعت فيه نار فى اليوم الذى عزم فيه العزيز على السير ، واتهم الرعيه تجار الروم الواردين بالبضائع إلى مصر بإحراقه ، فثار العامه وقتلوا منهم مائه وستين رجلا- ، ثم تحوّلوا عن الروم إلى نهب كنائس النصرارى ، وجرح فى هذا الشغب أسقفُ النسطوريين جراحات مات فيها .

وقد أعاد الوزير النظام إلى نصابه واعتقل ثلاثه وستين من النهّابه ، وأمر العزيز بإطلاق ثلثهم وضرب ثلثهم وقتل ثلثهم وذلك بأن كتب رقاعاً على بعضها : تُضْرَب ، وعلى بعضها تُقتل ، وعلى بعضها تُطلق ؛ وأمر كل واحد من النهّابه أن يأخذ رقعه منها بعد أن وُضعت تحت إزار ، فكان يُعمل به بحسب ما يخرج فى يده(١) .

وفى عام ٣٩٣هـ ١٠٠٣م بدأت علامات العاصفه التى أثارها تعصب الخليفه الحاكم بأمر الله(٢) .

١- يحيى بن سعيد ص ١١٢ ب ١١٣ ، ويحكى المقرئى (الخطط ج ٢ ص ١٩٦ ١٩٥) هذا باختصار ، ولكنه يزيد على ذلك أنه طيف بمن أطلق ، وفى عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم . ولا نجد مثلاً آخر لهذه العقوبه فى القرن الرابع .

٢- أوسع تاريخ للحاكم هو ما حكاه دى ساسى : (Druses des religion CCL××VIII la Expose de Sacy: DE) ، ولكن دى ساسى لم يرجع إلى تاريخ يحيى بن سعيد معاصر الحاكم ، وهو الذى أكمل تاريخ يحيى بن البطريق ، وهو مؤرخ ثقة معتدل . ومن هذا الكتاب خاصه نستطيع معرفه الحوادث بحسب ترتيبها التاريخى لأول مره ، أما ما كتبه المؤرخون المعاصرون الآخرون مثل الأسقف سيفروس (Severus) فهو أشبه بقصص الأتقياء .

ولما رأى العامه أن العنان قد أرسل لهم ، بدأوا يهدمون الكنائس ، وبنى الخليفة مكانها مساجد ، منها الجامع الأزهر المشهور ؛ ثم أعاد الحاكم قوانين اللباس القديمه على أشد صورها ، فألزم النصارى أن يعلّقوا فى أعناقهم صلبانا من الخشب ؛ ومُنعت مواكبهم العامه ؛ وحُظِر عليهم ضرب النواقيس ، وأمر ألا يظهر صليبٌ ولا تقع عليه عين ؛ فُنزعت الصُّلبان من الكنائس وطُمست آثارها من ظاهر البيع والكنائس .

وأُتلفت الكنائس الكبرى مثل كنيسة القبر بالقدس ودير القصير الكبير المبنى على سفح جبال المقطم ، وقد انتهك المسلمون حرمة المقبره الكبرى فى هذا الدير ؛ ولكن الحاكم لم يرد ذلك ، وقد أمر بمنعه بمجرد علمه به .

ورغم هذا كله استوزر الحاكم منصور بن سعدون النصرانى ، واتخذ لنفسه أطباء نصارى طول هذه المده .

وقد نقدم بإثبات أسماء سائر المسلمين المتعطلين والمتصرّفين من الكتاب الذين يصلحون للخدمه فى دواوينه ليستعيض بهم عن النصارى .

وكان سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى إلا نفرأ يسيراً من الكتاب ؛ ثم كثرت الشناعات السيئه فى النصارى ، فاجتمع سائر من بمصر من الكتاب والعمال والإطباء وغيرهم من أساقفتهم وكهنتهم وتوجهوا إلى قصره فى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الأول سنه ٤٠٣هـ (١٠١٢م) ، وكشفوا عن روءوسهم من باب القاهره ، ومشوا حُفاه باكين مستغيثين إليه يسألونه العفو والصفح ، ولم

يزالوا في طريقهم يقبلون التراب إلى أن وصلوا إلى قصره ، وهم على تلك الحال ؛ فأنفذ إليهم أحد أصحابه، وأخذ منهم رقعه كانوا قد كتبوها يلتمسون فيها عفوهم ؛ ثم عاد الرسول إليهم وردّ عليهم ردّاً جميلاً، ووعدهم بما اطمأنت له قلوبهم ، فلما كان يوم الأحد النصف من شهر ربيع الآخر أمروا بتعظيم الصلبان التي في رقابهم ، وأن يجعلوا طولها ذراعاً ملكياً في عرض مثلها ، وأن يكون سيمكها إصبعاً ، وأمر اليهود أن يعلقوا في أعناقهم أيضاً أكرّ خشب من خمسه أرتال إشارةً إلى رأس العجل الذي عبده سالفاً ؛ وتهدد النصارى ، وكثر الإرجاف بهم ، فأسلم كثير كم شيوخ الكتاب والمتصرّفين ، وتبعهم خلقٌ من عوام النصارى ؛ وتلاحقوا فلم يبق منهم إلا نفر يسير ؛ ولم تزل الطرقات إياماً عده لا يرى فيها نصراني .

على أن كثيراً ممن أسلموا إنما تظاهروا بالإسلام تظاهراً ، ومنهم محسن بن بدوس الذي قتل عام ٤١٥هـ ١٠٢٤م وهو يلي بيت المال إذ ذاك ، فقد قيل إنه لما قُتل قيل إنه لما قُتل وجد أغلف لأنه كان نصرانياً ، وكان قد ظاهر عند إسلامه أنه أحضر الخاتن وختنه ، ولم يكن من ذلك شيء (١) .

أما اليهود فإنهم تمسكوا بدينهم ولم يُسلم منهم إلا نفرٌ يسير ، وكذلك النصارى الذين في بقية البلاد ، فلم يُسلم منهم في بقية أعمال المملكة إلا قليل ، وهُدمت ألوف كثيرة من الكنائس والأديرة واستُخرج من المتولّين أمرها من النصارى في كل بلده ما دُفع إلى الفعلة الذين قاموا بهدمها ؛ وأتى على جميع أديرة المملكة إلا

١- انظر حكاية المسيحي (المتوفى عام ٤٢٠ هـ ١٠٢٩م) التي ذكرها بَكْر : C. H. Becker, Beitrage Zur. :
Geschichte, I, S. ٤١

الدير القديم المجاور للإسكندرية والدويره القريبه منه ، لأن بعض قبائل العرب دافعوا عنها لمنافع لهم فيها .

وأوعز بهدم دير طور سيناء ، وأقطعه الحاكم لرجل توجه إليه ، فكان من حكمه المترهب فيه أنه أحسن لقاء الرجل وسلّمه جميع آلات الدير ، وتلطف في إفهامه أن هدمه يصعب عليه وعلى غيره لحصانته ووثاقه بنيانه ، وأنه يحتاج في هدمه إلى نفقات تفوق ما يحصل له منه ، فترك الرجل التعرّض له .

ولكن الحاكم لم يستمر على هذا الأضطهاد ، فلما وصلت إلى أنفه رائحة المذهب الدرزي الذي كان قد ظهر حديثاً ومال إليه وأراد أن يقوّيه على رغم معارضة المتمسكين بأصول الإسلام الأولى لم يعد لديانات أهل الذمه ما كان لها من أثر في نفسه ؛ ففي عام ٤١٠هـ ١٠١٩م رُفِع إليه عدة مرات أن النصرارى يجتمعون في بيوتهم ويقدّسون ويصلون ويحضر معهم جماعه من الذين أسلموا فيشاركونهم في أخذ القربان ، فلم ينكر ذلك وأعرض عن كلام الساعين .

وفي هذا العام نفسه أعاد جميع الأوقاف المقبوضه التي كانت برسم دير طور سيناء كما أذن بعماره دير القصير وأطلق ما كان برسمه من الأوقاف(١).

وفي عهد الخليفه الظاهر الذي جاء بعد الحاكم عاد كل شيء إلى ما كان عليه ، فعاد النصرارى إلى التظاهر بأعيادهم وخروج الباغوث إلى كنائسهم التي في ظاهر المدينة والقاهره ، والخليفه بمصر يحضر لمشاهده اجتماعاتهم ويتقدم بصيانتهم(٢).

١- يحيى بن سعيد ص ١٢١ ب ١٢٣ ، ص ١٣١ ١٣١ ب .

٢- انظر الفصل الخاص بالأعياد .

وَحَقَّفُوا الْغِيَارَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذِكْرِ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْمَجْنُونِ إِلَّا- لِبَاسِ زِنَارٍ أَوْ عِمَامَةٍ سُودَاءَ ، وَهِيَ الَّتِي يَلْبَسُهَا الْمَسِيحِيُّونَ مِنْذَ ذَلِكَ الْحِينِ (١).

وقد ولى الوزاره بالقاهره منذ عام ٤٣٦هـ إلى ٤٣٩هـ = ١٠٤٤ إلى ١٠٤٧م أبونصر صدقه بن يوسف الفلاحى ، وكان يهوديا فأسلم ؛ وكان يدبر الدوله معه أبو سعد التستري اليهودى ولذلك قال الشاعر المصرى الحسن بن خاقان :

يهودُ هذا الزمان قد بلغوا غايه آمالهم وقد ملكوا

العزُّ فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا ، قد تهود الفلك (٢).

١- يحيى بن سعيد ص ١٣٣ب ، كانت الأوامر الخاصه باللباس لا تزال تتكرر بين حين وآخر ، فمن ذلك أن السلطان الناصر بن قلاوون فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) أمر أن يلبس النصارى العمائم الزرق ، واليهودُ العمائم الصفرة ، والسامره العمائم الحمر (كتاب الأوائل لعلى دده ، مخطوط برلين المتقدم الذكر ص ٥٩) ، ولا يزال السامره بفلسطين يلبسون العمائم الحمر إلى اليوم .

٢- حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ ص ١١٧ .

تعليقات الفصل الرابع

[١] هذا استنباط من المصنف وأما معاشر الإمامية فيقول الشيخ الطوسي قدس سره من أعظم العلماء في القرن الخامس الهجري في كتاب الخلاف (١): إذا انتقل الذمى من دينه إلى دين يقر أهله عليه مثل يهودى صار (يصير) نصرانياً أو نصرانياً صار يهودياً أو مجوسياً أقرّ عليه وذكر أنه مذهب أبى حنيفة وأحد مولى الشافعى نعم القول الأصح عندهم أنه لا يقرّ ويستدل شيخنا قدس سره باجماع الفرقه على أن الكفر كالملة الواحده يرث بعضهم من بعضهم . ويظهر (٢) بعض ما ذكره من كتاب النكاح...

[١] الرجل (٣) المسلم اذا ارتدّ وكانت ولادته أو انعقاد نطفته حال اسلام أبويه او أحدهما وبلغ مسلماً يقتل لكونه عن فطره وغيره فمن جمع الشرطين أو عند كثير الشرط الأول منهما ويسمى طياً يستتاب ثلاثه أيام فان أبى يقتل وأما المرأه فلا تقتل بالارتداد ملىه كانت أو فطريه ...

[١] قد تقدّم الكلام عليه :

[٢] هذا (٤) عند قوم منهم شريح والزهرى وربيعه وابن أبى ليلى وأحمد واسحق وعند

١- الخلاف ج ٢ مسئله ٢٠ كتاب الجزيه.

٢- الخلاف ٢ كتاب النكاح مسئله ١٠٣- ١٠٤.

٣- جواهر الكلام ج ٤١ ص ٦٠٠ الى ٦١٣.

٤- كتاب النكاح مسئله ١٠٣-١٠٤.

أبي حنيفة وأصحابه ومالك والشافعي والثوري ارث الذمى من الذمى كما هو عندنا .

[٣] هذا(١) بالنسبة إلى الشق الأول صحيح لا خلاف فيه بين أهل الاسلام ولكن المسلم عندنا معاشر الشيعة بل غير واحد من الصحابة ان المسلم يرث الكافر ويمنع الكافر من الارث حتى اذا كان أقرب منه إلى الميت وعند الشافعي وغيره من الفقهاء ان المسلم لا يرث الكافر .

[١] هذا على اصول غيرنا وعندنا ارث القرابه على طبقات ثلاث يقارنهم الزوجان سواء ما نسّميه فرضاً وهو مقدار السهم الوارد فى الكتاب العزيز أو ما اصطلاح عليه بالزّد أو بسبب القرابه ويرشد إليه آيه « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ »(٢) واذا عدموا أو منعوا من الارث شرعاً يرث وارث السبب غير الزوجين وآخرهم الامام على تفصيل مذکور فى الكتب الفقهيّه ولا أصل عندنا للعول ولا للتعصيب .

[١] هذا روايتهم (أهل السنه) عن النبي صلى الله عليه و آله وعلى فرض ورودها وصحتها فسرها(٣) الامام الصادق عليه السلام بقوله نرثهم ولا يرثونا ان الاسلام لم يزد فى حقه الا شدة : أو لم يزد إلا غراً فى حقه :

[١] ذكر(٤) شيخ الطائفة قدس سره اجماعنا على أنه لا يقتل مسلم بكافر مطلقاً قال وبه قال غير على عليه السلام عمر وعثمان وزيد بن ثابت ومن الفقهاء مالك والاوزاعى والثورى والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق وذكر أن طائفة منهم الشعبي والنخعي وأبو حنيفة وأصحابه ذهبوا إلى قتله بالذمى لا بالمستأمن والحربى .

١- الخلاف ٢ كتاب الفرائض مسئله ١٦-١٧.

٢- الانفال: ٧٥.

٣- وسائل الشيعة ج ١٧-١٤/١ من أبواب موانع الارث.

٤- الخلاف ج ٢ كتاب الجنائيات مسئله ٢.

وتعرّض الشيخ قدس سره في (١) الحكاياه لطيفه في قتل الموءمن بالكافر عن الساجي أنه تقدّم إلى أبي يوسف في مسلم قتل كافرًا فأراد أن يقيده به وكان على رأس أبي يوسف رجل في يده رقاع فناوله الرّقاع وحبس منها رقعه .

فقال : ما تلك الرقعه .

فقال : فيها شعر .

فقال هاتها فأعطا فاذا فيها شعر شاعر بغدادى كان يكنى أبا المصرخى بقول :

يا قاتل المسلم بالكافر جُرت وما العادل كالجائر

يا من ببغداد وأطرافها من فقهاء النَّاس أو شاعر

جار على الدّين ابو يوسف بقبله المسلم بالكافر

فاسترجعوا وابكوا على دينكم واصطبروا فالأجر للصابر

فأخذ أبو يوسف الرقعه ودخل على الرشيد فأخبره ، فقال له احتل فيها .

فلَمّا كان المجلس الثانى قال أبو يوسف لأولياء القتل ايتونى بشاهدين عدلين يشهدان عندى أنه كان يوءدّى الجزيه عن يد فتعدّر ذلك فاهدر دمه وأخذوا الديه .

[١] ديه (٢) اليهودى والنصرانى عند معظم الشيعة الاماميه كديه المجوسى / ٨٠٠ درهم ونصفها للمرأة ولمخالفينا أقوال : ١ ديتهما ثلث ديه المسلم ٣١٣٣ من الابل أو قيمتها وعن القديم الثلث من ألف دينار أو اثنى عشر ألف درهم وهذا الشافعى وبعض الصحابه والتابعين والفقهاء . ٢ نصف ديه المسلم ذهب إليه عمر بن عبد العزيز وعروه بن الزبير ومالك بن انس . ٣ أنها مثل ديه المسلم وهو قول ابن مسعود وبعض الصحابه و التابعين

١- البسوط ج ٧ ص ٦ والاشعار فى الجواهر ج ٤٢ ص ١٥٠ .

٢- الخلاف ٢ كتاب الديات مسئله ٧٧-٧٨، المبسوط جلد ٧ ص ١٥٦، جواهر الكلام ج ٤٣ ص ٣٨-٤١، الانتصار ٢٧٤.

وقول الثورى وأبى حنيفه وأصحابه . ٤ أنها ديه المسلم فى القتل عمداً ونصفها فى القتل خطأ ذهب إليه أحمد بن حنبل ولم يفرق بين الذمى والمعاهد والمستأمن .

وأما المجوسى فقول مالك والشافعى / ٨٠٠ درهم وهو اجماع الصحابه وجعل عمر بن عبد العزيز ديته كديه اليهودى عنده نصف ديه المسلم وأبو حنيفه جعلها كديه المسلم... .

[١] وفى (١) القرآن الكريم قوله : « سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » . فالقاضى مخير فى الحكم بينهم والاعراض عنه واذا حكم فيحكم بحكم الاسلام...

الفصل الخامس: الشيعة

إشاره

لما جاء القرن الرابع الهجرى كان حزب الخوارج قد فقد ما كان له من شأن ، بعد أن كان أقدم حزب يناوىء الخلافة الرسميه ؛ وأصبح الخوارج مفرّقين فى وسط المملكه الإسلاميه ، يوءلّفون جماعات صغيره لها مذهبها الخاص ؛ وكان لهم خروج وحروب بديار ربيعه وعمان وغيرها فى أوائل القرن الرابع (١)؛ ولم تكن لهم قوهٌ وصيولهُ إلا- فى الأ-طراف فى بلاد سجستان ونواحى هراه (٢) ، وكذلك فى الغرب ، حيث دخل فيهم البرير المقيمون على شاطئ مضيق جبل طارق (٣).

وقد واصل الشيعة المهديه ، القرامطه والفاطميون ، ما كان قد بدأه الخوارج من مكافحه الخلافة ؛ وكان هذا علامه من العلامات التى تنذر بنهايه الأصول

١- مروج الذهب للمسعودى ج ٥ ص ٣٢٠ .

٢- مقدسى ص ٣٢٣ .

٣- Goldziher, ZDMG, ٤١ S. ٣١ ff ، وكانوا إباضيه نكاريه ؛ أما فى المشرق فكانوا على مذهب الصفرية المتطرفين . ويقول ابن حزم (الفصل ج ٤ ص ١٩٠) : إن فرق الخوارج كلها قد بادت ولم يبق على عهده إلا الإباضيه والصفرية . وفى أيامنا هذه لم يبق من الخوارج جماعةٌ مهمه إلا عرب عُمان ومن تأثر بهم فى إفريقيا الشماليه .

ذلك أنه من أكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجري ظهور مذهب الشيعة يحمل بين ثناياه الكثير من الأفكار الشرقية القديمة ، ويجعلها مكان بعض الأفكار الإسلامية .

ولقد أبانت لنا مباحث فلهاوزن بصورة أدنى إلى الصواب أن مذهب الشيعة ليس كما كان يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الأيرانية يخالف الإسلام (١) .

ومما يوءيد أبحاث فلهاوزن التوزيع الجغرافي للشيعة في القرن الرابع ؛ وقد ألمع الخوارزمي في أواخر القرن الرابع إلى أن الراق هو الموطن الأول للتشيع (٢) .

وكانت الكوفة ، وبها قبر علي (رضى الله عنه) [١] أكبر مركز للشيعة حتى ذلك العهد ، وكان يقال : «من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ (بالكوفة) وليقل : رحم الله عثمان بن عفان » (٣) .

وفي غضون القرن الرابع امتدّ مذهب الشيعة إلى البصرة ، وهى المنافس القديم للكوفة والتي كان يقال عنها في القرن الثالث : أما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا إلا القليل ، « وأما الكوفة

١- راجع كتاب ٩١ ؛ Julius Wellhausen, Die religio-politischen Oppositions parteien im alten, Berlin, ١٩٠١, S. ٩١ .

٢- رسائل ابى بكر الخوارزمى طبعه القسطنطينيه عام ١٢٩٧ ص ٤٩ .

٣- تاريخ بغداد مخطوط رقم ٢١٢٨ بمكتبه باريس الأهليه ص ١٤ ب . ، ويقول المقدسى (ص ١٢٦) : إن أهل الكوفة شيعة إلا الكناسه فإنها سنيه .

وسوادها فقد غلب عليها على وشيعته» (١).

وفى البصره اضطر أبوبكر الصولى (المتوفى عام ٣٣٠ هـ ٩٤٢ م) أن يستتر حتى مات لأنه روى خبراً فى عليب (رضى الله عنه)، فطلبته الخاصه والعامه لتقتله (٢).

وفى القرن الخامس الهجرى كان فى البصره مالا يقلّ عن ثلاثه عشر مكاناً تتصل بذكرى على (٣).

وكان يقدسها الشيعة، بل كان يوجد فى المسجد الكبير فى ذلك الوقت أثرٌ من آثار على يعرض للناس، وهو قطعه من الخشب طولها ثلاثون ذراعاً وعرضها خمسه أشبار وسمكها أربعة أصابع، يقال إن علياً جاء بها من الهند (٤).

وكانت الشام منذ أول الأمر تربّه غير صالحه لدعوه العلويين؛ ويحكى أن أبا عبدالرحمن النسائي (٣٠٣ ٢١٥ هـ) دخل دمشق، وكان يتشيع، فسئل عن معاويه وما روى من فضائله فقال: أما يرضى معاويه أن يخرج رأساً برأس حتى يفضّل؟ وفى روايه أنه قال: ما أعرف له فضيله إلا «لا أشبع الله له بطناً»، فما زالوا يدفعونه حتى أخرجوه من المسجد، وداسوه ثم داسوه، ثم حمل إلى الرمله، فمات وهو منقول بسبب ذلك الدوس (٥).

وكان أهل طبريه ونصف نابلس وقَدَس وأكثر عمان شيعة (٦). ولا أدرى كيف

١- ثلاث رسائل لأبى عثمان الجاحظ طبعه فان فلوتن بليدن ١٩٠٣ ص ٩.

٢- الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

٣- ناصر خسرو ص ٨٧.

٤- نفس المصدر.

٥- الوفيات لابن خلکان طبعه فستفلد ١٨٣٥ ج ١ ص ٣٧، انظر أيضاً طبقات السبكي ج ٢ ص ٨٤.

٦- المقدسى ص ١٧٩.

كان ذلك . ورغم قيام الدوله الفاطميه نلاحظ أن حزب الشيعة لم يتقدم إلا قليلا ؛ وإذا كان ناصر خسرو قد وجد أهل طرابلس في عام ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م شيعه (١) .

فقد جاء ذلك من أن بنى عمّار ، وهم إحدى الأسرات الصغيره الكثيره على الأطراف ، كانوا هناك على مذهب الشيعة ؛ ويظهر أنهم عملوا بمقتضى القاعده السيئه التي تجعل للأمير الحق في فرض المذهب الذي يريده (٢) .

وهي قاعده لم يناد بها أحد في الإسلام فضلاً عن أن تُطبّق تطبيقاً شرعياً .

وكانت جزيره العرب شيعه كلها عدا المدن الكبرى مثل مكه وتهامه وصنعاء وقُرح ، وكان للشيعة غلبه في بعض المدن أيضا مثل عمان وهجر وصعده (٣) .

وفي بلاد خوزستان التي تلى العراق كان نصف الأهواز ، وهي القصبه ، على مذهب الشيعة (٤) ؛ أما في فارس فكان الشيعة كثيرين على السواحل التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالعراق وخصوصا بالعرب المتشيعين (٥) ؛ أما في جميع المشرق فكانت الغلبه لأهل السنّه إلا أهل قم [١] .

فإنهم كانوا «شيعه غالیه ، قد تركوا الجماعات ، وعطلوا الجامع إلى أن ألزمهم ركن الدوله عمارته ولزومه» (٦) .

١- ناصر خسرو ص ٤٢ .

٢- *Cujus regio, ejus religio* ، وهذا ما تم الاتفاق عليه بين الأمراء الألمان والإمبراطور في آخر القرن السادس عشر ، وهو أن يكون لكل أمير الحق في أن يقرض على أهل إمارته المذهب الذي يراه. [المترجم] .

٣- مقدسى ص ٩٦ .

٤- نفس المصدر ص ٤١٥ .

٥- نفس المصدر ص ٤٣٩ .

٦- المقدسى ص ٣٩٥ ، وقد تمثل أحد الشعراء بذكر نساء قم الشيعيات : فكانها شيعيه قميه وكأن سيدنا الوزير إمامي (يتيمه الدهر ج ٤ ص ١٣٥) ، وكان للشيعة إلى جانب ذلك غلبه في مدينه الرقه إحدى المدن الصغرى بقوهستان (مقدسى ص ٣٢٣) ؛ وقد كان عند رجل جبه وهبها له أحد كبار الشيعة فاشتراها أهل قم بثلاثين ألف درهم (الأغانى ج ١٨ ص ٤٣) .

والسبب [١]. فى تفرد أهل قم بذلك أن هذه المدينة قد احتلها من قبل أصحاب ابن الأشعث ، وكان رئيسهم قد أدب ابنه فى الكوفة ؛ وكان غلوّ أهل قمّ موضع كثير من النوادر « . . . ومن ظريف ما يحكى أنه ولى عليهم والٍ ، وكان سنيا متشدداً ، فبلغه عنهم أنهم لبغصهم الصحابه الكرام لا- يوجد فيهم من اسمه أبوبكر قط ولا عمر ، فجمعهم يوماً وقال لروءسائهم : بلغنى أنكم تبغضون صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنكم لبغضكم إياهم لا تسمون أولادكم بأسمائهم ، وأنا أقسم بالله العظيم لئن لم تجيئوني برجل منكم اسمه أبوبكر أو عمر ، ويثبت عندى أنه اسمه ، لأفعلنّ بكم ولأصنعن ؛ فاستمهلوه ثلاثه أيام وفتشوا مدينتهم ، واجتهدوا ، فلم يروا إلا- رجلاً- صعلوكاً حافياً عارياً أحول أقبح خلق الله منظراً ، اسمه أبوبكر ، لأن أباه كان غريباً استوطنها فسماه بذلك فجاءوا به ، فشتمهم وقال : جئتومنى بأفبح خلق الله تتنادورن علىّ ! وأمر بصفعهم فقال له بعض ظرفائهم : أيها الأمير اصنع ما شئت ، فإن هواء قمّ لا يجيء منه من اسمه أبوبكر أحسن صوره من هذا ؛ فغلبه الضحك وعفا عنهم . . . » (١)

وكان فى قمّ فرقة من الغلاة وهم الغرابيه [١] .

ومذهبهم أن المال كله للبت، فلما ولى عليهم قاضٍ حكم للبت بالنصف

١- كتاب معجم البلدان لياقوت الرومى طبع ليبترج سنة ١٨٦٩ ج ٤ ص ١٧٨ .

هدّوه بالقتل ؛ « وهم قوم من شرار الروافض يذهبون ذلى هذه المقاله لأجل فاطمه رضى الله عنها »(١).

وفى عام ٢٠١ هـ ٨١٦م دفنت فى قمّ السیده فاطمه ابنه الإمام الثامن ، الرضا ، لأن قمّ كانت فى ذلك الوقت أحب مكان يدفن الفرس فيه موتاهم ، بعد مشهد .

أما أصفهان فقد كان فى أهلها بله وغلّو فى معاويه على عهد المقدسى ؛ ويحكى المقدسى أنه وُصف له رجلٌ بالزهد والتعبّد ، فقصدّه لیسائله ، فرآه يقول إن معاويه نبىُّ مُرسَل ، فلما أنكر المقدسى عليه ذلك أصبح يشنّع عليه ، ولولا أن القافله أدركته لبطشوا به(٢) .

وكانت أصفهان تخالف قمّ كل المخالفه ؛ ففى عام ٣٤٥ هـ ٩٥٦م وقعت بها فتنه كبيره نشأت عن اختلاف المذاهب ؛ وكان سبب ذلك أنه قيل عن رجل قمىّ إنه سبّ بعض الصحابه ، فنار أهل أصفهان ، واجتمع خلق لا يحصون كثره ووقع بينهم قتلى ، ونهب أهل أصفهان أموال التجار من أهل قمّ(٣) .

وفى أواخر القرن الرابع الهجرى نجد الهمذانى يقول إن خراب نيسابور واضطرابها وما نزل بأهلها من بلاء ، وكذلك ما نزل بقرهستان حتى صارت مأكله الغُصَص ونَجَعَه الأكدار ، كل ذلك لفشو مقاله الشيعة فيهما .

ويحكى الهمذانى عن صاحب له رجع من هراه ذكر أنه سمع فى السوق صبيا

١- طبقات السبكي ج ٢ ص ١٩٤ .

٢- المقدسى ص ٣٩٩ .

٣- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٨٨ .

يُنشَد : أن محمداً وعلينا لعنا تيما (منها أبوبكر) وعدى (منها عمر) (١) ، وفي ذلك العصر لم يكن قد تم لمذهب الشيعة افتتاح البلاد التي يملكها اليوم ، ولكنه كان سائراً في أحسن طريق يوصله إلى ذلك ؛ بل كان الاضطهاد مما يساعد هذا المذهب على الانتشار .

أما من حيث العقيدة والمذهب فإن الشيعة هم ورثة المعتزله [١] .

ولابد أن تكون قلة اعتداد المعتزله بالأخبار المأثوره مما لائم أغراض الشيعة .

ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهبٌ كلامي خاص بهم [١] .

[١] ولم يكن للشيعة مذهب كلامي إلى يعمل على حسب مذهب المعتزله .

فنجد مثلاً أن عضد الدوله وهو من الأمراء المتشيعين ، يعمل على حسب مذهب المعتزله (٢) .

ولم يكن هناك مذهب شيعي إلا للفاطميين ؛ ويصرح المقدسي بأنهم يوافقون المعتزله في أكثر الأصول (٣) .

وعلى العكس من هذا نجد الشيعة الزيدية يرتقون بسند مذهب المعتزله حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) ، ويقولون إن واصلأ أخذ عن محمد بن علي بن أبي طالب ، وإن محمداً أخذ عن أبيه (٤) .

١- رسائل الهمداني ص ٤٢٤ ٤٢٥ ، وابن حوقل ص ٢٦٨ .

٢- مقدسي ٤٣٩ .

٣- نفس المصدر ٢٣٨ .

٤- ذكر المعتزله من كتاب المنيه والأمل لأحمد بن يحيى المرتضى طبعه أرنلد بحيدرآباد ١٣١٦هـ ص ٥ .

« والزيدية يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها إلا في مسألة الإمامة » (١).

ويدل على العلاقة الوثيقة بين المعتزلة والشيعة أن الخليفة القادر جمع بينهما حينما نهى في عام ٤٠٨ هـ ١٠١٧ م عن الكلام والمناظرة في الاعتزال والرفض (أي مذهب الشيعة) والمقالات المخالفة للإسلام (٢).

ثم إن الطريقة التي سار عليها ابن بابويه القمي، أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري، في كتابه المسمى كتاب العلل تذكّرنا بطريقة علماء المعتزلة الذين كانوا يبحثون عن علل كل شيء.

وكان في مذهب الشيعة، كما كان في مذهب المعتزلة، مكاناً لكل ألوان الزندقه [* ٨].

فوجد ابن معاوية منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، يجمع حوله الزنادقة؛ وقتل أحد هؤلاء لأنه أنكر البعث، وكان يقول إن الناس تفنى كالنباتات (٣).

وفي عام ٣٤١ هـ ٩٥٢ م ظفر الوزير المهلبى بقوم من التناشيخي، فيهم شاب يزعم أن روح علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) انتقلت إليه؛ وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة (رضى الله عنها) انتقلت إليها؛ وفيهم آخر يزعم أنه جبريل؛ ففُضِرُوا، فالتجأوا لأهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لتشيّع كان فيه (٤).

ومثل هذه المقالات، وخصوصاً القول بالرجعه والتناسخ، يوجد في مذاهب

١- خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٥٢.

٢- المنتظم ص ١٦٥ ب.

٣- Wellhausen, Oppositionparteien, S. ٩٩.

٤- أبوالمحاسن، طبعه ليدن ج ٢ ص ٣٣٣.

الغنوسطين المسيحيين (١).

وكثيراً ما نجد في العراق حوالى عام ٣٠٠ هـ ٩١٢ م من يقول إن اللاهوتية اجتمعت في علي (رضى الله عنه) ، كما اجتمعت في عيسى عليه السلام من قبل (انظر الفصل الخاص بالدين) .

وكان أحد خطباء الشيعة ببغداد في عام ٤٢٠ هـ ١٠٢٩ م يدعو في خطبه الجمعة بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، فيقول :
وعلى أخيه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب مُكَلِّمُ الجمجمه ، ومحى الأُموات ، البشرى الإلهى ، مُكَلِّمُ فتيه أصحاب الكهف ،
وغير ذلك من الغلو (٢). [١٠]

ومن هذا ما يحكى عن المسيح عليه السلام ؛وقد ظلت هذه الصفات عند المسلمين مما اختص به المسيح عليه السلام مده طويله ، وسرى كثير مما كان يقال لإثاره العواطف فى يوم جمعه الآلام عند المسيحيين إلى يوم عاشوراء .

يقول القمى (المتوفى عام ٣٥٥ هـ ٩٦٦ م : « إذا نَظَرَتِ السماء حمراء ، كأنها دمٌ عيبٌ ، ورأيتِ الشمس على الحيطان ، كأنها الملاحف المُعَصَفَرَه ، فاعلمى أن سيد الشهداء الحسين قد قتل » (٣). [١]

وكذلك ذهب الشيعة فى السيدة فاطمه (رضى الله عنه) إلى ما يشبه صفات السيدة مريم عليها السلام ، فهى قد سُميت البتول مثل مريم ؛ ويروى الشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه

١- فليس من الضروري أن نردّ الآراء المتعلقة بظهور المسيح إلى اليهود بجنوب جزيره العرب ، وهم الذين يعتبرون آباء هذه المقاله (انظر مقاله S.٢٤, ٢٣, ZA, Friedlander).

٢- المنتظم ص ١٧٨ ب .

٣- كتاب العلل لابن بابويه القمى مخطوط برلين رقم ٨٣٢٦ ص ١٠٠ ، وكان القمى يقول : عند موت الحسين تقطر السماء دما .

أجاب من سأله: [١]

ما البتول ؟ فقال : البتول التي لم تَرِ حُمْرَةَ قط ، أى لم تَحِضْ ، فإن الحيض مكروهه فى بنات الأنبياء(١).

وكذلك زعم الشيعة أن الحسين (عليه السلام) لم يُقتل ، وأنه شُبِّه للناس ، كعيسى بن مريم عليه السلام (٢) ؛ وربما تكون هناك علاقة بين لباس الشيعة وبين اللباس الأبيض الذى اتخذته الفرق الغوسطيه .

وكان الشيعة أيضاً فى أول الأمر يلبسون البياض ؛ ويقول الشاعر ابن سكره(٣) :

إن عيد أهل قُم وقاشان والكرج

يتلافى بياضهم بقلوب من السج

وقال بعض روءساء الشيعة المخالفين لما عليه جمهورهم ، وقد لبس سواداً : يَبُضُّ قلبك ، والبس ما شئت(٤) .

وكانت أعلام القرامطه بياضاً ، وكذلك كانت ملابس خلفاء الفاطميين وخطبائهم(٥) .

١- كتاب العلل ص ٧٧ .

٢- كتاب العلل ص ٩٩ .

٣- يتيمه الدهر ج ٢ ص ٢٠٦ .

٤- كتاب العلل مخطوط برلين رقم ٨٣٢٦ ص ١٣٥ .

٥- يشير الموءلف هنا إلى صفحات من كتاب العلل ومن كتاب الأوائل والأواخر لعلى دده (لهذا الكتاب ثلاث نسخ بمكتبه برلين) ، ولم أجد فى هذه الصفحات ما يقابل كلامه [المترجم] . وقد دخل المأمون بغداد من خراسان عام ٢٠٤هـ ، فكان لباسه هو وأصحابه وأعلامهم الخضره (كتاب بغداد لطيفور طبعه كلر Keller ص ٢) ، وكان ينصب على أعلى النوبهار ببلخ الرماح عليها شقاق الحرير الخضر ، (مروج الذهب ج ٤ ص ٤٨) ، وربما كان هذا اللون شعار خراسان .

أما اللون الأخضر الذى يتميز به العلويون اليوم فإن أول من أمر باتخاذهُ سلطان مصر شعبان بن حسين (المتوفى عام ٧٧٨هـ ١٣٧٦م (١).
(١).

وربما يكون الشيء الوحيد الجديد فى مذهب الشيعة فى هذا العصر أنهم يردّون كل الأخبار والآثار إلى على وأهل بيته [١].

وقد صادف هذا الصنيع أشد استنكار من علماء أهل السنة (٢)؛ وفى سنة ٣٠٠هـ ٩١٢م روى رجلٌ حديثاً وسنده بالسبب والصادق حتى انتهى إلى على بن أبى طالب ، ونقل ذلك إلى مجلس فيه ابن راهويه الفقيه ، وكان متهما بالنصب ، فقال : ما هذا الإسناد؟ (٣).

وكان وضع الأخبار من جانب الشيعة وخصوصهم فى هذا الباب من الأمور التى جروا عليها من قديم ، وكانوا لا يجدون فى ذلك حرجاً [١].

ويذكر أن ابن إسحاق صاحب السيره النبويه كان يتشيع ويقدم عليا على عثمان ، وكان يدخل فى كتابه أشعاراً للشيعة .

ويروى أيضاً أن عوانه بن الحكم (المتوفى عام ١٤٧هـ ٧٦٤م) كان يضع أخباراً لبني أميه ، وعامه أخبار المدائنى مأخوذه عنه (٤).

وإذا كان أحد الشعراء حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م يعزو أساطير الشيعة إلى قله

١- ابن الجوزى مخطوط برلين ص ٣٥ ، ولكن لا مقابل لذلك فى هذه الصفحة فى مخطوط رقم ٩٤٣٦ بمكتبه برلين المترجم .

٢- انظر مثلاً ناصر خسرو ص ٤٨ ، وأبا المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٤٠٨ .

٣- كتاب الوزراء ص ١٧٠ ١٧١ .

٤- الإرشاد (معجم الأدباء) ج ٦ ص ٩٤ ، ٤٠٠ و Kulture :der Gegenwart Goldziher (٤).

معرفتهم بالأخبار(١).

فإن المقدسى يحكى لنا أنه كان يوماً بجامع واسط ، وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنا منه ، فإذا هو يروى حديثاً بسنده عن النبى عليه السلام : إن الله يُدنى معاويه يوم القيامة ، فيجلسه إلى جنبه ، ويغلفه [؟] بيده ، ثم يجلوه على الناس كالعروس ، فقال له المقدسى : بماذا؟ قال: بمحاربتة علياً ، فقال له المقدسى : كذبت يا ضالاً ! فقال : خذوا هذا الرافضى ؛ فأقبل الناس عليه ، فعرفه بعض الكتبه ودفهم عنه(٢).

وكذلك حكى المقدسى أنه كاد يبطش به لأنه أنكر على رجل من عبّاد أصفهان قوله إن معاويه نبى مرسل(٣).

على أن علياً لم يصبح موضع النزاع ، ومضى الوقت الذى نجد فيه خليفة عباسياً مثل المتوكل (٢٢٣ ٢٤٧ هـ ٨٤٧ ٨٦١ م) شديد البغض لعلى ولأهل بيته ، حتى كان من جمله ندمائه رجل يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخده ، ويكشف رأسه وهو أصلع ، ويرقص ، ويقول : قد أقبل الأصلع البطين أميرالموءمنين ، يعنى علياً رضى الله عنه ، والمتوكل يشرب ويضحك(٤).

١- هو الشاعر الملقب بالخبز أرزى حيث يقول : من غابت الأخبار عنه ، ودينه دين الإمامه ، قال بالأوهام انظر مروج الذهب ج ٨ ص ٣٧٤ .

٢- المقدسى ص ١٢٦ ، وكان من أثر هذا النزاع فى أمر على ومعاويه أن معاويه صار له شأن دينى ؛ ويحكى المسعودى (المروج ج ٥ ص ١٤) أن قبر معاويه بالبواب الصغير بدمشق ، وهو يزار إلى هذا الوقت « وهو سنه اثنين وثلاثين وثلاثمائه ، وعليه بيت مبنى يفتح كل يوم الثنين وخميس » .

٣- المقدسى ص ٣٩٩؛ والمنتظم ص ٦٠ ب .

٤- أبو الفدا تحت عام ٢٣٦ (ج ٢ ص ١٨٨) .

وكان أهل السنه فى الجملة يذكرون عليا بالإجلال ، ولم يكونوا قط أعداء له (١) .

فأهمذانى (المتوفى عام ٣٩٨هـ ١٠٠٨م) مثلاً قد شنع على الشيعة ، ورد على طعن الخوارزمى فى عمر (٢) .

وقد ألف مرثيه للحسين ، وتحدث عن مقتله وصنع بنى أميه بأبناء النبى (٣) .

وكان أشد ما يؤءلم نقوس أهل السنه ما أولع به الشيعة من سب الصحابه الأولين ، وفى سنه ٤٠٢هـ ١٠١١م توفى ببغداد أحد علماء أهل السنه الأكبر ، وكان ديناً حسن الاعتقاد ، واجتاز يوماً بالكرخ ، فسمع سب بعض الصحابه ، فجعل على نفسه ألا يمشى فى الكرخ ؛ وكان يسكن باب الشام ، فلم يعبر قنطره الصراه حتى مات (٤) .

وكانت الحكومه إذا أرادت أن تعاقب شيعياً لمذهبه لم تذكر اسم على ، بل يجعل سبب العقوبه أنه شتم أبابكر وعمر (٥) .

وفى عام ٣٥١هـ ٩٦٢م كتب عامه الشيعة بأمر معز الدوله على المساجد ماهذه صورته : لعن الله معاويه بن أبى سفيان ، ولعن من غضب فاطمه فدكاً ، ومن منع الحسن أن يمدفن عند قبر جدّه ، ومن نفى أباذر . . فليأجاء الصباح محاه بعض الناس ؛ فأشار الوزير المهلبى على معز الدوله أن يكتب موضع المحو : لعن الله

١- W. Sarasin: Das Bild Alis bei Historikern der Sunnah. ned sila hannre usd

٢- الديوان : باريس ص ٩٠ ومايلها .

٣- رسائل أهمذانى طبعه بيروت ١٨٩٠ص ٥٨ ومايلها .

٤- المنتظم ص ١٥٨ .

٥- المنتظم مثلاً ص ٢٩ ب .

الظالمين لآل رسول الله ، ولا يذكر أحداً إلا معاويه ، ففعل ذلك(١).

وقد لجأ كثير من العلويين إلى مصر التي لم تكن تربطها بعرش الخلافة ببغداد رابطة الطاعة التامه .

وفي سنة ٢٣٦ هـ ٨٥٠م كان المتوكل قد حبس الطالبين في سُر من رأى(٢).

وورد كتابه إلى والى مصر بإخراج الأشراف العلويين وإعطاء الرجل منهم ثلاثين ديناراً والمرأه خمسه عشر ديناراً ؛ فقدموا العراق ، ثم أمروا بالخروج إلى المدينه(٣) ؛ ولكن كثيراً من العلويين استطاعوا أن يفلتوا من هذا النظام ، وسرعان ما ثاروا وبايعوا واحداً منهم ، فورد كتاب المنتصر إلى والى مصر بالأ- يُقبَل علوى ضيعه ، ولا- يركب فرساً ، ولا- يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها ، وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، وإن كانت بين أحد الطالبين وبين أحد من سائر الناس خصومه فليقبل قول خصم الطالبى فيه ، ولا يطالب ذلك الخصم بيئنه(٤).

فلا- عجب إذن أن نرى مصر تشهد حوالى عام ٢٥٠ هـ ثوره للعلويين بعد أخرى ؛ وفي القرن الرابع الهجرى بدأت فتن المغرب تستولى على مصر ، فوحد ذلك بين أغراض العلويين السياسيه وبين أغراض الشيعه .

وقد بلغت الفتنة فى يوم عاشوراء سنه ٣٥٠ هـ ٩٦١م مبلغاً شديداً فى العاصمه ، فنشب القتال بين الجند السنيين من السودان والترک وبين الشيعه ؛

١- أبو الفدا ج ٢ ص ٤٧٨ تحت عام ٣٥١ هـ .

٢- الأغانى ج ١٩ ص ١٤١ .

٣- كتاب الولاة والقضاء للكندى طبعه Guest ، ليدن ص ١٩٨ .

٤- نفس المصدر ص ٢٠٣ ٢٠٤ .

وكان الجنود يسألون من يجدونه : من خالك؟ فإن لم يقل : معاوية ضربوه (١) .

وطاف أحد السودان المتهيجين بالطرقات ، وهو يصيح : معاوية خال علي ؛ فتابعه العامه ، وأصبحت هذه هي صيحه أهل السنه بمصر حين يريدون قتال الشيعة .

وقد حافظت الحكومه على النظام بقدر استطاعتها ؛ وفي عام ٣٥٣ هـ ٩٦٤م ضرب أحد كبار الشيعة ، وحبس حتى مات في السجن .

وقام على قبره قتال بين الجند وبين أصحابه .

ولما دخل جوهر مصر وصارت الحكومه شيعيه كانت العامه عند أقل إشاره لهم يصيحون صيحه السنه على الشيعة من نحو : معاوية خال علي .

ففي سنه ٣٦١ هـ ٩٧٢م قبض على عجوز عمياء تنشد في الطريق ، وحبست ؛ ففرع جماعه من الرعيه ، نادوا بذكر الصحابه ، وصاحوا : «معاوية خال الموءنين وخال علي» فبعث جوهر ونادى في الجامع العتيق : « أقلوا القول ودعوا الفصول ، فإننا حبسنا العجوز صيانه لها ، فلا ينطقن أحد إلا حلت به العقوبه الموجهه » ، ثم أطلقت العجوز (٢) .

بل يحكى أيضا أنه في عام ٣٦٢ هـ ٩٧٣م شغب جماعه من الصيارفه السنين وصاحوا : معاوية خال علي بن أبي طالب (٣) ، هذا مع أن الصيارفه أهدأ

١- يظهر أن هذه العبارة أصبحت العلامة التي يعرف بها السنّي ، ومن النوادر أن نفظويه (المتوفى عام ٣٢٣ هـ) حكى عن بعض الشيعة أنه قيل له : معاوية خالك ؟ فقال : لا أدري ، أمي نصرانيه ، والأمر إليه (الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٣١٣) .

٢- كتاب اتعاظ الحناء بأخبار الخلفاء للمقریزی طبعه القدس ١٩٠٨ ص ٨٧ .

٣- الخطط للمقریزی ج ٢ ص ٣٣٩ ج ٣٤٠ .

العناصر السياسيّه .

على أن حكومه الفاطميين كانت تتوخى جانب الحكمه فى الجملة ، ولم تكن حكومه متعصّبه ؛ ولكنها جعلت أحسن المناصب فى القضاء والإفتاء للشيعه وحدهم .

وقد بلغ من تسامحها أنها لم تمنع العامه فى عام ٣٦٢هـ ٩٧٣م من الاحتفال بعيد اتخذه أهل السنّه ، بعد عيد الغدير عند الشيعيه ، مضاهاهً للشيعه ونكايه لهم ، وهو اليوم الذى دخل فيه رسول الله عليه السلام الغار هو وأبو بكر الصديق ؛ وبالغوا فى هذا اليوم فى السرور وإظهار الزينه ونصب القباب وإيقاد النيران(١).

وقد شد الخليفه الحاكم فى هذا أيضاً؛ ففى عام ٣٩٣هـ ١٠٠٢م أمر نائب دمشق من قبل الحاكم برجل مغربى ، فضرب وطيف به على حمار ، ونودى عليه : هذا جزاء من أحبّ أبابكر وعمر ؛ ثم أمر به فضربت عنقه(٢) .

وفى عام ٣٩٥هـ ١٠٠٥م بلغ تعصب الحاكم المذهب أقصى حد ، فكان من الأشياء الكثيره التى أمر بها أن يكتب على الجوامع والمساجد والحيطان والدروب لعنّ أبى بكر وعثمان ومعاويه وغيرهم من الصحابه ، وكذلك سائر خلفاء بنى العباس ؛ وعظّم ذلك على أهل السنّه(٣) .

وفى عام ٣٩٦هـ ١٠٠٥م أمر بمنع الناس فى يوم عاشورا من الخروج للنوح

١- نفس المصدر ج ١ ص ٣٨٩ ٣٩٠ .

٢- أبوالمحسن طبعه كلفورنيا ص ٩١ (عام ٣٩٣هـ) ، وابن الأثير ج ٩ ص ١٢٦ . ويقول ابن الأثير إنه أخرج عن المدينه فقط ، ولم يقتل .

٣- يحيى بن سعيد ص ١١٦ ؛ وفى هذه السنه نفسها وصلت قافله الحج فأراد العامه حملهم على سب السلف ، فأبوا، فحل بهم مكروه شديد (خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٤٢) .

والبكاء على الحسين في الشوارع ، لبأن العامه كانوا يمدون أيديهم إلى أمتعه الباعه ؛ فرفعوا ذلك إلى الحاكم ، فمر بمنعهم من المرور في الشوارع ، وأن يختص النوح والشيد بالصحراء(١) .

وفي عام ٣٩٩هـ ١٠٠٩م عاد الحاكم إلى الأمر بأن لا يسبّ أحدٌ من السلف الذين كان أمر بسبهم ، وهذه هي عادته من الأمر بالشيء ثم الأمر بتركه(٢) .

على أن مذهب الشيعة لم يستطع أن يجذب إليه الناس ؛ فيحدثنا المقدسى أنه لم يجد الشيعة ذلاً في أعلى القصبه ، وكذلك أهل صندفا(٣) .

وكانت في الغرب على الحدود بين الجزائر وتونس توجد أيضاً مدينة نفظه ، وجميع أهلها شيعة ؛ وكانت تسمى الكوفه الصغرى(٤) .

على أنه بعد التدهور السياسي للفاطميين سرعان ما رجعت موجه هذا التيار الشيعي ، حتى لم يبق له أثر .

وكانت بغداد هي العاصمه بمعنى الكلمه الحقيقي ؛ وآيه ذلك أن جميع الحركات الروحيه في مملكه الإسلام كانت تتلاطم أمواجهها في بغداد؛ وكان بها لجميع المذاهب أنصار .

ولكن أكبر حزين كانا بها في القرن الرابع الهجري هما الحزبان المتشددان في التمسك بمذهبهما ، وهما الجنابله والشيعة(٥) .

١- الخطط للمقریزی ج ٢ ص ٤٣٢، وملحق استيفاء أخبار الولاة والقضاه للكندي ص ٦٠٠ .

٢- يحيى بن سعيد ص ١١٩ .

٣- المقدسى ص ٢٠٢ .

٤- المغرب في ذكر بلاد إفريقيه في المغرب للبكري طبعه الجزائر ١٨٥٧ ص ٧٥ .

٥- المقدسى ص ١٢٦. ويقول المقدسى (ص ٣٧) إن الحنابله ينكرون النصب (يعني تنصيب علي ، وهذا ما يجعل الشيعة يكرهونهم . المترجم) .

وكان أنصار الشيعة يسكنون بنوع خاص حول سوق الكرخ ، ولم يتعدّوا الجسر الكبير ويحتلّوا باب الطاق إلا في أواخر القرن الرابع الهجرى (١) .

ولم يستطيعوا التمدد إلى القسم الغربى ، لأن الهاشميين كانوا يكوّنون عصبه قويه هناك ، ولا سيما حول باب البصره وكانوا من أشد أعداء الشيعة (٢) .

على أن ياقوتا وجد أن أهل محله باب البصره بين كرخ بغداد والقبله كلهم سنّيه حنابله ، وأن عن يسار الكرخ وفى جنوبها سنّيه . أما الكرخ فأهلها كلهم شيعة إماميه لا يوجد فيهم سنّيه ألبته (٣) .

وإلى جانب ما تقدم كان باب الشعير غربى شاطئى دجله من أكبر مراكز أهل السنه (٤) .

ورغم ما قام به المتوكل من تشديد فى اضطهاد الشيعة فى القرن الثالث الهجرى ، تلاحظ أن قوتهم كانت عظيمه حتى إن الخليفه المعتضد عزم فى عام ٢٨٤ هـ ٨٩٧ م على لعن معاويه على المنابر ؛ وأمر بإنشاء كتاب فى ذلك وصلت إلينا صورته ، فخوفه الوزير من اضطراب العامه ، فقال المعتضد : إن اضطرت العامه وضعت فيها السيف ؛ فقال له الوزير : فما تصنع بالطالبيين الذين هم فى كل ناحيه يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ، وفى هذا الكتاب إطراءهم ؛ وإذا سمع الناس كانوا إليهم أميل (٥) ؟

١- كتاب الوزراء ص ٣٧١ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ١٤٦ .

٣- ياقوت : معجم البلدان تحت كلمه كرخ بغداد (ج ٤ ص ٢٥٥) .

٤- كتاب الوزراء ص ٤٨٣ .

٥- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٢٧٨ ٢١٦٤ .

ويذكر المؤرخون لأول مره عام ٣١٣هـ ٩٢٥م أن الشيعة البغداديين كانوا يجتمعون في مسجد براهنا [١].

فعلم الخليفة بأن قوماً منهم يجتمعون فيه لسب الصحابه ؛ فأمر بكبسه في يوم جمعه وقت الصلاه فوجد فيه ثلاثون إنسانا يصلون ؛ فقبض عليهم وقتلوا ، فوجد معهم خواتم من طين أبيض عليها اسم الإمام ، كما كان يفعل دعاه الفاطميين مع من ينتسب إليهم .

وقد استصدر الخليفة فتوى بهدم المسجد حتى سُوى بالأرض ، وعفى رسمه ، ووُصل بالمقبره التي تليه (١).

وفي سنه ٣٢١هـ ٩٣٣م همّ على بن يلبق ، وهو من القواد الترك ، مره أخرى بأن يلعن معاويه وابنه يزيد على المنابر ؛ فاضطربت العامه ، وكان البربهاري رئيس الحنابله يثير الفتنة هو وأصحابه (٢).

وفي عام ٣٢٣هـ ٩٣٥م نودي في جانبى بغداد بأن لا يجتمع من الحنابله نفسان في موضع واحد ، وكان لكثرتهم على الناس وإيقاعهم الفتنة المتصله ؛ وخرج توقيع الخليفة الراضى بكتاب بين فيه أخطاء الحنابله وتوعدهم بالعقاب ، وقد وصلت إلينا صورته هذا الكتاب (٣).

١- المنتظم ص ٢٩ ب ، ٦٧. وكان ببغداد طائفه من المكدين يدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ، ويزعمون أنها من قبر الحسين بن على رضى الله عنهما فيتعفون بها الشيعة . ولا تزال أطباق الطين تباع إلى اليوم ، يشتريها الشيعة ليضعوها أمامهم عند الصلاه لكي تقع عليها جباههم كلما سجدوا .

٢- تجد هذا مفصلاً عن مسكويه ج ٥ ص ٤١٣ ، ومختصراً عند ابن الأثير ج ٨ ص ٢٠٣ ٢٠٤ ، وعند أبى المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٢٥٣ ٢٥٤ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٤٩٥ ٤٩٧ .

فهو يتهمهم بالطعن على خيار الأمة وبنسبه شيعه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكفر ، وإرصادهم بالمكارة فى الطرقات والمحالّ وإنكار زياره قبور الأئمه صلوات الله عليهم ، والشنيع على زوّارها بالابتداع ، وأن الحنابله مع إنكارهم لذلك ، ييلفون ويجمعون لقصده رجل من العوام ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وآله ، ويأمرون بزياره قبره والخشوع لدى تربته ، وفى آخر الكتاب يقسم أميرالمؤمنين بالله لئن لم ينصرف الحنابله عن مذموم مذهبهم ليوسعّهم ضرباً وتشريداً وليستعملنّ السيفَ فى رقابهم والنار فى محالّهم ومنازلهم (١).

ثم أن يحكم أمر بإعادة بناء مسجد براكا فى عام ٣٢٨هـ ٩٤٠م وبتوسيعه ليكون مسجداً لأهل السنه ، وكتب فى صدره اسم الراضى بالله ؛ ثم جاء الممتقى بالله فأمر بنصب منبر فيه ، كان فى مدينه المنصور معطّلاً مخبّواً فى خزانة المسجد عليه اسم هارون الرشيد ؛ ونُصب هذا المنبر فى قبلة المسجد ، وافتتح هذا المسجد للصلاه فى عام ٣٢٩هـ ٩٤١م (٢).

وكان الحمدانيون أول أسره شيعيه تدخلت فى أمور بغداد ، وكان هذا التدخل مثيراً للعجب ؛ ذلك أن ابن حمدان على شدة تشيعه وميله إلى على وأهل بيته

١- وقد أضيف لهذا الكتاب فيما بعد صبغه اعتقاديه كلاميه ، فذكر أبو الفداء فى تاريخه أنه قد جاء فيه تويخ الحنابله باعتقاد التشبيه : « وأنكم تزعمون أن صورته وجوهكم القبيحه السمجه على مثال رب العالمين وهيتكم على هيئته وهكذا » تاريخ أبى الفداء تحت عام ٣٢٣هـ ج ٢ ص ٣٩٢ من الطبعه الأوروييه .

٢- المنتظم لابن الجوزى ص ٦٨ ، وابن الأثير ج ٩ ص ٢٧٨ ؛ ومسكويه ج ٦ ص ٣٧ ؛ وهو يذكر الفراغ من المسجد والتجميع فيه من غير زياده فى البيان .

سعى فى البيعه لآ بن المعتز على انحرافه عن على وَ غُلُوّه فى النّصب(١).

ولكن الأحوال تغيرت لما استولى الديلم على بغداد ، وكانوا قد دخلوا فى الإسلام حديثاً على يد أحد العلويين ؛ فلم يكد معز الدوله يدخل بغداد حتى قبض على الخليفه المستكفى وأنزله عن عرشه على صورته مهمينه .

وكان من الأسباب الظاهره فى ذلك أن المستكفى كان قد قبض على الشافعى رئيس الشيعة(٢).

وفى سنه ٣٤٩هـ ٩٦٠م قامت فتنه بين العامه ببغداد ، وتعطلت الجمعه بمساجد أهل السنه لا تصال الفتن ، ولم تُقَمَّ الجمعه إلا فى مسجد براثا الشيعى(٣) .

وفى عام ٣٥١هـ كتب معز الدوله على المساجد لعن الصحابه ، فمجاه الناس أثناء الليل(٤) .

وفى العام التالى أمر الناس أن يحتفلوا بيوم عاشوراء ، وهو أكبر عيد للشيعة ، وأن يظهروا الحزن .

فأغلقت الأسواق وعطل البيع والشراء ، ولم يذبح القصابون ، ولا طبخ الهراسون ، ولا ترك الناس أن يستقوا الماء ، ونصبت القباب فى الأسواق ، وعُلقت عليها المسوح ، وخَرَجَت النساء مُنْشَرَاتِ الشَّعُورِ مسودّات الوجوه ، قد شققن

١- ابن الأثير ج ٨ ص ١٣ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ١٢٣ .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ٨٩؛ وأبوالمحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٣٥١؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٣٩٧ .

٤- انظر ما تقدم .

ثيابهن يُدرن في البلد ويُنحَن ويلطُمن وجوههن على الحسين (رضى الله عنه).

وفي هذا اليوم كان يزار قبر الحسن بكر بلاء (١). [١]

ويصف البيروني ما جرى عليه بنو أمية من إظهار الفرح في يوم عاشوراء ، وما كان يظهره الشيعة من حزن ، ثم يقول : «ولذلك كره فيه العامة تجديد الأواني والثياب» (٢).

وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في هذا العام جاء عيد الغدير (غدير خم) ، فاحتفل به الشيعة ببغداد ، وزعموا إنه اليوم الذي عهد فيه الرسول عليه السلام إلى علي بن أبي طالب واستخلفه (٣).

وفيه أظهروا السرور بأمر معز الدولة ، على خلاف صنيعهم في يوم عاشوراء ، فنصبوا القباب وعلقوا الثياب ، وأظهروا الزينة .

وفي ليلته أشعلت النيران بمجلس الشرطه ، وضربت الدبابد والبوقات ؛ وفي صبيحته نحروا جملاً وبكروا إلى مقابر قریش (٤).

أما بنو أمية فكانوا قد اتخذوا يوم عاشوراء من قبل يوم سرور ، «فلبسوا فيه ما

١- المنتظم ص ٩٣ ب ؛ وكتاب الوزراء ص ٣٧١؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٣، ٤٠٧ ؛ وأبوالمحاسن ج ٢ ص ٣٦٤ . ولا نجد قط ذكراً لروايات ألفت لتمجيد الشهداء كالتى نراها اليوم عادة . على أنه من العبارات التى تشبه أن يكون أصلها من قصة تمثيلية قول السيدة سكينه بنت الحسين رضى الله عنها « كنت أحسن من السماء وأعذب من الماء » (رسائل الخوازمي طبعه القسطنطينيه ١٢٩٧ ص ٣٧ ، (وليس فى هذا دليل مقبول . المترجم) .

٢- الآثار الباقية للبيروني طبعه أوروبا ص ٣٢٩ .

٣- المنتظم ص ٩٣ ب ؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٧ ؛ وكتاب الوزراء ص ٣٧١؛ وقد أخطأ أبوالمحاسن (٢ ص ٤٢٧) بجعله ذلك عام ٣٦٠ هـ .

٤- كتاب الوزراء ص ٣٧١؛ والمنتظم ص ٩٣ ب ؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٧ .

تجدد وتزينوا واكتحلوا وعيدوا وأقاموا الولائم والضيافات وطعموا الحلوات والطيبات، وجرى الرسم فى العامه على ذلك أيام ملكهم ، وبقي فيهم بعد زواله عنهم .

وقد حاول أهل الحديث أن يظهرها فضل يوم عاشوراء فذكروا ما روى عن النبي عليه السلام من الحضّ على فعل الخير فيه (١). وكانوا يزعمون أن «الاكتحال فيه مانع من الرمذ فى تلك السنه» (٢).

ولذلك يقول القمى (المتوفى عام ٣٥٥ هـ ٩٦٦م) مشدداً فيمن يفرح بيوم عاشوراء: [١]

«من ترك السعى فى حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبتة وحزنه وبكاءه يجعل الله عزوجل يوم القيامة فرحه وسروره ... ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركه وأدخر بمنزله شيئاً لم يبارك له فيما أدخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار» (٣).

ولما زالت الدوله الفاطميه وجاء ملوك بنى أيوب اتخذوا يوم عاشوراء ، بعد أن كان يوم حزن ، يوم سرور ، جرياً على عادة أهل الشام (٤).

ثم إن أهل السنّه أرادوا أن يعملوا لأنفسهم ما يكون بإزاء يوم عاشوراء، فجعلوا بعده بثمانيه أيام يوماً نسبوه إلى مقتل مصعب بن الزبير ، وزاروا قبره فى

١- الآثار الباقيه للبيرونى ص ٣٢٩ .

٢- عجائب المخلوقات للقزوينى ، طبعه أوروبا عام ١٨٤٩ ص ٦٨ .

٣- كتاب العلل للقمى مخطوط برلين رقم ٨٣٢٦ ص ٩٩ ب .

٤- الخطط للمقرئزى ج ١ ص ٤٩٠ .

مسكن ، كما يزار قبرس الحسين بكر بلاء (١).

وكذلك عملوا بأزاء يوم الغدير بعده بثمانية أيام يوماً ادعوا أنه اليوم الذي دخل فيه النبي عليه السلام وأبو بكر في الغار ، وعملوا في هذا اليوم ما يعمله الشيعة في يوم الغدير .

وكان أول ما عمل أهل السنة ذلك في يوم الجمعة لأربع بقين من ذى الحجة عام ٣٨٩ هـ ٩٩٩ م (٢).

وفي هذه الأعياد لم يكن الأمر يخلو من شغب وفتن بين الفريقين ، حتى كان الحكام الأقوياء يمنعون من عملها أحياناً (٣).

وقد حدث مره في فتنه بين أهل السنة والشيعة أن الشيعة صاحوا : حاكم يا منصور ، إشاره إلى العدو المقيم بالقاهرة ؛ وقد بلغ الخليفة ذلك ، فأحفظه ، وأنفذ الحراس الذين على بابه لمعاونته أهل السنة ؛ فهزموا الشيعة ؛ ثم اجتمع الأشراف إلى دار الخليفة ، فسألوه العفو عما فعله السفهاء ، فعفا عنهم (٤) وفي عام ٤٢٠ هـ ١٠٢٩ م كان خطيب مسجد براثا ، وكان شيعياً ، يذكر مذاهب فاحشه من مذاهب الشيعة ويغلو في علي [١] .

فأمر الخليفة بالقبض عليه ، وعين محله خطيباً آخر ؛ فلما صعد المنبر دقه بعقب سيفه على ما جرت به العاده ، والشيعة ينكرون هذا ، وقصر في الخطبه عما

١- كتاب الوزراء ص ٣٧١؛ وكذلك عرف ياقوت هذه الأماكن .

٢- المنتظم ص ١٤٣ ١٤٤ ب؛ وكتاب الوزراء ص ٣٧١ .

٣- فعل ذلك أبو الحسن المعلم عام ٣٨٢ هـ (المنتظم ص ١٣٤) وعميد الجيوش عامي ٣٩٢ هـ ، ٤٠٦ هـ (كتاب الوزراء ص ٤٨٢ ج ٤٨٣ ، والمنتظم ص ١٤٧ ب؛ وابن الأثير ج ٩ ص ١٨٤) .

٤- المنتظم ص ١٥٢ ب .

كان يفعلهُ مَنْ تقدّمه في ذكر علي ابن أبي طالب ، وقال: اللهم اغفر للمسلمين ، ومن زعم أن علياً مولاه ، فرماه العامه حينئذ بالأجر ، فوافاه كالمطر ، وخلق كتفه ، وكسّر أنفه ، وأدمى وجهه ؛ وعرف الخليفه ذلك ، فغاضه وأحفظه ؛ وكتب في الشيعة كتاباً شديداً للوزير ؛ وفي آخر الأمر اجتمع قوم من مشايخ أهل الكرخ ، وتوجهوا مع الشريف المرتضى إلى دار الخلافه ، فأحالوا ما جرى على سفهاء الأحداث ، وسألوا الصّفيح عن هذه الجنايه ، وطلبوا إقامه خطيب عملت له نسخه يعتمدها فيما يخطب ، وتجنّب ما يحفظ الشيعة (١) .

ومما كان له شأن في توارث الشيعة المفاجئه في القرن الرابع الهجري أن مشهديهم الكبيرين المقدسين عندهم كانا بالعراق .

علي أن موضع قبر علي [١] .

كان موضع شك ؛ وقد بين المسعودي ذلك في عام ٣٣٢ هـ ٩٤٤ م ، حيث يقول إنه قد تنوزع في موضع القبر ؛ فذهب قوم إلى أنه دُفن في مسجد الكوفه (٢) ؛ وقال آخرون إنه دفن في القصر بالكوفه ؛ وذهب جماعه إلى أنه حُمل إلى المدينه فُدفن عند قبر فاطمه ؛ وقال قوم إنه حُمل في تابوت علي جمل وإن الجمل تاه ووقع في بلاد طيء (٣) ؛ ثم يقال إن أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان (المتوفى عام ٣١٧ هـ ٩٢٩ م) شهّر مكاناً بمشهد علي ، كان يقال إنه قبر علي بن أبي طالب ؛ وذلك بأن جعل عليه حصناً منيعاً ، وابتنى على القبر قبة عظيمه مربعه الأركان لها

١- نفس المصدر ص ١٧٩ ١٧٨ .

٢- انظر أيضاً ابن حوقل ص ١٦٣ .

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨٨ ٢٨٩ ، ج ٥ ص ٦٨ .

باب من كل جانب ، وسترها بفاخر الستور ، وفرشها بثمين الحصر السامانيه(١) .

ولما مرض الوزير أبو محمد بن سهلان واشتد عليه المرض نذر، إن عُوفى ، بنا سورِ على مشهد أميرالمؤمنين على ؛ فعوفى ، فأمر ببناء سور عليه عام ٤٠٠ هـ ١٠١٠م(٢) وأول من دُفن في هذا المشهد من العظماء فيما أعلم ، رجلٌ من أهل البصره عام ٣٤٢ هـ ٩٥٣م(٣) وأول من دفن فيه من الأمراء عضدُ الدوله (المتوفى عام ٣٧٢ هـ ٩٨٢م) ، فحُمِل إليه بعد أن كان قد دُفن بدار الملك ببغداد(٤) .

وعضد الدوله هذا هو الذى أمر بإعادة بناء مشهد الحسن بن على(٥) ، بعد أن كان الخليفه المتوكل قد أمر فى عام ٢٣٦ هـ ٨٥٠م بهدم قبره وهدم ما حوله من المنازل وبأن يُحَرَّث وَيُبَدَّر ويسقى(٦) .

وكان يزعم البعض أن رأس الحسين ، « سيدالشهداء » ، يوجد فى رباط صغير قريبا من مدينه مرو ، وذلك فى القرن الرابع الهجرى(٧) .

١- ابن حوقل ص ١٦٣ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ١٥٤ .

٣- نفس المصدر ج ٨ ص ٣٨٠ .

٤- نفس المصدر ج ٩ ص ١٣ .

٥- وكذلك بنى قبر فاطمه بقم (رسائل الهمداني ص ٢٢٥؟) .

٦- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٠٧ ، ولا بن بسام فى المتوكل شعر قاله ، لما أمر بهدم القبر : تالله إن كانت أميه قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمر ك قبره مهدوما أسفو على أن لم يكونا شاركوا فى قتله ، فتبعوه رميما (تاريخ أبى الفداء تحت عام ٣٠٣ هـ) .

٧- المقدسى ص ٤٦ ، ٣٣٣ .

ويقول المقریزی إن رأس الحسين حُمل من عسقلان إلى القاهره ووصل إليها في عام ٥٤٨هـ ١١٥٣م (١).

ويرى ابن تيميه أن هذا باطل باتفاق أهل العلم ، وأن أحداً من أهل العلم لم يقل إن رأس الحسين كان بعسقلان (٢).

وفي عام ٣٩٩هـ ١٠٠٩م توفي أبو العباس الكافي الوزير بالرى ، وكان قد وصّى قبل موته أن يُدفن في مشهد الحسين؛ فكتب ابنه إلى العلويين أن يبيعوه ترهه بخمسائه دينار ، فقال الشريف اذ ذاك : هذا رجل التجأ إلى جوار جدّى ، ولا آخذ لترهته ثمناً ؛ وأعطيت للرجل ترهه من غير أن يدفع شيئاً (٣).

ولم يصل إلينا وصف لداخل مشهد الحسين بكربلاء قبل وصف ابن بطوطه له في القرن الثامن الهجرى ؛ أما قبل ذلك فيذكر أن القبر كان يُعطى بقمماش تاريز ، وحوله شموع مضاءه (٤) ثم إن عميد الدوله بن بويه بنى على قبر على الرضا بطويس حصناً ومسجداً لم يكن بخراسان أحسن منه (٥).

١- الخطط للمقریزی ج ١ ص ٤٢٧ .

٢- نشر شرينر . (Schreiner. ZDMG, ٥٣, S. ٨١)

٣- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٦٨ .

٤- ابن الأثير ج ٩ ص ٢٠٩؛ وابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ١٢٣ .

٥- المقدسى ص ٣٣٣ .

تعليقات الفصل الخامس

[١] تحامل على الشيعة ولكن الذى يسهل الخطب ان مراده بالشيعة مطلق من تسمى أو سمّوه بهذا الاسم من الفرق المشيمه إليهم ولا يقبلها اصول التشيع الصّحيح ..

[٢] كلّ الناس يدرون أن قبره عليه الصلاه والسلام بعيد عن الكوفه (بعشر كيلومترات) واقع فى النجف الاشرف...

[٣] لا يخلو من تحامل .

[٤] ذكره (١) فى المجالس عن معجم البلدان وغيره والرئيس هو مقدّم الاشعريين الاخوه أبناء سعد بن مالك بن عامر عبدالله ، ولكن هذا المذكور ربما لا يوافق ما صرّح به النجاشى والشيخ الطوسى قدس سرهما (٢) من علمائنا فى رسجالهم (وهما الصادقان الثقتان من أعظم علمائنا الأبرار) عند ترجمه أحمد بن محمد بن عيسى بن عبدالله بن سعد بن مالك بن الأحوص بن السائب بن مالك بن عامر الأشعري (وأول من سكن قم من آباءه سعد بن مالك بن الأحوص وكان السائب بن مالك وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله وهاجر إلى الكوفه واقام بها) .

١- مجالس المؤمنين ج ١ ص ٨٣.

٢- الفهرست للشيخ الطوسى ص ٢٥...٦٥، تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠، معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٨٩٨.

[١] يقولون(١) على بن ابي طالب عليه السلام كالزاغ: والمعلق يزيد على(٢) المتن قوله ان عقيدتهم ان شبه محمد بعلى عليهما السلام اشد من شبه الغراب بالغراب ويخطؤون جبرئيل في ابلاغه الرساله إلى محمد صلى الله عليه و آله بل كان عليه ان يبلغه علياً عليه السلام ويقتعدون في على وابنائهم النبوه ويلعنون جبرائيل وربما يطلق عليهم الذبايئه الخ .

التحامل في هذا المقام اشد لكن الحق كما أشار إليه أحمد أمين (في مقدمه الكتاب) (كما يوءخذ عليه انه يستدل في بعض المسائل على رأى بنص واحد إلى آخر) وكل من له المام بمسائل الفقه يدري ان الاماميه أعلى الله كلمتهم اتحدت كلمتهم تبعاً لأئمتهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله والعترة المقرونه بالكتاب في الحديث المشهور بل المتواتر بين الفريقين(٣) انى تارك أو مخلف فيكم الثقلين ، أو الخليفتين ما إن تمسيكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض على ان المال الموروث يرثه الاقرب للميت فالأقرب بنتاً واحده كانت أو بنتين أو أزيد وكذا الأخت سواء سمي له في الكتاب العزيز أم لم يسم لآيه أولى الارحام(٤) (قال تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ») وقد أخطأ السبكي في طبقاته حيث عزى هذا القول إلى قوم من شراد الروافض كخطأ المؤلف خطأ تبعاً في قوله دفنت في قم السيده فاطمه ابنه الامام الثامن الرضا عليه السلام والحال ان السيده فاطمه هي أخت الرضا بنت الامام موسى الكاظم عليهما السلام .

[١] هذا أيضاً خطأ بل الشيعة لهم اصول وقواعد رصينه متينه لا يرثون العلم إلا من أهل

١- بيان الاديان ٣٦.

٢- تعليق ٥٣/٥٣٠ بيان الاديان.

٣- الغدير ج ٣ ص ٨٠.

٤- الانفال: ٧٥.

البيت آل رسول الله صلى الله عليه وآله فراجع نهج الحق للعلامه الحلى قدس سره فى ما يتعلق بالأبحاث الكلاميه فانه قدس سره صرح بمتابعه المعتزله للاماميه. وتأسيس (١) الشيعة للسيد حسن الصدر الكاظمى اعلى الله مقامه.

حتى تعرف ان للشيعة الاماميه التقدم والسبق فى علوم الاسلام وتدوين كتبها وفتح باب العلوم على كل فرق الاسلام ومنها علم الكلام فأول من تكلم فى هذا العلم منهم واول من ناظر فى التشيع منهم وأول من كتب وألف منهم وانظر إلى نص ابن أبى الحديد بألفاظه (٢) (ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتداء فان المعتزله الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن . تلامذته وأصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام وأما الأشعريه فانهم ينتمون إلى أبى الحسن على بن (اسماعيل بن) أبى بشر الأشعري وهو تلميذ أبى على الجبائى وأبو على أحد مشايخ المعتزله فالأشعريه ينتهون بالآخره إلى استاذ المعتزله ومعلمهم وهو على بن ابى طالب عليه السلام وأما الاماميه والزبيديه فانتماءهم إليه ظاهر . انتهى .

وقد بين الفرق الشيخ المفيد بين الشيعة وبين المعتزله وغيرهم فى ما يرجع إلى العقايد الكلاميه فى كتاب اوائل المقالات (٣) وأوضح المطلب على نحو لا يبقى مجال لما زعمه المصنف فراجع .

١- تأسيس الشيعة ٣٥٠-٣٥٣.

٢- شرح النهج الحديدي ج ١ ص ١٧.

٣- أوائل المقالات ج ١ ص ٣٤ الى ٥٠. تعليقات الجرنداني على أوائل المقالات نقلًا عن أعيان الشيعة ص ٣٩.

استشهاد مضحك وقول بلا دليل فالسلطان(١) عضد الدوله اتصال وثيق بالشيخ المفيد احد اعلام الشيعة فى القرن الرابع ورئيسها المشهور المتضلع فى فنون كثيره المتكلم الكبير وكان عضد الدوله يعظمه غايه التعظيم ويزوره فى داره وعده المسير سيد شريف من مروّجى مذهب الاسلام فى المأه الرابعه وأوصى أن يحمل جنازته إلى النجف الأشرف ودفن فى جوار الروضه المتبركه العلويه وكتب على قبره هذا قبر عضد الدوله وتاج المله أبى شجاع بن ركن الدوله احب مجاوره هذا الامام المعصوم لطمعه فى الخلاص يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وصلواته على محمّد وعترته الطاهره : فلهذا وذاك لامجال لتصديق كلام المصنف فيما ذكر فالشيعة مذهب كلامى ولا يعمل عضد الدوله حسب مذهب الاعتزال بل نقول تأييداً لعظمه الشيعة فى ذاك العصران القرن الرابع من اجلى القرون التى تجلت الشيعة فيها باظهر وأبرز وأنفع الموءلفات فى العلوم الاسلاميه ومنها علم الكلام وهو عصر الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والسيد المرتضى والرضى قدس الله أسرارهم وقد قضى شيخ الطائفة الاماميه الطوسى قدس سره شرطاً من صيانه العلميه فى ذاك القرن وله(٢) كتاب تلخيص الشافى ومقدمه فى المدخل إلى علم الكلام وشرحها والمسائل الرازيه فى الوعيد وبامكانك مراجعه الشافى(٣) للسيد المرتضى والفصول(٤) المختاره واولئ المقالات وشرح عقائد الصدوق وكتب كلاميه اخرى للشيخ المفيد قدس سره وله

١- سفينه البحار ج ٢ ص ٢٢٠-٢٠٣، روضات الجنات ج ٦ ص ١٥٣، مجالس المؤمنين ج ٢ ص ٣٢٨.

٢- فهرست الطوسى ١٦٠-١٦١، مجالس المؤمنين ج ١ ص ٤٨١.

٣- فهرست الطوسى ٩٩، مجالس المؤمنين ج ١ ص ٥٠٣.

٤- فهرست الطوسى ١٥٨، مجالس المؤمنين ج ١ ص ٤٧٨-٤٧٩.

قريب من مأتى مصنف كبار وصغار ولمن عاصره أو تقدم أو تاخر عن عصره بقليل تأليفات ممتعه مذكوره فى محلها من كتب الرجال والسير والتاريخ وفهارس كتب الصنّفين من الشيعة الاماميه لاسيما الذريته وأشار اليهم وترجم لهم فى تأسيس الشيعة فى الطبقة الخامسة كابن (١) اعين ذوبى وعن ابن شهر آشوب انه من غلمان السيد المرتضى قدس سره له كتاب عيون الأدله اثني عشر جزءاً فى الكلام (قال الموءلف (٢) التأسيس ولا- أعرف كتاباً ابسط منه فى كلام علم الكلام) وكالعلامه أبى (٣) الفتح الكراجكى شيخ الفقهاء والمتكلمين وحيد عصره وفريد دهره ومنهم الشيخ (٤) أبى على بن مسكويه احمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه الرازى الأصل واحبا نصر (٥) الفارابى محمد بن أحمد بن طرخان ابن اوزلغ و كآل (٦) نوبخت وفيهم جماعته متكلمون وذكر من كلمات العلماء ما يدل على تشييعهم وإن كان فى بعضهم تأمل وبامكانك تعرّف تأليفاتهم وكتبهم فى الكلام وسائر أنواع العلوم وعمّا يرببنى وكلّ عالم منصف وبخّاث منقّب ان الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الصدوق والشيخ الطوسى ونظرائهم ليسوا من المهملين والمغمورين فى ذاك النصر فكيف لم يذكرهم المصنف فى أى فصل من كتابه ولا أشار إلى مصنفاتهم فى الكلام وآرائهم فى الامامه فما ذكره المصنّف فى حق الشيعة ليس إلا رجماً بالغيب او تحاملاً أو قولاً بلا دليل

١- تأسيس الشيعة ٣٩٣.

٢- تأسيس الشيعة ٣٩٣.

٣- تأسيس الشيعة ٣٨٦-٣٨٧، روضات الجنات ج ٦ ص ٢٠٩-٢١٥.

٤- تأسيس الشيعة ٣٨٥-٣٨٦، روضات الجنات ج ١ ص ٢٥٤-٢٥٧.

٥- تأسيس الشيعة ٣٨٢-٣٨٤، روضات الجنات ج ٧ ص ٣٢١-٣٢٧.

٦- تأسيس الشيعة ٣٦٢-٣٧٥.

و ينبغي لفت نظر إلى ما كتبه في ذيل اصل الشيعه و اصولها (١) للعلامه المصلح الكبير المرحوم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء قال مانصه: التشيع بالمعنى الخاص ينافى الاعتزال و يكفى فى تحقيق المباينه ان الشيعه تقول بالنص والمعتزله لا تقول به، و لكن كثيراً من الشيعه كانوا يتظاهرون بالاعتزال لمصلحه كانت يقتضيها ذلك الوقت و منهم يحيى بن زيد العلوى الذى ينقل عنه ابن ابى الحديد جمله من التحقيقات العاليه فليفهم هذا.

و كذا إلى ما ذكره (٢) الدكتور حامد حفى داود استاذ الأدب العربى بكلية اللسن (فى القاهره) فى مقدمه لكتاب عقائد الاماميه للعلامه المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر تغمده الله برحمته. قال طى كلام له و يبقى هنا سؤال واحد يستلزم منا ان نجيبك عليه هو: هل تأثر الشيعه بالمعتزله أم تأثر المعتزله بالشيعه؟ فاما جمهور الباحثين فيرون ان الشيعه تأثروا بالمعتزله فى الاخذ بالمنهج العقلى و لكنى ازم لك ان المعتزله هم الذين تأثروا بالشيعه و ان التشيع كعقيده سابق على الاعتزال كعقيده و ان الاعتزال ولد و درج فى احضان التشيع و ان رؤوس الشيعه كانوا اسبق فى الوجود من جهابذه المعتزله، الى و من هنا استطع ان اجلى للقارئ المتدبر ان التشيع ليس كما يزعمه المحرفون والسفسفانيون من الباحثين مذهباً نقلياً محضاً أو قائماً على الآثار الدينيه المحشونه بالخرافات والأوهام والاسرائيليات أو مستنداً فى مبادئه من عبدالله بن سبأ و غيره من الشخصيات الخياليه فى التاريخ إلى آخر كلامه.

[*٨] كذبه واضح لو أراد أن المذهب يفسح لهم المجال كما يرشد اليه ما أورده فى قوم من

١- اصل الشيعه و اصولها ٣٣ الطبعة الرابعه ١٤٠٢ بيروت.

٢- عقائد الاماميه ١٩-٢٠، الطبعة الثالثه أو الرابعه.

التناسخيه: و لقد أجاد صاحب الرياض (١) حيث قال لدفع تهمة الاعتزال عن صاحب بن عباد. والسر في نسبه الاعتزال إليه و إلى أمثاله أن العامه من الأشعريه لم يفرقوا في الاصول بين المعتزله و الشيعة، بل اعتقادهم انها على طريقه واحده و لهذا ترى ان الاشاعره إنما يحاجون (مع) المعتزله و حدها في كتبهم الكلاميه، و من ذلك ان الأشاعره لما اعتقدوا الجبر حقيقه و ان أنكروه لفظاً و كتابه (ليس كلهم هكذا) ظنوا ان كل من أنكر هذه العقيدة الفاسده فهو معتزلى من غير تحقيق الحال في عقيدة الشيعة و برائتها من كلا الاعتقادين.

[*٩] اشتشهاد غلط لا ربط له بما تقدم ولا يثبت دعواه.

[*١٠] هذه وارده في زيارات (٢) أمير المؤمنين عليه السلام و مذكوره في حالاته و تواريخه و لا غلو فيه لكونه نفس النبي صلى الله عليه و آله. بحكم آيه المباهله فليذكر معجزه المسيح عليه السلام في احيائه الموتى كما هو وارد في القرآن الكريم و وارد في أناجيلهم، و أخبار تكليم (٣) الامام عليه السلام الجماجم كاحياء الموتى و تكليم الفتيه أصحاب الكهف وارده في البحار عن كتب كثيره فراجع.

و يقال للمصنف (قل للذي يدعى في العلم فلسفه حفظت شيئاً و غابت عنك أشياء نسيت أيها المصنف عقيدتكم في المسيح و انه ابن الله أو حل فيه روح الله و قولهم بالتثليث (الاقانيم الثلاثه).

[*١٠] ذكره الصدوق (٤) مسنداً له إلى ميثم التمار باختلاف يسير .

١- رياض العلماء ج ١ ص ٨٨.

٢- البحار ج ١٠٠ ص ٣٠٢، ج ٤١ ص ١٦٦-١٩٦-١٩٧-٢٠١-٢١١-٢١٢-٢١٤-٢١٩-٢٢٢.

٣- البحار ج ١٠٠ ص ٣٠٢، ج ٤١ ص ١٦٦-١٩٦-٢٠١-٢١١-٢١٢-٢١٤-١٩٤-٢٢٢.

٤- البحار ج ٤٥ ص ٢٠٣.

والزوايات (١) في بكاء السماء وهي حمرتها واسطارها دماً عيباً بلغت حدّ التواتر وقد ذكر (٢) المفسر الكبير العلامة الطباطبائي قدس سره ان البكاء في الآية الشريفه « فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » (٣). ان بكائهما على شىء فائت كناية تخيلية عن تأثرهما عن فوته وفقده فعدم بكائهما عليهم بعد اهلاكهم (قوم فرعون) كناية عن هوان امرهم على الله وعدم تأثرها راكلهم فى شىء من اجزاء الكون .

واشار (٤) إلى عدم الحاجة إلى حمل البكاء على الكناية التخيلية لو بنى فى فعناه على ما يظهر من الروايات: بعد ان اورد نبذاً منها وفيها روايه عن الدر المنثور للسيوطى كما تعرض (٥) صديقنا المفسر الفاضل الشيخ محمّد الصادق لهذا الآية والكلام عليها وعلى الروايات ومنها عده روايات عامه نصبوده مبسوطه ينبغى مراجعه تفسيره .

[١] رواها المجلسى (٤) عن الصدوق قدس سرهما .

هذا ليس قولاً الشيعه الاماميه ولاغيرهم ولا اعتقد من يوجد فى زماننا يقول به ثم هو قول بعض المتسمين بالشيعه من الذين انقرضوا وليسوا بشيعه وما يذكر فى ذيل الكتاب ملاكاً لهذا القول (كتاب العلل ص ٩٩ ب) يكون حجه عليه حيث يسأل (٧) عبدالله بن الفضل فقلت له يابن رسول الله فما تقول فى قوم من شيعتك يقولون به فقال (ابو عبدالله الصادق عليه السلام) ما هؤلاء من شيعتى وانا برىء منهم وقال عليه السلام للزواى

١- البحار جلد ٤٥: ٢٠١-٢١٩.

٢- تفسير الميزان ج ١٨ ص ١٥٢-١٥٠.

٣- سوره الدخان: ٢٩.

٤- تفسير الفرقان ج ٢٤-٢٥ ص ٤٠٦ إلى ٤١٠.

٥- تفسير الفرقان ج ٢٤-٢٥ ص ٤٠٦ إلى ٤١٠.

٦- البحار ج ٤٣ ص ١٢-١٥-١٦.

٧- البحار ج ٤٤ ص ٢٧٠.

يابن عمّ وانّ ذلك (أى شيعة العامية يوم عاشوراء يوم بركه) لأقلّ ضرراً على الاسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنّهم يدينون بموالاتنا ويقولون بامامتنا زعموا ان الحسين عليه السلام لم يقتل وأنّه شبّه للناس أمره كعيسى بن مريم الى قوله عليه السلام يابن عم من زعم ان الحسين لم يقتل فقد كذب رسول الله وعلياً وكذب من بعده من الأئمّه فى أخبارهم بقتله ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه وفى التوقيع (١) الوارد عن مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه امّا قول من زعم ان الحسين لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال وفى روايه العيون (٢) يقول الهروى قلت للرضا عليه السلام ان فى سواد الكوفة قوماً الى قوله قلت يا بن رسول الله وفيهم قوم يزعمون ان الحسين بن على لم يقتل فقال كذبوا عليهم غضب الله ولعنته وكفروا بتكذيبهم لنبيّ الله فى أخباره بانّ الحسين بن على عليهما السلام سيقتل . ص ١٠٩

[١] الشيعة الامامية لا يرون فرقاً بين امام وامام من أئمتهم من الاثمه المعصومين الاثنى عشر عليهم السلام ويرون قولهم واحداً وما قاله أحدهم هو قول كلّهم وقول كلّ واحد منهم قول النبي صلى الله عليه وآله ودلائلهم المذكوره فى محلّها من الكتب الكلاميه والاعتقاديّه ولا يوءاخذ المذهب وأهله وأكابرهم وعلمائهم بفعل بعض السّفهاء لو وضع حديثاً كرامه أو تقرّباً إلى أمير أو وزير وهذه كتب رجالهم ترى فيها وانهم ينقبون عن حال كل راوٍ للاخبار فضيله أو كرامه أو ما يتعلّق بالدين والتفسير اصولاً وفروعاً ولا يقبلون الاّ ممّن صحّ دينه وسلمت عقيدته أو ثبت صدقه ووثاقته وربما يكون الراوى صاحب تأليفات وكتب وهو امامى المذهب لا يقبلون حديثه لفسق فى العمل أو انحراف فى العقيدة أو

١- بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٧١.

٢- عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٠٣، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٧١.

وضع للحديث فراجع ما كتبوا فى الرجال (ككتاب النجاشى و خلاصه الأقوال للعلامة الحلى ورجال الاسترآبادى ورياض العلماء و تنقيح المقال و معجم رجال الحديث و أمثالها كثير) .

[١] هذا يدعيه ابن (١) ابي الحديد فى شرح نهج البلاغه و يذكر أمثله انكار كثير منها وليد التعصب ويمس قبول بعضها عقيدته فى الصحابه ولا- يمكنه قبوله والبقاء عليها وقبله وبعده اتهموا الشيعة بالكذب ووضع الأحاديث حتى ان بعضهم (عبد الله القصيمى) كاد أن يحصر الوضاعين والكذابين بين الأئمة الاسلاميه بالشيعة فقال الكذابه (٢) حقاً كثيره فى رجال الشيعة واصحاب الاهواء طمعاً فى الدنيا وتزلفاً أى أصحاب أو كيداً للحديث والسنة وحنقاً على أهلها إلى وليس فى رجال الحديث من اهل السنة من هو متهم بالوضع والكذابه طمعاً فى الدنيا وازدلاقاً إلى أهلها وانتصاراً للاهواء والقصائد المدخوله الباطله نعم : قد يوجد بينهم من ساء حفظه او من كثر نسيانه او من انخدع بالمدلسين الضعفاء.

لكنه غفل عن عيوب نفسه فرمى الشيعة بانانيين من الأكاذيب فقال (٣) ان الأئمة من آل البيت عند الشيعة أنبياء وأنهم يوحى اليهم وان الملائكه تأتي اليهم بالوحى وأنهم يزعمون لفاطمه وللأئمة من ولدها ما يزعمون للانبيا . ولقد ردّ عليه العلامة الأمينى قدس سره أكاذيبه وافترائاته لا على الشيعة فحسب بل على ساير علماء الاسلام وذكر سبعمائة (٤) من اصحاب الروايات نصوا على كذبهم أو وضعهم وفيهم علماء فقهاء زهاد عباد نساك

١- شرح النهج الحديدي ج ١١ ص ٤٩.

٢- الغدير ج ٥ ص ٢٠٨.

٣- الغدير ج ٥ ص ٥٠.

٤- الغدير ج ٥ ص ٢٠٩ الى ٢٧٥-٢٩٠.

ثقات نعم فيهم قليل لا يصح ما قيل فيهم وفي بعضهم توقف وذكر قائمه (١) الموضوعات .

والمقلوبات عن رجال قليلين بما يبلغ ٤٠٨٦٨٤ فجزاه عن الاسلام واهله خير الجزاء وهدى الله اولئك الكذابين والمفتريين وجزاهم ما يستحقونه .

نعم لا- نقول ولا- يقول أحد من الاماميه ان كل ما ورد من الأحاديث في فضل علي وأهل بيته الكرام عليهم السلام صحاح والشيعة يعتقدون بها بل تكذب بعضها وتتوقف في بعض آخر ونقول بمقتضى شطر وافر منها لا شتهارها وصحة اسنادها وتلقى العلماء جيلاً- بعد جيل بالقبول وقد ورد كثير من أخبار الفضائل في أهل البيت في كتب العامه وصحاحهم وقد جمع العلامة الموفق السيد الفيروزآبادي ما أمكنه في ذلك من الصحاح الستة ونشره في كتاب اسماء فضائل الخمسه في الصحاح الستة جزاه الله عن أهل بيت نبته خير الجزاء .

[١] مسجد معروف بين مشهد الكاظمين عليهما السلام وبغداد وكان ديراً فأمر اميرالمؤمنين عليه السلام في (٢) رجوعه من قتال الخوارج الراهب الساكن هناك بعد اسلامه على يده عليه السلام ان يبنيه مسجداً واخبر ببناء بغداد واخرج عيناً لمريم عليها السلام ودل على صخره بيضاء وضعت عيسى على نبينا وآله وعليه السلام من عاتقها عليها واخبر ان هناك قبر نبي من الأنبياء أمر الشمس أن ترجع فرجعت وكان معه ١٣ رجلاً- من أصحابه وعن ابي جعفر عليه السلام انه صلى فيه ابراهيم قبل عيسى عليه السلام صفحه ٤ دفتر دوم .

[١] هذا اشتباه بل القبر لاخته الحسين سيد الشهداء عليه السلام .

١- الغدير ج ٥ ص ٢٧٥-٢٩٠.

٢- البحار ج ٣٨ ص ٥٠، ج ١٠٢ ص ٢٦ إلى ٣٠.

قوله (ذيله الصفحه) ولا- تجد قط ذكراً . هذا من جهل القائل لو أراد روايات غير تاريخيه وليس الجهل غدرًا فليراجع الكتب التي ألفت للزيارات من اقدم العصور ككامل الزيارات والمصباح وغيرهما...

قوله من قول السيده سكينه : لم يثبت من قولها ولايناسب شأنها وما ورد عنها مع انه لا ربط قوى بين هذا وما افتتح به كلامه :

[١] ليس لأول مره يسند ما يرويه الصدوق القمى قدس سره فى كتاب العلل إلى نفسه ورأيه وكأنه يتعمد فى فرض جدال وقتال بين ما ينقله عن اهل الحديث (من العامه) وما يذكره عن القمى اشعاراً باستمرار الجدال والمغالبه بين الفريقين وما اسنده اليه إنما هو (١) روايته بطريقه إلى الرضا عليه السلام .

ما افحش هذا المؤلف وقد تكرر منه التعبير عن بعض معجزات اميرالمؤمنين عليه السلام وكراماته بالغلو .

[١] هذا تعبير من لا- تحقيق له وإنما يقف متحيراً عند أول شبهه ترد عليه من معاندا وجاهل مثله والأفايه شبهته فى موضع قبر على عليه السلام وابنه سيد الشهداء سلام الله عليه وقد زارهما اولادهما واحفادهما من اقدم العصور كالامام زين العابدين والامامين الباقر والصادق عليهم السلام ودلوا أصحابهم وعلى مواضع القبر حتى صار اليوم من أوضح الواضحات كموضع مكه والمدينه وما رواه المسعودى قد ورد فى كتبنا ووجهه معلوم لأنه المتقيمه على المعاندين وخصوم اهل البيت لا سيما بنى اميه والخوارج وأعظم به من جهل حيث يقول المؤلف ص ١٢٢ (ثم يقال ان ابا الهيجاء عبدالله بن حمدون الخ) .

وعبر عنه المسعودى (٢) بابن ابى الهيجاء فراجع فرحه الغرى (٣) وما أورده فى ذلك للدلاله على قبر مولانا على عليه السلام من الشواهد والروايات ولا كرامات قبل ان يخلق ابو الهيجاء

١- بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٨٤.

٢- مروج الذهب ج ٤ ص ٣١١.

٣- البحار ج ٤٢ ص ٣٣٧ إلى ٣٣٩، ج ١٠٠ ص ٢٣٥ الى ٢٥٧.

ص: ١٧٩

وكذا شرح (١) ابن ابي الحديد فقد صرح بالحق المحقق .

١- شرح النهج الحديدي ج ٦ ص ١٢١-١٢٣.

من أراد كلاماً موجزاً عن الشيعة فليرجع إلى كتاب : Johannes Hauri Islam, p. ٨٩ ff. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب جولد تزيهر :

Muhammed and Islam and إلى الفرنسيه بعنوان : Goldziher, Vorlesungen uber den Islam ؛ وهذا الكتاب مترجم إلى الإنجليزیه بعنوان :

Dogme et la loi de Í Islam وإلى العربيه بمصر حديثاً .

يقول جولد تزيهر في صفحہ ٢٢٢ من ترجمه الإنجليزیه : إن من الحقائق الأوليه أن مسأله الخلافه قسمت المسلمين إلى فرقتين .

أهل السنه ،والشيعة وكان لأهل البيت فريقٌ يعترف سرّاً بحقوقهم ، حتى في عهد الخلفاء الثالثه الإولين ؛ ولكن هذا الفريق لم يكن يجاهر بالخصمام .

وبعد عصر هوءلاء الخلفاء صار يعارض كل من حكم من غير أبناء علي ؛ وكانت هذه المعارضه موجهه أول الأمر إلى الأمويين ، ثم إلى من بعدهم ممن لم تتوافر فيهم الشروط التي يوجبها الشيعة في الإمام ؛ وهم حين يبينون ونجوه النقص في هوءلاء الحكام يقررون الحقوق الشرعيه لأبناء النبي عليه السلام ممثله في

١- هذه التعليقات الملحقه بالفصول هي تلخيص لتعليقات المرحوم العلامة خدابخش الهندي على ترجمه الأنجليزیه لهذا الكتاب.

ذريه على وفاطمه؛ وكما أنهم اتهموا الخلفاء الثلاثة الأولين سرّباً بأنهم معتصبون ظالمون ، فكذلك عارضوا النظام السياسى فى الدوله الإسلاميه سرّاً وجهرّاً فى كل العصور .

فإنهم يقولون إن الرئيس الشرعى الوحيد من الناحيه الروحيه والزمنيه هو الزمام المعصوم الذى يعين تعييناً ، ويكون من أبناء النبى عليه السلام .

وفى صفحه ٢٣٠ تكلم جولدتزيهر عن الفرق الاساسى بين الخليفه عند أهل السنه والإمام عند الشيعه .

أوجب أهل السنّه تنصيب خليفه مهمته تنفيذ أكام الشريعه وفروضها ، وحمايه حدود بلاد الاسلام والدفاع عنها ، والإشراف على تعبئه الجيوش ، وأخذ ما فرض على المسلمين فى أموالهم ، وتقسيم غنائم الحرب بينهم بالعدل ، وغير ذلك من المهام ؛ وبالاختصار فالخليفه هو ممثل السلطه القضائيه والإداريه والحريظ ، وهو مجرد خليفه لمن تقدمه ، ويختاره المسلمون بالطرق العاديه (بالانتخاب أو بتعيين سلفه له) لسياستهم ؛ ولا يشترط فيه أن يكون أعلم المسلمين.

أما الإمام عند الشيعه فهو رئيس المسلمين ومعلمهم ، بفضل ما وهبه الله من الصفات؛ وبحكم وراثه للنبى عليه السلام ؛ وهو يحكم ويعلم متلقيا ذلك عن الله على نحو ما كان موسى يسمع كلام الله من الشجره[١] .

فكأنه يتلقى عن الله رساله مستمره ؛ وهو يجمع إلى هذه المزيه صفات خاصه

من طور فوق طور الإنسان.

ويزعم الشيعة أن وراثته الإمامه تنقلت من آدم ، حتى انتهت إلى عبد المطلب جدّ النبي عليه السلام وجدّ علي رضي الله عنه ؛ ومن عبدالمطلب انقسم النور قسمين ، أحدهما انتقل ذلي عبد الله والد النبي ، والآخر إلى أخيه عبد المطلب [١].

والد علي ثم سار النور من علي إلى ذريته ، وهذا النور الذي في روح الإمام يجعله إمام عصره ، ويجعل له قوى روحانه تجاوز حدود القدره الإنسانيه ؛ وروح الإمام أنقى من أرواح سائر الناس ، لأنه مبرّأ من بواعث الشرِّ مُتَحَلِّ بالفضائل الإلهيه وهذه هي صفات الإمام عند المعتدلين من الشيعة ؛ أما الغلاه منهم فهم يرفعون الإمام ذلي الأفق الإلهي .

وفي ص ٢٥٤ وما بعدها ينبه جولد تزيهر على أخطاء شائعه فيما يتعلق بالشيعة ١ يذهب البعض إلى أن الفرق بين مذهب أهل السنه ومذهب الشيعة أن الأولين يعترفون بأن السنّه أصل من أصول العقائد والأحكام الدينيه بعد القرآن، وأن الشيعة يرقضون السنّه .

يقول جولد تزيهر: إن هذا خطأ جوهرى فى فهم مذهب الشيعة ؛ ومنشوءه اختلاف التسميه بين الفريقين؛ فليس بين الشيعة من ينكر السنّه ؛ بل هم يقرون بالسنه التى حَمَلَهَا أهل البيت ، ويذهبون إلى أن خصوم الشيعة يعتمدون فى بأخذ السنه على الصحابه الغاصبين .

وثم الأحاديث التى رواها أهل السنّه لا تختلف إلا فى السند ؛ والشيعة يقبلون الأحاديث التى رواها أهل السنه [١].

والتي تؤيد الشيعة أو على الأقل لا تعارض مذهبهم ؛ ومن أمثله ذلك أن من

الشيعة المتشددين [١].

من يعتمدون على أحاديث البخارى ومسلم ، ويقروءونها أيام الجمع ؛ ونستطيع معرفه شأن السنّه عندهم من أن كثيراً من قول على فى القرآن والسّينه يوءخدمما رواه الشيعة عن على فاحترام السنه من مستلزمات مذهب أهل السنه والشيعة على السواء ؛ ومما يدل أيضاً على اعتداد الشيعة بالسنه النبويه أنهم كتبوا الكثير فى السنّه وما يتعلق بها ، وأنهم وضعوا أحاديث كثيره وأذاعوها [١].

فالشيعة لا يعارضون أهل السنّه بصفتهم منكرين للسنه ، بل بصفظ أنهم أولياء أهل البيت أو الخاصه الذين يمتازون على العامه الغارقين فى بحار العمى والضلال.

٢ ومن الآراء الخاطئه القول بأن منشأ التشيع يرجع إلى مذاهب الفرس وتأثيرها فى الإسلام ؛ وهذا ناشىء عن خطأ تاريخى ، وقد رفضه فلها وزن فى بحث له (هو):

Wellhausen, Die Religios – politischen Oppositionsparteien. im Alten Islam

وذلك أن حركه التشيع نشأت على ترابه عربيه خالصه ، ولم بين الساميين إلا بعد ظهور المختار .

هذا إلى أن أصول النظرية الإماميه تنتشر بما تتضمنه من النظر إلى الدوله نظره دينيه لا- دنيويه ، ومن القول بالمهدى ونحوه يكمن أن نرده إلى الأثر اليهودى والمسيحى [١].

بل إن ما ذهب إليه الشيعة الغاليه من تأليه على كان أول من أتى به عبدُالله بن

قبل تأثير المذاهب الآرية ؛ وكذلك التجسيم عند الشيعة ، يرجع بعضه إلى أصل عربي وقد ذهب إلى قول الشيعة أهل النظر العقلي بين العرب ، وكذلك الفرس ، وقد رُحِبَ الفرسُ بمعارضه الشيعة ؛ ثم تأثر هذا المذهب فيما بعد بما هو موروث عند الفرس من تأليه الملوك [١] .

ولكن الأصول الأولى للتشيع لا ترجع إلى أثر أجنبي ، بل هي عربية في صميمها [١] .

٣ أن الشيعة هم أصحاب الفكر الحر ، خلافاً لأهل السنه الجامدين ، وهو ما ذهب إليه أخيراً البارون كرادفوا .

وهذا الرأي لا يقبله من له علم بمذهب الشيعة [١] .

فمن الموء كد أن تقديس على هو محور الاعتقادات الدينيه عند الشيعة؛ وكل ما عدا هذا فهو ثانوى المرتبه ، وذن الشيعة بتفضيلهم الإمام المعصوم من غير اعتماد على قوه الرأي العام قد نبذوا ما تراه فى مذهب أهل السنّه من عناصر التفكير الحر .

وعلى هذا فإن خصوع الشيعة لمذهب يتلقونه عن سلطه معصومه لا تقبل معارضه هو ما تتميز به الحياه الدينيه عندهم .

أما علاقته الشيعة بالمعتزله فيقول جولدتزيهر إن الصله بينهم أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، لما ذهب إليه أحد علماء الشيعة [١] .

من أن القول بالأمام الغائب جزء من قول أصحاب التوحيد والعدل ، وهم المعتزله ومن الشيعة فرُع الزيديه ، وهم أكثر من غيرهم ميلا إلى مذهب المعتزله .

وقد أثر مذهب المعتزله فى التشيع إلى عصرنا [١].

ومن الخطأ قول من قال : إن مذهب المعزله لم يلعب دوراً كبيراً فى الدين والأدب بعد انتصار الأشاعره .

ومما يثبت بطلان هذا الرأى ما انتهى ذلينا من كتب كثيره للشيعة يتجلى فيها تأثير المعتزله ؛ فمن ذلك أن الشيعة يقسمون كتبهم إلى باب العدل والتوحيد ؛ بل نجد من كبار المعتزله كالنظام من قرّر من قبل أن الحجّه فى قول الإمام المعصوم ، وقول الشيعة بضروره وجود إمام معصوم له اتصال بما اختص به المعتزله من القول بوجوب هدايه أساسها الحكمه والعدل الإلهيان ؛ فلا بد عند بعض المعزله من أن يجعل الله لكل عصر إماماً معصوماً.

وقد نقل جولدترزهر فى آخر الفصل الخاص بالزهد والتصوف من كتابه المتقدم ما ذكره الغزالى فى فيصل التفرقه من أن أساس الإيمان الاعتقاد بالأصول ؛ «الخلاف فى فروع العقائد والعبادات ، ولو كان فيه إنكار الخلافه التى يقول بها أهل السنه ، كما فعل الشيعة ، فلا يكفى لاعتبار صاحبه زنديقاً .

وقد أوصى الغزالى بإمساك اللسان عن تمزيق أعراض أهل القبله .

تعليقات هذا الفصل

[١] هذا ليس عقيدته الشيعة الاماميه ولا الزيديه بل نقول انّ الامام ورث العلم عن من تقدّمه من الائمه واحداً بعد واحد إلى أن يصل إلى أولهم على اميرالوئمنين عليه السلام وهو تلقى العلم من النبي صلى الله عليه وآله وهو عن الله فهم قائلون بالوسائط بين الله و الائمه ولا يعتقدون انّ الشريعه يتلقاها الامام عن الله بلا وساطه النبي او الامام الذى تقدّمه فراجع الكتب (١) الكلاميه حتى ان خصومهم انما ينازعونهم فى الاعتقاد بعصمه الامام وانه منصوب من قبل الرسول أو الامام الذى تقدمه ونهايه الامر يسندون نصب الامام إلى الله بتبليغ النبي صلى الله عليه وآله .

[١] اشتباه والصحيح ابى طالب

[١] هذا ليس بصحيح فالشيعة الاماميه كما سبق يشترطون فى الاخذ بالحديث شروطاً منها الاطمينان بصدوره عن المعصوم وهذا الشرط مفقود غالباً فى ما يرويه اهل السنّه عموماً نعم فى موارد ومتفرقه توقّرت القرائن على الصدور والصدق فى ما يرويه عدّه منهم فيقبل الحديث ويصطلح عليه ، بالموثق قبال الصحيح الذى رواه كلّهم فى كلّ طبقه اماميون عدول .

[١] هذا لو صح ففى بعض البلاد الزاماً وافحاماً للخصم .

١- دلائل الصدق ج ٢ ص ١٩ الى ٢١ الى ٢٥ ، كشف المراد ج ١ ص ٣٩٢ الى ٣٩٨ .

[١] هذا افتراء لو عمّ كلامه الشيعة الاماميه فلا موجب لذلك لفنائهم وتوفّر المصادر الحديثيه الوارده عن أئمتهم عليهم السلام فى اكثر الموارد لو لا كلّها وتحرّجهم عن الكذب والوضع ومن نسب اليه لا يقبلون حديثه لو صحّت النسبه مضافاً عن من عرف بالكذب والوضع .

[١] هذا ايضاً غلط فى الاستنتاج واشتباه فى البحث والتنقيب اذ كلّ باحث له ادنى معرفه باصول العقائد الشيعيه يعرف يقيناً بان لا منشأ ولا- مرجع لعقائدهم فى الامامه وما يتعلّق بها إلا اتكّاءهم على كونها وراثه عن النّبوه وكما ان النبى ليس من شأن آحاد الناس ولا جماعاتهم نصبه وبعثه كذلك الامام فلا بد من النصب من قبل الله والنص من النبى أو الامام السابق طريق إلى معرفه النصب الإلهى .

[١] لقد حقّق العلّامه الفاضل الشيخ الامينى قدس سره فى مواضع من كتابه القيم الغدير كذب نسبه الشيعة والتشيع إلى عبد الله بن سبا(١)، وقبله المحقّقون تعرّضوا لذكره فى كتب الرجال الحديث(٢) بينوا وحقّقوا خروجه عن الاسلام وانه عليه السلام قتله بعد استتابته منها (٣/٩٤ ج ٣/٢٦٦) وابان الستر عن وجوه الاساطير المختلفه حول عبد الله بن سبا التى طالما تداولتها اقلام المورخين والباحثين وحول جماعه كثيره خرقها واختلقها سيف بن عمر التميمى النافذ البصير والباحث المتتبع اسلاميه السيد مرتضى العسكري ويجدر بالمباحث مراجعه ما(٣) نشر حتى يتبين المخالفى الشيعة والمتحاملين عليهم من بضاعه كاسده ومستندات واهيه وقصص ضاليه ولقد

١- عبد الله بن سبا الأول والثانى و ١٥٠ صحابى محقق .

٢- جامع الرواه ج ١ ص ٤٨٥ رجال الشيخ ص ٥١ ذيل ٧٦

٣- معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٦٨ ، تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٣ الى ١٨٤ ، وسائل ١٨ الباب ٥ من أبواب المرتد ح ٤ الى ٦ .

أنصف بعض علماء السنه وهو الاستاذ محمّد كرد على فيما ذكره فى كتابه(١) خطط الشام قال اما ما ذهب اليه بعض الكتاب من أن مذهب التشيع من بدعه عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء فهو وهم وقله علم بتحقيق مذهبهم ومن علم منزله هذا الرجل عند الشيعة و برائتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم فى الطعن فيه بلا- خلاف بينهم فى ذلك قوله بما علم مبلغ هذا القول من الصواب :

[١] لو كان غرضه تأليه الامام عند الفرس فهذا غلط واشتباه

[١] الصحيح ان عربيه كعربيه القرآن لا تعنى الالغه الدين لا شيئاً آخر .

[١] هذا أيضاً جهل أو تجاهل بمذهبهم اذ تقديس على عليه السلام ليس يقصد به إلا العصمه والّا فهو عليه السلام أول من فتح باب التفكير الحر وهذه نماذج من كلماته وخطبه وكتبه عليه السلام إلى امرائه وعماله وغيرهم مجموعه فى نهج البلاغه فانظر فى قوله عليه السلام (٢) وصيه لابنه الحسن عليه السلام لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً :

وأبد رأيك قوله من غير اعتماد : جهل عبادهم وأصولهم فاهل السنه لا يرون باب الاجتهاد مفتوحاً (وان تزلزل هذا الاصل اخيراً (بل انسدهم من زمن العباسيين(٣) .

والشيعة مفتوح بابهم عندهم حتى أنهم فى الأغلب لا يرون تقليد المجتهد الميت ابتداءً بل وكثير منهم حتى بقاء ولو كان لأهل السنه طريق إلى التفكير الحر لما ذهبوا إلى تقديس كل صحابى حتى امثال خالد بن الوليد والمغيره بن شعبه وسمرة بن جندب ومعاوية بن ابى سفيان وعمر بن العاص وأبى هريره فتراهم يحجّون باحاديثهم ويوردونها فى

١- الغدير ج ٣ ص ٩٥ تقلد عن خطط الشام ج ٦ ص ٢٥١ .

٢- نهج البلاغه ج ٣ ص ٥٧ .

٣- يأتى تفضيله ص ٤٣ ٤٢ .

مجاههم التي سميت بالصّحاح . بل البخارى منهم احتج (١) بعمران بن حطان الخارجى .

[١] استشهاد ضعيف وسبق الكلام على المدعى هم يشتركون فى كثير من مباحث العدل والتوحيد ويختلفون فى كثير والكل متفقون على مسئلة التحسين والتقييح العقليين . فراجع الكتب الكلاميه ومنها التجريد وشرحه للعلامه الحلى والاخر للقوشجى ودلائل الصدق وغيرها .

[١] المناقشه فيه واضحه لامكان ان اما يشابه عقيدة الشيعه فى المعتزله لتأثير الشيعه فى المعتزله فالشيعه اثروا فيهم لاتأثروا بهم وذلك لوجود الأئمه المعصومين وحضورهم بين الناس فى أغلب الايام والأحيان فى القرنين الاولين وإلى أزيد من نصف القرن الثالث والشيعه وربما غيرهم بإمكانهم استعمال المسائل الكلاميه إلى واستفهام الاحكام إلى منهم أو تمن اخذ منهم وتعلم من أصحابهم ورفع التحير عنهم تجاه الشبهات الالحاديه وغيرها التى كانت ترد على الاسلام عموماً وعلى الشيعه خصوصاً لاسيما فى أيام عظمه العباسيين وانتشار الاراء والكتب المختلفه وترجمتها إلى العربيه وظهور الزنادقه والدهريه وأمثالهم وبامكانك تعرف ذلك من الاحتجاجات التى وردت عن المعصومين عليهم السلام قبال اولئك خصوصاً عن الرضا عليه السلام فالأئمه الشيعه حق عظيم على كيان الاسلام والمسلمين فى حفظه وابقائه والحمايه عنه ودفع غبار الشبهات عنه راجع الاحتجاج (٢) والبحار (٣) .

١- الغدير ج ٥ ص ٢٩٤ ، دلائل الصدق ج ١ ص ٥٣ ٥٢ .

٢- الاحتجاج للطبرسى .

٣- البحار ١٠ .

الفصل السادس: الاداره

اشاره

كانت دوله الخلفاء أشبهَ باتحاد يتألف من ولايات كثيره ، ويختلف وناقَهَ وتماسكا ؛ ولم تكن علاقته السلطه المركزيه بهذه الولايات تشرف عليها دواوين إقليميه ؛ وإنما كان لكل ولايظ ديوان ببغداد يدير شؤءونها .

وكان كل من هذه الدواوين يتألف من قسمين : أولهما الأصل ، وهو يختص بوضع الضرائب وحملها إلى بيت المال(١) ، وبمراقبه الضرائب وتقويه مواردها ، أى أن هذا القسم يختص بالإداره ؛ وثانيهما الزمام(٢) أو ديوان المال .

ولما جاء الخليفه المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ هـ ٩٠٢ ٨٩٢ م) ، وهو أقدر حكام القرن الثالث(٣) ، ضمّ دواوين الولايات كلّها و ألف ديواناً سمّاه ديوان

١- كتاب الخراج لقدامه بن جعفر (المتوفى عام ٣٣٧ هـ ٩٤٨ م)، مخطوط رقم ٥٩٠٧ بمكتبه باريس ص ٩ ب ١٠. وكلمه أصل التي ودرت فى كتاب الوزراء (ص ١١) لها هذا المعنى .

٢- انظر فى هذا Amedroz, JRAS. ١٩١٣, S. ٨٢٩ ff. وأيضاً مسكويه ج ٦ ص ٣٣٨، وكان يعين على الزمام عاده رجلٌ من أصحاب المال . وكذلك كانت الدواوين الصغيره التي تتولى إداره ضياع نساء الخلفاء تنقسم إلى الفرعين المتقدمين ، وكان يتقلد كلّ واحد منهما رئيسٌ .

٣- جاء فى كتاب الوزراء للصابى (ص ١٨٩) أنه لم يجتمع فى زمن من الأزمنه خليفه ووزيرٌ وصاحبُ ديوان وأميرٌ جيش مثل المعتضد وأبى القاسم عبيد الله بن سليمان وأبى العباس بن الفرات وبدر .

الدار (١)، له ثلاثه فروع: ديوان المشرق؛ وديوان المغرب؛ وديوان السواد (أى العراق) وكذلك وضع هذا الخليفه أزمه هذه الدواوين كلها فى يد رئيس واحد (٢)، ثم جعل الأصول كلها فى يد رئيس واحد فى سنه ٣٠٠هـ ٩١٢م (٣) بحيث جاء القرن الرابع الهجرى، وإداره الدوله تنقسم إلى ما يشبه وزارتين إحداهما للداخليه، وهى ديوان الأصول، والأخرى للماليه وهى ديوان الأزمه.

وكان كل ديوان كبير ينقسم أقساماً كثيراً تسمى دواوين أيضاً؛ لأنه كان لكل ناحيه ديوانها.

ولكن لما كان الوزير، وهو رئيس السلطه المركزيه، هو الذى يتولى إداره ديوان السواد بنفسه، فإن كثيراً من دواوين الولايات ببغداد كانت تقوم مقام دواوين للدوله.

ولم تصل الأداره فى الدوله الإسلاميه إلى تعيين الحدود الفاصله بين الدواوين بدقه، وأستطيع أن أذكر منها:

(١) ديوان الجيش، وله مجلسان: أحدهما مجلس التقرير، والثانى مجلس المقابله.

ويجرى فى الأول أمر استحقاقات الرجال، ومعرفه أوقات أعطياتهم، وتقدير أرزاقهم؛ فأما الثانى فيختص بالنظر فى السجلات، وتصفح الأسماء، ونحو ذلك.

وينقسم كل من المجلسين إلى أقسام خاصه بالعساكر، مثل العسكر المنسوب

١- كتاب الوزراء ص ١٣١ و يسمى أيضاً ديوان الدار الكبير، نفس المصدر.

٢- كتاب الوزراء ص ٧٧.

٣- نفس المصدر ص ٢٧١، ١٢٤.

إلى الخاصه ، والعسكر المنسوب إلى الخدمه ، وما فى النواحي من البعوث (١).

(٢) ديوان النفقات فى بغداد؛ وأكبر مهامه حاجات دار الخلافه وكان أكثر أرض العراق مضمناً ، فكان على المتضمنين أن يقوموا بالوفاء بالنفقات .

وهذا الديوان ينقسم إلى المجالس الآتية :

(أ) مجلس الجارى ويختص بأمر استحقاقات الحشم .

(ب) مجلس الأَنْزَالِ، وهو الذى يقوم بمحاسبه التجار الذين يقيمون الوظائف من الخبز واللحم والحيوان والحلوى والفاكهه ، وغير ذلك من سائر صنوف الإقامات والأَنْزَالِ .

(ج) مجلس الكراع ، ويجرى فيه أمرُ علوفه الكراع وغيره ، مثل الخيل والشهاري والبراذين والبغال والحمير والإبل وغيره مما يعتلف من الطير والوحش ؛ ويجرى فيه أمرُ سياسه الكراع وعلاجه ، وأرزاق القوام والراضه ونحو ذلك.

(د) مجلس البناء والمرمّه ، وهو مجلس يكبر ويصغرُ على حسب الخلفاء فى الأغراق فى البناء أو الا كتفاء بيسيره ؛ ويجرى فيه محاسبه الرّزاع والمهندسين وباعه الجصّ والآجرّ والنورّه والأسفيداج وأصحاب الساج والنجارين والمزوفين والمذهّبين وسائر الصناع .

(ه) مجلس الحوادث ؛ ويجرى فيه أمر النفقات الحادّته (أى غير العاديه) فى كل وجه من وجوهها .

(و) مجلس الإنشاء والتحرير.

(ز) مجلس النسخ (١).

(٣) ديوان بيت المال ، وهو في بغداد يشرف على ما يرد على بيت المال من الأموال وما يخرج من ذلك من وجوه النفقات والإطلاقات .

ويجب أن تمرّ به الكتب التي فيها حمل مال ، قبل انتهائها إلى دواوينها ، لتثبت فيه ، وكذلك سائر الكتب النافذة إلى صاحب بيت المال من جميع الدواوين بالمطالبه بالأموال .

ويكون لصاحب هذا الديوان علامه على الكتب والصكاك والإطلاقات ، يتفقدتها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها (٢) .

وفي عام ٣١٤هـ ٩٢٦م صدر أمرٌ بمطالبه صاحب بيت المال ببغداد بتقديم الروزنامجات في كل أسبوع للوزير ، ليستطيع معرفه ما حلّ وما قبض وما بقي ؛ وكان الرسم إذا عملت الختمه لم ترفع إلى الديوان عن الشهر الأول إلا في النصف من الثاني (٣) .

(٤) ديوان المصادرين (٤) ، وكانت الوثائق التي يدفع بمقتضاها في هذا الديوان تُكتب على نسختين ، إحداهما للديوان والأخرى للوزير (٥) .

(٥) ديوان الرسائل ، وكان يسمى في مصر على عهد الفاطميين ديوان

١- قدامه : نفس المصدر ص ٩٨ ب .

٢- نفس المصدر ص ٩ ب ١٠ .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٢٥٦ ٢٥٧ .

٤- كتاب الوزراء ص ٣٠٣ ، ٣٠٦ .

٥- مسكويه ج ٥ ص ٢٦١ مثلا .

الإنشاء(١)، وكان صاحب هذا الديوان بمصر فى أوائل القرن الخامس الهجرى يتقاضى فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار، عدا ما كان يكتبه من السجلات والعهودات وكتب التقليدات، فقد كان له على ذلك رسوم يستوفىها(٢).

(٦) ديوان البريد؛ وتأتى لصاحبه الكتب من جميع النواحي، وهو المُنْفَذُ لها إلى مواضعها؛ وهو يتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبار فى جميع النواحي على الخليفة، أو يعمل جوامع لها؛ وله النظرُ فى أمر المرتبىين فى السكك، وتنجز أرزاقهم، وتقليد أصحاب الخرائط فى سائر الأمصار، ولا غنى له، بعد أن يكون ثقة عند الخليفة، عن معرفه الطرق والمسالك إلى جميع النواحي، بحيث يجد عنده الخليفة من المعرفه ما يحتاج إليه عند إنفاذ جيش أو غيره(٣).

وكانت معرفه الأخبار وإبلاغها قد بلغت درجه عظيمه من الرقى فى الدوله الإسلاميه؛ فقد حُكى أن الخليفة الموفق أراد أن يشغل قلب أحمد بن طولون، فدرس من سرق نعلَه من بيت حظيه له لا يدخله إلا ثقاته؛ ثم بعثها إليه؛ فقال له الرسول:

من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذى تعرفه أليس هو بقادر على أخذ

١- كانت لفظه الإنشاء فى المشرق من الألفاظ المستعمله فى ديوان الرسائل، وهو عمل نسخه يعملها الكاتب، فتعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أو ينفذها على حالها (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى طبعه فان فلوتن ص ٧٨، وكتاب الوزراء ص ١٥١).

٢- الارشاد لياقوت ج ١ ص ٢٤٢.

٣- كتاب الخراج لقدامه طبعه دى غوى ص ١٨٤ ١٨٥، وقد كتب قدامه حوالى عام ٣١٥ هـ ٩٢٧ م.

روحك؟ (١) وكان صاحب البريد هو صاحب الأخبار الرسمي ، وكان له «عيون» يوافونه بكل جديد؛ وهذا ميراث أخذه العرب عن البيزنطيين ، ففي عهد قسطنطين الأ-كبر كان لصاحب البريد أعوانٌ يسمّون باسم Veredarii (وهم نقله الأخبار الذين يركبون الخيل) ، وكانوا يمدّونه بالأخبار (٢) .

وكان بعض المتعلمين في ذلك الوقت يعيشون من نقل الأخبار ، كما هو الحال اليوم بالنسبة لمراسلي الصحف ومندوبيها (٣) وجاء في عهد بولايه بريد ما يوجب على صاحب البريد «أن يعرف حال عمال الخراج والضياح فيما يجرى عليه أمرهم ، ويتتبع ذلك تتبعاً شافياً ، ويستشفه استشفافاً بليغاً ، وينهيه على حقه وصدقه .. . وأن يعرف حال عماره البلاد وماهى عليه من الكمال والاختلال ، وما يجرى في دمور الرعيه ، فيما يعاملون به ، من الإنصاف والجور والرفق ، والعسف ؛ فيكتب به مشروحا .. . وأن يعرف ما عليه الحكام في حكمهم وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم... وأن يعرف حال دار الضرب وما يضرب فيها من

١- الخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٨٠ .

٢- ٧٠ ، ٣ Auf. s, J.Burckhardf: Die Zeit Constantins des Grossen, و كان أحد أصحاب البريد بمصر في القرن الأول من الحكم الاسلامى يقوم رسمياً بتبليغ أحوال رجال الشرطه (انظر ZA.XX.S.١٩٦).

٣- في القرن الثالث الهجرى قطع لسان ابن بسام الشاعر بأن وُلّي البريد بجند قنسرين (مروج الذهب ج ص ٢٧١ والإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٢٢ وما يليها ؛ وكذلك كوفى أحد الشعرا المجيدين بأن خير فى أعمال البريد ببلاد خراسان (يتيمه الدهر ج ٤ ص ٦٢)؛ وكان أبو محمد الوثائقى ببخارى يرجو أن يقلد أحد أعمال البريد (يتيمه ج ٤ ص ١١٢)؛ وكان صاحب بريد نيسابور يملك من الكتب ما لا يملكه أحد فى هذه المدينه مع كثره علمائها . ويعتبر ابن خلدون المغربى أن صاحب البريد من بين أرباب صناعه السيف (المقدمه ج ١ ص ١٩٨) .

العين والورق ، وما يلزمه الموردون من الكلف والموئن ؛ ويكتب بذلك على حقه وصدقه ... وأن يوكل بمجلس عرض الأولياء وأعصياتهم من يراعيه ويطالع ما يجرى فيه ، ويكتب بما تقف عليه الحال من وقته ، وان يكون ما ينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته ... وأن يعرض المرتبين لحمل الخرائط فى عمله ، ويكتب بعددهم وأسمائهم ومبالغ أرزاقهم ، وعدد السكك فى جميع عمله وأميالها ومواضعها ، ويوعز إلى هوءلاء المرتبين بتعجيل الخرائط المُنْفَذَه على أيديهم ، وإلى الموقعين بإثبات المواقيت وظبطها حتى لا يتأخر أحد منهم عن الأوقات التى سبيله أن يرد السكّه فيها ، وأن يفرد لكل ما يكتب فيه من أصناف الأخبار كُتُباً بأعيانها ، يفرد لأخبار القضاء وعمال المعاون (؟) والأحداث .. والخراج والضياح وأرزاق الأولياء ونحو ذلك كتباً ، ليجرى كل كتاب فى موضعه «(١)» ولم يكن صاحب البريد يعنى فقط بالأخبار التى تتعلق بمهام سياسته الدوله ، بل كان عليه أن يبلغ كل ما عدا ذلك من طرائف الأخبار .

فقد حدث فى عام ٣٠٠ هـ ٩١٢م أن ورد كتاب من صاحب البريد من بلده الدينور يذكر فيه أن الموكّل بخبر التطواف رفع إليه يذكر أن بغله لرجل وضعت فلوّه ويصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم لما عاينوا منه ، ويقول : «فوجهت من أحصر لى البغله والفلوه ، فوجدت البغله كمتاء خلوقيه ، والفلوه سويه الخلق ، تامّه الأعضاء ؛ مُنْسَدَلَه الذنب ، سبحان الملك القدوس ، لا معقّب لحكمه ، وهو سريع الحساب» (٢) .

١- كتاب الخراج لقدامه بن جعفر مخطوط باريس ص ١٧ ب ١٩ . ويرجع تاريخ هذا العهد إلى عام ٣١٥ هـ .

٢- عريب ص ٣٩ ٤٠ .

(٧) ديوان التوقيع ، وإليه تنتهى رقاع من يسأل شيئاً عند الخليفة ، بعد أن يراها صاحب ديوان الدار ، ويقتصّ المسأله والرقعه ويشرح حالها ، وما لعله يكون جرى فيها ؛ وبعد أن يستطلع صاحب ديوان التوقيع رأى الخليفة فيها ، ويوقع عليها بخطه فى ديوان التوقيع يرسل إلى صاحب ديوان الدار بنسختها أو اقتصاص ما تضمنت ؛ ومن ديوان الدار تسرسل إلى صاحب الديوان الذى تجرى فيه المسأله (كالخراج أو الضياع أو المال أو النفقات .. الخ) (١).

وكان الفصل فى أمر الرقعه يكتب على الرقعه نفسها توقيعاً من الخليفة أو كاتبه .

وقد بلغت هذه التوقيعات أقصى ما يمكن أن تبلغه من الاختصار ، والبلاغه ، وإظهار ذكاء موقعها وقدرته على حسن الفصل وإصابه الغرض .

وكان البلغاء يتنافسون فى تحصيل توقيعات جعفر بن يحيى البرمكى ، الذى كان يلى ديوان التوقيع للرشيد ، ليقفوا منها على أساليب البلاغه وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل توقيع بدينار (٢) .

(٨) ديوان الخاتم ، وبه تمرّ وتثبت فيه الكتب التى يحتاج إلى ختمها بخاتم أميرالمؤمنين ؛ وذلك بعد أن يمرّ الكتاب على دواوين عده وبعد المقابله (٣) .

(٩) ديوان الفضّ ، ومنزله هذا الديوان من الخليفة منزله مجلس الاسكدار فى ديوان الخراج من المتولى له ، أن سبيل الكتب التى ترد من العمال فى النواحي إلى أميرالمؤمنين أن يكون ابتداءها به وخروجها إلى الدواوين منه ، بعد فضّها

١- كتاب الخراج لقدامه ص ١٩ ب ٢٠ .

٢- كتاب العبر ج ١ ص ٢٠٦ من طبعه بولاق .

٣- قدامه ص ٢٠ ب .

وأخذ جوامعها ليقراها الخليفة ويوقع فيها بما يراه .

وكان هذا الرسم جارياً في أول الأمر ، لما كان الخلفاء هم الذين يتولون النظر في الكتب بأنفسهم ؛ ثم آل ذلك إلى الوزير ، فصار هو المتولّى لفض الكتب وإخراجها إلى الدواوين ، وانتقل عمل ديوان الفض إلى حضره الوزير ، وصار المتولّى له كاتباً برسمه في دارالوزير(١) .

وفي حوالي عام ٣٠٠هـ ٩١٢م قُلد ديوان الفض وديوان الخاتم لرجل واحد ، وكان جاريهما أربعمائة دينار ودينار(٢) .

(١٠) ديوان الجهبّذه ، ويجرى فيه من الأموال مال الكسور والكفايه والوقايه وما يجرى مجرى ذلك من توابع أصول الأموال ، ثم ما يزيد شراراً الجهابذه من الفضول على هذه التوابع بسبب إعنات من عليه مال من أهل الخراج ومن يجرى مجراهم في النقود والصروف ، وما يرتفقون به من التقديم والتأخير عن يتعدّر عليه الأداء في وقت المطالبه .. فإن بعضهم لما وجد ذلك في بعض النواحي زاد في ضمان الجهبّذه بتلك الناحيه على من هو ضامن لها ، ووقع التزايد في هذه الوجوه بالظلم والعدوان على الرعيه وسائر من يقام لهم الجارى ، وتُطلق لهم النفقه ، حتى توافى مال الجهبّذه إلى جملة وافره أصل أكثرها عدوان(٣) .

(١١) ديوان البر والصدقات(٤) .

١- نفس المصدر ص ٢١ ب ٢٢ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٧٨ .

٣- قدامه ص ٢٣ ب .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٢٥٧ .

وكان أصحاب الدواوين في أوائل القرن الرابع الهجرى على ثلاث طبقات (١).

وكان صاحب ديوان السواد يقبض أعلى مرتب بين أصحاب الدواوين ، وهو خمسمائة دينار في كل شهر .

وكان صاحب ديوان المشرق أو ديوان الخاصه مثلاً يقبض مائه دينار في كل شهر (٢).

وفي عهد الخليفة المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ هـ ٩٠٢ ٨٩٢ م) بلغت أرزاق أصحاب الدواوين كلها من أكابر الكتاب إلى الخزان والبوابين والأعوان ، وثمان الصحف والقراطيس والكاغد أربعة آلاف وسبعمائه دينار في الشهر ، وذلك عدا ما كان يقبضه الوزراء ، وعدا أرزاق كتياب دواوين الإعطاء وخلفائهم على مجلس التفرقه وأصحابهم وأعوانهم وخزان بيت المال؛ فإن هوءلاء يأخذون أرزاقهم مما يوفرونه من أموال الساقطين وعزم المخلين بدوايتهم (٣).

فكانت المرتبات التي يتقاصها هوءلاء تتوقف على مقدار يقظتهم وعنايتهم .

على أن الأرزاق كانت تطلق في الأسبوع الأول من الشهر (٤).

وفي أوائل القرن الرابع ظهر رسم جديد ، ثم صار رسماً كثيراً ما لجأ إليه الحكام ، وهو ألا يعطى أصحاب الأرزاق أعطياتهم عن السنه كامله ؛ ففي عام ٣١٤ هـ ٩٢٦ م اقتصر في أرزاق معظم العمال على عشره أشهر في كل سنه ؛ وكان صغار أصحاب الأرزاق أكثرهم عرضه للغبن ؛ فمثلا اقتصر في أرزاق

١- كتاب الوزراء ص ١٥٦ .

٢- نفس المصدر ص ٣١٤ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢١٢٠ .

٤- نفس المصدر ص ٨١ .

أصحاب البرد والمنفقين على جارى ثمانيه أشهر(١).

وكان يستعاض عما يفقده بعض أصحاب الدواوين بتقليده دواوين أخرى ؛ فمثلا فى حوالى عام ٣٠٠ هـ ٩١٢م كان يتولى ديوان الأزمه والتوقيع وبيت المال رجل واحد(٢).

وكان على رأس كل ولايه رجلان: الأمير (وهو قائد الجيش) ، والعامل؛ ويسمى هذا الأخير صاحب الخراج ، لأن أكبر واجباته حملُ خراج الولاية إلى خزانه الدوله ؛ وهو الذى يتولى الإنفاق على الولاية مما يحصل لديه من الأموال ، لأن خزانه الدوله العامه كانت لا تتولى إلا أمر نفقات دار الخلافه والدواوين وما يتعلق ببغداد(٣).

وكان الأمير يخاطب فى المراسله بما يخاطب به العامل ؛ وكانت منشورات الوزير ترسل لكل منهما فى وقت واحد(٤).

ولكن الأمير كان يمتاز على صاحبه لأن له الصلاه بالناس ، هذا يجعله رئيس المسلمين جميعاً فى ولايته(٥) ؛ وإذا تضافر الأمير والعامل استطاعا أن يفعلا بالولاية ما شاءا، كما حدث فى عام ٩٣١ ٣١٩م من أن العامل والأمير تضافرا بفارس وكرمان على قطع حمل الأموال إلى الخليفه المقتدر ببغداد مده

١- نفس المصدر ص ٣١٤ ، ومسكويه ج ٥ ص ٢٥٧ .

٢- كتاب الوزراء ص ٧٧ .

٣- نفس المصدر ص ١١ والصفحات التاليه .

٤- نفس المصدر ص ١٥٦ .

٥- المغرب لابن سعيد ص ١٥ .

ولو أن رجلاً واحداً قُدد المنصبين معاً لأصبح كالحاكم المستقل بولايته.

ونظراً لما في اجتماع هذين المنصبين من المزيه امتنع بجكم ، القائد التركي الطموح ، من المسير إلى الأهواز لتولى أمورها عام ٣٢٥هـ ٩٣٧ م إلا أن يكون له الحرب والخراج ، فأجيب إلى ذلك (٢).

وقد كانت ولايه مصر على قسمين : والٍ للحرب والصلاح ، واخر للخراج وتدير الأموال ، حتى جاء ابن طولون فجمع بين الولايتين ، وكذلك فعل الأخشيد ، وكان كل منهما في الواقع حاكماً مستقلاً في مصر (٣).

ويشكو ديونيسيوس nov suisynoid erhcamillet المتوفى عام ٢٢٩هـ ٨٤٣م في آخر كتابه في التاريخ ، من كثره عدد العمال ؛ لأنهم بهذه الكثرظ يغتصبون عيش الفقير بكل الوسائل (٤) ؛ ففي مدينه الرقه مثلا ، وهي مدينه صغيره على نهر الفرات كان يوجد : (١) قاض ، (٢) وكاتب سلعه يعرف بالبندار ، يطالب بالخراج ووجوه المال ، (٣) وصاحب جند ، (٤) وصاحب بريد ينهى أخبار الولايه للخليفه ، (٥) ومتولٍ للضياع السلطانيه (الصوافي) ، (٦) وصاحب معونه (٥) و كان يوجد مثل هوءلاء الولايه في كل « عمَل » من اعمال الدوله

١- ابن الأثير ج ٨ ص ١٦٥ ١٦٦ .

٢- نفس المصدر ص ٢٥٢ .

٣- المغرب ص ١٥ .

٤- suryl seahcim, s ٨٣٥ .

٥- نفس المصدر ص ٥٤١ ، وكلام ميخائيل غير واضح لأن منصب صاحب المعونه كان يضم عادة إلى صاحب الجند والحرب ، ونجد عند قدامه (مخطوط باريس ص ١٤ ب ج ١٦) نسخه عهد بولايه المعونه والحرب .

السامانيه (١) وكان أكثر هذا العدد الكبير من العمال يخرجون بخروج الوزير الذى عينهم ، وعند ذلك يطلون متعطلين فى شوارع بغداد ، يثيرن الفتن حتى يعود حزبهم إلى ولايه الحكم ج كما كان الحال فى أسبانيا وفى الولايات المتحده منذ عهد غير بعيد ج وإلاب شغبوا فعكروا هدوء البلاد.

ويحكى أنه قدم مره على صاحب أصفهان شيخ من الكتاب يطلب التصرف، ويحمل كتباً من إخوان لصاحب أصفهان ببغداد يوصونه به ، فقرأ الحاكم أول كتاب ، ولم يقرأ باقى الكتب ، وضجر ، وتغيظ ، وقال :« قد والله بلينا بكم معاشر المتعطلين ! كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفاً أو براً ، ولو كانت خزائن الأرض لى لكانت قد نفذت » (٢).

وكان من دهاء عضد الدوله أنه كان يوصل إلى العمال المتعطلين ما يقوم بهم ويحاسبهم به إذا عملوا (٣).

وكان الإخشيد أول من ربب الرواتب (٤) ؛ وقد أقر الفاطميون نظامه فى جملته؛ وكانوا ينوون ، فيما يلوح ، أن يقسموا حكم البلاد بين أوليائهم ؛ والدليل على ذلك أن جوهرأ وإن كان قد ترك العمال فى مناصبهم ، فإنه لم يدع عملاً إلا جعل فيه مغرباً شريكاً لمن فيه (٥). ولكن لما ظهر أن هوءلاء المغاربه أكثر إتعباً

-
- ١- ابن حوقل ص ٣٠٧٣٠٩ وكذلك كانت العراق مقسمه إلى أربعة وعشرين طسوجا . وكل طسوج اثنا عشر رستاقا ، والرستاق اثنتا عشره قريه . (كتاب الوزراء ص ٢٥٨) .
 - ٢- الفرج بعد الشده للتونخى طبعه مصر ١٩٠٤ ج ٢ ص ٩١٠ .
 - ٣- ابن الأثر ج ٩ ص ١٦ .
 - ٤- المغرب لابن سعيد ص ٣٩ ، والخطط للمقريزى ج ١ ص ٩٩ .
 - ٥- الاتعاظ للمقريزى ص ٧٨ .

للدولة من غيرهم لم يتم ما كان مُزمعاً من إخراج العمال القدماء ، وهم نصارى فى الغالب . أما الأرزاق فلدينا من أخبار الإدارة الفاطمية أن الوزير كان يتقاضى خمسة آلاف دينار فى كل شهر ، وهو مثل مرتب صاحبه ببغداد ؛ أما رواتب أصحاب الدواوين فكانت أقل بكثير مما فى بغداد ؛ فكان صاحب ديوان الإنشاء يأخذ مائة وعشرين ديناراً ، وصاحب بيت المال مائة دينار ، وأصحاب الدواوين الأخرى ما بين سبعين وثلاثين ديناراً فى كل شهر . وفى القرن الثالث الهجرى عيّن أحد أصحاب ديوان الرسائل رجلاً أتاه يطلب الكتابه ، وكان يعطيه فى كل شهر أربعين ديناراً ليقوم بالإجابة على الرسائل التى ترد إلى الديوان (١).

وعلى حين أننا لا نجد بين قواد الجيش إلا أسماء قوم من الموالى فإن وظائف الدواوين كانت وفقاً على الأحرار ، « وكان الفرس هم سُحنة دواوين الخلفه ..

فمنهم البرامكه ، وآل ذى الرياستين ، وإلى يومنا هذا منهم المادرائيون والفربايون (٢).

ولما كانت الصبغة الغالبة على عمال الدواوين هى الصبغة الاقتصادية المالىة ، فقد كان لابد للواحد منهم من أن تتوفر لديه بعض خصال التاجر ، وكان الفارسى أمهر تاجر فى المملكة الإسلاميه . ولاتزال الكفايه الإداريه موروثه فى الفرس إلى يومنا هذا ، فيحدثنا الخبير النمساوى الذى قام بتنظيم البريد فى فارس « أن

١- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٣٨ .

٢- الإصطخرى ص ١٤٦ ، وذكر بعض الموءلفين أن الكتاب خمسة : كاتب رسائل ، وكاتب خراج ، وكاتب قضاء ، وكاتب جند ، وكاتب شرطه ؛ ولكل منهم أشياء ينبغى أن يعرفها . انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ص ٤٤٨ ، وتجد التفصيل فى جمهره الإسلام للشيرازى مخطوط رقم ٢٨٧ بمكتبه ليدن ص ١٩٩ وما يليها .

كل فارسي يحسى من نفسه الصلاحيه لكل عمل ، وهو لا يتردد في أن يدخل اليوم عملا إداريا مدنياب ، ويقوم به ؛ ثم يكون غداً في منصب حربى «(١)» .

وهذه من خصال الفرس القديمه ؛ ويحكى أنه كان لبختيار بن معز الدوله كاتب فارسي ، وكان مستولياً عليه ؛ ثم تحقّق بالجنديّه ، وادّعى الشجاعه ، وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده ، تقرّباً إليه ، ثم عزم أخيراً على تقلد الجيش والنسميه بالاسفهلار ؛ ولكنه اضطر إلى الفرار من بغداد عام ٣٥٨ هـ ٩٦٩م (٢) .

وكان الاشتغال في الدواوين يختلف عن عمل الفقهاء والعلماء كل الاختلاف ؛ فكان المشتغل بإداره الدواوين هو ممثل الثقافه الأدبيه، وكان لا يعالج العلوم الشرعيه إلا بمقدار ما يتطبه عمله وثقافته .

أما التمايز الظاهري بينهم فكان يتجلى في أن الكتابت يلبس درباعه ، على حين أن العالم يلبس الطيلسان (٣) ويحكى أن الوزير العتبي أراد أن يلزم أبا عبد الله بن أبي ذهل (المتوفى عام ٣٧٨ هـ ٩٨٨ م) تقشّب ديوان الرسائل ، فقال له : هذا قضاء القضاء بكور خراسان ، ولا- يخرج عن حد العلم ؛ ولكن ابن أبي ذهل بكى وهدد بترك البلد ، حتى أعفاه الوزير من ذلك (٤) . على أن الخلفاء كانوا يأبون أن يستوزروا العلماء وأصحاب الطيالس ؛ وقد أشير على الخليفه المقتدر أن يستوزر محمد بن يوسف القاضي فقال : لعمري إنه عالم ثقه ، ذلا أننى لو فعلت ذلك لا فتضحت عند ملوك الإسلام

١- ولم يذكر اسم مالف هذا الكتاب ، المترجم ١٨٤، ١٨٨٢ sya neisrep، s.

٢- مسكويه ج ٦ ص ٣٢٩ ٣٢٦ .

٣- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٣٤ ، والمقدسى ص ٤٤٠ .

٤- طبقات السبكي ج ٢ ص ١٦٦ .

والكفر؛ لأننى أكون بين أمرين : إما أن تُتَّصَرَ مملكتى بأنها خاليه من كاتب يصلح للوزاره ، فيصغر الأمر فى نفوسهم ، أو أننى عدلت عن الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأُنسب إلى سوء الاختيار (١).

وهذه الطائفة من الكُتَّاب أكبر ما يميز الدوله الإسلاميه عن أوروبا فى أوائل العصور الوسطى ، حيث كان لا- يتولى العمل بالدواوين إلا أهل الثقافه الدينيه ؛ ولم يكن ذلك من الخير للإسلام ، لأن العمل فى الدواوين بما ينقصه من تعمق وما يوءدى إليه من ركود عقلى كان يندر أن ينشئ عقولا- تأخذ بحظ فى الحركه العقليه ؛ وكان العمل فى الدواوين ملجأ ملائماً للأدباء الذين لم ينشأوا فى الأوساط الدينيه ، وهم المتعلمون الذين صاروا بعملهم فى الدواوين مجردين من البواعصث الداخليه والخارجيه التى تدفع العقل إلى العمل ؛ ولا يزال « الأفندى » الراضى عن نفسه ، بثقافته السطحيه وقله دوافعه إلى التفكير، عقبه فى طريق التقدم حتى يومنا هذا ، وهو أخطر على التقدم من رجل الدين اليق الأفق والمحدود النظر (٢).

وقد جاء فى خبر يزوى عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ما يضع القواعد الأساسيه لما ينبغى أن يكون عليه العامل .

فيحكى عن عمر أنه كان إذا استعمل رجلا اشترط عليه إربعاً : ألا يركب برذونا ، ولا يلبس ثوبا رقيقاً ، ولا يأكل نقيا (؟) ولا

١- كتاب الوزراء ص ٣٢٢ .

٢- وبما يقصد المإلف أن دهل الدين بحكم ما كانوا عليه من بحث وتعمق وجدال ، أقدر على التفكير وبالتالي على الثوره والإصلاح الإدارى ، وكان هذا الإصلاح ألزم ما يكون للاداره الإسلاميه (المترجم) .

يغلق بابه دون حوائج الناس ولا يتخذ جاجباً (١).

ولكن المال لعب في القرن الثالث الهجرى دوراً سيئاً في حياه عمال الدواوين ، وكان لكل شئ ثمن يبذل وخصوصاً لمناصب الدواوين (٢) وكان العامل متى تقلد المنصب حاول أن يسترد ما خسره مستعيناً على ذلك بالخيانة ؛ فكان العمال مثلاً يعينون أرزاقاً لقوم لا- يحضرون إلى العمل ، وأرزاقاً بأسماء قوم لم يخلقوا ، وكانوا يقيّدون برسم الفقهاء والكتاب مرتباتٍ بأسماء الغلمان والوكلاء في الحاشيه ؛ وكانوا يصرفون الورق الوراقيس ، ثم يبعونه فيحصل لهم منه مال (٣).

وكان عامل مصر يقبض ثلاثه آلاف دينار في كل شهر ، وهو مبلغ كبير ؛ ولكن كان على العامل أن يسدد نفقات ديوانه ، وكان يعلم أن رزقه لا يكفي نظراً لكثرة الهدايا التي يبعث بها إلى الأمير والوزير والخليفه . وقد شكّت إحدى خطايا الخليفه مره من مماطله بعض أصحاب الدواوين في تسليم إقطاع وهبه لها الخليفه ، فقال لها : كان الطواب أن تبعثي إليه بثياب وألطف ف فتستغنى عن خطابي ، ففعلت ما نصحتها به ، وتملها ما أرادت (٤). ويصف ابن المعتز الولاه في بعض شعره ، حيث يقول:

أفما ترى بلداً أقمتُ به أعلى مساكن أهله خُصُّ

١- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٦ .

٢- كتاب الوزراء ص ٢٦٣ .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٣٤٤ .

٤- كتاب الوزراء ص ١٨٢ ١٨٤ .

وُولَاتُهُ نَبَطٌ زَنَادِقَهُ *** مَلَأَى الْبَطُونَ ، وَأَهْلَهُ حُمَصٌ (١).

وكان أهل التُّقى في ذلك الوقت يعتبرون عمال السلطان والفُسّاق فريقاً واحداً ؛ كما جمع العهد الجديد بين المذنبين واخذى الظرائب الجمر كيه .

ويحكى أنه بلغ من دين بعض أهل الورع إنه امتنع من نقش فص للأمير ، فزاد في الأجره حتى بلغت مائه دينار ، فأبى الرجل ؛ ثم جاء إليه بعد ذلك تاجر فأعطاه على نقش بعض الفصوص عشرة دراهم ، فأخذها ، وذلك اجتهاداً منه في ألا يأخذ الحرام (٢).

وقد كان يضرب المثل بزهد جعفر بن مبشّر ، وقد أضرت به الحاجه ، حتى كان يقبل القليل من زكاه إخوانه . وقد أعجب أحدالتجار بحسن كلامه مره ، وعرف مسكنته ، فأرسل إليه خمسمائه دينار ، فردّها فقيل به : قد عذر ناك في ردّمال السلطان للشبهه ، وهذا تاجر ماله من كسبه ، فلا وجه لردّك له (٣).

وحكى أن بعض المتصرّفين احتبس أبا على الجبائى للطعام ، فأجابه ؛ فأنكر رجلٌ ذلك عليه ، فقال له : أُلستَ تعلم أن طعامه الذى يقدمه إلينا مما يستره ، وأن الغالب أنهم يشترونه لا بعين المال ، أفما تعلم أن ذلك ملكه ، وأنه مما يحلّ له تناؤله (٤).

١- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ١٤ . لم تكن حوائج ابن المعز تقضى ، ولا معاملاته تمضى عند الوزراء ، لأنه لم يكن محبوباً فى قصر الخلافه، وقد ظل ثلاثين سنه يكابت الوزراء فى جاجاته نظماً ونثراً، فلا يجيبونه ، وكان يحاول الوصول إليهم فلا يأذنون له (انظر كتاب الوزراء ص ١١٥) .

٢- ابن المرتضى : ذكر المعتزله ص ٦١ .

٣- نفس المصدر ص ٤٤ ٤٣ .

٤- نفس المصدر ص ٦٠ ٥٦ .

« وكان أحمد بن حرب بن حرب يوماً على طعام مع قوم وفدوا عليه من كبار نيسابور ووجهها ، إذ دخل ابنه في الغرفة سكران يغنى ويلعب ، ولم يسلم على القوم ؛ ولما رأى أحمد دهشتهم سألهم : ما بكم ؟ فقالوا خجلنا من أن يدخل عليك ولدك على هذه الصورة ، فقال لهم أحمد : ذنه مغذور ، فقد أكلت أما وزوجتي ليله من طعام بعثه إلينا جار لنا ، وفي هذه الليلة حمل بهذا الغلام ، فمنا ، ولم نصل ، فلما كان من اليوم التالي سألتنا جارنا : من أين هذا الطعام الذي بعث به إلينا ، فعلمنا أنه من طعام وليمة عرس في دار أسعد عمال السلطان» (١).

وكان بعض الناس لا يسلم على عامل السلطان بما تجرى به العادة من قول: السلام عليكم، بل كان البعض يقول جاداً أو مستهزئاً: تب من عمل السلطان وقد تاب رجل مره من عمل السلطان ؛ ثم طُلب لتقليده عملاً جليلاً ، فكسر الثوبه ، فسماه الناس المرتد (٢).

ونادراً ما كان الرأي العام يعتبر قلة الأمانه في إداره الدواوين شيئاً يخل بالشرف . ويعجب الموءرخون حين يجدون أحد كبار العمال من أهل الأمانه . ومما يحكي أنه توفي في عام ٣١٤ هـ ٩٢٦م صاحب بيت مال العامه ؛ فأراد الوزير أن يقبض أمواله ، واشتد في المطالبه؛ ولكنه لم يجد شيئاً ، لأن ذلك الرجل كان « صحيح الأمانه » (٣).

وكثيراً ما كان يترك العمال في مناصبهم أو يعاودن إليها بعد تركها مع الشبهه في أمانتهم ؛ وذلك بعد أن يدفعوا ما يقرر عليهم. على أن هذا لم يكن يقع دائماً.

١- كشف المحجوب للحجویری (بالفرسه) ص ٣٦٦ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٢٤٤ .

٣- عريب ص ١٢٨ .

أما مصادره العمال فإننا نعرف من مصدر جدير بالثقة أن الأخشيد ، صاحب مصر ، وكان رجلاً مالياً ماهراً ، هو أول من نكب عماله وكتبه مراراً (١).

فهو موءسّس نظام مصادره العمال وفرض الأموال عليهم . وكان العامل إذا صو در وثقل عليه عبء المصادره تبرّع له أصحابه ، وجمعوا مالاً للتخفيف عنه (٢) .

وقد صادر الحاكم بأمر الله أحد أصحاب الدواوين ، وقطع يديه عام ٤٠٤ هـ ١٠١٣ م ، ثم أكمل بقيه تصرفاته الغريبط ، فقلده ديوان النفقات عام ٤٠٩ هـ ١٠١٨ م ، بل قلده الوزراه عام ٤١٨ هـ ١٠٢٧ م (٣).

على أن السنّه الفاسده التي جرى عليها حال الدواوين في دوله الخلفاء تجلّى أثرها السئى في ظهور مرض لحق بحرفظ الاشتغال في الدواوين ، كما أن لكل حرفه مرضاً ؛ وذلك هو التهافت الشديد على الألقاب ، والتكاف في أساليب المكاتبات . وقد بدأ هذا في القرن الرابع ، وبقي إلى اليوم . وفي المكاتبات الرسميه كانت تُوجّه عنايةً كبيره إلى العنوانات وتعظيم شأن المخاطب وإلى الإسهاب في ذلك ، على حين كان يختم الخطاب ويوقع عليه في إيجاز على خلاف عاده الأوربيين . وقد بدأ هذا منذ القرن الثالث الهجرى ، وذلك أن العاده كانت جاريه في المكاتبه بين الناس بأن يقال : من فلان إلى فلان أو من أبى فلان إلى أبى فلان ؛ ولم يكن على شئ من العنوانات دعاء ، حتى جاء الفضل بن سهل

١- المغرب لابن سعيد ص ٣٩ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٠٨ ٣٠٧ ٣٠٦ .

٣- نقلا عن المسبّحى المتوفى عام ٤٢٠ هـ ؛ ١ ، ٤٣ ، ٣٤ ، Becker Beitrage zur Oeschichte Aegyptus .

في خلافة المأمون ، فكتب كتاباً عنوانه: لأبى فلان أبقاه الله من أبى فلان (١) .

ثم استعمل الناس بعد ذلك الدعاء على عنوانات الكتب . وقد انتهت إلينا المخاطبات المختلفه التي كان الوزيرس يخاطب بها العمال على اختلاف درجاتهم في القرن الرابع الهجرى .

فكان يكتب إلى أمير الشام وأجنادها: أعزك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك ؛ وإلى الزُّراع والمهندسين : حفظك الله وعافاك ؛ وإلى أصحاب البرد ممن يتقلد الأعمال الجليله : أكرمك الله ومد في عمرك ؛ وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك ؛ وإلى التجار والمبتاعين للغلات إذا جمعت للواحد منهم أعمالس : عافانا الله وإياك من السوء (٢) .

وكان الوزراء والكبراء في أول القرن الرابع يخاطبون بسيدنا أو مولانا ، ويستعمل في ذلك ضمير المخاطب المفرد. وفي عام ٣٧٤هـ ٩٨٤م كان ابن سعدان الوزير يخاطب الوزير ابن عباد بالصاحب الجليل. والصاحب ابن عباد يخاطب ابن سعدان بالأستاذ مولاي ورئيسي (٣) .

ويقول أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (٤) (المتوفى عام ٣٨٣هـ ٩٩٣م) في هذه الألقاب :

مالي رأيت بنى العباس قد فتحوا *** من الكُننى ومن الألقاب أبوابا

١- تاريخ سعيد بن البطريق (المتوفى عام ٣١٨هـ ٩٣٠) ص ٧٣ من مخطوط باريس رقم ٢٩١ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٥٣ والصفحات التاليه .

٣- النجوم الزاهره لابن تغرى بردى ، طبعه كلفورنيا ص ٣٤، وكان عيسى ابن نسطورس وزير العزيز بالله في مصر يخاطب بسيدنا الأجل (يحيى بن سعيد ص ١١٢) .

٤- يتيمه الدهرج ٤ ص ١٤٥ .

ولقشبو رجلاً لو عاش أولهم *** ما كان يرضى به للحش بؤابا

قلّ الدراهم في كفى خليفتنا *** هذا فأنفق في الأقسام ألقابا

وفي عام ٤٢٩هـ ١٠٣٧م لُقّب قاضي القضاة الماوردي بلقب أفضى القضاة ؛ وجرى من بعض الفقهاء إنكارٌ لهذه التسميه ، وقالوا : لا يجوز أن يسمّى به أحدٌ ، هذا بعد أن كتبوا خطوطهم بجوار تلقيب جلال الدوله بملك الملوك الأعظم ، فلم يلتفت إليهم الماوردي ، واستمر له هذا اللقب ذى أن مات ، ثم تلقّب به القضاة بعده (١).

وقد حاول الخليفه الحاكم بأمر الله أن يلغى الألقاب ؛ فبعد أن سخا في منح الألقاب على اختلاف أنواعها؛ أسقطها عام ٤٠٨هـ ١٠١٧م ما عدا ألقاب تسعه نفر ، هم أكبر حمله الألقاب ، ولكنه أعاد الألقاب ، ولكنه أعاد الألقاب ، ولكنه أعاد الألقاب بعد قليل (٢).

على عادته الجاربه من نقض وإبرام . ويقال إن أبا الحسن كاتب الخليفه القادر بالله (٤٢٢ ٣٨١ هـ ١٠٣١ ٩٩١ م) هو مخترع لفظ « الحضرة » في مخاطبه ؛ وفي هذه المسأله الصغيره أيضاً نجدنا حتى الآن نسير على رسم القرن الرابع . وهذا الكاتب هو مخترع عباره : الحضرة العاليه وزاربه ؛ وهو أول من أخرج عباره : الحضرة الممقدسه النبويه في الكلام عن الخليفه ، وأشرك بذلك عباره : السدّه النبويه ، ثم كتب عن الخليفه بلفظه غريبه غير مستقيمه الدلاله وهى : «الخدمه» وتصرف في ذلك حتى قال : قالت الخدمه فوفعلت الخدمه ، وسئلت الخدمه ، حتى رأيت بخط أبي الحسن بن أبي الشوارب في ترجمه رقعته :

١- الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٤٠٧ .

٢- يحيى بن سعيد ص ١٢٩ ب .

« خادم الخدمه الشريفه فلان بن فلان » (١).

وقد لُقّب الخليفه القائم وزيره (قتل عام ٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م) بألقاب هى :رئيس الروءساء ، وشرف الوزراء ، وجمال الورى (٢).

أما بين القضاء فقد بقى الرسم القديم جارياً ، فكان قاضى القضاء يوقع للقضاء بما يقول فيه :«أبو فلان ، فلان بن فلان القاضى أيدى الله يفعل كذا»، وإلى قضاء النواحي :« فلان بن فلان الحاكم»، بغير كنيه ولا دعاء ولا ذكر قضاء (٣).

وفى عهد المقتدر كانت تغلق الدواوين فى دار الخلافه يومى الجمعه والثلاثاء ، وقد أمر المقتدر (٢٨٩ ٢٧٩ هـ ٩٠٢ ١٩٢ م) بذلك «لأن يوم الجمعه يوم صلاه ، وكان يحبه ، لأن موءدّبّه كان يصرفه فيه عن مكتبه؛ ولأن الناس يحتاجون فى وسط الأسبوع إلى الراحة والنظر فى أمورهم ، والتشاغل بما يخصّهم» (٤).

١- كتاب الوزراء ص ١٤٨ والصفحات التاليه .

٢- ٦٧. JRAS ١٩١٢. S١٩١٢؛ تاريخ بغداد .

٣- كتاب الوزراء ص ١٥١ .

٤- نفس المصدر ص ٢٢ .

تعليقات الفصل السادس

[*١] يحكى ذلك عن عمر بن الخطاب: شاطر (١) عم جماعه من عماله اموالهم قيل ان فيهم سعيد بن ابى وقاص عامله على الكوفه، و عمرو بن العاص عامله على مصر، و ابا هريره عامله على البحرين، و النعمان بن عدى بن حرثان عامله على ميسان، و نافع بن عمرو الخزاعى عامله على مكّه، و يعلى بن مثبه (مثبه) عامله على اليمن، و امتنع ابوبكره من المشاطره.

كان (٢) العمّال أوّل من وقعت عليهم المصادرات فكانوا اذا اكتسبوا مالاً من تجاره أو سبيل آخر غير مرتّاتهم المفروضه أخذ الخلفاء نصفه و اضافوه إلى بيت المالى و كذلك فعل عمر بن الخطاب بعمّاله على الكوفه و البصره و البحرين و كانوا يسمون ذلك مقاسمه أو مشاطره و صادر ابا موسى الاشعري و صادر ابا هريره و صادر الحارث بن وهب.

قال ابن ابى الحديد و كان (٣) عمر يصادر خونه العمّال، فصادر ابا موسى الاشعري و كان عامله على البصره إلى و صادر ابا هريره و اغلظ عليه و كان عامله على البحرين، فقال له ألا تعلم انى استعملتك على البحرين و انت حافٍ لا نعل فى رجلك، و قد بلغنى أنّك بعث افراساً بألف و ستمأه دينار إلى، ثم ماله اليه بالدرّه فضرب ظهره حتّى ادماه الى و صادر

١- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٤٧.

٢- تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ١٦١ نقلاً عن يعقوبى و البلاذرى.

٣- شرح النهج الحديدى ج ١٢ ص ٤٢ إلى ٤٤.

الحارث بن وهب احد بنى ليث بكر بن كنانه، و قال له ما قلاص و اعبد بعثها بمأه دينار؟

قال خرجت بنفقه لى فاتجرت فيها، قال و انا و الله ما بعثناك للتجاره اذها.

ووجه إلى عمرو بن العاص محمّد بن مسلمه ليشاطره على ما يديه فلما كان الغد واحضر ماله جعل محمّد يأخذ شطراً و يعطى عمراً شطراً الى آخره.

و يقول (١) سليم بن قيس الهلالي فاغرم عمر بن الخطاب تلك السنه جميع عمّاله انصاف اموالهم لشعر أبي المختار (ذكره قبل ذلك) و لم يغرم قنفذ العدو شيئاً و قد كان من عمّاله و ردّ عليه ما اخذ منه و هو عشرون ألف درهم و لم يأخذ منه عشره و لا نصف عشره و كان من عمّاله الذين اغرموا، أبو هريره و كان على البحرين فاحصى ماله مبلغ ٢٤٠٠٠ فاغرمه ١٢٠٠٠ إلى آخره.

الفصل السابع: الوزراء والوزراء

إشارة

لما انتهى عهد الإدارة الإقطاعية ، وجاء عهد التنظيم البيروقراطي ظهر منصب الوزير في عهد الخلفاء الأولين من بني العباس .

أما في عهد بني أمية فلم تكن الوزارة «مقننه القواعد ، ولا مقرره القوانين»؛ وكان ذوو الآراء من مستشارى الملك يقومون مقام الوزراء ، وكان الواحد منهم يسمى كاتباً أو مُشيراً^(١).

وفي أول القرن الرابع الهجرى انتقص اختصاص الوزير ؛ فأخذ الخليفة منه الضياع العباسيه التى كانت إقطاعاً يديره الوزراء ، ويحصّل منه مائه وسبعون ألف دينار ؛ وأجرى للوزير رزق ثابت قدره خمسة آلاف دينار ، ثم صارت سبعة آلاف فى كل شهر^(٢).

على أنه كان للوزير مكانٌ ممتازٌ بين سائر رجال الدواوين ؛ فكان يعطى لكل ولد من أولاده خمسمائه دينار فى كل شهر ، وهو مبلغ يساوى مرتب وزير^(٣).

وأكبر تغيير يسترعى النظر فى إداره الدوله أننا نجد الوزير قد صار مُقَدِّماً على

١- كتاب الفخرى فى الآداب السلطانيه والدول الإسلاميه لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى ، الطبعة الأوربيه ص ١٨٠ .

٢- كتاب الوزراء ص ٢٨٢ ، ٣٥١؛ ومسكويه ج ٥ ص ٢٦٨ ٢٦٧ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٣. أما فى مصر على عهد الفاطميين ، فكان يعطى إخوه الوزير أيضاً من مائتى دينار إلى ثلاثمائة ج الخطط للمفريزى ج ١ ص ٤٠١ .

جميع القواد ، مع أنه ليس إلا- رئيس الكتاب ، ومع أن الدوله قامت فى الأصل على أساس حربى ؛ وكان هذا الوضع الجديد إحياءً لنظام التدرُّج فى المناصب ذلى أن تنتهى برئيس أعلى ، وهو النظام القوى الذى كان موجوداً فى تاريخ الشرق القديم .

على أنه لما عاد القائد موءنس المظفر إلى بغداد فى عام ٣١٢ هـ ٩٤٢م ، ركب الوزير طيارهً للسلام عليه ، ولتهنئته بمقدمه ، وهذا ما لم تجر به عادته الوزير ، ومالم يفعل مثله وزيرٌ من قبل ؛ حتى إن الوزير لما خرج لينصرف خرج معه موءنس إلى أن نزل فى طياره ، وقبل يده (١).

وفى أول القرن الرابع كان رسم الوزير فى لباسه هو رسم سائر العمال ، فكان يلبس دزاعهً وقميصاً ومُبطنه وخُفّاً (٢) ؛ وكان السواد هو اللباس الرسمى (٣) أما فى أيام الاحتفالات الرسمىه فكان يرتدى ثياب الموكب ، وهى قبيشاء وسيف بمنطقه ، ومع هذا عمامه سوداء ، وهى الجزء الذى لا ينزعه الوزير من لباسه الذى يلبسه عادته (٤).

١- كتاب الوزراء ص ٥٠؛ ومسكويه ج ٥ ص ٢١٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٢٥ .

٣- انظر ما قاله الأصفهاني شعراً بدم به أبا عبدالله البريدى ، فى تاريخ الفخرى ، ص ٣٢٤ ٣٢٣ .

٤- كتاب الديارات للشابشتى ص ٦٦ . ومسكويه ج ٦ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ؛ والإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٦ . وفى عام ٣١٩ هـ ٩٣١م خرج الوزير للصلاه وعليه شاشيه وسيف بحمائل ، فعجب الناس من ذلك (عريب ص ١٦٥) . وقد انتهى إلينا البرنامج اليومى للوزير صاعد بن مخلد حوالى عام ٢٧٥ هـ ٨٨٨م: كان يقوم فى آخر الليل ، فلا يزال يصلى إلى طلوع الفجر ، ثم يأذن للناس فيسلمون عليه ، ثم يركب إلى دار الخليفه الموفق ، فيقسم بحضرتة أربع ساعات ، ثم ينصرف إلى منزله فينظر فى حوائج الناس وأمور الحاضر والغائب إلى الظهر ، ثم يتغذى وينام ، ثم يجلس بالعشى ، فينظر فى الأعمال السلطانيه إلى العشاء الآخر ، لا يبرح أو يحصل جميع الأموال ما حُمل منها ، وما أنفق ، وما بقى . ثم ينظر فى أمر ضياعه وأسبابه ، ويتقدم إلى وكلائه وخاصته بما يحتاج إليه ، ثم يتشاغل بعد ذلك مع نديم يتشاغل بحدِيثه ويأنس به ، ثم ينام (الشابشتى ص ١١٨ ب) . وكان ابن العميد وزير بنى بويه بالرى حوالى منتصف القرن الرابع يبكر إلى دار الإمارة ، وكان الرسم أن يحضرها بالمشاعل والشموع قبل الصباح (الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٧) . وكان الرسم أن يحضرها بالمشاعل والشموع قبل الصباح (الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٧) . وكان الوزير نظام الملك فى أواخر القرن الخامس يباكر دار السلطان ، ويعود من الديوان إذا أضحى النهار ، فيخلوا بنفسه إلى وقت الظهر ، ثم يصلى ويجلس للناس ويحضر عنده الفقهاء والمحدثون (طبقات السبكي ج ٣ ص ١٤١) .

وكان الخليفة يخلع على الوزير هذه الثياب ، التي هي رسم الوزارة ، عند تقليده ؛ فيركب الوزير من داره إلى دار الخلافة ، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، ثم يعود إلى داره ، وهم معه . ويصف الموءرخون ذلك ، ولا يهلمون أن يذكروا بعض ما كان يقع من الأمور النادرة ، فيذكر مثلاً أن بعض الوزراء دخذه البول ، وهو في طريقه إلى منزله ، فنزل وهو في خلسع الخليفة إلى دار أحد عمال الدواوين ، فبال عنده وأمر له بزيادة في رزقه (١).

وإذا وصل الوزير إلى داره حضر الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة . وكان الخليفة يرسل له مالا وثيابا وطيباً وطعاماً وأشربه وثلجاً (٢).

وكذلك انتهى إلينا العمل اليومي لأحد الوزراء حوالي عام ٣٠٠ هـ ٩١٢ م ، مع الإشارة ذلي أن أخلاقه ، وهو وزير ، كانت مثلها وهو صاحب ديوان ؛ « فكان من رسم الوزير (ابن الفرات) أن يغدو إليه الكتاب ، فيوافقهم على الأعمال ، ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه ، ويوصيه بما يريد وصاته به ، ثم يروحون إليه بما

١- عريب ص ١٦٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣١ .

يعملونه من أعمالهم ، فيواقفهم عليها ، وعلى ما أخرجوه من الخروج وقضوه من الأمور ، و يقيمون إلى بعض من الليل ؛ وإذا خفَّ العمل ، وقد عُرضت عليه في أثناء الكتب بالنفقات والتسبيبات والحسابات، نهض من مجلسه ، وانصرف الجماعة بعد قيامه (١)؛ وفي مثل هذا المجلس كان الكتاب يجلسون أمام الوزير ، كلُّ في مكانه ، ومعه دواته ، وكان رئيس هوءلاء الكتاب يجلس متقدماً عليهم (٢).

وكان الوزير يحتفظ بصورة من الوثائق المهمه ، ويضعها في جمله سجلاته ، وكانت هذه ، متى عُزل ، تنقل إلى دار من يخلفه في الوزارة . ولما تقلد ابن الفرات الوزارة بعد على بن عيسى عام ٣٠٤ هـ ٩١٦م كادت هذه السجلات أن تبلغ سقف الخزانة التي كانت فيها (٣).

ويذكر أن بعض الرقاع الهامه السريه كانت تُحفظ في سفظ خيزران يكتب عليه بخط الوزير: ما يحتفظ به من المهمات : وكان السقط يسختم بختم الوزير (٤).

وكانت دار الوزير حتى عام ٣٢٠ هـ ٩٣٢م هي الدار التي كانت قديماً لسليمان بن وهب على الشاطئ الشرقي لنهر دجلط ، والتي كانت تسمى دار المحرّم ؛ وكان ذرعها يربو على ثلثمائه ألف ذراع . وقد أُريد تحصيل مال من هذه الدار الواسعه التي كانت تقع في حى من أعلى أحياء بغداد ثمناً ، « ففُطعت وبيعت من جماعه من الناس بمال عظيم ..

وصُرف ثمنها في مال الصله لبيعه القاهر

-
- ١- كتاب الوزراء ص ٢٣٨ .
 - ٢- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٣٤٢ .
 - ٣- كتاب الوزراء ص ٢٠٨ .
 - ٤- كتاب الوزراء ص ٥٩ ، ومسكويه ج ٢٣٣ .

بالله (١)؛ وأعدت للوزير دار أحداء الخلفاء (٢).

وكان يقف على باب دار الوزير كثير من الرجال لحراستها؛ وقد بلغ من كثرتهم أنه كان ربما أخذ منهم ثلاثون رجلاً في وقت واحد، وأنفذوا في أمر مهم (٣).

وكان في مجلس الوزير غلمان مسلحون يسرون بين يدي الوجوه من الناس، ويخرجون بين يدي الوزير دائماً، يجزون سيوفهم، والناس يشاهدونهم (٤).

وكان رسم الوزير ألا يذهب ذلي دار الخلافه إلا في أيام الموكب، وكان ذلك في يوم الاثنين والخميس في أوائل القرن الرابع (٥)؛ وقد جرى الرسم أن يسير الوزير إذا ركب ذلي دار الخلافه واحد من كتابه الأربعة الذين يتولون الديوان (٦).

وكانت للوزير في دار الخلافه دار مفردة يجلس فيها، والخواص والحواشى بين يديه، حتى يستدعيه الخليفه. ومنذ عام ٣١٢هـ ٩٢٤م صار يجلس في دار الحاجب متقرباً إليه ومداراً له، فكان هذا دليلاً على تناقص منزلته (٧).

وكان الوزير يجلس في مجلس الخليفه موالياً له بوجهه، وهى عادة المرءوس بالنسبه إلى رئيسه. وإذا أراد الوزير أن يكتب شيئاً في حضره الخليفه،

١- مسكويه ج ٥ ص ٤١٠؛ وفي كتاب الوزراء أن مساحتها ٣٤٦، ١٧٣ ذراعاً.

٢- مسكويه ج ٥ ص ٣٩١.

٣- كتاب الوزراء ص ١٢١.

٤- نفس المصدر ص ١١٢.

٥- نفس المصدر ص ٤٢١، ٣٥٢.

٦- ابن الأثير ج ٨ ص ٦٧؛ وكتاب العيون ص ٥٩ب.

٧- كتاب الوزراء ص ٢٦٨.

فقد كان الرسم أن تُخضشر له دواه لطيفه بسلسله فيمسكها بيده اليسرى ، ويكتب بيده اليمنى ؛ وقد رأى الخليفة المقتدر مره مشقه ذلك على وزيره على بن عيسى ، وهو يكتب كتاباً هاما بحصرته ، فأمر بأن يقف بعض الخدم فيمسك الدواه إلى أن يفرغ من الكتابه ، وكان على بن عيسى أول وزيراً كرم بهذا ، ثم صار رسماً للوزراء بعده (١).

وكان للوزير في الأوقات التي يكون فيها بدار الخلافه نائب يقوم في الدار لمهمّ عساه يعرض (٢)، وكان للوزير من بين خدم الخليفه قوم يعوّل عليهم في مراعاة أخباره (٣).

وكان الخليفه هو الذى يعين وزيره ، وكان في العاده يقرّ وزير الخليفه السابق في منصب الوزاره ؛ وفي عام ٣٠٠ هـ ٩١٢م أراد الخليفه أن يختار لنفسه وزيراً ، وطلب من أحد ثقاته قبول الوزاره ، فامتنع لكبر سنّه ، فأرسل إليه الخليفه أسماء رجال كثيرين ليرشح منهم من يراه أهلاً للوزاره ، فكتب تحت اسم كل واحد منهم بما رآه ، وأشار بتعيين رجل كان قاضياً ، فظن الخليفه أن وزيره غشّه ولم يخلص في النصيح ؛ ولما سُئل الخليفه في ذلك.

قال لعمري إنه (القاضى) عالم ثقّه ، إلا أننى لو فعلت ذلك لا فتضحت عند ملوك الإسلام والكفر ، لأننى أكون بين أمرين : أما أن تُتصوّر مملكتى بأنها خاليه من كابت يصلح للوزاره ، فيصغر الأمر في نفوسهم ، أو أننى عدلت عن الوزراء

١- كتاب الوزراء ص ٣٤٢ .

٢- الفخرى لابن الطقطقى ص ٢٩٢ ، والخطط للمقريزى ج ١ ص ١٥٦ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٦٧ ، وفيما يتعلق بمصر انظر ابن الأثير ج ٩ ص ٨٣ ٨٢ .

إلى أصحاب الطيالس ، فأنسب إلى سوء الاختيار (١) على أنه حوالى هذا الوقت تقلد القاضى المروزي (المتوفى عام ٣٣٤هـ ٩٤٦م) ببخارى وزاره الأمير السامانى صاحب خراسان (٢).

وكان الزمان زمان أرسطو قراطيه ، حتى أدى الحال إلى نشوء جيل لكل طائفه من أصحاب المناصب ؛ فكان هناك وجوه الحضرة من أولاد الوزراء والكتّاب والأمراء والأشراف ، وكان أولاد الزراء هم الطبقة العليا بين أبناء العمال (٣).

وكانت المناصب أحياناً وراثيه ؛ فقد ذكر أن الوزير ابن مقله خلفه ابنه ، وهو فى الثامنه عشره (٤) ؛ وكذلك تولى أبوالفتح بن العميد الوزاره بعد أبيه ، وله من العمر إحدى وعشرون سنه (٥) ،وقد ولى الوزاره من آل خاقان أربعه وزراء فى سبعين عاماً ، وكذلك تقلد أربعه من بنى الفرات الوزاره فى خمسين سنه ؛ وكان ابن العميد وزيراً لعماد الدوله رأس أسرته بنى بويه وموءسس مملكتهم ، وكان ابنه وحفيده وزيرين لركن الدوله .

أما بنو هوهب ، وأصلهم من نصارى العراق ، فقد توارث عشره منهم أرقى مناصب الدوله ؛ وكان أربعه منهم وزراء (٦)

وقد ولى الوزاره واحد من بنى هوب عام ٣١٩هـ ٩٣١م ، وكان فى شبابه

١- كتاب الوزراء ص ٣٢٢ .

٢- Fluget: Die Klassen der hanefitischen Rechtsgelehrten, S. ٢٩٦ .

٣- المنتظم ص ٦٦ .

٤- حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ ص ١٢٧ .

٥- الإشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٦ .

٦- واليتمه ج ٣ ص ٤١٨؛ S؛ ١٩٠٨؛ JRAS, Amedroz؛ ٣٣ .

مبذراً مسرفاً، وقد ضيق عليه أصحاب المطالبات حتى أمر القاضى بالحجر عليه ، ووسضع تحت الوكاله ؛ ولذلك كان من صدق فراسه موءنس القائد أنه خشى أن هذا الوزير سيكون سيئ التصرف فى أمور الدوله ، كما كان سيئ التصرف فى أمواله [\(١\)](#)

ومما يزيد الأمر خطوره أن أهم عمل للوزير هو إداره ماليه البلاد ، فهو الذى يعمل الدخل والخرج، ويقرض الضرائب أو يسقطها [\(٢\)](#)، ويحصّل الأموال من النواحي [\(٣\)](#)

وفى عام ٣٠٣هـ ٩١٥م شغب الغلمان والرجاله على الوزير يطلبون الزياده ، فمضوا إلى داره وأحرقوا بابه ، وذبحوا فى إصطبله دوابّه [\(٤\)](#) .

وجميع الوزراء الذين استعفوا أو عُزلوا فى القرن الرابع إنما فشلوا أمام الصعوبات الماليه وفى عام ٣٣٤هـ ٩٤٦م سمع الوزير أبو الفضل السلمى وهو فى داره ليله جَلَبَه الخيل ، وعلم أن غوغاء العسكر قد اجتمعوا يوءلبون ويلقون عليه الذنب فى تأخير أرزاقهم ، فدعا بالحلاق ، فحلق له رأسه ، واغتسل بماء ساخن ، ولبس الكفن ، ولم يزل ليلته يصلى ؛ ثم دخل الجند عليه وقتلوه ، وهو ساجد؛ وكن هذا الوزير فقيهاً مناظراً ومحدثاً حافظاً ، وكان يصوم الاثنين والخميس ، ولا يدع صلاه الليل ، وولى الوزاره للسلطان وهو على ذلك ، وكان

١- Amedroz, JRAS, S. ٤٣١ - ١

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٥١ .

٣- نفس المصدر ص ٧٣؛ وكتاب الوزراء ص ٢٣٩ .

٤- عريب ٥٨ .

يسأل الله الشهاده ، حتى وقع له ما وقع (١).

وكانت سنه ٣٣٤هـ ٩٤٦م أهم سنه فى تاريخ الوزراء ؛ ففى هذا الوقت دخل بنو بويه بغداد ، وقام كاتبُ الأمير الذى غلب على تدبير الأمر مقام الوزير ، وبطل رسم الوزاره (٢).

وقد تكلم هلال الصابى فى كتابه تاريخ الوزراء عن أهم وزراء القرن الرابع الهجرى ، وهو يقسمهم إلى وزراء الدوله العباسيه « وكتاب « الأيام الديلميه (٣).

ولذلك يحكى أن جوهرأ أيام فتحه لمصر توقّف فى مخاطبه أبى الفضل جعفر ابن الفرات فى كتابه بالوزير ، ولم يخاطبه بذلك إلا بعد مراجعه ، وقال : ماكان وزير خليفه (٤) أما عند الفاطميين فكان اسم الوزير غير مقبول فى أول الأمر ، وكان قاضى القضاء أجلّ أرباب الوظائف عندهم ، ولم يتخذ خلفاءهم وزراء إلا فى عهد الخليفه الفاطمى الثانى ، العزيز بالله (٥).

وهو الوزير ابن كلّس الذى كان يهوديا فأسلم (وتوفى عام ٣٨٠هـ ٩٩٠م) . وقد حدثنا القلقشندى فى العصور المتأخره عن منصب قاضى القضاء فقال :«وإذا كان تُمش وزير لا يخاطب بقاضى القضاء لأن ذلك من نعوت الوزير (٦).

ويقول المقرئى إنه بعد موت ابن كلّس لم يستوزر العزيز بالله أحداً ، وإنما

١- المنتظم ص ٧٥ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ١٢٥ ؛ والتنبیه للمسعودى ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

٣- كتاب الوزراء ص ٣ .

٤- الانعاض للمقرئى ص ٧٠ .

٥- حسن المحاضره للسيوطى ، ، ج ٢ ص ١٢٩ ، نقلا عن ابن زولاق المتوفى سنه ٣٨٧هـ ٩٩٨م .

٦- وصبح الأعشى طبعه دار الكتب ج ٣ ص ١٨٥؛S:١٨٧٩ . AOOW؛٤٨٧ : ترجمه فستنفلد لمختصر صبح الأعشى .

كان ثمَّ رجلٌ يلي الوساطه والسفاره ، واستقر ذلك في جماعه كثيره بقيه أيام العزيز وسائر أيام الحاكم ، ثم ولى الوزاره أحمد بن على الجرجاني في أيام الظاهر ، ومال زال الوزراء من بعده واحداً بعد واحد (١). ولم يكن جمهور الناس يفتن لهذا التمييز بين الوزير والوسيط أو السفير؛ وكذلك نجد يحيى بن سعيد مثلاً حوالى عام ٤٠٠ هـ ١٠١٠م يستعمل فى كلامه لفظ الوزراء من غير تفرقه بين الوزير والسفير أو الوسيط .

ولم تكن مهمه الوزير إذا كان وزيراً لأحد أمراء الأطراف هى بعينها مهمه وزير الخلفه ؛ وقد لُقّب الوزير الفضل بن سهل ، وزير المأمون ، من بين وزراء الدوله الأولين بلقب ذى الرياستين ؛ وربما كان ذلك لأنه كان خبيراً بشؤون السيف والقلم (٢).

ولكن الصفه الحربيّ للوزير لم تكن بارزه فى ذلك العهد، ولم يل الوزاره قائداً خبير إلا الحسن بن مخلد الذى تقلد وزاره المعتضد ، وخُلع عام ٢٧٢ هـ ٨٨٥م (٣).

أما عند آل بُويه ، فقد كان الوزير يقوم بمهام الوزاره وبقياده

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٤٣٩ .

٢- عريب ص ١٦٥ (٩) .

٣- أغفل صاحب الفخرى (ص ٢٩٨)، ذكر ابن مخلد الذى تقلد الوزاره بين سليمان بن وهب وإسماعيل بن بلبل (مروج الذهب ج ٨ ص ٣٩، وفهرس تاريخ الطبرى) ، أما ما يقوله صاحب الفخرى من أن ابن بلبل « جُمع له السيف والقلم » ، فربما كان ذلك خاصه بابن مخلد الذى سقط اسمه ، وذلك لأننا لم نسمع شيئاً عن أعمال ابن بلبل الحربيه ، هذا إلى أن الطبرى يصرى ح (ج ٣ ص ٢١١٠) بأن الموفق « استكتب إسماعيل بن بلبل واقتصر به على الكتابه دون غيرها .

الجيوش في المعارك (١)، بل نجد أديباً مُبرِّزاً كالصاحب بن عباد يقوم الجيوش في أيام وزارته (٢).

ومما يدل على سقوط هيبة الوزراء ، ويدل أيضاً على فظاظه الطبع أن الأمير معز الدولة ببغداد، وكان أميراً حديداً سريع الغضب ، ضرب وزيره أبا محمد المهلبى ، وهو من المهالبة الذين كانوا حكاماً من قديم على عهد بنى أميه مائه وخمسين مقرعه ، ووكل به فى داره ؛ ولكنه لم يعزله من وزارته؛ وشاور معز الدولة مَنْ حضره، وقال : هل يجوز أن أستنيم إلى هذا الرجل ، وقد لحقه منى هذا المكروه العظيم ؟ فقال له أحد من استشاره إن مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب ، حتى كان لا يطيق المشى ، ولا يقدر على الجلوس لما حلَّ به ، ثم خلع عليه وردّه إلى أمره (٣).

ثم جاء بختيار بن معز الدولة ، وكان غير كفء للملك ، فاستوزر صاحب مطبخه (٤) فى سنة ٣٦٢هـ ٩٧٣م، وهو الوزير ابن بقيه الذى كان « يقَدِّم الطعام

١- فيما يتعلق بالسامانيين انظر مثلاً- كتاب: Wiliken, S. ٧٢, ٨٤ Mirchond, hist. Samanid, ed بالصيمرى والمهلبى وزيرى معز الدولة، انظر مسكويه ج ٦ ص ٢١٤؛ وفيما يتعلق بوزراء ركن الدولة انظر نفس المصدر ج ٦ ص ٢١١، ٣٤٣ و ما يليها، ٤٢١؛ وفيما يختص بوزراء عضد الدولة انظر نفس المصدر ج ٦ ص ٤٥١-٤٨٢، ٤٥٢؛ وفيما يتعلق بوزير بهاء الدولة انظر ابن الأثير ج ٩ ص ١٣٧-١٣٨.

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ٣٩ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ١٩٠ وما يليها ؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٣٧٥ .

٤- جاء فى كتاب معاهد التنصيص مخطوط رقم ٤٤١٦ بمكتبة باريس ص ٣٣٧: « وكان الرئيس أبو الفضل والوزير أبو الفرج دخلا الديوان لعقوبه أصحاب الوزير المهلبى عقب موته ، وأمر أن تلوث ثياب الناس بالنفط أن قربوا الباب ، وكان المهلبى قد فعل مثل هذا » .

إليه ، ويحمل الفضائل بيده ويتشجع بمناديل الغمر ، ويذوق الألوان عند تقديمه إياها (١)؛ « ولكن ابن عمه وهو السلطان عضد الدولة ، قبض على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه ، وكان ابن العميد قد أسرف في الاتصال بالعدو ، فسلم عينيه وقطع أنفه (٢).

وطلب من ابن عمه ، عز الدولة بن معز الدولة ، أن يسلم له ابن بقيه لأمر ساءته منه ، فسلم إليه مسمولاً ؛ فأمر عضد الدولة بأن يشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح إلى الفيشله ، وأضربت عليه ، فقتلته شر قتله ؛ وطلب على شاطئ دجله (٣).

وقد اجتاز أحد أصدقاء هذا الوزير المنكود ، الذي ارتكب كثيراً من ضروب القسوة (٤) فرثاه بقصيد طويله جيدة منها:

ولما ضاق بطن عن أن *** يضمّ غلاك من بعد الوفاء

أصاروا الجوّ قبرك واستعاضوا *** عن الأكفان ثوب السافيات (٥).

وقد أحدث عضد الدولة في منصب الوزارة شيئين لم يكونا قبله ؛ أولهما أنه اتخذ وزيرين معاً ؛ والثاني أن أحد هذين الوزيرين ، وهو ابن منصور نصر بن

١- مسكويه ج ٦ ص ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٩٦؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٤٦٢ ، وكان الناس يهزءون من ابن بقيه ويقولون : من الغضاره إلى الوزارة ج المنتظم ص ١٠٤ ب .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ويحيى بن سعيد ص ١٠٥ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥٠٧ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ويحيى بن سعيد ص ١٠٥ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥٠٧ .

٤- انظر مثلاً مسكويه ج ٦ ص ٤٥٢ ، .

٥- ابن الأثير ج ٨ ص ٥٠٧ ، وأرى أنها السافيات لا السافيات وهو ما جاء أيضاً في نديم الأديب لأحمد سعيد البغدادي ص ١٤٣ ؛ وعند ابن تغرى بردى (طبعه كلفورنيا ص ٢٠) السائحات .

هارون ، كان نصرانياً ؛ وقد أبقى عضد الدولة نصرانياً على بلاد فارس وطنه ، وأخذ الوزير الثاني ، وهو المطهر هذا معروفاً بشراسه وخبث في أخلاقه ؛ وكان سيئ الفكر ، فلما وجه عضد الدولة إلى البطيحة لاستئصال اللصوص منها ، والتاث عليه الأمر ، خشى انخفاض منزلته عند عضد الدولة وتغيره له ، وأشفق من تذرّع أعدائه بذلك للطعن عليه وإظهار معايبه ، فاختر الموت على ذلك ، وأخذ سكيناً فقطع بها شرايين ذراعيه جميعاً ، وسال دمه حتى مات (١). وكان الوزير الذى جاء بعده خليفه لنصر بن هارون الذى كان مقيماً بفارس يدبّر أعمالها ، ولم يكن الوزيران على وفاق ، بل كان كل واحد يدبّر المكاييد لصاحبه (٢).

ولما جاء بهاء الدولة جرى على رسم أبيه فعين ، وهو بشيراز ، وزيرين عام ٩٩٢ ٣٨٢ م ، وجعل أحدهما مدبّراً لأمر العراق (٣) ولما مات صاحب ابن عباد سنة ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م ، بعد أن دبّر أمور الوزارة بفارس أحسن تدبير ، وقعت مساومه شائنه حول هذا المنصب ، وذلك أن أحد الولاة أرسل يخطب والوزارة ويضمن ثمانه آلاف ألف درهم ، فبذل الوزير الذى كان فى الوزارة ، إذا ذاك سيه آلاف ألف درهم على إقراره فى الوزارة ، فأشرك السلطان فخر الدولة بينهما فى الوزارة ، وسامح كلاهما بألفى ألف درهم من جملة ما بذل ، وجمع بينهما فى النظر ، ورتّب أمرهما على أن يجلسا فى دسّ واحد ، ويكون التوقيع لهذا يوماً والعلامة للآخر؛ وكانا يتقارعان على من يخرج لقياده الجيوش ، ثم سعت بنهما

١- مسكويه ج ٦ ص ٥١٤ ٥١١ ، ويحيى بن سعيد ص ١٠٧ ؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٥١٥ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٥١٥ ؛ وابن الأثير ج ٩ ص ٦٦ .

٣- ابن الأثير ج ٩ ص ٦٧ .

السعاه، ودبر أحدهما للآخر فقتله (١).

وأخيراً صار للوزير النهصراني بالمشرق نظير في مصر، ففي سنة ٣٨٠ هـ ٩٩٠م قلد الخليفة الفاطمي العزيز بالله وزارته لعيسى بن نسطورس (٢).

على أن الوزراء لم يبرءوا من الرغبة في الألقاب التي عظم أمرها حوالي عام ٤٠٠ هـ، والتي تدل دلالة واضحة على تدهور المجتمع في ذلك العصر.

وفي عام ٤١١ هـ ١٠٢٠م أكرم أمير بغداد وزيره، فأمر بأن تضرب الدبادب أمام داره في أوقات الصلاة، وهو ما كان ينفرد به السلطان وحده، وكذلك لقبه بلقب وزير الوزراء (٣)، وسرعان ما استعمل الخليفة الحاكم (المتوفى عام ٤١١ هـ ١٠٢٠م) هذا اللقب الجديد الذي كان له أثر عظيم، فلقب قطب الدولة على بن جعفر بن فلاح وزير الوزراء ذا الرياستين الأمير المظفر قطب الدولة (٤).

أما الهلال الصابي الموءرخ (المتوفى عام ٤٤٧ هـ ١٠٥٥م)، فيعتبر أن مخاطبه الملوك المدبرين لوزرائهم بأمثال هذا اللقب هي من انقلاب الرسوم وتغير حقائق الأشياء (٥).

وفي سنة ٤١٦ هـ ١٠٢٥م خلع جلال الدولة ببغداد على وزيره ولقبه عَلم الدين سعد الدولة، أمين المله، شرف الملك؛ فكان هذا الوزير أول من لقب

١- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٧١ وما يليها.

٢- يحيى بن سعيد ص ١١٢، وكان عيسى بن نسطورس يخاطب بسيدنا الأجل.

٣- المنتظم ص ١٦٨ ب (؟).

٤- يحيى بن سعيد ص ١٢٨.

٥- كتاب الوزراء ص ٥٠.

بالألقاب الكثيره (١) وهذه الجاله تشبه ما عليه الشرق اليوم ، وإذا قارنًا بين الوزير فى ذلك العصر بما صار يمله من ألقاب وبن سلفه ممن لم تكن فهم ألقاب لوجدنا أنه بالنسبه لهم لم يكن له شىء من القوه والسلطان.

الوزراء فى القرن الرابع الهجرى

سنبداً بالكلام عن على بن الفرات ، وهو الذى خلف أخاه العباس فى منصب الوزراه عام ٢٩٦هـ ٩٠٩م .

وكان على حين تقلد الوزاره فى الخامسه والخمسين من العمر . وكان وزيراً واسع الثروه حتى يقول الطولى : « وما سمعنا بوزير جلس فى الوزراه ، وهو يملك من العين والورق والضياح والأثاث ما يحيط بعشره آلاف غير اين الفرات» (٢) . وقد ظهر فى منصبه بمظهر الفخامه التامه ، فكان يجرى على خمسه آلاف إنسان ما بين مائه دينار فى الشهر إلى خمسه دراهم ، وكان يطلق للشعراء فى كل سنه من سنى وزارته عشرين ألف درهم رسماً لهم ، سوى ما يصلهم به متفرقاً ، وعند مديحهم إياه ، وكان فيمن يدعى إلى طعامه كل يوم تسعه كُتاب ، هم خاصه كُتابه ، وكان منهم أربعة نصارى .

وكانت ألوان الطعام توضع وترفع على مائدته أكثر من ساعتين ، وكان له فى داره مطبخان : مطبخ الخاصه ، ولا- يمكن أن يحصى ما كان يدخله من الحيوان لكثرتة ، ومطبخ العامه الذى يختص بما يقدم إلى الحجاب المقيمين بالدار ويفرق

١- المنتظم ص ١٧٣ .

٢- عريب ص ٣٧ .

منه للرجاله والبوابين وأصاغر الكتّاب وغلّمان أصحاب الدواوين ، وكان يقدّم إلى هذا المطبخ كل يوم تسعون رأساً من الغنم ، وثلاثون جديا ، ومائتا قطعه دجاجدا سمناً ، وفراريج مصدّره ، ومائه قطعه درّاجا، ومائتا قطعه فراخا ، وهناك خبازون يخبزون الخبز ليلا- ونهاراً، وقوم يعملون الحلواء عملاً- متصلاً، ودار كبيره للشراب ، وفيها ماذيان يجعل فيها الماء المبرّد ، ويسقى منه جميع من يريد الشرب من الرّجاله والفرسان والأعوان والخُزّان ، ومن يجرى مجراهم من الأتباع والغلّمان ؛ وكان بالدار مزملات فيها الماء الشديد البرد . وبرسم خزانه الشراب خدمٌ نظاف عليهم الثياب الديقيه السريه ، وفي يد كل واحد منهم قدح فيه سكنجيين أو جُلاب ومخوض وكوز ماء، ومنديل من مناديل الشراب نظيف ، فلا يتركون أحداً ممن يحضر الدار من القواد الخدم السلطانيين والكتاب والعمال إلا عرضوا ذلك عليه (١) . وكانت داره مدينه بذاتها ، حتى كان بها فوجان من الخياطين (٢) . وكان في جانب الدار أدراج كثيره لأصحاب الحوائج والمتطلّمين ، حتى لا يلتزم أحد منهم موءونه لما يبتاعه من ذلك (٣) ؛ ولما خلّع على هذا الوزير خلّع الوزاره زاد في ذلك اليوم ثمن الشمع قيراطاً في كل من ، وزاد سعر القراطيس لكثرت استعماله لهما ، ولأنه كان من رسمه ألا يخرج أحد من داره وقت العشاء إلا ومعه شمع منويه ودرج منصورى . وقد سُقى في داره في ذلك اليوم والليله إربعون ألف رطل ثلجاً (٤) ، وجرى رسمه مده وزارته أن يعطى

١- كتاب الوزراء ص ١٤٢، ٢٠١، ٢٤٠، ١٩٥ ١٩٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٧٦ .

٣- نفس المصدر ص ١٩٥ .

٤- نفس المصدر ص ٦٣ .

كُلُّ من يخرج من داره عند اصفرار الشمس شمعه (١).

وفى عام ٣١١هـ ٩٢٣م اتخذ ابن الفرات مارستانا ببغداد ، وكان ينفق عليه مائتى دينار من ماله فى كل شهر (٢) . وكان هذا الوزير يحمل بين جنبيه نفسه كبيره ، فلقد قُدمت إليه جرائد بأسماء من يعاديه ، ويدبّر فى زوال أمره ، فلم يفتح الصناديق التى كانت فيها ، وأحرقها وقال لمن كان حاضراً: والله لو فتحتها وقرأت ما فيها لفسدت نياتُ الناس كلهم علينا ، واستضعروا الخوف منا ومع فعلنا ما فعلناه طويناً للأمور بهذا ، فهدأت القلوب واطمأنت النفوس (٣).

ولما فسد أمره عند المقتدر وتألّب عليه الجميع أشار عليه بعض المشيرين أن يقسّط على نفسه وكتابه وعماله ما يحمله للخليفه ، فيرضى عنه ، فقال: « فأى شئ أقبح بى ، مع علوّ همتى ، وكثره نعمتى ، من أن أسنشئ أصحاباً وعمّالاً ، يلون بولائتى ، وينكبون بنكبتى ، وبتصرّ فى ، ويتعطلون بعطلتى ، ثم أزيل نعمهم وأحوالهم بيدي وفى أيامى : القتل والله أهون من ذلك » (٤).

وحكى أن رجلاً- اتصلت عُطلته ، وانقطعت مادته ؛ فحمل نفسه على أن زور كتاباً من أبى الحسن بن الفرات إلى عامل مصر للوصايه به والإحسان إليه ، فارتاب العامل بالخطاب وارتبط الرجل عنده على وعد ، وأنفذ الكتاب إلى ابن

- ١- نفس المصدر ص ١٤٢؛ وقد أساء مترجم كتاب عمد المنسوب للثعالبي فهم بعض هذه النصوص، انظر ٥٠، ZDMG VI؛ وانظر أيضاً كتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للعالى طبعه القايره ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م ص ١٦٩ (المترجم) .
- ٢- المنتظم ص ٢٣ب.
- ٣- كتاب الوزراء ص ١١٩، ويحكى مثل هذا عن المأمون (الطبرى ج ٣ ص ١٠٧٤) .
- ٤- كتاب الوزراء ص ٩٧ ٩٨ .

الفرات ؛ ورأى ابن الفرات أن يستشير كُتَّابه ، فأشار بعضهم بالتأديب أو بقطع إبهامه أو بكشف قصته للعامل حتى يطرده ويحرمه ، فقال ابن الفرات : « ما أبعدكم من الخيريّه ! رجل توسل بنا ، وتحمل المشقه إلى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا ، واستمداد صنع الله ورزقنا بالانتساب إلينا ، تكون أحسن أحواله عند أجملكم محضراً تكذيب طنه وتخيب سعيه ! والله لا كان هذا أبداً » ؛ ثم أخذ القلم ووقع بخطه على ظهر الكتاب المزورّ يوصي به ، ويقول إن الكتاب كتبه (١).

ولما نُكِّت الوزير على بن عيسى وتدلّل لا بن الفرات لا بن الفرات حتى قبّل يده وقام لابنه المحسّن ، وكان ابن عشر سنين ، قال ابن الفرات بعد انصراف على : رأيت تظاًمن على بن عيسى للنكبه واستعانتها عليها بالاستعطف والتدلّل ، وهذه طريقه لا أحسانها ، لأن كبدى فى المحن كإكباد الإبل ، لا جرم أنها نزداد وتتضاعف (٢).

وقد أكسبته الخدمه الطويله خبره بشؤون الوزارة و إداره الدوله ؛ وقد استطاع أن يسيطر على حياه الدوله الاقتصاديه المتشعبه سيطره كامله ، حتى استحق من وجوه كثيره أن يقول على بن عيسى لما كُذِّب عليه بموت ابن الفرات: اليوم ماتت الكتابه (٣) ومن حكّمه السياسيه القاسيه قوله : أصل أمور السلطان مخرقة ، فإذا تمّت واستحكمت صارت سياسه ، وقوله : تمثيّه أمور السلطان على الخطأ خير من وقوفها عند الصواب ؛ وكان يقول : إذا كانت لك حاجه ذلى الوزير . فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوان أو كاتب سرّه فافعل ولا تبلغ إليه فيها (٤).

١- نفس المصدر ص ١١٣؛ والمنتظم ص ٢٨ ب..

٢- الوزراء ص ٣٠٦، ٣٠٧.

٣- نفس المصدر ص ٢٨٣.

٤- كتاب الوزراء ص ٦٤، ١١٩.

على أنه لم يتحرّج ولم يتهيب من مديده إلى خزانه الدوله ؛ بل أضاف هو وأخوه كثيراً من ضياع السلطان إلى أملا- كهما ، وعظم دخلهما ؛ وقد وجد أعداؤه من الطعن فيه أنه لما صودر وُجد في ودائعه ما هو مختوم بختم أبي خراسان خازن المعتضد على بيت مال القلعه ، ووجد عنده مالاً أكثره محمول من بيت مال الخاصه (١) قال أبوعلی بن مقله كاتب ابن الفرات ، وقد جرى ذكر هذا الوزير : « يا قوم ! هل سمعتم بمن سرق في عشر خطوات سبعمائه ألف دينار ؟ قلنا : كيف ذلك ؟ قال كنت بين يدي ابن الفرات في وزارته الأولى ، نحن في دار الخلافة نقرّر أرزاق الجيش ، ونقيم وجوه مال البيعه ونرتّب إطلاقه ، وذلك عقيب فتنه ابن المعتز ، فلما فرغ مما أوءاده خرج وركب طياره ، وبلغ نهر المعلى ، فقال : إننا لله ! إنا لله ! قفوا ! فوقف الملاحون ؛ فقال لى : وقّع إلى إبي خراسان صاحب بيت المال بحمل سبعمائه ألف دينار تُضاف إلى مال البيعه ، وتُفرّق على الرجال ، فقلت في نفسى : أليس قد وجّهنا وجوه المال كله ؟ ما هذه الزيادة ووقّعت بما رسمه ، وعلم فيه بخطه ، ودفعه إلى غلام ، وقال : لا تنزع من بيت المال حتى تحمل هذا المال الساعه إى دارى ، ثم ذكر أنه باب لا يفتق مثله سريعاً ، ويحتمل ما احتمله من هذا الاقتطاع الكثير ، فاستدرك من رأيه ما استدرك » (٢).

وكان الوزير على بن عيسى زميل ابن الفرات من قبل ومنافسه من بعد يخالفه مخالفه تامه . وينتمى على بن عيسى إلى أسرهِ قديمه من الكُتاب (٣) ؛ قال

١- نفس المصدر ص ١٣٤ ١٣٣ ، ١٣٩ .

٢- نفس المصدر ص ١١٧ .

٣- المنتظم ص ٧٦ ب .

معاطره الصولى : ولا أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه فى زهده وتعبدّه ؛ فقد كان يصوم نهاره ويقوم ليله (١).

وكان يخرج نصف ما يرتفع له فى السنه فى أبواب البز وسبل الخير (٢) وكان متهاونا قليل المبالاه حتى إنه لم يستطع أن يغير طبعه فى كلامه عند مخاطبه الخليفه ، وذلك على عكس ابن الفرات، مما أحفظ الخليفه عليه (٣).

وقد طلب الأـخفش اللغوى (المتوفى عام ٥٣١٥هـ) من على بن عيسى أن يجرى عليه زرقا ، ووسيط فى ذلك أبا على بن مقله ، فانتهره على بن عيسى انتهاراً شديداً فى مجلس حافل ، فشق ذلك على ابن مقله ، وقام من مجلسه « وقد اسدودت الدنيا فى عينيه »؛ ووقف الأـخفش على الصورة فاغتم وقيل إنه قبض على قلبه فمات (٤).

وكان على بن عيسى متمسكا بالوقار ، ولا روءى قط متبذلاً ، ولا كان يفارق الخفّ فى أكثر أوقاته إلا إذا أوى إلى فراشه أو قعد مع حُرّمه (٥).

وكان يستغل بالنظر فى أمور الدوله ليله ونهاره (٦).

وكان يجعل وراءه كل باب مسورّه ، ويسبل عليها سترًا طويلاً يغطّيها ، فإذا جلس بعد عمله الكثير فى أخريات النهار مجلساً حافلاً ألصق بها ظهره لئلا

١- حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ ص ١٢٦ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٢٣ ٣٢٢ .

٣- نفس المصدر ص ٣٣٤ ٣٣٣ .

٤- الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٢٢٤ ٢٢٥ .

٥- كتاب الوزراء ص ٣٢٥ .

٦- عريب ص ١٣٠ .

يشاهد مستنداً تمسُّكا بالوقار (١)

وقد رأينا فيما تقدم ما أصابه من الذله والاستكانه بعد عزله من الوزاره ، وكان لتدينه وورعه يلوم ابن الفرات على تقليده ديوان جيش المسلمين لرجل نصراني (٢): وقد تحرّج من تقليد أبنائه الأعمال مده وزارته (٣) وحاول أن يتدارك العجز في بيت المال بالاقتصاد في الأمور الصغيره فأنقص أرزاق العمال والجنود ، وأسقط ما كان يفرّق على القواد والفرسان في كل عيد ؛ وكان ذلك من شاه إلى عده بعران ؛ وحاول أن يمنع من امتداد الأيدي إلى الأموال العامه . ولكن ابن الفرات شنع عليه بقوله: يا أبا الحسن على بن عيسى ! شغلت نفسك بأخلاق المملكه والنظر في علوفه البط والحيطه من أرزاق الناس ، وما يجرى هذا المجرى من الصغار المتهجنات؛ لِعِمَارَه بيدرٍ واحد أصلح للسلطان وأعوّدس عليه من توفيرك ما توتقرّبت به إليه . وكان يوفّر من الأشياء الصغيره ويحكى أنه قضى مره ساعه يناظر في علوفه البط حتى إن المتولى لكيل العلوفه سأل كاتبه عن رزقه في الشهر ، ووجد أنه يتقاضى عن الساعه عشرين ديناراً، فقال: « قد نظر الوزير في أكثر من ساعه لتوفير ما لا يبلغ ما استحقه من الرزق ».

ولكن على بن عيسى مع تقواه هذه وتدقيقه في الأمور الصغيره لم يصدّق الخليفه حينما راسله ليقرّ بما عنده من أموال ؛ فكتب يذكر أنه لا يقدر على أكثر

-
- ١- الوزراء ص ٩٥، ولكن يقال إنه كان له مشيرون من النصارى III, ٢٤١, Barhebr. Chron. Eccles.
 - ٢- الوزراء ص ٩٥، ولكن يقال إنه كان له مشيرون من النصارى III, ٢٤١, Barhebr. Chron. Eccles.
 - ٣- كتاب الوزراء ص ٢٦٦ (٤) .

من ثلثه آلاف دينار ، هذا وقد وُجد له بعد ذلك عند رجل سبعة عشر ألف دينار .

ولما ضيقوا عليه استجاب أخيراً إلى دفع ثلاثمائة ألف دينار ، يعجّل منها الثلث في ثلثين يوماً ، ويوئد الباقي على رسم المصادرات(١) .

وكان على بن عيسى يوبخ أبا عبد الله البريدي لأنه حلف للسلطان أن استغلال ضيعته عشرة آلاف دينار، وهو في الحقيقة ثلاثون ألفاً ، فقال البريدي إنه اقتدى بعلى ابن عيسى حيث حلف لا بن الفرات أن ارتفاع ضيعته عشرون ألفاً ، فوُجد بعد ذلك خمسين ألفاً ، فكأنه ألقم على بن عيسى حجراً(٢) .

فلم يكن هذا الوزير نقي اليد تماماً ، وقد فرّط في تضمين الشام ومصر ، وترك مالا معجّلاً إلى مال موءجّل لا يدري ما يجري فيه ، وقد واجهه خصومه بذلك ، فلم يستطع أن يبرز هذا التصرف(٣) .

وقد ولي أبوعلی محمد بن عبید الله الخاقاني الوزراء مدة سنتين ، وذلك بين وزاره ابن الفرات وعلى بن عيسى . وكان الخاقاني هذا ابن وزير ، وهو ينتمي إلى أسرته من الأشراف المتصلين بالخلافه . ويذكرنا ما سجله التاريخ من أمره بكثير من الديمقراطيين الذين يفتحون صدورهم للعامه : كان الخاقاني متخلقا عاميا ، إلا أنه كان خبيثاً داهياً(٤) ؛ فقد كان يوقع بكل سوءال ، ويعدّ بإنفاذ كل محال ، وكان من عادته إذا سئل حاجه أن يدق صدره بيده ، ويقول : نعم وكرامه ، حتى لُقّب «دق صدره» وبلغ من لين العريكة وقله البصيره وعدم تصور عواقب الأمور ،

١- كتاب الوزراء ص ٢٦٠، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٥١ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ١٩٨ ١٩٧ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٩٠ .

٤- نفس المصدر ص ٢٨٠ .

وعدم المنع من شئ يخاطب فيه أن انبسطت العامه عليه فضلا عن الخاصه (١).

وقد صُورت شخصيته وأحييت بحكايات مصحكه قيلت عن غيره ، وهى تدل على قله الأذى أحيانا وعلى سوء السريره أحيانا أخرى ، وكانت طريقته كثره التوليه والعزل ، فكان يعين فى المنصب الواحد رجالا كثيرين واحداً بعد واحد ، ولم يكن ذلك عن قله تقدير المسئوليه ، بل ليأخذ من كل منهم رشوه (٢).

ويحكى أنه اجتمع فى خان واحد بمدينة خلوان (بالعراق) سبعة أنفس ، وقد فلّم الخاقانى كل واحد منهم ماه الكوفه فى عشرين يوماً ؛ واجتمع بالموصل خمسة آخرون قد قلّمهم منصباً آخر ، وهناك تشاكوا ما بذلوه عن تقليدهم (٣) ويذكر أن الخاقانى قلّد عماله بادور يا فى أحد عشر شهرا أحد عشر عاملا (٤).

وإذن فقد تقلّد منصب الوزارة فى أوائل القرن الرابع وزراء ثلاثه يختلف أحدهم عن صاحبه كل الاختلاف ، ولا يجمع بنهم إلا خصله واحده هى الخيانه التى بها التتهبوا خزانه الدوله .

أما حامد بن العباس (٥) الذى ولى الوزارة عام ٣٠٦ هـ ٩١٨م فقد كان على خلاف غيره من الوزراء ؛ لأنه لم يتخرّج فى الدواوين ، بل بدأ حياته بالاشتغال فى أمور التجاره والمال وضمن الخراج ، حتى عظم شأنه ؛ ولما ولى الوزارة

١- نفس المصدر ص ٢٦٣ ، ٢٧٦ .

٢- ذكر صاحب الفخرى (ص ٣١٣) ما قاله الشعراء المعاصرون هجاءً للخاقانى .

٣- الفخرى ص ٣١٤ ، ٣١٣ ، وكتاب الوزراء ص ٢٦٣ . ويذكر صاحب الفخرى أن التوليط كانت للكوفه ، وهى الناحيه التى كانت تسمى عند الفرس ماه الكوفه .

٤- عريب ص ٣٩ .

٥- يجد القارئ ترجمه مختصره له فى المقدمه الإنجليزيه لكتاب الوزراء ص ١٨ هامش رقم ١ .

وكان في الثمانين من عمره ، واحتفظ بما كان بيده من ضمانات ؛ ولم يكن يعرف شيئاً من أمور الكتابه ، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا- اللقب والخلعه ، وكان المدبّر للأمر على بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل ، وقد قال ابن بسّام الشاعر مستهزئاً بحامد بن العباس (١):

يا ابن الفرات تعزّء *** قد صار أمرك آيه

لما عُزلت حصلنا *** على وزير بدايه

وقد قيل فيهما: « هذا وزير بلاد سواد ؛ وذا سواد بلا وزير». ولما سأل حامد بن العباس الخليفه المقتدر إطلاق ش على بن عيسى والإذن له في استخلافه في الدواوين لقله خبره حامد بالوزارة ، قال المقتدر : ما أحسب أن على بن عيسى يجيب إلى ذلك ، ويرضى بأن يكون تابعاً بعد أن كان رئيساً ، فقال حامد بحضره الناس : إنما مثل الكاتب كمثل الخياط ، يخيّط ثوبا بعشر دراهم ، ويحيط ثوبا قيمته ألف دينار ، فضحك الناس منه واستنقصوه (٢). ولما ناظر حامد بن العباس ابن الفرات بعد عزله أفحش له في القول فقال له ابن الفرات : ليس ما أنت فيه يبدراً تقسمه ، وأكّارا تشتمه وتحلق لحيته وتضربه ، وعاملا تذبح دابته وتعلق رأسها في عنقه ، فإنما هذا الدار دار خليفه (٣).

وقد أظهر من الأبيّه ما يظهره ذوو المجد الحديث لا- الموءثّل ؛ فكان له ألف وسبعمائه حاجب وأربعمائه مملوك يحملون السلاح ، لكل واحد منهم مماليك ؛

١- الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٢٥ .

٢- كتاب العيون ص ٩٤ ، ب .

٣- كتاب الوزراء ص ٩٢ ، كتاب العيون ص ٩٥ .

وكان الملاحون في حَرَاقته من الخصيان البيض ، وهم أغلى الخصيان ثمناً^(١) .

وقد جرى بينه وبين مفلح الأسود كلام مره ، فقال له حامد : « لقد همت أن أشتري مائه خادم أسود وأسميهم مفلحا وأهبهم لغلماني »^(٢) .

وكان ظاهر المروء ه كثير العطاء ؛ فيحكى أن أحد خدم المقتدر شكاً إليه فناء شعيره ، فكتب له بمائه كزمن الشعير ؛ وكان ينفق على الطعام كل يوم مائتي دينار ، ولا يسمح بأن يخرج من الدار أحد من الجللّ والحاشيه والعامه وغيرهم ، إذا حضر الطعام ، إلا يأكل ، حتى غلمان الناس ؛ وربما نُصب في داره في اليوم الواحد أربعون مائده . وقد أهدى إلى المقتدر بستانا أنفق على بنائه مائه ألف دينارف ويحكى أنه ركب يوماً إلى بستان له ، فرأى في طريقه داراً محترفه وشيخاً يبكى ، وحوله صبيان ونساء على مثل حاله ؛ فلما عرف أن داره قد احترقت وأنه افتقر بألم قلبه، وتنغّصت عليه النزّهه بسبب ذلك ، ولم تسمح له نفسه بالتوجه إلى بستانه إلا- بعد أن أمر أن تُبنى الدار كما كانت ، وتوضع فيها الفراش وكل ما كان فيها ، حتى إذا عاد العشيّه من النزّهه وجد الشيخ وعياله كما كانوا ، وقد بُنيت الدارُ على أحسن مما كانت ، وأنفق في ذلك مال كثير^(٣) .

ولكن حامد بن العباس لم يتورّع من خزن الحبوب في العراق وخوزستان وأصفهان ، بعد أن كان قد ضمن هذه البلاد بمال يدفعه للخليفه ، حتى ارتفعت الأسعار ، وأدّى ذلك إلى اضطراب العامه وثورتهم عليه حتى فُسخ الضمان^(٤) .

١- المنتظم ص ٢٥ ، ب .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ١٠٢ .

٣- المنتظم ص ١٩ ؛ ٢٥ ، ب ؛ ٢٦ .

٤- نفس المصدر ص ١٨ .

أما الوزير ابن مقله (ولد في بغداد عام ٢٧٢هـ ٨٨٥م) فقد نشأ من بيت متواضع (١)؛ وتقلد الوزارة، وهو في الستين من العمر، وكان ممن استغل بين يدي ابن الفرات وارتفع بسببه (٢).

وقد تعلم منه الشئ الكثير، ومن ذلك أنه استطاع أن يجمع كثيراً من المال في سنين قليلة؛ ووزرر لثائته خلفاء في أوائل القرن الرابع، وبنى لنفسه داراً عظيمة في بقعه من أحسن بقاع مدينه السلام.

وكان يعتقد بالنجوم، فجمع المنجمين، حتى اختاروا له وقت البناء، فوضع أساس الدار بين المغرب والعشاء وكان له بستان كبير أنشأه بلا نخل، وعمل له شبكه ابريسم، وكانت تفرخ فيه الطيور التي لا تفرخ إلا في الشجر كالقمارى والدباسى والهزار والبغ والبلابل الطواويس؛ وكان فيه من الغزال والبقر البدويه والنعام والإبل وحمير الوحش.

وكان يحاول أن يجرب التزاوج بين الحيوان، وبُشّر مره بأن طائراً بحريا وقع على طائر برى، فأزوجا وباضا وأقفسا، فأعطى من بَشْر بذلك مائه دينار (٣).

وكان ابن مقله صاحب موءامرات، جريئاً في ذلك؛ ويتهمه الموءرخون بالأيقاع بين القاهر (٣٢٢هـ ٩٣٤م) وجنده وبأنه شحذ نياتهم، وجمع كلمتهم على قصد

١- كان بين جحظه الشاعر وبين ابن مقاله صداقه قبل وزاره فلما استوزر استأذن عليه جحظه؛ فلم يوءذن له؛ فقال: قل للوزير أدام الله دولته*** أذكر منادمتى والخيز خشكار أذ ليس بالباب بردون لنوبتكم*** ولا حمار ولا فى الشط طيار (المنتظم ص ٦٤ ب).

٢- كتاب العيون ص ٧٣، والمنتظم ص ٦٤.

٣- المنتظم ص ٦٤ ب.

وقد سعى عند بحكم وعند الخليفة الراضى على ابن رائق الذى كان فى ذلك الحين قابضاً على زمام الامور ببغداد و ذلك لأن ابن رائق لما صار إليه تدبير المملكة قبض على ضياع ابن مقله (٢).

ولكن الخليفة احتال حتى قبض عليه وسلمه لا- بن رائق ، وذلك على الرغم من أنه استشار المنجمين فى اختيار وقت للقاء الخليفة (٣) واستقر الأمر على معاقبته بقطع يده اليمنى (٤) ؛ ومن نكدا الدنيا ، كما يقول الثعالبي ، أن مثل هذه اليد النفيسه تُقطع ؛ لأن خط ابن مقله كان من أحسن خطوط الدنيا ، وهو أكبر موءسس للكتابه العربيه الجديده التى ظلت مستعمله طول القرن الرابع الهجرى (٥) . على أن ابن مقله بدلاً من أن يكتب بيده اليسرى كان يشدّ القلم على ساعده الأيمن ويكتب (٦) ؛ غير أنه ، رغم ما حلّ به ، واصل سعاياته ودسائسه غير راجع عن ذلك ، فقطع لسانه بعد ثلاث سنين ، وبقي فى الحبس مده طويله ، حتى مات .

وقد وصف الموءرخون حال هذا الرجل فى آخر أيامه ، بعد القوه وحياه الأشبه ؛ فيقال إنه كان لا يجد من يخدمه ، حتى كان يستقى الماء بنفسه من البئر ،

١- مسكويه ج ٥ ص ٤٤٨ ٤٤٧ .

٢- كتاب العيون ص ١٥٧ .

٣- نفس المصدر ص ١٥٩ .

٤- نفس المصدر ص ١٦١ ، ١٦٢ ، وقد وصف الطبيب ثابت بن سنان حال الذراع بعد قطعها ، انظر مسكويه ج ٥ ص ٥٨٢ . ٥٨١ .

٥- كان فى خزانه كتب عضد الدوله بشيراز مصحف بخط أبى على بن مقله فى ثلاثين جزءاً مجلداً ج الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٤٤٦ ، وانظ ثمار القلوب للثعالبي ص ١٦٧ .

٦- كتاب العيون ص ١٦٣ ج ١٦٣ .

فيجذب جبل الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه (١).

ومن وزراء القرن الرابع أبو العباس الخصبي ؛ وكان يواصل شربش النبيذ بالليل والنوم بالنهار في أيام وزارته كلها ؛ وكان ينتبه مخموراً لا فضل فيه للعمل ، فيترك فضب الكتب الواردة من عمال الخراج وقرائتها والتوقيع عليها وإخراجها ، ذلى الدواوين .

وكانت تُعمل له جوامع مختصره لما يرد من الكتب المهمه ، فتُعرض عليه إذا انتبه ، فربما قرأها ، ، وربما لم يقرأها . فيقروءها أبو الفرج إسرائيل النصراني ، ويوقع فيها بحسب ما يرى (٢) وكان الخصبي مشغولاً بالشراب واللعب ، ولا يحسن شيئاً غير المصادر (٣).

وقد تولى الوزارة حوالى منتصف القرن الرابع أبو محمد الحسن للهلبى ، فكان وزيراً ذا كفايه عظيمه ؛ وأصله من آل المهلب بن أبي صفرة (٤) ، فهو إذن من سادة الإسلام الأولين ، وكان وطن المهالبه بالبصره ، حيث اتخذوا في القرن الثالث الهجرى دوراً عظيمه عزفت بحسنها (٥).

وكان أبو محمد المهلبى ، قبل الوزارة ، فى شده عظيمه ؛ وسافر مره وهو على تلك الحاله ، فلقى فى سفره عنتاً شديداً ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، وأنشد فى ذلك الوقت شعراً تيرّم فيه بالحياه وتمنى أن يجد أحداً يبيع له الموت فيشتره ؛

١- نفس المصدر ص ١٦٣ .

٢- مسكويه ج ٢٤٥ ٢٤٤ ٥. وكان اسم إسرائيل من أسماء النصارى التى اختصوا بها .

٣- نفس المصدر ص ٢٤٧ .

٤- يتيمه الدهرج ص ٢٨٨ .

٥- كتاب المرواه للثعالى مخطوط برلين رقم ٥٤٠٩ ص ١٢٩ اب .

وسمعه رفيق له ، فاشترى له لحماً بدرهم ، وأطعمه ، وتفارقا .

ثم تنقلت الأحوال بالمهلبى وتولى الوزارة ، وضاق الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم ، وبلغه أنه تقلد الوزارة ، فقصده ، وأنشده شعراً ذكره فيه بعهدده به ؛ فهزّت المهلبى أريحيه الكرم ، وأمر له بسبعمائه درهم وقلده عملاً يرتفق منه (١).

وفى عام ٣٣٤ هـ ٩٤٦م ، وهو العام التاريخى المشهور ، استولى المهلبى على بغداد إلى أن وردها معزب الدولة (٢).

ونجد المهلبى قبل ذلك أى فى عام ٣٢٦ هـ ٩٣٨م وكيلاً لأبى زكريا السوسى ، وكان السوسى هذا من كبار رجال المال (٣).

ثم استخلفه الوزير أبو جعفر الصيمرى على الأمور بمدينة السلام ؛ وأنا به بعد ذلك بحضره معز الدولة ، فحسّن موقعه عند معز الدولة ومال إليه وقربه ؛ فاشتد ذلك على الصيمرى ، فتطلب للمهلبى الذنوب ، وأطلق فيه لسانه بالوقيع (٤) ولما مات الوزير فى سنة ٣٣٩ هـ ٩٥٠م استكتبه معز الدولة وآثره على جميع الكتّاب (٥) ؛ ولم يخاطب بالوزارة إلا فى سنة ٣٤٥ هـ (٦) وكان الأصفهانى صاحب الآغانى منقطعاً إلى الوزير المهلبى ، كثير المدح له ؛ وهو يصفه بأن له نظماً كالدرّ ونثراً رقيقاً وقدره على التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل (٧) ؛

١- ثمره الأوراق للحموى ، على هامش محاضرات الأدباء ج ١ ص ٨٢ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ١٢١ .

٣- نفس المصدر ج ٥ ص ٥٧٥ .

٤- الإرشاد لياقوت ج ٣ ص ١٨٠ .

٥- مسكويه ج ٦ ص ١٢١ .

٦- نفس المصدر ص ٢١٤ .

٧- اليتيمه ج ٢ ص ٢٧٩ ٢٧٨ .

ولكن المهلبى كان إلى جانب هذا قائداً محنكا ، فمن ذلك أنه هزم صاحب عمان حينما غزا البصره وغنم منه وأسره(١).

ولقد مات عام ٣٢٥هـ ٩٦٣م وهو خارج لفتح عمان ، وذلك بعد أن لبث في الوزاره أكثر من ثلاث عشره سنه كان فيها يدبر أمور أكبر ديوان فى الدوله (٢) ؛ وكان مخلصاً فى المحافظه على النظام ، فردّ رسوم الضرائب إلى ما كانت عليه قبل ظلم البريديين (٣) ؛ وكان يوءدب العابثين ، فمن ذلك أنه قبض على جاجب قاضى القضاة وضربه ضرب التلف ، وكان يبلغه أن هذا الرجل عاهر « يتعرض لحرّم الناس ممن لهنّ خصومه أو حاجه عند قاضى القضاة» (٤) ؛ ولكن المهلبى كان يفعل فى بعض الأحيان ما يثير سخطنا ، ومن أمثله ذلك أنه تعقب أحد العمال ، وأخذ فى التنقير عن أمواله وفى إرهاب غلمانة حتى ظفر بالمال الكثير ، واستعمل الدهاء والمكر والبطش فى بلوغ ذلك ، وإن كان ليس فى هذا ما يشين عند خلفاء ذلك العهد وأمراهه ، حتى إن مسكويه يذكر صنيع المهلبى معجباً بذكائه وصدق تخمينه ورضاء معز الدوله عنه (٥) ؛ بل نجد أن المهلبى نفسه لم يسلم من مثل هذا المصير؛ فلما مات قبض معز الدوله على عياله وولده ومن دخل إليه يوماً واحداً ، حتى الملاحين والمكارين الذين كانوا يخدمون حاشيته ، وصادرهم جميعاً ، وفعل بهم مالا يفعل إلا بعدّ مكاشف ، حتى استطع الناس

١- مسكويه ج ٦ ص ١٩٠ .

٢- نفس المصدر ج ٦ ص ٢٥٨ ٢٥٧ .

٣- نفس المصدر ص ١٦٩ .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٤ ٢٤٣ .

٥- نفس المصدر ص ٢٤٨ ٢٤٧ .

ذلك واستقبحوه (١)؛ وكان المهلبى يجد من سيده أميراً قاسياً ، فكان يلحقه منه أذى كثير ، حتى لقد ضربه بالمقارع مره مائه وخمسين مفرعه (٢).

ولم يكن على وفاق مع سبكتكين القائد التركى الذى كان أكبر ثقات معز الدوله (٣)؛ ولكن المهلبى كان له على معز الدوله سلطائفى الأمور الهامه ، فلما أراد الأمير أن يترك بغداد لم يزل المهلبى به حتى صرفه عن رأيه ، فابتنى قصره العظيم ببغداد وبقي بها (٤) .

وكان ندماء المهلبى أعيان الفضل وساده ذوى العقل (٥)، من أهل الأدب والعلوم ؛ وكانوا يجتمعون على كثير من الشراب والطرب . وقد تكلم مسكويه من المتحمسين للمهلبى (٦)؛ وقد حدث مره أنه صاغ دواه و مرقعاً ، وحلاهما حليه ثقيله ، وكان بعض الكتاب فى ديواه يتذكرون سرّ حسن الدواه ، وذلك على مسمع منه وغفله منهم ، فقال أحدهم : ما كان أحوجنى إليها لأبيعتها وأنتفع بثمرها ، فقال له آخر : وأى شئ يعمل الوزير ؟ فأجابه : يدخل فى حر أمّه ؛ فلم يكن من المهلبى إلا أن أهدى الدواه ، ومعها عطايا أخرى للرجل الذى تمنها (٧).

ويحدثنا القاضى أبو على التنوخى ، معترفاً بفضل الوزير المهلبى ؛ فيقول إنه

١- نفس المصدر ص ٢٥٨ .

٢- انظر ما تقدم عند الكلام عن معز الدوله فى الفصل اخاص بالأمراء .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٢ ٢٤١ .

٤- نفس المصدر ص ٢٤٢ ٢٤١ .

٥- رساله فى الصداقه للتوحيدى ؛ طبعه الفسطنطينيه ص ٣٣ .

٦- مسكويه ج ٦ ص ١٦٦ .

٧- المنتظم ص ٩١ ب .

استدعاه لطداقظ كانت بينه وبين أبيه وقلده عملا ، وكان أبوعلی يلازم الوزير ، فدخل عليه يوما قاضى القضاء أبوالسايب ، وكان أبوالسايب يبغض أبا على بزياده عداوه كانت لأبيه ؛ وأراد الوزير أن يلقي فى نفس القاضى رهبه أبى على ، حتى يرهبه ويكرمه ؛ وعلم من خلق القاضى أنه لا- يجئ إلا- بالرهبه ؛ فأخذ الوزير يكلم الفتى ، ويوهم قاضى القضاء أنه يسارّه فى أمر من أمور الدوله ، وأمور الدوله وأفهم أبا على غرضه من هذه المسارّه ، وأنها شديده على نفس القاضى ، وقال له أن يمضى إليه فى الغد ليرى ما يعامله به ، فلما جاء إلى القاضى كاد يحمله على رأسه (١).

وكان أشهر الوزراء أواخر القرن الرابع ابن عباد الملقب بالصاحب (٢) الذى ولد عام ٣٢٦ وتوفى عام ٣٨٥ هـ ٩٩٥ ٩٣٨م ، وزير بنى بويه بالرى .

وكان فى بدء أمره معلماً فى قريه ، ثم ترقى به الحال ، بعد أن كان من صغار الكتاب ، إلى أن بلغ منصب الوزير المدبّر لأمر الملك ؛ وكن الأمير الشاب الذى استوزره والذى أنشأ له ابن عباد مملكته لا يخالفه فى دمر من الأمور ، بل حَكّمه فى كل شئ ، وكان يجلّه بكل ضروب الإجلال (٣) ؛ ولما مات الصاحب عُمل له ما يعمل للملوك ، فحضر جنازته مخدومه فخر الدوله وجميع أعيان المملكه ،

١- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٢٥٤ ٢٥٣ .

٢- كان ابن عباد أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، ثم سُمى بهذا الاسم عميد الجيوش حوالى عام ٤٠٠هـ (ديوان الشريف الرضى طبعه بيروت ١٣٠٧هـ ص ٣٢١) وبعد ذلك لقب به « كل من ولى الوزاره حتى خرافيش زماننا ، حملة اللحم وأخذه المكوس » (ابن تغرى بردى طبعه كليوفورنيا ص ٥٦) .

٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٧٣ والصفحات التالیه .

وقد غيروا لباسهم ؛ فلما خرج نعشه صاح الناس صيحه واحده ، وقبلوا الأرض لنعشه ، ومشى فخر الدوله أمامه ، وقعد للجزاء أياما(١).

وكان ابن عباد من الأدباء ومن المعنّين بأهل الأدب ؛ وقد شبّهه مادحوه بهارون الرشيد ، وذلك لأنه أشبه الرشيد بأن جمع حوله أحسن أهل اللسن ، وكانت له مراسلات مع روءساء الأدباء بالشام وبغداد أمثال الرضى والصابى وابن الحجاج وابن سكره وابن نباته (٢)، وكان فهرس كتبه عشره مجلدات، وملك من كتب العلم خاصه ما يحمل على أربعمائته جمل وذلك رغم أنه لم يكن خبيراً بالعلوم الإلهيه ، وأنه كان شديدى التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزاءها كالهندسه والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد (٣). وتذكر له رساله حسنه فى الطب (٤)؛ ولم يكن الصاحب يقدر على عطايا الأدباء عن سعه كما يحكى عن تقدمه من إجزال العطاء لهم ، فقد « كان لا يزيد على مائه درهم وثوب إلى خمسمائه ، وما يبلغ إلى الألف نادر ، وما يوفى على الألف بديع »(٥).

وكان الصاحب يعجبه الخزّ خاصه وكان يكثر من إهدائه ، فنظر أبو القاسم الزعفرانى الشاعر يوما إلى من فى دار الصاحب من الخدم والحاشيه ، فوجد عليهم الخروز الفاخره الملونه ، فكتب قصيده يطلب فيها كسوه من الخزّ قال

١- ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ٥٧ .

٢- يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٢ .

٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦ ، ٣١٥ .

٤- اليتيمه ج ٣ ص ٤٢ وما يليها .

٥- الإرشاد ج ٢ ص ٣٠٤ ، ج ٦ ص ٢٧٦ . طلب الشاعر المغربى منه خمسمائه دينار فقال له : أنقصنا واجعلها دراهم .

فيها :

وحاشيه الدار يمشون في *** ضروب من الخزّ إلا أنا

« فقال الصاحب . قرأت في أخبار معن بن زائده أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ! فأمر له بناقه وفرسوبغله وحمار وجاريه ، ثم قال: لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذا لحملتك عليه ؛ وقد أمرنا لك من الخزّ بحبّه وقميص ودرّاعه وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب، ولو علمنا لباساً آخر يتّخذ من الخز لأعطينا كه «(١).

غير أنه كان من عدم توفيق الصاحب أنه أغضب التوحيدى ، فأثار على نفسه الذمّ من أقذع الإلسنه فى عصره ؛ على داه قد وصلت إلينا رساله من أبى حيان كتبها للصاحب ومدحه بها فى أول اتصاله به (٢) ثم انتهت العلاقات بينهما بأن كتب أبو حيان رسالته فى ذمّ الصاحب ، وكان فيها من الإقذاع فى التلب ما جعلها تعتبر جالبه للنحس والشوءم على من يقتنيها ؛ ومع هذا فإنها من أروع آيات النثر العربى ، ومن أحسن ما كُتب فى تصوير شخصيات الناس فى القرن الرابع الهجرى .

فمن ذلك أن أبا حيان يقول : وكان أبو الفضل بن العميد إذ رآه قال : أحسب أن عينيه رسكبتا من زئبق ، وعنقه عمل بلولب ؛ وصدق ، فإنه كان ظريف التشنّى والتلوى ، شديد التفكك والتفتل ، كثير التعوّج والنمّوج ، فى شكل المرأه الموسسه

١- يتيمه الدهرج ٣ ص ٣٣٣٤، والإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣٢٠ .

٢- تجد الرساله فى الإرشاد ج ٢ ص ٢٩٨ والصفحات التاليه ، والمؤلف قد فات عليه أن هذه الرساله من ابن العميد لابن عباد (المترجم) .

والفاجره الماجنه (١).

وعن أبي حيان أنه وصف الصاحب بأنه لا يرجع إلى التأله والرحمه والرقه والرأفه والرحمه ؛ والناس كلهم يحجمون عنه لجراءته وسلطته واقتداره وبطشه ، شديد العقاب ، ضعيف الثواب .. مغلوب بحراره الرأس ، سريع الغضب ، قريب الطيره ، حسود حقود ، وحسده وقف عيل أهل الفضل ، وحقده سار إلى أهل الكفايه .. وقد قتل خلقاً ، وأهلك ناساً ، ونفى أمه ، نخوه وبغياً ، تجبراً وزهوا ؛ ومع هذا يخدعه الصبى ويخبله الغبى ، لأن المدخل عليه واسع ، والمأتى إليه سهل ، وذلك بأن يقال له : « مولاي يتقدم بأن أعارششيئا من كلامه ورسائله منظومه ومنثورظ ، فما جُبت الأرض إليه من فرغانه ومصر وتفليس إلا لأستفيد من كلامه ، وأفصح به وأتعلم به البلاغه ؛ لكأنما رسائل مولانا سُور قرآن ، وفقره آيات فرقان ، واحتجاجه من أثنائها برهان ، فسبحان من جمع العالم فى واحد ، وأبرز جميع قدرته فى شخص ! » ؛ فيلين عند ذلك ويدوب ، وليهى عن كل مهم ، وينسى كل فريضه عليه ، ويتقدم إلى الخازن بأن يخرج إليه رسائله مع الورق ، ويسهل الإذن عليه ، والوصول إليه والتمكن من مجلسه .. ثم يعمل فى أوقات كالعيد والفصل شعراً ، ويدفعه إلى أبى عيسى بن المنجم ، ويقول له : قد نحتك هذه القصيده ؛ امد حنى بها فى جمله الشعراء وكن الثالث من المنشدين ، فيفعل ذلك أبو عيسى ، وهو بغدادى محكك ، قد شاخ على الخدائع وتحنك ؛ وينشد فيقول الصاحب عند سماعه شعره فى نفسه ووصفشه بلسانه ، ومدحشه من تحبيره :

أعد يا أبا عيسى: فإنك والله مُجيد ، زه يا أبا عيسى ! قد صفا ذهنك، وزادت

قريحتك وتنقبتك وقوافيك ، ليس هذا من الطراز الأول ، حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالس تخرّج الناس ، وتهب لهم الذكاء وتزيدهم الفطنه ، وتحول الكودن عتيقاً .

والمحمّر جواداً ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزه سننيه وعطيه هنيهه ، ويغايظ به الجماعه من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراعاً ولا يزن بيتاً ، ولا يذوق عروضاً .. والذي غلظه في نفسه ، وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه أنه لم يجبه قط بتخطئه ، ولا قوبل بتسوئه ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيدنا ، وصدق مولانا ، ولله درّه ما رأينا مثله! من ابن عبد كان مضافاً إليه ؟

ومن ابن ثوابه نقيسه عليه ؟ ومن ابراهيم بن العباس الصولى ؟ ومن صريع الغواني ؟ من أشجع السلمى ، إذا سلك طريقهم ؟ قد استدرك مولانا على الخليل فى العروض ، وعلى أبى عمرو ابن العلاء فى اللغه ، وعلى أبى يوسف فى القضاء ، وعلى الإسكافى فى الموازنه ، وعلى ابن نوبخت فى الآراء والديانات ، وعلى ابن مجاهد فى القراءات ؛ وعلى ابن جرير فى التفسير ، وعلى إرسطاطليس فى المنطق ، وعلى الكندى فى الحذق ، وعلى ابن سيرين فى العباره ف وعلى أبى العيناء فى البديهظ ، وعلى ابن كعب فى الفردوس (؟) وعلى عيسى بن كعب فى الروايه ، وعلى الواقدى فى الحفظ ، وعلى النجار فى البديل ، وعلى ابن ثوابه فى التقفيه ...

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوى ويبتسم ، ويطيّر فرحاً به وينقسم ، ويقول : ولا كدى ، ثمره السبق لهم ، وقصرنا أن نلحقهم أو نقفو أثرهم ؛ وهو فى ذلك

يتشاجى ويتحايك ، ويلوى شذقه ويبتلع ريقه ، ويردّ كالأخذ ، ويأخذ كالمتنع ، ويغضب فى عرض الرضى ، ويرضى فى لبوس الغضب ، ويتهاكك ويتمالك ، ويتفاتك ويتمايل ، ويحاكى المومسات ، ويخرج فى أصحاب السماجات ؛ وهو ، مع هذا ، يظن أنه خافٍ على نقاد الأخلاق ، وجهازده الأحوال ؛ وقد أفسده أيضاً ثقّه صاحبه به ، وتعويله عليه ، وقله سماعه من الناصح فيه ، دلالاً ونزقاً وعجبا ، واندراء على الناس ، وازدراء للصغار والكبار ، وجبهاً للصادر والوارد ، وفى الجملة آقانه كثيره وذنوبه جمّه ، ولكن الغنى ربّ غفور:

ذرينى للغنى أسعى فإنى *** رأيت الناس شرُّهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم *** وإن أمسى له حسب وخير

ويقصيه الندى وتزدرية *** خليلته ونهيره الصغير

وتلقى ذالغنى ، وله جلال *** يكاد فوءاد صاحبه يطير

قليلٌ ذنبه ، والذنب جمّ *** ولكن الغنى رب غفور

قال : فكيف تتم له الأمور مع هذه الصفات ؟ قلت : والله لو أن عجوزاً بلهاء أو أمه ورهاء أُقيمت مقامه لكانت الأمور ، على هذا السياق ؛ لأنه قد أمن أن يقال: لِمَ فعلت؟ ولم لِمَ تفعل؟ وهذا باب لا ييفق لأحد ممن خدم الملوك إلا بجِدِّ سعيد .

ولقد نصح صاحبه الهروى فى أموال تاويه وأمور من النظر عاريه ؛ فقذف بالرقعه إليه حتى عرف ما فيها ، ثم قتل الرافع حنقاً ، هذا وهو يدين بالوعيد ، وقال لى الثقه من أصحابه: ربما شرع فى أمر يحكم فيه بالخطأ ، فيقلبه جدّه صواباً ، حتى كأنه عن وحى ؛ وأسراؤ الله فى خلفه عند الارتفاع والانحطاط خفيه ؛ ولو

جرت الأمور على موضع الرأى وقضيه العقل لكان معلماً فى مصطبه على شارع أو فى دارٍ لسانٍ ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفقيهاه وتشادقه ، واستحقاره واستكباره ، وإعادته وإبدائه ؛ وهذه أشكال تعجب الصبيان ولا ولا تنفرهم عن المعلمين ؛ ويكون مرحهم به سبباً للملازمه والحرص على التعلم والحفظ والروايه والدراسه .. قال (أبو حيان) : وكان ابن عباد يقول للإنسان إذا قدم عليه من أهل العلم : يا أخى تكلم واستأنس وانبسط ولا تُرَع .. ولا يروعك هذا الحشم والخدم .. فإن سلطان العلم فوق سلطان الولايه .. فقل ماشئت .. فلست تجد عندنا إلا الإنصاف ، حتى إذا استوفى ما عند ذلك الإنسان بهذه الرخارف والحيل ، وسار الرجل معه فى حدوده على مذهب الثقه فحاجه وضايقه ، ووضع يده على النكته الفاصله والأمر القاطع ، تنمر له ، وتغير عليه ، ثم قال يا غلام : خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس ، وضعه فيه بعد أن تصبب على كاهله وظهره وجنبيه خمسمائه سوط وعصا ، فإنه معاند ضد ..؛ وليس الخبر كالعيان ؛ من لم يحضر ذلك المجلس لم ير منظراً رفيعاً ورجلاً رقيقاً .. وهل عند ابن عباد ه إلا أصحاب الجدر يشغبون ويحمقون ويتصايحون ، وهو فيما بينهم يصيح (١) .. كان ابن عباد لا يسكت عما لا يعرف ؛ قال لكاتبه فى بعض الأيام بعد أن وبخه وأطال : « بادر إلى عمل حساب بتفصيل باب يبين فيه أمر دارى وما دخل عليه أمر دخلى وخرجى ؛ فتفرد الكاتب أياماً وحرر الحساب على قاعدته وأصله والرسم الذى هو معروف بين أهله ، وحمله إليه ؛ فأخذه من يده وأمر عينه فيه من غير تثبت أو فحص أو مسأله ، فحذف به إليه ، وقال : أهذا حساب؟ أهذا كتاب ؟ أهذا تحرير؟ أهذا

١- رساله فى الصداقه لأبى حيان ص ٣٣ طبعه القسطنطينيه عام ١٣٠١هـ .

تقرير؟ أهذا تفصيل؟ أهذا تحصيل؟ والله لولا- أبى ربيتك فى دارى ، وشغلت بتخريجك ليلى ونهارى ، ولك حرمه الصبى ورعايه الآباء لأطعمتك هذا الطومار ، وأحرقنك بالنفط والقار ، وأذبت بك كل كاتب وحاسب ، وجعلتك مثله لكل شاهد وغائب ، أمثلى يمؤه عليه ويطمع فيما لديه ، وأنا خلقت للحسابه والكتابه ؟ والله ما أنام ليله إلا وأحصل فى نفسى ارتفاع العراق ، ودخل الآفاق ؛ أغرّك منى أنى أجررت رسنك ، وأخفيت قبيحك ، وأبديت حسنك؟ غير هذا الذى رفعت ، وأعرف قبل وبعد ما صنعت ، واعلم أنك من الآخره قد رجعت ، فزد فى صلاتك وصدقك ، ولا تعول على قحتك وصلابه حدقتك؛ يقول الكتابت: «فوالله ما هالنى كلامه ولا دحاك فى بهديائه ؛ لأننى كنت أعلم جهله فى الحسابه ونقصه فى هذا الباب ؛ فذهبت وأفسدت ، وأخرت وقدمت ، وكابرت وتعمدت ؛ ثم رددته إليه فنظر فيه ، وضحك فى وجهى ؛ وقال : أحسنت ، بارك الله عليك ! هكذا أردت ، وهذا بعينه طلبت ، لو تغافلت عنك فى أول الأمر لما تيقظت فى الثانى ؛ فهذا كما ترى ، أعجب منه كيف شئت» (١).

أما ابن العميد (المتوفى عام ٣٦٠هـ ٩٧١م) فقد صوره لنا ابن مسكويه فى تاريخه ، وكان خازنا لدار كتبه مده طويله ، وبقي فى نفسه لا بن العميد صوره ودثر قويان ، حتى إن التوحيدى يهزأ بابن مسكويه ويعيبه بأنه يفسد قوله بكثره ذكره : قال الهلبى ، قال ابن العميد ، فعل ابن العميد (٢).

وقد ابتداء مسكويه بمدح بطله بالقدره على الحفظ ؛ وكان لهذه المزيه فى ذلك

١- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣٨١ ، ٢٧٦ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ .

٢- رساله فى الصداقه للتوحيدى طبعه القسطنطينيه ص ٣٢ .

العصر قيمه أكبر مما لها اليوم ؛ يقول المؤرخ : « وحدثني غير مره أنه كان في حدائته يخاطر رفقاءه والأدباء الذين يعاشرهم على حفظ ألف بيت في يوم واحد ؛ وكان رحمه الله أثقل وزنا وأكبر قدراً من أن يتزيد ..وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل ، فإنه في أعلى درجات الشعر ..فأما المنطق وعلوم الفلسفه والإلهيات منها خاصه فما جسر أحد في زمانه أن يدعيها بحضرتة ، إلا أن يكون مستفيداً أو قاصداً قصد التعلّم دون المذاكره .

ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضه التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها إى أواخر علوم الهندسه والطبيعه ، والحركات الغريبه وجزّالثقيل ومعرفه مركز الأثقال وإخراج كثير مما امتنع على القدساء من القوه إلى الفعل ، وعمل آلات غريبه لفتح القلاع والحيل على الحصون، وحيل في الحروب مثل ذلك ، واتخاذ أسلحه عجيبه بسهام تنقذ أمداً بعيداً ونوءثر آثاراً عظيمه ، ومرايا محرقه على مسافه بعيده جدا ، ولطف كفّ لم يسمع بمثله ومعرفه بدقائق علم التصاوير ، وقد رأيت يتناول التفاحه أو ما يجرى مجراها ؛ فيبعث بها ساعه ، ثم يدحرجها ، وعليها صورته وجه قد خطها بظفره ، لو تعمد لها غيره بالآلات المعده في الأيام الكثيره ما تأتي له مثلها ؛ فدا اظطلاعه بأمور الملك فقد دلت عله رسائله . ولا سيما رسالته التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس وسواً سياسه من تقدمه لها ، وما يجب أن تُتلافى به ، حتى تعود إلى باحسن أحوالها؛ « فإن هذه رساله تُتعلّم منها صناعه الوزاره » ..ولما حصل بفارس علم عضد الدوله وجوه التدابير السديده وصناعه الملك التي هي « سناعه الصناعات »، ولقنه ذلك تلقيناً ، فصادف متعلماً لقنا ؛ حتى قال عضد الدوله مراراً : إن أبا الفضل بن العميد

كان أستاذنا؛ وكان لا يذكره في حياته إلا الأستاذ الرئيس .

وكان ابن العميد يقود الجيوش ويحضر المعارك ، وكان أسداً في الشجاعه لا يسطلى بناره ، ولا يدخل في غباره ؛ وكان يركب العماريات ، ولا يستل ظهور الدواب لإفراط عله النقرس وغيرها عليه . وكان قليل الكلام نزر الحديث ذلاً إذا سُئِلَ ووجد من يقهم عنه ؛ وكان لحسن عشرته وطهاره أخلاقه إذا دخل إليه أديبٌ أو عالم متفردٌ بفنٍ سكت له ، وأصغى إليه ، واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه إلا قدر ما يقهم به ما يورده عليه ؛ حتى إذا طاوله ، وأتت الشهور والسنون على محاضرتة ، واتفق له أن يسأله عن شئ تدفق حينئذ بحرّه ، وجاس خاطرُه وبُهِت من كان عند نفسه أنه بارع في ذلك الفن ؛ « وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم ! »؛ وكان مركزه في غايه الصعوبه ، وهو بين أمير لم تكن له بين جنده هيبه إلا بالمداراه والمسامحه في أشياء كثيره وإطلاق الأيدي بالبعث ، ولم يكن يستجيب إلى عماره البلاد « خوفاً من إخراج درهم واحد من الخزانه ، ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت » ، وبين جند الديلم الذين كانوا يطالبون بالمحالات ، ويثقلون موءونتهم على الرعيه ، ويتواعدون بالليل إلى مواضع غامضه يجتمعون فيها ؛ وربما خرجوا إلى الصحراء بقدر ما يدبرون الرأى في وجه الحيله وترتيب ما يريدون ؛ ولكن ابن العميد استطاع على الرغم من هذا أن يعيد النظام حتى استقام الأمر ، وقامت الهيبه في صدور الجند والرعيه ويحكى ابن مسكويه أنه كان يكفى ابن العميد أن يرفع الطرف إلى أحدهم على طريق الإنكار ، فترتعد الأعضاء وتضطرب ، وتسترخى المفاصل ، وأنه شاهد ذلك في مواقف كثيره . وقد استطاع

أن يعرف طبائع الديلم وما فيهم من حسد وجشع ، وأنه لا يملكهم أحد إلا- بترك الزينه، وبذل مالا يبطهم ولا يخرجهم إلى التحاسد، وبترك التكبر عليهم ، وبالظهور في مرتبه أوسطهم حالا. ولما رأى ابن العميد أن ابنه يحب أن يسير في خواص الديلم، ويستميل قولبهم بالخلع والهدايا، ويدعوهم إلى اللعب والصيد، ويستضيفهم في الصحراء، نهاه عن ذلك ووعظه ألا يسير معهم هذه السيره، ولكن النصح لم ينفع؛ فتجرع ابن العميد غيظه، وزاد ذلك في مرضه، حتى مات في همذان، وهو يقول في مجلس خلواته: ما يهلك آل العميد، ولا يمحوا آثارهم من الأرض إلا هذا الصبي، يعنى ابنه؛ وكان يقول في مرضه: ما قتلنى إلا جرّع الغيظ التى تجرّعتها منه(١).

تعليقات الفصل السابع

[*١] ذكر السيد (١) الخوانسارى له تأليف كتاب فى علم الكلام و عده (٢) الشيخ الحر فى الامل من المتكلمين و كذا صاحب الرياض (٣) و عده الامينى قدس سره (٤) والسيد الصدر قدس سره فيلسوفاً متكلماً فقيهاً محدثاً مورخاً لغوياً نحويماً أديباً كاتباً شاعراً من كتبه كتاب اسماء الله و صفاته و كتاب نهج السبيل فى الاصول و كتاب الامامه فى تفضيل امير المؤمنين و كتاب ابانه (٥) عن الامامه (أو عن مذهب اهل العدل) و عد من آثاره كتاب القضاء والقدر و رساله فى الهدايه و الضلاله.

و ما ذكره المصنف بقوله و كان لا يزيد على مائة درهم.

لا يناسب التفاف (٦) الادباء لا سيما الشعراء حوله، و جاء فى احواله (٧) انه لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر احد كائنا من كان فيخرج من داره إلا بعد الافطار عنده و كانت داره لا تخلو فى كل ليله من لياالى شهر رمضان من الف نفس مفطره فيها و كانت صلاته و صدقاته و قرباته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع شهور السنه. و يحكى

١- روضات الجنات ج ٢، ص ١٩-٤٣

٢- تأسيس الشيعة ١٦٠-١٦١.

٣- الرياض ج ١ ص ٨٤.

٤- الغدير ج ٤ ص ٤٥.

٥- تأسيس الشيعة ١٦١ الغدير ج ٤ ص ٤٦.

٦- روضات الجنات ج ٢ ص ١٩.

٧- سفينه البحار ج ٢ ص ١٤-١٣، مجالس المؤمنين ج ٢، ص ٤٤٦-٤٥١.

انه كان ينفذ إلى بغداد في السنة خمسہ آلاف دينار تفرق على الفقهاء و الأدباء، و قيل عنه لم يرفى احد من أهل العالم مثل ما رأى فيه من الكرم و السماحة، و مما يربينا لصدق المؤلف و ان كان الذئب على من نقل عنهم. توجد هم من تشيعه. فقد كتب في رقعہ الاموى الذى جاءه مستعطياً مادحاً لنفسه و للصاحب باييات.

انا رجل يرمونى الناس بالرفض *** فلا عاش حربى لى على خفض

ذرونى و آل المصطفى خيرہ الورى *** و ان لهم حبى كما لهم بغض

و لو ان عضواً ما عن آل احمد *** لشاهدت بعضى قد تبرأ من بعضى

و أورد (١) الأمينى انه مرض بالاهواز باسهال فكان اذا قام عن الطلست ترك إلى جانبه عشره دنانير حتى لا يتبرم به الخدم، فكانوا يودون دوام علت، و لما عوفى تصدق بنحو من خمسين ألف دينار، و رثاه الرضى (٢) بعد موته بقصيه غراء لم يسمع بمثلها اذن الزمان مطلعها:

اكذا المنون تقنطر الابطالا *** اكذا الزمان يضعضع الا جبالا

و ذكر القاضى نورالله الشهيد قدس سره حكاية لطيفه فى اشتها تشيعه، و لقد سرد العلامة الأمينى (٣) الشواهد على تشيعه بحيث لا يبقى مجال للترديد فيه.

وسبق فيما تقدم وجه نسبة الاعتزال إلى الشيعة.

و عن المجلسى الاول انه من أفقه فقهاء أصحابنا المتقدمين و المتأخرين.

و فى مقام آخر من رؤساء المحدثين و المتكلمين.

١- الغدير ج ٤ ص ٧١.

٢- روضات الجنات ج ٢ ص ٤٣، سفينه البحار ج ٢ ص ١٣-١٤، مجالس المؤمنين ج ٢، ص ٤٤٦-٤٥١.

٣- ج ٤ ص ٦٣ الى ٦٩.

و عن الشيخ البهائي عده من علماء الشيعة في عداد ثقة الاسلام الكليني و الصدوق و الشيخ المفيد و الشيخ الطوسي و الشيخ الشهيد و نظرائهم. (١)

[*٢] الجواب عن هذه الرساله الآيه المباركه القرآنيه «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنيا فتبينوا».

الفصل الثامن: المسائل الماليه

اشاره

مههما بدا التشريع الإسلامى فى أمر الضرائب واضحاً بسيطاً فى كتب الفقه ، منذ عهد أبى يوسف القاضى إلى أيام الماوردى ، وفيما جُمع من كتب الحديث، فإنه فى الواقع متشعب مع غزاره وصعوبه . ولو أراد الباحث أن يعرف الفرق بين النظم الماليه عند المسلمين وعند غيرهم لما استطاع أن يكتفى بدراسه هذه النظم فى البلاد التى كانت تابعه للدولة الرومانيه البوزنطيظ وللدوله الفارسيه ؛ وذلك لأنه كانت هناك نظم أخرى فى الضرائب يختلف بعضها عن بعض فى الشام ومصر وشمال أفريقيظ قبل ظهور الإسلام ، كما كانت ثم فروقٌ بين النظم الماليه فى العراق وخراسان وجنوب فارس.

ولم تكن فى الدوله الإسلاميه كلها ضرائب ثابتة ونافذه على نحو واحد إلا الضرائب الإسلاميه الخالصه وهى : ضريبه رءوس أهل الذمه من اليهود والنصارى ، والزكاه المفروضه على المسلمين . وكانت هذه تحسب على أساس الشهور، شأنها شأن أجور الإرحاء والمستغلات والإرض المُقطعه وسائر ما يجرى على الشاهرات . وكانت هذه الضرائب الشهريه تجرى بحسب السنه الهلاليه ، وكان التقويم الهلالي يعمل به فى الواقع فى المدن الكبيره التى يقل

اعتمادها على الزراعه ؟ أما فى الأرض الزراعيه فلم يكن بدُّ من أن يتمشى نظام الضرائب مع حال الزرّاع وأوقات الغرس والحصاد ، أى أنه لم يكن بدُّ من السير طبقاً للسنة الشمسيه (١).

وكانت هذه السنه الشمسيه هى القبطيه والشاميه فى البلاد التى ، كانت تحت حكم الروم ؛ أما فى المشرق فكانت هى السنه الفارسيه ؛ وفى فارس كان يفتح الخراج فى إبان النيروز (٢) ؛ وإنما آثر الفرس ذلك من قديم الزمان ، لأنه وقت الانقلاب الصيفى الذى هو وقت إدراك الغلات ، فكان أصوب لافتتاح الخراج فيه من غيره (٣).

ثم جاء ملوك العرب فاقتدوا بملوك الفرس فى المطالبه بالخراج أبان النيروز . ولكن الفرس كانوا يكبسون السنين فى كل أربع سنين بيوم فأبطل الإسلام ذلك ، ونشأ عن عدم الكبس أن الخراج كان يفتح قبل نضح الزرع .

وبينما كان المتوكل يطوف يوماً فى مُتصيدٍ له إذ رأى زرعاً اخضر لم يدرك بعد ، ولم يستحصد ؛ وكان المتوكل قد استوءذن فى فتح الخراج ، فقال : من أين يعطى الناس الخراج ؟ فقيل له إن الأمر جارٍ على ما أسَّسه ملوك الفرس من المطالبه بالخراج فى أثناء النيروز ؛ فوقع عزم المتوكل على تأخير النيروز سبعة عشر يوماً من حزيران ، تداركاً لما فات من عدم الكبس ، ونفذت الكتب بذلك

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٢٧٣ حيث ينقل المقريزى عن كتاب أخبار أميرالمؤمنين المعتضد بالله لأبى الحسين عبدالله بن أبى طاهر .

٢- وفى أقصى المشرق أعنى فى الأفغان وما وراء النهر كان الخراج يدفع على دليلين (انظر ابن حوقل ص ٣٠٨ ، ٣٤١) .

٣- الآثار الباقيه للبيروتى ص ٢١٧ ٢١٦ من الطبعة الأوروبيه .

إلى الآفاق ؛ ثم تستل المتوكل ، ولم يتم له ما دبّر ، فلما قام المعتضد احدى ما فعله المتوكل فى تأخير النيروز ، غير أنه نظر من جهه غير التى نظر إليها المتوكل فأخر النيروز إلى الحادى عشر من حزيران ، ثم وضع النيروز على شهور الروم لتكبس شهوره إذا كبست الروم شهورها ، لا على سنين الفرس من الكبيس بشهر فى كل مائه وعشرين سنه .

ولما كان لا يمكن ترك السنه الهلاليه لأسباب دينيه فقد سارت السنتان الهلاليه والخراجيه مع اختلافهما فى الطول جنباً لجنب ، وحدث اضطراب كبير بسبب تفاضل السنين ؛ حتى صارت الجبايه الخراجيه فى السنه التى تنتهى إليها تيسب فى التسميه إلى ما قبلها ، ولما يكن من الجائز كبس سنه الهلال بشهر ثالث عشر ، « لأنهم لو فعلوا ذلك لترحزت الأشهر الحرم عن موقعها ، وانحرفت المناسك عن حقائقها ، ونقصت الجبايه عن سنى الأهله بقسط ما استرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفضل أن تتم سنه أوجب الحساب المقرب أن تكون كل اثنتين وثلاثين سنه شمسيه ثلاثاً وثلاثين سنه هلاليه ، فنقلوا المتقدمه إلى المتأخره نقلاً لا يتجاوز الشمسيه ..وقد رأى أمير الموءنين نقل سنه خمسين وثلثمائه الخراجيه إلى إحدى وخمسين وثلثمائه الهلاليه ، جمعاً بينهما ، ولزوماً لتلك السنه فيهما »

وهذا جزء من الكتاب الذى أنشأه أبو أسحاق الصابى فى هذا الصدد(١)

ومما اختص به نظام المسلمين الإدارى فيما يتعلق بالمال أن دواوين الخراج

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٢٧٧ ٢٧٥ ، والآثار الباقية للبيرتى ص ٣٣ ٣١ ، وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٤٣ ، ورسائل الصابى طبعه لبنان ص ٢١٣ ٢١٥ .

فى الولايات كانت تقوم مقام حزائن للدولة ، فكانت تُستوفى من مال الخراج النفقاتُ الراتبه وأعطياتُ الجند، ثم يحمل ما يتبقى إلى بيت المال العام بمدينه السلام (١)؛ ولذلك فإن خزانه بغداد كانت لا تُعنى إلا بدار الخلافه وحاجاتها وبشؤون الدواوين وبالجزء الشرقى من بغداد ، لأنه كان بحسب رسم خاص تابعاً لدار الخلافه ؛ أما الجانب الغربى ، وهو بغداد الحقيقه ، فكان جزءاً من عماله بادوريا(٢).

وقد بين لنا الخوارزمى أسماء الدفاتر والمواضع المستعمله فى الدواوين بخراسان فى القرن الرابع الهجرى (٣) فمنها:

قانون الخراج ، وهو أصله الذى يرجع إليه ، وتبنى الجبايه عليه (٤)

الأوراج ، ويستقل إليه ما على إنسان إنسان ، ويثبت فيه ما يوء يديه دفعه بعد

١- مسكويه ج ٥ ص ١٩٤ ١٩٣ ، وكتاب الفرج بعد الشده للتنوخى ج ١ ص ٥١ ، وابن حوقل ص ١٢٨ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٥٤ وكذلك كان ولاه النواحي فى الدوله البوزنطيه يسقطون النفقات من جملة دخل ولاياتهم . وكانت العاده فى أيام الأمويين أن الخلفاء « إذا جاءتهم جبايات الأمصار والآفاق يأتهم مع كل جبايه عشره رجال من وجوه الناس وأجنادها ، فلا يدخل بيت المال من الجبايه دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذى لا إله إلا هو ما فيها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه ، وأنه فضل عن أعطيات أهل الأندلس ، وذكر أمرائها طبعه بجريط ١٨٦٧ ص ٢٢ . ٢٣ ، وانضر أيضاً ما حكى عن ابن أبى الفياض فى كتاب سيمونيت ، ١٥٨ ، S. ١٩٠٣ - ١٨٩٧ ، Simonet Historia de Los mosarabes de Espans Madrid .

٢- كتاب الوزراء ص ١١ والصفحات التاليه .

٣- مفاتيح العلوم ص ٥٤ ٥٤ .

٤- كانت لفظه Kanon فى العصر التالى لعصر الإمبراطور ديوقلسيان هى الاصطلاح العام للضرائب العاديه . انظر Wilken

. Oriech Ostraka , S. ٣٧٨

أخرى ، إلى أن يستوفى ما عليه .

الروزنامج ،ومعناه كتاب اليوم ؛ لأنه يكتب فيه ما يجرى كل يوم من استخراج أو نفقه أو غير ذلك .

الختمه ،وهى كتاب يرفعه الجهبذ فى كل شهر بالاستخراج والجمل والنفقات والحاصل ، كأنه يختم الشهر به .

الختمه الجامعه ، تُعمل كل سنه كذلك .

التأريج ، لفظه فارسىه ، معناها النظام ، لأنه كسواد يعمل للعقد لعدده أبواب يحتاج لعلم جملها

العريضه ، وهى شبيهه بالتأريج ، إلا- أنها تُعمل لأبواب يحتاج إلى أن يعلم فضل ما بينها ، فينقص الأقل من الأكثر من باين ، ويوضع ما يفضل فى باب ثالث هو الذى تعلم العريضه لأجله ، « مثل أن تعمل عريضه للأصل والاستخراج ،ففى أكثر الأحوال ينقص الاستخراج عن الأصل ، فيوضع فى السطر الأول من سطور العريضه ثلاثه أبواب ، أحدها للأصل ، والثانى للاستخراج ، والثالث لفضل ما بينهما».

البرا .حجه يبذلها الجهبذ أو الخازن للموءدى بما يوءديه ذليه .

المروافقه والجماعه ، حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقه مالم يرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع إليه؛ فإن انفرد به أحدهما دون ان يوافق الآخر على تفصيلاته سُمى محاسبه .

وعندنا كذلك أبواب ميزانيه الدوله لسنة ١٨٠٦هـ ١٨٠٩م ، وهى تقوم على ميزانيه عام ١٢٠٣هـ؛ فكانت تقسم الميزانيه العامه ، على نحو ما كانت تقسم

الدفاتر في دواوين الخراج ، إلى باب الاستخراج أو الدخل وباب النفقات ، وكذلك يقسم باب النفقات إلى النفقات الراتبه والحادثه ؛ وكانت الميزانيه تنتهي يعجز كما هو الحال عندنا . وكانت مقادير خراج العراق وخوزستان وفارس وإيران تذكر عيناً ؛ على حين أنه حتى عام ٥٢٦٠ هـ ٨٧٣ م، وهي تقوم على ميزانيه عام ٥٣٠٣ هـ؛ فكانت تقسم الميزانيه العامه ، على نحو ما كانت تقسم الدفاتر في دواوين الخراج ، إلى باب الاستخراج أو الدخل وباب النفقات ؛ وكذلك يقسم باب النفقات إلى النفقات الراتبه والحادثه ؛ وكانت الميزانيه تنتهي يعجز كما هو الحال

عندنا . وكانت مقادير خراج العراق وخوزستان وفارس وإيران تذكر عيناً ؛ على حين أنه حتى عام ٥٢٦٠ هـ ٨٧٣ م كان يذكر النوع إلى جانب قيمه بالذهب؛ وهذا يدل على تقدم في النظام المالي في شرق المملكه الإسلاميه . أما فيما يتعلق بالشام والعراق فكان الخراج يحسب بالعين وبالنوع (١) (السكر من الشعير أو الحنطه).

وكانت سيطره العمله ، وهي السيطره التي من شأنها القضاء على سائر القسم الأخرى المتدرجه ، وجعل قيمه الأشياء متوقفه على قيمتها النقديه ، سبباً في زوال كثير من الضرائب الرمزيه الشكليه التي تفرض لمجرد تقرير الحق في الضريبه ؛ وهذه الضرائب هي التي جعلت دفاتر الضرائب في العصور الوسطى الأوربيه كثيره الأبواب ؛ ولا نجد من أمثله هذه الضرائب إلا ما ذكر عن مدينه اسبيج على أقصى حدود المملكه الإسلاميه شرقاً من أن خراجها أربعه دوانيق ومكنسه تُبعث إلى السلطان كل عام مع الهدايا(٢)

وقد جرت العاده حوالى عام ٣٠٠ هـ ٩١٢ م أن ترسل مع الخرائج أو الهديه

١ - ٣٢٣ ، Kremer, Einnahmebudget der Abbasiden, S. ٨٠٩ ff, وكتاب الخراج لقدامه ط .دى غوى ص ٢٣٩، وكتاب الوزراء ص ١٨٨ ١٨٩ .

٢- المقدسى ص ٣٤٠، ويويد ياقوت (معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٩ من الطبعه الإوربيه) هذا الكلام حيث يقول إنه لم يكن بخراسان ولا- بما رواء النهر بلده لاخراج عليها إلا اسبيج ، لأنها كانت ثغراً عظيماً ، فكانت تعفى من الخراج ليصرف أهلها خراجها في ثمن السلاح والمعونه على المقام بتلك الأرض .

أشياء طريفه غريبه عن المؤلف؛ ففي عام ٢٩٩ هـ - ٩١١م أرسل مع مال مصر تيسر له ضرع يحلب اللبن ، وفي سنه ٣٠١ هـ ٩١٣م وصلت هدايا صاحب عُمان إلى السلطان ، وفيها ببغه بيضاء وعزال أسود ، وفي سنه ٣٠٥ هـ وردت من عمان أيضاً هدايا جليله ، فيها طائر أسود يتكلم بالفارسيه والهنديه أفص من البغاء وفيها ظباء سود (١).

وكان الإقطاع في المملكه الإسلاميه كلها ضرباً هاماً من ضروب تملك الأرض ؛ والإقطاع في المشرق والمغرب على السواء ميراث قديم . ويقول أبو يوسف : فأما القطائع من أرض العراق ، فكل ما كان لكسرى ومرزبته وأهل بيته مما لم يكن في يد أحد (٢) ؛ أما في المغرب فكان الإقطاع نظاماً رومانياً ، وكانت أرض الحكومه والأرض التي لا يملكها أحد تنتقل بحسب نظام الإقطاع إلى أفراد الشعب (٣).

أما الخراج الذي يجب أن يدفعه صاحب الأرض المقطعظ فكان يحدّد فكان يحدّد باتفاق خاص بينه وبين الحكومه ، وهو عند الفقهاء العُشر (٤).

١- المنتظم لابن الجوزي ص ٦٤ ، ٩ ، ١٥ ، ب .

٢- كتاب الخراج ص ٣٢، وكان ثم إلى جانب القطيعه ما يسمى الطعمه ، وهي الأرض التي تدفع إلى رجل ليعمرها ويؤدى عشاها ؛ وتكون له مده حياته ، فإذا مات ارتجعت من ورثته ؛ والقطيعه تبقى لعقبه من بعده ج انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٦٠ .

٣- Becker, ZA, ١٩٠٥, S, ٣٠١ ff

٤- كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس رقم ٥٩٠٧ ص ٩٠ ب ج ٩١: وأرضو العشر سته أضرب : ١ الأرضون التي إسلم عليها أهلها ، وهي في أيديهم مثل اليمن والمدينه ولاطائف . ٢ ما يستحيه المسلمون من الأرض الموات التي لا ملك لأحد فيها . ٣ ما يقطعه الأئمه . المسلمین . ٤ ما يحصل ملكا للمسلمين مما يقسمه الإمام من أرض العنوه بين من أوجف عليها من المسلمين . ٥ ما صار في يد المسلمين من الصفايا التي أصفاهها عمر بن الخطاب من أرض السواد ، وهي ما كان لكسرى وآله وخاصته . ٦ ما جلا- عنه العدو من أرضيهم فحصل في يد من قطنه وأقام به من المسلمين مثل الثغور . وكان إلى جانب ديوان الخراج ديوان آخر قائم بذاته يسمى ديوان الضياع ، انظر ، Kremer S ٣٩٢.. ولا نجد ذلك بين أسماء الدواوين في خراسان .

ولم يكن أصحاب الإقطاعات أحسن حالا من غيرهم من أصحاب الضياع العاديين ؛ وقد حكى السنوخي في القرن الرابع الهجري أن الرشيد اعتل ، فداواه طبيبه ، فأمر بإقطاعه ما قيمته ألف ألف درهم ، فقال له : مالي حاجه إلى الإقطاع ؛ ولكن تهب لى ما أشتري الضياع به ، فأجاب الخليفة طلبه وأمر بمعاونته حتى ابتاع ضياعاً غلتها ألف ألف درهم ، موءثر أن يكون جميع ما يمتلكه ضياعاً لا إقطاع فيها(١).

وكان يقع فى كثير من الأحيان خلاف بين الملاك والعمال فى بعض الأراضى ؛ فيذكر صاحب الأرض أنها قطيعه ، على حين أن عامل الخراج يذهب إلى أنها أرض خراج عاديه(٢).

وكانت الأرض لامقطعه تعود دائماً إلى الحكومه ، وذلك بسبب مصادره أصحابها أو نظراً لخرابها ، وكثيراً ما يكون هذا الحراب بسبب الظرائب الباهظه . وفى القرن الثالث الهجرى غلب بنو الصفار على فارس ، فجلا قوم من أرباب

١- الفرج بعد الشده ج ٢ ص ١٠٣ ١٠٢ .

٢- كتاب الوزراء ص ٢٢٠ .

الخراج عنها لسوء المعامله ؛ فقررت الحكومه خراجها على من بقى ، وسمى ذلك بالتكملة ، لأنه كمل بها قانون فارس القديم ، ولم نزل هذه التكملة تستوفى حتى أُعيد افتتاح فارس عام ٢٩٨هـ فنظّم أهل فارس ، وورد قوم من أجلادهم إلى بغداد لرفع ظلامتهم ، فجمع المقتدر مجلسا من القضاة والفقهاء والكتاب والعمال والقوَاد ، فأفتى الفقهاء ببطلان التكمه ، وصدر كتاب الخليفة بذلك عام ٣٠٣هـ ٩١٥م (١).

والظاهر أن أمر التكملة كان شاذًا في ذلك العهد في المشرق ؛ أما في مصر فقد كانت القاعده أن تضمن المدينه الأفراد الذين يجلبون عن الأرض ؛ وفي العراق كان لابد من هذا الضمان فيما يتعلق بالجريه الواجبه على أهل الذمه (٢).

ولم يَلغ نظام ضمان المدينه هذا في فرنا إلا قبل الثوره الفرنسيه بقليل ، وفي روسيا إلا منذ عام ١٩٠٦م .

وكانت الحكومه تملك أراضي أخرى تسميها الضياع السلطانيه ، وكانت هذه الضياع نداد في أيام الرخاء بابتياح أراضي جديده (٣).

أما في أوقات الشده فكان يباع بعضها . وقد حدث في سنه ٣٢٣هـ ٩٣٥م أن باع الوزير على النجار ضياعا سلطانيه ليقى بسداد ما كان قد استسلفه من مالهم (٤).

وكانت هذه الضياع تتعرض دائما للخطر إذا ضعفت الحكومه ؛ فعند ذلك

١- كتاب الوزراء ص ٣٤٢ ٣٤٠، وكتاب العيون ص ٨٢ .

٢- انظر الكلام عن الجزيه في الفصل الخاص باليهود والنصارى .

٣- قدامه طبعه دى غوى ص ٢٤١ .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٥٠٥ .

يقتطع كبار الملاك الأثوياء والوزراء بعضها ، ويضيفون ذلك إلى أملاكهم (١).

وكان يحدث أن يرغب صغار أرباب الضياع في الإفلات من عبء الخراج العادي ، فاعتادوا أن يلجئوا ضياعهم إلى الكبراء الأثوياء ، فكانت تجرى بأسمائهم ، ويخفف عن أهلها الخراج ، فيدفعون العشر فقط ، كما هو الحال في الإقطاعات ؛ ولكنها تبقى في أيدي أهلها يتبايعونها ويتوارثونها ، وإن كانت بأسماء من الجلوها إليهم . وهذه التلجئة نظام قديم ، وقد أوجدها في مصر على عهد الرومان البوزنطيين كبار أصحاب الضياع ، ويحكي أنها كانت موجودة في عهد الأمويين (٢).

ثم صارت الصصطلاحات قائما بذاته بين مواضع الكتاب في دواوين الخراج بخراسان (٣).

وأصبح لها قسم خاص بها في القرن الرابع الهجري ، وكانت شائعة في فارس بنوع خاص لنقل الخراج فيها (٤).

وفي عام ٤١٥م اعتُبر الم . في مصر بحكم القانون موالى تابعين للأثوياء الذين احتموا بهم (٥)، ولكنهم لم يصيروا إلى هذه الحالة قط في فارس .

ومن وجوه الأموال التي ترد إلى بيت المال أخماس المعادن والركاز ، ولأمال المدفون[*٦] من دفائن الجاهلية ، وخمس سيب البخر مما يقذف به

١- كتاب الوزراء ص ١٣٤، وكتاب الفرج بعد الشدة للتوخى ج ١ ص ٥٠ .

٢- كتاب الخراج لقدمه طبعه دى غوى ص ٢٤١ .

٣- مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٦٢ .

٤- الاصطخرى ص ١٥٨ .

٥- Matthias Geizer, Studieur byzaatinischen Verwaltung Aegypten, S. ٧٥-٧٥ .

ويستخرج منه ، مثل العنبر والحليه ، ومنها أثمان الأبقاع من العبيد ، وما يوءخذ من الصوص من الأموال والأمتعه ، إذا لم يأت لذلك طالب يستحقه ، منها ما يوءخذ من مواريث من يموت ولا يخلف وارثا له (١).

وكان لا يوءخذ لبت المال إلا من ميراث المسلمين ، فمثلا كتب الخطيب البغدادي (٤٦٣ ٣٩٢) إلى الخليفة : إنى إذا مت كان مالى لبيت المال (وكان مقدار ذلك مائتى دينار) (٢) ؛ وفى عام ٣١١ هـ ٩٢٣م أصدر الخليفة المقتدر كتاباً فى أمر المواريث نص فيه على أن تُردّ تركه من يموت من أهل الذمه ، ولا- يخلف وارثا ؛ على أهل ملته لا- على بيت المال ، وذلك عملا بما روى عن النبى صلى الله عليه و آله من أن المسلم لا يرث الكافر ، وأن الكافر لا يرث المسلم ، وأنه لا يتوارث أهل ملتين (٣).

وقد تجادل كثير من الفقهاء فى مسأله كبرى من المسائل التى تُبحث حديثاً ، وهى مسأله رد التركة إلى بيت المال بدلا من ردها إلى الأبعد من ذوى الأرحام ؛ وقد زادشأن هذه المسأله عند المسلمين ، لأن كثيراً من الفقهاء ذهبوا إلى أن بعض الأقارب الأدينين لا يجوز أن يحوزوا أكثر من الأسهم المفترضه لهم فى القرآن ؛ أما ما يفضل عن ذلك فهو نصيب بيت المال (٤) وفى القرن الثالث الهجرى أنشئ ديوان خاص يسمى ديوان المواريث ،

١- كتاب الخراج لقدمه مخطوط باريس ص ٩١ - ب. و انظر أيضا Schmidt, Die Occupatio im islamischen Rech, DER Islam, I, ٣٠٠ ff.

٢- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٤٨ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٤٨ .

٤- يذهب الشافعيه إلى جعل ما يفضل عن السهام المفروضه إلى بيت المال لا إلى ذوى الأرحام الأبعد ، إن لم يوجد للمتوفى عصبه تحوز باقى ميراثه (انظر ١١٢؛ ٧٤٢ uahcas thre ceshcsinad emmahum s؛) وفى عام ٢٨٣ هـ ٨٩٦م أمر الخليفة المعتضد بردّ الفاضل من سهام المواريث على ذوى الأرحام وإبطال ديوان المواريث ، وصرف عماله (تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٥١)؛ ويقول أبو الفدا (ج ٢ ص ٢٧٨ تحت عام ٢٨٣ هـ) ما يوءيد ذلك نقلا عن القاضى شهاب الدين فى تاريخه (توفى القاضى عام ٦٤٢ هـ ١٢٤٤م) ؛ ثم حذا المكتفى حذو المعتضد وجدد هذا الأمر فى عام ٣٠٠ هـ ٩١٢م . وفى عام ٣١١ هـ ٩٢٣م أصدر الخليفة المقتدر أمره بأن يردّ ما يفضل عن السهام المفترضه إلى ذوى الرحم الذين لا- فرض لهم فى القرآن ، إذا لم يكن للمتوفى من يحوز ميراثه من ذوى السهام ، وفى عام ٣٥٥ هـ ٩٦٦م أمر معز الدوله برفع المواريث الحشرية ، وفى عام ٣٥٦ هـ ٩٦٧م رد المواريث الحشرية إلى ذوى الأرحام ج انظر المنتظم لابن الجوزى ص ٩٨ . ١٠٠ .

وذلك فى عهد الخليفه المعتمد (٢٧٩ ٢٥٤ هـ ٨٩٢ ٨٦٩م) .

وكان هذا الديوان مجالا واسعا لظلم الناس والإعنات فى مواريتهم وأخذ مالم تشجربه السنه (١) ويقول ابن المعتز قرب أواخر القرن الثالث يشكو ما يجرى على أصحاب المواريت (٢):

وويل من مات أبوه موسرا *** أليس هذا محكما مشهرا

وطال فى دار البلاء سجنه *** وقيل من يدري بانك ابنه

فقال : جيرانى ومن يعرفنى *** فنتفوا سباله حتى فى

وأسرفوا فى لكمه ودفعه *** وانطلقت أكفهم فى صفعه

ولم يزل فى أضييق الحبوس *** حتى رمى لهم بالكيس

وقد استطاع الخليفه الراضى أن يكبح شهوه الأمراء للاستيلاء على مواريت

١- انظر كتاب الوزراء ص ٢٤٩ ٢٤٦، عريب ص ١١٨ ١١٧ .

٢- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٣١ .

الناس ؛ فقد حدث أن رجلا مات وخلف مالا عظيما ، فوجّه ابنُ رائق من حمل من داره وحوانيتها مالا ومتاعا ؛ فلما عرف الراضى ذلك أنكره ، وأنفذ إلى ابن رائق بما أقلقه ؛ فأمر برد جميع ما أخذ من المال إلى موضعه (١).

على أن سيف الدولة المعروف بشجاعته والمشهور بشعرائه وسوء حكمه كان يأخذ المواريث أخذاً رسمياً؛ ففي عام ٣٣٣هـ ٩٤٤م عين أبا حسين على بن عبد الملك الرقى قاضياً على حلب؛ فكان هذا القاضى يصادر التركات ويقول : التركة لسيف الدولة وليس لأبى الحسين إلا أخذ الجعالة (٢).

وقد تكلم المقدسى عن ركن الدولة وأهل بيته من الأمراء ، فعدد بعض مساوئهم ، ولكنه أكد من فضائلهم بنوع خاص أنهم «لهم سياسة عجيبة ورسوم رديه ؛ غير أنهم لا يتعرضون للتركات» (٣).

وكان كثير من الحكام يحاولون أن يعتبروا التركة من غير وارث ، ليستولوا عليها ؛ ولكن لم يوجد فى الإسلام قانون طبق على المسلمين يشبه مثلا القانون الذى كان فى إنجلترا فى القرن الثالث عشر الميلادى (٤).

وكان من محاسن أعمال عميد الجيوش حاكم بغداد المتوفى عام ٤٠١هـ ١٠١٠م أنه حمل إليه مرةً مألٌ كثير قد خلفه بعض التجار المصريين ، وقيل له : ليس للميت وارث ؛ فقال : لا يدخل خزانه السلطان ماليس لها ؛ يترك إلى أن يصح خبره؛ فلما كان بعد مده جاء أخ للميت بكتاب من مصر بأنه مستحق

١- الأوراق للصولى مخطوط باريس ص ١٤٨ ١٤٧ .

٢- Wusteafield, Die Statthalter von Aegypten, IV, S. ٨٥ .

٣- المقدسى ص ٤٠٠ .

٤- Garo, Soziate und Wirtschaftsgeschichte der Juden, I, ٨١٧-٤ .

للتركة ، فقصده باب عميد الجيوش وأوصل إليه الكتاب ، فقضى حاجته . ولما وصل التاجر إلى مصر أظهر الدعاء له ، فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه ، وبلغ عميد الجيوش الخبر فُسِّرَ به (١).

ولكن الأمر لم يكن يجرى هذا المجرى بالنسبة لغير المسلمين ؛ ففي القرن الثاني عشر الميلادي اعتل ربي بتاحيا ، وهو بالموصلف وقال الأطباء إنها عله الموت ؛ « ولما كان الرسم هناك في ذلك الوقت أن تستولى الحكومه على نصف ما يخلفه كل يهودى غريب يموت هناك ، وكان الربى بتاحيا حسن اللباس ، فقد قيل إنه غنى ؛ وجاء عمال الحكومه لقبض تركته ، كأنه قدم مات ».

وكثيراً ما كان يوءخذ جزء من مال الأغنياء في حياتهم ، وقد نشأ هذا الرسم من أن بعض العمال كانوا يستولون على الأموال بغير حق ، ثم يضطرون إلى إرجاعها ؛ وهذا شبيه بما فعله نابليون الأول حين ألزم قواده من ذوى اليسار العظيم أن يدفعوا للخزانة مبالغ كبيره . على أن جميع التجار الذين كانت تُبْتَرُّ دموالهم كانت لهم معاملات مع الدوله أصابوا منها مالا وفيراً ، أو على الأقل ظن بهم ذلك . يقول ابن المعتز في وصفه لجور الحكومه فى عهد المعتمد (٢):

وتاجر ذى جوهر ومال *** كان من الله بحسن حال

قيل له: عندك للسلطان *** ودائع غاليه الأثمان

فقال: لا والله ما عندى له *** صغيره من ذا ولا جليله

وإنما أربحت فى التجاره *** ولم أكن فى المال ذا خساره

١- ابن الأثير ج ٩ ص ١٥٨ .

٢- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٣٢ ١٣١ .

فدخنوه بدخان التبن *** وأوقد وه بثقال اللبن

حتى إذا مل الحياه وضجر *** وقال : ليت المال جمعاً فى سقر

أعط همو ما طلبوا ، فأطلقا *** يستعمل المشى ويمشى العنقا

ونرى من الثبث الذى يحوى أسماء المصادرين أنهم كانوا عمالاً من عمال الدوله أو جهابذه كانوا يعلمونها (١).

وليس فيما انتهى إلينا من حكايات تتعلق بالمصادرات مثل واحد لأخذ الحكومه أموال العمال الخاصه ظلماً وجوراً من غير طريقه قانونيه ؛ فيحكى لنا ابن مسكويه « أن الوزير أبا على بن مقله كان يعادى أبا الخطاب بن أبى العباس بن الفرات ، ولم يكن يجد إلى القبض عليه طريقاً ديوانيا ، لأنه كان ترك التصرف عشرين سنه ؛ ولزم منزله ، وقنع بدخل ضيعته (٢) على أن نظام المصادره قد تقلب فى أطوار ، فكان فى أوائل القرن الرابع ضرباً من ضروب العقاب ، وبعد ذلك صار كل من كانت له صله بالحكومه مشتبهاً فى نقاوه يده ، فكان يصادر بين حين وآخر.

١- كتاب الوزراء ص ٢٢٧ ٢٢٣ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٣٩٨ ، والمصادره اصطلاح ، والصدر هو الرجوع بعد الامتلاء بالماء ويقبله الورد وهو عند اللغويين مثل الرجوع ، انظر فهرس الطبرى مثلا ؛ وكلمه صدر هى المال الذى يوءخذ من الصادر . (هذا ما يقوله الموءلف) ، وهو يذكر أمثله منها ما عرض فى كلام مسكويه وهو : قد أمر بضرب عنقه إن لم يوءد صدراً من المال ؛ وصح منها إلى يوم هريه صدرٌ كثير (مسكويه ج ٥ ص ٥٧٢ ٤٠١) ؛ وفى كتاب الوزراء (ص ٣١٠) ولم يزل الكلوذانى يدبر الأمور حتى مشى كثيراً واستخرج صدراً كبيراً . وفى رسائل الهمذانى (ص ٣٣٢) : وقد كان الشيخ كتب خطأ عن فلان بصدر من الحنطه إلى بعض وكلائه (وهذا غير موجود فى كتب اللغه) ، ومن هذا صادره على قدر من المال .

وكان الأخشيد صاحب مصر وأدرى الحكام بأموال المال بين عامي ٣٠٠هـ (٩١٢م) و٣٥٠هـ (٩٦١م)، يقوم بالمصادرات الكثيره في هدوء من جانبه وبرود، فكان يقبض على عماله وخاصته وثقاته، ويصادرهم على المبالغ الكبيره هم وأهلهم ومن يكون في دورهم يوم المصادره. وكان أحب إليه أن يأخذ غلمانهم بسلاحهم ودوابهم وثيابهم فيجعلهم بين يديه (١)؛ وكان إذا أفلت أحد من المصادره حياً لم يسلم من أخذ أمواله بعد وقاته. وكانت طريقه الأخشيد أنه « إذا توفى قائد من قواده أو كاتب تعرّض ورثته، وأخذ منهم وصادرهم، وكذلك كان يفعل مع التجار المياسير (٢) ».

ففي عام ٣٢٣هـ ٩٣٤م توفى عفان بن سليمان البزاز أجل تاجر كان بمصر؛ فأخذ الأخشيد من ميراثه نحو مائه ألف دينار (٣)، ولما مات الوزير أبو محمد الملهبى (عام ٣٥٢هـ ٩٦٣م)، بعد أن لبث في الوزارة ثلاث عشرة سنه، قبض معز الدوله تركته وصادر عياله ومن دخل إليه يوماً حتى الملاحين والمُكارين الذين كانوا يخدمون حاشيته؛ وقد استقبح الناس ذلك من معز الدوله واستفظعوه (٤).

وكذلك لما مات الصاحب بن عباد بعد أن كان وزير فخر الدوله، المتحكم في تدبير الملك له، حتى كان لا يعصى له أمراً، أرسل هذا الأمير من أحاط على دار الصاحب وخزائنه، ووُجد له كيسٌ فيه رقاع أقوام بمائه ألف وخمسين ألف دينار

١- المغرب لابن سعيد ص ١٧ ١٦.

٢- نفس المصدر ص ٣٦.

٣- نفس المصدر ص ١٧.

٤- مسكويه ج ٦ ص ٢٥٨.

مودعه عندهم ؛ فطولبوا بذلك ، ونُقل ما كان فى الدار والخزائن إلى دار فخر الدوله (١).

وكان أهل المال يستعملون جميع الوسائل لأفساد خطه المصادرين وخذاعهم ، فمن ذلك أنهم كانوا يودعون أموالهم عند ناس كثيرين (٢)؛ ويلحنون أسماءهم ويكنون عن ألقابهم (٣).

ولما اعتقل ابن العميد عام ٣٦٦هـ ٩٧٨م وأيقن أن القوم قاتلوه وأنه لا ينجو منهم ، وإن بذل ماله ، أخرج من جيبه رقعه فيها ثبت مالا- يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها فى كانون ناربين يديه ، وقال للموكل به : اصنع ما أنت صانع ، فوالله لا يصل من أموالى المستوره إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب إلى أن تلف من غير أن يخبرهم بشئ (٤).

ولما صح عند الخليفه المتقى قتل بحكم المتقى إى داره ، وحفر أما كن فيها ، فحصل له من مال بجكم ما يزيد على ألفى ألف عينا وورقاً ، ثم أمر بغسل التراب ، فأخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم (٥).

ولكن بجكم كان قد دفن أمواله فى الصحراء ولم يقتصر على ما دفنه فى البيوت ؛ فكان الناس يتحدثون بأنه يفتل من يعاونه فى ذلك ، لثلا يدل عليه فى وقت آخر ؛ وبلغ بحكم ما يقوله الناس ، فأنكر ذلك ؛ وحكى لسان بن ثابت ما

١- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٧٠ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٧٤ .

٣- المنتظم ص ١٩٣ .

٤- الإرشاد ج ٥ ص ٣٥٠ .

٥- المنتظم ص ٦٨ .

كان يفعله إذا أراد دفن مال في الصحراء: كان يحضر إلى داره بغالا عليها صناديق فارغه ، فيجعل المال في بعضها ، ويدخل من يريد أن يكون معه من المساعدين في البعض الآخر ، يطبق عليهم ؛ ثم يأخذ مقود قطار البغال بنفسه ، ويسير إلى حيث يريد ، ثم يفتح عن الرجال ، فيحفرون ، ويدفن المال؛ وبعد ذلك يردّ الرجال إلى الصناديق ويطبّقها عليهم ، ويعود ، فلا يدري الرجال إلى أين ذهبوا من أرض الله ولا- من أين أنوا ، وكان هو يجعل لنفسه علامات يهتدى بها ؛ وبهذه الطريقة استغنى عن القتل ، وأقسم لثابت أنه لم يقتل أحداً من أجل دفن المال ، وأن ذلك من تشييع الناس(١).

وفي عام ٣٥٠ هـ ٩٦١م ، توفي أبوعلی خازن معز الدوله وكان رجلاً كثير التمويه متفاقراً ، يظهر الفقر والاقتصاد ، حتى كان معز الدوله يعتقد أنه بائس لا يملك شيئاً ؛ فاستأذن الوزير المهلبى معز الدوله في البحث عن أمواله ، واستعمل طريقه رجال الشرطه ؛ فقبض على غلمانة . وكان يخلو ببعضهم ويرهبه ويرغبه ، حتى استطاع أن يعرف أن أبا على الخازن طرد غلاماً له مزينا حبشياً من حجره موسومه به ، وجلس في هذه الحجره للخلوه أياماً ؛ فعبر الوزير المهلبى دار أبى على والنمس حجره المزين ، فحفر فيها ، فظفر بمال ؛ وكان في جملة المدفون آله شبيه الميزان من خشب الساج ، لا شئ فيها ، فعجب منها ؛ ثم قلبها فوجد عليها كتابه بخط ودى ، فإذا هى أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شئ ؛ فلم يشكّ الوزير أنها أسماء قوم موّدين وأن الرموز مبلغ ما عندهم من المال ؛ ولم يزل يستعمل الدهاء وال . فى فك الرموز ومعرفه المعاملين حتى صحّ له ذلك ، وبطش بمن

اهتدى إليه حتى حصل منهم على المال (١).

وكان أحد الأغنياء إذا مات جرّ مؤته ال . لأهله ولكل من يتصل به من الكتاب ولاجها بذه والأصدقاء ؛ فكاواى . ويستتروا ويمتنعون من تسليم الوصيه للحكومه ، حتى لا تهتدى إلى مكان التركة ووجوها ؛ وقد حدث مثل هذا عند وفاه أحد العلويين إلى أن ت ..أمر التركة أخيراً على خمسين ألف دينار تحمل إلى الخزانة صلحاً على التركة (٢).

والرسوم الجمركيه غير جائزه فى الشريعه الإسلاميه ، إذا دققنا النظر فى أحكامها . ورغم هذا ..مراصد المكوس كانت منتشره فى كل مكان . وقد حاول الفقهاء أن يحلوا هذه المسأله بأن اعتبروا الضرائب الجمركيه داخله ضمن الزكاه ، وهذا بالنسيمه للمسلمين على الأقل ؛ ومن هذا نشأت فكره أن التاجر يستطيع أن يطوف عاما كاملا- أينما شاء من حدود البلاد معفى من المكوس متى رفع المكس مره واحده ، وهو العُشر ، وأنه لا بد له أيضا أن يدفع ضريبه ما معه عين المال على معدّل رُبع العُشر (٣).

١- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٩ ٢٤٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٧٨ ٣٧٧ .

٣- ترجمه فستنقلد لمختصر صبح الأعشى ص ١٦٢ ، وصبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦١ ، ٤٦٢ ، يجب على غير المسلمين من التجار من حيث الحكم النظرى أن يدفعوا عن بضائعهم عند الحدود من الضرائب ما يدفعه المسلمون فى تكل البلاد ، وهو العشر عاده ، ويعطى التاجر بذلك براءه . من الرور دون أن يدفع شيئا مده عام ؛ انظر شرح السرخسى (المتوفى عام ٤٩٥ هـ ١١٠٢) على الشيبانى ، مخطوط ليدن ، كما ذكر ذلك دى غزى. ٢٦٥؛ ed nr iekrevslednela ahnoitanetne ijeog s.١٩٠٩ newed ueeieddim ؛ negne nileededemgalrev red k.daka.v nepehcsnetew ؛ على أن العلماء ليسوا متفقين فى أمر المكوس ، فبعضهم يقضى بدفع نصف العشر إلا الخمر فيوءخذ عنه العشر (كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٥١) ويذهب البعض الآخر إلى وجوب دفع العشر عموماً (كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٨٠ ٧٦)؛ والمفتى به عند الشافعيه أن للأمام أن يزيد عن العشر أو ينقص عنه إلى نصفه للحاجه إلى زياده الاستراد وأن يرفع المكس رأسا إذا رأى فى ذلك مصلحه ، وعلى أى حال فإن الضريبه كانت شخصيه . وإذا عاد التاجر الذى دفعها فى اثناء السنه ومعها بضائع لا يلزم بدفع شئ إلا إذا كان قد وقع التراضى معه على ذلك (مختصر صبح الأعشى للقلشندى ترجمه فستنقلد ص ١٦٤ ، وصبح الأعشى نفسه ج ٣ ص ٤٦٣ من طبعه القايره (دار الكتب) ؛ وليس عندنا معرفه دقيقه نستطيع استخلاصها مما ذكر من أن التاجر أبا دلف الذى سافر إلى الصين عام ٣٣٣ هـ ٩٤٤م دفع العشر عن بضائعه فى الصين (ياقوت فى معجم البلدان تحت كلمه صين) ، ومن أن مراكب الروم والأسبان والمغاربه كانت تلزم بأن تدفع العشر للسلطان فى طرابلس (ناصر خسرو ص ١١٢) ، لأن كلمه عشر يمكن أن تؤخذ بمعنى الضريبه وبمعنى إخذ الضريبه . على المعاهدات التجاريه التى أبرمت مع البييرين سنه ١١٥٤ هـ ١١٧٣م تنص على أن تكون الضريبه هى العشر انظر eduahcs ١٤٩ s:ff. reklov s:ff. net red amorhchicsegsledneh .

وكانت التعريفه الجمركيه فى الواقع مختلفه ، فكان يوءخذفى جدّه عن كل حمل من الحنطه نصف دينار وكيل من فرد الزامله ، وعلى سفظ ثياب الشطوى ثلاثه دنانير ، وعلى سفظ الدببى ديناران ، وعن حمل الصوف ديناران . وكان يوءخذ بالقلزم (السويس) عن كل حمل درهم ؛ وكانت تفرض رسوم فى الموانى العربيه الأخرى . ولكن المكوس كانت أقل مما تقدم ، وكانت الضرائب توءخذ بالإسكندريه على المراكب الآتية من الغرب وبالفرما على مراكب الشام(١).

وكان لصغار ملوك العرب على اختلافهم مراصد برّيه تدفع إليها الضرائب على

١- المقدسى ص ٢١٣ والصفحات التالیه ؛ وكانت الضرائب فى عدن ثقيله ؛ وقد قُدّر أنه يعمل إلى خزانه السلطان ثلث أموال التجار . ويظهر أن هذا كان يختص بعمان أيضاً كما فى بعض النسخ (انظر ص ١٠٥ فى الهامش) .

تفاوت فى القيمه ؛ فكان بعضهم يأخذ نصف دينار عن كل حمل ، وأكثرهم كان لا يأخذ عن الحمل إلا درهما (١).

أما العراق فكانت كثيره المراصد فى البر والبحر والنهر ؛ وكانت البصره مشهوره بتفتيش صعب وشوكات منكره . وفى عهد المقدسى كان على باب البصره عند حدود مملكه الخليفه من حدود بلاد القرامطه ديوان للقرامطه وديوان آخر للديلم ، حتى لقد كان يوءخذ على الغنمه الواحده أربعه دراهم (أى ضعف ثمنها) . وكان الديوان لا يفتح إلا ساعه من النهار (٢).

وكان يوءخذ من كل حمل دخل اليهوديه ، وهى القسم التجارى فى أصفهان ، ثلاثون درهما (٣).

وكان الخراج فى طوران يوءخذ عن الحمل ستظ دراهم إذا دخل وكذلك إذا خرج ، ومن الرقيق اثنا عشر إذا دخل حسب ، وإن كان من نحو الهند فعشرون من الحمل ، وإن كان من قبل السند فعلى حسب القيم (٤).

وكانت توءخذ فى المملكه الإسلاميه ضرائب على المصادرات ، كما كان الحال فى كل العصور القديمه . وقد نص الفقهاء على أنه ينبغى أن يكون للإمام مسالح على المواضع التى تنفذ إلى بلاد أهل الشرك ، فيفتشون من يمر بهم من التجار ؛ فمن كان معه سلاحٌ أخذ منه ورُدّ ، ومن كان معه رقيق رُدّ ، ومن كان معه كتب قرئت كتبه ؛ فإن كان فيها خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذى

١- مقدسى ص ١٠٥ .

٢- نفس المصدر ص ١٣٤ ١٣٣ .

٣- نفس المصدر ص ٤٠٠ .

٤- نفس المصدر ص ٤٨٥ .

أصيب معه الكتاب وُبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه(١).

وفيما وراء النهر كان لا يعبر الرقيق نهر جيحون إلا بجواز من السلطان ، ويأخذ مع الجواز من سبعين إلى مائة درهم ، وكذلك على الجوارى بلا- جواز إذا كانوا أتراكاً ، ويؤخذ على المرأة عشرون إلى ثلاثين درهما ، وعلى الجمل درهما ، وعلى قماش الراكب درهم(٢).

أما في بلاد طوران فكان يؤخذ الخراج من كل ما خرج إلا الرقيق، فكان لا يؤخذ عنه إلا إذا دخل(٣)

وفي جنوب جزيره العرب كان لا يؤخذ بمدينة عثر إلا عمّا يخرج(٤).

وكان يعطى للمصدرين جوائز بكرمان ، وذلك لكثرة التمر ، حتى إن الجمالين كانوا يحملون التمر مناصفه إلى خراسان ، ويقصدها كل سنه نحو مائه ألف جمل، ويعطى السلطان كل جمل ديناراً(٥).

وقد وصف الراحلون صعوبه التفتيش في عدن بنوع خاص(٦).

وشكا ابن جبير الرحاله الأندلسي في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) مما عومل به في الإسكندري، قال :« فمن أول ما شاهدنا فيها يوم كزولا أن طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما جلب فيه ،

١- كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١١٧ .

٢- المقدسي ص ٣٤٠ .

٣- نفس المصدر ص ٤٨٥ .

٤- نفس المصدر ص ٤٨٥ .

٥- نفيس المصدر ص ٤٦٩ .

٦- نفس المصدر ص ١٠٥، في الهامش .

فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحداً واحداً ، وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، وسُئِلَ كل واحد منهم عما لديه من سِلَعٍ أو ناضٍ ليوءدى زكاه ذلك كله ، دون أن يبحث عما حال عيه الحول من ذلك أو مالٍ يُحُلُّ ؛ وكان أكثرهم مشخّصين لأداء الفريضة ، لم يستصحبوا سوى زاد لطريقهم (١) ، فألزموا أداء زكاه ذلك دون أن يسأل هل حال عليه الحول أم لا ؛ واستُزِلَ أحمد بن حسان منا ليسأل عن أبناء المغرب و سلع المركب ، فطيف به مرقباً على السلطان أولاً ، ثم على القاضى ، ثم على أهل الديوان ، ثم على جماعه من حاشيه السلطان ؛ وفى كلّ يستفهم ثم يقيد قوله فخلّى سبيله ، وأمر المسلمون بتنزيل أسبابهم ، وما فضل من أزودتهم . وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم ، وحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان فاستدعوا واحداً بعد واحد ، وأحضر مالكل واحد من الأسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الأسباب ؛ ما دقّ منها وما جلّ ، واختلط بعضهم ببعض ، وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثاً عما عسى أن يكون فيها ؛ ثم استحلفوه بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا ؛ وفى أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لا اختلاط الأيدي وتكاثر الزحام ، ثم أُطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم ، نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك» (٢).

ولما كان من الأمور المقرّره أن الدوله الإسلاميه ملك للمسلمين ، فقد قُضى منذ أول عهد الإسلام بالفصل بين بيت المال العام وبين خزانة الخليفه ، وهى المسماه بيت مال الخاصه ؛ ولكن لما كان الذى يتولى الإنفاق من هاتين

١- يقضى الفقهاء بإعفاء الزاد من الضرائب ج ترجمه فستفلد لمختصر صبح الأعشى ص ١٦٢ .

٢- رحله أبى الحسن محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى ، طبعه ليدن سنه ١٨٥٢ ص ٣٦ ٣٥ .

الخزانتين رجلاً واحداً لا يقدم حساباً لأحد، فقد كان مدى انفصالهما مسأله تتعلق بضميره(١).

ولذلك ترددت حكايات موءثره فيما بعد تبين مقدار عنايه كل من أبى بكر وعمر بالفصل بين مال امسلمين ومالهم الخاص . وكان هناك توازن بين بيتى المال ، فكان إذا نقد ما فى بيت المال العام يجب على بيت مال الخاصه أن يمد يد المعونه حتى لا تفلس الدوله (٢)؛ وعندنا دليل من رقعته للوزير على بن عيسى ، على أن الخليفه المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ هـ ٩٠١ ٨٩٢ م) ، وكذلك الخليفه المكتفى (٢٩٥ ٢٨٩ هـ ٩٠٧ ٩٠١ م) ؛ على ما عرف به من النظر فى القليل اليسير ، كانا ينفقان من بيت مال الخاصه الجمله بعد الجمله (٣).

ولم يكن اللجوء إلى بيت مال الخاصه فى عهد المعتضد قد صار رسماً جارياً ، ومما يحكى أن أحد الوزراء استخلف ابنه على الوزارة لما خرج من بغداد ، فضاقت الأموال على الولد ، واشتدت المطالبه بالاستحقاقات ، فدعته الضروره إلى طلب قرض من الخليفه ، فكتب الوزير لابنه موبخاً معنفاً ، وأعلمه أنه قد أخطأ وأساء ، وجنى على نفسه ، وعلى أبيه جنايه لا يمكن تلافيتها ، وأنه كان يجب أن يستسلف المال من التجار ، ويلتزم من ماله ومال أبيه قدر الربح فيه ، ولا يفعل ما فعله(٤).

-
- ١- كان للوزير ، وهو رئيس بيت المال العام ، شئ من الإشراف على بيت مال الخاصه أيضاً ، لأنه كان يوقع فى آخر رقع الصرف بعد توقيع كبار روءساء الحاشيه (كتاب الوزراء ص ١٤٠) .
 - ٢- وفى عصرنا هذا كثيراً ما رأينا السلطان عبد الحميد يمد بيت المال من ثروته .
 - ٣- كتاب الوزراء ص ٢٨٤ .
 - ٤- كتاب الوزراء ص ١٨٧ ١٨٨ .

وفى عهد الخليفة المقتدر (٣٢٠ ٢٩٥ هـ ٩٣٢ ٩٠٧) استُتْرِف بيت مال الخاصه ، وذلك لأن الميل أُخذ منه بزعم إعادته متى تحسّن الحال ، وفى عام ٣١٩ هـ ٩٣١م عرض الوزير على المقتدر ما كان من العجز وهو سبعمائه ألف دينار ، وقال له : ليس لى معول إلا- على ما يطلقه أميرالموءنين لأنفقه، فعظم ذلك على المقتدر ، وكتب أحد المتطّلّعين للوزاره إليه رقعته يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير أن يطلب منه شيئاً ، وأن يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار تذهب إلى بيت مال الخاصه ، فقلّده الخليفه الوزاره ، ولكنه عُزل فى العام التالى ، ووُجد أنه احتال بأن أضاف إلى ما يقدرُ حصوله من النواحي أموالَ نواحٍ قد خرجت عن يد السلطان بتغلب من تعلق عليها ، وأسقط من النفقات زيادات الند والحاشيه ، ولم يسقط من الأموال التى يقدرُ حصولها من النواحي ارتفاع ما باع من الضياع . وإنما أراد بهذا كله أن يجعل تقدير النفقات مقاراً لارتفاع الأموال من النواحي ليسكن بذلك قلب المقتدر ، فكانت الحسبه التى قدمها مموهته (١).

وفى عام ٣٢٩ هـ ٩٤٠م طلب الوزير من الخليفه خمسمائه ألف دينار ليقرقها فى الجند ، فامتنع عليه ، ثم أنفذها إليه بعد التهديد (٢).

وكان يجب على الخليفه بحكم أنه الرئيس الروحي للمسلمين أن يقوم بنفقات موسم الحج ، ونفقات الغزوات الصئفظ ، وفداء أسرى المسلمين ، والقيام بنفقات الرسل الواردين ، وذلك من بيت المال الخاصه (٣).

١- مسكويه ج ٥ ص ٣٥٢ ٣٥١ ، وابن الأثير ج ٨ ص ١٧٦ .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٩ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٢ ، ولذلك تجد الوزير ابن الفرات يطلب من المقتدر أن يعطيه من بيت مال الخاصه ما يصرفه فى نفقات عيد النحر ، فيمنعه الخليفه ويلزمه القيام به من جهته ؛ كتاب الوزراء ص ٢٨ .

أما العطايا وكل ما يتعلق بنفقات دار الخلافة ، فكان يؤخذ من بيت المال العام (١).

وعندنا بيان يرجع إلى أول القرن الرابع مشتمل على وجوه الأموال التي تُحمل إلى بيت مال الخاصه (٢).

(١) الأموال المخلفه التي يتركها الآباء لأبنائهم في بيت المال . ويقال إن الرشيد خلف أكبر مقدار من المال ، وهو ثمانيه وأربعون ألف دينار ؛ وكان المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩هـ) يستفضل في كل سنه من سني خلافته ، بعد النفقات ، مما كان يحصله بيت مال الخاصه ألف دينار ، حتى اجتمع في بيت المال تسعه آلاف ألف دينار ، وكان يريد أن يتمها عشره آلاف ألف دينار ، ثم يسبكه ويجعلها نقره واحده ؛ ونذر عند بلوغ ذلك أن يترك عن أهل البلاد ثلث الخراج في تلك السنه . وأراد أن يطرح السبكه على باب العامه ليبلغ أصحاب الأَطراف أن له عشره آلاف ألف دينار ، وهو مستغن عنها ؛ فاختر منه المنيه قبل بلوغ الأمنيّه (٣).

١- كتاب الوزراء ، ص ١٠ والصفحات التاليه .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٣٨٥ ٣٨١ وهو بيان الأموال التي أتلّفها المقتدر .

٣- كتاب الوزراء ص ١٨٩ ، وكان بيت مال الخاصه الذي بناء المعتضد قلعه قد سبب في أثقالها الرصاص ؛ وكانت الأكياى التي يوضع فيها المال تختم بخاتم خازن بيت المال ، وكان بعض الملوك في القرن الرابع يجعلون المال في الصناديق إلا الأخشيد صاحب مصر فإنه لبعده نظره كان يقول: لا تجعلوا المال في الصناديق فإن الصناديق مطلوبه ، بل اجعلوها في خزائن السلطان فكانت توضع في أعدال الجواشن التي لا يتنبه إليها أحدا (المغرب لا بن سعيد ص ٤٤) .

ثم جاء المكتفى بعد المعتضد (٢٨٩ هـ ٢٩٥ هـ) ، فأبلغ المدخر إلى إربعه عشر ألف دينار (١).

(٢) مال الخراج والضياح العامه الذى يرتفع من أعمال فارس وكرمان (بعد إسقاط النفقات) ؛ وبلغ مقدار ذلك فى كل سنه منذ عام ٢٩٩ هـ إلى ٣٢٠ هـ (٩٣٢ ٩١١ م) ثلاثه وعشرين ألف ألف درهم ، منها أربعه آلاف ألف درهم كانت تحمل إلى بيت مال العامه ، والباقي ، وهو تسعه عشر ألف ألف درهم ، إلى بيت مال الخاصه .

ويجب أن نسقط من ذلك النفقات الحادته التى تتطلبها هذه البلاد، فى عام ٣٠٣ هـ ٩١٥ م أنفق الخليفه لفتحها ما يزيد على سبعة آلاف ألف درهم (٢).

(٣) أموال مصر والشام ، وكانت جزيه أهل الذمه مثلا تحمل إلى بيت مال اخليفه باعتباره أميرالمؤمنين ، لا إلى بيت مال العامه (٣)؛ وهذا ما يجب للخليفه نظريا .

(٤) المال الذى يوءخذ من المصادره لأموال الوزراء المعزولين والكتاب والعمال وما يحصل من ارتفاع ضيعاتهم ، والمال الذى يوءخذ من التركات (٤).

١- انظر عدا مسكويه كتاب الوزراء ص ٢٩٠ وما بعدها ؛ (ويحكى ال .فى كتاب الوزراء ص ١٣٩ غير هذا) انظر sunebisin saile (الذى ولد عام ٣٦٤ هـ ٩٧٤ م) ص ٢٠٠ نقلًا عن محمد بن يحيى .

٢- هذا المبلغ يعرف من مقارنه النصوص ومن أن مال البيعه والفتح بلغ بضعه عشر ألف ألف دينار (مسكويه) ، على حين أن مال البيعه وحده بلغ فى الدفعه الواحده ثلاثه آلاف ألف دينار (كتاب الوزراء ص ٢٩٢) .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٩٦ ب .

٤- كان الخليفه يرث مال الخدم ومال من لا ولد له من موالى أسره الخلافه. ولما كان هوءلاء فى الغالب سادظ ذوى مناصب تدر الرزق الكثير فإن مالا كثيراً كان يجرى إلى خزانه الخليفه ، وفى عام ٣١١ هـ ٩٢٣ م توفى القائد المسن يأنس الموقفى ، وكان ذا غلمان وسلاح ، فكان ينزل عند سورداره من خيار الفرسان والغلمان والخدم ألف مقاتل ، وقد خلف ، فيما خلف ، ضياعا تغل ثلاثين ألف دينار (عريب ص ١١٦ ١١٥)؛ وفى عا ٣٠٢ هـ ٩١٤ م مات بدعه المغنيه جاريه عريب ، (هكذا تسمى فى الأغاني ج ١٨ ص ١٧٩ ١٧٥ ، وفى كتاب بغداد لطيفور طبعه rellek ص ٣٨٠ ، ليست عريب كما يريد دى غوى فى كتاب عريب بن سعيد ص ٥٤) التى لم يكن بين جوارى المأمون امرأه « أضرب منها ، ولا أحسن صنعها ، ولا أحسن وجهاً ولا أخف روحاً ، ولا أحسن خطاباً ، ولا أسرع جواباً » وقد خلفت مالا كثيراً وجوهراً وضياعاً وعقارات ؛ فأمر المقتدر بقبض ذلك كله (عريب ص ٥٤) .

(٥) ما كان يحمل إلى بيت مال الخاصه من أموال الضياع والخراج بالسواد ولأهواز والمشرق والمغرب .

(٦) ما كان يستفضله الخلفاء ، فكان كل من الخليفين الأخيرين في القرن الثالث الهجرى (وهما المعتضد والمكتفى) يستفضل في السنه ألف ألف دينار ؛ وكان سبيل المقتدر أن يستفضل مثلها فيكون مبلغه في خمس وعشرين سنه خمسه وعشرين ألف ألف دينار أعنى نحواً من نصف ما خلفه الرشيد(١) . ولكن المقتدر أتلّف كل هذه الأموال الطائله حتى لم يبق في بيت مال الخاصه بعد ما أنفق في محاربه القرمطى عام ٣١٥هـ ٩٢٧م إلا خمسمائه ألف دينار (٢)

ولم يكن في سائر دواوين الإسلام ديوان أصعب عملاً وأكثر أنواعاً من ديوان فارس ، لاختلاف ربوعها وتقارب الأخرجه على أصناف زروعها واختلاف أبواب أموالها وتشعب الأعمال على المتقلّدين لها (٣).

١- هنا خطأ في كلام الموءلف أصلحته بالرجوع إلى الأصول العرييه (المترجم) .

٢- انظر مسكويه ج ٥ ص ٣٠١ ، ٣٨٥ ٣٨١ .

٣- الاضطخري ص ١٤٦ .

وقد نبغ في دواوينها الكثير من العمال. أما ضرائبها فيقول المقدسي: ولا تسأل عن ثقل الضرائب وكثرتها، ويقول: فرأت في كتاب بخزانه عضد الدولظ. أهل فارس أنجع الناس بطاعه السلطان، وأصبرهم على الظلم، وأثقلهم خراجا، وأذلهم نفوسا، وهم لم يعرفوا عدلا قط (١).

وكانت فارس في عام ٣٠٣هـ ٩١٥ تدفع ضرائب تفوق غيرها بكثير (٢) فليس غريباً أن نجد البلخي يخصص لفارس أطول مقاله من مقالاته السياسيه (٣).

وربما كان تنظيم هذه البلاد الجبلية متنوعاً منذ عهد الساسانيين، فكان فيها قلاع صخرية بعيدة المنال، وغابات؛ وأشرف يملكون أرضاً واسعة، فكان هذا من دواعي تكوين نظام إقطاعي كامل منذ ذلك الحين، حتى أن المقدسي يقول إن أكثر الضياع بها مقتطعه (٤).

ومع هذا كان النظام المالي من النمو بحيث أن الأكره الذين كانوا يزرعون الضياع السلطانيه بالمقاسمه أو المقاطعه كان عليهم ضرائب يوءونها دراهم (٥).

وكان يفرض الخراج على أساس ما إذا كانت الأرض تسقى أولاً تسقى؛ وإذا كانت تسقى فهو على أساس ما إذا كانت تسقى بآله أم بغير آله؛ فإن كانت لا تسقى بالآلات دُفع عنها مقدار هو المعيار، ويوءخذ ثلثا ذلك عما يسقى بآله

١- المقدسي ص ٤٥١، ٤٤٨.

٢- Kermer. Einnahmebudget S. ٣٠٨.

٣- الاضطخري ص ١٥٦ وما بعدها، وابن حوقل ص ٢١٦ وما بعدها.

٤- المقدسي ص ٤٢١.

٥- الاضطخري ص ٥٨.

ونصفه عما لا يسقى قط (١).

وأما خراج الشجر والغروس المثمره ، ومنها الكرم ، فقد كان الخليفة قد أسقط عنه الخراج ؛ ولكن أصحاب خراج الزرع شكوا إلى الخليفة المقتدر ثقل الخراج عليهم بسبب ما ألزموه من التكملة ، فحُرم أهل الشجر مما كانوا يتمتعون به من الإعفاء وفُرضت عليهم الضرائب ؛ فكان يدفع عن الجريب الكبير من الكرم ألف وأربعمائة وخمسه وعشرون درهما (٢) ، وعلى كل نخله ربع درهم (٣).

وكانت الطواحين احتكاراً للسلطان ، وكذلك أجره الدور التي يعمل فيها ماء الورد (٤).

وفي مدن فارس كانت أراضي الأسواق وشوارعها ملكاً للحكومة تأخذ عنها أجراً ؛ أما الدور فكانت ملكاً لأصحابها .

(٧) وكان فقهاء المسلمين يعتبرون كل مازاد عن الضرائب الشرعية (وهي عشر الأرض والزكاه وجزية أهل الذمه) ضرائب غير قانونية .

ولذلك أبطل الوزير التقي على بن عيس المكس بمكة وجبايه الحمور بديار ربيعه (٥).

ولهذا السبب أيضاً نجد الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر حينما أراد أن يرجع إلى أصول الإسلام الأولى ، يسقط جميع الرسوم والمكوس التي جرت العاده بها ،

١- الاضطخري ص ١٥٨ ١٥٧ .

٢- نفس المصدر ص ١٥٧ ، وكتاب الوزراء ص ٣٤٢ ٣٤١ .

٣- مقدسى ص ٤٥٣ ٤٥٢ .

٤- الاضطخري ص ١٥٨ .

٥- كتاب العيون ص ٨٢ ، وهذه ما يسميها ابن حوقل (ص ١٤٢) صرائب الخمر .

و سرعان ما أعيدت في عهد خلفه إلى ما كانت عليه (١).

وكما أن فارس كانت هي البلاد المعروفة بخراجها ، فقد كانت مصر أرض المكوس؛ ويدل بيان وجوه المال في عهد الفاطميين على أن كل شئ كانت تفرض عليه المكوس ، ولم يسلم من ذلك إلا الهواء (٢)؛ وكان لابد أن يدفع في جملة مبلغ الضرائب جزء من اثني عشر منها « وضيعة » وعُشر « للصرف » وجزء من مائه للبراءة (٣).

والمؤرخون الإسلاميون الذين يعتبرون أن الإدارة الإسلامية الأولى هي التي تتمشى مع الشريعة يصفون ابن المدبر الذي ولي خراج مصر بعد سنه خمسين ومائتين بأنه من «شياطين الكتاب»؛ لأنه أول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر (٤).

ولكن هذه المكوس لم تكن حديثه بل كانت موجوده على عهد البطالسسه والرومان والبوزنطيين ، « وكان الإنسان لا يتمالك أن يسأل نفسه : هل بقى بمصر

١- يحيى بن سعيد ص ١٢٣، ١٣٣ ب .

٢- انظر الخطط للمقريزي مثلا ج ١ ص ١٠٣ وما يليها و .

٣- Hofmeier, Islam, Iv, S. ١٠٠ ff .

٤- الخطط للمقريزي ج ١ ص ١٠٢. قال أبو الحسن بن المدبر إنه كان يتقلد الديوانسين بالعراق يريد ديوان المشرق وديوان المغرب؛ فلا يبيت ليله من الليالي وعليه عمل أو بقيه منه ، ثم تقلد عمل مصر فكان ربما بات وقد بقى عليه شئ من العمل فيتمه إذا أصبح (ابن حوقل ص ٨٨) ، كذلك يخبرنا يحيى بن سعيد أن عيسى بن نسطورس الذي تقلد الوزارة بمصر قرب أواخر القرن الرابع الهجرى أحدث رس.١ مكوسا جائره ويحيى بن سعيد مواطن معاصر لعيسى ، وهو نصرانى مثله (يحيى بن سعيد ص ١١٣ ب).

اليوم شئ مما يمكن أن تفرض عليه المكوس بدون مكوس؟(١)

ويظهر أن الإسلام فى العهد الأول من لم يقض على الكثير من الوسائل الاقتصادية القديمة التى جرت العاده باللجوء إليها لا متصاص ثروه الناس (٢). وقد ذكر المقدسى أن الضرائب بمصر ثقيله وبخاصه فى تيس وهى مدينه بمصر تحيط بها المياه مشهوده بمنسوجاتها (٣)

وقد بلغ من شده وطأه الضرائب بها وكثره الرسوم أن اهلها شكوا إلى البطريق وهو ماژ بمصر حوالى عام ٢٠٠هـ ٨١٥م أن الواحد منهم يلزم بدفع خمسه دنانير فى كل عام ، وهو مبلغ لا يقدرن عليه ؛ وتستعمل القسوه فى تحصيله منهم (٤)، وقد بقى النظام القديم قائما بتفاصيله . وظلت الإسكندريه محافظه على مكانتها الخاصه التى كانت لها فى عهد البطالسه (٥) حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ، حيث نجد فى إحصاء أموال الدوله أفرادَ باب خاص عنوانه : مصر والإسكندريه (٦) فقد حافظت الإسكندريه على مكانها باعتبارها .مستقلا بجبايته ، كما كان الحال على عهد البطالسه ؛ بل نجد القلقشندى ، بعد القرن الرابع

١- انظر ٤١٠, Wilken, Griech, Ostraka.

٢- انظر أوراق البردى (التى نشرها بكر Becker؟)، وكان المهدى ١٦٩ ١٥٨هـ أول من فرض جبايه على الأسواق وجعل عليها أجره وذلك فى بغداد (تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٨١، طبعه ليدن ١٨٨٣) وفى مصر (الولاة للكندى ص ١٢٥).

٣- المقدسى ص ٢١٣ .

٤- انظر الفصل الخاص باليهود والنصارى .

٥- Wilken, Griech. Ostraka, S.٤٣٣.

٦- Kermer, Einnabmebudget, S. ٣٠٩.

بكثير ، يقول إن الإسكندرية توءدى خراجها إلى خزانة السلطان راساً (١).

هذا إلى أن حق الملكية المطلقة عند الفراعنه ، وهو الذى ورثه البطالسه والرومان والبوزنطيون ، كان له شأن كبير فى تشريع العرب المتعلق بالضرائب (٢).

(٨) وكذلك بقى بمصر نظام الاحتكار فى الاقتصاد قوته. ويحكى لنا القدسى الذى زار مصر فى أوائل عهد الفاطميين : « أما الضرائب فتقيله بخاصه تيسر ودياط وعلى ساحل انيل ، وأما ثياب الشطويه فلا يمكن القبطى أن ينسج شيئاً منها إلا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ، ولا تُباع ذلاً على يد سماسره عُقدت عليهم ؛ وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ، ثم تُحمل إلى من يطويها ، ثم إلى من يشدها بالقشر ، ثم إلى من يشدها فى السفط وإلى من يحزمها ؛ وكل واحد منهم له رسم يأخذه ، ثم على باب الفرضه يوءخذ أيضاً شئ ، وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند إقلاعها . ويوجد بتيسر على زق الزيت دينار ، ومثل هذا وأشباهه ، ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال . رأيت بساحل تيسر ضرائباً جالسا ، قيل : قبالة هذا الموضع فى كل يوم ألف دينار ، ومثله عدده على ساحل البحر بالصعيد وساحل الإسكندرية .» (٣)

أما فى المشرق فلم تفرض الضرائب على البضائع إلا- فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وقد فرض عضد الدوله (المتوفى عام ٣٧٤هـ) فى آخر أيام

١- ترجمه مختصر صبح الأعشى ص ١٥٨ .

٢- القدسى ص ٢١٣ ٢١٢ .

٣- المقدسى ص ٢١٣ .

دولته رسوماً على بيع الدواب وغيرها من الأمتحه وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلها متجراً للخاص (١) ولذلك قال الشاعر :

أفى كل أسواق العراق إتاوه وفى كل ما باع امرء مكس درهم (٢)

ولما عزم صمصام الدوله بن عضد الدوله ببغداد فى عام ٣٧٥ هـ ٩٨٥م أن يضع على الثياب الإبريسم والقطن المبيعه ضريبه مقدارها عُشر النمن اجتمع الناس فى جامع المنصور ، وعزموا على قطع الصلاه ، وكاد البلد يفتتن ، فأعفوا من ذلك (٣).

وفى عام ٣٨٩ هـ ٩٩٨م أريد مره أخرى وضع العُشر على ما يعمل من الثياب الأبريسيات والقطنيات بمدينة السلام ، فثار الناس وقصدوا المسجد الجامع بالمدينه ومنعوا الخطبه والصلاه ، وأحرقوا دار الحمولى ، فلم يبق فيها جدار قائم ، واحترق ما كان فيها من حسابات الدواوين ، وقبض على جماعه من ال .اتهموا بما جرى وعوقبوا ؛ واستقرَّ الأمر على أخذ العُشر من قيم الثياب الأبريسيات خاصه ، ووضعت الختوم على كل ما يقطع من المناسج ويبيع ويحمل (٤).

ولم يقتصر أمر الضرائب على أدوات الترف ، بل تعداها إلى الضروريات ، ففُرضت ضريبه على الملح . وفى سنه ٤٢٥ هـ ١٠٣٣م خاطب الدينورى الزاهد

١- ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٥ .

٢- انظر ماده مكس فى الصحاح للجوهرى .

٣- المنتظم ص ١٢٣ ب ، وابن الأثير ج ٩ ص ١٦ ، ٣٣ نقلا عن التاجى للصابى المعاصر لذلك العهد .

٤- كتاب الوزراء ص ٣٦٧ ٣٦٨ .

الملك فى إزاله ضرائب الملح ، وأعمله ما يصيب الناس من الأذى بذلك ، الملك طلبه ، وكتب برفع هذه الضرائب منشوراً قُرئ فى الجوامع ، وكتب على أبوابها بلعن من يتعرض لإعاده هذه الجبايه ، وكان ارتفاعها ألفى دينار فى كل سنه (١).
على أن المصريين لم يثوروا أبداً بسبب شئ من هذه الضرائب .

أما فى الشام فكانت ضرائب البضائع هينه ؛ ولكن كان فى بيت المقدس ضرائب ثفال على ال . فلم يكن يجوز لأحد أن يبيع شيئاً مما يرتفق به الناس إلا بها ، وثمّ رجالٌ على أبوابها وآخرون على ما يباع فيها (٢).

وكان من الضرائب التى اختص بها هذا الإقليم ضرائب الحمايه على من يكون عنده مركب مثلاً ، وكان الذى يأتى من ذلك يعادل ما يأتى من خراج الأرض (٣).

وكانت الضرائب فى البلاد التى تسبتلى بها تختلف باختلاف الحكام ؛ بقول ابن حوقل فى كلامه عن الشام: «فأما خراجاتها وأعشارها ومرافق سلاطينها ، فكان ذلك على أوقات مختلفه بقوانين متباينه وجبايات ناقصه وزائده ، وذلك أنها منذ سنه ثلاثين (٣٣٠هـ) بين قوم يتطاول أحدهم على الآخر ، وأكثرهم غرضه ما اجتلبه فى يومه وحصّله لوقتته ، لا يرغب فى عماره ولا يلتفت إليها

١- المنتظم لا بن الجوزى ص ١٨٨ .

٢- المقدسى ص ١٦٣ .

٣- نفس المصدر ص ١٨٩ ، وليس عندنا تفسير لمعنى الحمايه بيد موءلفى ذلك العهد ، وانظر إلى جانب ما ذكره دوزى فى ملحق القاموس (ج ١ ص ٣٣٠) ، فهرس المكتبه الجغرافيه ، وكتاب الخطط للمقريزى (ج ١ ص ٨٩) حيث يتكلم المقريزى عن حمايه المراكب ويقول إنها كانت تؤخذ بمصر من كل من ركب البحر حتى السوال والمكدين .

برؤيته ولا إشاره» (١).

وقد رأى هذا الموءلف نفسه ارتفاع الشام وما فى ضمنها من الأعمال والأجناد؛ ووقف على ذلك من جماعه على بن عيسى ومحمد بن سليمان لسنة ٢٩٦هـ، وسنه ٣٠٦هـ فكان ، بعد أرزاق العمال ، تسعه وثلاثين ألف ألف درهم (٢).

وكان بيت المال فى كل من هذين القطرين وهما الشام ومصر يقوم بالمسجد الجامع ، وهو شبه قُبّه مرتفعه محموله على أساطين ؛ وليت المال باب حديد وأقفال ، والصعود إليه على قنطره من الخشب ، وإذا صُيِّت العشاء الآخره أُخرج الناس كلهم من المسجد ، حتى لا يبقى فيه أحد ، ثم أُغلقت أبوابه ، وذلك لوجود بيت المال فيه (٣).

ونستطيع أن نسأل: هل هذا من الرسوم المصريه أو الشاميه قديماً؟ وهل كانت خزانه الكنيسه تُحفظ على هذه الصوره؟ ثم هل كانت الكنيسه فى العصر القديم والعصر البوزنطى خزانه للدوله لا مبعداً فقط؟ (٤) نلاحظ أنه حتى القرن الرابع الهجرى كان تضمين الأراضى لمستغليها بمصر يجرى فى المسجد الجامع كل أربع سنين ، فكان ينادى على البلاد صفقات فى جامع عمرو أمام متولى

١- ابن حوقل ص ١٢٨ .

٢- نفس المصدر ، وكلمه جماعه هنا هى اصطلاح ديوانى معناه الحساب الجامع (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٥٤) .

٣- كتاب الأعلام النفيسه لابن رسته طبعه ليدن ١٨٩١ ص ١١٦ ، والمقدسى ص ١٨٢ ، ويحكى الأصبخرى (ص ١٨٤) أن بيت مال أهل يرذعه ببلاد القوفاز كان بالمسجد الجامع ، وبلاحظ أنه على رسم الشام ، ويصفه بأنه مرصص السطح ، وعليه باب حديد ، وهو على تسعه أساطين .

٤- نارن ١٤٩ S. Wilken, Griech. Ostraka.

خراج مصر وكتابه ، وهذه عادة من عادات المصريين قديماً (١).

وقد ظلت العراق معظم القرن الرابع (حتى عام ٣٧٠ هـ ٩٨٠م) تحت حكم بنى حمدان ، وكانوا أمراء شبه مستقلين ؛ وهؤلاء الأمرآئ الذين لم يظهر من بينهم بالأعمال العظيمة والفروسيه إلا سيف الدوله صاحب حلب ، جاروا على الرعيه جوراً عظيماً ، وهو ما يفعله أهل البادية الذين لا يعلمون ولا يحسنون لشئ تعهداً. وكانوا أسوأ جميع حكام القرن الرابع . والترك والفرس الذين حكموا فى هذا القرن هم جميعاً كالأبء لرعتهم ، إذا قوربوا بالحمدانيين . ومما نشأ عن طبيعتهم البدويه أنهم كانوا لا يبالون بالشجر، ففى سنه ٣٣٣ هـ ٩٤٤م أغلقت مدينه حلب أبوابها فى وجه عسكر سيف الدوله ، فاقتلعوا كل الأشجار الجميله المحيطة بالمدينه ، وكانت هذه الأشجار ، كما يقول الشاعر الصنوبرى المعاصر لذلك العهد ، أكبر ما ازدان به الإقليم (٢).

وقد اغتصب الحمدانيون أكثر أرض العراق ، واشتروا منها القليل بسهم من أعشار ثمنها (٣) ، حتى صارت الموصل وأكثر أعمالها ملكاً لناصر الدوله ، وكان يضايق أصحاب الأرض حتى يلجئهم إلى البيع بأوكس الأثمان ، وطالت حياته وامتدت إيامه حتى استولى على الناحيه ملكاً ومُلكاً (٤)؛ وقد اكتسح الحمدانيون أشجار الفاكهه والبساتين ، وجعلوا مكانها الغلات والحبوب مثل القطن والأرزوالسمسم ، وجلا كثير من أهل هذه البلاد ، وكان ممن جلا بنو حبيب ، وهم بنوعم

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٨٢ .

٢- Wiistenfeld, Die Statthalter vonaegypten IV, S. ٣٦ .

٣- ابن حوقل ص ١٤٣ وما يليها .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٤٨٦ ٤٨٥ .

بنى حمدان ، فقد خرجوا بذرارهم ومواشيهم فى اثنى عشر ألف فارس إلى بلد الروم ، حيث أنزلوا على كرائم الضياع ، ثم عادوا إلى بلاد الإسم على بصيره بفسادها وعلم بطرقها ، وقلوبهم تضطرم حقدًا وتفور كيدًا ، فشَنُوا عليها الغاره سلبًا ونهبًا ، وصارت لهم بذلك عادة . وصادرت الحكومه أرض من جلا عن البلاد وسَيِّمَ بعضها إلى من بقى ، ولم يمكن لهوءلاء ترك البلاد، « وآثروا فطره الإسلام ، ومجبه المنشأ حيث قضوا أيام الشباب على مقاسمه النصف من غلاتها على أى نوع كانت ، وعلى أن يقَدِّر الأمير الدخل ويقومَه عيناً إن شاء أو ورقاً » . وفى سنه ٣٥٨ هـ ٩٦٨م بلغ حاصل نصيبين من الحبوب خمسه آلاف درهم ، عدا ضريبه الجماجم ، فإنها بلغت خمسه آلاف دينار ، وبلغت ضرائب الخمر خمسه آلاف دينار ، وبلغ ارتفاع ما يؤخذ عن الغنم والبقر والدوابّ والبقول خمسه آلاف دينار ، ورُفِع من الطواحين والضياع المقبوضه والمشتره وغلات العقار المسقّف من الحَمَّامات والهد كا كين سبعة عشر ألف دينار ، هذا ألف دينار ، هذا على أن جُلّ البلد قد خرب ، وناسه قد هلكوا ، وبادت الأشجار والبساتين ؛ فلما زال حُكْمَا الحمدانيين غُرست الأشجار وكثرت الكروم والفواكه (١).

فلا-عجب بعد هذا أن نجد ابن حوقل حوالى عام ٣٧٠ هـ ٩٨٠م يقول إن بنى حمدان هم أغنى ملوك الإسلام فى عهده إلى جانب عبد الرحمن الثالث خليفه الأندلس (٢).

وفى عام ٣٦٨ هـ ٩٧٨م فتح عضد الدوله بعض قلاع بنى حمدان ، فكان قيمه

١- ابن حوقل ص ١٤٣ ١٤٢ .

٢- Dozy, II s. ٥٧ .

ما فى القلعه عشرين ألف ألف درهم (١).

ومع هذا كانت تقوم بسبب دفع الجزيه منازعات مستمره بين الحمدانيين من جهه ، وبين بغداد وبوزنطه من جهه اخرى (٢).

أما إقليم خراسان الذى خضع فى أثناء القرن الرابع لأمر كثيرين فى مقدمتهم السامانيون والبويهيون ، فقد كانت الضرائب فيه على ما كانت عليه فى القرنين الثالث والرابع ، وقد لاحظ ابن حوقل مثل هذا فى هراه (٣) ، وهو يحسن الثناء على السامانيين ، وعلى حسن إدارتهم الماليه وضبطهم للأعمال فى شمال المملكه الإسلاميه وفى شرقها ، يقول ابن حوقل : وليس بأرض المشرق ملك أمتع جانباً ، ولا أوفر عده ، ولا أكمل عده ، ولا أنظم أسبابا ، ولا أكثر أعطيه ، ولا أدر طعاماً ، ولا أدوم حُسن نياتٍ منهم ، مع قله جباياتهم ، ونزور أخرجتهم ، وقلة الأموال فى خزائهم ، وذلك أن جبايه خراسان وما وراء النهر لأبى صالح منصور بن نوح فى وقتنا هذا ، لكل خراج يقبض وضمان يحل فى كل سته أشهر ، عشرون ألف ألف درهم . وعليه أربعه أطعام فى كل سنه دارظ غير مقطوعه ولا ممنوعه ، وكل طعم منها فى رأس تسعين يوماً ، يخرج منه إلى غلمانه وقواده ولسائر المتصرفين خمسه آلاف ألف درهم ، فتستوفى الأربعه أطعام الخراج الواحد لسائر خدمته من الرجال عند آخر السنه ، وتستوعب أعطيتهم نصف جباياته المذكوره ، وهى عشرون ألف ألف درهم عن نفس طيبه ومسرره ظاهره ، وغبطه بقيام المعدله فيهم تامه ..ولهذه الحال أعمالهم مشحونه بالقضاه والجبايه

١- مسكويه ج ٦ ص ٤٩٦ ٤٩٥ ، وقد كان مسكويه مكلفاً بإحصاء ما فى هذه القلعه .

٢- يحيى بن سعيد ص ٦٤ ب - ٦٥ ، و انظر مثلاً Elias Nisibeus, S, ٥١٥ نقلا عن ثابت بن سنان.

٣- ابن حوقل ص ٣٠٨ .

والكفاه ولأولاده، منزلين على أرزاق تتساوى ، وأحوال في المراتب تتداني ، وذلك أن رزق القاضى وصاحب البريد والعامل على جبايه الأموال من البنادره ووالى الصلاه والمعونه راتبهم بقدر كل ناحيه وحسب كل كوره ، وليس ينقص بعضهم عن بعض « (١) ».

وقد ارتفعت الجبايظ فى فارس فى عهد عضد الدوله أعظم حكام القرن الرابع ، من ٥٠٠ر ١٨٨٧ إلى ٢٠٠٠ر ١٥٠٠، وذلك فى عام ٣٠٦هـ ٩١٨م. أى أن زياده الدخل كانت تقرب من السدس (٢).

وقد كان فى استطاعه عضد الدوله أن ينفق عن سعه لأن دخله فى السنه كان ثلثمائه وخمسه وعشرين ألف درهم ، ولكنه « كان ينظر فى الدينار ويناقدش فى القيراط » ، كما يقول ابن الجوزى (٣).

أما مصر فقد حافظت فى الجمله على المستوى العالى الذى كانت فيه ، فقد استطاع أحمد بن طولون بما كان له من قوه عظيمه أن يستخرج خمسه آلاف ألف دينار فى القرن الثالث . أما فى خلال القرن الرابع بما كان فيه من اضطراب فقد اشتمل ارتفاعها على ثلاثه آلاف ألف ومائتين ونيّف وسبعين ألفاً من الدنانير ، وفى أواخر القرن بلغ الخراج على يد الوزير ابن كلس أربعة آلاف ألف (٤).

١- نفس المصدر ص ٣٤٢ ٣٤١ .

٢- ابن البلخى ٨٨٩، S. ١٩١٢، JRAS.

٣- المنتظم ص ١٢٠ب ، ويقال إن عضد الدوله كان يريد أن يبلغ بدخله إلى ثلثمائه وستين ألف درهم ليكون ، وفى روايه أنه كان يرتفع له كل عام اثنان وثلاثون ألف دينار ومائتى ألف دينار ، وهذا يدل على أن الدينار فى ذلك العهد كان يساوى عشره دراهم .

٤- تاريخ أبى صالح الأرمنى ص ٢٣ .

ولم يحدث في القرن الرابع تدهور مالي عام ، وكان الدخل يتوقف ، كما هو الحال دائما ، على الرجل القابض على ناصيه الحكم . ففي عام ٣٥٥ هـ ٩٦٥م أشار ابن العميد على ركن الوله أن يدبر ناحيه أذربايجان لنفسه ويرفع له منها خمسين ألف درهم ، وكانت بلاد أذربيجان غنيه ، ولكن كان عليها إبراهيم السلار ، وكان حاكما ضعيفاً سيئ التدبير مهملاً لأموورها مشتغلاً باللعب ، فلم يكن يرتفع منها أكثر من ألفي ألف درهم « وذلك بسبب إقطاعات الديلم والأكراد ، وبعد ما يستولى عليه قوم معتززون لا يتمكن من استيفاء الحقوق عليهم ، وبعد ما يضيع بالإهمال وترك العماره (١).

ولا نجد مثلاً للانحطاط الحقيقي الكبير في دفع الضرائب إلا في العراق ؛ وكان ذلك منذ النصف الثاني للقرن الثالث الهجري . وقد قدر ابن خردادبه ارتفاع العراق لسنة ٢٤٠ هـ ٨٥٤م بثمانيه وسبعين ألف ألف درهم ، وفي عام ٢٨٠ هـ ٨٩٣م ضُمن جزء كبير من العراق بألفي ألف وخمسمائه ألف وعشرين ألف دينار ، وهو نصف ما كان أو أقل (٢).

وقد بلغ خراج العراق في ميزانيه عام ٣٠٦ هـ ٩١٨م ٧٣٤ر ١٥٤٧ ديناراً ، وهو أقل من الثلث (٣)

وزاد الدخل بعض الزيادة في أثناء القرن الرابع ، ففي سنة ٣٥٨ هـ ٩٦٨م عقد

١- مسكويه ج ٦، ص ٣٩٢-٣٩٣، و Aedroz, Laiam, III, ٣٣٦.

٢- كتاب الوزراء ص ١٠ ولا- يفتق مع هذا ما جاء في ص ١٨٨ من هذا الكتاب من أن ارتفاع العراق للمعتضد بلغ الارتقاع في عهد عمر بن الخطاب ، والأرقام هنا غير صحيحه .

٣- Kermer Einnahmebudget, S ٣١٢.

ضمان العراق باثنين وأربعين ألف ألف درهم (١).

وعرض عضد الدولة بعد ذلك مثل هذا المبلغ (٢).

وكان الفرق بين حال العراق قديماً وبين ما آلت إليه فيما بعد عظيماً جداً ، فقد كان خراجها قديماً مضرب المثل في الكثرة ، حتى كان البعض يقول والله لو أعطيتني خراج العراق ما فعلت كيت وكيت (٣).

ثم آل الحال في آخر القرن الرابع إلى أن يقول عضد الدولة : غرضي من العراق الاسم ومن أركان (القسم الساحلي من فارس (الدخل (٤).

وكان أكبر أسباب هذا التدهور أن البلاد استحالت إلى مستنقعات ، ونظراً لأنها كانت تُروى بالطرق الفنية فقد كانت تحتاج إلى عناية ونظام أكثر مما وُجّه لها . وقد اضطر الزّراع إلى الجلاء ، وكان أهل الموصل مثلاً عرباً جاءوا في القرن الرابع إلى شمال العراق ليزرعوا تلك الأراضي الفيضانية التي كانت حتى ذلك الحين جرداء لا نبات فيها (٥).

وبعد هذا الفساد كان اعتماد الخزانة ببغداد على خراج العراق يعرضها للإفلاس ، ثم أصيبت حكومه العراق بأول ضائقه ماليه حينما منع الصفّار حمل أموال فارس إليها ، وقد أدت هذه الضائقه حوالى عام ٢٧٠هـ إلى فكره الاقتراض ، وأول ما ظهر ذلك في صورته قرض غير مضمون غير مضمون الردّ ؛ وذلك أن

١- ابن حوقل ص ١٦٩ ، ١٧٨.

٢- مسكويه ج ٦ ص ٤٤٠ .

٣- الأغاني ج ٤ ص ٧٩ .

٤- المقدسى ص ٤٢١ .

٥- ابن حوقل ص ١٤٤ ١٤٣ .

الخليفه الموفق احتاج إلى مال يخرج به الجند لمحاربه الصفار ، والتمس من وزيره صاعد بن مخلد أن يحتال في ذلك ، فقال الوزير : والله ما لي حيله إلا من حضر النفقات ومنع المرتزقين ، فقال الموفق : أين يقع ذلك مما أحتاج ؛ والذي أريد « أن نأخذ من التجار قرضاً ، ووظف عليه وعليك وعلى الكتاب والعمال مالأ نستعين به على إخراج راشد (.الحمله) ، فإذا اتسعنا رددناه عليهم » ، فاستوحش صاعد من ذلك ، وأزاد إعمال الحيله فيث التباعد عنه(١).

وفي سنة ٣٠٠هـ احتاج الوزير إلى شئ من مال الأهواز ، ولم يكن أصحابه متأهبين لذلك ، فأرسل في إحضار يوسف بن فيجاس الجهبذ اليهودي ، وكان جهبذ الأهواز ، وطلب منه تقديم ، (٢) مال .

وفي سنة ٣١٩ هـ ٩٣١ م تواطأ مُتَضَمِّناً أعمال الخراج والضياع بفارس وكرمان وتعاقداً على قطع حمل المال إلى السلطان ، واشتدت الضائقة بالوزير فباع من الضياع السلطانية بنحو خمسمائه ألف دينار ج وكان ذلك لأول مره (٣) ، واستسلف من مال سنه عشرين وثلثمائه شَطْرَةَ قبل الفتحها بشهور ، فلم يبق من مال هذه السنه إلا أقله ، واضطر فوق هذا إلى أن يقترض مائتي ألف دينار بربح درهم في كل دينار (٤).

وفي سنه ٣٢٣ هـ ٩٣٤ م لم تُدفع للتجار أموالهم ، فطالبوا الوزير بها ، فدفعته

١- كتاب الديارات للشابشتي ص ١١٨ ب ١١٩ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٧٨ .

٣- وفي مثل هذه الأحوال كان أصحاب الأراضي المجاوره يتفقون ويشترون الضياع بأقل من ت .بكتير .(ابن حمدون في ٤٣٤؛ JRAS ١٩٠٨؛S) .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وابن الأثير ج ٨ ص ١٧٦ .

الضروره إلى أن سبب لهم على عمال السواد ببعض مالهم، ثم باع عليهم بالباقي ضياعاً سلطانيه (١).

وفى سنه ٣٢٤هـ ٩٣٥م احتاج الوزير إلى مال لدفع استحقاقات الجند، فطالب مياسير التجار بأموال يعجلونها، ويكتب لهم بها سفاتج، وأمر من كان ينزل بسورالمدينه أن ينتقل عنه لثباع المنازل التى كانت هناك ملكا للحكومه (٢).

وفى هذه الأحوال عاد الأمر فى تحصيل الخراج إلى ما كان جارياً قبل الإسلام من وسائل رديئه، وكانت القروض التى احتاجت إليها الدوله مبدأ تضمين الخراج فى المشرق، وأول ما أخذ بطريقه القروض فى عهد الخليفه المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ هـ ٩٠١ ٨٩٢م): حدّث أبوالقاسم عبيد الله بن سلمان وزير المعتضد أحد أصحابه فقال له: قد وردنا على دنيا خراب مُستغلّقه، وبيوت مالٍ فارغه، وابتداء عَقْد لخليفه جديد الأمر، وبيننا وبين افتتاح الخراج مده ولا بد لى فى كل يوم من سبعة آلاف دينار لنفقات الحضرة على غايه الاقتصار والتجزيه، فإن كنت تعرف وجهاً تعيننى به فأرشدنى إليه، فأشار صاحب الوزير بإطلاقهما من سجنهما، فخاطبا أحد الأغنياء فى أن يضمّن جزءاً من أرض العراق على أن يحمل من ماله فى كل يوم سبعة آلاف دينار، فأعطى خطه بذلك، وعرف الوزير الأمر فاستطير هو والخليفه سروراً لهذا الحل الجديد بما انطوى عليه من

١- مسكويه ج ٢ ص ٥٠٥.

٢- الأرواق للصولى مخطوط باريس ص ١٠٤ ١٠٣.

ونجد في ثبت خراج سنه ٩١٥ ٣٠٣م أن خراسان وألهواز وواسط كانت ضمناً إلا الضياع (٢) وفي سنه ٣٠٦ هـ ٩١٨م ضمّن الخليفة خراج مصر بثلاثة آلاف ألف دينار (٣).

وفي سنه ٣٠٨ هـ ضمن الوزير حامد بن العباس خراج العراق وخوزستان وأصفهان للمقتدر ، فارتفعت الأسعار ببغداد ؛ لأن الوزير جمع الحبوب في تلك البلاد ومنع من حملها إلى بغداد ، فثار العامة على الوزير ، وسبّوه وفتحوا السجون ، وكبسوا دار صاحب الشرطه وانتهبوا بعض دوابه ، ومنعوا صلاه الجمعه ، وهدموا المنابر ، وأحرقوا الجسور ، فأمر السلطان بمحاربه العوام ، فأخذوا ، فضرب بعضهم ، وفرّ الباقيون ، وطلب حامد بن العباس من الخليفة فسمح ضمّانه ، واستأذنه في الشخوص إلى واسط لينفذ عماله بما فيها من الأطمعه إلى بغداد ، واستأذنه في الشخوص إلى واسط لينفذ عماله بما فيها من الأطمعه إلى بغداد ، وفسيخ ضمان حامد وسأل الخليفة أن يعفيه من الوزاره فلم يجبه (٤).

ولم يكن الذى يتولى صمان الخراج ، فى العراق على الأقل ، رجلا- من عامه الناس ، بل كان عاملا- على خراج البلاد التى يضمّنها (٥) وكان له أن يولى فى هذا

١- كتاب الوزراء ص ١١ ١٠ .

٢- Kermer, Einnahmebudget وكذلك ضمّنت فارس بعد استردادها من بنى الصفّار ، ولكن الضامن آخر المال ، فحل ضمّانه وعقد على آخر (كتاب الوزراء ص ٣٤٠) .

٣- كان الأخشيد فى القرن الثالث الهجرى يحمل إلى الخليفة ألفى ألف دينار (خطط المقرئى ج ١ ص ٩٩) ، وإلى جانب مبلغ الضمان كان لابد للضامن أن يبعث الهدايا الكثيره للخليفه ، والسيداه الوالده والخاله والقهرمانه والحاجب والقائد وكتابهم فى كل سنه (كتاب الوزراء ص ٣٢١) .

٤- عريب ص ٨٥ ، ٨٦ ، والمنتظم لابن الجوزى ص ١٨ . والهمداني مخطوط بايس ١٨٦ ب (؟) .

٥- عريب ص ٥٥ .

الإقليم عمال الخراج ويعزلهم (١).

وكان للحكومه إلى جانب الضامن رجلٌ يشرف عليه ليرى إن كان يتحصّل له زياده على ضمانه (٢) ، وأن يراعى بنوع خاص أن الضامن يوءدى ما ينفق على كرى الأنهار وحراسه البنذات والبدور ، وعلى المعاونين الذين يحفظون الأمن (٣).

أما الضمانات الصغيره مثل ضمان الصدقات .فيحكى عن الوزير أبى الحسن بن الفرات أنه قال لكتاب سأله أن يضمه الصدقات بفارس : « إنما يرغب فى عقد الضمان على تاجر ملى أو عامل وفى أوتانٍ (؟) غنى ، فأما أصحاب الحروب فعقد الضمان عليهم ومطالبتهم بالخروج من أموالها يستدعى منهم العصيان وخلع طاعه السلطان » (٤).

وكان أمراء الأطراف فى معظم الأحوال يظهر أمرهم بأن يكونوا ضامين للبلاد التى يحكمونها ، ولم يظهرها فى صوره أصحاب الإقطاعات كما كان الحال فى الإمبراطوريه الجرمانيه المقدسه ، وكانوا يتوصلون إلى الملك بأن يبتدئوا باحتلال المدن والأقاليم غصباً؛ ثم يقاتلون عليها عسكر الخليفه ، حتى يعترف لهم بالإماره فى مقابل مال يضمنون أداءه ، وكانت أمثال هذه الضمانات التى توءخذ كرهاً توءتى الحكومه صفقظ سيئه بالنسبه للضمانات الأخرى .ففى سنه ٢٩٦هـ ٩٠٩م ضمن ابن أبى الساج أرمينيه وأذر بايجان قبل أن تؤولا إلى

١- الهمذانى مخطوط باريس ص ١٨٤ (؟) .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٨٢ ٨١ .

٣- كتاب الوزراء ص ٣٤ .

٤- نفس المصدر ص ٧١ .

السامانيين بمائه وعشرين ألف دينار ، وهو ما يقرب من عُشر الدخل الذى كانت تدفعه هذه البلاد منذ مائه سنه (١).

وفى سنه ٣٢٢هـ ٩٣٤م فتح عماد الدوله بن بُويه إقليم فارس ، وطلبها ضمناً من الخليفه ، على يدفع إليه ألف ألف درهم ، على حين أنها كانت توءتى من مال الخراج والضياح وحده منذ عام ٢٩٩هـ ٩١١م إلى ما بعد ذلك بعشرين عاماً ثمانية عشر ألف ألف درهم (٢).

وكذلك كان ضمان عمان فى أوائل القرن الرابع ثمانين ألف دينار ، وكان خراجها تحت الإدارة المباشر قبل ذلك بمائه عام ثلاثمائه ألف دينار (٣).

وكان استعمال الوسائل القاسيه فى تحصيل الخراج من الوسائل المعروفه قديماً ، وبما كان ضروريا ، فمثلاً كان أهل بادوريا حول بغداد معروفين بالجلد ، وكان عليهم بقايا أموال ، فتولّى عليهم ابن أبى السلاسل ، وفى قلبه أحقاد ورغبه فى القشقى منهم ، وإخراج ما عليهم من البقايا ؛ فطالبهم ، فامتنعوا وصبروا على الحبس والقيد ، فأملى رقعته إلى الوزير على بن عيسى يغريه فيها بهم كل إغراء ، ويقول : هوءلاء قوم يدلون بالجلد ، وعليهم أموال قد أطوا بها ، وصبروا على الحبس والقيد ، ومتى لم تطلق اليد فى تقويمهم واستخراج المال منهم تأسى بهم اهل السواد وبطل الارتفاع ؛ فردّ عليه الورير بقوله : الخراج ، عافاك الله ، دَيْنٌ لا

١- ابن الأثير ج ٨ ص ٧٦ - ٧٧ ، ٢٠٩ . Kermer. Einnahmebudget. S.

٢- مسكويه ج ٥ ص ٣٨١ ، وخراجها فيث ميزانيه عام ٣٠٦هـ ٩١٨م قدر بألف ألف وخمسائه ألف دينار ، وهو ما يقابل الثمانيه عشر ألف ألف درهم .

٣- كريم نفس المصدر ص ٣٠٨ والمقدسى ص ١٠٥ .

يجب فيه غير الملازمه . قد تتعدّد ذلك إلى غيره(١).

وهذا القرار الذى قروه الوزير بطابق المبدأ الذى عمّل به فى زمن الرشيد ، وهو المنع من ضرب الناس فى الخراج أو إقامتهم فى الشمس أو تقييدهم(٢).

وكان أصحاب الخراج فى عهد هذا الخليفه نفسه يطالبون بصنوف من العذاب حتى عام ١٨٤هـ حين أمر الرشيد برفع العذاب عنهم ، فارتفع من تلك السنه(٣)

وفى عام ١٨٧هـ ٨٠٣م وُلّى على خراج مصر عاملٌ بعد أن ضمن جبايه الخراج عن آخره « بلا سوط ولا عصا »(٤).

على أن ديونيسيوس يصف جُباه الخراج فى العراق حوالى عام ٢٠٠هـ ٨١٥م بأنهم « قوم من العراق والبصره والعاقولا ، وهم عُتاه ليس فى قلوبهم رحمه ولا- إيمان ، شرّ من الأفاعى ، يضربون الناس ويحبسونهم ، ويعلقون الرجل البدين من ذراع واحد حتى يكاد يموت »(٥).

وفى أواخر القرن الثالث وصف الأمير عبداللّه بن المعتز(٦) الإدارة فى عهد الوزير ابن بلبل ، وكان ابن المعتز يحمل له كراهيه شديده ، ووصف كيف كانت تجبى أموال الخراج من غير رحمه :

١- كتاب الوزراء صب ٣٤٦ .

٢- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٢ .

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥٠١ من الطبعة الأوربيه .

٤- الولاة للسكندى ص ١٤١ ١٤٠ .

٥- Dionysius von Tellmachre. ed. Chabot. S. ١٥٢ .

٦- الديوان ج ١ ص ١٣٧ ١٣٦ .

فكم وكم من رجل نبيل *** ذى هيبه ومركب جليل
 رأيته يعتلّ بالأعوان *** إلى الحبوس وإلى الديوان
 حتى أُقيم فى جحيم الهاجره *** ورأسه كمثل قدر فائره
 وجعلوا فى يده حبالا *** من قنب يقطع الأوصالا
 وعلقوه فى عرى الجدار *** كأنه يرّاده فى الدار
 وصفقوا قفاه صفق البطل *** نصباً بعين شمات وخل
 إذا استغاث من سكير الشمس *** أجابه مستخرج برفس
 وصبّ سجانّ عليه الزيتا *** وصار بعد بزّه كميتا
 حتى إذا طال عليه الجهد *** ولم يكن مما أراد بدّ
 قال ائذنوا لى أسأل التجارا *** قرضاً وإلا بعثهم عقارا
 وأجلوني خمسه أياما *** وطوّقوني منكمو إنعاما
 فضايقوا وجعلوها أربعه *** ولم يوءمل فى الكلام منفعه
 وجامع المعينون الفجره *** وأقرضوه واحداً بعشره
 وكتبوا صكا بيع الضيعه *** وحلفوه بيمين البيعه
 ثم تأدى ما عليه وخرج *** ولم يكن يطمع فى قرب الفرج
 وجأه الأعوان يسألونه *** كأنهم كانوا يدلّونه
 وان تلكا أخذوا عمامته *** وجمشوا أخذعه وهامته
 فالآن زال كل ذاك أجمع *** وأصبح الجور بعدل يجمع

وكان التعذيب أشد مما تقدم إذا كان استرداداً لأموال الدوله، وأخص ما كان يستعمل فى ذلك القيود الحديدية الثقيله فى

الأرجل ، والضرب المُتَلِف، والتعليق

من اليد الواحد (١)، وقد عذب الخليفة القاهر أم المقتدر أخيه وسلفه على عرش الخلافة، فضربها، وعلقها برجلها لتخرج ما لها، وتحل أوقافها، وكل في بيعها، فامتنعت، ووكلت في بيع أملاكها دون أوقافها، ولكن القاهر أرغمها على ما أراد، وكتب إقراراً منها بذلك، وأحضر القضاء لشهادته على تركها، واستلذمت الشهادة أن يروها رأى العين. وقد تحدت القاضيان الديان وأياها بهذه القصة فقالا: «ولما رأينا رأينا عجزاً رقيقه الحال سمراء الوق إلى البياض والصفرة، عليها أثر ضرب شديد، فما انتفعنا بأنفسنا ذلك اليوم، فكراً في تقلب الزمان، وتصرف الأحداث» (٢).

ثم عذب آخرون بأن عرزت في أظافرهم أطراف القصب (٣)، أو بالضرب على رؤوسهم بالدبابيس (٤)، وقد وصف شاهد عيان كيف جرى بأحد المصادر من محبسه «يرسف في قيوده، وعليه جبه دنسه وشعره طويل. وجعل يشكو ما أصابه من المكاره، وفرائضه تُرعد» (٥).

١- وكان الحاكم يأمر بأ «يجر» المطالب أو «يسحب» على وجهه، ومن هذا. الكلمة الإسبانية جروشا Garrucha ومعناها جبل الجر، وهو الذي كان أكبر أداة للتهذيب في السبانيا أيام محاكم التفتيش كما قال العلامة لى (Lea) وكذلك الكلمة الإسبانية Garrula. وكان الذين يوكل إليهم بالمطالبة قوماً يسمون المستحثن، وكانوا يختارون من الغلاظ ال. لاي. . نامهوم است. الرجل حتى يدفع ما عليه، ولهم عليه نفقه يأخذونها، وربما كانوا ثلاثة لكل منهم ديناران في اليوم (كتاب الوزراء ص ٢٣٣).

٢- عريب ص ١٨٤ ١٨٣، وابن الأثير ج ٨ ص ١٨٢ ١٨١، المنتظم لابن الجوزى ص ٤٦، والمقدمه الإنجليزيه لكتاب الوزراء ص ٤٥.

٣- ذكر المعتزله لأحمد بن يحيى المرتضى ص ٥٢.

٤- مسكويه ج ٥ ص ٢٣٠.

٥- كتاب الوزراء ص ٨٩.

وربما أمعن المطالبون في التعذيب فألبسوا فريستهم جبّه صوف مدهونه بانفظ أوبماء الأكارع (١).

وفي سنة ٣٢٥هـ ٩٣٦م دخل بحكم التركي وأصحابه العراق ، فاعتقل الناس ، واشتد في مطالبتهم بالمال وعدّ بهم ، فكان يضع على بطونهم أطسات الجمر ، حتى قال له رجل أراد أن يسبر ما في نفسه من طلب العراق: أيها الأمير! أنت مُطالب بملك ، ومرشّح نفسك لخدمه الخلفه ، ألا تعلم أن هذا إذا سُمع به أوحش منك؟ وقد حَمَلت نفسك في أمرنا على مثل ما كان يعمله مرداويج بأهل الجبل ، وهذه بغداد ودار الخلفه لا الرى وأصبهان ، ولا تحمل هذه الأخلاق ؛ فلما سمع بحكم ذلك انحلّ وفك القيود وأزال المطالبه (٢).

وكانت هذه المطالبات القاسيه تعتبر عند الجميع أعمالاً تدل على قله الإيمان ، كما يوءخذ من حكاية ترجع إلى القرن الرابع : « حدث أبو الحسن على بن الحسين بن عبدالأعلى قال : كنت بحضره أبى الحسن ابن الفرات في وزارته الأولى (٢٩٩ ٢٩٦ هـ ٩١١ م) ، وهو جالس يعمل ، إذا رفع رأسه ، وترك العمل من يده ، وقال : أريد رجلاً لا يوء من بالله ولا باليوم الآخر يطيعنى حق الطاعه ، فأنفذه في مهم لى ، فإذا بلغ فيه ما أرسمه له أحسنت إليه إحساناً يظهر عليه وأغنيتة؟ فأمسك من حضر ، ووثب رجل يكنى بأبى منصور ، أخ لابن أبى شيب حاجب ابن الفرات ، فقال : أنا أيها الوزير ، قال : وتفعل ؟ قال : أفعل وأزيد ، قال : كم ترتزق؟ قال أرتزق مائه و عشرين ديناراً . قال : وقعوا له بالضعف ،

١- نفس المصدر ص ٢٩٩ ٢٩٨ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٥٧٠ .

وقال: سبيل حوائجك ، فسأله أشياء أجابه إليها ، فلما فرغ من ذلك قال : خذ توقيعي وامض إلى ديوان الخراج وأوصله إلى كاتبى الجماعه ، وطالبهما بإخراج ما على محمد بن جعفر بن الحجاج ، وطالبه بأداء المال ، وأتلفه إلى أن تستخرج جميعه ، ولا تسمع له حجه ولا تمهله ألبته . فخرج وأخذ من رجاله الباب ثلاثين رجلا ، فقلت (الحاكي) لأخرجنَّ وأمضينَّ إلى الديوان حتى أنظر ما يوءول إليه الحال؛ فخرجت وصرت إلى الديوان . فدخل أبو منصور هذا إلى الصقربن محمد وعبيدالله بنمحمد الكلوذانى ، وهما صاحبا المجلس شرکه ، فلم يجد الكلوذانى ووجد الصقربن محمد، فأوصل إليه التوقيع ، وقال له أخرج ما على ابن الحجاج ، فقال : عليه من باب واحد ألف ألف درهم ، فطالبه بذلك إلى أن نفرغ من العمل بسائر ما يلزمه . وكان محمد بن جعفر من عمال أبى الحسن على بن عيسى ، قال : فأحضر ابن الحجاج ، وشتمه ، وافترى عليه ، وابن الحجاج يستعطفه ، ويخضع له ؛ ثم أمر بتجريدته وإيقاع لمكروه به ، فأوقع ، وهو فى ذلك كله يقول : كفى ، الله ، ثم أمر أبو منصور بنصب دقل ، فنُصب ، وجُعل فى رأسه بكره فيها حبل وشدت فيه يدُ ابن الحجاج ، ورُفِع إلى أعلى الدقل ، وهو يستغيث ويقول : يكفى ، الله . فما زال معلقاً ، وأبو منصور يقول له : المال المال ، وهو يسأله حطّه وإنظاره إلى أن يوافق الكتاب على ما أخرج عيه ، وهو لا يسمع منه ، وقد قصد تحت أ . واختلط ، وغضب من غير غضب من غير غضب ، اعتماداً لأن يبلغ ابن الفرات فعله ، فلما ضجر قال لمن يمسك الحبال : أرسلوا ابن الفاعله (وعنده أنهم يتوقفون ولا يفعلون)، فأرسلوه لما رأوه عليه من الحده والغضب ، ووافى ابن الحجاج إلى الأرض ، وكان بديناً سميناً، فوقع على عنق أبى منصور فدّقها ، وخرّ

على وجهه ، وسقط ابن الحجاج مغشياً عليه ، فُحْمِلَ أبو منصور إلى منزله في محمل فمات في الطريق ورُدَّ ابن الحجاج إلى محبسه ، وقد تَخَلَّصَ من التلف ، وعجب من حضر مما رآه وكتب صاحب الخبر بالصوره إلى ابن الفرات ، فورد عليه منها أعظم مورد ، وبكرت عرفان زوجه ابن الحجاج إلى موسى بن خلف حتى أوصلها إلى ابن الفرات ، فقررت أمره على مائه ألف دينار سلّمت ببعضها جعده وقرأها من طوج كوفي ونُجِّم الباقي ، وأطلق ابن الحجاج ؛ وكان الناس يعجبون من قول ابن الفرات: أريد رجلاً لا يوء من بالله ولا باليوم لآخر يطيعني «(١)» ، ولم تُبسط على الناس أصناف العذاب والمكارة حتى كانوا يموتون تحتها أقبح موت إلا في عهد الأمير بختيار ببغداد ، وكان حكم هذا الأمير أسوأ حكم في القرن الرابع (٢).

ولعلّ مما تمجّه النفس أن ترى كبار العمال يشترّون من السلطان رجلاً منكودين ، وأن كلا منهم ينافس الآخر في تقديم أكبر ضمان ، إذا سلّم إليه وزير نهب الأموال ، آملاً أن يقدر بعد ذلك على استخراج مبلغ يزيد على ضمانه بوسائل التعذيب (٣). ولكن هذه الوسيله لاغتصاب الأموال قويت أيضاً في عهد بختيار خاصه ، ولم تكن شائعاً في عهد جميع الحكام .

١- كتاب الوزراء ص ١٢٢ ١٢١ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٤٥٤ .

٣- كتاب الوزراء ص ٩٤ ، ٩٥ . ضمن أبو الفرج الوزير أبا الفضل بسبعظ الاف ألف درهم ، ثم ضمنه أبو الفضل فيما بعد بمثل هذا المبلغ . انظر مسكويه ج ٦ ص ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ .

تعليقات الفصل الثامن

[*١] و اما فى زماننا و قبله منذ عهد بعيد فوق انقلاب الربيعى... و ان كان زمن ادارك الغلات بعده بمدى شهرين أو نحو ذلك

[*٢] اشتباه و آيه (١) النسيء الوارده فى القرآن لا نقصد هذا المعنى، نعم الحج و الصوم يجريان على حساب الاهله و الخمس يجرى عليها و على الشمسيه و زكوه الغلات لا تتم غالبا الا على الشمسيه و فى غير الغلا على الهلاليه.

[*٣] هذا من العجب، فلا عدل لبني اميه مع عدو لهم عن الا- سلام و ظلمهم على الرعيه و تمزيقهم الكتاب و قتلهم العتره الهاديه، اللهم إلا- ما يحكى عن سيره عمر بن عبدالعزيز و هى ايضا لا توافق الدين الا سلام تماما. و يمكن ان يكون ما ذكره المصنف فعله بعض الامراء و الحكام فى المغرب حيناً ما.

[*٤] الارضون (٢) عندنا لا تخلو من اقصام. فانها اما ان:

١- اسلم عليها اهلها طوعاً فهى تقر فى ايديهم و عليهم الزكوه بشرائطها و هى تختلف بين العشر و نصف العشر و قد يكون نصل مجموعهما.

٢- أو هى عامره حين الفتح و غلب عليها المسلمون، و تسمى بالمفتوحه عنوه (قهرأ) و هى للمسلمين الحاضر الموجود منهم و من يأتى إلى يوم القيامة و لا يملكها احد بالخصوص

١- التوبه: ٣٧.

٢- المكاسب المحرمه للشيخ الانصارى ٧٥ إلى ٧٨، جواهر الكلام ج ١٦ ص ١١٦ و ما بعد ها، المستمسك ج ٩ ص ٥٢٠ و بعدها، نهج الفقاهه ٣٣٧-٣٣٨، الحدائق ج ١٨ ص ٢٩٤ إلى ٣٢١.

بعد اخراج خمسها او مطلقا فتعطى لمن يعمرها و يستغلها، و يقدر له اجره الارض و هى الخراج و شرطها كون الفتح باذن المعصوم، و الا فتكون من الانفال الراجعه اليه عليه السلام.

٣- أو تكون مواتا حال الفتح فهى للامام عليه السلام.

٤- أو يسلم عليها اهلها على ان تكون للمسلمين و هى كالثانيه، و يرجح ان تكون راجعه إلى الامام عليه السلام و تعد من الانفال. و الخراج إنما يكون عليهما لا على القسمين الاول و الثالث.

نعم قد تكون الارض الخراجيه او الموات تقطع من جانب الحاكم المتسلط إلى اى واحد من المتقربين منه او المنسوبين اليه او خدمه او اعوانه او قواده او من عمل له اى عمل معجب. و هذا ما اشير اليه فى المتن. و عند الفقهاء فيه العشر و عدده فى ذيل الصفحه ثالث الاقسام. و اما الاقسام الخمسه الباقية فالاول ذكرناه اول الاقسام. والثانى ثالثها الذى اشيرنا اليه. والرابع هو ثانى الاقسام التى ذكرناها. و الخامس و السادس يرجعان إلى الانفال و هى ملك لمن احياها مطلقا أو يؤدى خراجها إلى الامام المعصوم او نائبه اذا لم يكن المحيى مسلما. و للشيخ الطوسى قدس سره فى الخلاف (١) مدعىا فيه و فى القسم التالى اجماع الفرقه و اخبارهم. ما اصطلح عليه بارض العشر. فاذا صالحنا المشركين على ان تكون الارض لهم بجزيه الترموها و ضربوها على ارضهم (اراضيهم) فيجوز للمسلم ان يشتريها و يصح الشراء و تصير ارضها عشريه و من هذا القسم ما اشرا (٢) اليه بقوله يجوز (متى) اسلموا سقط عنهم و صارت الارض عشريه:

١- الخلاف ٢ كتاب الفىء مسئله ١٨ كتاب السير مسئله ٢٣.

٢- الخلاف ٢ كتاب الجزيه مسئله ١٧.

[٥*] يذكر الشهيد (١) الاول محمد بن مكى قدس سره و هو من اعظم فقهاء الشيعة فى القرن الثامن الهجرى ان عند العامه كل مال جهل مالكه و لا يتوقع معرفته فهو لبيت المال و قد نظم بعضهم وجوه بيت المال فقال:

جهات اموال بيت المال سبعتها*** فى بيت شعر واهما فيه لافظه

خمس خراج و فىء جزيه عشر*** و وارث فرد و مال ضل حافظه

ثم قال و ظاهر كلام اصحابنا انحصار وجوه بيت المال فى المأخوذ من الارض المفتوحه عنوه خراجاً و مقاسمه و يمكن الحاق سهم سبيل الله فى الزكوه على القول بمعصومه و قد ذكر الاصحاب ان مصرف الجزيه عسكر الا سلام و العشر لا اصل له عندنا وارث من لا وارث له للامام و المال المأبوس من صاحبه يتصدق به.

نعم قد يشكل المرتضى فى ديه الجنايه على الميت انها لبيت المال و يجرى فى كلام بعض اصحابنا ان ميراث من لا وارث له لبيت المال و اما الخمس فمصرفه معلوم عندنا...

[٦*] هذا فيه الخمس و الباقي لواجده بشرائط مذكوره فى كتبنا الفقيه استدلاليه او فتوائيه.

[٧*] هذا و ما بعده يدخل فى أحد السبعه المذكوره فى الشعر السابق لانهما مصداق مال ضل حافظه، و عندنا يعد من مجهول المالك و له احكام خاصه مذكوره فى الكتب الفقيهيه.

[٨*] قد تقدم فى كلام الشهيد انه للامام، و مما هو مسلم عندنا ان ارث الامام عليه السلام بالولاء و هو فى غير الزوجيه مترتب على عدم مناسب (اى) وارث نسبي و عدم معتق و ضامن الجريه

[٩*] سبق منا الكلام فى ذلك.

[١٠*] هذا غلط و قد اشرنا اليه سابقاً.

[١١*] القول جريا على مذهب اهل البيت.

[١٢*] هولاء الفقهاء من قبيل و عاظ السلاطين.

[١٣*] لعل هذا هو السبب فى تسميه من يأخذ المكوس بالعشار، بل فى هذا الزمان يسمى البصره او معظمها عشاراً لاجل ميناءها.

[١٤*] بينما رسول الله صلى الله عليه و آله (١) مات و هو مديون، و قتل امير المؤمنين عليه السلام (٢) و عليه دين و مات الحسن عليه السلام و عليه دين، و قتل الحسين عليه السلام و عليه دين، بل عن جعفر (٣) بن محمد عن آبائه عليهم السلام لقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و ان درعه لمرهونه عند يهودى من يهود المدينه بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقه لاهله، و فى دعاء الندبه (٤) المشهور قوله صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام و انت تقضى دينى.

و عن الطبرى (٥) باسناد له عن عباد عن على عليه السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من يؤدى عنى دينى و يقضى عداتى و يكون معى فى الجنة؟ قلت: انا يا رسول الله، و عن فردوس (٦) الديلمى، قال سلمان قال صلى الله عليه و آله: على بن ابى طالب ينجز عداتى و يقضى دينى و قوله عليه السلام (٧) انت قاضى دينى فى روايات كثيره.

- ١- وسائل الشيعه ج ١٣ الباب ٢ من أبواب الدين و القرض ح ١.
- ٢- وسائل الشيعه ج ١٣ باب ٢ من أبواب الدين و القرض ح ١.
- ٣- وسائل الشيعه ج ١٣ الباب ٢ من أبواب الدين و القرض ح ٩.
- ٤- مفاتيح الجنان دعاء الندبه.
- ٥- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٧٣-٧٤.
- ٦- بحار الأنوار ج ٣٨، ص ٧٣-٧٤.
- ٧- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٧٤.

و عن قتاده (١) بلغنا ان علياً عليه السلام نادى ثلاثه اعوام بالموسم من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله شىء (دين) فليأتنا نقضى عنه...

[*١٥] و امير المؤمنين على عليه السلام كان (٢) يكنس بيت المال كل جمعه و يصلى فيه ركعتين و ما خلف (٣) صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة فضلت من عطائه أراد أن يتناع بها خادما لأهله:

(من كلام الحسن عليه السلام فى صبيحه الليله التى قبض فيها امير المؤمنين عليه السلام).

[*١٦] قال شيخنا شيخ الطائفة الطوسى قدس سره فى الخلاف (٤) ما يؤخذ من الجزيه و الصلح و الاعشار من المشركين، للمقاتله المجاهدين، و استدل عليه باجماع الفرقه و اخبارهم فى أن الجزيه للمجاهدين لا يشركهم فيها غيرهم و اذا ثبت ذلك ثبت فى الكل لأن الصلح ايضاً جزيه عندنا فاما الاعشار فانه ينصرف (يصرف) فى مصالح المسلمين الخ....

[*١٧] تقدم الكلام عليه قريباً.

[*١٨] ان هذا اشتباه فان المنهج الذى جاء به الاسلام هو اعطاء الزكوه، و اموالها معلومه لا تتجاوز تسعه، و لها شرائط و نصب خاصه و مصارف معينه ذكرها فى القرآن الكريم: «إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفه قلوبهم و فى الرقاب و الغارمين و فى سبيل الله و ابن السبيل فريضه من الله و الله عليم حكيم» (٥)

والخمس، و انما يتعلق بسبعه احدها الغنيمه فى الحروب و هو والزكوه انما يجبان على

١- وسائل الشيعه ج ١٣ الباب ٢ من أبواب الدين و القرض ح ١.

٢- بحار الانوار ج ٤١ ص ١٣٦.

٣- الارشاد للمفيد ص ١٨٨.

٤- الخلاف ٢ كتاب الفيء و قسمه الغنيمه مسئله ٤٣.

٥- التوبه: ٦٠.

الناس ابتداء من ناحيه الشريعه المقدسه

و اما الكفارات بمختلف أنواعها فأكثرها ليس بسبب ابتدائي، بل ايجاد موجه إلى الانسان نفسه نعم فى بعض الموارد القليله فى الحج توجد كفارات للمضطر و نحوه.

كما ان النذورات سببها بيد المكلفين و هناك انفاقات خاصه لقرباه الشخص كالوالدين للولد والعكس و كانفاق الزوج على زوجته، ليس شىء منها امتصاصاً للشروه و لا يوجد غير ما ذكرنا شىء فى الاسلام من طريق الامتصاص امضاه الشارع أو أبقاه و قد تقدم الكلام فى الجزيه و العشر و ان الاول على أهل الذمه و الثانى على الاراضى بالكيفيه المتقدمه ولكل من هذه شروط واحكام خاصه و لا ينبغى ان يعد امتصاصاً.

[١٩*] هذا لا يرجع إلى الشرع و لا يمس كرامته و انما هو فعل من تسمى بالاسلام من القواد والحكام:

[٢٠*] قال اليعقوبى (١) و كان سنه ١٨٤ و اعتل الرشيد فى تلك السنه عله شديد و شفى منها، فدخل اليه الفضيل بن عياض فرأى الناس يعذبون فى الخراج فقال ارفعوا عنهم، انى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه و آله يقول، من عذب الناس فى الدنيا عذبه الله يوم القياها، فامر ان يرفع العذاب عن الناس، فارتفع العذاب من تلك السنه.

[٢١*] ما ابعده بين هذه الافعال و ما كان يوصى به اميرالمؤمنين عليه السلام و يفعله، فقد ورد فى كتاب له إلى عماله على الخراج: و لا تبعن (٢) للناس فى الخراج كسوه شتاء و لا صيف و لا دابه يعتملون عليها و لا عبداً، و لا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم و لا تمسن مال احد من الناس مصل و لا معاهد إلا ان تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على اهل الاسلام.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٥٢ طبعه المطبعه الحيدريه بالنجف الاشرف ١٣٨٤.

٢- نهج البلاغه ج ٣ ص ٩٠-٩١.

[*٢٢] يحدثنا المسعودى (١) عن الحجاج حيث امر ابن عم له بدوى على اصفهان بعد ان كلفه بقسمه ثلاثة دراهم بين اربعة، فما زال يقول ثلاثة دراهم بين اربعة، ثلاثة بين اربعة.

لكل واحد منهم درهم، يبقى الرابع بلا شىء، كم هم ايها الامير؟ قال: هم اربعة، قال نعم ايها الامير، قد وقفت على الحساب، لكل واحد منهم درهم، وانا اعطى الرابع منهم درهماً من عندى، و ضرب بيده ولى تكته فاستخرج منها درهماً ريال و قال أيكم الرابع؟ فلا- ها الله ما رأيت كاليوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين، فضحك الحجاج و من معه، ثم قال الحجاج ان اهل اصفهان كسروا خراجهم ثلاث سنين، كلما اتاهم و ار اعجزوه فلا- رمينهم بيدويه هذا و عنجهيته إلى و كتب له عهده على اصفهان الى، فلما استقر فى داره باصفهان، جمع اهلها فويخهم على نقص الخراج و طلبوا منه تأخير الخراج ثمانية أشهر، فاخذ منهم عشرة ضمنا يضمنون و أعطاهم عشرة أشهر مهله، فلما قرب الوقت راهم غير مكثرين لما يدنوا من الاجل، فقال لهم: فلم ينتفع بقوله، فلما طال به ذلك، جمع الضمنا و قال لهم: المال، فقالوا اصابنا من الآفة ما نقض ذلك، فأنى ان لا يفطر (و كان فى شهر رمضان) حتى يجمع ماله أو يضرب اعناقهم، ثم قدم أحدهم و ضرب عنقه، و كتب عليه فلان بن فلان ادى ما عليه، و جعل رأسه فى بدره و ختم عليها، ثم قدم الثانى، ففعل به مثل ذلك، فلما رأى القوم الرؤوس تبذر و تجعل فى الاكياس بدلاً من البدر، قالوا ايها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال، ففعل فاحضروه فى اسرع وقت إلى و لم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج

الفصل التاسع: رسوم دار الخلافة

إشارة

كان اللون الذى اتخذه الخلفاء فى القرن الرابع الهجرى شعاراً لهم السواد والبياض ؛ فلما ركب الخليفة المقتدر فى عام ٩٣٢ ٣٢٠م لقتال موءنس ، وهى الركبه التى قُتل فيها وأشفق من عاقبتها إشفاقاً كبيراً ، خرج من داره فى أكمل لباس وموكب ، فكان عليه خفتان ديباج فضى وعمامه سوداء ،وعلى كتفيه وصدره وظهره البرده النبويه ، وهو متقلد بذى الفقار سيف الرسول ، وحمائله آدم أحمر ، وفى يده اليمنى الخاتم والقضيب ؛ وسار بين يديه ولى عهده ابنه أبو أحمد عبدالواحد ، وعليه خفتان ديباج وعمامه بيضاء(١).

وكانت عادة خلفاء العباسيين فى لاقرن الثالث والرابع أن يلبسوا قلنسوه محدّده وقباء ، وكلاهما أسود (٢) وكان هذا هو لباس وجوه رعيتهم أيضاً ، وكان

١- عريب ص ١٧٧ ١٧٦ ، والمنتظم لابن الجوزى ص ٤٣ب ، وقد جاء فى شعر الشريف الرضى ما يدل على أن القضيب والبرده هى برده النبى عليه السلام .انظر الديوان ص ٣١٣ ، ٥٤٣ من طبعه بيروت ١٣٠٧هـ . وقد اتخذ الأخشيد صاحب مصر الخفتان الفضى لباساً له ، كما فعل الخلفاء ، وأمرألاً يلبسه أحد سواه (المغرب لابن سعيد ص ٣٠) .

٢- مروج الذهب للمسعودى ج ٨ ص ١٦٩ ، ٣٧٧ . وقد أراد سلاطين المماليك أن يقلدوا الخلفاء فى لباسهم القديم تقليداً كاملاً ، وكان لباسهم يتألف من : ١ . عمامه حرير لها عذبه مدلاه بين الكتفين . ٢ . جبه حرير سوداء واسعة الكمين ، لانهقش عليها . ٣ . سيف عربى كان يحمل على طريقه البدوله حمائل يعلق بها على الكتف الأعن وهو مدلى على الجانب الأيسر ؛ ويقال أنه سيف عمر بن الخطاب . (انظر ١٣٣ ، ١ . Quatremere Mameloucs)

السواد هو كذلك لون الخرقه التي كانت تحضر فيها الصدقه كل يوم عند صلاه الصبح لتفريقها على المحتاجين (١).

وكذلك كان عَلمَ الخلافه أسود ، عليه بالكتابه البيضاء : محمد رسول الله (٢).

أما خلفاء الفاطميين بمصر فكان لباسهم البياض ، وهو شعار العلويين ؛ وكانت ألويتهم بيضاء ، وعليها أحياناً أهله من ذهب ، في كل منها صوره سبع من الدباج الأحمر ؛ وقد شَبَّهها أحد الشعراء بشقائق النعمان (٣).

وكانت طريقه تتويج الخليفه أن يعقِدَ لواء نفسه على الرسم المعروف في ذلك ، وأن يتسلم خاتم الخلافه ممن يكون ذلك معه (٤).

وهذا تتويج على الطريقه العربيه البسيطه أما أمراء الأطراف فقد كان التتويج بالنسبه لهم تتويجاً حقيقياً تجرى رسومه على الطريقه الوثنيه؛ فكان يوضع على

١- كانت هذه الخرقه تحوى مائتى درهم كل يوم ، وكان ما فيها يفرق على من فى قصر الرصافه من الحرم المحتاجات (كتاب الوزراء ص ١٩) ؛ ويخبرنا أبوالمحاسن أن زكاه ابن طولون كانت ألف دينار فى كل يوم ؛ وكثير من الأرقام التي يذكرها أبوالمحاسن عن الطولونيين مجرد درقام خياليه .على أن المقرئى (الخطط ج ١ ص ٣١٦) يقول إن صدقات ابن طولون كانت ألفى دينار فى كل شهر سوى ما يطراً من نذر أو صدقه شكر. (المترجم) .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٢٩٤ ، وكان ولى العهد العباسى فى أواخر القرن الرابع ، وكذلك أمراء الأطراف ، يسير بين يديهم علمان : لواء أبيض ورايه سوداء ؛ انظر تاريخ أبى المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٣٥ ، وعريب ص ١٧٧ ، وابن الجوزى فى المنتظم ص ٤٣ ، ١١٢ ، ١٢٥ .

٣- أبوالمحاسن ج ٢ ص ٤٦١ ٤٦٠ ، وكتاب الديارات للشابشتى ، ص ١٢٩ .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٤٥٤ .

رأس الأمير تاجٍ مرصع بالجواهر ، ويلبس طوقاً وسوارين من الذهب المنظوم بالجواهر عادة(١).

وكان لباس الحاشيه الرسمى فى القرن الثالث الهجرى أحمر اللون فى العاده؛ فيحكى أن المتوكل شرب يوماً فى أحد قصوره ، وأمر بضرب دراهم ؛ وصُيغ منها الأحمر والأصغر ، ثم أمر الحاشيه أن يعدّ كل واحد منهم قباءً جديداً وقلنسوه على خلاف لون الآخر وقلنسوته ؛ ثم أمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد ، وحوله الندماء والخدم وقوف (٢).

أما فى القرن الرابع فكان الغلمان عند ساعات الاستقبال بعضهم بسواد وبعضهم بياض(٣).

وكان يحمل على رأس خلفاء العباسيين والفاطميين شمسه الخلافه (وتسمى

١- لبس سيف الدوله أمير حلب تاجاً مرصعاً بالجواهر لما استقبل رسول ملك الروم فى سنه ٣٥٣هـ ٩٦٤م (يحيى بن سعيد ص ٩٤ب). وكان طوق الذهب من علامه المحاربين عند المصريين القدماء (٢١١.ZDMG.٤١.S./)؛ وصار حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م يخلع عند المسلمين على القواد المنتصرين (عريب ص ٣٥)؛ وقد سُور القائد الذى هزم القرامطه بسوارين من الذهب (عريب ص ٣). ويظهر أن أول أمير خلع عليه الطوق والسواران هو الأخشيد أمير مصر، وقد أنفذ الراضى هذه الخلع مع وزيره الفضل بن جعفر فى عام ٢٢٤هـ ٩٢٥م؛ وقد زينت لذلك الأسواق والشوارع بأنواع الفرش والستور والبسط وأبواب الجامع ، وركب الأخشيد إلى الجامع العتيق ، وعليه خلع الراضى ، ومعه الوزير (الغرب لابن سعيد ص ١٨ ١٧)؛ أما خمارويه ، سلف الأخشيد ، فلم يرسل له الخليفه إلا السيف والتاج والوشاح من غير طوق (كتاب الولاه للكندى ص ٢٤٠)؛ رند ظل ال .والسوار مما ينحلى به الفواد فى عصر الفاطميين .وذلك كله رغم ما قضى به فقهاء الإسلام من تحريم لباس الذهب والتحلى به .

٢- كتاب الديارات ص ٦٨ ب .

٣- كتاب العيون ص ٢٣٥ ب .

في مصر.)؛ وقلَّ ما نسمع عن الشَّمسه ببغداد، ففي عام ٣٣٢ هـ ٩٤٣ م أمر الخليفة أن تُحمل بين يدي أحد الكبراء شمسه الخلافه ، فكان هذا .. بما لم يسبح به من كان قبله من الخلفاء(١).

وكانت المظله في القاهره علامه أبهه الخلافه ، وكان لونها يشابه لون ثياب الخليفه(٢).

وكان من علامات سياده الخليفه ببغداد أن يضرب على باب داره بالطبول والدبادب ولاأبواق في أوقات الصلوات الخمس ، وكان لا يوقف ذلك إلا أيام العزاء بدار الخلافه(٣).

وقد حاول الخليفه أن يحافظ على هذه المزيه ويحول دون اتخاذ الأمراء لها ولكن ذلك لم يدُم ؛ ففي عام ٣٦٨ هـ ٩٧٨ م أمر الخليفه بأن تُضرب الدبادب على باب عضد الدوله في أوقات الصلوات الثلاث : الغداه والمغرب والعشاء؛ وفي عام ٤١٨ هـ ١٠٢٧ م أذن الخليفه بعد إباء لجلال الدوله بأن يضرب الطبل أمام داره في الصلوات الخمس ؛ وفي سنه ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م ضُرب الطبل أمام دارالأمير حسماً ، كما هو الحال بانسبه للخليفه تماماً(٤).

وظل لقب الخليفه بسيطاً كبساطه لباسه ، وهو اللقب المشهور :«أمير

١- كتاب العيون ص ٢٢٦ ب .

٢- الخط للمقريزي ج ٢ ص ٢٨٠ نقلاً عن المسبّحي (المتوفى عام ٤٢٠ هـ . . م)؛ وأبوالمحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٤٧٤ ٤٧٣ ، وترجمه فستنفد لمختصر صبح الأعشى للقلقشندی ص ١٧٣ . ومن بقايا العادات البربريه التي استبقاها الفاطميون انهم كانوا من تحريفهم يسيرون بالجوش ومعهم توابيت آبائهم (أبوالمحاسن طبعه كلفورنيا ص ١٠) .

٣- المنتظم لابن الجوزي ص ١٧٦ ب ، ٢٠١ ب .

٤- المنتظم ص ١١٤ ، ١٧٥ ب ، ١٩٧ ب ، وابن الأثير ج ٩ ص ٢١٥ .

المؤمنين» (١)؛ على أنه منذ أيام الخليفة العباسي الثاني صار الخليفة يمسى باسم فيه نسبه إلى الله ؛ وكان اتخاذ هذا اللقب أول عمل يقوم به بعد البيعه له (٢).

ولا نعرف المثال الأولى الذى كان أساساً لذلك . وفى سنة ٣٢٢ هـ ٩٣٣م طلب الخليفة الراضى من صديقه الصولى ج الأديب ولأعب الشطرنج المشهور ج أن يوجه إليه بالأسماء التى تُنعت بها الخلفاء وتكون أوصافاً لهم . ويحكى لنا الصولى نفسه (٣) أنه بعث إليه رقعه فيها ثلاثون اسماً ليختار منها ما يريد ، وأشار عليه أن يختار منها المرتضى بالله . وقد وثق من اختياره له حتى إنه ابتداءً من وقته يعمل أحياناً ضاديه نافيتها المرتضى ، على أن ينشده إياها ؛ فلما فرغ منها جاءه ورسول الخليفة برقعه فيها : إن إبراهيم بن المهدي لما بويج أيام المقتدر بالخلافه أراد أن يكون له ولي عهد ، فأحضروا المنصور بن المهدي وسموه المرتضى ، وما أحب ، أن أتسمى باسم قد وقع لغيري ، ولم يتم له أمره ؛ وقد اخترت الراضى بالله . وقد حفظ لنا الصولى فى تاريخه القصيده الأولى التى ألقها ، ولم يقدر لها أن تنشأ . وقد أمره الخليفة أن يعملها قصيده أخرى على قافية الراضى ، فعملها (٤).

وكان كاتب الخليفة الفادر (٤٢٢ ٣٨١ هـ ١٠٣١ ٩٩١م) أول من أخرج فى ذكر الخليفة وصيّفه بالحضره المقدسه النبويه ، اختراعاً جعله قُربه ، فصار سنّه ؛

-
- ١- على أنه إذا كان الخليفة المستكفى قد لقب نفسه فى عام ٣٣٤ هـ ٩٤٥م بلقب أمام الحق وضرب ذلك على السكه فإنما كان ذلك ردّاً على مزاعم جميع أئمه الفاطميين وأئمه الشيعة (انظر المنتظم ص ٧٣ ، وأبوالمحاسن ج ٢ ص ٣٠٨ طبعه ليدن) .
 - ٢- وكان ملوك السامانيين يسمون بعد موتهم بأسماء غير التى يسمون بها فى حياتهم (المقدسى ٣٣٧) .
 - ٣- الأوراق مخطوط باريس ص ٢٥ ، ص ١٥٢١ .
 - ٤- هذه القصيده موجوده فى كتاب الأوراق ص ١٥٢١ .

ومضى فى ذلك حتى خرق العرف والعادة ، فكتب عن الخليفه بالخدمه ، حتى رأيت بخط أبى الحسن بن أبى الشوارب القاضى فى ترجمه رفعه : خادم الخدمه الشريفه فلان بن فلان «(١)».

وكان الأمراء وكبارُ أصحاب المناصب والعمال ينهـا لكون جيمعاً على الألقاب تهالكا شديدأ ، وكانوا جميعاً يلقبون بألقاب منسوبه إلى الدوله مثل ولى الدوله ، وعماد الدوله ، ومعين الدوله ، وعزالدوله ، ونحو ذلك «(٢)».

ويقول البيرونى (المتوفى عام ٤٤٧هـ ١٠٥٥م): «وبنو العباس لما لقبوا أعوانهم بالألقاب الكاذبه ، وسوّوا فيها بين الموالى والمعادى ، ونسبوهم إلى الدوله بأسرهم ضاعت دولتهم» «(٣)».

وفى النصف الثانى من القرن الرابع احتيج إلى التفريق بين أصحاب الألقاب فُتتى لبعضهم التلقب ، فكان عضد الدوله (المتوفى عام ٣٧٢هـ ٩٨٢م) يلقب بتاج المله ؛ وأخيراً ثلث التلقب ، فلقب بهاء الدوله ضياء المله وغيث الأمه . ثم ذاعت ألقاب الدولظ فى كل مكان عند الفاطميين ، وعند السامانيين فى تلقب قواد الجيوش دون تلقب أنفسهم ، لأنهم لم يرغبوا فيها ، واكتفوا بالتكنيه ، وعند

١- كتاب الوزراء الهلال الصابى (المتوفى عام ٤٤٧هـ ١٠٥٥م) ص ١٢٥ .

٢- إن أخدم هذه القاب ج التى لا تزال تستعمل إلى اليوم مثلاً قبا للوزير بفارس ج هو لقب والى الدوله الذى لقب به الوزير أبو القاسم (المتوفى سنه ٢٩١ هـ ٩٠٣م)؛ وفى عهد بالحكام بأمر الله فى مصر لقب أحمد العمال بأمين الدوله ؛ انظر الآثار المباقيه للبيرونى ص ١٢٢ والصفحات التاليه ، وبيحى بن سعيد ص ١١٣ ب .

٣- الآثار الباقيه للبيرونى ص ١٣٢ .

بغراخان التركي؛ فإنه لما خرج في سنة ٣٨٢ هـ ٩٩٢م لُقّب نفسه بشهاب الدوله؛ ثم ظهرت ألقاب كاذبه فيها معارضه لروح الإسلام وتجروء على مقام الألوهيه . وكان البويهيون أول من سموا وزراءهم بأسماء مما ينبغى أن يطلق على الله مثل: الأوحده وكافى الكفاه ، وأوحده الكفاه ؛ وجاوز نفر هذا الحد ، فسموا أنفسهم بأمير العالم وسيد الأمراء ؛ ولذلك يوقل البيرونى بعد ذكره ما تقدم :«فأذاقهم الله الخزى فى الحياه الدنيا ، وأظهر لهم ولغيرهم عجزهم»(١).

وأخيراً يقال إن الخليفه القادر بالله (٤٢٢ ٣٨١ هـ ١٠٣٠ ٩٩١م) لقب محمود بن سبكتكين صاحب غزنه بأكبر لقب ظل له شأن عند الأجيال التاليه وهو لقب السلطان ، وكان محمود أول من لقب به(٢).

ولكن أمير بغداد طلب فى سنة ٤٢٣ هـ ١٠٣١م أن يلقّب بالسلطان المعظم مالك الأمم ، فقال القاضى الماوردى ، رسول الخليفه إلى الأمير ؛ إن هذا لا- يمكن ؛ لأن السلطان المعظم هو الخليفه ، وكذلك مالك الأمم ، فعدل الأمير إلى لقب مالك الدوله ، فأجاءه الماوردى(٣).

وفى سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧م زيد فى ألقاب جلال الدوله شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، وهو اللقب الوثنى القديم ؛ فنفر العامه من ذلك ، ورموا الخطباء الذين ذكروه فى المساجد بالآجرٍ ؛ ووقعت فتنه ؛ ومع أن الفقهاء أفتوا بأن هذه الأسماء أنما يعتبر فيها القصد والنيه ، وأنّ ملك الملوك معناه ملك ملوك الأرض ، وليس

١- الآثار الباقيه للبيرونى ص ١٣٤ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ٩٢ ، وكتاب الأوائل لعلى دده مخطوط رقم ٩٣٧٢ بمكتبه برلين ص ١٥٥ نقلا عن تاريخ الخلفاء للسيوطى .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٨٤ ب .

فيه ما يوجب النكير ولا- المماثله بين المخلوق والخالق ، وأن هذا القب جائز ، كما جاز أن يقال : كافي الكفاه ، وقاضى القضاء فإن كثيرين من أهل الجدد والتدقيق لم يرضوا به ، وذكروا أن القاضى الماوردى منع من جوازه ، حتى أدى ذلك إلى أن انقطع عن خدمه جلاله الدوله بعد أن كان مختصاً به(١).

ولم يرض هلال الصابى عن تلقيب القادر بالله ابنه وولى عهده بالغالب بالله فى عام ٣٩١ هـ ١٠٠٩م؛ وهو يذكر بعد حكايته لهذا تلك العبارة المعروفه التى كانت مكتوبه على قصر الحمراء: لا غالب إلا الله وحده لا شريك له(٢).

ولم تكن ثمه قيمه حقيقه إلا الألقاب التى يمنحها الخليفه ، وكان يدفع له من أجلها الشئ الكثير؛ وكان ذلك أكبر أبواب دخله فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، فبعد أن لُقّب أمير بغداد بمالك الدوله فى سنه ٤٢٣ هـ ١٠٣١م بعث للخليفه أطفافا كثيره ؛ وقد أرسلها قبل التلقيب ، وإن كان قد أحب أن يلقّب أولا ثم يرسلها . وكانت هذه الهدايا ألفى دينار ؛ وثلاثين ألف درهم ، وعشره أثواب خز ، ومائه ثوب ديباج مرتفعه ، ومائه أخرى دونها ، وعشرين مئنا عوداً ، وعشره أمناء كافوراً ، وألف مثقال عنبراً ، وألف مثقال مسكا ، وثلاثمائه مبخر صينى ، وأرسل أيضاً هدايا أخرى لبعض رجال الحاشيه(٣).

١- المنتظم ص ١٩٣ ١٩٢ ، وطبقات السبكي ج ٣ ص ٣٠٥؛ وكان الماوردى من خواص جلال الدوله ، فلما أفتى بالمنع انقطع عنه ؛ فطلبه جلال الدوله يوما ، فمضى إليه على وجل وخوف ، فقال له الأمير : أنا أتحقق أنك لو حايت أحداً لحايتنى لما بينى وبيتك ؛ . . . على ذلك إلا الدين ، ففرّ بك ذلك منى ، وزاد محللك عندى .

٢- كتاب الوزراء ص ٤٢٠ ، ويذهب الصولى (الأوراق ص ٣) إلى أن الألقاب مكرومه منهي عنها فى كتاب الله وعلى لسان رسوله عليه السلام ، قال الله عزوجل : ولا تنازوا بالألقاب .

٣- المنتظم ص ١٨٤ب من مخطوط برلين .

وفى هذا العصر أيضاً ارتقت صور الأدب فى حضره الخلفاء حتى صارت على رسم بقى فى جوهره مستمراً طول العصور . كان الخليفة المأمون حوالى سنه ٢٠٠هـ يخاطب كما يخاطب أى رجل آخر بلفظ أنت (١).

وكذلك كان يخاطب الخليفة المقتدر عاده حوالى عام ٣٠٠هـ (٢).

وإن كانت تستعمل إذ ذاك طريقه الخطاب بضمير الغائب إلى جانب ذلك ، فكان يقال أميرالمؤمنين أمر بكيت كيت . وفى أواخر القرن الثالث لم يكن من السائغ أن يخاطب أى رجل بمثل هذه الباسطه ، وفى أوائل القرن الرابع لقي الخليفة المتقى الأخشيد صاحب مصر بالرقه ؛ وقد حمل الأخشيد الهدايا ، وأظهر الخدمه والأدب ؛ وخاطب وزير المتقى الأخشيد باسمه ، فأمره الخليفة بأن يكنيه تأكيداً لقدرة واحتراماً له (٣).

وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كان الخليفة المعتضد لشده هيبته إذا خاطب صديقه الطيب ثابت بن سنان فى الملاء سماء ؛ وإذا كان فى الخلوات كناه (٤).

وكان المأمون يمدیده مسلماً على البطريق ديونيسيوس، وهكذا كان يفعل بكل من يريد إكرامه (٥).

١- كتاب بغداد لطيفور ص ٩٤ ومواضع كثيره .

٢- انظر مثلاً عريب ص ١٧٦، وكتاب الوزراء ص ٢٢٩ .

٣- المغرب لابن سعيد ص ٤٠ .

٤- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢١٦ .

٥- Michael Syrus, S. ٥١٧ .

ولما فارق موءنس القائد الخليفة فى أوائل القرن الرابع الهجرى قبل يده(١)؛

وكان من خاص التكريم فى ذلك العهد أن يقبل الإنسان رجل من هو فوقه(٢)وكتف من يساويه (٣)

وكذلك سلم الجوارى من قبل على تليماكوس (Telemachos) بأن قبلن كتفه وأعلى رأسه(٤).

وقد دعا الخليفة الراضى المير بجكم مره، فقبل هذا القائد فخذ الراضى ويده(٥)

وكان الأولون من مسلمى العرب يرون فى تقبيل الأرض أمام المخلوقين اجترأ على حقوق الله ؛ ولما قدم على المقتدر بالله

رسل ملك الروم أعفاهم من تقبيل البساط لئلا يطالب المسلمون بمثل هذا فى بوزنطه(٦).

وفى حكايط ترجع إلى أوائل القرن الرابع أن رجلا صالحا كتب كتاباً لغلام من غلمان نازوك يستعطف قيه سيده ، بعد أن طرده

؛ فاستدعى نازوك ذلك الرجل ، فحضر مرناعا ، وأهوى ليقبل الأرض ؛ فقال له نازوك ، وكان صاحب الشرطه : « .. عافاك

الله ، لا تفعل ، هذه من سنن الجبارين ، مانريد نحن هذا »(٧).

١- الهمذانى مخطوط باريس ص ٢٠١ ب .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٥٨ .

٣- نفس المصدر ص ٣٥٧ ، ٤٢٣ .

٤- Odyssee,ZVII, ٣٥ وكذلك فعل لأوديسيوس رعاه الخنازير والبقر (XXI,٢٢٤) .

٥- الأوراق للصولى ٥٤ .

٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى طبعه سلمون ص ٥٦، ويحكى مسكويه (ج ٥ ص ١٦٥)ذلك باقتضاب فيقول : فلما دخلا (

الرسولان) قبلنا الأرض .

٧- الفرغ بعد الشده ج ١ ص ٥٤ .

على أنه حوالي عام ٣٣٠هـ لما لقي الأخشيذ الخليفة المتقي في الرقه ترجل عن بعدٍ ومشى الغلام بسيفه ومنطقته وجعبته بين يدي الخليفة على سبيل الخدمة ، وقبل الأرض مراراً ، وتقدم فقبل يده ، ثم صاح به محمد بن خاقان : اركب يا محمد ، ثم صاح : اركب يا أبابكر ، فقيل إن المتقي قال لاین خاقان : كنه ، فكناه للوقت ؛ ثم كان الأخشيذ يقف بين يديه على سيفه ، وإذا ركب حجه ، وجعل مقرعته على كتفه لأنه لم يخدم خليفه قط غيره ، وافتخر بذلك ؛ وقد أعجب الخليفه من فعله ، وقال له : «قد وليتك أعمال ثلاثين سنه ، فاستخلف لك أونوجور ، وقيل إنه كناه أبالقاسم ، فقبل الأرض مراراً ، وأهدى إليه الأخشيذ هديه أخرى على ما فعله بابنه أونوجور وتكنيته له «(١)؛ وفي عام ٣٦٩هـ ٩٧٩م تم في دار الخلافة تتويج عضد الدوله على أفخم صورته: جلس الخليفه الطائع على سرير الخلافة في صدر صحن السلام ، وحوله من خدمه الخواص نحو مائه بالمناطق والسيوف ، وبين يديه مصحف عثمان ، وعلى كتفيه البرده ، وبيده القضيب ، وهو متقلد بسيف ، ووقف الأشراف من الجانبين ؛ ودخل الأتراك والديلم ولم يكن مع أحد منهم حديد ؛ فلما وصل عضد الدوله أذن له الخليفه ، فدخل ؛ فلما وقع عليه طرف الخليفه قبل الأرض بين يديه ، فارتاع أحد القواد لما شاهد ، وقال بالفارسيه : ما هذا أيها الملك ، أهو الله عزوجل ! فالتفت عضد الدوله إلى من يفهمه أن هذا خليفه الله في الأرض ؛ ثم استمر عضد الدوله يمشى ، ويقبل الأرض تسع مرات ، والتفت الطائع إلى خادمه ، وقال له : استدنه ، فصعد عضد الدوله وقبل الأرض دفعتين ، فقال له الطائع : أدن إلى أدن إلى ، فدنا ، وأكب

يقبل رجله وثنى الطائعين يمينه عليه . وكان بين يديه سرير، ومما يلي الجانب الأيمن الكرسي ، فقال له : إجلس ، مرتين ، فلم يفعل ، فقال له : أقسمت، لتجلسنّ، فقبّل الكرسي وجلس ، وبعد ملاطفه قال له الخليفة: قد رأيتُ أن أفوض إليك ما كل الله تعالى إلى من أمور الرعيه في شرق الأرض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي وما وراء بابي ، فتولّ ذلك مستجيراً بالله تعالى ، فقال له عضد الدوله : يعينى الله عزّوجل على طاعه مولانا وخدمته ؛ ثم أمر الخليفة بأن تُفاض عليه الخلع ، ويتوّج ، فنض عضد الدولظ إلى الرواق ، فألبس الغلع وخرج، وأمره الخليفة بالجلوس ، ثم عُقدت له الألويه ، وقُرى كتابه ؛ ثم نصحه الخليفة بما أراد ، وقلّده سيفاً ، وخرج ، وبعد ثلاثه أيام بعث الخليفة إليه هديه فيها غلاله قصب وصينيه ذهب وحرادى بلور : «فيه شراب ناقص كأنه قد شرب بعضه ، وعلى فم الحرادى خرقة حرير مشدوده مختومه» (١).

وكان إجلال الخليفة في مصر الفاطميه أعظم مما تقدم ، ففي سنه ٣٦٦هـ ٩٧٦م قُرى سجل أحد القضاة في الجامع الأزهر ، « وهو قائم على قدميه ، فكلما مرّ ذكر المعزّ أو أحدٍ من أهله أو ما بالسجود» (٢).

ولما أُسند القضاء أيضاً في عام ٣٩٨هـ ١٠٠٨م إلى مالك بن سعيد الفارقي قُرى سجّلُه بالقصر ، وهو قائم على رجله ، وكان القاضى كلما مرّ ذكر الحاكم في السجل قبّل الأرض (٣)، وقد أمر الناس في الحرمين في إحدى السنين أن يقوموا

١- المنتظم لابن الجوزى ص ١١٥ اب ١١٦ .

٢- ملحق أخبار الولاة والقضاة للكندى ص ٥٨٩ .

٣- نفس المصدر ص ٦٠٤ نقلاً عن المسيحي .

عند ذكر هذا الخليفة ، وكان إذا ذكر في الأسواق ومواضع الاجتماع بمصر قام الناس وسجدوا(١).

ولكن هذا الخليفة في آخر أمره أظهر الزهد فمنع الناس من تقبيل التراب بين يديه ومن بوس اليد والرتماء بالسجود له ، ومنع من مخاطبته مولانا ؛ ولكن هذه الرسوم عادت في زمن خلفه إلى ما كانت عليه من قبل (٢).

ولما احتضر الحاكم وصى أبا محمد الحسن بن عمّار أحد شيوخ كتامه ، ثم جعل له الوسايطه ، وخلع عليه ، وكان الناس يذهبون إلى قصره ، فمنهم من يومي بتقبيل الأرض ، ولا يقبل يده سوى أناس بأعيانهم ، وشرف بعض الناس بتقبيل ركابه ، وكان أجل الناس من يقبل ركبته (٣).

وقد ضرب أحد رجال الحاشية في بخارى حوالى هذا العصر أحسن مثل للأدب وحسن الإصغاء للملك والإقبال عليه ؛ فبينما كان عنده يحادثه في بعض مهماته لَسِيَعْتُهُ عقربٌ في إحدى رجليه عده لسعات ، فلم يتحرك ، ولم يظهر عليه أثر ذلك ؛ فلما عاد إلى منزله نزع حُفّه ، وأخرج العقرب منها(٤).

ونظر الأخشيد إلى كافور يوما ، وقد جئ بفيل وزرافه ، فمال جميع العبيد والخدم بأبصارهم للفرجه ، فلم تبرح عينه من عين الأخشيد خوف أن يحتاج إليه

١- المنتظم ص ١٥٠ .

٢- يحيى بن سعيد ص ١٢٢ ب ١٢٣ ، ١٣٢ ب ١٣٣ .

٣- الخطط للمقرئى ج ٢ ص ٣٦ .

٤- ابن الأثير ج ٨ ص ١٩٦ ، ويحكى مثل هذا عن الحجاج وعبد الملك بن مروان ؛ انظر محاضرات الأدباء طبعه بولاق ج ١ ص ١١٧ .

ويدعوه ، فيكون مشتغلاً عنه (١).

وقد تكلم المسعودى فى عام ٣٣٢هـ ٩٤٤م عن هذا الأدب فى حضره الملوک ، فقص علينا يحادثة بحديث لأنوشروان فى بعض حروبه ؛ فعصفت الريح فأذرت تراباً وقطعاً من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فارتاع من حضر لوقعها ، والهدلى شاخص نحو السفاح ، لم يتغير من شده ميل ذهنه وانشغال فكره بمحادثة الأمير ، حتى لم يصبح فيه لحادث مجال (٢).

ويحدثنا أيضاً عن دحد سيمراء شبرويه بن أبرويز أنه كان يساير الملك ، ويستمع حديثه مُصغياً ذليه بجواحه كلها ، حتى ترك النظر إلى موطن حافر دابته ، فرلّت إحدى قوائمها فمالت بالرجل إلى النهر ووقع فى الماء ، فسرى الملك بذلك ، لأنه لم يكن يظنه بهذا المقدار من الإقبال عليه ، «فحشا فاه جوهراً ودُرّاً ، واستبطنه ، حتى غلب على أكثر أمره (٣)».

وكان الأمراء فى مخاطباتهم الرسميه وفيما بينهم يتكلمون عن الخليفه ، أميرالموءمنين ، بكل احترام ، ويعبّرون فى كلامهم عنه بمولانا ، ويضع الواحد منهم نفسهم من الخليفه موضع «المولى» (٤)؛ وكان أحدهم إذا كتب لآخر افتتح

١- المغرب لابن سعيد ص ٤٧ .

٢- يحكى شئ يشبه هذا عن أبى القاسم الكعبى فى حضره أمير خراسان ، محاضرات الأدباء ج ١ ص ١١٧ .

٣- مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٥ ١٢٢ .

٤- ولم يكن الواحد منهم يسمى نفسه عبداً ، كما فعل تكين صاحب مصر ، حتى عام ٣٠٠هـ كتاب العيون ص ١٢٥ ب (٤) .

كتابه بالكلام عن الخليفة من نحو: «كتابى ومولانا أمير الموءمنين سالم موفور واللّه على ذلك محمود مشكور» (١)، وكان كل شى ينسب إلى أمره (٢).

وفى سنه ٣٧٨هـ أهدى الصاحب بن عبّاد إلى فخر الدوله فى أول المحرم ديناراً وَزَنُهُ أَلْفُ مثقال ، وكان على أحد جانبيه أبياتٌ من الشعر ، وعلى الجانب الآخر سورة الإخلاص ولقبُ الخليفة الصائغ لله ولقبُ فخر الدوله واسمُ جرجان ، لأنه ضرب فيها؛ هذا مع أن الإهداء كان بالرى ، فى مكان طهران الحاليه ، مع بعدها عن دار الخلافه (٣).

ولكن أميرالموءمنين كان عند التقائه بالأمراء يرى ضعفه المتزايد ونقصان منزلته ، ومن ذلك أن بجكم القائد التركى كان من عاداته فى داره وحشمه ألا- يشرب الماء إذا جاءوه به إلا بعد أن يذوقه بين يديه من جاء به ؛ وعلم الخليفه الراضى بذلك ؛ فاستعمل معهما يعمل له فى منزله ؛ فكان إذا حُمِلَ شىءٌ وُضِعَ بين يدي الراضى أولاً ، فأكل منه ؛ ثم يوضع بين يدي بجكم ، وجرى ذلك فى كل ما يوضع بين يديه ، وكان بجكم يستعفى الراضى من هذا فلا يعفيه (٤).

(وقد تعرض بلاط الخلافه لأكبر ما أنقص هيئته فى عهد المستكفى ٣٣٤ ٣٣٣ ٥٣٣٣ ٩٤٦ ٩٤٤م) لأنه وقع فى سلطان امرأه فارسيه مستبده تسمى حُسن ،

١- انظر مثلاً رسائل الصابى مخطوط رقم ٧٦٦ بمكتبه ليدن ص ٧٢ ب ، ٩٠ ب ، ١٢٩ .

٢- انظر مثال نفس المصدر ص ١٢٥: « وأنهيئا ذلك إلى مولانا أمير الموءمنين ، وخرج إلينا أمره لازال عالياً وسلطانه سامياً .. » ، وص ٢٠٣: « ولم يزل أكرمكم الله مولانا أميرالموءمنين يتطلع أخباركم .. ويرى فيكم ما يراه فى كافه المسلمين من حمايظ حريمكم وصيانه جميعكم . ويجارينا أعزّه الله ذلك من نيته . ويهيب بنا إلى الذب عن دياركم . » .

٣- ابن الأثير ج ٩ ص ٤١ .

٤- الأرواق للصولى ص ٥٤ .

«والتفُّ إلى حسنٍ نفرٌ ممن كانوا معها على الأصول القبيحة . وكانت تتولى عرض الغلمان والحجاب في قصر الخليفة في مجلس يقال له الحدودان ، لم يكن يصل إليه أحد إلا وزير أو صاحب ، فانخرقت الهيبة بهذه المرأة ، وذهبت الرسوم التي كانت للخلافه ، وصارت الدار طريقاً لكل من لم يرَها ، وكان كل من وصل إلى المستكفي أجلسه بين يديه .» ؛ وأرادت هذه المرأة أن تأمن توزون وتصلح قلبه ، فجعلت الخليفة يدعوه ويكرمه بما لم يسمح به أحد من الخلفاء قبله ؛ فكان يأكل معه على مائده واحده ، ويقدم له دابَّةً في الرواق التسعيني ، وهو موضع لم يركب منه خليفه قط؛ وأمر أن تحمل بين يديه شمسُ الخلافه و أن يسير الخدم معه إلى داره(١)؛ و كان من سوء حظ الخلفاء أن الديلم الذين ملكوا بغداد كانوا شيعة، فازداد أمر الخلافه إدباراً، و ذهبت حرمة الخلفاء، ولم يبق لهم من الأمر شيء؛ لأن الديلم « كانوا يتشيعون و يغالون في التشيع و يعتقدون أن العباسيين قد غضبوا الخلافه، و أخذوها من من مستحقَّيها، فلم يكن عندهم باعثٌ ديني على الطاعه(٢)».

وقد كان ثوار دار الخلافه حتى ذلك الوقت هم الذين يخلعون الخلفاء و يقتلونهم؛ أما الآن، بعد قدوم الديلم، فقد صار الخليفه يعاملُ أمام الناس جميعاً معاملة سيئه، لا تُراعى له فيها حرمةٌ و لا يعرف له فيها قدر ففى سنة ٣٣٤هـ ٩٤٥ م ذهب الأمير معز الدوله إلى دار الخليفه، و ذهب إليها سائر الناس على رسمهم؛ فلما جلس المستكفي على سريره، ووقف الناس على مراتبهم، دخل

١- كتاب العيون ص ٢٢٤ ج ٢٢٦ ب .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٣٩ .

الأمير معز الدوله، فقَبِل الأرض على رسمه، ثم قَبِل يد المستكفي و وقف بين يديه يحدثه؛ ثم جلس على كرسى، فتقدم نفسان من الديلم و مدّا أيديهما إلى المستكفي، و علا صوتهما بالفارسيه؛ فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدّها إليها، فجدّباها بها و طرحاه إلى الأرض، و وضعاً عمامته فى عنقه، و جرّاه؛ فنهض حينئذ معز الدوله، و اضطرب الناس و ارتفعت الزعقات، و الفتنت دار السلطان، و ضربت الأبواق، و ساق الديلميان المستكفي بالله ماشياً إلى دار معز الدوله حيث سُملت عيناه(١).

وفى ٣٦٤هـ دخل عضد الدوله بغداد، فكان من حسن سياسته أنه سعى حتى ردّ الخليفه بعد أن أخذه الأتراك معهم كارهاً؛ و خرج للقائه فى الماء، . معه حشدٌ عظيم من أهل بغداد، و سار معه حتى أنزله بدار الخلافه(٢)؛ و لكن عضد الدوله طلب من الخليفه فيما بعد، لما رجع إلى بغداد عام ٣٧٠هـ ٩٨٠م، أن يخرج لقائه إلى جسر النهروان، «و لم تكن العاده جاريه يخرج الخلفاء لتلقّى أحد من الأمراء(٣)».

و كانت حاشيه دار الخلافه و نفقاتهم فى عهد الخليفه المعتضد ٢٧٩ ج ٢٨٩هـ ٨٩٢ ج ٩٠١ م كما يلى:

١ أمراء بيت الخلافه.

٢ أصحاب النوبه من الرّجاله، و أرزاقهم فى كل يوم ألف دينار، منها سبعمائه

١- يحيى بن سعيد ص ٨٦ ب، و مسكويه ج ٦ ص ١٢٣ ج ١٢٤ .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٧٧ .

٣- المنتظم ص ١١٧ ج ب .

دينار للبيضان، و هم البوابون، و ثلثمائه للسودان، و أكثرهم مماليك الخلفاء(١).

و من رسمهم أن ينوبوا في مصافّ باب الخاصه و حوالى القصر. ولهم وظيفه خبز يَميزون بها لقله أرزاقهم(٢).

٣ الغلمان المَعْتَقون، و هم فى الغالب مما ليك الخلفاء؛ و منهم يختار الحجاب، و عدّتهم خمس و عشرون، و خلفاء الحجاب، و كانوا نحو خمسمائه(٣).

ولما قتل المقتدر كان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً(٤). و فى سته ٣٢٩ هـ ٩٤٠ م أنشئ لأول مره منصبُ حاجب الحجاب(٥).

٤ المختارون، و هم حرس مستخلصون للموكب و ملازمه الدار و الدخول أوقات جلوس الخليفه، و المقام من أول النهار إلى آخره. و كان جند كل قائد بيغداد بما فيهم مماليكه المسلحون يوءلّفون وحده قائمه بذاتها؛ فاختر الخليفه من كل قياده من عُرف بالشهامه و الشجاعه، و سُمّوا قوادهم، فقيل اليأسيه (و ذلك نسبة ليأنس)، و المُفْلِحِيه و المسروريه و هكذا. على أنه كان للمعتضد مماليك يقيمون فى القصر و الحُجْر تحت مراعاه الخدم و الأستاذين و سَمّاهم الحُجْرِيه؛ و هم يختارون من بين الفرسان الذين يحسنون الركوب و

١- و فى مصدر آخر لا ينطبق ما فيه على حقيقه الواقع تماما أن عدد هوءلاء الغلمان السود غير الخدم أربعه آلاف (تاريخ بغداد طبعه Salmon ص ٥١).

٢- انظر فى هذه الأصناف كلها كتاب الوزراء من ص ١١ إلى ص ٣١ .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٥٤١، و تاريخ بغداد طبعه سلمون ص ٤٩، ٥١ .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٣٧٩ .

٥- أبو المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٢٩٥ .

الرمى و يسمون أيضاً عسكرياً الخاصه. و كان لخمأرويه بمصر قوم معروفون بالشجاعه و شده البأس اتخذهم حرساً له، و سماهم المختاره؛ فكانوا يقاتلون أمام جنده، و إذا ركب مشوا خلفه(١).

٥ أصناف أخرى من المرسومين بخدمه الدار و الرسائل الخاصه و القراء و أصحاب الأخبار و الموءذنين و المنجمين و الفنجاميين و الفرانقيين و الأنصار و الحرس و أصحاب الأعلام و البوقيين و المخرقين و المضحكين و الطييين و السقايين و الطباخين و الخبازين و خزنه السروج و عمال الصطبلاط الخمسه ج خامسها للإبل ج و أصحاب الصيد و الملاحين فى الطيارات، و خدّمه المشاعل و الأطباء.

٦ الحُرم، و أرقاهن فى اليوم مائه دينار؛ و ليس عندنا معرفه دقيقه بعددهن. و قد ذكر الخوارزمى ما زعمه البعض من أن المتوكل كان له اثنا عشر ألف سربه (٢)، و يقول المسعودى إنه كان له أربعه آلاف سربه، و فى أحد المخطوطات أربعمائه(٣)؛ و كان على رأس نساء القصر حوالى عام ٣٠٠هـ قهرمانتان، إحداهما للخليفه و الأخرى للسيداه و الدته؛ و كان يسلم للأولى كبار المعقلين ليحبسوا عندها مكرمين حسباً هيناً؛ فمثلاً- وُكِّل بآبن الفرات حوالى ٣٠٠هـ ٩١٢ م عند زيدان القهرمانه(٤)، كما سُلم إليها الأمير الحسين بن حمدان،

١- نفس المصدر ص ٦٥ .

٢- رسائل الخوارزمى ص ١٣٧ .

٣- المروج للمسعودى ج ٧ ص ٢٧٦ .

٤- عريب ص ١٠٩، كتاب الوزراء ص ١٠٥ .

و الوزير على بن عيسى سنة ٣٠٣ هـ ٩١٥ م (١).

و كان اتخاذا الخليفه نساء من غير مبالاه بأصلهن، و إن كان معظمهن من جوارى الترك و الروم، سبباً فى إيجاد كثير من الضطراب فى البلاط و فى المناصب الإداريه العليا؛ فكانت كل سيده تحابى من يتصل بها من الأقارب و الأولياء، و ترفعهم ما استطاعت؛ و من أمثله ذلك أن الخليفه المهدي كتب إلى عامل جرش فى إشخاص الغطريف بن عطاء أخى الخيزران أم موسى و هارون ابنيه؛ و كان الغطريف غلاماً لرجل من أهل جرش، فأعتقه، و كان يوءاجر نفسه ينظر كروم؛ فحباه العامل و كساه، و حملة إلى المهدي، فرفع منزلته، ثم ولّاه على اليمن (٢).

و كان للمقتدر خالٌ رومى يسمى غريب، و كان له نفوذ كبير و كان يخاطب بالإمره (٣).

و فى سنة ٣٠١ هـ استطاعت أم موسى الهاشميه قهرمانه السيده أم الخليفه أن تسعى فى إسناد نقابه بنى هاشم الطالبيين و العباسيين لأخيها؛ فضجّ الهاشميون حتى ردّوا النقابه إلى ابن النقيب السابق (٤).

و قد أثبتت تجربه أن كثيراً من المنازعات مصدرها أم الخليفه؛ و قد ذاق المتصلون بالخليفه و بال ذلك، حتى إن الخليفه كان ينتخب أحيانا لأنه لا أم له

١- كتاب العيون ص ٨٥ ٨٦.

٢- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٨١ من الطبعة الأوربيه .

٣- عريب ص ٤٩ .

٤- نفس المصدر ص ٤٧ .

رجاء أن تستقيم الأمور معه(١).

و كان فى دار المقتدر حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢ م أحد عشر ألفاً من الخدم الخصيان(٢)، و فى روايه أخرى أنه كان بها سبعة آلاف خادم و سبعمائه حاجب(٣)، و فى مصدر قديم موثوق به أن خدم المتوكل و حاشيته كانوا سبعمائه(٤).

وقد جرى أباطره الدوله الرومانيه فى العصر المتأخر على عاده الفرس القدماء، فجمعوا حولهم جماعه يدعونهم إلى الطعام و الشراب، و سموهم «أصدقاء الإمبراطور»؛ و كذلك فعل الخليفه المأمون لما ورد إلى بغداد، فإنه أمر بأن تُثبت له أسماء من يصلح لمنادمته من أهل الأدب(٥).

وقد آثر أن يكونوا من العلماء و القواد و ممن جالس الخلفاء. و كذلك حاول القائد بجكم أن ينتفع بندماء الخليفه الراضى، فلم يجد من ينفعه إلا الطبيب سنان بن ثابت(٦).

وكان للخليفه المعتمد (٢٥٦ ج ٢٧٩ هـ ٨٦٩ ج ٨٩٢ م) مع ندمائه مجالساتٌ و مذكرات قد دُونت فى أنواع من الأدب، فيها مدح النديم و ذكر فضائله و ذم

١- نفس المصدر ص ١٨١، و كتاب العيون ص ١٣١ ب بالترقيم العربى(٩)، وقد توفيت والده القادر نفساء (كتاب العيون ص ٦٦).

٢- تاريخ بغداد طبعه سلمون ص ٤٩، نقلا عن القاضى التنوخى (المتوفى عام ٤٤٧هـ ١٠٥٥ م)؛ و أبو المحاسن ج ٢ ص ٢٤٨.

٣- تاريخ بغداد ص ٥١.

٤- كتاب الديارات للشابشتى ص ٦٨ ب.

٥- نفس المصدر ص ٢١ ب.

٦- مسكويه ج ٦ ص ٢٦.

التفرد بشرب النبيذ و ما قيل فى ذلك(١)، وكان للندماء أرزاق(٢).

وقد وصف لنا الصولى أول جلسه للخليفه الراضى (٣٢٢ ج ٩٣٦ هـ ٩٤٠ م) مع أصحابه : كانوا يجلسون على رسم و ترتيب مخصوص، و كانوا فى أول جلسه أربعه عن يمينه و خمسه عن يساره؛ فكان على يمينه قريبا إليه إسحاق بن المعتمد أحد الأمراء، و يليه الصولى، الأديب و لاعب الشطرنج المشهور، ثم أحمد بن محمد العروضى الذى كان مرسوما بتأديب أبى إسحاق المتقى أميرالمؤمنين، ثم يليه محمد بن عبدالله بن حمدون، أحد أبناء الأشراف المتصلين بالبلاط؛ و كان على يساره ثلاثه من آل المنجم و هم من أدباء الحاشيه، و اثنان من بنى البريدى العمال المشهورين، و كان يعلمان الخليفه الخط. و قد افتتح المجلس بإنشاد قصائد بمناسبة تقليد الخلافة، ثم تكلم الخليفه، فشكا ثقل العبء الذى ألقاه عليه هذا المنصب بسبب قلته الأموال و تغير الأحوال و كلب الجند و خراب الدنيا؛ و ذكر أنه يستصعبه من الغم و الأسف و الاهتمام أكثر مما يوءمل من السرور، و رجا الله أن يعيله بجميل نيته. و كان مما قاله : و الله لقد جاءنى هذا الأمر، و لا شرعت فيه، و لا جئتته، و لا علم إليه ذلك منى فى سر و لا- علانيه، ثم تحدث عن إعنات القاهر له و خوفه من قتله إياه فى ليله و نهاره، إلى أن قال : أليس بابن المعتضد و أخ المقتدر و عمّ لنا؟ هذا و الله عار و عيب لا يزال، فقال له الصولى : قد أزال الله عن سيدنا كل عيب؛ و له فى رسول الله أسوه حسنه؛ هذا عمه

-
- ١- مروج الذهب ج ٨ ص ١٠٢، و يحكى لنا الشاشتى (ص ٨٠) أن المأمون أراد يوماً أن يعمل مع ندمائه، فأمر بإحضار اللحوم و آله الطبخ و طلب من الندماء أن يطبخ كل واحد منهم قدراً، و طبخ هو أيضاً قدراً.
- ٢- الفهرست لابن النديم ص ٦١ .

أبو لهب أنزل الله فيه سورة من القرآن يعرفها كل إنسان، فما لحقه عاره. يقول الصولى: « فكننا بين يديه فى ذلك اليوم ثلاث ساعات من الليل نشرب، و كان هو لا يشرب، قد ترك النبيذ جملة »؛ و كان لكل من الفريقين اللذين على يمينه و على يساره فى أول جلسته نوبه خاصه به؛ و يظهر أن بعض النوبه كانوا يحضرون النوبه الأخرى أحياناً(١).

و يقول الصولى: إن مما امتاز به الراضى فى مجالس مناداته أنه كان يأمر بأن توضع بين أيدي الندماء الصوانى عليها خماميات المطبوخ، و المغاسل، و كيزان الماء، ليشرب كل واحد منهم ما يريد. « ولم يكن يفعل ذلك الخلفاء إلا خصوصاً بالواحد بعد الواحد(٢)، و بالجماعه فى وقت من الدهر ». و كان يأمر أن توضع بين أيديهم الفواكه الرطبه و اليابسه، فينالوا منها كما يتالون فى بيوتهم؛ بل يحكى الصولى أن الندماء كانوا يتبارون فى الشرب بين يديه، فيسير بذلك، و يثيب عليه، و يقول: من زاد فى شربه فإنما فعل ذلك سرورا بنا و نشاطا لمجلسنا، و كان إذا شرب أحد المتبارين كأسا قبل صاحبه رفعها ليراها الراضى؛ و قد فعل اثنان منهما ذلك مراراً إلى أن ضجر الراضى فقال: كأنها قوارير بول تدفع بين يدي طيب(٣).

و كان لكل سلطان من السلاطين أماره لندمائه، إذا أراد نهوضهم، فكان أردشير يذا تمطى قام سيماره؛ و كان يزدرج يقول: شب شد (و معناها تقدم الليل)؛ و كان سابور يقول: حسبك يا إنسان! و كان عمر يقول: قامت الصلاه؛ و

١- الأوراق للصولى ص ١١ ج ٢٦، ١٤٣ .

٢- فمثلاً كان لكل نديم من ندماء الواثق (٢٢٧هـ ٢٣٣هـ ٨٤١ ج ٨٤٧ م) نوبه لا يحضر إلا فيها ج الأغانى ج ٣ ص ١٨٤ .

٣- الأوراق للصولى ص ١٧، ٢٧ .

عبد الملك : إذا شئتم؛ و الرشيد : سبحان الله؛ و كان الواثق يمسُّ عارضيه(١).

و كانت نفقات دار الخلافه عظيمه جداً؛ فكانت نفقات المطابخ و المخازن عشره آلاف دينار فى الشهر. و كان يطلق فى كل شهر فى جملة نفقات المطبخ لثمن المسك وحده ثلثمائه دينار، مع أن الخليفه لم يكن يأكل طعاماً فيه مسك، و لا يطرح له إلا اليسير فى الخشكنانج؛ و كان يصرف للسقايين مائه و عشرون ديناراً فى الشهر، و مائتا دينار لثمن الشمع و الزيت، و ثلاثون ديناراً للأدويه، و ثلاثه آلاف دينار لنفقات خزائن الكسوه و الخلع و الطيب و حوائج الوضوء و الحمام و نفقات خزائن السلاح و ما يرم من الجواشن و الدروع و يتخذ من النشاب و الأعلام و نفقات خزانه السروج و الفرش(٢).

و كانت نفقات دار الحرم التى بناها خمارويه عظيمه جداً، و كان يفضل عن حاجات من فيها الشىء الكثير للخدم و الطباخين. واشتهر بيعهم لذلك، « و كان شيئاً موجوداً فى كل وقت لكثرتة و اتساعه، بحيث أن الرجل إذا طرقة ضيفٌ خرج من فوره إلى باب دار الحرم، فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله»(٣).

ولما قعد القاهر فى الخلافه أظهر من الجدد و الاختصار و القناعه ماها به به الناس، فلما عُرِضت عليه صنوف الألوان و الحلواء و الفاكهه التى كانت توضع بين أيدي الخلفاء فى كل يوم استكثرها؛ و كانت تباع بثلاثين ديناراً، فأمر بأن يقتصر من ذلك على دينار واحد و من الطعام على اثني عشر لوناً. و كان يقدم

١- محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٢١ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٦، ١٨، ١٩، ٣٥٢ .

٣- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٣١٧ ج ٣١٨ .

لغيره فى كل يوم ثلاثون لوناً من حلواء فاقتصر على ما يكفيه(١).

وفى ذلك العصر كانت أيام العصر قد أقبلت؛ ففى عام ٣٢٥هـ ٩٣٧ م أنقص عدد الحجّاب من خمسمائه إلى ستين(٢)؛ وفى سنة ٣٣٤هـ ٩٤٥ م استولى معز الدوله على كل الأمور الماليه من يد الخليفه، و أقام له لنفقته كل يوم ألفى درهم(٣)، و هو أقل من نصف ما كان يحتاج إليه(٤).

و بعد ذلك بسنتين قطع عن الخليفه الألفى درهم و عوّضه عنها ضياعاً من ضياع البصره و غيرها زياده على قدر ضياع الخليفه بنحو مائتى ألف دينار فى السنه؛ ثم نقص ارتفاعها على ممر السنين إلى أن صار خمسين ألف دينار فى السنه(٥).

ثم جرت العاده منذ عام ٣٣٤هـ ٩٤٥ م أن تُنهب دار الخليفه بعد موته أو خلعه حتى لا يبقى فيها شىء(٦).

وفى سنه ٣٨١هـ ٩٩١ م لما خلع الطائع حوّل ما كان فى دارالخلافة من المال و الثياب والأواني و المصاغ و الفروش و الآلات و الرخام و الخشب و الساج و

١- عريب ص ١٨٣ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٥٤١ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ١٢٥ .

٤- كانت نفقات الحضرة فى أيام المعتضد سبعة آلاف دينار فى كل يوم (كتاب الوزراء ص ١٠)، و فى سنه ٣٣٠هـ ٩٤١ م قُدر لسائر نفقات دار الخلافة مائه و خمسون ألف درهم فى السنه (كتاب العيون ص ٢٠٣) .

٥- المنتظم ص ٧٨ ب .

٦- يحيى بن سعيد ص ٨٦ ب ج ٨٧ و مسكويه ج ٦ ص ١٢٤ . ولما مات الراضى أرسل بجكم القائد إلى دار الخلافة، و أخذ فرشاً و آلات كان يستحسنها (ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٦)، و لما خلع الوزير فى عام ٢٩٩هـ ٩١١ م نهبت داره و أخربت (كتاب الوزراء ص ٢٩ و المنتظم ص ٤٠) .

التمثيل و الأبواب و الشبايك و الرصاص حتى خلت دار الخلفه(١).

وكان العامه من الرومان يطلقون لأنفسهم العنان لمثل هذا الصنيع عند موت البابا.

و نلاحظ هنا تشابهاً يستلفت النظر بين الخليفه و البابا، و ذلك أن الخليفه فى هذا العصر صار رئيساً روحياً فقط ليس له سلطه سياسيه، و صار الرئيس الروحى لجميع المسلمين، و كان تقلص سلطانة عن العراق، حتى لم تبق له إلا- بغداد ينازعه عليها المنازعون، مما أسرع فى جعل منصب الخليفه روحياً دينياً. ففى سنة ٤٢٣هـ ١٠٣٢ م نزل السلطان جلال الدوله من داره على سكر؛ و انحدر فى سميريه، و معه ثلاثه نفر من حاشيته؛ و صعد إلى بستان دار الخلفه، و جلس مع بعض مغنياته تحت شجره، و استداعى نبيذاً فشربه، و أمر الزامر أن يزمر؛ و عرف الخليفه ذلك فشقّ عليه و أزعجه، فأرسل للسلطان قاضياً و حاجباً فقالا له : إن النبيذ و الزمر مما لا يجوز فى هذا الموضع على مقربه من الخليفه؛ فلم يقبل كلامهما، و لم يمتنع؛ فتغيظ الخليفه، و أرسل له كلاماً غليظاً، و أفهمه أن هذه السيره تشين الخلفه، و هدّد بمفارقة البلد؛ فحضر الوزير و اعتذر(٢)؛ على أن الدور الذى كان للخليفه فى هذه العصور الأخيره كان بسيطاً، لا- يشبه منصب رئيس الكنيسه؛ إذا قورن بإمبراطور بوزنطه الذى كان يحيى فى ميدان الألعاب بوصف أنه داود الثانى أو الرسول بولس الثانى؛ و كان يحتفى به كما يحتفى بكبار القسس؛ و كان يمضى يومه بين الكنائس و المذابح و صور القديسين، كما يدلّ على ذلك كتاب De Caerimoniis

١- المنتظم ص ١٣٠ ب و ابن الأثير ج ٩ ص ٥٥، ٥٦.

٢- المنتظم ص ١٨٥ ج ب .

تعليقات الفصل التاسع

[*١] ذكر هذا السيف له صلى الله عليه وآله يعقوبى (١) و روى عن ابن عباس (٢) و روى (٣) العلامة المجلسى قدس سره ما فى الكافى عن ابى الحسن الرضا عليه السلام انه نزل به جبرئيل من السماء و كانت حلقتة (حليته) من فضة.

وورد فى روايات (٤) اخر.

و عن المناقب (٥) قد روى كافه اصحابنا ان المراد بهذه الآيه «و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس» (٦) ذوالفقار انزل من السماء على النبى صلى الله عليه وآله فاعطاه علياً و سئل الرضا عليه السلام من اين هو؟ فقال هبط به جبرئيل من السماء و كان حليه من فضة و هو عندى و قيل صار إلى النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر، فاعطاه علياً، ثم كان مع الحسن ثم مع الحسين إلى أن بلغ المهدي عليهم السلام، و عن القاضى ابى بكر الجعابى باسناده عن الصادق عليه السلام، نادى ملك من السماء يوم أحد، يقال له رضوان، لا سيف إلا ذوالفقار و لا فتى إلا على، و مثله فى ارشاد المفيد و امالى الطوسى عن عكرمه و ابى رافع.

١- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٧٦.

٢- البحار ج ١٦ ص ١٢٧ ح ٦٣، ج ٤٢ ص ٥٧-٥٨.

٣- البحار ج ١٦ ص ١٢٤، ج ٤٢ ص ٥٧.

٤- البحار ج ٤٢ ص ٦٤-٦٧.

٥- البحار ج ٤٢، ص ٥٧-٥٨.

٦- سورة الحديد الآيه ٢٥.

و ذكر ابن ابى الحديد (١) فى الكلام عن حرب احد عن غلام ثعلب و عن محمد بن حبيب فى اماليه، قال سمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به، ينادى مراراً لا سيف إلا ذوالفقار و لا فتى إلا على، فسئل رسول الله صلى الله عنه فقال هذا جبرئيل.

قال ابن ابى الحديد: قلت: وقد روى هذا الخبر جماعه من المحدثين و هو من الاخبار المشهوره و وقفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد بن اسحاق، و رأيت بعضها خالياً منه و سألت شيخى عبد الوهاب بن سكينه رحمه الله عن هذا الخبر، فقال خبر صحيح، فقلت فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: او كلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح، كم قد اهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحه.

[٢*] و على رغم ما كتبه امير المؤمنين عليه السلام (٢) زمن خلافته إل و إلى البصره عثمان بن حنيف، ضمن كلامه، لا اعددت لبالى ثوبى طمراً.

و ما ورد عنه عليه السلام (٣) من اشتراء ثلاثه اثواب بدينار، قميص إلى فوق الكعب، و الازار إلى نصف الساق، و الرداء من بين يديه إلى ثدييه، و من خلفه إلى اليته، ثم رفع يده إلى السماء فلم يزل يحمد الله على ما كساه حتى دخل منزله.

قال ابو عبدالله عليه السلام ولكن لا يقدر ان يلبسوا هذا اليوم و لو فعلناه لقالوا مجنون و لقالوا مراء.

و وردانه عليه السلام (٤) اشترى قميصين و قال لغلامه اختر ايهما شئت.

[٣*] هذا خطأ فى مراد القرآن لكون الظاهر المتفاهم من الآيه لا سيما بالنظر إلى قوله

١- شرح النهج الحديدى ج ١٤ ص ٢٥١.

٢- نهج البلاغه ج ٣ ص ٧٩.

٣- البحار ج ٤١ ص ١٥٩.

٤- البحار ج ٤١ ص ١٦١.

تعالى «بئس الاسم الفسوق بعد الايمان»^(١) اللقب التي يقرص الانسان غيره بها و ينقص من مقامه و كرامته و الا فلا اظن ان الصولى يابى عن اطلاق لقب اميرالمؤمنين على كثير من الخلفاء الذين يرى لهم الاهليه لذلك.

[٤*] قد ورد فى (٢) روايه معتبره عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال لا يقبل رأس احد و لا يده إلا (يد) رسول الله صلى الله عليه و آله أو من اريد رسول الله صلى الله عليه و آله (به ظ) واحتمل بعضهم شمول الحكم للعلماء لانهم ورثه الانبياء و ليس ببعيد.

اما تقبيل يد الامام المعصوم عليه السلام و رأسه فقد ورد فى روايات (٣) كثيره، و فى روايه (٤) ابى حمزه الثمالى (من اصحابنا الاماميه الزهاد) راوى الدعاء المعروف لاسحار لياالى شهر رمضان عن زين العابدين السجاد عليه السلام، انه قالت: فاكببت على قدميه (يعنى السجاد عليه السلام) اقبلها فرفع رأسى بيده و قال لا يا ابا حمزه إنما يكون السجود لله عزوجل.

و فى روايه (٥) اخرى عن الصادق عليه السلام انه سافر على بن الحسين عليه السلام مره مع قوم فعرفه رحل منهم، فقال لهم اتدرون من هذا؟ قالوا لا. قال هذا على بن الحسين عليه السلام فوثبوا اليه فقبلوا يديه و رجله، فقالوا يا بن رسول الله الخ فتركه اولى.

[٥*] هذا اعظم انحاء الذله لاولئك و اكبر أنحاء الطغيان و الجبريه للانسان (الخليفه) الذى يفعل له هذا و يرضى به و يفرح، و حرام فعله لغير الله و لم يكن سجود الملائكه لآدم

١- الحجرات الآيه ١١.

٢- وسائل الشيعه ج ٨ الباب ١٣٣ الأحاديث ٣،٧، من أبواب العشره.

٣- وسائل الشيعه ج ٨ الباب ١٢٩ الأحاديث ٥،٤، من أبواب العشره.

٤- البحار ج ١٠٠ ص ٢٤٥.

٥- الوسائل ج ٨ الباب ٤٦ ح ٢ ابواب آداب السفر إلى الحج و غيره.

ولا سجد يعقوب ليوسف عليهم السلام بل سجد (١) الملائكة لله طاعه و لآدم عليه السلام قبله تحيه له و هكذا سجد (٢) ليعقوب و ذويه لله طاعه لأجل رؤيه يوسف عليهما السلام حياً و تحيه له.

و كم من امثال قضاة سوء بايعى الدين بدنيا يستره حقيقه اياماً معدوده.

و ما ابعد ما بين ما فعله اولئك الطغاه من الرضا بمثل هذا التذلل لهم و ما فعله (٣) امير المؤمنين عليه السلام مع دهاقين الابنار عند مسيره إلى الشام، فترجلوا له واشتدوا بين يديه، فقال لهم ما هذا الذى صنعتموه؟

فقالوا خلق منا نعظم به امرائنا.

فقال عليه السلام: و الله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون على انفكم فى دنياكم و تشقون به فى آخرتكم و ما (فما ثل) اخسر المشقه ورائها العقاب، و ما اربح الدعه معها الامان من النار.

نعم تقبيل البساط او الارض ربما يكون مكروهاً فانه غير السجده و قد فعله (٤) ابو قره صاحب الجائليق لما دخل على الرضا عليه السلام، و قال: هكذا علينا فى ديننا ان نعمل باشراف زماننا و لم يرد انكاره عليه السلام و اما السجده لغير الله تعالى فلا اشكال فى حرمتها حتى بالنسبه للنبي والامام عليهما السلام.

[*٦] ما ارحمه على الخلفاء واجفاه و ابعده عن الشيعة تبعاً لابن الاثير الذى أخذ كلامه منه مع ما شاهدوه أو نقلوه و نقل لهم من المفاسد و الجرائم التى كان الخلفاء و حواشيهم يرتكبونها.

١- تفسير البرهان ج ٢ ص ٢٧١-٢٧٠ ح ١٢، البحار ج ١١ ص ١٣٩ ح ٣-٤-٥-٦.

٢- تفسير البرهان ج ٢ ص ٢٧١-٢٧٠ ح ١٢-١٩، البحار ج ١٢ ص ٣١٩ ح ١٤٥ ص ٣٣٦ إلى ٣٣٩.

٣- نهج البلاغه ج ٣ ص ١٦٠ وسائل ٨ الباب ١٢٩ ح ١ من ابواب العشره.

٤- وسائل الشيعة ج ٨ ح ١ الباب ١٢٩ من ابواب العشره.

ولكن شنشه اعرفها من اخزم *** هل (لا) تلد الحيه إلا الحيه

[٧*] وطئهن (١) جميعاً، و ذكر عن قصر الحاكم بامر الله (٢) انه كان فيه /١٠٠٠٠/ جاريه و خادم و ان عند اخته السيده شريفه ست الملك /٨٠٠٠/ جاريه، منها /١٥٠٠/ من البنات الابكار، و لما قبض صلاح الدين على قصورهم وجد في القصر الكبير /١٢٠٠٠/ نسمة ليس فيهم فحل إلا الخليفه و اهله و اولاده. غير الخدم والغلمان و المتعه و التحف و اطلق صلاح الدين البيع فيهم فاستمروا يبيعون عشر سنين.

و ذكر (٣) المسعودي، انه مات (المتوكل) و في بيوت الاموال اربعة آلاف الف دينار و سبعة آلاف الف درهم.

-
- ١- تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٣٥-١٣٦ مروج الذهب ج ٤ ص ١٢٢.
 - ٢- تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٣٥-١٣٦ مروج الذهب ج ٤ ص ١٢٢.
 - ٣- تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٣٥-١٣٦ مروج الذهب ج ٤ ص ١٢٢.

الفصل العاشر: الأشراف

إشاره

كان العرب يقولون : الشرف نَسَبٌ، يقصدون أنه في الدم؛ و أول ما يجب أن يتوفر للسيد أن يكون جواداً شجاعاً، و من خصاله أن يكون عاقلاً متغافلاً.

كما قال الفرزدق :

كأن فيه إذا حاولته بَلْهًا *** عن ماله، و هو وافي العقل و الورع

و كما قال الشاعر :

ليس النبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه المتغابي (١)

و لا بد أن يكون عظيم الرأس، و من لم يكن عظيم الهامه فليس بسيد (٢) كالكتاب فمن صفته أن يكون صغير الهامه (٣) و من صفاته أن يكون كَثَّ شعر الناصيه، اشم عرنين الأنف، واسع الأشداق (٤)، غير مستدير الوجه، عريض الصدر و المنكبين، مديد الساعد، طويل الأنامل (٥).

١- عيون الأخبار لابن قتيبه طبعه بروكلمان ص ٢٧١ .

٢- نفس المصدر ٣٣٠ .

٣- صبح الأعشى للقلقشندي طبعه دار الكتب المصريه سنه ١٣٤٠هـ ١٩٢٢ م ج ١ ص ٦٧ .

٤- و هذه أيضاً صفه كرام الخيل .

٥- و من صفات رأس الجالوت (رئيس اليهود) أن يكون طويل الباع تبلغ أنامله ركبتيه (مجله الأبحاث اليهوديه مجلد ٥٩) (١٩١٠) ص ١٢١ و ما يليها؛ و مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٥؛ و من صفات المهدي عند السنوسيين يافريقيه أن تبلغ أنامله

الأرض،(انظر M. Hartmann, Af. R. ١. S. ٢٦٦)

و يكره في السيد التصنع في اللباس و المشيه؛ و لذلك يقال : « عمامه السيد ملوثة أو ملويه أى يديرها على رأسه كيفما اتفق(١)».

ويحكى عن الفضل بن يحيى أحد رجال الحاشيه في العصر العباسى أنه قال : « الناس أربع طبقات : ١ ج ملوك قديمهم الاستحقاق، ٢ ج و وزراء فضلتهم الفطنه و الرأى، ٣ و عليه أنهضهم اليسار، ٤ ج و أوساط ألحقهم بهم التأذب؛ و الناس بعدهم زبداً جفاء، و سيل غثاء، لُكع و لكاع، و ربيطه أتضاع، هم أحدهم طعمه و نومه(٢).

و كان الشرف و السياده نتيجة للمال و للسيطره السياسيه، و هما شيان في غايه الدناءه. وقد أهمل المسلمون مسأله الدم و خصوصاً دم الأم إهمالاً شديداً؛ و ذهبت قله الا كتراث بذلك إلى حد أن جميع الخلفاء في القرنين الثالث و الرابع للهجره كانوا أبناء جوار من الترك أو الروم؛ و كاد رجل أسود في أوائل القرن الثالث الهجرى أن يرتقى إلى عرش الخلفاه(٣).

على أن الإسلام أوجد نوعاً من شرف الدم لا يزال باقياً إلى عصرنا هذا، و ذلك في قرابه النبي أو بنى هاشم أو أهل بيت رسول الله أو « أهل البيت » باختصاص؛ و كانوا يأخذون، باعتبارهم قرابه النبي، راتباً من الحكومه، و كذلك حرمت عليهم

١- أبناء نجباء الأبناء، مخطوط برلين رقم ٩٥٠٧ ص ١٤ ب و مخطوط رقم ٦٠٣٢ ص ١٥ ب، و هذا الكتاب لابن ظفر المكي المتوفى عام ٥٦٥هـ ١١٧٠ م .

٢- مختصر كتاب البلدان لأبى بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، طبعه ليدن عام ١٣٠٢هـ ص ١ .

٣- هو إبراهيم بن المهدي، و أمه أم ولد سوداء، و كان شديد السواد براق اللون طويلاً- بديناً، حتى كان ينبز بذلك (مطالع البدور للغزولى ج ١ ص ١٣ ؟) .

الصدقه هم و مواليهم(١).

وكان لهم قضاء مستقل بهم يتولاه نقيبهم الذى يعينه الخليفه(٢).

وكان لهم نقيب لا فى بغداد فقط، بل فى جميع المدن الكبرى مثل واسط و الكوفه و البصره و الأهواز(٣).

وفى سنه ٣٥١ هـ ٩٦١ م كانت نقابه الطالبين بمصر للشاعر أبى القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل طباطبا(٤).

وكان نقيب العلويين فى عهد الفاطميين أيضاً من كبار رجال دار الخلافه(٥).

وقد انتهى إلينا كتاب بتقليد أبى أحمد الحسين بن موسى نقابه الطالبين سنه ٣٥٤ هـ ٩٦٥ م، و نرى من هذا الكتاب أن النقيب هو الذى يحكم أيضاً فى النزاع بين الطالبين و بين سائر رعيه الخليفه(٦).

وكان الفرعان المتعاديان من أهل البيت، و هم العباسيون الذين وصلوا إلى الرياسه، و الطالبيون الذين لم يبلغوها، يخضعون جميعاً لنقيب واحد حتى القرن الرابع(٧).

وفى آخر هذا القرن صار لكل فريق منهم نقيب خاص؛ و السبب الأقوى فى ذلك أن العباسيين بدأ أمرهم فى الضعف و بدأ الآخرون فى القوه، فلم يستطيعوا أن

١- رسائل الجاحظ طبعه فان فلوتن ص ٧.

٢- الأحكام السلطانيه للماوردى، طبعه إنجر ص ١٦٥.

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١١٥ ب.

٤- المغرب لابن سعيد ص ٤٩.

٥- Becker, Beitrage, ١, S. ٣٣، نقلاً عن المسيحي.

٦- رسائل الصابى طبعه بعبد (لبنان) ١٨٩٨ ص ١٥٣.

٧- عريب ص ٤٧.

يحتملوا إشراف أحد على أمرهم؛ وقد مهدت ظروف ذلك العصر الطريق لما عليه الأشراف اليوم.

و كان كل من العلويين و العباسيين يخاطب بالشريف(١)؛ ولم يكن للعلويين شارةً يتميزون بها كما تدل على ذلك الحكايات التي أوردها عريب بن سعيد القرطبي في كتابه صله تاريخ الطبري(٢)؛ أما اللون الأخضر فلم يجعل شاره لهم إلا أخيراً في القرن الثامن الهجري(٣).

و كان يعطى لكل واحد من بني هاشم ببغداد ديناراً في كل شهر في عهد المعتمد (٢٥٦ ج ٢٧٩ هـ ٨٧٠ ج ٨٩٢ م)؛ أما الذين خرجوا من بغداد فقد تركوها خواه الرفاض. ثم اقتصر الخليفة المعتضد على رُبع دينار. و كان عدد بني هاشم بالحضره أربعة آلاف نفس، و جملة الجارى لهم ألف دينار في الشهر(٤)؛ و في سنة ٢٠٩ هـ ٨٢٤ م أحصى عدد العباسيين، فكانوا ثلاثة و ثلاثين ألفاً(٥)؛ على حين أن الجاحظ حوالى ذلك الوقت يقول: « إن آل أبي طالب أحصوا منذ أعوام و حصلوا، فكانوا قريباً من ألفين و ثلاثمائة »(٦).

و كان يجرى لمشايخ الهاشميين راتب خاص يذكر في الميزانية مع أرزاق

-
- ١- فيما يتعلق بالعلويين انظر كتاب الفرج بعد الشده للتونخي ج ٢ ص ٤٣، و الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٥٦ و فيما يتعلق بالهاشميين انظر المنتظم لابن الجوزي ص ٩٢ ب .
 - ٢- عريب ص ٤٩ .
 - ٣- انظر الفصل الخاص بالشيعة .
 - ٤- كتاب الوزراء ص ٢٠ .
 - ٥- الطبري ج ٣ ص ٩٦٩ (؟) و كتاب العيون ص ٣٥١ (؟)، ولعله يشير إلى الجزء المطبوع .
 - ٦- كتاب الفصول للجاحظ مخطوط رقم ٣١٣٨ بالمتحف البريطاني ص ٢٠٧ .

الخطباء فى المساجد الجامعه؛ و جملة ذلك ستمائه دينار فى الشهر(١).

وكان لأولاد الخلفاء جارٍ خاص، و إن كان قليلاً؛ فكان المعتضد (٢٧٩ ج ٢٨٩ هـ ٨٩٢ ج ٩٠٢ م) يجرى على أولاد المتوكل و أولادهم رجالا و نساء ألف دينار فى الشهر، و كان يعطى أولاد الواثق و المهتدى و المستعين و من فى قصر أم حبيب خمسمائه دينار فى الشهر، و أجرى على ولد الناصر عبد الواحد و إخوته خمسمائه دينار أيضا(٢).

و لذلك لم يخلُ العلويون من بعض المخاطرين الساخطين، و كانت بخارى مركز هذه الجماعه الذى إليه يأوون، لأنه كانت ببخارى أكبر حكومه غير شيعيه بعد بغداد. و فى حوالى سنه ٣٨٠هـ التقى ببخارى بعض أولاد الخفاء مثل أبى طالب المأمونى و أبى محمد الواثقى، و ابن المهدي و ابن المستكفى(٣).

و كان أبو محمد الواثقى يشهد بنصيبين عند الحكام و القضاة، و إليه مع الشهاده الخطابه فى المسجد الجامع؛ ثم أفسد على القاضى أمره، فأخرج من بغداد، فقصده خراسان راجيا أن يقلد قضاء أو ديوان بريد؛ فلم ينل ما أراد، فذهب مغاضباً يتوغل فى بلاد الترك، حتى ألقى عصاه بحضره بغراخاقان، و افتعل مع رجل آخر كتاباً عن الخليفه بتقليده العهد بعده، حتى اضطر الخليفه أن يكتب بتكذيبه إلى خراسان و سائر الأطراف؛ و لم يزل الواثقى يزين لبغراخاقان إزاله الدوله السامانيه و الاستيلاء على المملكه؛ و بنى التدبير على أن تكون له الخلافه، و يتقلد التركى أعمال خراسان و ما وراء النهر من يده؛ فألم التركى فى

١- كتاب الوزراء ص ٢٠ .

٢- نفس المصدر ص ٢٠ .

٣- يتيمه الدهرج ٤ ص ٨٤ ج ٨٧ ، ١١٢ .

جيوشه ببخارى و استولى عليها، و لكنه مات قبلى تحقيق نهايه التدبير، و عاد الواثقى إلى بغداد سرّاً بعد فشل تدبيره، و لكن الخليفه فطن إليه و اضطره إلى الخروج، فعاود بلاد الترك، و تقلّبت به الأحوال، حتى قبض عليه يمين الدوله محمود بن سبكتكين، و حبسه فى إحدى القلاع موسّعاً عليه، حتى مات (١).

أما المأمونى فكان أيضاً يسمو بهمته إلى الخلافه و يَمْنَى نفسه قصد بغداد فى جيوش تنضمّ إليه من خراسان لفتحها، فاقطعته المنيه دون بلوغ الأمانيه، و لم يكن بلغ الأربعين، و كانت وفاته سنه ٣٨٣هـ ٩٩٣م (٢).

ثم حاول محمد بن الخليفه المستكفى الذى خُلع سنه ٣٣٤هـ ٩٤٥م أن يستولى على الدوله، مستعيناً بما جاء فى الأخبار من ظهور المهدي. فظهرت دعوته بين الخاص و العام، و ادعى أنصاره أنه « يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يجاهد أعداء المسلمين، و يجدد ما عفا من رسوم الدين »، فتطلعت إليه نفوس العامه، و جعل دعواته يأخذون له البيعه على الرجل بعد الرجل. فمن كان من أهل السنه قالوا له إنه عباسى، و من كان من أهل التشيع قالوا له إنه علوى، و دخل جماعه من وجوه الكتاب و أمثال الناس فى هذا الأمر، و دخل فيه خلق كثير من الديلم و الترك و العرب. و كان فيهم سبكتكين القائد العجمى، و كان يتشيع، فقال له الدعاه: إن الرجل علوى؛ و وعدوه بأن يقلّد إمره الأمراء، فاستجاب للدعوه؛ ثم ظهر لسبكتكين أن الرجل عباسى لا علوى، فتغيرت نيته و تصوّره بصوره المحتال؛ ثم انتهى أمره بأن قبض عليه بختيار و على أخيه و

١- كتاب الوزراء ص ٤٢١ و ما يليها، و يتيمه الدهرج ٤ ص ١١٢ ج ١١٣، و ابن الأثير ج ٩ ص ١١٧ ج ١١٨.

٢- اليتيمه ج ٤ ص ٩٤، و ابن الأثير ج ٩ ص ٧١.

أسلمهما للخليفة المطيع لله؛ فأمر بجدع أنف صاحب الدعوه، وقطع أذن أخيه وحبسهما؛ ثم هربا و خفى أمرهما(١).

و كان الهاشميون، إلى جانب ما يجرى لهم من راتب خاص، يقدّمون في تولّى مناصب مشرفه يصيرون منها المال بلا مبالاه و لا مراجعه ضمير : فكانت تسند إليهم إمامه كثير من المساجد(٢)؛ فمثلا كان أحد الهاشميين (توفى عام ٣٥٠هـ ٩٦١ م) إماماً لجامع المنصور ببغداد، و هو أكبر جامع في الدوله الإسلاميه(٣)؛ و كان إمام جامع عمرو بمصر في مثل هذا الوقت هاشمياً أيضاً(٤)؛ و كذلك تولى منسب قاضى القضاة فى عامى ٣٦٣هـ ٩٧٤ م و ٣٩٤هـ ١٠٠٤ م رجالان من بنى هاشم(٥).

وفى أواخر القرن الرابع كان أبو محمد الواثقى من ولد الواثق بالله أميرالمؤمنين يتولى الخطبه فى المسجد الجامع بنصيبين(٦)؛ كما كان الذى يحج بالناس فى كل عام رجلا من بنى هاشم، و هذه مهمه يصيب من يقوم بها شيئاً كثيراً؛ و كانت لا تخرج من يد الهاشميين.

و لما احتاج المؤمن أن يستعين بالعلويين على أخيه الأمين تولى الحج بالناس رجالٌ من الطالبين منذ عام ٢٠٣هـ، و كانت هذه أول مره يحج فيه

١- مسكويه ج ٦ ص ٣١٥ ج ٣١٧ .

٢- كتاب الخراج لقدامه بن جعفر مخطوط باريس ص ١٤ ج ب .

٣- المنتظم ص ٩٠ ب .

٤- ملحق الكندى ص ٥٧٥ .

٥- المنتظم ص ١٠٥ ج ب، ١٤٩ ب .

٦- كتاب الوزراء ص ٤٢١ .

الطالبون بالناس؛ و لكن إماره الحج عادت إلى الهاشميين بعد ذلك بثلاث سنين، و بقيت لهم حتى آخر أيام المسعودى عام ٣٣٦هـ ٩٤٧م (١)؛ ثم آلت إلى العلويين، وكانوا ينيبون من بينهم من يقوم بالحج (٢).

و كانت أول ما تُعطى المبرات إلى أقارب النبي، فكان أحمد بن أبي يعقوب ابن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن الدايه (توفى عام ٣٤٠هـ) يجرى بمصر فى عهد ابن طولون الجرايات على الأشراف الطالبين، و منهم من كان ينال مائتى دينار فى كل سنة (٣).

وكان الوزير على بن عيسى فى أوائل القرن الرابع ينفق كل سنة أربعين ألف درهم فى صلوات الطالبين و العباسيين و أولاد الأنصار و المهاجرين و فى مصالح الحرمين (٤).

وفى سنة ٣٣٤هـ وصل الخليفة المطيع لله العباسيين و العلويين فى يوم بنيف و ثلاثين ألف درهم (٥)؛ و كان أبو العلاء المعرى يصل بعض العلويين، و بعث إليه مره بشيء من النفقه، و أرسل له يعتذر لقلته و يرجوه قبوله (٦).

ومن الأمثال المعروفه أن العلوى يأخذ و لا يعطى (٧).

- ١- مروج الذهب ج ٩ ص ٩٦ و ما يليها .
- ٢- المنتظم ص ١٢٩ ب، و ابن الأثير ج ٩ ص ٥٤، على أن إماره الحج بمصر ظلت فى أيدي الهاشميين. انظر ملحق الكندى ص ٥٧٥ .
- ٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ١٥٩ .
- ٤- كتاب الوزراء ص ٣٢٢ ج ٣٢٣ .
- ٥- المنتظم ص ٧٤ .
- ٦- رسائل أبى العلاء طبعه مرجليوث ص ٣٥ .
- ٧- كتاب الفرغ بعد الشده للتوخى .

و إذا نظرنا إلى قله جارى بنى هاشم، و هو ربع دينار فى الشهر، علمنا أنهم لا بد أن يكونوا جميعاً علويين و عباسيين فى فاقه شديده؛ و نجد أحد الهاشميين يشتغل عيناً يجمع الأخبار؛ و فى عام ٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م وقع غلاء و مجاعه؛ فقتل كثير من النساء الهاشميات، لأنهن كن يقتلن الأطفال و يأكلن لحمهم(١).

وكان عند الصاحب بن عباد، وزير فخر الدوله بشمال فارس، علوى شامى يحدثه بما شاهد من الأعاجيب(٢).

وقد تحدث ابن الحجاج (توفى عام ٣٩١ هـ ١٠٠١ م) فى بعض شعره عن مغنيه هاشميه سيئه السيره(٣).

و مما يحكى عن كافور الأخشيدى صاحب مصر أنه وقفت له امرأه فى طريقه و صاحت به : ارحمنى يرحمك الله، فدفعها أحد رجاله دفعاً عنيفاً، فسقطت؛ فاغتاظ كافور و أمر بقطع يده؛ فقامت تشفع له؛ فتعجب من مكرمتها، و قال : اسألوها عن أصلها، فما تكون إلا من بيت عظيم؛ فسئلت، فإذا بها علويه؛ فعظم الأمر على كافور و قال : قد أغفلنا الشيطان عن نساء الأشراف؛ و أحسن إليها و تفقد سائر نساء الأشراف و أدرّ عليهن الإحسان و الجرايات(٤).

وفى سنه ٣٥٠ هـ ٩٦١ م وقعت فى بغداد فتن عظيمه أصلها أن رجلاً عباسياً عربيد على رجل علوى، و هما على على نبيذ، فقتل العلوى و نفر أهله و استغاثوا لأجله، و دخلت العامه، و عظم الأمر؛ و كان « أعمام النبى » [١١*] من أكبر مشعلى

١- يحيى بن سعيد ص ٨٧ و المنتظم ص ٧٤ ب .

٢- محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٩٥ .

٣- ديوان ابن الحجاج ١ ص ١٤١ .

٤- المغرب لابن سعيد ص ٤٨ .

نيران الفتنة بين عامه بغداد(١).

و فى عام ٣٠٦هـ ٩١٨ م وثب جماعه من الهاشميين على الوزير على بن عيسى يسبب تأخر أرزاقهم فشتموه و خرقوا دراعته، و أرجلوه؛ فخلصه القواد منهم؛ و انصل ذلك بالمقتدر فأمر فيهم بأمور عظام و بأن ينفوا إلى البصره مقيدين؛ فحملوا فى سفينه مطبقه بعد أن ضُرب بعضهم، و أمر الخليفه أن يحبسوا فى محبس البصره، فحملهم سبك الطولونى أميرالبصره مقيدين على حمير إلى دار فى جانب المحبس، و كلمهم بجميل و وعدهم خيراً، و فرق فيهم أموالاً- إلا- أنه أسر بذلك. ثم فقد كتاب بإطلاقهم، فأحسن إليهم الأمير و صنع لهم طعاما و وصلهم، و أكرت لهم سُميريات، فكان مقامهم فى البصره عشره أيام(٢).

وكان كلما قوى أمر الشيعة ببغداد و أظهروا الاحتفال بأعيادهم، قابل العباسيون السنّيون ذلك بنهوض من جانبهم و فعلوا مثل ما يفعل الشيعه؛ و أكبر من كان يفعل ذلك السنّيون فى باب البصره(٣).

و حوالى عام ٣٥٠هـ ٩٦١ م وقعت فتنة عظيمه ببغداد ج كما تقدم ج يسبب نزاع بين علوى و عباسى؛ فقبض الوزير المهلبى الحازم على كثير من مشيرى الفتنة من العباسيين و جعلهم فى زوراق مطبقه مسّمره و أنفذهم للمحبس فى بعض مدن العراق، فكانوا هناك حيث مات كثير منهم، ثم أطلق الباقون بعد موت المهلبى(٤).

١- كتاب الوزراء ص ٣٣١ .

٢- عريب ص ٧٥ ج ٧٦ .

٣- ابن الأثير ج ٩ ص ١١٠ .

٤- كتاب الوزراء ص ٣٣١ ج ٣٣٢ .

و قد أراد القائد عميد الجيوش فى سنة ٣٩٢هـ ١٠٠٢ م أن يضع حداً لهذه العداوه القديمه بين أهل السنه و الشيعه ببغداد، و هى العداوه التى كان المهيجون المتطرفون من العلويين و العباسيين يدعون الناس فيها للقتال و الشغب، و كان عميد الجيوش قد أرسل لإخماد الفتنة القائمه؛ فطلب الثوار من العلويين و العباسيين، فكانوا إذا وقعوا أمر أن يقرن العلوى بالعباسى و يغرقا نهاراً بمشهد من الناس، حتى هدأت بذلك الفتنة المستمره، و تجددت الاستقامه المنسيه، و خاف الغائب و الحاضر(١).

ثم جاء الوقت الذى يترقبه العلويون بعد طول انتظار و نفاذ و صبر؛ فأخذ نجمهم فى الصعود فى كل مكان، على حين بدأ أمر العباسيين فى الضعف؛ فيقول المقدسى فى كلامه عن إقليم خراسان مثلاً: و أولاد على رضى الله عنه فيه على غايه الرفعه، و لا ترى به هاشمياً إلا غريباً(٢)؛ وهنا نجد القرن الرابع الهجرى قد أوجد الظروف و الموقف الذى نراه الآن، فالعلويون هم الذين يمثلون أهل بيت الرسول. وقد عمل الجميع من قرامطه و فاطميين على خدمه قضيه العلويين، فأنشأوا دوله علويه فى جبال فارس، و فتحوا مكه بعد منتصف القرن الرابع، و جعلوها عاصمه البلاد المقدسه، و استطاعوا بدهاء أن يستغلوا المنافسه الشديده القائمه بين القاهره و بغداد لمصلحه هذا المركز الجديد(٣).

و كان الملوك الجدد فى الغرب و الشرق و هم الحمدانيون و البويهيون على مذهب الشيعه؛ و كان ازدياد التكريم للنبي مما أسبغ على أبنائه تكريماً كبيراً؛ و

١- نفس المصدر ص ٤٦٤، و المنتظم ص ١٤٧ ب .

٢- المقدسى ص ٣٢٣ .

٣- المغرب لابن سعيد ص ٦ (٤) .

يحكى أن كافور الأخشيدى كان يوماً فى موكب، فسقط منه سوطه؛ فناوله إياه أحدُ الشرفاء، فقبل يده شكراً و قال له « نعتت إلى و الله نفسى، فما بعد أن ناولنى و لد رسول الله صلى الله عليه و آله سوطى غايةً يتشرف لها »؛ فمات عن قريب (١).

وكان الأخشيد يخلف أباه طغجا على طبريه، و كان أهلها شيعة؛ و كان بها أبو الطيب العلوى وَجَهَ البلد شرفاً و ملكاً و قوه؛ فكتب الأخشيد لأبيه يذكر أنه ليس له أمر و لا نهى مع أبى الطيب (٢).

وكان الأخشيد بريئاً من كل تحيز فأحضر عبدالله بن طباطبا و الحسين بن طاهر بن يحيى إلى مجلسه، « و كانا لا يفارقانه، هذا حسنى و هذا حسينى، و بينهما عداوه الرياسه و الاختصاص (٣).

و الحسين بن طاهر هو الذى أرسله الأخشيد إلى سيف الدوله ليفاوضه من أجل السلام و تحديد الحدود بينهما (٤)؛ و هو الذى سفر أيضاً بين الأخشيد و بين ابن رائق فى الصلح، حينما جاء ابن رائق مهاجماً لمصر فى عام ٣٢٧ هـ ٩٣٩ م (٥).

وكان الحج قد تعطل منذ عام ٣١٧ هـ حتى عام ٣٢٧ هـ لا اعتراض القرامطه؛ فكاتبهم أحد العلويين، و كانوا يخشونه لشجاعته و كرمه، حتى انتهى الأمر

١- نفس المصدر ص ٤٧ .

٢- نفس المصدر ص ٦ .

٣- نفس المصدر ص ١٨ .

٤- نفس المصدر ص ٤٢ .

٥- نفس المصدر ص ٢٥ .

بتسهيل سبيل الحج (١).

و كذلك كان العلويون هم الذين يتوسطون عادة فيما يقوم من خصومات في بيوت الشيعة من بنى حمدان و بنى بُويه؛ و إذا عرفنا ما كان يعود على العلويين من هذا التوسط، استطعنا أن نستنبط مقدار ما لحقهم من الخساره حينما اضطرتهم حكومه بغداد أن يحدّدوا موقفهم بإزاء الفاطميين، و أن يبنذوهم و لا يعتبروهم من أبناء على الحقيقيين. و في سنه ٤٠٣هـ ١٠١٢ م صدر كتاب من الأمير بهاء الدوله بأن يضاف إلى الرضى الموسوى النظر فى أمور جميع الطالبين بجميع البلاد، و جعله نقيب النقباء، و لم يبلغ ذلك أحد من أهل البيت (٢)؛ و خُلع على الرضى السواد، فكان أول طالبى لبس السواد على زى العباسيين (٣)؛ و كان فى هذا إقرار من جانب ابن عم العباسيين الذى كان أقرى منهم من قبل بأنه قد هُزم.

أما أبناء الخلفاء الثلاثة الراشدين فلم يلعبوا دوراً هاماً؛ و لما اشتد البلاء على أهل مصر من ولايه العُمري القضاء عليهم خرج جماعه إلى هرون الرشيد، و شكوا إليه ما يفعله العُمري فيهم، فقال: انظروا فى الديوان كم لى من وال من ولد عمر ابن الخطاب، فكُشف الديوان، فلم يوجد غيره فقال: انصرفوا! فوالله لا عزلته أبداً (٤)؛ ثم خلفه على القضاء هاشم بن أبى بكر البكرى من قبيل الأمين عام

١- المنتظم ص ٦٠.

٢- ديوان الرضى ص ٢١٠، و المنتظم ص ١٥٨ ب.

٣- ابن الأثير ج ٩ ص ١٧٠، و المنتظم ص ١٥٨ ب.

٤- القضاء و الولاه للكندى ص ٤١٠، و فى سته ٣٨٨هـ ٩٩٨ م مات الخطابى من ولد زيد بن الخطاب أخى عمر بن الخطاب، و كان من العلماء. (انظر الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٨١).

١٩٤هـ؛ وقد دخل مصر مُقِلًا، فزرع زرعاً، فانكسر عليه خراجُه، و طولب به تُشَدُّد عليه في ذلك؛ و كان أحد الكتاب حاضراً، فعرفه و عرف الحال، فقال: «سبحان الله! ابن صاحب نبيكم و الذي قام في مقامه بعده يطالب بمثل هذه المطالبة! ما كان عليه فهو علي، و هو له علي في كل سته»^(١).

أما اليوم فنجد أبناء أبي بكر و عمر إلى جانب أبناء النبي عليه السلام هم الذين بتألف منهم الاشراف بمصر؛ و نجد البكرين منهم بنوع خاص، و يسمون الصديقيين، بتولون منذ أوائل القرن التاسع عشر مناصب روجيه تعود عليهم بالخبر الوفير^(٢).

و نجد حوالي عام ٤٠٠هـ، أبا الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني يقيم بنيسابور، و ينتسب إلى عثمان بن عفان؛ و كان كثير الشعر قليل الملح، و ممن نُقل حتى خف و قبح حتى ملح؛ يتعاطى الفواحش، و يقول الشعر، « فإذا قيل له: كيف أصبحت أيها الشريف؟ قال: أصبحت جوالاً في السكك حللاً للتكك، علي رأسه: طائر كم معكم سرمداً، و علي جبينه: و لن تفلحوا إذن أبداً»^(٣).

هذه هي أهم السلالات الشريفه التي نشأت عن الدين^(٤).

أما سلالات الأشراف الذين كانوا قبل الإسلام فقد احتفظوا بأنفسهم متمسكين أشد التمسك بما كان لهم، و ذلك في الأجزاء الإقطاعيه من جبال فارس و غاباتها

١- القضاء للكندي ص ٤١٦ .

٢- M. Hartmann, MSOS. ١٩٠٩, II, S, ٨١ .

٣- يتيمه الدهر ج ٤ ص ٢٩٣ ج ٢٩٤. على أنه يظهر بصراحه من شعر هذا الرجل الذي كان يقبل بالشريف أنه كان مولى لرجل من موالى عثمان بن عفان. (المترجم) .

٤- و من الأشراف الذين أوجدتهم الدين سلالات الأنصار الذين ناصروا النبي عليه السلام ، و كان لهم نقيب ببغداد و كانت تفرق عليهم المبرات. انظر المنتظم ص ١١٢؛ و كتاب الفرج بعد الشده ج ٢ ص ٢؛ و كتاب الوزراء ص ٣٢٢ ج ٣٢٣ .

وقلاعها؛ يقول ابن حوقل. « وبفارس سنّة جميله و عاده فيما بينهم كالفضيله، من تفضيل أهل البيوتات القديمه و إكرام أهل النعم الأوليه؛ و فيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم إلى أيامنا»^(١)؛ و الغالب على ملوكهم و خدمهم و المخالطين للسلطان من عمال الدواوين و غيرهم « استعمال المروءه فى أحوالهم .. و تحسين الموائد بالمطاعم و كثره الطعام و إحضار الحلوى و الفواكه قبل الموائد، و النزاهه عما يقبح به الحديث من الأخلاق الدينيه، و ترك المجاهره بالفواحش، و المبالغه فى تحسين دورهم و لباسهم و موائدهم، و المنافسه فيما بينهم فى ذلك، و الآداب الظاهره فيهم و العلم الشائع فى جميعهم»^(٢).

أما سادته العهد الأموى فلم يستطع الاحتفاظ بمركزهم منهم إلا المهالبه، بنو المهلب بن أبى صفره؛ و كان مقرهم بالبصره حيث كانت لهم دور حسنه^(٣).

و قد كان لأحداهم شأن فى ثوره الزنوج الكبيره فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى^(٤)؛ و لعله كان يتوقع فى ذلك العهد نهايه دوله بنى العباس. و تولى آخر من المهالبه وزاره عضد الدوله حوالى منتصف القرن الرابع. و قد أراد آل بنى الشوارب القضاء أن يقيموا بينهم و بين الأمويين و بالتالى ملوك قرطبه و الملتان^(٥) نسبا^(٦).

١- ابن حوقل ص ٢٠٧ .

٢- نفس المصدر ص ٢٠٥ ج ٢٠٦ .

٣- كتاب المرواه للثعالبي مخطوط برلين ص ١٢٩ ب .

٤- كتاب العيون ص ٦ ب ج ٧ .

٥- المسعودى ج ١ ص ٣٧٧ .

٦- تجد فى كتاب العيون (ص ٧١) شعراً فى ذلك .

وكان للبتويين أو أبناء الدولة الذين حاربوا لأجل الدولة العباسية و جاءوا معها من خراسان إلى بغداد ج و كانوا من الأشراف المحاربين الأحرار ج شأنٌ قوى فى القرن الثالث الهجرى؛ و كانوا يفتخرون بالصبر تحت ظلال السيوف و بأنهم فرسان شجعان؛ و من قولهم: « وُلدنا فى أفنيه ملوكنا و تحت أجنحه خلفائنا، فأخذنا ب آدابهم و احتدنا على مثالهم »(١)؛ و لكن حلّ محلهم فى القرن الرابع فرسان من المماليك المعتقين أو غير المعتقين أصلهم من الترك و الفرس؛ بل نجد أيضاً أن آخر سلائل الطاهر بين، الذين كان بينهم فى القرن الثالث ثانى بيت فى المملكة الإسلاميه بعد بيت الخلافة، يعالجون فى بلاط بخارى خدمه الساسانيين؛ و قد فقدوا ما كان لهم من مجد قديم، و لكنهم لم يحرموا من المملكة الشعريه، فكان منهم شاعر كان يخدم آل سامان جهراً و يهجوهم سراً و يطوى على بغض شديد لهم(٢).

وكان هوءاء الساده جميعاً يسمون فى جميع بلاد الشمال حتى بلاد الترك بالكمه الرومانيه البوزنطيه : البطارقه(٣).

و يحدث ابن و سنه فى أواخر القرن الرابع أحاديث طريفه عن البيوت الكبرى فى عصره : فأما الأشاعثه فقد كن جد الأشعث بن معدى كرب عِلجام أهل فارس إسكافاً.

و كانت ورده بنت معدى كرب عمه الأشعث عند رجل من اليهود؛ و لم تخلف

١- رسائل الجاحظ طبعه فان فلوتن ١٥ ج ١٦ .

٢- يتيمه الدهر ج ٤ ص ٧ و ما بعدها و ص ١١ ج ١٢ .

٣- عند شاعر تركستانى فى يتيمه ج ٤ ص ٨١ و هو الشاعر أبو الحسن المنيم .

ولداً، فأنى الأشعثُ عمرَ بن الخطاب يطلب ميراثها، فقال له عمر: لا ميراث لأهل ملنين؛ و أما آل المهلب بن أبي صفرة فقد كان أبو صفرة فارسياً مجوسياً حائكاً؛ و اما آل خالد بن صفوان الأهميين فإن الأهم ابن محلجه كانت اسرأه أكار أخذها قيس بن عاصم بن سنان و جماعه من بنى منقر أغاروا على الخيره؛ و آل الجهم من بدر بن جهم بن مسعود كان جدهم مسعود عبداً لحبيب بن شهاب، هرب منه و لحق بخراسان و ادعى أنه من بنى سامه بن لوءى القرشى؛ و كان آل أبى دُلف قوما من العبّاديين من أهل الحيره؛ و كانوا جهابذه بها، فخرج جدّ لهم يقال له إدريس فأثرى، و ابتاع داراً بالبصره؛ ثم خرج إلى الجبل، فأبو دلف من ولده؛ و الربيع الحاجب، وهو رأس أصره من كبار العمال، كان ابن زنى من جاريه سوء كانت عند مولى لعثمان ابن عفان(١).

١- الأعلام النفيسه طبعه ليدن ١٨٩١ ص ٢٠٥ ج ٢٠٧.

تعليقات الفصل العاشر

[*١] الصدقه بمعنى الزكوه حلال اخذها لهم من امثالهم بشرط الفقر و الايمان لا من غير الهاشمى، و الصدقه التى تدفع مستحبه لدفع البلاء يشكل حليتها(١) لهم.

ذهب إلى ذلك السيد الحكيم اعلى الله مقامه و وافقه فى الاشكال (٢) السيد الخوئى رحمه الله.

اما الموالى لأهل البيت أو بنى هاشم و ليس منهم نسباً فلا تحرم الصدقه بكلتا معنيها عليه من مثله و من الهاشمى.

[*٢] ابو احمد (٣) هذا هو الحسين ثالث المعقبين من أبناء موسى الاصغر المعروف بالابرش والاخران ابوطالب المحسن و أبو عبدالله أحمد و موسى الأبرش و هو ابن محمد الاعرج احد المكثرين من اولاد موسى ابى سبحة الثمانيه. و موسى ابو سبحة ابن ابراهيم المرتضى احد المكثرين من ابناء موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام.

قابو احمد، الحسين من موسى الأبرش ابن محمد الاعرج بن موسى ابى سبحة ابن ابراهيم بن الكاظم عليه السلام.

قال ابن عنبه هو النقيب الطاهر ذوالمناقب كان نقيب الطالبين ببغداد، و عن ابى الحسن العمري انه كان قوى المنه شديد العصبية يتلاعب بالدول و يتجرأ على الامور و فيه

١- منهاج الصالحين ج ٢ ص ١٣٦ مسئله ١٧.

٢- منهاج الصالحين ج ٢ ص ٢٥٠ مسئله ١٢٢٣.

٣- عمده الطالب ١٩١-١٩٩، الكتب الرجاليه و التاريخيه كفهرست الشيخ، رجال المقامانى، و الخوئى أعلى الله مقامهما، و روضات الجنات و غيرها كرياض العلماء و الغدير.

مواساه لأهله، ولاه بهاء الدوله قضاء القضاء، مضافاً إلى النقابه، فلم يمكنه القادر بالله، و حج بالناس مرات اميراً على الموسم، و عزل عن النقابه مراراً ثم اعيد اليها، واسن واضر في آخر عمره. و قال كان لأبى أحمد مع الملك عضد الدوله سى، لانه كان فى حيز بختيار بن معز الدوله فقبض عضد الدوله عليه و جلسه بقلعه فارس، وولى على الطالبين ابا الحسن على بن احمد العلوى العمري، فبقى على النقابه أربع سنين، فلما مات عضد الدوله الى و اعيد الشريف ابو احمد إلى النقابه و توفي سنه /٤٠٠ ببغداد إلى آخره.

و ما اشار اليه المصنف فى المتن من الحكومه فى نزاع الطالبى و ساير رعايا الخليفه يمكن استفادته من تعبير ابن عنبه (وولى على الطالبين) و هو ابو ابنين على و محمد. اما على (١) فهو الشريف الطاهر الاجل ذوالمجدين الملقب بالمرتضى علم الهدى، يكنى ابا القاسم، تولى نقابه النقباء و اماره الحاج و ديوان المظالم على قاعده ابيه، ذى المناقب و اخيه الرضى و كان توليته لذلك بع أخيه الرضى، و كانت مرتبته فى العلم عاليه فقها. و كلاماً و حديثاً و لغه وادباً و غير ذلك. قال الشيخ الطوسى فى الفهرست مجمع على فضله متقدم فى علوم مثل علم الكلام و الفقه و اصول الفقه و الادب و نحو الشعر و معانى الشعر واللغه و غير ذلك.

ثم ذكر اعيان كتبه و كبارها، و فى رجاله اكثر اهل زمانه ادباً و فضلاً متكلم، فقيه، جامع للعلوم كلها، و لقبه امير المؤمنين عليه السلام بعلم الهدى كما عن الشهيد قدس سره فى حكاية منام للوزير ابى سعيد محمد بن الحسن بن عبدالرحيم، و فى الرياض ان هذا السيد لجلاله

١- فهرست الشيخ ٩٨-٩٩، مجالس المؤمنين ٥٠٠-٥٠٣ تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٤-٢٨٥، معجم رجال الحديث ج ١١ ص ٣٧٠-٣٧٤، رياض العلماء ج ٤ ص ١٤-٦٤، روضات الجنات ج ٤ ص ٢٩٥-٣١٢، رجال الشيخ ٤٨٤-٤٨٥.

قدره و علو ذكره قد ذكره المخالف والمؤلف في مصنفاتهم الى حتى انهم يظنون ان قوله هو قول الشيعة و لذلك تراهم يعبرون عن مذاهب الشيعة بقول المرتضى ، و عن ابن الاثير الجزرى كان عالماً فاضلاً كاملاً متكلماً فقيهاً على مذاهب الشيعة و له تصانيف كثيرة، و في موضع آخر انه مروج الماء الرابعه بروايه علماء الاماميه، و عنه في مختصر تاريخ ابن خلكان ان السيد المرتضى كان نقيب الطالبين اماماً في علم الكلام و الادب و الشعر، و عن السيوطى في طبقات اللغويين و النحاه، قال يا قوت قال، ابوالقاسم الطوسى توحد في علوم كثيره، مجمع على فضله مثل الكلام و الفقه و اصول الفقه و الادب من النحو و الشعر و معانيه و اللغه و غير ذلك، و عن الحر في امل الامل، قد تقدم ان عدد كتب السيد المرتضى كان اكثر من ثمانين الف مجلد من مؤلفاته و مروياته. والظاهر ان كثيراً منها كتب مكرره و كثير منها من كتب العامه. و عن القاضي التنوخى انه خلف بعد وفاته ثمانين الف مجلد من مقرواته و مصنفاته و محفوظاته، و من الاموال والاملاك ما يتجاوز عن الوصف. و صنف كتاباً يقال له الثمانين و خلف من كل شيء ثمانين، و عمر احدى و ثمانين سنه، فمن اجل ذلك سمي بالثمانينى. و عن الثعالبي في اليتيمه انها قومت بثلاثين الف دينار بعد ان اخذ الرؤساء والوزراء منها شطراً عظيماً، و امه (١) و ام أخيه الرضى فاطمه بنت ابى محمد الحسن الناصر الصغير ابن ابى الحسين احمد بن محمد الناصر الكبير الا-طروش ابن على بن الحسن بن على الاصغر بن عمر الاشرف ابن زين العابدين على بن الحسين بن على بن إلى طالب عليه السلام. و تولى المرتضى النقباه و اماره الحاج و ديوان المظالم ثلاثين سنه و اشهرأ. و سرد العلامه الأمينى قدس سره (٢) في موسوعته

١- عمده الطالب ١٩٥-١٩٤.

٢- الغدى ج ٤ ص ٢٦٥-٢٦٦.

النفيسه (الغدير) مؤلفاته كتاباً و رساله و تزويد على ثمانين.

و رأى المفيد قدس سره (١) فاطمه الزهراء سلام الله عليها فى المنام، انها اتت بالحسن والحسين عليهما السلام صغيرين و هو فى مسجد الكرخ، وقالت له علم ولدى هذين العلم (أو علمهما الفقه) فانتبه متعجباً من ذلك، فلما تعالى النهار فى صبيحه تلك الليله دخلت اليه فاطمه بنت الصنار و حولها جواريتها و بين يديها ابناها محمد الرضى و على المرتضى صغيرين، فقام اليها فقالت: ايها الشيخ هذان ولدائى قد احضرتهما اليك لتعلمهما الفقه، فبكى ابو عبدالله (الشيخ المفيد قدس سره) و قص عليها المنام و تولى تعليمهما الخ.

واما ما نسبه (٢) اليه غير واحد من العامه و بعض الخاصه من البخل فيكذبه امور: ١- اجرائه (٣) على تلامذته، فللشيخ ابى جعفر الطوسى (شيخ الطائفه) كل شهر اثنا عشر ديناراً و لا بن البراج كل شهر ثمانيه دنانير و كان يجرى على تلامذته جيمعاً (و عدهم فى الغدير (٤) ٢٢ شخصاً). ٢- وفى الرياض (٥) و كان سماعى من المشايخ، ان قرى السيد المرتضى كانت ثمانين و كانت واقعته فيما بين بغداد و كربلاء و كانت معموره فى الغايه، ولكن لم يبق منها اثر و قد نقل فى وصف عمارتها ان بين بغداد و كربلاء كان نهر كبير و على حافتى النهر كانت القرى إلى الفرات و كان يعمل فى ذلك السفائن، فاذا كان فى موسم الثمار كانت السفائن الماره فى ذلك النهر تمتلى من سقطات تلك

١- خاتمه المستدرک ٥١٥، شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٤١ روضات الجنات ج ٤ ص ٢٩٥.

٢- عمده الطالب ١٩٤-١٩٥.

٣- رياض العلماء ج ٤ ص ٣٠.

٤- الغدير ج ٤ ص ٢٧٠-٢٧١.

٥- رياض العلماء ج ٣ ص ١٤٢.

الاشجار الواقعة على حافتي النهر، و كان الناس يأكلون منها من دون مانع (١). ٣- ما اورده فى الغدير حكاية عن الخطيب التبريزى ان اباالحسن على بن احمد بن على بن سلك الفالى الادبى كان له نسخه كتاب الجمهره لابن دريد فى غايه الجوده فدعته الحاجه إلى فباعها فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً فتصفحها فوجد فيها ابياتاً بخط بايعها ابي الحسن المذكور، و الايات قوله:

انست بها عشرين حولاً و بعثها *** فقد طال وجدى بعدها و حنينى

و ما كان ظنى اننى سابعها *** ولو خلدتنى فى السجون ديونى

ولكن لضعف وافتقار وصبيه *** صغار عليهم تستهل شؤونى

فقلت ولم املك سوابق عبرتى *** مقاله لكوى الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك *** كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخه اليه و ترك له الدنانير رحمه الله.

٤- ما ذكره (٢) من وقفه قريه على كاغذ الفقهاء.

٥- ما اورده فى (٣) الرياض من تكليف السيد عصبه الشيعه بان يجيئوا بنصف المبلغ الذى طلبوا منهم فى زمن الخلفاء (و كان مالاً خطيراً و يبلغ آلاف الف درهم و دنانير) على ان يقرروهم على مذهبهم و يعطى السيد و كان رأسهم و رئيسهم و عليه تعويلهم و اعتمادهم النصف الآخر فما امكن للشيعه هذا العطاء ولا وفقوا لذلك الاداء فلذلك لم يدخلوا مذهب الشيعه و الخاصه فى تلك المذاهب و اجمعوا على صحه خاصه الاربعه مذاهب و اتفقوا على بطلان ساير المذاهب فآن امر الشيعه إلى ما آل إلى آخر ما حكاه.

١- الغدير ج ٤، ص ٢٦٧.

٢- رياض العلماء ج ٤ ص ٢٣-٣٣-٣٤، روضات الجنات ج ٤ ص ٢٩٦-٣٠٦-٣٠٧.

٣- رياض العلماء ج ٤ ص ٢٣-٣٣-٣٤، روضات الجنات ج ٤ ص ٢٩٦-٣٠٦-٣٠٧.

و عن حدائق (١) المقربين ان السيد المرتضى رحمه الله و اطأ الخليفه و كانه القادر بالله على ان يأخذ من الشيعة مأه الف دينار ليجعل مذهبهم فى عداد تلك المذاهب و ترفع التقيه و المؤاخذه على الانتساب اليهم فتقبل الخليفه، ثم انه بذل ذلك من عين ماله ثمانين ألفاً و طلب من الشيعة بقيه المال فلم يفوا به.

والذى يقتضيه التحقيق و سبر احوال الامور والحوادث ان انحصار المذاهب بالاربعه لم يكن امراً دفعياً بل بحسب مرور الزمن و اختلاف اميال السلطات و اتجاهاتهم حصل تدريجاً إلى ان استقر فى القرن السابع و عودى من تمذهب بغيرها و انكر عليه و لم يول قاض و لا قبلت شهاده احد ما لم يكن مقلداً لاحد هذه الذاهب.

هذا فى البلاد المصريه من سنه ٦٦٥، و فى بغداد سنه ٦٣١ عند افتتاح المدرسه المستنصريه (راجع كتاب تاريخ حصر الاجتهاد للعلامه الحاج اقا بزرگ الطهرانى لاسيما من ص ٩١ إلى ١٢٠ و يذكر السيد الروضاتى (٢) و ما يقرب من هذا و ان ذلك كان فى زمن السلطان ظاهر بيبرس من كبار ملوك القاهره حدود سنه ٦٦٣ حيث عين فيها (اى مملكه مصر او القاهره) اربعة قضاة يقضون بين الناس و يفتون لهم بالحنفيه و المالكيه و الشافعيه والحنبلية على سبيل التوزيع، و منع عن مادون ذلك بمنع بالغ و اخذت له البيعه من كل فريق ثم تصرف كل طائفه منهم فى ركن من اركان بيت الله الحرام يقيمون الجماعه فى اتباعهم بحذاء ذلك المقام إلى زماننا هذا إلى و بلغ الامر فى الحميه على ذلك إلى حيث لم يتقبلوا منذ اهتم واصر بعض سلاطين الشيعة الاماميه ان يكون للفرقه الجعفريه ايضاً هنالك مقام خاص إلى ان نقل عن بعض تواريخ العامه عمل

١- روضات الجنات ج ٤ ص ٣٠٨-٢٩٧-٢٩٨، خاتمه المستدرک ج ٣ ص ٤٤٦.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ١٩٠-١٩١.

كل قطر في زمن الامام الصادق عليه السلام (ولم يكن منحصرأ في الاربعه) إلى ان استقر رأيهم بحصر المذاهب في الاربعه في سنه ٣٦٥ هـ، اقول فيه تأمل كما عرفت.

و اما محمد بن ابى احمد الحسين بن موسى البرش فهو الشريف الاجل المقلب بالرضى و سنتعرض لذكر احواله فيما يأتى.

لفت نظر: ما ورد عن مولانا العلامة الحجه السيد بحر العلوم قدس سره من (١) نسبه السيد إلى ابراهيم و وصفه بالمجانب حين ما تعرض لدفن السيد عند قبره و ان ابراهيم جد المرتضى و ابن الامام موسى عليه السلام سهو منه و لم يتعرض الناقلون لكلامه كصاحبى الروضات والتنقيح و مذيّل رجال الشيخ (٢) لذلك و صاحب تحفه العالم (٣) ايضاً سكت عنه، و العجب ان العلامة الامينى ايضاً حصل له هذا الاشتباه (٤) فان (٥) ابراهيم المجانب ليس بابن لموسى بن جعفر عليه السلام بل هو حفيده ابن ابنه و ابوه محمد العابد ابن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام و لابراهيم المجانب ثلاثة ابناء، محمد الحائرى و على و احمد بل و رابع اسمه موسى و البقيه للحائرى.

والسيد المرتضى كما عرفت ينتهى نسبه إلى الامام عليه السلام بواسطه جده ابراهيم المرتضى نعم عن السيد (٦) تاج الدين بن زهره الحسينى الحلبي (بنوا المجانب ابراهيم بن موسى عليه السلام قالوا سمي المجانب برد السلام و ذلك لانه دخر إلى حضره ابى عبدالله الحسين بن

١- روضات الجنات ج ٤ ص ٢٩٧-٢٩٨.

٢- رجال الشيخ ص ٤٨٥.

٣- ج ٢ ص ٢٦.

٤- الغدير ج ٤ ص ٢١١.

٥- عمده الطالب ٢٠٥، سفينه البحار ج ١ ص ٧٩، اجازات البحار ج ١٠٧ ص ١٥٣.

٦- سفينه البحار ج ١ ص ٧٩.

على عليهما السلام فقال السلام عليك يا ابا فسمع صوت و عليك السلام يا ولدى. ولكن العلماء النسابون اعرف. و عن العلامه السيد محمود المرعشى والد آيه الله السيد شهاب الدين المرعشى قدس سرهما انه المجان، لأنه كان يعمل المجنه (الترس) لكن الصحيح المشهور هو الأول.

[٣*] لم يقصد بكلامه هذا ، العلويين بشهاده قوله فى ما بعد (و كان عدد بنى هاشم بالحضره /٤٠٠٠ نفس و قوله فكانوا قريباً من الفين و ثلاثمائه. و ما يأتى من قوله: و كانت لا تخرج من يد الهاشميين و لما احتاج المأمون أن يستعين بالعلويين الى قوله و كانت هذه أول مره يحج فيه الطالبون بالناس و قوله ثم آلت الى العلويين. و ما يأتى من قوله (و أولاد على عليه السلام الى و لا نرى هاشمياً ولا ...) قلم يكونوا يأخذون راتباً و لا البلاط العباسى يرضى باعطائهم الرواتب أو يوافق على كون أحدهم خطيباً أو اماماً للجمعه أو الجماعه مع ما هم عليه من المخالفه و احياناً صراحه البيان و العقيده. بل الثوره ضد الخليفه والحاكمين. و يلائم هذا ما يأتى من قوله (علمنا انهم لا بد أن يكونوا جميعاً علويين و عباسيين فى فاقه شديده).

[٤*] الظاهر عدم صحه هذا الاحصاء، و سره معلوم فكان الكثير منهم متسترين مشردين فى البلاد النائية، يحدثنا ابن (١) ابى الحديد ولادته ٥٨٦- وفاته ٦٥٦ حيث يناقش الجاحظ فى بعض ما ذكره، يقول، لو كان حياً (اى الجاحظ) اليوم لرأى ولد الحسن والحسين عليهما السلام اكثر من جميع العرب الذين كانوا فى الجاهليه على عصر النبى صلى الله عليه و آله المسلمين منهم و الكافرين لانهم لو احصوا لما نقص ديوانهم عن مأتى الف انسان.

[٥*] هو صاحب معز الدوله و كان الطائع قد خلع عليه خلعه الملوک و طوقه و سوره و لقبه

نصر الدوله، وقال: و خلف ألف ألف دينار و عشره آلاف ألف درهم و صندوقين فيهما جوهر و ستين صندوقاً فيهما أواني ذهب و فضه و بلور و ماء و ثلاثين مركباً ذهباً، منها خمسون وزن كل واحد ألف مثقال، و ستمائه مركب فضه و أربعة آلاف ثوب ديباجاً و عشره آلاف ثوب ديبقى و عتابى و داره و هى دار السلطان، قاله فى الشذور (١) أرخ وفاته سنة ٣٦٤.

[٦*] يمكن أن ينطبق على أبى جعفر بن برية الهاشمى خطيب جامع المنصور عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن المنصور. ذكر وفاته سنة ٣٥٠. (٢)

[٧*] المسعودى هو الشيخ المتقدم الامام الكامل باعتراف العدو والولى أبوالحسن على بن الحسين بن على المسعودى الهذلى، صاحب كتاب مروج الذهب والمشتهر بين العامه شيعى المذهب و عن صاحب كتاب الوافى بالوفيات، هو من ذريه عبد الله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه، قال و كان أخبارياً علامه صاحب غرائب و ملح و نوادر.

مات سنة ٣٤٦.

أقول: و يظهر من غير واحد من علمائنا انه من الشيعة و خالفهم آقا محمد على بن الوحيد البهبهانى و رأه من أهل الخلاف (٣).

وفى الشذرات (٤) أرخ وفاته سنة ٣٤٥ و ذكر انه رحل و طوف فى البلاد و حقق من التاريخ ما لم يحققه غيره.

[٨*] امير الديار المصرى و الشامىه أبو العباس أحد بن طولون. ذكر عن القضاء انه كان

١- شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤٨.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣.

٣- روضات الجنات ج ٤ ص ٢٨١-٢٨٥.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧١.

طائش السيف فاحصى من قتله صبراً أو مات فى سجنه فكانوا ثمانية عشر ألفاً وكان يحفظ القرآن و أوتى حسن الصوت به وكان كثير التلاوه و عن ابن الجوزى كان ابن طولون تركياً من مماليك المأمون. أرخ وفاته سنه ٢٧٠ (١).

[٩*] رب معروف لا اصل له لا سيما بالنسبه إلى هذا المثل والظروف النعيسه التى قضاها الطالبون والعلويون خاصه.

فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى عدله و سخائه حتى ان معاويه قال (٢) لو ملك بيتاً من تبر و بيتاً من تبن لا نفذ تبره قبل تبنه ولقد (٣) أعتق من ماله ألف مملوك مما كد يديه ورشح منه جبينه. و ما ورود (٤) عن أبى محمد الحسن بن على و أخيه الحسين (٥) سيد الشهداء عليهما السلام و ما ورد فى زين العابدين عليه السلام (٦) والامام أبى ابراهيم موسى بن جعفر عليهم السلام. قيل (٧) ويل لمن بلغه صرار موسى فشكى القله - عجباً لمن جائته صره موسى فشكى القله إلى غيرهم عليهم السلام.

[١٠*] هو ابوالمسلوك كافور الحبشى الأسود الخادم الأخشىدى صاحب الديار المصريه اشتراه الأخشىد و تقدم عنده حتى صار من أكبر قواده لعقله و رأيه و شجاعته ثم صار اتابك ولده من بعده و ذكر من أخباره بره الى العلماء و الزهاد والفقراء والمحتاجين.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٥٧.

٢- بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٤.

٣- بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٢-٣٧-٤٣-٥٨-١٠٢-١١٠-١٣٠-١٣٨-١٣٩.

٤- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٣٩، ٣٣٢، ج ٤٤ ص ١٥٠.

٥- بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٧، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩.

٦- بحار الأنوار ج ٤٤، ص ١٠٥، ١٠١، ٩٩، ٩٥، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٦٦، ٦٢، ٥٦.

٧- عمده الطالب ١٨٥ المجلدى ١٠٦.

و أرخ وفاته سنه ٣٥٦.(١)

[*١١] الظاهر وقوع غلط او سقط في العبارة لان اعمام النبي لم يبلغوا النصف الثاني للقرن الاول فان العباس آخر هم مات في خلافه عثمان و لعل المراد العباسيون حيث انهم أولاد و أحفاد و ذرية العباس.

[*١٢] هو على بن عيسى بن داود بن الجراح خلع عليه المقتدر لأحدى عشره ليله خلت من المحرم سنه ٣٠١ و قبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجه سنه ٣٠٤ ثم استوزره ثانيه.(٢)

و يظهر من الكامل ان الذى اخر اطلاق ارزاق الفرسان هو الوزير أبو الحسن بن الفرات و انه صودر على مال عظيم و ضرب ولده المحسن و أصحابه و أخذ منهم أموالاً (أموال) جمه.(٣)

[*١٣] ذكر في الكامل طى حوادث سنه ٣٨٩ انه عمل أهل باب البصره يوم السادس والعشرين من ذى الحجه زينه عظيمه و فرحاً كثيراً و كذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة فى عاشوراء، و سبب ذلك أن الشيعة بالكرك كانوا ينصبون القباب و تعلق الثياب للزينة فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجه و هو يوم الغدير، و كانوا يعملون يوم عاشوراء فى المأتم والنوح و اظهار الحزن ما هو مشهور، فعمل أهل باب البصره فى مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانيه أيام مثلهم، و قالوا هو يوم دخل النبي صلى الله عليه و آله و أبوبكر فى النار و عملوا بعد عاشوراء بثمانيه أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء و قالوا هو يوم قتل

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢١-٢٢.

٢- مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠٥.

٣- الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ٦١-٦٢.

مصعب بن الزبير. (١)

[١٤*] الظاهر ان (٢) الاول هو ابو محمد عبدالله بن احمد بن على بن الحسن بن ابراهيم طباطبا ابن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن ابي طالب عليهم السلام، و صفه فى الوفيات بالحجازى الاصل المصرى الدار والوفاه، و قال كان طاهراً كريماً فاضلاً صاحب ربا و ضياع و نعمه ظاهره و عبد و حاشيه.

كان يرسل إلى كافر فى كل يوم جامين حلوا و رغيماً فى منديل مختوم، فحسدوه (حيث قالوا لكافر فما لهذا الرغي؟ فلما اجتمع بكافر بين له انما هى صبيه حسنيه تعجنه بيديها و تخبزه فترسله على سبيل التبرك، فاذا كرهته قطعناه، فقال كافر لا والله لا تقطعه و لا يكون قوتى سواه.

ولادته سنه ٢٨٦ و توفى بمصر ٣٤٨ و حضر جنازته من الخلق ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى و قبره معروف مشهور باجابه الدعاء.

و ذكر العلامة الامينى قدس سره (٣) ما اورده ابن خلكان من ان رجلاً حج و فاتته زياره النبى صلى الله عليه و آله فضاقت صدره لذلك فرأه صلى الله عليه و آله فى نومه، فقال له: اذا فاتتك الزياره فزر قبر عبدالله بن احمد بن طباطبا و كان صاحب الرؤيا من اهل مصر.

و اما الحسين (٤) بن طاهر يحيى: هو من المعقبين من ولد طاهر بن يحيى الستة ورد بمصر اعقب من تسعه رجال.

-
- ١- الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٥٤٠-٥٤١.
 - ٢- وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٨١-٢٨٢.
 - ٣- الغدير ج ٥ ص ٢٠٢.
 - ٤- عمده الطالب ص ٣٠٤-٣٠٥-٣١١-٣١٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٧، خاتمه المستدرک ج ٣ ص ٤٤٥ البحار ج ٤٦ ص ١٥٥-١٥٦-١٦١-١٦٢، منتقله الطالبية ص ٣٠٠-٣١٢-٣١٣.

و ذكر الشيخ (١) النورى (٢) قدس سره ابا القاسم طاهراً و كناه بأبى الحسن و ذكر عن تحفه الازهار للسيد ضامن بن السيد شدقم المدنى حكاية له تتعلق بصلته من رجل خراسانى كل عام بمأتى دينار قطعها عنه سنتين فرأى النبى صلى الله عليه و آله فى المنام لما آن وقت الحج فى السنه الثلاثه و امره باعطائه جميع ما فاته و نهاه عن قطع صلته، ينبغى ان تلاحظ.

طاهر هذا فى ولده البيت والاماره: من جلاله قدره يعرف كل من بنى اخوته بابن اخى طاهر: و ابوالحسين يحيى (جده الحسين بن طاهر) هو النقيب النسابه صاحب كتاب النسب كان بالمدينه، ولد سنه ٢١٤ و مات بمكهنه ٢٧٧، و يقال انه اول من جمع كتاباً فى نسب آل ابى طالب، و يحيى النسابه (هذا) ابن الحسن بن جعفر الحجه (ابى محمد الحسن بن ابى الحسن جعفر الحجه لقبه (٣) بذلك ابوالقاسم طباطبا) و جعفر هو ابن عبيدالله الاعرج، و هو من ائمه الزيديه و كان له شيعه يسمونه الحجه، و كان القاسم الرسى ابن ابراهيم طباطبا يقول، جعفر بن عبيدالله من ائمه آل محمد عليهم السلام و كان فصيحاً و كان يشبه فى بلاغته و براعته بزید بن على و زید بن على عليه السلام بعلى بن ابيطالب عليه السلام.

و قد حبسه ابوالبخترى و هب بن وهب بالمدينه ١٨ شهراً فما افطر الا فى العيدين.

و ابو على عبيدالله جعفر (هذا) هو ابن الحسين الاصغر بن على.

زين العابدين عليه السلام كان فى احدى رجليه نقص فلذا سمي الاعرج: وفد على ابى العباس السفاح فاقطعه ضيعه بالمداين تغل كل سنه / ٨٠٠٠٠٠ ديناراً أو مائة الف او مأتى الف دينار و كان تخلف عن بيعه النفس الزكيه، محمد بن عبدالله المحض، فحلف محمد ان

١- خاتمه المستدرک، الفائده الثالثه ص ٤٤٥ و ج ٢٠ ص ٣٣٩.

٢- خاتمه المستدرک، الفائده الثالثه ص ٤٤٥ و ج ٢٠ ص ٣٣٩.

٣- خاتمه المستدرک ج ٢٠ ص ٣٤١-٣٤٢، عمده الطالب ٣١١-٣١٢-٣١٥-٣٢٣، خاتمه المستدرک ج ٣ ص ٤٤٦.

رآه ليقته، فلما جىء به غمض محمد عينيه مخافه ان يحنث، فحسبه فلم يزل به إلى ان قتل محمد، وورد على ابى مسلم بخراسان فاجرى له أرزاقاً كثيره، و عظمه اهل خراسان فساء ذلك ابا مسلم: توفى فى ضيعته فى حياه أبيه و هو ابن ٣٧ او ٤٦ سنه، و ابو عبدالله حسين الاصغر ابوه كان عفيفاً محدثاً فاضلاً جواداً، روى عن ابيه السجاد و عن اخيه ابى جعفر الباقر عليهما السلام و عن عمته فاطمه توفى سنه ١٥٧ و له ٥٧ سنه.

و فيه اشكال لاقتضائه كون ولادته سنه ١٠٠ و وفات الامام زين العابدين عليه السلام والد الحسين كان سنه ٩٤ او ٩٥ فولادته قبل سنه ١٠٠ ولا- يرد الاشكال على ما قبل من ان له ٦٤ أو ٧٦ سنه، و ما ذكره صاحب تنقيح المقال (١) من عنوان الفهرست ليحيى بن الحسن المذكور ثلاث مرات.

و كذا استظهار صاحب معجم رجال الحديث (٢). لم نجده فى المطبوع من الفهرست بل عنونه (٣) مره واحده كما فى رجاله. (٤).

بل الموجود فى الفهرست المطبوع بالنجف الأشرف يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام، و ما فى المعجم من عنوان يحيى بن الحسن ١٣٤٧٦ و يحيى بن الحسن بن جعفر ١٣٤٧٧ و يحيى بن الحسن العلوى ١٣٤٨١ و ما ذكره تحت كل عنوان. كلها ذكره الشيخ فى ترجمه يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله الخ. كما ان ما فى رجال الشيخ (٥) فى من لم يرو عن

١- تنقيح المقال ج ٣ ص ٣١٤.

٢- معجم رجال الحديث ج ٢٠ ص ٤٣.

٣- الفهرست ١٧٨-١٧٩.

٤- رجال الشيخ ص ٥١٧.

٥- رجال الشيخ ٥١٧.

الأئمة عليهم السلام إنما عنون يحيى بن الحسين العلوى و ذكر ان له كتاب نسب آل أبى طالب روى ابن أخى طاهر عنه، و أشار فى الهامش استظهار بعض أرباب المعاجم ان الصحيح يحيى بن الحسن العلوى نعم عنون من الثلاثة فى جامع الرواه (١) الأول و الثالث و ذكر ثالثاً بعنوان يحيى بن الحسين العلوى و ان له كتاب نسب آل أبى طالب و استظهر انه ابن الحسين.

[*١٥] هو محمد بن (٢) أبى احمد الحسين بن موسى الأبرش: ذوالحسين يكنى ابا الحسن، نقيب النقباء، ولى نقابه الطالبين مراراً، و كانت اليه اماره الحاج و المظالم نيابه عن ابيه ذى المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلاً و حج بالناس مرات، و له من التصانيف كتاب المتشابه فى القرآن و كتاب مجازات الآثار النبويه و كتاب نهج البلاغه و كتب أخر و هو اشعر قريش، و له فى علو الهمه و ابناء النفس حكاية ستمر عليك، قال ابن (٣) أبى الحديد كان عفيفاً شريف النفس عالى الهمه ملتزماً بالدين و قوانينه، و لم يقبل من احد صله ولا جائزه، حتى انه رد صلات ابيه، و ناهيك بذلك شرف نفس و شده ظلف، فاما بنو بويه فانهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل الى، قال له يوماً (الشيخ ابواسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى الفقيه المالكي. عليه قرء الشريف الرضى رحمه الله القرآن و هو شاب حدث السن) ايها الشريف اين مقامك: قال فى دار أبى باب محول.

فقال مثلك لا يقيم يدار أبيه، قد نحلكتك دارى بالكرخ المعروفه بدار البركه، فامتنع الرضى من قبولها، و قال له لم اقبل من ابى قط شيئاً، فقال ان حقى عليك اعظم من حق ابيك

١- جامع الرواه ج ٢ ص ٣٢٧.

٢- عمده الطالب ١٩١-١٩٩ و له تراجم فى رجال المامقانى ج ٣ ص ١٠٧. معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ١٩ إلى ٢٣. تأسيس الشيعه ٢١٣-٣٣٨-٣٣٩، رياض العلماء ج ٥ ص ٨٦-٧٩.

٣- شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٣٩-٤٠.

علينا لاني حفظتك كتاب الله تعالى، فقبلها.

و ذكر عن خط ابن ادريس الحلبي (صاحب السرائر) حكاية عن ابي حامد احمد بن محمد الاسفرايني الفقيه الشافعي تتعلق باعظام فخر الملك ابي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدوله وابنه سلطان الدوله السيد الرضى لما دخل عليه يوماً و تجيله ازيد من اكرام اخيه المرتضى رحمهم الله لما دخل على الوزير ذاك اليوم، و اجابه الوزير لابي حامد عن التفرقه بعد تفرق المجلس، و لم يبق إلا غلماناه و حجاباه، بان اراه كتابين بعد صرف الطعام و لم يبق عنده غير ابي حامد، احدهما كتاب الرضى، و بين الوزير انه اتصل بي انه قد ولد له ولد فانفذت اليه الف دينار، و قلت هذه للقابله، فقد جرت العاده ان يحمل الاصدقاء إلى اخلائهم و ذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال، فردها و كتب الى: هذا الكتاب (قال ابو حامد) فقرأته و هو اعتذار عن الرد، و فى جملته انا اهل بيت لا يطلع على احوالنا قابله غريبه، و انما عجائزنا يتولين هذا الامر من نساءنا، ولسن ممن يأخذن اجره، و لا يقبلن صله، قال فهذا هذا.

ثم اقرأه كتاب السيد المرتضى اخيه فى نصيب تقسيط وزع على الاملاك ببادرويا فى حفر فوهه نهر عيسى، و اصاب ملكاً للشريف المرتضى بناحية الداهريه عشرون درهماً ثمنها دينار واحد. (والكتاب و هو اكثر من مائه سطر) يتضمن من الخضوع و الخشوع و الاستماله و الهز و الطلب و السؤال فى اسقاط هذه الدراهم عن املاكه المشار اليه ما يطول شرحه الخ. و فى العمده و الروضات (١) اوردا حكاية شبيهه بهذه من معامله الوزير ابي محمد المهلبى ذات يوم للشريفين، دخل الشريف المرتضى و ودعه و خرج بعد ان فرغ من حكايته و مهماته، ثم دخل الشريف الرضى واعظمه و اجلسه فى دسته و جلس

بين يديه متواضعاً، فلما خرج خرج معه و شيعه إلى الباب، واعتذر الوزير عن زياده اعظام الرضى على المرتضى رحمهم الله بان المرتضى كاتبه بعده رفاع يسئله تخفيف تعداد سته عشر درهماً توجه عليه لحفر النهر الذى كان للسيد عليه ضيعه، و اما الرضى فبلغنى ذات يوم انه ولد له غلام، فارسلت اليه يطبق فيه الف دينار، فرده و قالم: قد علم الوزير انى لا اقبل من احد شيئاً، فرددته اليه، و قلت انى انما ارسلته للقوابل، فرده الثانيه، و قال قد علم الوزير انه لا تقبل نساءنا غريبه، و انما عجائزنا يتولين هذا الامر من نساءنا، ولسن ممن يأخذن اجره، و لا- يقبلن صلته، فرددته اليه، و قلت يفرقه الشريف على ملازميه من طلاب العلم، فلما جائه الطبق و حوله طلاب العلم، قال ها هم حضور، فليأخذ كل احد ما يريد، فقام رجل واحد منهم و اخذ ديناراً، فقرض من جانبه قطعه و امسكها ورد الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف من ذلك، فقال انى احتجت إلى دهن السراج ليله، و لم يكن الخازن حاضراً، فاقترضت من فلان البقال دهنًا للسراج، فاخذت هذه القطعه لادفعها اليه عوض دهنه، و كان طلبه العلم الملازمون للشريف الرضى فى عماره قد اتخذها لهم سماها دارالعلم، و عين لهم جميع ما يحتاجون اليه، فلما سمع الرضى ذلك، امر فى الحال بان يتخذ للخزانه مفاتيح بعدد الطلبة، و يدفع إلى كل منهم مفتاح ليأخذ منها ما يحتاج اليه و لا ينتظر خازناً يعطيه، ورد الطبق على هذه الصوره فكيف لا اعظم من هذا حاله.

و نحن قد تعرضنا للدفاع عما رمى به الشريف المرتضى من البخل فيما تقدم. و قد تعرض كل من اصحاب (١) الرياض والروضات والمعجم والمستدرک والمجالس لما ذكر ابن

١- رياض العلماء ج ٥ ص ٨٣ روضات الجنات ج ٦ ص ١٩١، المعجم ج ١٦ ص ٢٣، خاتمه المستدرک ج ٣ ص ٥١٤، مجالس المؤمنين ج ١ ص ٥٠٥.

خلكان عن ابن جنى ان الشريف الرضى احضر إلى ابن السيرافى النحوى و هو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقنه النحو، و فعد معه يوماً فى الحلقة، فذاكره بشىء من الاعراب على عادته التعليم، فقال اذا قلت رأيت عمر.

فما علامه النصب، فقال بغض على عليه السلام فتعجب السيرافى والحاضرون من حده خاطره.

والشئ الذى يجده الباحث فى شخصيه الرضى قدس سره و ليس فى اخيه المرتضى ولا ابيه هو شموخه او قل استطلاعاه للخلافه.

فقد ذكر (١) ابن ابى الحديد له فى مدح القادر بالله.

عطفاً امير المؤمنين فاننا *** فى دوحه العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت *** ابدا كلانا فى المعالى معرق

الا الخلافه شرفتك فاننى *** انا عاطيل منها وانت مطوق.

و ذكر صاحب الروضات (٢) انه كان يرشح للخلافه، و كان ابو اسحاق الصابى يطعمه فيها و يزعم ان طالعه يدل على ذلك و أورد له من بعضهم شعراً له:

هذا امير المؤمنين محمد *** طابت ارومته و طاب المحتد

او ما كفاك بان امك فاطم *** و ابوك حيدر و حدك محمد

وجزى الله علامه المفضل الامينى قدس سره أحسن الجزاء فيما كتب (٣) عن السيد الرضى و عن تأليفه القيم نهج البلاغه و شروحها و شراحها، و اجاب عن افتراءات الجاهلين والمتعصبين من نسبه وضعه إلى الشريف الرضى قدس سره أو غيره واتى رحمه الله بما هو فوق ما يراد.

١- شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٣٤ ذكرها بتفاوت يسير فى رياض العلماء ج ٥ ص ٨٥.

٢- روضات الجنات ج ٦ ص ١٩٦-١٩٧.

٣- الغدير ج ٤ ص ١٨٠ إلى ٢٢١.

كما انه رحمه الله قد تعرض (١) لبيان النقابه و ولايه للظالم و الولايه على الحج و امارته و ما يراد بها: الشؤون التي تكفلها السيدان الرضى و المرتضى و ابوهما).

[١٦*] ذكره فى العمده (٢) و قبل ذلك ذكر و كذا فى الشجره (٣) المباركه عن البخارى (من علماء النسب) ان الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام اول من لبس السواد من العلويين، و كان امير المدينه من قبل المنصور الدوانيقي.

وزاد فى العمده و عمل له على غير المدينه ايضا و كان مظاهراً لبنى العباس على بن عمه الحسن المثنى، ولزيد ابى الحسن بن زيد ابنه (اخت الحسن) تسمى نفيسه.

خرجت إلى الوليد بن عبدالملك بن مروان فولدت منه، و ماتت بمصر، ولها هناك قبر يزار و هى التى يسميها اهل مصر الست نفيسه، و يعظمون شأنها و يقسمون بها، و كان زيد يفد على الوليد بن عبدالملك، و يقعه على سريره و يكرمه لمكان ابنته، و وهب له ثلاثين الف دينار دفعه واحده.

ولعل الصحيح انها زوجه اسحاق، و ان ذكر فى العمده ان الاول هو الثبت المروى عن ثقات النسايين كما ان فى المجدى (٤) عن بعض فضلاء الشيعة عن البلاذرى انها كانت زوجه عبدالملك بن مروان و انها ماتت منه حامل، لكن فى التحفه (٥) انها بنت أبى محمد الحسن بن أبى الحسين زيد بن أبى محمد الحسن السبط عليه السلام و بعد وصفها بأنها من أجلاء كبار النساء الصالحات العابدات الى، وقد نقل، وروى الامام الشافعى و غيره الحديث

١- الغدير ج ٤ ص ٢٠٥-٢٠٩.

٢- عمده الطالب ٥٥-١٩٦.

٣- الشجره المباركه ٤١.

٤- المجدى ٢٠.

٥- تحفه لب اللباب ٣٦٥-٣٦٦.

عنها، فعند وفاته أوصى أن تصلى عليه، فادخلت جنازته إليها فصلت عليها، وقد تزوجها الوليد و قيل والده، و كانت وفاتها بشهر رمضان سنة ٢٠٨ بمصر و هى حامله فأراد بعلها اسحاق المؤمن ابن أبى عبدالله جعفر الصادق عليه السلام حمل جنازتها الى المدينة الى، و مشهدها بموضع يعرف بدرب السباع عند المنشأ بين مصر والقاهره فخرّب الموضع و ما به من العمائر و لم يبق به سوى مشهدها ظاهراً مشهوراً، يزار، و تستجاب الدعوه فيه.

و عن (١) اسعاف الرغابين للشيخ محمد الصبان عن كتاب حسن المحاضره انها بنت الحسن ابن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام و انها لما توفيت بمصر اراد زوجها و هو اسحاق المؤمن ابن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام نقلها إلى المدينة، و دفنها فى البقيع، فسأله اهل مصر تركها عندهم للتبرك، و بذلوا له مالاً كثيراً فلم يرض، فرأى النبى صلى الله عليه و آله، فقال له يا اسحق لا- تعارض اهل مصر فى نفيه، فان الرحمه تنزل عليهم ببركتها و ربما يؤيد كونها زوجة اسحاق انها لو كانت عند الوليد فلا موجب لخروجها إلى مصر.

و عن الاسعاف كما فى السفينه (٢) انها ماتت بمصر فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ احتضرت و هى صائمه فألزموها الفطر، فقالت واعجباً انى منذ ثلاثين سنه أسأل الله تعالى أن ألقاه و أنا صائمه أفطر الآن؟ هذا لا يكون، ثم قرأت سوره الانعام فلما وصلت الى قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم ماتت.

أقول: انها حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه و تصلى و قرئت فيه ستة آلاف ختمه.

[*١٧] الظاهر عدم كون الأشعث هذا اخا عمرو بن معدى (٣) كرب الذى اسلم فى السنه

١- سفينه البحار ج ٢ ص ٦٠٤.

٢- سفينه البحار ج ٢ ص ٦٠٤.

٣- الحار ج ٢١ ص ٣٧١، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٣٣-٣٢٤، تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٧٤، تنقيح المقال ج ٢ ص ٣٣٩.

العاشره حيث جاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وارتد بعد وفاته، ثم عاد إلى الاسلام، و كان عمرو في حرب قادسيه و قتل في وقعه نهاوند، و قبورهم (هو والنعمان بن مقرن و غيرهما) على ما يقول المسعودى بينه معروفه على نحو فرسخ من نهاوند، فيما بينها و بين الدينور، و قيل (١) ان عمرو بن معدى كرب الزبيدى المذحجى أبا ثور مات عطشاً بالقادسيه.

و يحتمل قريباً كون الاشعث هذا ابن (٢) قيس بن معدى كرب الكندى اخا قتيله احدى ازواج النبی صلى الله عليه وآله التي لم يدخل بهن، و قبض صلى الله عليه وآله قبل خروجها اليه من اليمن، و يقال طلقها فخلف عليها عكرمه بن ابى جهل.

واشعث (٣) هذا كان من المنافقين فى خلافه على عليه السالم و هو فى اصحابه عليه السلام كما كان عبدالله ابن ابى بن سلول فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كل واحد منها رأس النفاق فى زمانه، قال له اميرالمؤمنين عليه السلام حيث اعترضه الاشعث فى بعض كلامه: عليك لعنه الله و لعنه الآعنين.

حائك بن حائك منافق بن كافر فى كلام له عليه السلام.

قال ابن (٤) ابى الحديد كل فساد كان فى خلافه اميرالمؤمنين عليه السلام و كل اضطراب حدث، فاصله الاشعث، و ليس (٥) اشعث هذا جد جعفر بن محمد الاشعث الذى جعل الرشيد ابنه فى حجره فحسده يحيى بن خالد البرمكى، فاحتال عليه و على موسى بن جعفر عليه السلام

١- سفينه البحار ج ٢ ص ٢٦٧.

٢- شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٢٩٣، بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٩٢-٢٠٤.

٣- نهج البلاغه ج ١ ص ٥١، شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٢٩٧، سفينه البحار ج ١ ص ٧٠٢.

٤- شرح النهج ج ٢ ص ٢٧٩.

٥- البحار جلد ٤٨-٤٧ - ٧٤-٢٣١ إلى ٢٣٤.

إلى ان قتله الرشيد، ولا بى جعفر هذا قصه فى تشيعه، فانتمم (١) الله لابي الحسن موسى عليه السلام و دفع الله عن بنى الاشعث بولايتهم لابي الحسن عليه السلام، و نزل بالبرامكه بدعاء ابى الحسن الرضا عليه السلام بعرفه واقفاً فاستجاب الله له تعالى.

قال اليعقوبى (٢) كان على حرسه (الرشيد) جعفر بن محمد الاشعث ثم عزله.

والظاهر ان معدى كرب (٣) الذى استنجد ملك ايران فانجده وصار ملكاً احد هذين المذكورين، ولكن فى كلام اليعقوبى (٤) ان المستنجد سيف بن ذى يزن.

[١٨*] قد تقدم الكلام فى هذا الموضوع، وقلنا ان عندنا معاشر الاماميه ان المسلم يرث الكافر و يمنع القريب الكافر من الارث ولا يرثه الكافر.

[١٩*] مما يرينا فى تصديق ما نقله هنا ما ذكره الشيخ (٥) الطوسى قدس سره و نقله عنه غيره كالمامقانى (٦) والعلامه (٧) الخوئى ان ابا صفره (ظالم بن سراق) والد المهلب كان شيعياً و قدم بعد الجمل، فقال لعلى عليه السلام اما والله لو شهدتك ما قاتلك ازدى، فمات بالصره و صلى عليه على عليه السلام.

[٢٠*] الاهتم (٨) لقب سنان بن خالد لان تتيته هتمت يوم الكلاب، هتم فاه يهتمه القى مقدم اسنانه.

١- البحار ج ٤٨ ص ٢٤٩، مرآت العقول ج ٦ ص ٨٢.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٦٦.

٣- مروج الذهب ج ٢ ص ٨١-٨٠.

٤- تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٧٣.

٥- رجال الشيخ ٤٦.

٦- تنقيح المقال ج ٢ ص ١١١.

٧- معجم رجال الحديث ج ٩ ص ١٧١، سفينه البحار ج ٢ ص ٧٢١.

٨- القاموس باب الميم فصل الماء ماده هتم.

[*٢١] الغالب (١) على ابي دلف التشيع و الميل الى على عليه السلام و ابنه دلف كما ذكر عيسى بن ابي دلف اخوه كان ينتقص على بن ابي طالب عليه السلام و يقع منه و من شيعته و اعترف ابودلف بكون دلف لزنه و حيضه حيث وقع على جاريه اختها حائضاً فحملت بدلف فلما ظهر حمل الجاريه وهبتها له.

اقول قال ابن ابي الحديد (٢) (نقلاً عن شيخهم ابي القاسم البلخي) وقد اتفقت الأخبار الصحيحه التي لا ريب فيها عند المحدثين: على ان النبي صلى الله عليه و آله قال: لا يبغضك الا منافق و لا يحبك إلا مؤمن.

وقال (٣) قال الشيخ ابوالقاسم البلخي، وقد روى كثير من ارباب الحديث عن جماعه من الصحابه قالوا: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله الا ببغض على بن ابي طالب عليه السلام.

و قال فى موضع (٤) آخر روى العبادله عن ابي مريم الانصارى عن على عليه السالم لا يحبني كافر ولا ولد زنا.

و قد وردت روايات كثيره فى هذا المعنى من قول (٥) جابر بن يزيد و روايته (٦) و يحتمل فى بعضها كونه جابر بن عبدالله و من روايه جماعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله عنه.

١- مروج الذهب ج ٤ ص ٦٢.

٢- شرح النهج الحديدى ج ٤ ص ٨٣، بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٩٧، ٢٩٥، ٢٩٤.

٣- البحار ج ٣٩ ص ٢٩٥-٢٩٧-٣٠٠، شرح النهج الحديدى ج ٤ ص ٨٣.

٤- البحار ٢٩٦، شرح النهج الحديدى ج ٤ ص ١١٠.

٥- البحار ج ٣٩ ص ٢٥٤، ٢٥٢، إلى ٢٥٦ و بعدها.

٦- ارشاد المفيد ٢٦-٢٧.

الفصل الحادى عشر: الرقيق

إشاره

كان اتخاذ الرقيق منتشرًا عند اليهود و النصارى و المسلمين. على أن ضمير الكنيه كان يسخط على الرق بين حين وآخر؛ وكان رجالها يقولون إن المسيح لا فرق عنده بين حرّ و عبد(١).

وقد حاولت الكنيسه، على الأقل، أن تحارب تجاره الرقيق، فقرضت على من يشتغل بها عقوبه الحرمان(٢).

وقد استلقت نظر المسلمين أن اليهود و النصارى لا يجوز لهم أن يتمتعوا بإمائهم(٣)، و ذلك لأن القانون المسيحى فى المشرق كان يعتبر اقتراب الرجل من أمته زنى عقابته المنع من البيعه؛ و يحق الزوجه فى هذه الحاله أن تباع الجاربه و تقصيها عن البيت، و إذا حملت الجاربه من سيدها المسيحى طفلا فإنه

١- انظر مثلا، Sachan, Syr, Rechtsb. ٢, S. ١٦١، و كذلك نجد المفكر الإثيوبى ذرعه يعقوب (حوالى سنه ١٦٠٠ م) فى نقده للإسلام و النصرانيه يعيب الإسلام، لأنه بإقراره نجاره الرقيق ألقى المساواه و الأخوه بين بنى الإنسان، و هم جميعاً يسمون الله أبا لهم (انظر : Philosophi abessini, eed, Littman m S, II من ترجمه) .

٢- Syr. Rechisb, Z, S. ١٠٩, ١٤٧, ١د٥، على أنه يوجد بين فقهاء المسلمين حديث يروى عن التى و هو : شر الناس من باع الناس (كتاب العلل مخطوط برلين رقم ٨٣٢٧ ص ٢٠٦ ب) .

٣- كتاب البدء و التاريخ المطهر بن طاهر المقدسى و هو ينسب لأبى زيد البلخى ج ٤ ص ٣١ من طبعه كليمان هوار باريس .

ينشأ رقيقاً « يحمل عار والده الزانى(١)».

و يحكى أن الخليفة المنصور، بعد أن استدعى الطبيب جورجيس بن جبريل ليعالجه من مرضه و شُفى على يديه، أرسل إليه ثلاثاً من الجوارى الروميات الحسان مع ثلاثه آلاف دينار، فأخذ المال وردَّ الجوارى؛ فأسأله المنصور عن ذلك فقال: « هوءلاء لا- يكونون معى فى بيت واحد، لأننا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأه واحده، و ما دامت المرأه فى الحياه لا نأخذ غيرها»، فحسن موقعه من الخليفه(٢).

أما فى الإسلام فإن الطفل الذى يولد للمسلم من أمته يكون حُرّاً(٣)،

و لا يجوز للرجل أن يبيع الأمه أم الولد؛ ثم هى تصبح حره بعد موت زوجها؛ و لا يجوز فى الشرع الإسلامى أن يشترك رجلان فى أمه فى وقت واحد؛ و قد

حدث مره أن رجلين اشتريا أمه فوطئها، فأمر الخليفه بعقابهما(٤).

و على حين أن القوانين فى الدوله الرومانيه البوزنطيه كانت تحرّم على غير النصرانى أن يتخذ رقيقاً من النصارى (٥)، و أن الكنيسه المسيحيه كانت فى بلاد الإسلام ج كما تقدم ج تعاقب بالحرمان من بيع الرقيق النصرانى لغير النصارى، فإن الشريعه الإسلاميه لم تحرم على اليهود و النصارى اتخاذ رقيق من

١- Syr. Rechtsb. ٢, S. ٩ b ١. ١٦١ f

٢- Elias Nisibenus S. ١٧٩ (حوالى عام ٤٠٠ هـ) فى مجموعته، Chr. Corp. Scrip. or. طبقات الأطباء لابن أبى أصيبه ج ١ ص ١٢٥ .

٣- الولد الأول على الأقل، و اختلف الفقهاء فيما بعده، انظر رأى الحنفيه عند Dohsson, VI, S. ١١-١٢ S. ١١-١٢ d ، و رأى الشافعيه عند Sachau, Muham. Recht S. ١٧٤ ..

٤- الكندى ص ٣٣٨ .

٥- Cod. Just, C. ١ , tit. ٩, ١٠ -٥.

المسلمين (١)

و فى القرن الرابع الهجرى كانت مصر و جنوب جزيره العرب و شمال إفريقيا اكبر أسواق الرقيق الأسود؛ و كانت قوافل هذه البلاد تجلب الذهب و العبيد من الجنوب؛ و كان الثمن الجارى للعبء حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى مائتى درهم (٢).

وقد اشترى كافور صاحب مصر، و كان عبداً حيشياً، فى سنه ٣٧٣هـ ٩٣٤ م بثمانيه عشر ديناراً كما يقال (٣)؛ و هذا الثمن قليل بالنسبه للكافور لأنه كان خصياً، و كان يدفع فى ثمن الزنجى الجيد بعمان ما بين خمسه و عشرين و ثلاثين ديناراً (٤).

و لما اشترى الوزير الصاحب بن عباد عبداً نوبياً بأربعمائه دينار استكثر الناس هذا الثمن (٥)

وقد سيمت جاريه « جميله حلواء » حوالى عام ٣٠٠هـ بمائه و خمسين ديناراً (٦).

و يقول الشريف الإدريس (٧) إن فى نساء النوبه جمالا فائقاً، و إنه لا أحسن

١- Sachau, Muham. Recht, S. ١٧٣

٢- الأغانى ج ٣ ص ٥٥ .

٣- F. Wiistenfeld, Statthalter von Aegyptem IV, S, ٤٧

٤- عجائب الهند ص ٥٢، و كان يدفع مثل هذا المبلغ فى بوزنطه فى ذلك العهد للعبء العادى، انظر ٣٨٣. Vogt, Basite, S.

٥- ابن الوردى ص ٤٦ .

٦- مطالع البدور للغزولى ج ١ ص ١٩٦.

٧- طبعه دوزى، ليدن ١٨٦٤ ص ١٣ .

للجماع منهم لطيب متعتهم و نفاسه حسنهن، و إن الجاربه منهم ليلبغ ثمنها ثلثمائه دينار. وقد جلب كثيرات من الرنج إلى بلاد العراق، و هن معروفات بكثره النسل. وقد علل الجاحظ عدم غلبه أولاد الرنج في العراق بكون الرنجي و الزنجيه قليلا ما يلدآن من الغرائب، و أن الزنجيه لاتكاد تشط لغير الزنجي، و هي من الزنجي أسرع لقاحاً منهما من الأبيض؛ فكأن الجاحظ يرى أن الزنجيات يصيبهن العقم في البلاد الشماليه(١) و كان يستعمل عبيد البيوت السود بوابين كما هو الحال اليوم(٢).

و إذا كان المجتمع يعنى بالشعر الجيد و بالموسيقى الجميله أكثر مما يعنى بغيرهما من ألوان الفن، عظمت فيه قيمه الغلمان و الجوارى الموهوبين المتعلمين. و كان في عهد الرشيد ببغداد مَغْنٌ مشهور قد يتفق عنده وجود ثمانين جاربه لإخوانه يودعونهن عنده لتعليمهن فن الغناء(٣).

و كانت تُشترى الجاربه من هوءلاء بألف دينار إلى ألفين(٤).

و قد يحدث أن يكون بيت النحاس مكاناً يكثر غشيانه الشعراء(٥).

وكان معظم القيان اللائي يحترفن الغناء ببغداد في سته ٣٠٦هـ جوارى، و قليل منهم أحرار(٦).

١- رسائل الجاحظ طبعه فات فلوتن ص ٧٧ ج ٧٨ .

٢- انظر ما حكاه رحاله صيني في القرن الثالث عشر الميلادي عند Fr. Hirth, Die Lander des Islam mach Chinesischen Quetlen S.٥٥.

٣- الأغاني ج ٥ ص ٦ .

٤- انظر Michael Syrus S. ٥١٤ ، و هو يخط إبراهيم المهدي بابراهيم الموصلي .

٥- الأغاني ج ٢٠ ص ٤٣ .

٦- أبو القاسم طبعه متر ص ٧٨ و ما بعدها .

وكان للمشهورات من حذاق المغنيات أثمان كبيره، كما نقدرهن نحن اليوم؛ فحوالى عام ٣٢٥هـ اشترى ابن رائق أمير العراق جاريه مولده كانت لابنه ابن حمدون النديم؛ و كانت سمراء موصوفه بحسن الغناء، فاشتراها ابن رائق من موالها بثلاثه عشر ألف دينار، و أعطى من دله عليها ألف دينار(١)؛ و يحكى الصولى (٢) أن ابن رائق اشتراها بأربعه عشر ألف دينار، فاستعظم الناس ذلك.

و كان ثمن العبيد البيض يزيد على ما تقدم لأنهم أرسوقراطيو العبيد؛ فكانت توءخذ الجاريه الحسناء من غير صناعه على جمالها بألف دينار و أكثر(٣).

و كانت لأبى بكر الخوارزمى جاريه، فطلبت بعشره آلاف درهم فلم يجدها(٤).

وقد ارتفعت اثمان الخدم البيض ارتقاعاً خاصاً حينما خربت الثغور الغربيه، و انقطع عبيد الأندلس فى القرن الرابع، و كاد ينضب المصدر الوحيد الباقي للرقيق، و هو بوزنطه و أرمينيه(٥).

و مما زاد فى ذلك أن أهل المملكه الإسلاميه من المسلمين و أهل الذمه لم يكن يجوز أن يشترقوا بوجه من الوجوه القانونيه؛ و لم يكن الإجرام سبباً يكفى لحرمانهم من حريرتهم كما هو الحال عند غير المسلمين. و كذلك كان بحرم على الآباء المسلمين أن يبيعوا أولادهم، كما كان الحال عند اليهود مثلاً؛ فإنهم كانوا، إذا

١- المنتظم ص ٨٨.

٢- الأوراق للصولى ص ١٤٢ من مخطوط باريس .

٣- الاضطخرى ص ٤٥ .

٤- اليتيمه ج ٤ ص ١٥١ .

٥- المقدسى ص ٣٤٦ .

احتاجوا، باعوا أولادهم الصغار غير البالغين (١).

وقد حدثت فتنه في مصر في القرن الثالث الهجري، فقُبض على بعض النصارى المصريين، وبيعوا في دمشق كما بيع الرقيق؛ فأثار هذا العمل أكبر السخط، لأنه فعل يخالف الشريعة (٢).

على أنه كان يوجد بين المسلمين بعض من شرار الفرق يعتبرون أنفسهم المسلمين، و يعتبرون جميع من خالفهم أهلاً للحرمان من الحقوق الشرعية؛ و من هذه الفرق الضاله فرقه القرامطه الذين عظم شأنهم في القرن الرابع، فقد أحلوا استرقاق من يقع في أيديهم من الأسرى؛ و كان ذلك أمراً شنيعاً في أيامهم؛ فسرعان صار الكثيرون من الآمنين المسالمين من أهل الشام و جزيره العرب و العراق أرقاء في أيديهم؛ و قد اعترض القرامطه قافله الحاج عام ٣١٢ هـ ٩٢٤ م، فأسروا من الرجال الذين، و من النساء نحو خمسمائه و ساروا بهم إلى هجر؛ و كان الأزهرى اللغوى الأديب المتوفى عام ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م من جمله الأسرى، و وقع في سهم قوم من العرب الذين نشأوا بالباديه يتتبعون مساقط الغيث، و يتكلمون بطباعهم البدويه، و لا يكاد يكون في منطقهم لحن؛ و قد بقى في أسرهم دهرًا طويلاً. و استفاد من مخاطباتهم و محاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جمه، و نوادر كثيره أورد أكثرها في كتابه (٣).

-
- ١- Krauss, Talmudische Archaologie، و كتاب البدء و التاريخ ج ٤ ص ٣٩، على أن بيع الشركه المسلمين بناتهم ج و هو العمل الذى لا يزال جاريا إلى اليوم - يخالف الشريعة الإسلاميه و هو محظور بحكم الشرع .
- ٢- انظر الفصل الخاص باليهود و النصارى .
- ٣- المنتظم ص ٢٧ ب ج ٢٨؛ و الأزهرى هو الذى حكى ذلك عن نفسه، انظر الإرشاد ج ٦ ص ٢٩٩ .

أما فى سائر المملكة الإسلاميه فقد اقتصر المسلمون فى العبيد البيض على الترك و على الصقالبه، و هم الجنس الذى لا ينفد معينه، و الذى اشتق منه الاسم الذى أطلق على الرقيق فى أوروبا و كان الصقالبه يقدمون على الترك، حتى قال الخوارزمى : « و يستخدم التركي عند غيبه الصقلبي (١)».

و أكبر ما كان يجلب من بلغار، و هى قصبه البلغار الذين يقطنون حول نهر القلجا، رقيق كانوا يوءخذون من هناك إلى إقليم جيحون (٢)، و كانت سمرقند أكبر سوق لهم، و هى مشهوره بأن خير رقيق ماوراء النهر ما كان من تربيتها. و كان فى أهل سمرقند جمالاً، و كان لهم حسنٌ تعهد لأنفسهم بما زادوا به على أكثر أهل خراسان (٣)؛ و كانت بلدهم لذلك مشهوره بأنها مركز للتربيه و التهذيب، و كان أهلها يتخذون ذلك صناعه لهم يعيشون منها كما هو الحال اليوم فى جنيف و لوزان.

أما الطريق الثانى الذى كان يأتى منه رقيق الصقالبه، فقد كان يخترق ألمانيا إلى الأندلس و إلى الموانى البحريه بإيطاليا و فرنسا (٤).

و كان أغلب تجار الرقيق فى أوروبا من اليهود، و كان الرقيق يجلب كله تقريباً

١- اليتيمه ج ٤ ص ١١٦ .

٢- المقدسى ص ٣٢٥ .

٣- ابن حوقل ص ٣٦٨ .

٤- إن تحريم الدوج فى مدينه البندقية عام ٩٦٠ م نقل العبيد على المراكب كان خاصاً بالعبد المسيحيين و حدهم (انظر Schaube Handelsgeschichte der rom. Volker, S. ٢٣) و كانت المعاهده التى عقدت بين البندقية و بين الإمبراطور أوتو الأكبر عام ٩٦٧ م تحظر على المسيحيين الذين فى أرض الإمبراطور و حدهم أن يبيعوا أو يشتروا العبيد (نفس المصدر ص ٥). و كانت تجاره الرقيق فى مدينه جنوه، بعد ذلك بزمن طويل، تجاره ظاهره (نفس المصدر ص ١٠٤).

من الشرق الأوروبي، كما هو الحال اليوم في تجاره النساء (١).

و من الجلى أن استقرار جاليات يهوديه فى مدن مقاطعه سكسونيا الشرقيه مثل مدينه مجديبورج و مرزيبورج كان راجعاً إلى تجاره الرقيق (٢).

وكان اليهود فى أثناء نقلهم للرقيق يدفعون ضرائب ثقيه، و ذلك فى ألمانيا على الأقل، فكان قانون الجمارك فى مدينه كوبلنتز مثلاً يقضى بأن يدفع عن كل رأس من الرقيق أربعة دنانير (٣).

و كان أسقف مدينه خور Chur يفرض على الرأس دينارين يدفعان فى جمرك مدينه فالنشتات (٤) Wallenstadt.

و الطريق الثالث لتجاره الرقيق يسير من بلاد الرقيق فى المغرب ج و كانت هذه البلاد بسبب حروبها مع الألمان كثيره الإنتاج لهذه البضاعه الإنسانيه ج و يتجه نحو الشرق رأساً ماراً بمدينه براغ و بولونيا و روسيا. و هذا هو الطريق الذى اتبعه الربى بتاحيا فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)؛ و كانت مدينه براغ هى أول هذا الطريق لأنها كانت مركزاً لتجاره الرقيق فى القرن العاشر الميلادى. و قد اضطر القديس أدالبرت Adalbert بمدينه براغ سنه ٩٨٩ م لاعتزال منصبه الأسقفى، لأنه لم يستطع أن يعتق جميع المسيحيين الذين

١- ذكر الأسقف أجوبارد، أسقف مدينه ليون (Agobard of Lyon) فى كتابه Insoletia Judaeorum أمثله على أن بعض اليهود كانوا يسرقون أبناء النصارى الفرنسيين أو يحصلون عليهم شراء من النصارى أنفسهم و يبيعونهم للمسلمين فى أسبانيا (Opera ed. Balukius). و قد اقتبست هذا من كتاب : Baudissin Eulogius und Alvar, Leibzig, S. ٧٧. Graf ١٨٧٢.

٢- Caro. Wirtschaftsgeschichts der Juden, I, S. ١٩١.

٣- نفس المصدر ص ١٩٢.

٤- Schaub, Handelsgesch. der rom. Volker, S. ٩٣.

اشتراهم تاجر رقيق يهودى(١).

و كان ثم فى المدن سوق للرقيق يوكل الإشراف عليه لعامل خاص به. وقد انتهى إلينا وصفٌ لسوق الرقيق التى بنيت فى مدينه سامراً فى القرن الثالث الهجرى؛ فهى سوق فى مربعه، فيها طرق متشعبه، و فيها الحجر و الغرف و الحوانيت للرقيق؛ و كان بيع الرقيق الجيد فى السوق العام بمثابه عقوبه تحط من قدره(٢)؛ و الأولى أن يباع فى منزل خاص أو بواسطه تاجر كبير؛ و كان تاجر الرقيق موضع تشنيع، مثله مثل تاجر الخيل فى أيامنا؛ و كان محمد بن الأشعث صاحب شرطه مصر يصعد المنبر و يشتم أحد القواد فيقول: « النخاس الكذاب(٣) ».

يقول ابن عبدون فى رساله له فى الرقيق: « فكم من سمراء كمده بيعت بصفراء مذهبه، و ممسوح العجز بثقل الروادف، و بطين بمجدول الحشا، و أبخر الفم بطيب النكهه؛ و كم من مره جعلوا العين الزرقاء كحلاء، و حمّروا الخدود المصفره، و سمنوا الوجوه المقعقه، و كبروا الفقاح الهزيله، و أعدموا الخدود شعر اللحا، و أكسبوا الشعور الشقر حالك السواد، و جعدوا الشعور السبطه، و بيضوا الوجوه المسمره، و دملجوا السيقان المعرقه، و رطلوا الشعور الممرّطه، و أذهبوا آثار الوشم و الجدرى و النمش و الحكه ». و لذلك يجب على الإنسان أن يكون على حذر من شراء الرقيق فى المواسم، ففى مثل هذه الأسواق تتم للنخاسين الخيل، حتى يبيعوا المريض بالصحيح و الغلام بالجاريه؛ سمعنا بعض النخاسين

١- Caro, ١, ١٩١, f-١.

٢- جغرافيه اليعقوبى ص ٢٥٩.

٣- الولاه للكندى ص ١٠٩ ج ١١٠.

يقول: ربع درهم حنًا يزيد ثمن الجارية مائة درهم فضه.»

و من عادة التخلّسين أن يطوّلوا الشعور بأن يصلوا في طرفها من جنسها، و أن يزيلوا و رائح الأنف بالسعوط بدهن البنفسج و النيلوفر و نحوهما، و أن يجلوا الأسنان بالسواك بالأثنان و السكر و سحيق الصيني أو الفحم أو الملح المدقوق؛ و كانوا يزيلون الشعث في أصول الأظفار بغسلها بالخل و العسل و المرنك أو دهن الورد و اللوز المر. و من وصايا النخاسين للجوارى أن يتبرّجن للمشترى تاره و يختفين منه أخرى، فإن هذا مالِك للقلوب، و أن يدارين المشايخ و النافرى الطباع و يستملنهم، و يتجنبن الشباب، و يمتنعن عليهم ليتمكّن من قلوبهم. و كان الجوارى يخضّ بن حواجبهن بالرامك، و أطرافهن إن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر، و إن كانت صفراء بالأسود، « و يجرّون الصنّاعه مجرى الطبيعه فى كشف الضد بالضدّ».

هذه النصوص من رساله لابن بطلان الطيب النصرانى المشهور الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (١).

ونجد فى هذه الرساله إلى جانب الناحيه النظرية كثيراً من التجارب القديمه النافعه فى شراء الرقيق: «فالهنديات لهن حسن القوام، و سمره الألوان، و حظ وافر من الجمال، مع صفره و صفاء بشره و طيب نكهه و لبن نعمه؛ لكن الشيخوخه تسرع إليهن .. و هن يصلحن الولد، و رجالهم لحفظ النفوس و الأموال، و عمل الصنّاعه الدقيقه. غير أن التزلات تسرع إليهم .. و القندهاريات

١- رساله جامعه لفنون نافعه فى شرى الرقيق و تقليب العبيد تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب ضمن مخطوط رقم ٤٩٧٩ بمكتبه برلين .

فى معنى الهنديات، و لهن فضيله على كل النساء، فإن النيب منهن تعود كالبكر. و السنديات ينفردن بدقه الخصور و طول الشعور، و المدنيات سمر الألوان معتدلات القوام، قد اجتمع فيهن حلاوة القول، و نعمه الجسم، و ملاحه دلّ و حسن شكل و بشر؛ لا غيره فيهن على الرجال؛ قنوعات بالقليل، لا يغصبن و لا يصخبن، و يصلحن للقيان .. و المكيات ختتات موءنثات لينات الأرساغ ألوانهن البياض المشرب بسمره؛ قدودهن حسنه، و أجسامهن ملتفه، و ثورهن نقيه بارده و شعورهن جعده، و عيونهن مراض فاتره؛ و الطائفيات سمر مذهبات مجدولات، أخف خلق الله أرواحا، و أحسنهم فكاهه و مزاحا؛ لسن بأمهات أولاد، يكسان فى الحبل، و يهلكن عند الولاده .. و البر بريات مطبوعات على الطاعه نشيطات للخدمه و يصلحن للتوليد؛ لإنهن أحذب شىء على ولد؛ و يقول أبو عثمان و هو من سماسره هذا الشأن: إذا اجتمع للبربريه مع جوده الجنس أن تجلب، و هى بنت تسع حجج، ثم كانت بالمدينه ثلاث حجج، و بمكه ثلاث حجج؛ ثم جاءت إلى العراق ابنه خمس عشره، فتأدبت بالعراق، جمعت إلى جوده الجنس شكل المدنيات و خنث المكيات و آداب العراقيات، و استحقت أن تُخبى فى الجفون و توضع على العيون. و الزنجيات مساويهن كثيره، و كلما زاد سوادهن قبحت صورتهم و تحددت أسنانهم، و قلّ الانتفاع بهن، و خيفت المضرة منهن؛ و الغالب عليهن سوء الأخلاق و كثره الهرب، و ليس فى خلقهن الغم، و الرقص و الإبقاع فطره لهن(١) و طبع فيهن، و لعجومه أفاظهن عدل بهن

١- « الزنجى دائم الرقص، و كما أن الألمانى يشعر برغبه شديده للغناء لا يستطيع التغلب عليها متى قطع شوطاً من عمله اليومى، فكذلك الزنجى يرقص منى استطاع». (K. Weule, Negerleben in Ostafrika S. ٨٤).

إلى الزمر و الرقص؛ و يقال : لو وقع الزنجى من السماء إلى الأرض ما وقع إلا- بالإبقاع. و هم أنقى الناس ثغوراً لكثرة الريق، و كثره الريق لفساد الهضوم؛ و فيهن جَلمد على الكد؛ فالزنجى إذا شبع فُصَّب العذاب عليه صبّاً فإنه لا يتألم، و ليس فيهن متعه لصنانهن و خشونه أجسامهن؛ أما الحبشيات فالغالب عليهن نعمة الأجسام و لينها و ضعفها، بتعاهدن السل و الدق؛ لا يصلحن للغناء و لا- للرقص؛ دقاق لا- يوافقهن غير البلاد التي نشأن فيها؛ و فيهن خيريه و سلاسه انقياد، يصلحن للائتمان على النفوس؛ يخصصن قوة النفوس و ضعف الأجسام، كما يخص النوبة قوة الأجسام و ضعف النفوس؛ قصار الأعمار لسوء الهضم. و البجاويات مذهبات الألوان، حسنات الوجوه، ملس الأجسام، ناعمات البشرة، جوارى متعه؛ إن جُلبت الواحده صغيره و سلمت من أن ينكَل بهاج لأنهن يقَررن و يمسح بالموسى أعلى فروجهن حتى يبدو العظم فصرن شهره من الشهر. و الشجاعه و السرقة فى رجال البجّه (بلادهم بين الحبشه و النوبه) طبع و غريزه؛ و لهذا لا- يوءمنون على مال، و لا- يصلحون أن يكونوا خزاناً. و النوبيات من جملة أجناس السودان، ذوات ترف و لطف، و أبدانهن يابسه مع لبن بشره، و هواء مصر يوافقهن؛ لاین ماء النيل شربهن فى بلادهن، و إذا انتقلن عن غير مصر تسلطت عليهن العللُ الدمويه و الأمراض الحاده. و التركيات قد جمعن الحسن و البياض و النعمه؛ و عيونهن مع صغرها ذات حلاوه(1)؛ و قدودهن ما بين الربع و القصير، و

١- قال أحد شعراء القرن الرابع فى غلام تركى: قد أكثر الناس فى الصفات و قد *** قالوا جميعاً فى الأعين النجل و عين مولاي مثل موعده *** ضيقه عن مراد الكحل (يتيمه الدهر ج ٤ ص ٨٢).

الطول فيهن قليل، و هن كنوز الأولاد و معادن النسل، قلَّ ما يتفق في أولادهن وحش و لا ردى التركيب. و الروميات بيض شُقر، سباط الشعور، زرق العيون عبيد طاعه و موافقه و خدمه و مناصحه و وفاء و أمانه، يصلحن للخزن لضبطهن و قله سماحتهن، و لا يخلو أن يكنَّ يألفن صنائع دقيقه. أما الأرمنيات فالملاحه للأرمن لولا ما خُصوا به من وحشه الأرجل مع صحه بنيه و شده أسر، و العفه فيهن قليله أو مفقوده، و السرقة فيهن فاشيه و قل ما يوجد فيهن بخل، و فيهن غَلَطٌ طبع و لفظ، و ليست النظافه في لغتهن، و هن عبيد كد و خدمه، متى تركت العبد ساعه بغير شغل لم يدعُه خاطره إلى خير، لا يصلحون إلا على العصا و المخالفه؛ و الواحد منهم إذا رأته كسلان فليس ذلك عن عجز قوه، بل دونك و العصا؛ و كن مع ضربه و انقياده لما تريده على حذر؛ فإن هذا الجنس غير مأمون عند الرضا فضلا عن الغضب : و نساوءهم لا يصلحن لمتعته، و جملة الأمر أن الأرمن أشر البيضان كما أن الزنج أشر السودان. و ما أشبه بعضهم ببعض في قوه الأجساد و كثره الفساد و غلظ الأكباد(١).

وقد جرت العاده منذ العصر الأول للإسلام بألا يسمى العبيد عبيداً، بل يسمى العبد فتى و الأمة فتاة؛ و قد نُسب هذا ج كما نُسب كثير غيره ج إلى أمر النبي عيه السلام.

وكان من التقوى و شرف النفس ألا يضرب الرجل عبده؛ و يروى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال : « شر الناس من أكل وحده و منع رفته و ضرب عبده ». وهذا الشعور نبيل عبَّر عنه الليث السمرقندى (المتوفى سنة ٣٨٧هـ ٩٩٧ م)

بروایتہ هذا الحدیث (١).

وفى القرن الرابع الهجرى اتخذ البعض من قوله تعالى: «إنما الموءمنون إخوة» نقداً يوجهونه لمن يضرب عبده، وكذلك قال الشاعر:

إن كنت تطلب فضلا *** إذا ذكرت و مجد

فن العبدك خلاً *** وكن ليخلك عبداً (٢)

و لذلك جاء فى وصف رجل من أشرف اليمن و ذكّر جميل خصاله (حوالى عام ٥٥٠٠ ١١٠٦ م) أنه لم يكن يضرب مملوكاً أبداً (٣).

وقد حدث فى أول عهد الأمويين أنّ امرأه من حمير كانت بمصر جدعت أنف أمه لها، فقاضى عبد الرحمن بن حُجير قاضى مهصر بعقتها، و قاضى بولائها للمسلمين يعقلون عنها و يرثونها (٤).

و كان قانون الكنيسة المسيحية فى الشرق يهدد بعقوبه الحرمان من يكره جاريته على البغاء؛ و ذلك بأن يدفعها إليه مباشرة، أو بأن يمتنع عن إعالتها (٥).

و كانت دور البغايا فى بلاد الإسلام قوامها الجوارى المملوكات؛ و تدل على هذا حكايات كثيرة؛ و لكن كتب الفقه لم تتعرض لهذه المسألة؛ لأن الفهاء يعتبرون الزنا محرماً جملة، أما رجال الكنيسة فقد احتفظوا فى هذه المسألة

١- بستان العارفين على هامش تنبيه الغافلين للسمرقندى طبعه بمباى ص ٢٢٢ .

٢- كتب هذين البيتين رجل لصديق له حضره يضرب عبداً له فمنعه فلم يمنع؛ و هو يذكره بحق الصديق فى عبوديه الطاعة و أخوه العبد فى حق الإيمان. رساله فى الصداقه للتوحيدى ص ١٦٨ ج ١٦٩ .

٣- التسكت المصريه لعماره اليمنى طبعه درنبرغ ١٨٩٧ ص ٩ .

٤- القضاة للكندى ص ٣١٧، ٣١٨ .

٥- Sachau. Msos. x, ٢, ٥. ٩٣ .

بشيء من الصراحه القديمه. على أنه قد جاء في القرآن الحُضُّ على تزويج الأيامي و الإمام؛ قال تعالى: « و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين

من عبادكم و إمائكم(١)».

و كان في الإسلام مبدأ في مصلحه الرقيق؛ و ذلك أن الواحد منهم كان يستطيع أن يشتري حريته بدفع قدر من المال؛ و قد كان للعبد أو الجاربه الحق في أن يشتغل مستقلا بالعمل الذي يريده؛ فيحدثنا المسعودي مثلا عن عبد خياط كان عليه لمولاه ضريبه قدرها درهمان يدفعها له كل يوم، و يتصرف بعدها في حوائجه بما يبقى(٢).

وكذلك كان من البر و العادات المحموده أن يرصى الإنسان قبل مماته بعق بعض العبيد الذين يملكهم. و في القرن الثالث الهجرى أوصى الخليفه المعتصم عند موته بعق ثمانيه آلاف من ممالكيه(٣).

وقد أخذ هذا الخليفه أحد حصون أرمينيه عنوه بعد معركة دمويه فأمر ألا يفرق بين أعضاء العائلات(٤) التي وقعت في الأسر.

وقد تمتع بعض الجوارى و ظهرن بمظهر النعمه؛ فيحكى عن جاربه لاحد كبار العمال الأغنياء بمصر أنها كانت تجلس في الشباك، و حولها الجوارى قائمات بالمذييات(٥).

١- سورة النور آيه ٣٣ .

٢- مروج الذهب ج ٦ ص ٣٤٤ .

٣- Michael Syrus, S. ٥٤٣ .

٤- Michael Syrus, S. ٥٤٧ .

٥- المغرب لابن سعيد ص ١٥ .

و يحكى أن ابن سمعون الواعظ ذكر الحلواء و هو على كرسيه فى ليله النصف من رمضان، و كان بين الحاضرين جاريه لتاجر مشهور بكثرة المال؛ فلما أمسى أتاه غلام و معه خمسمائه خشكانكه فى داخل كل منها دينار، فحمل الدنانير بنفسه إلى التاجر؛ فقال له التاجر : إن الدنانير وضعت بحضرتة و برضاه(١).

و كان بعض الغلمان يملكون قلوب سادتهم، و ذلك لميل الشرقى إلى من يجمع بين الجمال و الفطنة؛ و عندنا قصيده للشاعر سعيد بن هاشم الخالدى فى وصف غلام له(٢) :

ما هو عبدٌ لكنه ولد *** خَوْلَنيهِ المهيمنُ الصمدُ

شدَّ أزرى بحسن خدمته *** فهو يدي والذراعُ والعَضدُ

صغيرٌ سنٌّ كبيرٌ منفعه *** تمازج الضعفُ فيه و الجلدُ

فى سن بدر الدجى و طلعتة *** فمثله يصطفى و يعتمدُ

معشوق الطرف كحله كحل *** مغزَلُ الجيد حيله الجيدُ

وورد خديهِ و الشقائق و التفاح *** والجلنار منتصدُ

رياض حسن زواهر أبدأ *** فهو ماء النعيم مطردُ

و غصن بانٍ إذا بدا و إذا *** شدا فقمرى بانِهِ غردُ

مبارك الوجه قد حظيت به *** بالى رضى و عيشتى رغدُ

أنسى و لهوى و كلُّ مأربتى *** مجتمَعٌ لى فيه و منفردُ

١-المنتظم ص ١٤٢ ب .

٢- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسى مخطوط برلين رقم ٧٢٢٤ ص ١٥ ب .

مسامرى إن دجى الظلام فلى *** منه حدیث كأنه الشهد

ظریف مزح ملیح نادره *** جوهر حسن شراره یقد

خازن ما فى دارى و حافظه *** فلیس شىء لدى یفتقد

و منفق مشفق إذا أنا أسرفت *** و بدرت فهو مقتصد

و یعرف الشعر مثل معرفتى *** وهو على أن یزید مجتهد

و صیرفى القریض وزان دنایر *** المعانى الرقاق منتقد

یصون کتبی فکلها حسن *** یطوى ثیابى فکلها جد

و أبصر الناس بالطیخ فکالمسک *** القلایا العنبر الثرد

و هو یدیر المدام إن خلوت به *** عروس یم نقابها الزید

تمنح كأسى ید أناملها *** تنحل من لینها و تنعقد

و واجد بى من المحبه والرأ *** فه أضعاف ما به أجد

إذا ابتسمت فهو مبتهج *** وإن تنمرت فهو مرتعد

ذا بعض أوصافه و قد بقیت *** له صفات لم یحوها أحد

وقد صار هذا العبد لتوفر جمیع الخصال الحسنه فیه مثالا مذکوراً بین الأدباء(١).

وقد ذکر الشاعر کشاجم المتوفى عام ٣٣٠هـ ٩٤١ م غلامه بشراً بما یوءثر فى القاریء(٢).

أى حراک غال منک السکون *** و نار کیس أطفأتها المنون

١- عمد المنسوب للتحالى ZDMG, VI S.٥٤، وهنا نرى أنه كان یسمى رشاشا .

٢- دیوان کشاجم ص ١٨١ و ما بعدها .

يا بشر إن تودَ فكل امرئ *** بمثل ما صرت إليه رهين

من لداوه كنت تُعنى بها *** عناية تعجز عنها القيون

أم من لكتب كنت في طيها *** أسرع مما تمتلى في الجفون

يطوى الطوامير بلا كلفه *** والصلق في الإلصاق لا يستبين

طاهى قدور طيبت كفه *** مذاقها فالغث فيها سمين

يا ناصحى إذ ليس لى ناصح *** ويا أمنيى إذ يخون الأمين

وقد أرسل أبو العلاء رساله لصديق له فأهدى السلام فيه لغلامه مقبل و قال : « فهو و إن اسودت بردته آثر عندنا من أبيض لا تصدق مودته (١) ».

و كان ارقى العبيد مكانه هم حمله السلاح منهم؛ و ذلك لأن منهم من كانوا فواداً كباراً مثل موءنس و جوهر؛ بل منهم من كان حاكماً مثل كافور بمصر و سبكتكين فى بلاد الأفغان. و منذ عهد العباسيين الأولين نجد عبداً تركيا يتولى إماره مصره و هو يحيى بن داود الخرسى الذى ولى الإمارة من سنه ١٦٢ ج ١٦٤ و كان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال : « هو رجل يخافنى و لا يخاف الله (٢) »؛ هذا إذا صرفنا النظر عن بعض الغلمان الذين كان لهم سلطان عظيم على ساداتهم؛ لأن هوءلاء كانوا يقتنونهم للاستهتار بهم.

و كانت أفكار ذلك العهد شبيهه بما كان فى فرنسا حيث نجد الأرقاء المُعتقين قد بلغوا أكبر مكان من الرفعه، و أطاعهم الأحرار؛ و كان الكثيرون ممن تولوا القيادة فى الجيوش و حُكم الولايات و حراسه المَلِك عبيداً من قبل (٣)، ولكن لم

١- رسائل أبى العلاء طبعه مرجليوث ص ٤١ .

٢- الكندى ص ١٢٣ .

٣- Chr. Meyer, Kulturgeschichtliche Studien, S. ٩١ .

ينجح المعتقون في أن يتفوقوا على الأحرار في الشرق مدة طويله إلا نادراً؛ وذلك بخلاف ما نجده في أوروبا بالنسبة لمن كانوا في مركز الموالى؛ ويرجع ذلك إلى أن بقاء نظام الرق في الشرق حال دون زوال التمايز بين الأحرار والعبيد.

ولكن الرأي العام كان مجحفاً بحقوق الأرقاء في الجملة؛ ومن الأمثال السائرة أن السيد إذا جاع نام وإذا شبع زنى، ويقول المتنبي (١):

فلا ترجّ الخير عند امرئٍ *** مرّت يدُ النخّاس في رأسه

و كذلك يقول هو ميروس: « انظر، إن زيوس، مدبّر هذا العالم، يسلب الرجل الذى طلعت عليه شمسُ العبودية نصفَ رجولته (٢) ».

وعلى الرغم من كل الظروف الملائمة والضمانات القانونية والمكانة الحسنه التي يتمتع بها رقيق البيوت في الشرق اليوم، فلا ينبغي أن تصور مركز الرقيق عند المسلمين في العصور الوسطى تصويراً يزيد بهاء؛ وكانت سائر ولايات الإسلام في القرن الرابع غاصّةً بالعبيد الأبقاق؛ وكان من أول ما يوءمر به ولاة النواحي في كتب توليتهم أن يقبضوا على العبيد الأبقاقين و يحبسوهم و يسلموهم لمواليهم إن استطاعوا (٣).

و كان لنازوك صاحب الشرطه ببغداد غلاماً، فطرده، فلم يجد جهة يلجأ إليها، فذهب لرجل صالح يكتب كُتُبَ العطف ليكتب له ما يستعيد به عطف سيده. وكان نازوك قد أرسل في طلب الغلام، و استخبره فقصّ الغلام عليه الأمر، فلم يصدقه، حتى استدعى الرجل الصالح و سأله، فكان كلامه مطابقاً لكلام الغلام، « قال :

١- الديوان طبعه مصر ١٣٤٢هـ ١٩٢٣ م ص ٣٧٩.

٢- Odyss, XVII, ٣٢٢.

٣- رسائل الصابى ص ١٦٠ و الصفحات التاليه مثلاً.

فلما قلت له (لنازوك) إن الغلام قال : أنا عبد مملوك، و ما أعددت لنفسى من أقصده لهذا الحال، و لا أعرف جهة ألبأ إليها، و قد طردنى مولائى، بكيت أنا لما تداخلى من رحمتى للفتى و محبتى للدينار الذى أعطانيه، قال : فدمعت عين نازوك، ثم تجلّد و استوفى الحديث(١)».

و كان معظم العبيد الابق ممن يشتغلون بالزراعة و كذلك كان جيش الثورة الوحيدة الخطره التى قام بها العبيد فى القرن الثالث الهجرى مؤلفاً من الزوج الذين يكسحون السباخ، حتى يصلوا إلى التربه و يعمروها؛ و كانت « كسوح الزوج معروفه بالبصره كالجبال، و كان فى أنهار البصره منهم عشرات ألوف يعدّون بهذه الخدمه(٢)»

١- كتاب الفرج بعد الشده ج ١ ص ٥٣ ج ٥٤ .

٢- كتاب العيون ص ١٧ .

تعليقات

إشاره

(١)

أخذ الرقيق

« إن أكبر الفوارق، و هو الفرق بين الحر و العبد، يظهر إذا أبقى المحاربُ الوحشى على حياه عدوه بعد أن يهزمه ثم يأخذه إلى بلاده ليقوم بأشئ الأعمال و بحرث الأرض » و للرقّ سببان جوهریان : الفقر و الحرب، و الحرب أفواهما؛ و كذلك كان الرق عند المسلمين نتيجة للحروب فى الغالب. جاء فى القرآن الكريم.

« فَإِن لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَثْخَتْمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ، فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وِإِمَّا فِدَاءً، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا. » (سوره محمد آیه ٤).

و التعبير المألوف فى القرآن للدلاله على النساء المملوكات هو ما ملكت أيمانكم، و سنرى أنه ليس فى الإسلام شئٌ يتعلق بشراء العبيد.

و العبد عند فقهاء الإسلام : ١ شخص أخذ أسيراً فى الحرب، أو حُمل عنوه من بلاد الأعداء، بشرط أن يكون عند أخذه كافراً. ٢ ج الولد الذى يولد من أمه مملوكه و يكون أبوه عبداً أو غير مالک للأمه، أو يكون مالكا لها و لكنه لا يعترف بأنه أب للولد. ٣ ج الشخص الذى يوءخذ شراء.

١- هذا تلخيص لتعليق العلامة الهندي المرحوم خدابخش على الترجمة الإنجليزیه لهذا الفصل .

و الحرب و الرق متصلان اتصالاً وثيقاً فى العهد القديم، فنجد فى التوراه (عدد إصحاح ٣١ آيه ٢) أن الرب يكلم موسى قائلاً :
انتقم نقمه لبنى إسرائيل من المديانيين؛ و فى الآيه السابعه و ما بعدها : فتجندوا على مديان، كما أمر الرب و قتلوا كل ذكر . .
وسبى إسرائيل نساء مديان و أطفالهم.

أما فيما يختص بالأجانب، فقد أبيع لبنى إسرائيل أن يستعبدوهم. (لاويين إصحاح ٢٥ آيه ٤٤ و ما بعدها) : « و أما عبيدك و
إماوءك الذين يكونون لك فممن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيداً و إماء؛ و أيضاً من أبناء المستوطنين النازلين
عندكم، منهم تقتنون، و من عشائريهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكاً لكم، و تستملكونهم لأبنائكم من
بعدكم ميراث ملك، فستعيدونهم إلى الدهر؛ و أما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف ».

و كما أن أبدأ الإماء المملوكه عند المسلمين يوءلفون طائفه من الرقيق مثلهم مثل من يشتري بالمال، فكذلك نجد فى العهد
القديم هذين الاصطلاحين : « الذى يولد فى البيت »، و « الذى يشتري بالمال »؛ و هذا يدل على أن العبيد عند اليهود، كما هو
الحال عند المسلمين، يتكاثرون بالنسل : و ينطبق هذا بالطبع على جميع من يتجر بالرقيق : و لما كان العبيد ملكاً لأصحابهم،
فأبناؤهم ملك لهم أيضاً.

و من وجوه التطابق الأخرى بين الإسلام و العهد القديم، جعل الرق مقصوراً على الأجانب عن الدين، ففى التوراه (لاويين
إصحاح ٢٥ آيه ٣٩ و ما بعدها) : و إذا افتقر أخوك، و بيع لك، فلا تستعبده استعباد عند، كأجير نزيل يكون عندك

إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو و بنوه معه و يعود إلى عشيرته و إلى ملك آبائه، لأنهم عبيدى الذى أخرجتهم من أرض مصر، لا يباعون بيع العبيد، لا تتسلط عليه بعنف بل اخش إلهك».

و كذلك الحال عند المسلمين، فلا يجوز لهم أن يسترقوا الموءمنين، لأن المسلم و اليهودى يعتبر أخاه فى الدين أخاً له.

و لكن الأمر عند البابليين كان على خلاف ذلك، فلم يكونوا يبألون أن يكون الرقيق منهم أو من غيرهم، فكان الرجل يبيع ابنه الحقيقى أو المُتَبَنَى إذا أجرم فى حق أبيه. و كذلك كان الزوج فى حل من أن يتخلص من زوجته المشاكسه بأن يبيعها. و كان العدو المأسور عندهم يعامل معاملة العبد.

٢ معاملة الرقيق

أوصى القرآن بالعدل و الرحمة فى معاملة الأرامل و اليتامى؛ و هو يوصى بمثل هذا فى معاملة الرقيق، و ذلك لأن الحر و العبد كليهما عباد الله، فهما متساويان؛ جاء فى القرآن :

« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق، فما الذين فُضِّلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء، أفبنعمه الله يجحدون » (سوره النحل آيه ٧١) وجاء أيضاً: « و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و بدوى القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذى القربى و الجار الجُنب و الصاحب بالجُنب و ابن السبيل و ما ملكت أيماكم، إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ». (سوره النساء آيه ٣٦).

و قد قال النبى عليه السلام فى الحديث : العبيد إخوانكم، فأطعموهم مما تأكلون.

وقال : إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، و ليلبسه مما يلبس، و لا تكلفوهم ما يغلّبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم(١).

و إذا كان النبي عليه السلام لم يبلغ الرّق، فإنه قد أمر بما يضمن للأرقاء حسن المعامله؛ و إذا كان المسلمون يخالفون عن أمره، فالنبي برىء من ذلك؛ ولو أن المسلمين أطاعوا ما أمرهم به نبيهم فى معاملتهم لما ملكت أيما نهم، لكان حال الرقيق عند المسلمين أحسن منه عند غيرهم.

على أننا لو نظرنا إلى معاملة الرقيق فى جملتها بحسب الشرع الإسلامى لوجدناها عادله؛ فقد كانت عقوبه الأمه الزانيه أقل من عقوبه الحره، لأنها تُعتبر بسبب ما ينقصها من حريه. و قد أوصى الشرع بالعنايه بالعبيد، و عدم تكليفهم ما لا يطينون.

و كان الرقيق ينقل ملكيته مثل سائر الممتلكات، فكان يستطيع المسلم أن يبيع ما ملكت يمينه، إلا إذا كانت جاريه قد ولدت منه، و كان ينذر أن ينكر أبوه ولده، حتى يجوز له بيعها.

٣ تحرير العبيد

إن الشرع الإسلامى لم يكنف بتشديد الوصيه فى حسن معاملة الرقيق، بل مكّن العبيد من استعاده حريتهم، إذا كانوا بحسن سيرتهم أهلا لذلك؛ و قد حسّب الإسلام، فى عتق الرقيق؛ جاء فى القرآن : « و الذين يبتغون الكتاب مما مملكت

١- و ذكر صاحب التعليق ما قاله النبي فى حجه الوداع بشأن العبيد .

أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً، و آتوهم من مال الله الذي آتاكم». (سوره النور آيه ٣٣).

و تختلف طريقه هذا التحرير فى بلاد الإسلام؛ فكان من الناس من يعتق، كرمأً منه، عتقاً كاملاً؛ و منهم من كان يطلقه على أن يدفع له مقداراً من المال فيما بعد، و يكون هذا بعقد مكتوب، أو بكلام شفاهى يشهد عليه رجلاً، أو بأن يعطى الرجل لمملوكه وثيقه شرائه من مالكة قبله، و قد تُمنح للعبد حريته إذا أدى شروطاً متفقاً عليها أو بموت مالكة غالباً. و يجوز أن يوصى الرجل بثلث ماله لمن ملكت يمينه، و لا- يزيد عن الثلث، و إلا أخذ الورثه الزيادة؛ و قد جعل القرآن عتق رقاب الرقيق كفاره لذنوب كثيره، و قربه من أحسن القرب.

و إذا كان العهد القديم قد تعرض لتحرير العبيد اليهود الذين صاروا أرقاء بسبب الدين. فإن الإسلام قد تعرض لتحرير الرقيق جملة. انظر :

.Robert: Social Laws of the Kur'an p. ٥٣,٦٠.

.Doughty: Arabia Deserta, I, ٥٥٤.

.Lana: Modern Egyptians, ١٦٨.

.Snouck Hurgronje: Mekka II. ١٨ ff.

تعلیقات الفصل الحادى عشر

[*١] لم يكن هذا الذى زعمه مفكراً منقياً محققاً، منصفاً والا فلا تجد طرقاً اوصل و اكثر لعتق العبيد والاماء فى أى دين أو قانون غير السلام و قانونه.

ففى القرآن جاء العتق كفاره (١) لقتل الخطاء ثلاثه موارد و فى اليمين (٢) فى مورد واحد و كذا فى كفاره (٣) الظهار، و ما جاء فى السنه فاكثر و اكثر، و كم ورد فى الحث على العتق والترغيب فيه روايات، ففى رواياتنا المعتبره عن جعفر بن محمد (٤) عليهما السلام فى الرجل يعتق المملوك، يعتق الله عزوجل بكل عضو منه عضواً من النار، و عن ابى جعفر عليه السلام (٥) قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من اعتق مسلماً اعتق الله العزيز الجبار بكل عضو منه عضواً من النار.

وورد عن على عليه السلام (٦) انه اعتق ألف مملوك لوجه الله عزوجل دبرت فيهم يداه او من كد يده.

و عن ابى جعفر عليه السلام (٧) انه مات و ترك ستين مملوكاً فاعتق ثلثهم عند موته.

١- سورة النساء الايه ٩١.

٢- سورة المائده الايه ٨٨.

٣- سورة المجادله الايه ٣.

٤- وسائل الشيعه ١٦ الباب ١ من أبواب العتق ح ٢.

٥- وسائل الشيعه ١٦ الباب ١ من أبواب العتق ح ٣.

٦- وسائل الشيعه ١٦ الباب ١ من ابواب العتق الحديث ٦، شرح النهج الحديدى ج ٤ ص ١١٠ البحار ج ٤٧ ص ٢٧٥ ج ٤١ ص ٣٧-٤١.

٧- وسائل الشيعه ١٦ الباب ١ من ابواب العتق الحديث ١٠، شرح النهج الحديدى ج ٤ ص ١١٠ البحار ج ٤٧ ص ٢٧٥ ج ٤١ ص ٣٧-٤١.

هذا مضافاً إلى ان السبب الرئيسي للاسترقاق هو غلبه المسلمين على اهل الكفر غير اهل الذمه (بشرائط) و لهذه السيطره اثر بليغ فى تأثر الرق الاسير بالاسلام و آدابه مهما كان مالكة و سيده غير مهتم بالدين ولا ملتزم به. بل فى الحقيقه هذا احسان اليه و اخراجه من ظلمه الشرك إلى نور الاسلام، و ربما يحتمل ان يكون إلى هذا الاشاره فى قوله تعالى و العبد مؤمن (١) خير من مشرك ولو اعجبكم ولامه (٢) مؤمنه خير من مشركه و لو اعجبتمكم.

[٢*] يشك فى ان هذا و ما بعده من تعليم الرسول عيسى او موسى على نبينا و آله و عليهما السلام بل يقطع بالعدم فكيف والعقل وانقل القرآنى متطابقان على انه لا تزر وزاره وزر اخرى.

[٣*] هذا باطل لان ولد الحر حر ولا مجال للاختلاف بين الوالد الاول و غيره.

[٤*] بشرائط مذكوره فى كتب الفقه.

[٥*] هذا غلط فان الاشتراك جائز لكن يس لاي واحد من الشريكين او الشركاء وطئها إلا باذن الباقي و تكون كالمزوجه تعتد، وليس للباقيين و طئها فى العده.

[٦*] هذا (٣) باطل على المشهور عند فقهاء الاماميه، و انما هو رأى الشافعى فى كتاب الام فصيح الشراء، و قال بملكه لكن يجير على بيعه، و به قال ابو حنيفه و اصحابه، و استدلت اصحابنا الاماميه بقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

مع انه لا خلاف (٤) بينهم فى عدم اقرار الكافر على ملك المسلم لو ملكه بسبب ممضى فى الشرع بل يجب بيعه عليه لقوله عليه السلام فى عبد كافر اسلم.

١- سوره البقره، الايه ٢٢١.

٢- سوره البقره، الايه ٢٢١.

٣- الخلاف ج ١ كتاب البيوع مسئله ٣١٥.

٤- كتاب البيع للشيخ الانصارى قدس سره ١٦٠.

اذهبوا فيبعوه من المسلمين و ادفعوا اليه ثمنه و لا تقروه عنده.

اقول: الحديث منقول عن نهايه (١) الشيخ و رواه الكليني قدس سره مرفوعاً عن حماد بن عيسى (احد اصحاب الاجماع) عن ابي عبدالله عليه السلام، ان امير المؤمنين عليه السلام اتى بعبد ذمى اسلم، فقال: اذهبوا فيبعوه من المسلمين و ادفعوا ثمنه إلى صاحبه و لا تقروه عنده.

[٧*] تقدم الكلام عليهم.

[٨*] فقد ورد عن الصادق (٢) عليه السلام قول رسول الله صلى الله عليه و آله شر الناس من باع الناس و عن الكاظم عليه السلام (٣) قوله رسول الله صلى الله عليه و آله انه اتانى جبرئيل، فقال يا محمد، ان شرار امتك الذين يبيعون الناس.

[٩*] اشار اليه في مجمع البحرين ماده فتي.

[١٠*] روى الكليني (٤) بطريقه عن ابي حمزه عن ابي جعفر عليه السلام قال خطب رسول الله صلى الله عليه و آله فقال ألا اخبركم بشراركم؟

فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال عليه السلام الذى يمنع رفته و يضرب عبده و يتزود وحده الخ.

[١١*] هو الموافق للمشهور (٥) عند الاماميه. فى التنكيل بل فى خلاف الشيخ الطوسى قدس سره عليه الاجماع فيه وفى عمى العبد او اقعاده، قال: و خالف جميع الفقهاء فى ذلك، و معلوم ان لا فرق بين العبد و الامه، لكن الولاء عندنا للامام عليه السلام.

١- وسائل الشيعه ج ١٢ الباب ٢٨ من ابواب عقد البيع و شروطه.

٢- وسائل الشيعه ج ١٢ الباب ٢١ من ابواب ما يكتسب به ح ١.

٣- وسائل الشيعه ج ١٢ الباب ٢١ من ابواب ما يكتسب به ح ٤.

٤- روضه المتقين ج ١٢ ص ١٠٤.

٥- الخلاف ٢ كتاب العتق مسئله ٦، جواهر الكلام ج ٣٤ ص ١٩١، الروضه البهيه ج ٢ كتاب العتق ص ١٩٢ طبعه عبدالرحيم.

[١٢*] اشار اليه الآيه القرآنيه. والذين (١) يتتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً و آتوهم من مال الله الذى آتاكم.

و ما ذكره عن المسعودى غير المكاتبه فهو عبد مأذون فى الكسب.

[١٣*] له حكايه (٢) لطيفه مع صاحب حمار زلق، ورمى بما عليه من الشوك فى يوم مطير تبع ليله مطيره، و صاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انساناً يعينه على حمله، فنزل عن مركبه واحتمل الحمار بيد واحده، واخرجه من الطين، فهبت الشيخ و جعل ينظر اليه، و يتعجب منه، ثم شد عنان فرسه فى وسطه، واهوى إلى الشوك، و هو حزمتان، فحملهما، فوضعهما على الحمار ودنا من غدیر فغسل يديه، واستوى على فرسه، فدعا له الشيخ، و قال بالنبطيه ما معناه، فديتك يا شاب، واقبلت الخيول، فأمر بعض خاصته باعطاء الشيخ اربعة آلاف درهم، و ان يكون معه حتى يجاوز به اصحاب المسالحي و يبلغ به قريته.

[١٤*] مثل نفس ابى جعفر المنصور، فلو كان يخاف الله لما فعل الافاعيل بآل ابى طالب لا سيما بنى الحسن عليه السلام من قتل و حبس بالسجون حتى يموتوا فى الظلام، والبناء على غير واحد منهم البنايات احياء و يموتون فيها و كم له اعداد و ابراق على امامنا الصادق عليه السلام و تهديده عليه السلام (٣) بالقتل و جره محقراً إلى مجلسه مراراً والحط من قدره و كرامته.

[١٥*] مراده بهذا فتنه الزنوج، و قد اخبر عنهم امير المؤمنين عليه السلام، و ذكرها الرضى فى نهج

١- سورة النور الآيه ٣٤.

٢- مروج الذهب ج ٤ ص ٥١.

٣- بحار الانوار ج ٤٧ الباب ٦ من ص ١٦٢ لا سيما ١٦٧-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٤-١٧٥-١٧٨-١٨٠-١٨١ و ما بعدها.

البلاغه و شرحها شراحه، قال عليه السلام (١) يا احنف و كانى به وقد سار بالجيش الذى لا يكون له غبار و لا لجب و لا قعقه لجم و لا حممه خيل، يثرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام.

ثم قال عليه السلام ويل لسككم العامره و الدور المزخرفه التى لها أجنحه كاجنحه النسور و خراطيم كخراطيم الفيله من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم.

راجع تفصيل وقائهم شرح (٢) ابن ابى الحديد و كتب التواريخ. (٣)

[١٦*] هذا يعم الرجال كما سبق فى آيه المكاتبه و يجىء فى آيتى النحل و النساء، نعم اريد النساء بمناسبه المورد فى غير واحد من الآيات.

[١٧*] لا مطلقاً.

[١٨*] اذا كان تحت يد مالك، و كذا قوله و لا يعترف بأنه أب للولد.

[١٩*] فى دلالتة خفاء مضافاً إلى عدم ثبوت كون ما يسمونه تورا.

التوريه التى نزلت على موسى على نبينا و آله و عليه السلام، كما (٤) يشهد لذلك الاختلافات التى بين نسخها و تناقضها و تعارضها و نسبة الفظايح إلى الانبياء و غيرها من الشواهد.

[٢٠*] لا دلالة فيه على كونه حكم الله...

١- نهج البلاغه ج ٢ ص ١٣.

٢- شرح النهج الحديدى ج ٨ ص ١٢٥-٢١٤.

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ١٨١-١٩٤، تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٢٣٨، الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٤٦٦ و ما بعده، تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٥١٣ و ما بعده.

٤- الهدى إلى دين المصطفى ج ٢ ص ٢٣-٢٤-٤١، انيس الاعلام ج ٢ ص ١٢٥ إلى ١٤٣ و ٢٦٦ إلى ٢٨٠، انيس الاعلام ج ٣ ص ٣ إلى ٢٨ - ٣٠ إلى ٥١ - ٦٩ إلى ١٧٣، تفسير الميزان ج ص ص ٣٣٩ إلى ٣٤١ ج ٧ ص ٢٢٩ إلى ٢٤٠.

[*٢١] أورد اليعقوبى (١) قوله عليه السلام فاوصيكم بمن ملكت ايمانكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون و ان اذنبوا كلوا عقوباتهم إلى شراركم.

وورد فى رواياتنا مرسلأ عن (٢) النبى صلى الله عليه و آله انه قال فى خطبه له: الله الله فى ما ملكت ايمانكم، اطعموهم مما تأكلون و البسوهم مما تلبسون ولا- تكلفوهم ما لا- يطيقون، فانهم لحم و دم و خلق اشكالكم، فمن ظلمهم فانا خصمهم والله حاكمهم و عنه صلى الله عليه و آله (٣) قال لم يزل جبرئيل يوصينى بالمملوك حتى ظننت ان طول الصحبه سيعنقه.

[*٢٢] و فى وصيه (٤) اميرالمؤمنين عليه السلام التى بعثها موسى ابن جعفر عليه السلام إلى عبدالرحمن بن الحجاج: الله الله فى النساء و فى ما ملكت ايمانكم، فان آخر ما تكلم به نبيكم صلى الله عليه و آله ان قال: اوصيكم بالضعيفين. النساء و ما ملكت ايمانكم.

[*٢٣] هذا راجع اليهم فان امضوه فينفذ و إلا فلا.

[*٢٤] و ما ورد فى القرآن من عتق العبيد لا يدور مدار الذنب دائماً و قد سبق بعض الكلام.

-
- ١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٠١.
 - ٢- المستدرک ج ٢ الباب ١٦- من ابواب بيع الحيوان ح ٦.
 - ٣- المستدرک ج ٢ الباب ١٦ - من ابواب بيع الحيوان ح ٧.
 - ٤- البحار ج ٤٢ ص ٢٤٨-٢٤٩ مرآت العقول ج ٢٣ - ص ٨٥-٨٧.

الفصل الثاني عشر: العلماء

إشاره

فى القرن الثالث الهجرى صار الأدباء الذين نشأوا حول الخلفاء و فى قصورهم و تعلموا الأدب على تقاليد الفروسية، أدباء من طراز جديد، يلّمون بكل شىء، و يشبهون فى عصرنا الصحفيين غير المتخصصين الذين يتكلمون فى جميع الأمور. و لهذا نجد العلماء يفرّقون بين أنفسهم و بين الأدباء، حتى قال ابن قتيبه: « من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا؛ و من أراد أن يكون أدبيا فليتسع فى العلوم(١)».

و قد خرجت من بين فنون الآداب القديمه مجموعه من العلوم الدينويه؛ ولم يكن من العلوم حتى ذلك الحين ما له منهج علمى و أسلوب علمى سوى الفلسفه و علم الكلام؛ ثم صار لكل من التاريخ و الجغرافيه و اللغه منهجه الخاص. و ترك العلماء ما كانوا قد ألفوا قبل من اتخاذ المعارف و سيله للتسليه؛ كما أنهم أصبحوا لا- يغالون فى حشد المعارف على تنوعها، بل أقبلوا على الدراسه العمليه و على تنظيم المعارف، و شعروا بما يجب عليهم من عناية و محاسبه فى تدوينها. و قد أوجزوا مقدمات كتبهم إيجازا كبيرا، و من أمثله ذلك ما كتبه صاحب الفهرست فى خطبه كتابه عام ٣٧٧هـ ٩٧٨ م: ربُّ يسر برحمتك! النفوس تشرئب إلى النتائج

١- المخلاه للعاملى المتوفى عام ١٠٣٣هـ طبعه مصر ص ٢٢٨ .

دون المقدمات، و ترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات؛ فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا، إذ كانت داله على ما قصدناه في تأليفه إن شاء الله؛ فنقول، و بالله نستعين و إياه نسأل الصلاه على جميع أنبيائه و عباده المخلصين في طاعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..»

و من التغيرات الأخرى أن علم الفقه تميز عن غيره من علوم الدين، و أصبح العلماء فرقين: الفقهاء، و العلماء على الحقيقة. و كانت غالبية طلبه العلم المتكسبين يقصدون الفقهاء، لأن الفقهاء هم حملة علوم الشريعة و العبادات، فكان لا بد لمن يريد تولى القضاء و الخطابه في المساجد من التلمذ عليهم. يقول الجاحظ في نص مشهور له: « و قد تجد الرجل يطلب الآثَرَ و تأويل القرآن، و يجالس الفقهاء خمسين عاما، و هو لا يعدُّ فقيها، و لا يجعل قاضيا؛ فما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة و أشباه أبي حنيفة، و يحفظ كتب الشروط في مقدار سنه أو سنتين، حتى تمرَّ ببابه فتظن أنه من بعض العمال؛ و باحري ألا يمر عليه من الأيام إلا اليسير، حتى يصير حاكما على مصر من الأمصار أو بلد من البلدان(١)».

و كان نهوض علم الكلام بعد أن تخلص من قيود علم الفقه، و كذلك ظهور الأفكار الجديدة في ذلك العصر مما رفع شأن العلماء إلى درجة عالية من الاحترام و التقدير؛ يقول المطهر المقدسى حوالى عام ٣٥٥ هـ ٩٦٦ م: « و يأبى العلم أن يضع كنفه أو يخفض جناحه أو يسفر عن وجهه إلا- لمتجرّد له بكليته و متوفر عليه بانيتها، معاونٍ له بالقريحه الثاقبه و الرويه الصافيه، مقترنا به التأييد و

١- كتاب الحيوان ج ١ ص ٤٤ ٤٣، و انظر مثلا Goldziher, Muhammm. Studien II, ٢٣٣. و يحكى أن الجويني قال يوما للغزالي: يا فقيه، فرأى في وجهه التغيير، كأنه استقل هذه اللفظه على نفسه (طبقات السبكي ٣ ص ٢٥٩).

التمديد؛ قد شمر ذيله، حليف النصب ضجيع التعب، يأخذ مأخذه مندرجا و يتلقاه متطرفاً؛ لا يظلم العلم بالتعسف و الاقتحام، ولا يخبط فيه خبط العشواء فى الظلام، ومع هجران عادته الشر، و النزوع عن نزاع الطبع، و مجانبه الإلف و نبذ المحاكلة و اللجاجة، و إجماله الرأى عند غموض الحق، و التأنى بلطيف المأتى، و توفيقه النظر حقه من التمييز بين المشتبه و المتضح، و التفريق بين النمويه و التحقيق، و الوقوف عند مبلغ العقول، فعند ذلك إصابه المراد و مصادفه المرتاد(١)»

و كان صاحب العلوم الدينويه يسمى كاتباً، و كان يتميز عن العلماء فى لباسه، لكان العلماء يلبسون الطيلسان، و كانوا فى خراسان يظهرن متطلسين متحققين؛ و كانت فارس مركز الكتاب، و كانوا فى مدينه شيراز يرفعون على العلماء(٢).

و لكن خراسان كانت جنه العلماء، و لا يزال العلماء بها إلى اليوم يتمتعون بجاه و احترام لا نظير لهما فى سائر البلاد. و من أمثله ذلك أن أحد العلماء الزهاد دخل خراسان، فخرج أهلها بنسائهم و أولادهم يمسخون أردانه، و يأخذون تراب نعليه و يستشقون به. و كان يخرج من كل بلد أصحاب البضائع بضائعهم، و ينثرونها، ما بين حلوى و فاكهه و ثياب و فراء و غير ذلك، و هو ينهاهم، حتى وصلوا إلى الاساكفه، فجعلوا ينثرون المتاع و هى تقع على رءوس الناس؛ و خرج إليه صوفيات البلد بمسابعهن و ألقينها إليه، و كان قصدهن أن يلمسها

١- كتاب البدء و التاريخ ج ١ ص ٤ .

٢- المقدسى ص ٤٤٠ .

فتحصل لهن البركه، فكان يتبرك بهن و يقصد في حقهن ما قصدن في حقه(١).

و كان في كل جامع كبير مكتبه، لأنه كان من عادة العلماء ان يوقفوا كتبهم على الجوامع(٢).

و يقال: إن خزانه الكتب بمر و كانت تحوى كتب يزدجرد، لأنه حملها إليها و تركها(٣).

و كان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الإسلام الثلاثه الكبار بمصر و قرطبه و بغداد في أواخر القرن الرابع ولّع شديد بالكتب؛ فكان الحكم صاحب الأندلس يبعث رجالا إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها؛ و كان فهرس مكتبته يتألف من أربعة و أربعين كراسه، كل منها عشرون ورقه، ولم يكن بها سوى أسماء الكتب. أما في مصر فكانت للخليفه العزيز (المتوفى عام ٣٨٦هـ ٩٩٦ م) خزانه كتب كبيره؛ و قد ذكر عنده كتابُ العين للخليل بن أحمد، فأمر خزان دفاتره، فأخرجوا من خزائنه نيفا و ثلاثين نسخه، منها نسخه بخط الخليل بن أحمد؛ و حمل إليه رجلٌ نسخه من تاريخ الطبرى اشتراها بمائه دينار؛ فأمر العزيز الخزان، فأخرجوا ما ينيف عن

١- طبقات السبكي ج ٣ ص ٩١ .

٢- ابن خلكان ج ١ ص ٥٥ في ترجمه أبى نصر المنازى .

٣- كتاب بغداد لطيفور ص ١٥٧؛ و قد ترنم ياقوت بذكرى مكاتب مرو مع تأخر الزمن به. و كان قد مضى بمر و ثلاث سنين، فتغنى بأيامه فيها شعرا جميلا. و كان بها على عهده اثنا عشره خزانه، بإحداها نحو من اثنى عشر ألف مجلد؛ يقول ياقوت « و كانت (الخزائن) سهله التناول لا- يفارق منزلى منها مائتا مجلد و أكثر بغير رهن، تكون قيمتها مائتى دينار؛ فكنت أرتع فيها و أقتبس من فوائدها، و أنسانى حبها كل بلد و ألهانى عن الأهل و الولد» (معجم البلدان ج ٤ ص ٥١٠ ٥٠٩ من الطبعة الأوربيه) .

عشرين نسخه من تاريخ الطبرى منها نسخه بخطه. و ذكر عنده كتاب الجمهوره لابن دريد، فأخرج من الخزانة مائه نسخه منها(١).

وقد أراد المتأخرون أن يقدروا عد ما كانت تشتمل عليه هذه الخزانة، فيقول المقرئ أنها كانت تشتمل على ألف و ستمائه ألف كتاب و يذكر عن ابن أبى واصل أنه كان بها ما يزيد على مائه و عشرين ألف مجلد. وقال ابن الطوير إن خزانة الكتب كانت تحتوى على عده رفوف، و الرفوف مقطعه بحواجز، و على كل حاجز ياب مقفل بمفصلات و قفل، و فيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب(٢).

و التذكر ما كان فى بعض خزائن الكتب فى الغرب على سبيل المقارنه: كان فى مكتبه الكاندرائيه بمدينه كنستانز فى القرن التاسع الميلادى ثلاثمائه و ستة و خمسون كتابا، و فى مكتبه دير البندكتيين عام ١٠٣٢ م ما يزيد على المائه يقليل، و فى خزانة كتب الكاندرائيه فى مدينه بامبرج سنه ١١٣٠ م ستة و تسعون كتابا فقط(٣).

وقد أطلع رئيسُ الفراهين المقدسى على خزانة الكتب التى كانت فى دار عضد الدوله؛ و المقدسى يصفها بأنها «حجره على حده، عليها و كيل و خازن و مشرف من عدول البلد؛ ولم يبق كتاب صُنّف إلى وقت عضد الدوله من أنواع

١- للمقريزى (الخطط ج ١ ص ٤٠٨) نقلا عن المسبّحى المؤرخ الثقه (توفى عام ٤٣٠ هـ ١٠٢٩ م) الذى كان معاصرا للعزیز بالله . على أن الأرقام تختلف بين مخطوط و آخر، فيقول ابن الطوير لك من عجائب خزانة العزیز بالله أنه كان بها ألف و مائتا نسخه من تاريخ الطبرى، على أن ابن الطوير متأخر (المقريزى ج ١ ص ٤٠٩) .

٢- المقريزى (الخطط) ج ١ ص ٤٠٩ .

٣- Th. Gottlieb Ueber Mittelalterliche Bibliotheken, S ٢٢. ٢٣. ٨٧ -٣

العلوم إلا- وحصَّله فيها. وهى أزج طويل فى صفَّه إلى كبيره، فيه خزائن من كل وجه. وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج و الخزائن بيوتا طولها قامه فى عرض ثلاثه أذرع من الخشب المزوَّق، عليها أبواب تنحدر من فوق، و الدفاتر منضَّده على الرفوف، لكل نوع بيوت و فهرستات فيها أسامى الكتب، ولا يدخلها إلا كل وجهه(١)».

و كان أكبر عشاق الكتب المولعين بها ولعاً شديداً فى القرن الثالث الهجرى الجاحظ، و كثيراً ما يذكر بذلك؛ و الفتح بن خاقان؛ و إسماعيل بن إسحاق القاضى.

فأما الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا- استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى إنه كان يكترى دكاكين الوارقين و بيوت فيها للنظر؛ و قد حكى بعض المؤرخين المتأخرين أنه مات فى حب الكتب، فقد روى أنه مات يوقوع مجلدات عليه؛ و كان من عادته أن يضعها كالحائط محيطه به، و هو جالس عليها، و كان عليلاً فسقطت عليه فقتلته(٢).

و أما الفتح بن خاقان، و كان من كبار رجال دار الخلافه، فإنه كان يحضر لمجالسه المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجه أخرج كتاباً من كتبه أو خفَّه و قرأه فى مجلس المتوكل إلى عوده إليه.

و أما إسماعيل بن إسحاق فإنى ما دخلت عليه إلا رأيتَه ينظر فى كتاب أو يقلِّب كتباً أو ينفُضها(٣)».

و فى سنه ٢٧٥هـ ٨٨٨ م توفى السجستانى المحدث، و كان له كم واسع و كم

١- المقدسى ص ٤٤٩ .

٢- تاريخ أبى الفدا تحت سنه ٢٥٥هـ .

٣- الفهرست لابن النديم ص ١١٦ ج ١١٧؛ والإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٥٣ غرر الفوائد للمرتضى طبعه طهران ١٢٧٢هـ .

ضيق، فقليل له في ذلك، فقال: الواسع للكتب و الآخر لأحتاج إليه(١).

وقد عمل على بن يحيى المنجم، وكان ممن جالس الخلفاء، حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى خزانه كتب عظيمه فى ضيعته، و سماها خزانه الحكمه؛ و كان يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون فيها و يتعلمون منها صنوف العلم؛ و الكتب مبدوله لهم و الصيانه مشتمله عليهم، و النفقه فى ذلك من مال على بن يحيى. فقد أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج، و هو إذ ذلك لا يحسن كبير شىء من النجوم؛ فوصفت له الخزانه، فمضى و رآها، و هاله أمرها؛ « فأقام بها و أضرب عن الحج، و تعلم فيها علم النجوم، و أغرق فيه حتى ألحد، و كان ذلك آخر عهده بالحج و بالدين و الإسلام أيضاً(٢)».

و فى سنه ٢٨٢ هـ ٨٨٥ م توفى أحد علماء أصفهان و كبار أصحاب الضياع فيها، و يقال إنه أنفق فى شراء كتبه ثلاثائه ألف درهم(٣).

و فى سنه ٣١٢ هـ ٩٢٤ م توفى محمد بن نصر الحاجب و خلف كتباً بأكثر من ألفى دينار(٤).

و فى سنه ٣٥٧ هـ ٩٦٧ م صودر حبشى بن معز الدوله لأنه أراد عصيان أخيه أمير بغداد، فكان من جمله ما أخذ منه خمسه عشر ألف مجلد سوى

١- أبو المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٧٩ .

٢- الإرشاد ج ٥ ص ٤٦٧ .

٣- تاريخ أصفهان لأبى نعيم مخطوط ليد ص ١٥ ب .

٤- عرب ص ١٢١ نقلا عن الصولى؛ و كان للصولى هذا مكتبه كبيره؛ انظر المنتظم لابن الجوزى ص ٧٩ ب .

الأجزاء و ما ليس بمجلد(١).

و فى سنة ٣٥٥هـ ٩٦٥ م نهب قوم من الغزاه دار الوزير أبى الفضل ابن العميد بالرى؛ فلما انصرف إلى داره ليلا لم يجد ما يجلس عليه، ولا كوزاً واحداً يشرب فيه؛ و كان ابن مسكويه الموءرخ فى ذلك الحين خازناً لكتب ابن العميد؛ و هو يقص علينا القصة، فيقول: « فأنفذ إليه أبو حمزه العوى فرشاً و آله، و اشتغل قلب الوزير ابن العميد بدفاتره، ولم يكن شىء أعزّ عليه منها، و كانت كثيرة، فيها كل علم و كل نوع من أنواع الحكم و الآداب، يحمل على مائه وقر، فلما رآنى سألتنى عنها فقلت: هى بحالها لم تمسسها يد، فشِرى عنه، وقال: أشهد أنك ميمون النقيب؛ أما سائر الخزائن فيوجد منها عوض، و هذه الخزانة هى التى لا عوض منها؛ و رأيتة قد أسفر وجهه، و قال: باكر بها غداً إلى الموضع الفلانى ففعلت، و سلمت بأجمعها من بين جميع ماله(٢)».

وقد استدعى السلطان نوح بن منصور السامانى الصاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٤هـ ٩٩٤ م) ليوليه وزارته، فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله، و أن عنده من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمائه جمل أو أكثر، و كان فهرس كتبه يقع فى عشره مجلدات، ولما ورد السلطان محمود الرى استخرج من بيت كتب الصاحب كل ما كان فى علم الكلام و أمر بحرقه(٣)، و كذلك لم يجد البيرونى من قبل ولا الفردوسى من محمود هذا مشجعاً و لا حامياً.

و كان القاضى أبو المطرف (المتوفى عام ٤٠٢هـ ١٠١١ م) قاضى

١- مسكويه ج ٦ ص ٣١٤، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٣١ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٢٨٦ و ما بعدها .

٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣١٥ .

الجماعه بقرطبه؛ وقد جمع من الكتب فى أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، وكان له ستة ورّاقين ينسخون له دائماً؛ وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه ليشتريه منه و بالغ فى ثمنه؛ وكان لا يعير كتاباً من أصوله البتة، و إذا سأله أحدٌ ذلك و ألحف عليه أعطاه للناسخ فنسخه و قابله و دفعه إلى المستعير. ويحكى أن أهل قرطبه اجتمعوا لبيع كتبه عاماً كاملاً فى مسجده، و اجتمع من ثمنها أربعون ألف دينار(١).

و لما أراد البرقانى العالم البغدادي المتوفى عام ١٠٣٣ هـ ١٤٢٥ م أن ينتقل أحتاج إلى متين من الأعدال، و إلى صندوقين ليحمل فيها كتبه عند انتقاله(٢).

وقد دخل أبو يوسف القزوينى المعتزلى (المتوفى عام ٤٨٨ هـ ١٠٩٥ م) بغداد و معه عشره جمال عليها كتب(٣).

وقد أظهر المانويه من قبل عنايه كبيره بزخرفه كتبهم، ففى سنه ٣١١ هـ ٩٣٣ م أحرقت على باب العامه ببغداد صورهُ مانى، و أربعه أعدال من كتب الزنادقه، فسقط منها ذهب و فضه مما كان على هذه الكتب، وكان له قدر(٤).

وقد قلد أصحابُ الحلاج الذى قتل عام ٣٠٩ هـ ٩٢١ م المانويه فى زخرفه الكتب، فكانت كتبهم تُكب على ورق صينى، وبعضها يكتب بماء الذهب و يطن بالديباج و الحرير، و يجلد بالأدم الجيد(٥).

١- كتاب الصله فى تاريخ علماء الأندلس لابن بشكوال طبعه مجريط ١٨٨٢ ج ١ ص ٢٠٤ ج ٢٠٥ .

٢- أنظر ٣٣٥ Ni, ٣٧, Wustefeld, AGGW.

٣- طبقات السبكي ج ٤ ص ٢٣٠ .

٤- المنتظم ص ٦٣ .

٥- عرب ص ١٠ نقلا عن ابن مسكويه .

و كانت الكتب التي يرسلها ملك الروم مزخرفه؛ وقد وصل لنا من وصف بعضها ما يجعلها تحفه فتيه؛ ففي سنه ٣٢٦هـ ٩٣٧ م وصل كتاب ملك الروم إلى الخليفة الراضى ببغداد، و كانت الكتابه بالروميه بالذهب و الترجمه بالعربيه بالفضه(١).

و بعد ذلك ورد على الخليفه عبد الرحمن الناصر بقرطبه كتابٌ من صاحب القسطنطينيه، و كان فى ورق مصبوع لوناً سماوياً مكتوباً بالذهب بالخط الإغريقى، و داخل الكتاب مدرجه مصبوغه أيضاً مكتوبه بفضه بخط إغريقى أيضاً، و على الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صوره المسيح عليه السلام و على الآخر صوره قسطنطين الملك و صوره ولده. و كان الكتاب بداخل درج فضه منقوش، عليه غطاء ذهب فيه صوره قسطنطين الملك معموله من الزجاج الملون البديع، و كان الدرج داخل جعبه ملبسه بالديباچ(٢).

و كانت أشعار الخليفه المعتمد مكتوبه بالذهب(٣).

ولما تولى قاضى القضاة عبد الجبار منصبه، كان الوزير ابن عباد المتوفى عام ٣٨٦هـ ٩٩٦ م هو الذى أنشأ له العهد و كتبه له بخطه و اعتنى بزخرفته، و يقال إنه كان سبعمائه سطر كل سطر فى ورقه سمرقندى، وله غلاف آبنوس يطبق كالأسطوانه الغليظه؛ وقد أهدى هذا العهد فى القرن الخامس الهجرى للوزير نظام الملك مع هدايا أخرى كان منها مصحف بخط أحد الكتاب الجودين بالخط الواضح، وقد كتب كاتبه اختلاف القراء بين سطوره بالحمرة، و تفسير غريبه

١- المنتظم ص ٥٦.

٢- نفع الطيب للمقرى طبعه دوزى ج ١ ص ٢٣٦-٢٣٧.

٣- وقد أطلع المكتفى الصولى على هذه الأشعار؛ انظر كتاب الديارات للشابشتى ص ٣٩ ب .

بالخضرة، و إعرابه بالزرقه، و كتب بالذهب علامات على الآيات التي تصلح للانتزاعات فى العهود و المكاتبات و آيات الوعد و الوعيد، و ما يكتب فى التعازى و التهانى (١).

و كان أكبر ما يعنى به عشاق الكتب، الكتب التى كتبها كبار الخطاطين و التى لأصحابها فى النسخ أصل منسوب.

على أنه قد ظهرت إلى جانب دور الكتب موءسسات علميه أخرى تزيد على دور الكتب بالتعليم، أو على الأقل بإجراء الأرزاق على من يلازمها؛ فيحكى عن أبى القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه الشافعى المتوفى عام ٢٣٢هـ ٩٣٥ م أنه أسس داراً للعلم فى بلده، و جعل فيها خزانه كتب من جميع العلوم وفقاً فى كل طالب لعلم، لا يمنع أحد من دخولها، و إذا جاءها غريب يطلب الأدب، و كان معسراً، أعطاه ورقاً و ورقاً؛ و كان ابن حمدان يجلس فيها و يجتمع إليه الناس فيملى عليهم من شعره و شعر غيره، ثم يملى حكايات مستطابه و طرفاً من الفقه و ما يتعلق به (٢).

وقد عمل القاضى ابن حيان (المتوفى عام ٣٥٤هـ ٩٦٥ م) فى مدينه نيسابور داراً للعلم و خزانه كتب و مساكن للغرباء الذين يطلبون العلم و أجرى لهم الأرزاق؛ ولم تكن الكتب تُعار خارج الخزانه همسفتلثم ى ٣٧هـ.

١- طبقات السبكى ج ٣ ص ٢٣٠.

٢- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٤٢٠.

بنى داراً أخرى بالبصرة، و جعل فيها إجراء على من قصدهما ولزم القراءه و النسخ فيهما، و كان فى الأولى منهما أبداً شيخ يدرس عليه علم الكلام على مذهب المعتزله(١).

و فى سنة ٣٨٣هـ أسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بنى بويه داراً للعلم فى الكرخ غربى بغداد، و نقل إليها كتباً كثيرة اشتراها و جمعها؛ و كان بها مائه نسخه من القرآن بأيدى أحسن النسخ، هذا إلى عشره آلاف و أربعمائه مجلد أخرى معظمها بخط أصحابها أو من الكتب التى كان يملكها رجال مشهورون؛ وردّ النظر فى أمرها و مراعاتها و الاحتياط عليها إلى رجلين من العلويين بعاونهما أحد القضاة(٢).

و كذلك اتخذ الشريف الرضى (المتوفى عام ٤٠٦هـ ١٠١٥ م) نقيب العلويين و الشاعر المشهور داراً سماها دار العلم، و فتحها لطلبة العلم، و عين لهم جميع ما يحتاجون إليه(٣).

و يدل مجرد اسم هذه المؤسسات على الفرق بينها و بين دور الكتب القديمه؛ فكانت دار الكتب قديماً تسمى خزانه الحكمه، و هى خزانه كتب ليس غير؛ أما

١- المقدسى ص ٤١٢ و كتاب الفهرست ص ١٣٩ .

٢- المنتظم ص ١٣٥، و رسائل أبى العلاء ص ٥٢، و مقدمه مرجليوث لهذه الرسائل ص ٢٤؛ وقد أحرقت هذه الدار عام ٤٥٠هـ ١٠٥٨ م (ابن الأثير ج ٩ ص ٢٤٦ ج ٢٤٧). و على أن الكتب التى كانت من قبل فى حوزة رجال مشهورين لها شأن هام لأنها تحفظ نوعاً من السند الصحيح لما تحويه و إقراراً به؛ ولذلك يعنى القارىء بكتابه اسمه على غطاء الكتاب. و يحدثنا ياقوت (الإرشاد ج ٦ ص ٣٥٩) عن خازن هذه الدار، المتوفى عام ٥١٠هـ، كيف كانت الكتب تهلك بأكل البراغيث لها و عبثهم فيها .

٣- ديوان الشريف طبعه بيروت ص ٣ من طبعه سنة ١٣٠٧هـ .

المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم، و خزانه الكتب جزء منها.

وقد أنشئت في مصر أيضاً مثل هذه الدور؛ فقد اشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي في سنة ٣٧٨هـ ٩٨٨ م داراً إلى جانب الجامع الأزهر، وجعلها لخمسة و ثلاثين من العلماء. و كان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلميه بالمسجد في كل يوم جمعه بعد الصلاه حتى صلاه العصر. فالجامعه الأزهرية التي هي أكبر معهد على إسلامي اليوم نشأت في القرن الرابع الهجري. وكان الوزير ابن كلّس يحب أهل العلم و الأديب و يقربهم؛ وكان يجري بأمر العزيز بالله ألف دينار في كل شهر على جماعه من أهل العلم و الورّاقين و المجلّدين(١).

ثم جاء الخليفة الحاكم بأمر الله ففتح في سنة ٣٩٥هـ الدار الملقية بدار العلم(٢) بالقاهرة، و حمل الكتب إليها من خزائن التصور المعموره، و دخل سائر الناس إليها يقرءون و ينسخون، و أقيم لها خزّان و برّايون، و وُتّب فيها قوم يدرسون للناس العلوم؛ ولكن الحاكم أبطل ذلك بعد قليل من الزمان(٣).

و كان في هذه الدار ما يحتاج الناس إليه من الحبر و الأقلام و المحابر و الورق؛ وقد وصلت إلينا ميزانيه هذه الدار، فكان ينفق عليها في كل سنة ٢٥٧ ديناراً من العين المغربي. فمن ذلك:

للورق ٩٠ ديناراً

للمخازن ٤٨ ديناراً

للفراشين ١٥ ديناراً

١- ذكر ذلك معاصره و شريكه في الوطن يحيى بن سعيد ص ١٠٨ .

٢- تسمى أيضاً دار الحكمة، المقربزي ج ١ ص ٤٥٨ .

٣- يحيى بن سعيد ص ١١٦ .

لِلناظرين في الورق و الحبر و الأَقلام ١٢ ديناراً

لرمة الكتب ١٢ ديناراً

ثمن الماء ١٢ ديناراً

ثمن الحصر العيداني ١٠ دنانير

ثمن لبود للفرش في الشتاء ٥ دنانير

ثمن طنافس في الشتاء ٤ دنانير

لمرمة السناره ١ دينار

وقد بقيت هذه الدار إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش؛ لأنه اجتمع بها فريق من العلماء، فاستفسد بعضهم عقول جماعه، و أخرجهم عن الصواب(١).

و كانت معظم دروس الفقه و الكلام تُعطى في المسجد، و المستمعون على هيئة حلقة بين يدي المدرس. و كان هذا يتخذ مكانه إلى جانب أسطوانه في المسجد مستنداً إليها بظهره إن أمكن؛ و إذا اقترب أحد من هذه الحلقة سمع النداء: دُوروا و جوهكم إلى المجلس(٢).

وقد أحصى المقدسي في المسجد الجامع بالقاهره وقت العشاء مائه و عشره مجلسا من مجالس العلم(٣).

١- الخَطَط للمقريزي ج ١ ص ٤٥٨ ج ٤٥٩ .

٢- المقدسي ص ٢٠٥ . و في سنة ٣١٤ هـ ٩٢٦ م برد الهواء برداً شديداً و سقط ببغداد ثلج كثير، و جمدت دجله بأسرها بالموصل حتى عبر الناس عليها و جلس المحدث المعروف بأبي زكره في وسط دجله على الجمد، و أملى الحديث (المنتظم لابن الجوزي ص ٣١) .

٣- المقدسي ص ٢٠٥ .

وكان جامع المنصور ببغداد، و هو أقدم مسجد جامع بها، أشهر مركز للتعليم فى المملكة الإسلاميه. و يحكى أن الخطيب البغدادي (١) لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، و سأل الله عزوجل ثلاث حاجات أخذاً بقول النبى صلى الله عليه و آله : ماء زمزم لما شُرب له؛ فالحاجه الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد، و الثانيه أن يملئ الحديث بجامع المنصور، و الثالثه أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافى.

وقد جلس إبراهيم بن محمد نفطويه (المتوفى عام ٣٢٣هـ ٩٣٥ م)، و كان من أكبر العلماء بمذهب داود الأصفهاني، إلى أسطوانه بجامع المنصور خمسين سنه لم يغير محلّه منها (٢).

و كان الفقهاء أكثر العلماء تلاميذ، و كان ذلك طبيعياً؛ لأن الفقهاء يعلمون العلم الذى يؤمل أصحابه التولّى مناصب يعيشون منها، كما تقدم القول؛ ولكن لوقارنا عدد التلاميذ فى ذلك العصر لوجدناه صغيراً بالنسبه لما نراه اليوم، وهذا يدل على كثره العلماء بالنسبه إلى التلاميذ؛ فقد كان أبو حامد بن محمد الاسفرايينى المتوفى عام ٤٠٦هـ ١٠١٥ م؛ إمام أصحاب الشافعى، حتى قيل إنه أفقه و أنظر منه؛ و كان يدرس بمسجد عبدالله بن المبارك ببغداد، و كان يحضر مجلسه ما بين ثلاثائه و سبعمائه فقيه (٣).

و كان أبو الطيب الصعلوكى الفقيه الأديب مفتى نيسابور و هى مركز

١- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٤٦ .

٢- الإرشاد ج ٦ ص ٢٠٨ .

٣- Wustefeld, AGGW ٣٧. NR. ٢٨٧ .، و طبقات السبكي ج ٣ ص ٢٥، و ابن الأثير ج ٩ ص ١٨٢ يذكر أربعائه طالب.

علماء خراسان؛ و يقال إنه حضر مجلسه أكثر من خمسمائه طالب علم في عشية الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة ٣٨٧هـ ٩٩٧م (١).

وكان يقعد بين يدي أحد أصحاب الجويني «الإمام الفرد» (المتوفى عام ٤٧٨هـ ١٠٨٥م) في كل يوم ثلاثمائة من الأئمة و الطلبة (٢)؛ هذا على حين أننا نجد اليوم في كشغر مثلاً؛ مع أنها ليست مركزاً دينياً كبيراً، أن أكثر من خمسمائه طالب يحضرون درس أكبر العلماء فيها (٣).

و كان عدد الطلاب يعرف بإحصاء محابرههم التي يضعونها أمامهم و التي كانت أهم عتاد الطالب (٤).

ولما قدم محمد بن جرير الطبري بغداد قصده الحنابلة، فسأله عن أحمد بن حنبل، و عن حديث الجلوس على العرش فقال : أما أحمد فلا يعدّ خلفه؛ فوثبوا و رموه بمحابرههم غاضبين (٥).

و كان إذا مات العالم كسر تلاميذه المحابر و الأفلام، و طافوا في البلد نائحين مبالغين في الصياح؛ فلما مات الجويني المتقدم الذكر، و كان خطيباً مشهوراً أيضاً؛ كسر منبره، و اشتركت نيسابور كلها في حزن العلماء عليه، « فلم تفتح الأبواب في البلد، و وضعت المفاديل على الرءوس عاماً بحيث ما اجترأ أحد

١- التهذيب النوري طبعه فستنفلد ص ٣٠٧ و طبقات السبكي ج ٣ ص ١٦٩ ج ١٧٠ .

٢- السبكي ج ٣ ص ٦٥٦ .

٣- Hartmann, Chinesisch Turkestan, S. ٥٨ .

٤- السبكي ج ٣ ص ١٧٠؛ و النووي نفس الإشارة .

٥- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٤٣٦ .

على ستر رأسه(١).

و كان الطلبة يحضرون كتبهم فى شىء يسمى قاروره، و لعلها سميت بهذا الاسم من قبيل الفكاهه العلميه(٢).

و كان الإملاء فيما مضى من الزمان يعتبر أعلى مراتب التعليم(٣)، و كثيراً ما كان المتكلمون و اللغويون فى القرن الثالث الهجرى يتبعون طريقه الإملاء خاصه؛ فيحكى أن الجيائى المعتزلى أملى مائه ألف و خمسين ألف ورقه، و ما روى ينظر فى كتاب إلا يوماً فى زيح الخوارزمى(٤).

وقد أملى أبو على القالى خمس مجلدات(٥)، و كان المستملى يكتب أول القائمه: « مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا فى يوم كذا ».

و فى القرن الرابع الهجرى ترك اللغويون طريقه المتكلمين و المحدثين فى الإملاء، و اقتصروا على تدريس كتاب يقرأ منه أحد الطلبة، و المدرس يشرح « كما يدرّس الإنسان المختصرات(٦) ».

ويقال إن آخر من أملى من اللغويين هو أبو القاسم الزجاجى المتوفى عام

١- ٣٦٥. Nr. ٣٧. Wustefeld, AGGW، و انظر طبقات السبكي ج ٣ ص ٢٥٧ ج ٢٥٨ .

٢- الإرشاد ج ٢ ص ١٠؛ و أغلب الظن أن القاروره هى المحبره كما يمكن أن يوءخذ من النص: « دخلت طالباً للحديث فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث، و ليست معى قاروره، فرأيت شابا عليه سمه الجمال فاستأذنه فى كتب الحديث من قارورته، (المترجم)، على أن الموءلف يقول إن كلمه قاروره تدل على ما يشبه الصندوق .

٣- المزهى للسيوطى ج ٢ ص ١٩٩ طبعه مصره ١٩٣٥، ٢٠. S. ٦٩. Goldziher, SWA .

٤- المعتزله لابن المرتضى ص ٤٧ .

٥- السيوطى فى المزهى .

٦- السبكي ج ٣ ص ٢٥٩ .

أما إملاء الحديث فقد بقي كما صرح بذلك السيوطي. ولما عزم الوزير الصاحب ابن عباد (المتوفى عام ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م) على إملاء الحديث خرج متطلِّساً متحنِّكاً على زى أهل العلم، واتخذ لنفسه بيتاً سماه بيت التوبه، وقد للإملاء فحضر الخلق الكثير، « وكان المستملى الواحد ينضاف إليه سنه كلُّ يبلغ صاحبه (٢)»؛ ولكن أصحاب الإملاء اختصروا فيه حتى إن أغلب العلماء كانوا يختصرون في أماليهم و يطيلون في تدريسهم (٣).

وعندنا من خبر كتاب الياقوت في اللغة لأبي عمرو المطرز (المتوفى عام ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م) ما يرينا كيف كان ينشأ الكتاب من الإملاء: ابتداء الموءلف بإملاء هذا الكتاب يوم الخميس ليله بقيت من المحرم سنة ٣٢٦ هـ ٩٢٧ م في جامع المنصور ببغداد ارتجالاً من غير كتاب ولا دستور، ومضى في الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره؛ ثم رأى الزيادة فيه فزاد في أضعف ما أملى، وكتب هذه الزيادة أحداً تلاميذه؛ ثم قرأه عليه أبو إسحاق الطبري و سمعه الناس، ثم زاد فيه بعد ذلك، وقرىء عليه بالزيادة يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٣٢٩ هـ ٩٤١ م؛ وفرغ منه في ربيع الثاني سنة ٣٣١ هـ ٩٤٢ م، و حضرت نسخ جميع من كتب فقورنت؛ ثم زاد الموءلف بعد ذلك أشياء أخرى كتبها

١- المزهر السيوطي .

٢- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣١٢ .

٣- المعتزله لالن المرتضى ص ٦٣، و يظهر أنه في عصر حاجي خليفه كان المحدثون قد تركوا الإملاء نهائياً. انظر: Marcais, Le Taqrib de en Nawawi, JA ١٩٠١, ١٨, S. ٨٧ و كتاب التقريب مطبوع بالعرييه و معروف ج المترجم .

محمد بن وهب، ثم جمع الناس و وعدهم يعرض أبى إسحاق عليه هذا الكتاب و تكون آخر عرضه يتقرر عليها الكتاب و لا يكون بعدها زياده(١).

وكان تغير طريقه التعليم سبباً فى إيجاد نوع جديد من الموءسسسات العلميه؛ ذلك أنه لما انتشرت طريقه التدريس نشأت المدارس، و لعل من أكبر الأسباب فى ذلك أن المساجد لم يكن يحسن تخصيصها للتدريس بما يتبعه من مناظره و جدل قد يخرج بأصحابه أحياناً عن الأدب الذى تجب مراعاته المسجد؛ فالقرن الرابع هو الذى أظهر هذه المعاهد الجديده التى بقيت إلى أيامنا، و يدل مجموع الأخبار التى انتهت إلينا على أن نيسابور كانت مهد هذه المعاهد، و كانت أكبر مراكز العلم فى خراسان. و يقول الحاكم النيسابورى الموءرخ السنه (المتوفى عام ٤٠٦هـ ١٠١٥ م) صاحب تاريخ نيسابور إن أول مدرسه هى التى بنيت لمعاصره أبى إسحاق الإسفرايينى (المتوفى عام ٤١٨هـ ١٠٢٧ م) بنيسابور(٢).

أما المدرسه التى بنيت لابن فورك (المتوفى عام ٤٠٦هـ) فهى أحدث عهداً من تلك المدرسه بقليل. و كان كل من الإسفرايينى و ابن فورك أشعرياً متحمساً، فلا بد أن يكونا قد آثرا البحث فى المسائل الكلاميه، بل آثرا طريقه

١- الفهرست لابن النديم ص ٧٦ .

٢- طبقات السبكى ج ٣ ص ١١١، ١٣٧؛ و يقول المقرئى (الخطط ج ٣ ص ٣٦٣) إن أول من حُفظ عنه أنه بنى مدرسه فى الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بها المدرسه البيهقيه التى بنيت للبيهقى (المتوفى عام ٤٥٤هـ ١٠٦٢ م). و يقول الذهبى إن أول المدارس المدرسه النظاميه (السبكى ج ٣ ص ١٣٧)، و لا- توجد كلمه مدرسه عند الجوهرى و لكنها وردت فى رسائل الهمذانى (ص ٢٤٧) .

التدريس على مجرد روايه الأحاديث(١).

على أنه كان بنيسابور رجل من كبار الأئمة و أولى الرياسه، وهو أبوبكر البستي المتوفى عام ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م، وقد بنى لأهل العلم مدرسه على باب داره، و وقف عليها جمله من ماله الكثير. وكان هذا الرجل من كبار المدرسين و المناظرين بنيسابور(٢).

و كان المستملى فى المجالس الكبيره يجلس على مقعد مرتفع ليستنصت الحاضرين و ليعيد كلام المدرس حتى يسمعه من كان بعيداً عنه. وكان العالم يتدى درسه بحمدالله و الصلاه على نبيه بعد قراءه قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن ثم يدعو للبلد و السامعين(٣).

وبعد أن يستنصت المستملى الناس يبدأ كلامه باسم الله و بالصلاه على النبى؛ ثم يقول للمحدّث : من أو ما ذكرت رحمك الله؟

و كلما ورد ذكر النبى أو أحد الصحابه أو نحوهم(٤) صلى على النبى و رضّى عن الصحابه. وفى حوالى عام ٣٠٠هـ كان ابن كيسان النحوى يبدأ مجلسه يأخذ القرآن و القراءات، ثم بأحاديث الرسول عليه السلام؛ « فإذا قرئ خیر غريب أو لفظه شاذه

١- ويريد الأستاذ ريبيرا (Ribera) فى مقاله : Origen del Colegio Nidami de Bagdad, و هو بحث شيق ضمن Homenajo a Don Fr Codera Zaragoza ١٩٠٠, S. ٣. ff أن يثبت أن المدارس فى أصلها من مؤسسات الكراميه؛ ولكن لا برهان له على ذلك .

٢- طبقات السبكي ج ٣ ص ٣٣ .

٣- انظر الفصل الخاص بعلوم الدين .

٤- Nawawi, Taqrib, trad. Macais, JA, ١٩٠١, ١٨, S. ٨٣، و الطبعة العربيه، النوع السابع والعشرون؛ و هذه كانت هى العاده الجاريه فى القرن الرابع كما يدل على ذلك ما روى من أن الخطيب البغدادي كان يأمر المستملى أن يرفع صوته بذلك .

أبان عنها و تكلم عليها و سأل أصحابه عن معناها(١). وكان يجوز للسامع في المجلس أن يقف و يسأل المدرس، و يدل على ذلك ما حكى عن أبي عبيد: اللغوى من أن رجلا حضر مجلسه فسأله سوء الا سخيفاً يدل على الجهل و سوء الفهم؛ ثم قام ثان و ثالث فسألا مثل ذلك، فأخذ أبو عبيده نعليه، و الشد ساعياً في مسجد البصره يصيح بأعلى صوته : من أين حُشرت البهائم على اليوم(٢).

على أنه قد بقى في القرن الرابع ذلك التهيب الشديد للحديث، و قد كان معروفاً من قبل، فكان يبلغ من ورع البعض أنه يتهيب روايه الحديث(٣)؛ و قد حكى البرقاني (المتوفى عام ٤٢٥هـ ١٠٣٤ م) أن أستاذه كان يروى الأحاديث متهيباً متحرزاً، و أن تلاميذه كانوا إذا تكلم مع أحد، يذهبون جانباً و يكتبون الأحاديث التي ترد في كلامه دون أن يفتن هو لذلك(٤).

و كان أبو سهل الصعلوكي يطلب منه التحديث فيمتنع أشد الامتناع؛ و لم يقعد لذلك إلا في آخر عمره عند ما بلغ السبعين(٥). على أن التحديث كان يعتبر نوعاً من العباده يحتاج إلى آداب خاصه : فيستحب للمحدث قبل أن يجلس للحديث أن يتطهر و يتطيب و يسرح لحينه، و أن يجلس متمكناً بوقار، فإن رفع

١- الإرشاد ج ٦ ص ٢٨٢ .

٢- نفس المصدر ج ٥ ص ٢٧٢ .

٣- انظر ٨٤١ S, ١٩٠٧, DMG, Goldziher, وقد حكى السمرقند (بستان العارفين ص ١٠) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنه قال : أدركت مائه و عشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله ، فما كان منهم محدث إلا- و د أن أخاه كفاه الحديث و لا مفت إلا و د أن أخاه كفاه الفتوى .

٤- انظر ما ذكره مارسيه في هامش ترجمته لكتاب التقريب للنووي : ١٩٦ S. ١٧. JA ١٩٠١m ٢. Anm.

٥- الطبقات للسبكي ج ٢ ص ١٤١ .

أحد الحاضرين صوته زجره، و عليه أن يقبل على الحاضرين كلهم(١).

و يروى لنا من القرنين الثاني و الثالث للهجره أنه كانت تُرمى رقع في حلقه بعض العلماء الصالحين أمام العالم، و تتضمن هذه الرقع طلب دعاء لمريض أو صاحب حاجه، فيقبض العالم عليها و يقروءها، و يدعو لصاحبها، و يوءمّن على دعائه من حضر، ثم يمضى في درسه(٢).

وقد رويت لنا من القرن الرابع هذه الحكايه التاليه : لما عزم الصاحب ابن عباد على إملاء الحديث؛ و هو وزير، « خرج يوماً متطلساً متحنكاً بزى أهل العلم فقال : قد علمتم قدمي في العلم، فأقروا له بذلك، و أنا متلبّس بهذا الأمر، و جميع ما أنفقت من صغرى إلى وقتي هذا من مال أبي وجدى، و مع هذا لا أخلو من تبعات أشهد الله و أشهدكم أتى تائب إلى الله من ذنب أذنبته؛ و اتخذ لنفسه بيتاً أسماء بيت التوبه، و لبث أسبوعاً على ذلك، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحه توبته، ثم خرج و قعد للإملاء و حضر الخلق الكثير، و كان المستملى الواحد ينضاف إليه سته، كل يبلغ صاحبه، فكتب الناس حتى القاضي عبد الجبار(٣)».

و كان أبو الحسن المدارقطنى (المتوفى عام ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م) يقرأ عليه تلاميذه، فإذا أخطأ أحدهم سبّح أو قرأ شيئاً من القرآن بقصد التصحيح، من الآيات

-
- ١- التقريب للنووى ترجمه مارسيه ٨٥١، ١٨، ١٩٠١، Marcais JA، (النوع السابع و العشرون من الطبقة العربيه)، و يذكر مارسيه عن الغزالي أن سفيان الثورى كان يجلس الفقراء فى الصف الأول .
 - ٢- الإرشاد لياقوت، ج ١ ص ٣٨٤، و مروج الذهب للمسعودى ج ٨ ص ١٨٥ و ما يليها .
 - ٣- الإرشاد ج ٢ ص ٣١٢ .

التي تكون ملائمته لذلك (١).

و توفي أحد العلماء في سنة ٤٠٦ هـ ١٠١٥ م. وكان يبتدئ كل يوم بتدريس القرآن، ثم يدرس الحديث، و كان يجلس على حال واحد لا يتحرك ولا يعبث في شيء من أعضائه، ولا بغير شيئاً من هيئته؛ وكان يقرأ بنفسه حتى يستنفد قوته و يبلغ النهايه في جهده في القراءه (٢).

و كان أبو الحسن الباهلي يدرس في كل جمعه مره واحده، و كان يرخي الستر بينه و بين تلاميذه كي لا يروه، و سئل عن سبب إرساله الحجاب بينه و بين الناس فأجاب: إنهم يرون السوقه، و هم أهل الغفله، فيروني بالعين التي يرون بها أولئك؛ « و كان من شدة اشتغال قلبه بالله مثل و اله أو مجنون » لم يكن يعرف مبلغ درسنا حتى نذكره (٣).

و كان بعض العلماء إذا انتهى مجلسه يقول: قوموا؛ فيقوم تلاميذه، و يأخذ هو يدعو الله (٤).

وقد اختلف العلماء متى يبدأ الإنسان في سماع الحديث؛ فذهب جماعه إلى أنه يستحب أن يبتدئ الإنسان بسماع الحديث بعد ثلاثين سنه؛ و قال آخرون بعد العشرين؛ و نقل القاضي عياض، قاضي قرطبه (المتوفى عام ٥٤٤ هـ ١١٤٩ م) أن مذهب المحدثين أنفسهم أن أول زمن يصح فيه السماع خمس سنين؛ و يذكر حديثاً للبخاري (كتاب العلم، الباب الثامن عشر) لإثبات

١- طبقات السبكي ج ٢ ص ٣١٢ .

٢- المنتظم لابن الجوزي ص ١٦٣ .

٣- طبقات السبكي ج ٢ ص ٢٥٧ .

٤- نفس المصدر ص ١٩٢ .

هذا الرأي.

ويقول النووى (المتوفى عام ٤٧٦ هـ ١٠٨٣ م) إن العمل استقر على ذلك فى زمانه، ويحكى أن الحميدى المحدث المشهور كان أبوه يحمله على كتفه (١) إلى مجلس الحديث؛ و لهذا يذكر مؤرخو الحديث السن الذى بدأ عنده كل محدث فى سماع الحديث. و كان يندر أن يذهب الولد لسماع الحديث و هو فى السادسة من العمر و يقال إن القاضى النوخى المتوفى عام ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م، ممن سمع الحديث و هو فى سن ست (٢).

و يقال إن أبا نعيم الأصفهاني أكبر محدثى عصره سمع الحديث و هو ابن ثمان (٣).

و الغالب أن يبدأ فى سماع الحديث فى الحاديه عشره، وفى هذا السن سمع الحديث الخطيبُ البغدادي المحدث المشهور و ثلاثه من شيوخه (٤)؛ و كذلك ابن الجوزى، فقد كتب الحديث و له إحدى عشره سنه (٥).

وكان بعض المحدثين لا يقبل فى مجلسه من لم يكن ملتجياً، خوفاً من قصص الغرام فيما يظهر. و يذكر أن صبيا كان شديد الرغبة فى سماع الحديث، و

١- التقريب للنووى ترجمه مارسيه. انظر f ١٩٣, ١٧, ١٩٠١, Marçais, Ja. والنسخه العربيه : النوع الرابع و العشرون .

٢- المنتظم ص ١٣٦ ب .

٣- السبكي ج ٢ ص ٨ .

٤- تاريخ بغداد ٥٠ S, ١٩١٢, JRAS.

٥- المنتظم ص ١٢٧ ب .

مُنَع من ذلك فاتخذ لنفسه لحيه مصطنعه(١).

وقد اختلف أيضا في السن التي يجوز للرجل فيها أن يتصدى لتدريس الحديث؛ فذهب النووي إلى أنه يجوز للإنسان أن يجلس لذلك في أي سن متى احتيج إلى ما عنده؛ و يجب على الشيخ المسن أن يمسك عن التحديث، إذا خشى التخليط بهرم أو خوف أو عمى(٢).

و كان الأسفرايني أكبر أئمة الشافعية في القرن الرابع الهجري، طالباً فقيراً، و كان يشتغل حَمَّالاً(٣).

و كان آخرون في وقت طلبهم للحديث يسكنون في مثذنه المسجد الذي يستمعون فيه الحديث(٤).

و يحكى عن الوزير أبي الحسن بن الفرات (المتوفى عام ٣١٢هـ ٩٢٤ م) أنه كان يطلق للشعراء في كل سنة من سنى وزارته عشرين ألف درهم رسماً لهم، سوى ما يصلهم به متفرقاً، وعند مديحهم إياه؛ فلما كان فى وزارته الأخيرة تذكّر

١- Wustefeld Schahiten, AGGW ٣٧ Nr, SS. انظر أيضاً الفصل الخاص بالأخلاق والعادات فى الجزء الثانى من الكتاب.

٢- التقريب للنووى ترجمه مارسيه S. ٨٤, ١٨, ١٩٠١, JA, و النسخه العربيه : آداب المحدث، فى النوع السابع و العشرين وقد كان المحدثون المتأخرون قساه فى حكمهم على العمى من المحدثين؛ فقد أراد البعض أن يسحبوا منهم كل ثقته فى أمر الحديث، و هذا يدل على ما أصبح للكتابه من الشأن و على نقصان قيمه الذاكره و ما كان لها من التقدير فيما مضى. وقد فال الخطيب البغدادي إن الأعمى فى منزله البصير الأسمى ج نفس المصدر ص ٦٣، و النوع السادس و العشرون .

٣- AGGW, ٣٧, Nr. ٢٨٧, و فى طبقات السبكى ج ٣ ص ٢٦ أنه كان فى أول أمره يحرس فى بعض الدور .

٤- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٥٥ .

طلاب الحديث، وقال : لعل الواحد منهم يبخل على نفسه بدائق و دونه و يصرف ذلك في ثمن ورق و حبر، و أنا أحق بمراعاتهم و معاونتهم على أمرهم، و أطلق لهم من خزانته عشرين ألف درهم(١).

يدلنا هذا على أن المعاهد العلميه التي كان يستطيع الطلاب أن يلجأوا إليها لم تكن قد ظهرت، و كان جزء كبير من مثل هذه العطايا لا- يصرف إلى الطلاب، بل لغيرهم بواسطة ذوى الجاه، كما يصرح بها صاحب كتاب الوزراء. و كان العالم إذ لم يكن فقيها صاحب منصب، و لم يجد ما يعيش منه، اشتغل ينسخ الكتب كما حُكى عن أبى زكريا يحيى بن عدى المتوفى عام ٣٦٤هـ ٩٧٤م، و كان من أكبر فلاسفه القرن الرابع، و مذهبه مذهب النصارى اليعقوبيين؛ و ذكر عنه أنه نسخ بخطه نسختين من تفسير الطبرى، و أنه كان يكتب في اليوم و الليله مائه ورقه(٢).

و كان بنيسابور وراق يسمى أبا حاتم و رَقَّ بها خمسين سنه، و هو القائل :

إِنَّ الْوَرَاقَةَ حَرَقَهُ مَذْمُومَةٌ *** محرومه عبشى بها زمنٌ

إِنَّ عِشْتُ عِشْتُ وَ لَيْسَ لِي أَكْلٌ *** أو مُتُّ مُتُّ وَ لَيْسَ لِي كَفَنٌ(٣)

و كان أبوبكر الدقاق المعروف بابن الخاضبه المتوفى عام ٤٣٩هـ ١٠٨٦م يعول والده و زوجه و بنتاً من الوراقه؛ و فى سنه واحده كتب صحيح مسلم سبع مرات، و هو يقول : « فلما كان ليله من الليالى رأيت فى المنام كأن القيامه قد قامت، و منادٍ ينادى ابن الخاضبه، فأحضرت، فقيل لى : أدخل الجنه؛ فلما دخلت الباب و صرت من داخل استلقيت على قفاى و وضعت إحدى رجلى

١- كتاب الوزراء ص ٢٠١ ج ٢٠٢ .

٢- الفهرست لابن النديم ص ٢٦٤؛ و أخبار الحكماء للقفطى ص ٣٦١ من الطبعة الارويه .

٣- يتيمه الدهرج ٤ ص ٣١٩ .

على الأخرى وقلت : آه استرحت و الله من النسخ»(١).

وقد قيل إن من آفات العلم خيانه الورّاقين. وكان العلماء الذين يحرصون على سلامه العلم ينسخون كتبهم بأنفسهم إن استطاعوا(٢).

و لم تكن حرقه التعليم تدرّ شيئاً كثيراً؛ فقد ذهب طائفه كبيره من الفقهاء كالحنيفه جمعهم و أحمد بن حنبل و سفيان الثوري و غيرهما إلى أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً عن تعليمه القرآن و الحديث(٣)، و أجاز ذلك آخرون؛ و لكنهم جعلوا معلم الحديث في درجه أعلى لأنه يعلم ابتغاء الثواب الأخرى. وفي القرن الثامن الهجرى امتنع النووى أن يأخذ رزقاً لتدريسه في المدرسه الأشرفيه؛ و كان الرجل إذا انتهى من مجلس علم قعد له من غير أجر، قال له الطالب : آجرك الله، و هو يقول : نفعك الله(٤).

وفي سنة ٣٤٦هـ ٩٥٧ م توفى أبو العباس الأصم، و كان من أكبر علماء خراسان و محدثيهم؛ وقد ظهر به الصم و هو ابن ثلاثين سنه، ثم استحکم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، و كان إذا ذهب إلى المسجد لتحديث وجد السكه قد امتلأت بالناس، و كانوا يقومون له و يحملونه على عواتقهم إلى مسجده. و كان لا يأخذ شيئاً على التحديث، و إنما كان يورق و يأكل من كسب يده(٥).

١- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٣٣٧ .

٢- يذكر هذا كثيراً و لا سيما في تراجم المالكيه .

٣- انظر مقدمه بستان العارفين للسمرقندی، و التقريب للنووى، ١٤٣، S. ١٩٠١, LV, Marçais, JA, و انظر أيضاً بستان العارفين ص ٤٤ ج ٤٥ .

٤- طبقات السبكي ج ٣ ص ٢٩٧ .

٥- المنتظم لابن الجوزي ص ٨٧ .

وحكى عن أبى بكر الجوزقى محدث نيسابور المتوفى عام ٣٨٨هـ ٩٩٨ م أنه قال: « أنفقت فى الحديث مائه ألف درهم ما كسبت به درهما(١)».

وكان أبوبكر الخطيب البغدادى يوماً فى جامع صور، فدخل عليه بعض العلويه و أعطاه ثلثمائه دينار وضعها على سجاده الخطيب، فقام الخطيب محمّر الوجه، وأخذ السجاده و خرج من المسجد، و ترك العلوى يلتقط الدنانير من شقوق الحصير(٢).

أما إذا كان أحد معلم صبيان أو معلم كُتاب، كما كان أبوزيد البلخى العالم المشهور المتوفى عام ٣٢٢هـ - ٩٣٣ م (٣)، فمعنى هذا عيش مرّ و حرفه محتره. وقد ألف الجاحظ كتاباً فى المعلمين ملأه بالحكايات التى تدل على حماقاتهم و قله عقلهم و رأيهم. و من أمثال العامه: أحمق من معلم(٤).

ولعل كثيرا مما لحق المعلمين من ضروب الاستهزاء إنما يقع إثمهُ على الروايات اليونانيه الهزليه؛ لأن المعلم فيها كان من الشخصيات المضحكه. وقد ذكر ابن قتيبه عن السندى أنه كان لا يستخلف المُكارى و لا الحائك و لا الملاح، و يجعل القول قول المدعى مع يمينه، و يقول: اللهم إنى أستخيرك فى الحتال و معلم الصبيان(٥).

و كان ابن حبيب أحد علماء اللغه و الأخبار و الشعر (توفى عام ٢٤٥هـ

١- السبكى ج ٢ ص ١٦٩ .

٢- نفس المصدر ج ٣ ص ١٤ .

٣- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ١٤١ .

٤- البيان و التبيين للجاحظ ج ١ ص ١٠٠ طبعه مصر ١٣١١هـ .

٥- عيون الأخبار طبعه بروكلمان ص ٩٣ .

٨٥٩ م) يقول إذا قلت للرجل : ما صناعتك ؟ فقال : معلم، فاصفح(١).

ويحكي ابن حوقل عن أهل صليقة أنهم كانوا يكثرون التغذية بالبصل النيئ، « وما فيهم من لا يأكله في كل يوم، و يوء كل في داره صباحاً و مساءً من سائر طبقاتهم، و هو الذي أفسد تخيلهم، و ضر ادمغتهم، و حير حواسهم، و غير عقولهم، و نقص أفهامهم، و أفسد صحه و جوههم، فأحال مزاجهم، حتى رأوا الأشياء أو أكثرها على غير ما هي عليه. والذي دخل تحت العده أن فيها أزيد من ثلثائه معلم يوءدبون الصبيان؛ و هم يرون أنهم أفضلهم، و أنهم أهل الله، و هم شهودهم و أمناؤهم؛ هذا على ما اشتهر عن المعلمين من نقص عقولهم و خفه أدمغتهم؛ و إنما لجأوا إلى هذه الصنائه هرباً عن الجهاد و نكولاً عن الحرب(٢)».

وكان يدفع للمعلم أجره أحياناً عدا المال أشياء مما يأكله الناس و ينتفعون به، و لذلك كانت « رغفان المعلم » مثلاً يضرب في الاختلاف و شده التفاوت، لأن رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى و الفقير، و الجود و البخل. و قد أنشد الجاحظ الرقاشي في معلم :

مختلف الخبز خفيف الرغيف *** منتثر الزاد لثيم الوصيف

و أنشد لأبي الشمقمق:

خبز المعلم و البقال متفق *** واللون مختلف و الطعم و الصور

أما المعلمون الذين يوءدبون الأولاد في البيوت الغنيه فكانوا أحسن حالاً؛ يقول الجاحظ(٣): « يكون الرجل نحوياً عروضياً .. و هو يرضى أن يعلم أولادنا

١- الإرشاد ج ٦ ص ٤٧٣ .

٢- ابن حوقل ص ٨٦ ج ٨٧ .

٣- عمد المنسوب للثعالى ZDMG, VI، و ثمار القلوب في المضاف. و المنسوب ص ١٩٤ ج ١٩٥؛ و كان يوم الثلاثاء و يوم الجمعة يوم عطلة مدرسيه (انظر ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٣، و مقدمه متر لكتاب حكاية أبي القاسم الأزدي ص ٥٧، و فيما يختص بالعصور المتأخره (انظر كتاب ألف باء ج ١ ص ٢٠٨، و المدخل ج ٢ ص ١٦٨)؛ و كان الصبيان يكتبون على ألواحهم بالطباشير (مقدسى ص ٤٤٠؟)، و كان المعلم يؤدبهم بأن يضربهم بالسير (يتيمة الدهر ج ٢ ص ٦٣) .

بستين درهماً؛ ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني، ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم (١)، وكان عند قائد لعبد الله بن طاهر موءدب رزقه في الشهر سبعون ديناراً، وذلك في القرن الثالث الهجري. وكان مثل هذا المعلم يظل تحت إشراف من اختاره، وهو الذي يقدر رزقه، ويطوف عليه ويتعهد من بين يديه من الصبيان؛ وهو يصرفه و يبذل به غيره إذا لم يعجبه (٢).

وكان موءدبو الأمراء أحسن الموءدين حالا، وكان الذين يختارون لتأديب أبناء الأمراء هم علماء اللغة المشهورون؛ فمن ذلك أن محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان من أجود أمراء زمانه، اختار لتأديب ابنه طاهر أحمد بن يحيى ثعلب النحو واللغوي إمام الكوفيين، فأفرد له داراً في داره كان يقيم فيها هو وتلميذه، وكان يتغدى معه؛ وقد أقام له الأمير مع ذلك في اليوم سبع وظائف من الخبز الخشكار ووظيفة من الخبز السميد و سبعة أرطال من اللحم وعلوفه رأس، و أجرى له في الشهر ألف درهم (٣).

و في سنة ٣٠٠ هـ ٩١٢ م احتفل أبو القاسم بن الوزير الخاقاني بدخول ابنه الكتاب، فدعا من القواد و الرؤساء جماعه بلغوا ثلاثين نفساً، و أمر الداعي

١- البيان للجاحظ ج ١ ص ١٥١.

٢- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ١٢٢.

٣- نفس المصدر ج ٢ ص ١٤٤.

ياعطاء المعلم ألف دينار؛ وأكرم الناس، وأكلوا(١)؛ وكان يلازم المأمون في الكتاب غلاماً لمعلمه، فكان إذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر إليه، فأخذ اللوح من يده و غلب على غلمان المأمون فمسحه و جاء به فوضعه على المنديل في حجره(٢).

وكان العلماء الكبار يأخذون أرزاقاً من السلطان، و كانوا فريقين : فقهاء و علماء؛ و ثم فريق ثالث أكثر رزقا، و هم الندماء الذين يجالسون الحضرة؛ وكان البعض يأخذ رزقا في هذه الطوائف كلها كالزجاج المتوفى عام ٣١٠هـ فقد كان له رزق في الندماء، و رزق في الفقهاء، و رزق في العلماء، و مبلغ ذلك ثلثمائة دينار، و كانت له منزله عظيمه(٣).

وقد أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى عام ٣٢١هـ خمسين ديناراً في كل شهر حينما قدم بغداد فقيراً(٤).

و كذلك أجرى سيف الدوله بن حمدان صاحب حلب على أبي نصر الفارابي الفيلسوف التركي المتوفى عام ٣٣٩هـ ٩٥٠ م أربعة دراهم كل يوم، فاقصر عليها(٥).

و يندر أن تجد في هذا العصر من العلماء من يتخذ صناعه أو تجاره يعيش منها إلى جانب العلم. فيحكى أن أبا بكر الصبغى المتوفى عام ٣٤٤هـ ٩٥٥ م كان يبيع الصبغ بنفسه أو يعلمه بنفسه في الحانوت على عادة العلماء المتقدمين الذين

١- كتاب العيون و الحدائق مخطوط برلين ص ٧٩ ب .

٢- المحاسن و المساوي للبيهقي الطبعة الأوروبية ص ٦٢٠ .

٣- الفهرست ص ٦١ .

٤- Wustefeld, AGGW, ٣٧, Nr. ٩٢ .

٥- تاريخ أبي الفداء تحت عام ٣٣١هـ (ج ٢ ص ٤٥٨) .

يتسبون في المعاش، و كان حانوته مجمع الحفاظ و المحدثين(١).

وقد أوصى الصبغى لأحد العلماء في أمور مدرسته « دار السنّه »، وفوض إليه توليه أوقافه في ذلك(٢).

و كان دعلج بن أحمد بن دعلج أبو محمد السجزي (المتوفى عام ٣٥١هـ ٩٩٢ م) شيخ أهل الحديث، و كان فقيهاً، و يقال إنه لم يكن في الدنيا من التجار أيسر منه؛

وقد خلف ثلثمائه ألف دينار؛ ويحكى أنه بعث بالمسند إلى رجل لينظر فيه، و جعل في الأجزاء بين كل ورقتين ديناراً؛ « و كان يقول : ليس في الدنيا مثل داري، لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا ببغداد مثل القطيعه، ولا بالقطيعه مثل درب أبي خلف، ولا في الدرب مثل داري»(٣). وكذلك كان بمصر أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي الخياط المتوفى عام ٣٧٣هـ، و كان فقيها جيد المعرفة على مذهب الشافعي، و كان قوته و كسبه من خياطته، كان يخيظ قميصا في جمعه بدرهم و دانقين، طعامه و كسوته منها غلاء و رخصاً، « وما ارتفق من أحد بمصر بشربه ماء»(٤).

و كان بمصر عالم آخر توفي عام ٤٩٢هـ ١١٠٩ م، و كان يبيع الخلع لأولاد الملوك(٥).

على أننا نجد أن أبا عمر المطرّز المتوفى عام ٣٤٥هـ ٩٥٦ م، و كان أحد

١- السبكي ج ٢ ص ١٦٨ .

٢- نفس المصدر ج ٣ ص ٦٦ .

٣- السبكي ج ٢ ص ٢٢٢ .

٤- نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٢ .

٥- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٩٧ .

أئمه (١). اللغه المشاهير المكثرين، قد منعه اشتغاله بالعلوم عن اكتساب الرزق، فلم يزل مضيقاً عليه (٢).

ويقول أحمد بن فارس اللغوى المتوفى عام ٣٦٩هـ - ٩٧٩م:

إذا كنت فى حاجه مرسلاً *** و أنت بها كلف مغرم

فأرسل حكيماً ولا توصه *** و ذاك الحكيم هو الدرهم

و كان يقول :

يا ليت إلى ألف دينار موجهه *** و أن حظى منها فلس فأس

قالوا: فما لك منها أقلت: تخدمنى *** لها و من أجلها الحمقى من الناس (٣)

و أخيراً دخل علماء الإسلام فى تهابه هذا العصر فى جملة العظماء و أصحاب الإلقاب، و كان الأسفراينى الأصغر المتوفى عام ٤١٨هـ ١٠٢٧ م بنيسابور أول من لقب بين العلماء بركن الدين (٤).

وفى ذلك العصر ظهر لقب على سبيل التكريم و هو لقب شيخ الإسلام الذى صار له شأن كبير فيما بعد، و كان ظهوره عند فريقين مختلفين، و ذلك أن أهل السنه فى خراسان لقبوا به أحد علمائهم، فثارت نفوس المجسمه بمدينة هرات و

١- تقدم ذكره و ترجمته.

٢- تاريخ أبى الفداء تحت عام ٣٤٥هـ (ج ٢ ص ٤٦٤).

٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٩.

٤- ٣١٠، Hr. ٣٧، Wustefeld, AGGW، و كان أحمد بن عبد الله أبو محمد المزنى العلقى المروى المتوفى عام ٣٦٧هـ - ٩٦٦ م إمام أهل العلم و الوجوه و أولياء السلطان بخراسان فى عصره مع رتبه الوزاره و علو القدر عند السلطان، و كان يقال له الشيخ الجليل ببخارى، و كان فوق الوزراء لعظمته، و كانوا يصدرون عن رأيه، (طبقات السبكي ج ٢ ص ٨٥ ج ٨٦).

عمدوا إلى شيخ لهم ألف كتاباً في ذم الكلام فالقبوه به(١).

ولم يكن يخلو الحال من شخصيات مضحكه بين المعلمين كالتى نجدها فى المجالات الهزليه فقد كان بين المبرّد و ثعلب منافراتٌ كثيره، والناس يختلفون فى تفضيل كل واحد منهما على صاحبه، و كان يسعى بينهما السعاه، و ينقلون لأحدهما هجاء الآخر؛ و كانا يتناظران(٢).

ويحكى أن قتاده السدوسى قال مره : ما نسيت شيئاً قط؛ ثم قال : يا غلام! ناولنى نعلى، قال : نعلك فى رجلك(٣).

وكان ابن خالويه اللغوى عالماً غليظاً، فيحكى أنه وقع بينه و بين المتنبى كلامٌ فى مجلس سيف الدوله، فوثب ابن خالويه على المتنبى و ضرب وجهه بمفتاح كان معه؛ فخرج المتنبى و دمه يسيل على ثيابه(٤)ء و كان نفظوبه مشهوراً بعلمه كما كان مشهوراً بالقذاره و الصنان و نتن الرائحه؛ وقد أثرت فى عقل الجوهرى صاحب المعجم المشهور (المتوفى عام ٣٩٠ هـ ١٠٠٠ م) كثرة عمله.

فقد صنّف كتاب الصحاح فى اللغه حتى وصل إلى باب الضاد؛ ثم اعترته و سوسه فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور، فصعد إلى سطحه، و قال : أيها الناس! إنى عملت فى الدنيا شيئاً لم أسبق إليه؛ فسأعمل للآخره شيئاً لم أسبق إليه، و ضمّ إلى جنيبه مصراعى باب و تأبّطهما بحبل، و صعد مكاناً عالياً من الجامع و زعم أنه يطير، فوقع فمات.

١- طبقات السبكي ج ٣ ص ٤٧، ١١٧ .

٢- الإرشاد ج ٢ ص ١٤٩ .

٣- نفس المصدر ج ٦ ص ٢٠٢ .

٤- ابن خلكان (الوفيات) طبعه تستنفلد ج ١ ص ٦٥ .

تعليقات الفصل الثاني عشر

[*١] هو العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدي العبيدي الباطني صاحب مصر والشام، ولي الأمر بعد أبيه، و كان شجاعاً جواداً حليماً، حسن الخلق، قريباً من الناس لا يحب سفك الدماء، له أب و شعر(١)

[*٢] ذكر في الكامل انه كان استعمل على الموصل(٢)

[*٣] في الكامل ان في هذه السنه (٣٥٧) عصى حبشى بن معز الدوله على أخيه بختيار إلى فظفروا به وأخذوه أسيراً و حبسوه برامهرمز و ذكر ما في المتن.(٣)

[*٤] هو عبدالرحمن (٤) بن محمد بن فطيس الأندلسي القرطبي صاحب التصانيف الطنانه. منها كتاب أسباب النزول في مائه جزء و كتاب فضائل الصحابه والتابعين في ٢٥٠ جزءاً و كان من جهابذه الحفاظ والمحدثين. قال في الشذرات و كان يملى من حفظه و قيل ان كتبه بيعت بأربعين ألف دينار قاسميه أرخ وفاته لسنه ٤٠٢.

[*٥] هو الحافظ الكبير الثقة أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الفقيه الشافعي البرقاني بالفتح نسبه إلى برقان قريه بخوارزم، الي، قال الخطيب كان ثبناً ورعاً

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢١. ذكر وفاته في الشذرات سنه ٣٨٦ كالكامل و قال فيه كان يحب العفو ويستعمله، الكامل ج ٢٠ ص ٥١٤-٥١٥.

٢- الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٨٨.

٣- الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٣٥٢-٣٥٣.

٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٣.

لم يرفى شيوخنا اثبت منه عارفاً بالفقه كثير التصنيف ذا حظ من علم العربي. صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان أرخ وفاته لسنة ٤٢٥ (١) و في الوافي ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخارى و جميع حديث الثورى و شعبه و آخرين لم يقطع التصنيف حتى مات سنة ٤٢٥. (٢)

[٦*] ذكره في الشذرات بعنوان أبى يوسف القزوينى عبدالسلام بن محمد بن يوسف بن بندار، شيخ المعتزله صاحب التفسير الكبير الذى هو أزيد من ثلثمائه مجلد. درس الكلام على القاضى عبدالجبار بالرى، إلى، وكان صاحب كتب كثيره و ذكاء مفرط و تبحر فى المعارف و اطلاع كثير الا انه كان داعيه إلى الاعتزال. مات فى ذى القعدة وله خمس و تسعون سنة و أشهر (٣)

[٧*] هو أبو على الحسن بن على بن اسحاق الطوسى قوام الدين. كان من جله الوزراء.

ذكره السمعانى. فقال كعبه المجدد و منبع الجود و كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء، إلى أتاه شاب صوفى الشكل من الباطنيه ليله عاشر رمضان فناولته قصه، ثم ضربه بسكين فى صدره. ففضى عليه. فيقال ان ملكشاه دس عليه هذا، والله أعلم، و أطال فى ترجمته و ترجمه عليه فى الشذرات، و وصفه بانه من حسنات الدهر، و أرخ وفاته لسنة ٤٨٥ (٤) و ترجم له فى الروضات (٥). و ذكر ما فى الشذرات مما لا حاجة إلى نقله و عبر عن القاتل بصبى ديلمى على هيئة الصوفيه معه قصته.

-
- ١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٨.
 - ٢- الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٣٣١.
 - ٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٥.
 - ٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٣.
 - ٥- روضات الجنات ج ٣ ص ٨٧-٨٩.

[*٨] هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي الشافعي صاحب الصحيح كان حافظاً ثباتاً اماماً حجه، أحد أو عيه العلم، صاحب التصانيف، الى، ولي قضاء سمرقند، ثم قضاء نساء، الى، و أكثر نقاد الحديث على ان صحيحه أصح من سنن ابن ماجه(١).

[*٩] فى الشذرات هو وزير بهاء الدوله ابتاع داراً فى الكرخ بين السورين و عمرها و سماها دارالعلم عن شذور العقود ووقفها و نقل اليه كتباً كثيره، و رد النظر فى أمرها إلى أبى الحسين بن السنيه، و أبى عبدالله الضبى القاضى(٢).

[*١٠] سبق الحكايه اللطيفه الراجعه إلى المقام.

[*١١] علق فى ذيل الكامل (٣) لابن الأثير الشيخ عبدالوهاب النجار المدرس فى الازهر (سنه ١٣٥٣ طبع الكامل لأول مره) طى حوادث سنه ٣٦٥.

و أقام بتدبير مملكه ولده العزيز جوهر القائد بانى القاهره و صاحب جامع الازهر الموجود الآن الذى هو كعبه المشرق فى العلم يؤمها من جميع اجناس البشر الاسلاميه و اقطارها.

اقول: لا يخفى ما فى كلامه من المبالغه. و لهذا المعلق تهمة إلى القاضى نعمان المصرى (صاحب دعائم الاسلام) بتأليف كتب تدل على انسلاخه من الدين. نعوذ بالله من هذه التهم و من طغيان القلم.

[*١٢] الحافظ المتقن (٤)، الأديب، أبوبكر، أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٦.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٤.

٣- الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٦٩ والنسبه ص ٥٨-٥٩.

٤- روضات الجنات ج ١ ص ٢٨٤-٢٨٥.

البغداد الشافعي الأشعري، كان من الحفاظ المشاهير والفضلاء النحارير، اسند اليه قريب من مائة مصنف مضبوط و مؤلف مسبوط وغير مسبوط. و ذكر بعضهم أن فضله أشهر من أن يوسف إلا ان السيد رضى الدين بن طاووس من أجله علمائنا نسب إليه المظاهره بعداوه أهل بيت النبوه عليهم السلام. عد من مؤلفاته كتاب الكفايه فى قوانين الروايه و كتاب الجامع لآداب الشيخ والسمع و كتباً جمه فى فنون الحديث بحيث قد نقل عن بعض المواضع. انه قل فن من تلك الفنون لم يكن صنف الخطيب المذكور فيه كتاباً مفرداً. ولد سنه ٣٩٢ و توفى سابع ذى الحجه سنه ٤٦٣ ببغداد، و فى الشذرات (١) فى ولادته و وفاته مثل ما ذكرنا، و ذكر عن ابن ماكولاً، انه كان أحد الأعيان ممن شاهدناه معرفه و حفظاً و اثباتاً و ضبطاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله و تفنناً فى عله و أسانيده و عملاً بصحيحه و غريبه و فرده و منكره. قال و لم يكن للبغداد بين بعد الدار قطنى مثله. و عن المسعاني كان مهيباً و قوراً، ثقه، متحريراً حجه، إلى. و قال غيره و كان يتلو فى كل يوم وليله ختمه. و عن ابن الاهدل كان الخطيب قد أوصى أن يدفن الى جانب بشر الحافى الخ.

[١٣*] عن الصادق عليه السلام (٢) ماء زمزم شفاء لما شرب له، و عنه عن (٣) ابيه عليهما السلام، قال كان النبى صلى الله عليه و آله يستهدى من ماء زمزم و هو بالمدينه.

[١٤*] يدلنا هذا من الخطيب على قصر علمه عن ادراك مقام الأئمه عليهم السلام كعلى بن ابيطالب والحسين بن على و موسى الكاظم و حفيده محمد الجواد عليهم السلام حتى يأمل الدفن عند قبر أحدهم أو فى حرم الله أو حرم النبى صلى الله عليه و آله فانظر و تعجب.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣١١-٣١٢.

٢- وسائل الشيعة ٩ الباب ٢٠ من ابواب مقدمات الطواف ج ٢.

٣- وسائل الشيعة ٩ الباب ٢٠ من ابواب مقدمات الطواف ج ١.

ثم بشر هذا كان (١) اصله مروزيًا و سكن بغداد، و كان مولده به، و كان من اولاد الرؤساء والكتاب، و نقل فى سبب توبته انه اصاب فى الطريق قطعه كان فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم، و قد وطأتها الاقدام، فاخذها الى، فلما اصبح تاب.

لكن الاصح ما عن العلامة قدس سره فى منهاج الكرامه، ان توبته كانت على يدى الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، واشتبه الامر على الشهيد الثانى طاب رسمه، فذكر توبته فيما نقل عنه على يدى الامام زين العابدين عليه السلام، توفى ببغداد يوم عاشوراء المحرم سنة ٢٢٦ عن ست و سبعين سنه، و ذكر القاضى (٢) نور الله نورَ الله مضجعه انه توفى بشوشتر و قبره فى قصبه (دلگشای) يزار، و من اسباطه (٣) الشيخ ابونصر عبدالكريم بن محمد الهارونى الديباجى المعروف بسبط بشر الحافى و كان من علماء الاماميه.

[١٥*] هو داود الظاهرى له مذهب مستقل، و مداره كما استظهره الروضات (٤) على اتباع ظواهر المتشابهات القرآنيه و الحديثيه التى تنافى ضروريات الدين بظواهرها من غير رد حقيقه الامر إلى الله أو الرسول أو اولى الامر، و احتمال أن يراد به ما يعطى معنى الاخباريه، كما أمكن عنده اراده تجويز الخطاب بماله ظاهر و اراده خلافه .. و أرخ وفاته فى الشذرات (٥) لسنة ٢٧٠ و عنونه بدادود بن على الامام أبو سليمان الاصبهاني ثم البغداد، الفقيه الظاهرى، و قال تفقه على أبى ثور و ابن راهويه، و كان ناسكاً زاهداً، و عن ابن ناصر الدين تكلم أبو الفتح الأزدي و غيره فيه و منعه أحمد بن حنبل من

١- روضات الجنات ج ٢ ص ١٢٩-١٣٤.

٢- مجالس المؤمنين ج ٢ ص ١٢-١٤.

٣- روضات الجنات ج ٢ ص ١٣٤.

٤- روضات الجنات ج ٣ ص ٣٠٣-٣٠٢.

٥- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٥٨-١٥٩.

الدخول عليه، لقوله المعروف في القرآن، و ذكر عن أبي العباس ثعلب، انه كان عقل داود أكبر من علمه.

[١٦*] هو الشيخ (١) أبو حامد السفرائنى، أحمد بن أبى طاهر، محمد بن أحمد، الفقيه شيخ العراق و امام الشافعيه و من اليه انتهت رياسه المذهب، قال و كان يحضر درسه سبعمأه فقيه و عن ابن شهبه، قال سليم، و أفتى و هو ابن سبع عشره سنه، و شرح المختصر فى تعليقه التى هى فى خمسين مجلداً، ذكر فيها خلاف العلماء و أقوالهم و مأخذهم و مناظراتهم حتى كان يقال له الشافعى.

[١٧*] يحكى عن محضر علماء الشيعة كالشيخ الطوسى و شريف العلماء و المجلسى قدس الله اسرارهم أزيد من هذا، فكان (٢) فضلاء تلامذه الاول الذين كانوا من المجتهدين يزيدون على ٣٠٠/ فاضل من الخاصه، و من العامه مالا يحصى، و فى موضع آخر، له من (٣) التلاميذ و رجال الحوزه و طلاب الحضرة والآخذين من بركات ذلك النفس، إلى و حضره جماعه فوق كثير من الجماعات الخ و فى الثالث و هو العلامه المجلسى.

يقول السيد الجزائرى قدس سره (٤) انه (أى العلامه المجلسى) خصنى من بين تلامذته مع انهم كانوا يزيدون على الألف. و عن صاحب الرياض (٥) انهم بلغوا إلى ألف نفس.

كما يذكر المؤلف عن صاحب بن عباد ص ٣١٧ و شاهد و شاهدنا فى عصرنا.

المشاركين فى حلقات تدريس الاساتذه الفقهاء و الاصوليين الجهابذ و ربما يتجاوز عددهم

- ١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٨.
- ٢- روضات الجنات ج ٦ ص ٢١٩.
- ٣- روضات الجنات ج ٦ ص ٢٢٧.
- ٤- اجازات البحار ج ١٠٥ ص ١٠٣-١١٢-١٣.
- ٥- اجازات البحار ج ١٠٥ ص ١٢-١٣.

و يحضر تحت (١) منبر الثانى الف من المشتغلين و فيهم المآت من العلماء الفاضلين.

[١٨*] يحتمل قوياً أن يكون من عنونه فى الشذرات (٢) بقوله شيخنا و استادنا أبو الطيب الطبرى قال، توفى عن مائه و سنتين و لم يخل عقله و لا تغير فهمه يفتى مع الفقهاء و يستدرك عليهم الخطأ، و يقضى و يشهد المواكب، إلى، ثم ارتحل إلى نيسابور و أدرك أبا الحسن الماسرجى و صحبه أربع سنين، ثم ارتحل إلى البغداد، الى و لم ار ممن رأيت أكمل اجتهاداً و أشد تحقيقاً و أجود نظراً منه. و ذكر عن الخطيب البغدادى، كان أبو الطيب ورعاً عارفاً بالاصول و الفروع محققاً حسن الخلق صحيح المذهب أرخ وفاته لسنة ٤٥٠ و يأتى فى أبى سهل الصعلوكى ما ينفع.

[١٩*] هو اما الحرمين أبو المعالى الجوينى عبدالملك بن أبى محمد، عبدالله بن يوسف الفقيه الشافعى، ضياء الدين أحد الأئمة الأعلام، قال فى الشذرات، و لما ظهر التعصب بين الأشعريه و المبتدعه خرج مع المشايخ إلى بغداد فلقى الأكابر و ناظر فظهرت فطنته و شاع ذكره، ثم خرج إلى مكه فجاور بها أربع سنين ينشر العلم، و لهذا قيل له امام الحرمين، ثم رجع بعد مضى نوبه التعصب إلى نيسابور فى ولايه الب أرسلان السلجوقى ثم قدم بغداد، الى، و كان يقعد يديه كل يوم ثلثمائه رجل من الطلبة والأئمه و أولاد الصدور الى أن ذكر ما لا أصل له و هو مثار التعجب. قال و روى ان والده فى ابتداء أمره كان ينسخ بالاجره حتى اجتمع له شىء، فاشترى به جاريه صالحه، و وطنها، فلما وضعت امام الحرمين، أوصاها أن لا ترضعه من غيرها، فأرجعته يوماً جاره لهم،

١- سفينه البحار ج ١ ص ٦٩٦.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٨٤.

فاجتهد الشيخ في تقييئها حتى تقاهاها و كان ربما لحقته فتره بعد امامته، فيقول لعل هذه من بقايا تلك الرضعه(١)

[* ٢٠] ارخ وفاته في الشذرات (٢) سنه ثلثمائه و عشر ووصفه بالحبر الامام أبى جعفر الطبرى صاحب التفسير و التاريخ والمصنفات الكثيره. قال و كان مجتهداً لا يقلد أحداً قاله فى عبر، وعن خزيمه ما أعلم على الأرض اعلم من محمد بن جرير، عن أبى حامد الاسفرائنى الفقيه لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن حرير لم يكن كثيراً. و كذلك اثنى ابن تيميه على تفسيره للغايه، و عن الخطيب: و كانت الأئمه تحكم بقوله و ترجع الى رأيه لمعرفته و فضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره.

وفى الروضات (٣) عنونه عن ابن خلكان بالمورخ الخبير و المحدث البصير صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير الفاقد النظير، كان اماماً فى فنون كثيره، قال، و كان من الأئمه المجتهدين و لم يقلد أحداً، و كان ثقه فى نقله، و تاريخه أصح التواريخ و أبلغتها، ارخ وفاته سنه ٣١٠ ببغداد، و ظن صاحب الروضات كونه شيعياً لامور ثلاثه، لكن المرحوم العلامه العسكرى أبان فى كتابه (خمسون و مائه صحابى مختلق) الستر عن وضع سيف بن عمر أحد رواه تاريخ الطبرى قصصاً و كرامات أصحاباً لرسول الله صلى الله عليه و آله و أخذ عنه المتأخرون، و بذلك أصبح تاريخه و تاريخ من أخذ عنه لا اعتماد عليه.

[* ٢١] هو أبو على (٤) محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حران بن ابان مولى

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥٨-٣٦٠.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٦٠.

٣- روضات الجنات ج ٧ ص ٢٩٢-٢٩٥.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤١، روضات الجنات ج ٧ ص ٢٨٦-٢٨٧-٢٩١-٢٩٢.

عثمان بن عفان، نسبه إلى الجبايه بضم الجيم و تشديد الباء قريه من قرى البصره، و اخذ عنه الشيخ ابوالحسن الاشعري، و ولده ابوهاشم عبدالسلام، كانا من كبار المعتزله ولأبي علي مناظره مع أبي الحسن الأشعري في ثلاثه اخوه، توفي الجبائي سنه ٣٠٣ و ابنه سنه ٣٢١.

[*٢٢] هو (١) الشيخ الأديب الماهر اسماعيل بن القاسم بن عيّدون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان، مولى الخليفه عبدالملك بن مروان، أبو علي اللغوي البغدادي المعروف بالقالي نسبه إلى قالي قلا- من أعمال ارمينيه التي هي من بلاد ديار بكر، كان أعلم الناس بنحو البصريين، واحفظ أهل اللغه و أرواهم للشعر الجاهلي واحفظهم له، و عدده مصنفات له، و أرخ وفاته بقرطبه سنه ٣٥٦، و ترجم له في الشذرات (٢) ترجمه مختصره و وصفه باللغوي النحوي الأخباري صاحب التصانيف، و ذكر انه ألف كتاب البارع في اللغه في خمسه آلاف و رقه، لكن لم يتمه عن ابن خلكان، كما أرخ وفاته سنه ٣٥٦.

[*٢٣] هو أبو عمر الزاهد (٣) صاحب ثعلب، اسمه محمد بن عبدالواحد المطرز البغدادي اللغوي، قيل انه املى ثلاثين ألف و رقه في اللغه من حفظه، و كان ثقه اماماً آيه في الحفظ والذكاء، و ذكر عن ابن الاهدل ان مصنفاته تزيد على العشرين، و في الروضات (٤) وصفه بالبارع المتقدم في فنون العرييه والأدب و بسلام ثعلب، و ذكر عن القاضي التنوخي فيما نقل عنه، لم أر قطط أحفظ منه، املى من حفظه ثلاثين ألف و رقه، و لسعه

١- روضات الجنات ج ٢ ص ١٧-١٩.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٨.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٠-٣٧١.

٤- روضات الجنات ج ٧ ص ٣٣٠-٣٣١.

حفظه نسب إلى الكذب، وقال ابن برهان، لم يتكلم في العربية أحد من الأولين والآخرين اعلم منه، و عن الخطيب الغدادي كان أهل اللغة يطعنون عليه ويقولون لو طار طائر في الجو، قال حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي، و يذكر في ذلك سبباً، و أما أهل الحديث فيصدقونه و يوثقونه الي، و كان الاشراف والكتاب يحضرون عنده ليسمعوا منه، فجمع جزءاً في فضل معاويه فكان لا يدع أحداً يقرأ عليه شيئاً حتى يبدأ بقرائه ذلك الجزء.

[*٢٤] هو الحافظ الحكيم ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه و في الشذرات (١) (حمدون) بن نعيم الضبي الطهماني المعروف بالحاكم النيسابوري والملقب بابن البيع، على وزن القيم) امام اهل الحديث في عصره، سمع الحديث من جماعه لا- يحصون كثره، و معجم شيوخه يقرب من الف رجل، صنف في علومه ما يبلغ /١٥٠٠ جزء، تقلد قضاء نيسابور ٣٥٩ كانوا ينفذونه في الرسائل إلى ملوك بني بويه.

و قال في الوافي (٢) نقلاً عن ياقوت، قال محمد بن طاهر المقدسي سألت الامام أبا اسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري بهراه عن أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، فقال: ثقه في الحديث رافضى خبيث، و كان الحاكم رحمه الله شديد التعصب للشيعة في الباطن، و يظهر التسنن في التقديم و الخلافه، و كان منحرفاً عن معاويه غالباً فيه و في أهل بيته، يتظاهر به لا يعتذر منه، و ذكر في الوافي امتناعه من املاء حديث في فضل معاويه حيث كسر منبره و منعه من الخروج، فعرض عليه الاستراحه من المحنه بذلك، فقال لا يجيء من قلبي ثلاث مرات، و قال في تأسيس الشيعة (٣) نقلاً عن كشف الظنون (٤) ما نصه، معرفه

-
- ١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٦.
 - ٢- الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٣٢٠-٣٢١.
 - ٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٩٤.
 - ٤- كشف الظنون ج ٢ ص ١٢٩ طبع الآستانه.

علوم الحديث، أول من تصدى له الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النيسابورى الى، و هو خمسة أجزاء مشتمله على خمسين نوعاً، و تبعه فى ذلك ابن الصلاح فذكر من أنواع الحديث ٦٥ نوعاً، ثم نقل السيد الصدر عن ابن تيميه فى منهاج السنه، و حينئذ فقد وهم حافظ الشام الجلال السيوطى فى عده أول من رتب أنواعه و نوع الأنواع المشهوره الآن، هو ابن الصلاح إلى آخر كلامه، ثم ان السيد الصدر ذكر تشيع الحاكم عن السمعانى و ابن تيميه والحافظ الذهبى، ولادته ٣٢١ وفاته ٤٠٥ و فى الروضات (١) عن الخليلى فى الارشاد وفاته ٤٠٣، و عنوانه فى الشذرات (٢) وقال عن العبر انتهت إليه رياسه الفن بخراسان، لا بل بالدنيا، و كان فيه تشيع و حط على معاويه، و هو ثقه، و ذكر عن الخطيب كان ثقه و كان يميل الى التشيع و عن الذهبى هو معظم للشيخين بيقين ولذى النورين، و انما تكلم فى معاويه فاودى و عنه بانسبه إلى كتابه (المستدرک) جمله و افره على شرطهما و جمله و افره على شرط أحدهما، لكن مجموع ذلك نصف الكتاب و فيه نحو الربع مما صحح سنده، و فقيه بعض الشىء معلل، و ما بقى و هو الريع مناكير و واهيا لا تصح.

[*٢٥] الاستاد (٣) ابوبكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الاصولى الاديب النحوى الواعظ الاصبهاني، عد من المجددين (٤) من المتكلمين على رأس المأه اربعة، و عن ابن خلکان أقام بالعراق مده يدرس العلم، ثم توجه الى الرى، و ورد نيسابور لما التمس

١- روضات الجنات ج ٧ ص ٣٤٣.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٨١-١٨٢.

٣- روضات الجنات ج ٧ ص ٣٣٥. شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٦-١٧٧.

٤- روضات الجنات ج ٦ ص ١١٠، و فيات الاعيان ج ٢ ص ٥٦-٥٧.

منه اهلها التوجه اليهم، و بلغت هناك مصنفاته فى اصول الفقيه والدين و معانى القرآن قريباً من ١٠٠ مصنف مات فى طريق رجوعه من غزته إلى نيشابور بالسنة ٤٠٦.

و نقل إلى نيشابور و دفن بالحيره (محلته بنيشابور) و مشهده بها يزار و يستسقى به و تجاب الدعوه عنده، و سبطه (١) أحمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم ابوبكر ذكره فى الوافى و انه ختن أبى القاسم القشيرى على ابنته توفى سنه ٤٧٨ و كان مؤثراً للدين طالباً للجاه، و قيل كان داعيه إلى بدعه، يأخذ مكس الفحم من الحدادين فيأكل منه.

[٢٦*] هو احمد (٢) بن محمد بن عبيدالله (مصغراً) ابن محمد بن جعفر بن احمد بن موسى ابوبكر البستى، من كبار ائمه نيشابور و اولى الرياسه والحشمه، حدث عن الدار قطنى من كتاب فقهاء اصحاب الشافعى والمدرسين المناظرين بنيسابور، و كانت له المروءه الظاهره والثروه الوافره، بنى لأهل العلم مدرسه على باب داره و وقف عليها جمله من ماله توفى سنه ٤٢٩.

[٢٧*] تقدمت ترجمته فى هذا الفصل.

[٢٨*] ذكر فى الشذرات (٣) أبى الطيب الصعلوكى، سهل بن الامام أبى سهل محمد بن سليمان العجلى النيسابورى الشافعى مفتى خراسان و مجدد القرن الرابع على قول، روى عن الاصم و جماعه، قال الحاكم هو انظر من رأينا، و قال ابن خلكان أبو الطيب المذكور مفتى نيسابور وابن مفتيها، أخذ الفقه عن أبيه أبى سهل الصعلوكى و كان فى وقته يقال له الامام و هو متفق عليه عديم المثل فى علمه و ديانتته، و قال: كان فقيهاً آديباً متكلماً، قال قيل، انه وضع له فى المجلس أكثر من خمسمائة محبره و جمع له رياسه

١- الوافى بالوفيات ج ٦ ص ٣٠٨.

٢- طبقات الشافعيه ج ٤ ص ٨٠ للبسكى.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٢.

و فى الشذرات فيها (١) سنه ٣٦٩ (أى توفى) الامام أبو سهل محمد بن سليمان العجلي الصعلوكى النيسابورى الحنفى نسباً والشافعى مذهباً، الفقيه شيخ الشافعيه بخراسان، و ذكر عن الحاكم عنه (ووصفه بالصعلوكى الشافعى اللغوى المفسر النحوى المتكلم المفتى الصوفى) خير زمانه و بقيه أقرانه و عن بعضهم عنه أخذ ابنه أبو الطيب و فقهاء نيسابور و نقل من غرائبه و جوب النيه لازاله النجاسه و ان من نوى غسل الجنابه والجماعه لا يجزئه لواحد منهما.

و فى الروضات (٢) تعرض لذكر المترجم فى ترجمه سهل بن أحمد الاغانى و ذكر بعض ما فى الشذرات و أرخ وفاته سنه ٣٨٧.

[٢٩*] ابوالحسن المعتزلى البغدادى، أحد مشايخ السيد (٣) الرضى قدس سره له كتاب المغنى و أكثر النقل عنه ابن أبى الحديد (٤) فى شرح نهج البلاغه.

ورد عليه السيد المرتضى فى كتابه المعروف (بالشافى) لا سيما فى ما يتعلق بمطاعن الخلفاء الثلاثة و بموضوع فدك.

و فى الشذرات (٥) القاضى عبدالجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني الاستر ابادى المعتزلى صاحب التصانيف، عمر دهرأ فى غير السنه و ذكر عن طبقات ابن شهبه انه قاضى الرى

-
- ١- شذرات الذهب ج ٦ ص ٦٩-٧٠.
 - ٢- روضات الجنات ج ٤ ص ٩٦-٩٧.
 - ٣- روضات الجنات ج ٥ ص ١٨-١٩، الغدير ج ٤ ص ١٨٤.
 - ٤- شرح النهج الحديدى ج ٢ ص ٣٢٤ إلى ٣٣٣، ج ٣ ص ٣ إلى ٦٩، ج ١٢ ص ١٩٥ إلى ٢٨٩، ج ١٦ ص ٢٣٧-٢٨٦، ج ١٧ ص ١٥٥ إلى ٢٢٥.
 - ٥- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٢-٢٠٣.

و أعمالها و كان شافعي المذهب و هو مع ذلك شيخ الاعتزال، و له المصنفات الكثيره فى طريقهم و فى اصول الفقه، و عن ابن كثير فى طبقاته، من أجل مصنفاته و أعظمها كتاب دلائل النبويه فى مجلدين، أبان فيه عن علم و بصيره جيده، إلى، مات فى ذى العقده سنه ٤١٥.

[* ٣٠] هو (١) على بن عمر بن احمد ابن مهدي البغدادي الدار قطنى.

و دار القطن محله كبيره ببغداد.

كان عالماً فاضلاً حافظاً فقيهاً على مذهب الامام الشافعي، و كان يحفظ كثيراً من دواوين العرب منها: ديوان السيد الحميرى فنسب إلى التشيع لذلك.

توفى فى ذى الحجه ٣٨٥ و كانت ولادته ٣٠٦. و فى الشذرات (٢). الامام الحافظ الكبير شيخ الاسلام إليه النهايه، فى معرفه الحديث و علومه و كان يدعى فيه أمير المؤمنين، و عن العبر، الحافظ المشهور صاحب التصانيف، و عن الحاكم صار أوحد عصره فى الحفظ والفهم والورع، اماماً فى القراءات و النحو، و قال الخطيب كان فريد عصره و قريع دهره و نسيج وحده و امام وقته، و ذكر عن أبى ذر الهروى: قلت للحاكم: هل رأيت مثل الدار قطنى؟ فقال: هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا، و قال القاضى أبو الطيب الطبرى: الدار قطنى أمير المؤمنين فى الحديث، نقل فى الشذرات عن ابن قاضى شهبه، عن الحاكم أشهد انه لم يخلف على اديم الأرض مثله.

توفى ببغداد و دفع قريباً من معروف الكرخى، قال ابن ماكولا: رأيت فى المنام كأنى أسأل عن الدار قطنى فى الآخره فقيل لى: ذلك يدعى فى الجنه بالامام.

١- روضات الجنات ج ٥ ص ٢٣٣-٢٣٢.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٦.

أقول: انظر إلى هذه الترهات و تعجب من حماقه القوم فى غلوهم.

[*٣١] هو ابوالحسن (١) الباهلى البصرى المتكلم الاشعرى.

اخذ عن الاشعرى علم النظر و برع و تقدم فى الدين و تعبد.

قال ابن الباقلانى كنت انا والاسناد ابواسحاق الاسفرائنى والاسناد ابن فورك معاً فى درس ابى الحسن الباهلى و كان يدرس لنا فى كل جمعه مره، و كان من شده اشتغاله بالله مثل الواله المجنون. توفى حدود سنه ٣٧٠.

عن فخر الدين (٢) الرازى ان الاسناد ابا اسحق الاسفرائنى اشتغل فى علم الاصول على الشيخ ابى الحسين الباهلى و هو على ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى و هو على ابى على الجبائى.

ولأبى اسحاق (٣) هذا حكاية معل القاضى عبدالجبار فى بيت الصاحب بن عباد.

لما رآه القاضى هناك، قال تعريضاً عليه: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال ابواسحق فى جوابه بديهه، سبحان من لا يجرى فى ملكه إلا ما يشاء، و كان القاضى معتزلياً و ابواسحق اشعرياً.

[*٣٢] ابوالفضل (٤) عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتي المغربى الاندلسى، صاحب كتاب الشفاء فى حقوق المصطفى و كتب اخر، مولده بمدينة سبته من أرض المغرب ٤٧٦ و توفى بمراكش ٥٤٤ و من عجيب ما عنه فى كتابه الشفاء

١- الوافى بالوفيات ج ١٢ ص ٣١٢.

٢- روضات الجنات ج ٨ ص ٤٢.

٣- روضات ج ١ ص ١٦٧، شرح القوشحى للتجريد ص ٣٤٠.

٤- روضات ج ٥ ص ٣٣٦-٣٣٧.

قوله، وحكى (١) ان جهجها الغفارى اخذ قضيب النبى صلى الله عليه و آله من يد عثمان و تناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس، فاخذته الاياكله فقطعها و مات قبل الحول. قال فى الروضات (٢)، و نعم ما قال: فانظروا ما ذا ينسبون إلى أسلاف هذه الامه من أعظام خشبه كانت بيد رسول الله صلى الله عليه و آله يوماً من الأيام ثم يسمعون (ما فعلته اميتهم) المعلنون مع أولاد هذا الرسول و من كان بمنزله نفسه و قلبه و مهجته و لا- يتبرؤن منهم بل يلغون كل من يلغونهم و يظهرن البرائه منهم، يبيحون قتل هؤلاء الأولياء الأصفياء دون اولئك الأشقياء الأذعياء فاعتبروا يا اولى الأبصار.

[٣٣*] البخارى (٣) هو شيخ الاسلام و المسلمين عند اهل السنه، ابو عبدالله محمد بن ابى الحسن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيره بن الاحنف، صاحب كتاب الصحيح أحد الصحاح الست أو السبع، و عنه ما وضعت فى كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت و صليت ركعتين.

خرجته من ستماء الف حديث.

كانت ولادته ١٩٤ و مات ٢٥٦.

و عنالذهبي فى ميزان الاعتدال ان البخارى لم يحتج بجعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لكنه يروى عن عمران بن حطان الخارجى، بل عن الحاكم النيسابورى (صح عندالعلماء انه روى عن الف و مأتى رجل من الخوارج الملعونين).

والحديث: هو ما نقله (٤) مسنداً عن محمود بن الربيع، قال عقلت من النبى صلى الله عليه و آله مجه مجها

١- روضات الجنات ج ٥ ص ٣٣٨.

٢- روضات الجنات ج ٥ ص ٣٣٨.

٣- روضات الجنات ج ٧ ص ٢٧٨ إلى ٢٨٠.

٤- صحيح البخارى ج ١ ص ٢٩ طبعه مطابع الشعب ١٢٧٨.

فى وحهى و انا ابن خمس سنين من دلو، و يحتمل كونه الذى قبله و هو (١) مسند إلى ابن عباس قال اقبلت راكباً على حمار اتان و انا يومئذ قد ناهزت الاحتلام و رسول الله صلى الله عليه و آله يصلى بمنى الى غير جدار، فمررت بين يدى بعض الصف و الرسل الاتان ترتع، فدخلت فى الصف فلم ينكر ذلك على.

[٣٤*] هو ابو زكريا (٢) يحيى بن شرف بن مرى النواوى الشامى، كان من افاضل الفقهاء واللغويين له كتب كثيره فى اللغه و الفقه و غيرهما.

و فى الشذرات (٣) ارخ وفاته لسنه ٦٧٦، ووصفه بالفقيه الشافعى الحافظ الزاهد أحد الأعلام ولد فى محرم ٦٣١ و قرء القرآن ببلده، و قدم دمشق بعد ١٩ من عمره، قال و بقيت أكثر من شهرين أو أقل لما قرأت (و يجب الغسل من ايلاج الحشفه فى الفرج) اعتقد ان ذلك قرقره البطن، و كنت استحم بالماء البارد كلما قرقر بطنى، و نقل عنه انه كان يقرء فى كل يوم ١٢ درساً على المشايخ.

[٣٥*] هو أبو عبدالله (٤) محمد بن أبى نصر (محمد بن نصر. الشذرات) بن فتوح بن عبدالله بن حميد (بضم الحاء و فتح الميم) ابن بصل (بطل. الشذرات) الأزدي. الحميدى (بالضم نسبه إلى جده حميد) الأندلسى الميورقى أصله من قرطبه. أرخ ولادته قبل ٤٢٠ و توفى ببغداد سنه ٤٨٨. و نقل بعده سنه ٤٩١ الى قصره باب حرب، و دفن عند قبر بشر الحافى. و فى الشذرات (٥) و صفه بالحافظ الحجه العلامه مؤلف الجمع بين

١- صحيح البخارى ج ١ ص ٢٩ مطابع الشعب ١٢٨٧.

٢- روضات الجنات ج ٥ ص ٢١٥-٢١٦.

٣- شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٥٤-٣٥٥.

٤- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٠-٦١.

٥- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٩٢.

الصحيحين، وعده أحد أوعية العلم ظاهري المذهب وعده حجه ثقه.

[*٣٦] هو أبو علي (١) المحسن بن علي بن محمد بن واود بن ابراهيم بن تميم الأديب الاخبارى صاحب التصانيف، و عن الثعالبي ذكره و أباه فى باب واحد مقدماً ذكر أبيه، قال فى حق أبي علي، هلال ذاك القمر و غصن هاتيك الشجر و الشاهد العدل بمجد أبيه و فضله و الفرع المسند لأحصله، إلى، له كتاب الفرج بعد الشده و ديوان شعر و كتاب نشوان المحاضره و كتاب المستجاد من مغلات الاجواد، ولى القضاء فى أمكنه و تقلد أعمالاً كثيره فى نواح مختلفه.

[*٣٧] هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الحافظ الصوفى الأحوال الشافعى سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا باصبهان، تفرد فى الدنيا بعلو الاسناد مع الحفظ والاستجار من الحديث و فنوته، و صنف التصانيف الكبار المشهوره فى الاقطار، منها كتاب حليه الأولياء، قال ابن ناصر ابدین، و لما صنف كتاب الحيله حملوه إلى نيسابور فبيع بأربعمأه دينار، ولا يلتفت إلى قول من تكلم فيه لأنه صدوق عمده، و عن ابن النجار هو تاج المحدثين واحد أعلام الدين (٢).

وفى الروضات عنونه بالشيخ الفقيه الثبيه المتقن الحافظ أبونعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهانى، وعده من أعلام المحدثين والرواه و أكابر الحافظين الثقات، و عن ابن خلكان له كتاب حليه الأولياء، من أحسن الكتب، و ذكر فى الروضات له كتباً اخرى، و عن معالم العلماء هو عامى الا ان له منقبه الطاهرين و مرتبه الطيبين و كتاب ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين و عن كتاب تاريخ الاصبهان، له ان

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٢.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٥.

جده مهران اسلم و انه مولى عبدالله بن معاويه بن جعفر بن أبى طالب، و ذكر فى الروضات عن السيد الأمير محمد حسين الخاتون آبادى انه من أجداد جده العلامة، و ان جده نقل تشييعه عن والده عن أبيه عن آبائه حتى انتهى اليه. و انه من خلص الشيعة فى باطن أمره و نقل فى الرياض عن العلامة المجلسى استظهار كونه من علماء أصحابنا و فى الروضات عن بعضهم ان وفاته سنة ٤٣٠، و هو موافق لما فى الشذرات(١).

[*٣٨] هو (٢) ابوبكر بن الخاضبه محمد بن احمد بن عبدالباقى بن منصور الحافظ البغدادى الدقاق مفيد بغداد، المشار اليه فى القرائه الصحيحه مع الصلاح، توفى ٤٨٩ و فى الشذرات (٣): كان كبير القدر نقاداً علامه محببا الى الناس كلهم، لدينه و تواضعه و مروءته و مسارعته فى قضاء حوائج الناس مع الصدق و الورع والصيانه التامه و طيب القرائه و عن ابن طاهر ما كان فى الدنيا أحد أحسن قرائه للحديث منه.

[*٣٩] عن ابن ادريس قدس سره (٤) من علمائنا الاجماع على جواز اخذ الاجره على نسخ القرآن و تعليمه و هناك بعض الروايات الضعيفه على الجواز مع الكراهه.

[*٤٠] هو محمد بن يعقوب بن معقل بن سنان الاموى مولا هم النيسابورى المعقلى المؤذن الوراق بنيسابور مات و له مأه إلا سنه. حدث له الصمم بعد الرحله ثم استحكم به، حدث فى الاسلام نيفاً و سبعين سنه، و أذن سبعين سنه، و كان حسن الأخلاق كريماً ينسخ بالاجره. و عن الحاكم، حدث فى الاسلام ستاً و سبعين سنه. و لم يختلف فى

١- روضات الجنات ج ١ ص ٢٧٢-٢٧٤.

٢- الوافى بالوفيات .. ج ٢ ص ٨٩-٩٠.

٣- شذارت الذهب ج ٣ ص ٣٩٣.

٤- وسائل الشيعة ١٢، الباب ٢٩ ح ٢-٨ من ابواب ما يكتسب به، مرآه العقول ج ١٩ ص ٨٠.

صدقه و صحه سماعه(١)

[*٤١] هو محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيباني، الحافظ المعدل، شيخ نيسابور و محدثها و مصنف الصحيح، و عن ابن ناصر الدين من مصنفاته كتاب المتفق والمفترق الكبير في نحو ثلثمائه جزء خطير (والجوزق كجعفر قريه بنيسابور)(٢).

[*٤٢] يجيء ترجمته.

[*٤٣] هو الشيخ الامام المتقدم الأديب أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري. وقيل المروزي اللغوي، صاحب كتاب المعارف و أدب الكاتب، عن ابن خلكان كان فاضلاً ثقة سكن بغداد، ذكر عدداً من تصانيفه و أرخ وفاته سنه ٢٧٦(٣).

و تعرض لترجمته في الشذرات و نقل عن ابن خلكان ما ذكرناه عنه و ن الذهبي انه صدوق و نسب إلى البغي و التخرص قول الحاكم (انه اجمعت الامه على ان القتيبي كذاب. اقول والمظنون أن تكذيبه لما ذكر من الحقائق في مسئلة الامامه و ما فعلت المة في حق أمير المؤمنين عليه السلام.(٤)

[*٤٤] رحاله عربي و جغرافي جاب العلم الاسلامي من المشرق إلى المغرب و درس مؤلفات المتقدمين، له كتاب المسالك والممالك(٥)

[*٤٥] مات أبو العباس عبدالله بن طاهر بنيسابور سنه ٢٣٠ و إليه الحرب و الشرطه والسواد و خراسان و اعمالها و الري و طبرستان و ما يتصل بها و كرمان و خراج هذه الأعمال كان

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٣-٣٧٤.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٩-١٣٠.

٣- روضات الجنات ج ٥ ص ١٠٥ و ما بعده.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٦٩-١٧٠.

٥- المنجد في الاعلام ١٠ الطبعة السابعة.

يوم مات ثمانيه و أربعين ألف ألف درهم، فولى الواثق أعمال عبدالله بن طاهر كلها ابنه طاهراً (١).

[٤٦*] قدم محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان فى ربيع الأول سنة ٢٣٧ فولى التجزيه والشرطه و كانت وفاته سنة ٢٥٣ (٢).

[٤٧*] هو أبو العباس، ثعلب، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولا هم، العيسى البغدادي، شيخ اللغة و العربيه و عبر عنه بعلامه الأدب، قال ابن ناصر الدين سمع من القواريرى مأه ألف حديث، فهو من المكثرين و سيرته فى الدين و الصلاح مشهوره، و عن ابن مجاهد البصرى، قال ثعلب اشتغل أهل القرآن والحديث والفقه بذلك ففازوا والتغلت بزید و عمرو، ليت شعرى ما يكون حظى فى الآخرة، أرخ وفاته سنة ٢٩١ (٣).

[٤٨*] قال المسعودى و قريب منه ما فى تاريخ الطبرى (٤) و كامل ابن الأثير (٥) واستوزر (المقتدر بالله) محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات (و أرخه) بسنه ٢٩٩ قال: و خلع عليه و لم يخلع على أحد غيره، و قبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة ٣٠١، والظاهر هو المراد من الوزير المذكور فى المتن. (٦).

[٤٩*] أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوى، عن ابن خلكان كان

-
- ١- تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٢٣-٣٢٤، كامل ابن الأثير ج ٧ ص ٢٩٣، مروج الذهب ج ٤ ص ٧٧.
 - ٢- الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٣٢٤-٣٩٥، تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٦٧-٥١٦.
 - ٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧.
 - ٤- تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٢٥٤-٢٥٥.
 - ٥- كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٣٣.
 - ٦- مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠٤-٣٠٥.

من أهل العلم والأدب والدين المتين، ذكر له كتباً، وقال اختص بصحبه الوزير عبدالله بن سليمان و علم ولده القاسم الأدب الخ (١).

[* ٥٠] هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيه الأزدي البصرى اللغوى العلامه صاحب التصانيف، و قال عاش ثمانياً و تسعين سنه و عن ابن خلكان امام عصره فى اللغه والآداب والشعر الفائق و ذكر مدحه عن المسعودى و ذمه بعضهم (٢).

[* ٥١] له ذكر فى تاريخ ابن خلدون (٣) بعنوان أبى الحسن و ان المتقى خلع عليه و لقبه سيف الدوله، و فى الشذرات عبر عنه بسيف الوله على بن عبدالله بن حمدون بن حمدون التغلبى الجزرى صاحب الشام، قال و كان بطلاً شجاعاً كثير الجهاد، جيد الرأى عارفاً بالأدب والشعر جواداً ممدحاً، و قال كان قد جمع من الغبار الذى أصابه فى الغزوات ما جاء منه لبنه بقدر الكف و أوصى أن يوضع خده اذا دفن عليها. ارخ وفاته سنه (٤) ٣٥٦.

[* ٥٢] هو محمد بن طرخان بن اوزلغ أبو نصر الفارابى التركى، الحكيم المشهور صاحب التصانيف الفائقه فى المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم، كان كما ذكره ابن خلكان أكبر فلاسفه المسلمين، و لم يكن فيهم من بلغ رتبه فى فنونه، والشيخ الرئيس أبو على بن سينا بكتبه تخرج و بكلامه انتفع فى تصانيفه، و أطال فى ترجمته، و ذكر وفاته سنه ٣٣٩ بدمشق، و عن روضه الصفا انه قتل بأيدى قطاع الطريق، و ذكر عن بعضهم انه كان مبتلى بماليخوليا كافلاطون و نظرائه، و له ترجمه فى مجالس المؤمنين و شذرات

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٩.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠.

٣- تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٢٩٥-٢٩٧.

٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠.

الذهب و يأتي تتمه الكلام (١).

[٥٣*] ذكر في العبر (٢) و نحو منه في الشذرات (٣) كما يأتي، و فيها اي توفي سنة ٣٥١ دعلج بن احمد بن دعلج ابو محمد السجزي المعدل .. و له نيف و تسعون سنه، رحل و طوف و اكثر: قال الحاكم أخذ عن ابن خزيمة مصنفاته و كان يفتي بمذهبه، و قال الدار قطنى: لم ارفى مشايخنا اثبت من دعلج توفي فى جمادى الاخره.

[٥٤*] عنوانه فى الكامل بأبى الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل و غيره، و ذكر له شعراً قبل وفاته بيومين (٤).

[٥٥*] ذكر فى الشذرات و فيها (سنه ٤١٨) توفي أبو اسحاق الاسفرائنى، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاصولى المتكلم الشافعى، أحد الأعلام و صاحب التصانيف و كان شيخ خراسان فى زمانه، انه بلغ رتبه الاجتهاد (٥).

[٥٦*] الأديب المسدد والليبي المسجد، محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الأزدي البصرى اللغوى النحوى أبو العباس المبرد، امام العربيه فى زمانه ببغداد، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقه أخبارياً علامه و عن نبطويه، ما رأيت احفظ للأخبار بغير اسانيد منه، و نقل عن السيرافى ان مماته سنه ٢٨٥ و فى الوفيات توفي ببغداد (٦) و فى الشذرات عن ابن خلكان، كان اماماً فى النحو واللغه الخ (٧).

-
- ١- روضات الجنات ج٧ ص ٣٢١-٣٢٥، شذرات الذهب ج٢ ص ٣٥٠-٣٥٤، مجالس المؤمنين ج٧ ص ٣٢١-٣٢٨.
 - ٢- العبر ج٢ ص ٢٩١ طبعه الكويت.
 - ٣- شذرات الذهب ج٣ ص ٨.
 - ٤- الكامل لابن الأثير ج١٠ ص ٤٤١.
 - ٥- شذرات الذهب ج٣ ص ٢٠٩.
 - ٦- روضات الجنات ج٧ ص ٢٨٣-٢٨٤.
 - ٧- شذرات الذهب ج٢ ص ١٩٠-١٩١.

[*٥٧] تقدمت ترجمته.

[*٥٨] الشيخ (١) أبو عبدالله حسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمداني الأصل البغدادي المنشأ الحلبي المسكن و الخاتمه المعروف بابن خالويه النحوي اللغوي، كان في درجه أبي الطيب اللغوي المشهور، عبدالواحد بن علي الحلبي، و عن النجاشي انه كان عارفاً بمذهبهنا مع علمه بعلوم العربية و اللغة و الشعر، و ذكر من كتبه كتاباً في امامه علي عليه السلام، و عن المجالس ذكر له كتاب الآل في امامه أمير المؤمنين عليه السلام، و عن بن خلكان وفاته سنة ٣٧٠ بحلب، و في الشذرات (٢) عبر عنه بالاستاد و شيخ أهل حلب، و ذكر عن ابن الاهدل كان بنو حمدان يعظمونه.

[*٥٩] الشيخ أبو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفه بن سلمان بن المغيرة الأزدي الواسطي النحوي الثعلبي الملقب بنفطويه على وزن (سيبويه) قيل انه كان عالماً بالعربية و اللغة و الحديث، و كان طاهر الأخلاق حسن المجالسه صادقاً في ما يرويه حافظاً للقرآن، فقيهاً على مذهب داود الظاهري، رأساً فيه مسنداً في الحديث حافظاً للسير و أيام الناس و التواريخ و الوفيات، ذا مروه و ظرف، جلس للاقراء أكثر من ٥٠ سنة، و تعرض لذكر مصنفاته، وفاته سنة ٣٢٣ و ذكر ان سيبويه لما نظر إلى كثافته هيئته و قشافه ثيابه، قال له: كانك نفطويه، بمعنى صاحب النفض أو البياع له أو المتولد فيه، و من كلامه، ان أكثر الأحاديث الموضوعه، ي فضل الصحابه انما ظهرت في دوله بنى اميه، وضعوها لأجل التقرب إليهم (٣) و في الشذرات (٤) هكذا و فيها (سنة ٣٢٣) أى

١- روضات الجنات ج ٣ ص ١٥٠-١٥٤.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٧١.

٣- روضات الجنات ج ١ ص ١٥٤ الى ١٥٧.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٩٨-٢٩٩.

مات فيها نفظويه النحوى أبو عبدالله، ابراهيم بن محمد بن عرفه العتكى الواسطى صاحب التصانيف، و ذكر عن ابن خالويه، ليس فى العلماء من اسمه ابراهيم و كنيه أبو عبدالله سوى نفظويه.

[* ٦٠] هو ابونصر (١) اسماعيل ابن حماد الجوهرى الفارابى و من اشعاره:

فها انا يونس فى بطى حوت *** بنيشابور فى ظلم الغمام

فيومى والفؤاد و يوم دجن *** ظلام فى ظلام فى ظلام

و ذكر وفاته عن الكشكول و غيره سنة ٣٥٣ او ٣٣٠ و عن مجمع البحرين حدود ٤٠٠ و عن اليافعى انه ٣٩٣ و فى الشذرات (٢) ٣٩٣ و قيل حدود ٤٠٠ و قال فى وصفه أحد أئمه اللسان، كان فى جوده الحفظ فى طبقه ابن مقله و مهلهل، و عن ياقوت كان من أعاجيب الزمان ذكاء و قطنه و علماً.

١- روضات الجنات ج ٢ ص ٤٤-٤٥-٤٨.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٢-١٤٣.

الفصل الثالث عشر: علوم الدين

إشاره

فى القرن الرابع الهجرى مرَّ علم الكلام الإسلامى أو علم العقائد فى أهم أدوار حياته، و هو دور تحرّره من الفقه، بعد أن ظل حتى ذلك الحين خادماً له (١)؛ و كانت جميع كتب الكلام المعتره عند جمهور الأئمه الإسلاميه تتناول بعض الموضوعات الفقيهيه. و مرجع الفضل فى حدوث هذا التغير إلى المعتزله الذين كانوا طول القرن الثالث الهجرى يعالجون مسائل كلاميه محضه، وهم فى القرن الرابع يضطرون خصومهم إلى الإجاباه عن هذه المسائل. و كانوا أول فرقه إسلاميه تحررت من نزعات الفقهاء كلها، فكانوا هم الفرقة « الكلاميه » الوحيدَه (٢) التى تعالج الكلام وحده بين الفرق الخمس الكبرى التى كان المسلمون منقسمين إليها فى ذلك العهد، وهى أهل السنّه و المعتزله و المرجئه و الشيعه و الخوارج (٣). وقالوا إن كل مجتهد مصيب فى الفروع (٤).

-
- ١- هذا الحكم يحتاج إلى تقييد؛ فإن علم الكلام استقل علماً بذاته فى القرن الثالث. وفى هذا القرن أيضاً تكونت مبادئ علم الكلام السنّى (المترجم).
 - ٢- المقدسى ص ٣٧.
 - ٣- ابن حزم مثلاً ج ٢ ص ١١١.
 - ٤- المقدسى ص ٣٨؛ و المعتزله لابن المرتضى ص ٦٣.

وكان منهم رجال فى جميع المذاهب الفقهيه حتى بين أصحاب الحديث الذين يعتبرون عادة ألد أعداء المتكلمين(١).

و من جهه أخرى كان الصوفيه خصوما ألداء لجميع الفقهاء، ولم يقنعوا قط من التشنيع عليهم؛ وقد عبّروا عن احتقارهم لعلم الفقه الذى يسمونه علم الدنيا تعبيراً قاسياً؛ و من أمثله ذلك ما يقوله المكى المتوفى عام ٣٨٦هـ ٩٩٦ م أخذاً عن السيد المسيح عليه السلام؛ فهو يقول: « و روينا عن عيسى عليه السلام: مثلاً علماء السوء مثلاً صخره وقعت على فم النهر، لا هى تشرب الماء، ولا تترك المائ يخلص إلى الزارع؛ و كذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة، فلا هم نفذوا، ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله عزوجل؛ قال: و مثل علماء السوء كمثل قناه الحش، ظاهرها حسن و باطنها نتن، و مثل القبور المشيده ظاهرها عامر و باطنها عظام الموتى»(٢).

وقد انتصر الصوفيه فى هذا الباب؛ ففى القرن التالى جاء الغزالى إمام جمهور المسلمين المتأخرين، فجاهر بأن علم الفقه علم دنيوى لا دينى(٣).

و نجد بين الصوفيه طوائف كثيره ترفض العلوم الجمله، حتى إنه يحكى عن أبى عبد الله بن خفيف المتوفى عام ٣٧١هـ ٩٨١ م أنه كان يوصى الناس بأن يشتغلوا بالعلم و لا يفتروا بكلام الصوفيه، و يقول إنه كان يخبئ المحبره و الورق فى ثيابه و يذهب إلى أهل العلم خفيه؛ فإذا علم به الصوفيه خاصمره و قالوا: لا

١- المقدسى ص ٤٣٩ .

٢- قوت القلوب لأبى طالب المكى ج ١ ص ١٤١ طبعه مصر ١٣١٠هـ .

٣- Goldziher, Zahiriten, S. ١٨٢ .

تفليح (١).

وقد فرّق الصوفيه مره أخرى بين المعرفة (أى علم الحقائق) و بين العلم (بمعنى العلوم المألوفه للناس). يقول الحلّاج المتوفى عام ٣٠٩ هـ ٩٢٢ م مستهزئاً بالعلم : « يا عجباً ممن لا- يعرف شعره من بدنه كيف تنبت سوداء أم بيضاء، كيف يعرف مكوّن الأشياء! من لا- يعرف المجمل و المصّل، ولا يعرف الآخر و الأول و التصارييف و العلل و الحقائق و الحيل لا تصح له معرفه من لم يزل».

ويحكى الحلّاج فى موضع آخر :

« رأيت طيراً من طيور الصوفيه عليه جناحان، و أنكر شأنى حين بقى على الطيران، فألنى عن الصفاء، فقلت له : اقطع جناحك بمقارض الفناء، و إلا فنا تتبعنى، فقال : بجناح أظير، فقلت له : و يحكك ليس كمثل شئ و هو السميع البصير، فوقع يومئذ فى بحر الفهم و غرق» (٢).

ولكن نجد قوماً آخرين، كالجيد المتوفى عام ٢٩٨ هـ ٩١٠ م، يصرّحون بأن العلم أرفع من المعرفة و أثم و أشمل (٣).

ونجد بين العلماء كالشافعيه مثلاً- كثيراً من الصوفيه، و هذه حقيقه واقعه؛ و كانت علوم الصوفيه الدينيه أهم العلوم و أكثرها نجاحاً؛ فقد كانت هى الحركه

١- Amedroz, notes on some sufi Lives, JRAS, ١٩١٢, S. ٥٥٦

٢- كتاب الطواسين للحلاج طبعه باريس ١٩١٣ ص ٢٣، ٣٠.

٣- نفس المصدر ص ١٩٥. على أن النصين الأولين لا يحويان بصراحه تقابلا و تعارضاً بين المعرفة و العلم، بل فيهما معنى غير هذا، ولا أرى تعارضاً بينهما و بين ما يحكى عن الجيد . (المترجم).

العلميه التي ضمت أعظم القوى الدينيه في ذلك العهد؛ و الحركه الصوفيه في القرنين الثالث و الرابع أوجدت في الإسلام ثلاثه مبادئ أثرت فيه تأثيراً كبيراً و هي : ثقته وطيده كامله بالله تعالى، و الاعتقاد بالأولياء، و إجلال النبي محمد عليه السلام ؛ و لا تزال هذه المبادئ الثلاثه أهم العوامل و أقواها تأثيراً في الحياه الإسلاميه (١).

وقد زاد الإقبال على دراسه القرآن و الحديث، لأن ذلك واجب من أول الواجبات المفروضه على كل مسلم و مسلمه (٢).

ولكن نشأ في القرن الرابع رسم جديد، و هو الذي يجيز للإنسان روايه الحديث من غير لقاء رجاله، و من غير إجازة مكتوبه تخوله حق الروايه (٣).

وبهذا حلت دراسه الكتب محل الأسفار التي كان يقوم بها طلاب الحديث من قبل للقاء رجاله. وقد استطاع ابن يونس الصفدى المتوفى عام ٩٥٨ هـ ٣٤٧ م أن يكون إماماً متيقظاً حافظاً في الحديث، و إن كان لم يرحل، ولا سمع بغير مصر (٤).

وكان مثلاً العالم الذي يطلب الحديث مثل التاجر أو عامل السلطان في كثره غشيانه للخانات التي يأوى إليها المسافرون أو في طوافه في السكك؛ و هكذا بقي شأنه في الحركه و التجوال زماناً طويلاً. و في سنه ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م توفى

١- انظر الفصل الخاص بالدين .

٢- بستان العارفين للسمرقندى على هامش تنبيه الغافلين ص ٣ .

٣- Goldziher, muh. Studien, II, ١٩٠ ff، وقد ذكر النووى أن من العلماء من أجاز صححه روايه الحديث كتابه، و ذلك منذ القرن الثاني الهجرى؛ و نجد أمثله كثيره لمثل هذه الروايه في المجموعات الفقهييه الشرعيه .

٤- حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ ص ١٦٤ .

ابن منذه « خاتمه الرخّالين » الذين رحلوا لسماع الحديث؛

وقد جمع ألفاً و سبعمائه حديث، و رجع إلى وطنه و معه أربعون وقرأ من الكتب(١).

ويقول أبو حاتم السمرقندى (المتوفى عام ٣٥٤هـ ٩٦٥ م) : لعلنا كتبنا عن ألف شيخ ما بين الشاش و الإسكندريه(٢) و يروى عن أبي يعقوب القراب السرخسى (المتوفى عام ٤٢٩هـ ١٠٣٧ م) أنه طلب الحديث فأكثر، حتى زاد عدد شيوخه على ألف و مائتى شيخ(٣).

على أن الغزالي على شهرته و مع أنه صار أكبر حجه للعلم عند أهل القرون التى جاءت بعده، لم يسافر فى طلب العلم إلا قليلا : فقد خرج من بلده طوس، و سماع بجرجان فى الشمال، و درس فى نيسابور، و كانت أكبر مدينه علميه فى بلاده؛ و هذا كل ما عُرف من أسفاره لطلب العلم. و قد بين صاحب كتاب بستان العارفين(٤) فى القرن الرابع اختلاف الآراء فى هذا الباب أوضح بيان. و من أملة النقد الذى وُجه للمحدثين أن النوبختى يصف أبا الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى (المتوفى عام ٣٥٦هـ ٩٦٧ م)، و هو الذى سمع منه الدارقطنى المحدث المشهور، بأنه أكذب الناس؛ لأنه « كان يدخل سوق الورّاقين، و هى عامره، والدكاكين مملوءه بالكتب، فيشتري شيئا كثيراً من الصحف، و يحملها إلى

١- الزرقانى ج ١ ص ٢٣٠؛ ١٨٠، Goldziher, Muh Studien, II.

٢- السبكى ج ٢ ص ١٤١ .

٣- نفس المصدر ج ٣ ص ١١٤ .

٤- بستان العارفين للسمرقندى ص ١٨ و ما يليها (؟) .

بيته، ثم تكون رواياته كلها منها» (١).

على أن المحدثين كانوا يعتبرون أكبر العلماء شأنًا؛ و كان يعدون من أعظم رجال الإسلام؛ ولا يفوت المؤرخين ذكر وفاتهم إلى جانب القليلين الذين يختارون ذكرهم؛ و هم يقصون الحكايات العجيبه التي تدل على مقدرتهم في الحفظ.

فيحكي أن عبدالله بن سليمان بن الأشعث (المتوفى عام ٩٢٨٣١٦ م) كان محدث العراق، و كان يحدث في دار الوزير علي بن عيسى، وقد نصب له السلطان منبراً حدث عليه؛

وقد خرج إلى سجستان فسأله أهلها أن يحدثهم فقال : ما معي أصل، فقالوا: ابن أبي داود و أصول! فأملى عليهم من حفظه ثلاثين ألف حديث، فلما قدم بغداد، قال البغداديون: مضى ابن أبي داود إلى سجستان و لعب بالناس؛ ثم فيجأ فيجأ بسته دنانير إلى سجستان ليكتب لهم النسخه فكتب، و جئ بها و عرضت على الحفاظ فخطأوه في سته أحاديث، لم يكن خطأ إلا في ثلاثه منها (٢).

و يحكى أن ابن عقده (المتوفى عام ٩٤٣ هـ ٣٣٢ م) كان يحفظ بأسانيد و المتون خمسين و مائتي ألف حديث (٣).

و كان قاضى الموصل المتوفى عام ٩٦٦ هـ ٣٥٥ م يحفظ مائتي ألف حديث عن ظهر قلب (٤) و في سنة ١٠١٠ هـ مات بمصر .

١- تاريخ بغداد طبعه كرنكو : S. ٧١, ١٩١٢, Jras.

٢- المنتظم ص ٣٦، السبكي ج ٢ ص ٢٢٩ ج ٢٣٠ .

٣- المنتظم ص ٧٢ ب .

٤- Goldziher, Muh. Studien, II, ٢٠٠ .

الحافظ ميسر؛ وكان عنده درج طويل طوله سبعة وثمانون ذراعاً مملوء الوجهين فيه أوائل ما يحفظه من الأحاديث (١).

و يحكى العلماء مع الفخر ما جرى لأبى الفضل الهمداني بنيسابور مع الحاكم النيسابورى؛ ذلك أن أبا الفضل لما ورد نيسابور، و تعصب الناس له، و لُقّب بديع الزمان أعجب بنفسه، إذ كان يحفظ المائة بيت إذ أنشدت بين يديه مره و ينشدها من آخرها إلى أولها مقلوبه، فأنكر على الناس قولهم: فلان الحافظ فى الحديث، ثم قال: و هل حفظ الحديث مما يذكر؟ فسمع به الحاكم النيسابورى فوجّه إليه بجزء و أجلّه جمعه فى حفظه. فردّ الهمداني إليه الجزء بعد جمعه، وقال: من يحفظ هذا! محمد بن فلان و جعفر بن فلان عن فلان، أسام مختلفه، و ألفاظ متباينه؛ فقال له الحاكم: فاعرف نفسك، و اعلم أن حفظ هذا أضيق مما أنت فيه (٢).

أما من حيث السرعة فى تعلّم الحديث فنستطيع معرفه ذلك مما حُكى عن الخطيب البغدادي أنه قرأ صحيح البخارى على كريمه بنت أحمد المروزى فى خمسة أيام (٣).

و أكبر محدّثى القرن الرابع هما أبو الحسن على الدارقطنى المتوفى عام ٣٨٥هـ ٩٩٥ م و الحاكم النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥هـ ١٠١٤ م.

وقد خلفهما فى القرن الخامس أبوبكر الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ ١٠٧١ م.

١- سكردان السلطان على هامش المخلاه ص ١٨٨ .

٢- طبقات السبكي ج ٣ ص ٦٦ ج ٦٧ .

٣- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٤٧، وتسمى عند ابن الشكوال (ج ١ ص ١٣٣) كريمه المروزيه .

وقد وجدوا من كتب الحديث التي جمعت في القرن الثالث الهجري موضوعاً لبحثهم بما كان في هذه الكتب من تبويب و ما كان فيها من تناقض.

ولذلك قاموا بتأليف كتب جديدة في الحديث، فمثلاً ألف الدارقطني كتاباً في السنّه؛ و قد استدعاه الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات من بغداد و برّه بمال كثير، و أنفق عليه نفقه واسع، و خرّج له المسند، و كان لهذا الوزير مجالس إملاء كتابها الدارقطني و آخر معه و خرّجها(١)؛ أو هم قاموا بتأليف الاستدراكات أو المستدركات، كما فعل الدارقطني و الحاكم، لاعتقادهما أن كثيراً من الحديث الصحيح قد فات جامعيه الأولين؛ أو بعمل المخرّجات أو المستخرجات، و قد فعل ذلك كلُّ محدّث كبير في القرن الرابع(٢).

و كذلك ظهرت في القرن الرابع كتبٌ جديدة تعالج تصحيفات الحديث، و منها كتب للخطيب و للدارقطني(٣).

وقد اعتنى نُقاد الحديث منذ أول الأمر بمعرفة رجال الحديث و ضبط أسمائهم و الحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء؛ ثم نظروا في الأساس الذي يبنى عليه هذا الحكم، أعنى الصفات التي يجب توفرها في المحدّث الثقة، و هو ما يعرف بالجرح و التعديل. و يقال إن أول من ألف في هذا الباب يحيى بن كتان

١- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٤٠٨؛ و قد كتب تلاميذ مسلم خاصة كتباً في الصحيح، و منهم أبو حامد (المتوفى عام ٣٢٥ هـ) و أبوسعيد (المتوفى عام ٣٥٣ هـ) ج طبقات السبكي ج ٢ ص ١٧ و ما بعدها .
٢ - ٢٧٣ ، ٢٥٧، Goldziher, Muh. Studien, II، و قد ذكر النووي في شرحه على مسلم (ج ١ ص ١٧) تلاميذ الدارقطني .

٣- ترجمه مارسيه للتقريب للنووي، انظر ٢٤١، Goldziher, Muh. Studien, II، S. ١١٥ f، ١٨، ١٩٠١، Marçais JA.

المتوفى عام ١٩٨ هـ ٩١٤ م (١) (فى أكثر التواريخ الميلاديه الوارده فى هذه الصفحه اشتباه).

وبعد أن اشتغل العلماء بتأليف كتب الحديث الكبرى المعتمد عليها بدأوا فى الفحص عن الرجال المذكورين فيها و ألفوا الكتب فى رواه الصحيحين و هكذا. وقد أدت بهم حاجتهم إلى السند المتصل (٢) أن يتجاوزوا البحث فى حياه الرواه و الحكم عليهم إلى عمل تاريخ كامل لهم؛ و هكذا وُجدت « تواريخ » القرن الثالث الهجرى مثل تاريخ البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م، و مثل الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى عام ٢٣٠ هـ ٨٤٥ م التى روعى فى تأليفها الزمان و المكان؛ و كذلك ظهرت تواريخ المدن، و هى الموءلفات التى ظهرت فى القرنين الثالث و الرابع للهجره، و تَمَثَّلَ كمالها فى تاريخ نيسابور الذى ألفه النيسابورى المتوفى عام ٤٠٦ هـ ١٠١٥ م والذى يرى السبكي أنه يشتمل على تراجم أوفى و أكمل من تراجم الخطيب البغدادي (٣)، وفى تاريخ أصفهان لأبى نعيم المتوفى عام ٣٠ هـ ١٠٣٨ م، وفى تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م.

و يدلنا على مقدار الدقه التى أظهرها العلماء فى طريقه النقد ما ذُكر عن الخطيب من أنه ألف كتاباً فى « روايه الآباء عن الأبناء » و آخر فى « روايه

١- ترجمه مارسيه للنوى ٣٢١، ١٦، ١٩٠٠. JA.

٢- ويقال إن الشافعى (المتوفى عام ٢٠٤ هـ) أول من أثار هذه المسأله (انظر ما ذكره مارسيه فى المصدر المتقدم حكايه عند ابن عبد البر (المتوفى عام ٤٦٣ هـ) .

٣- طبقات السبكي ج ١ ص ١٧٣ .

الصحابه عن التابعين» (١).

وكانت هذه المعارف المتعلقة برجال الحديث تنال أعظم التقدير في ذلك الوقت؛ و يحكى عن القاضى أبى حامد أحمد بن بشر المروزى المتوفى عام ٣٦٢هـ ٩٧٢ م، والمشهور بأنه أستاذ أبى حيان التوحيدى الكاتب الكبير أنه كان بحراً يتدفق حفظاً للسير و قياما بالأخبار، « و كان يزعم أن السير بحر الفتيا و خزانة القضاء، و على قدر اطلاع الفقيه عليها يكون استنباطه» (٢).

و أكبر ما كان يثير إعجاب الناس فى الخطيب البغدادى دقته و قدرته على نقد الوثائق المكتوبه و إثبات تزويرها اعتماداً على معرفته بتواريخ حياه الرجال الذين يذكرون فيها (٣).

وفى القرن الرابع الهجرى ألف الكرابيسى المتوفى عام ٣٧٨هـ ٩٨٨ م كتاباً فى أسماء الرواه و ألقابهم؛ وقد اعتبر هذا الكتاب أحسن الكتب قديمها و حديثها (٤).

على أن الدراسات التاريخيه لم تكن محموده عند العلماء؛ و يحكى عن ابن إسحاق المتوفى عام ١٥١ هـ ٧٧٦ م أنه سأل أحد التلاميذ الذين يدرسون التاريخ مستهزئاً به : من الذى كان يحمل لواء الجالوت (٥)؛ أما الآن فيحكى لنا أبو القاسم الزنجى عن المحدثين الذين سمع منهم فى أول

١- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٤٨ .

٢- السبكى ج ٢ ص ٨٢ ج ٨٣ .

٣- الإرشاد ج ١ ص ٢٤٧ ج ٢٤٨ .

٤- مارسيه فى ترجمته للتقريب للنوى: ١٣٣, S. ١٨, ١٩٠١, JA, Marçais.

٥- Goldziher, Muh. Studien II ٩٠٧ .

القرن الرابع الهجرى قصصا تاريخيه محضه مثل أخبار المبيضة، و مقتل حجر بن عدى زعيم الشيعة، و كتاب صفين، و كتاب الجمل و نحوها(١).

ولكن الاتجاه تغير فيما بعد حتى نجد النووى يعيب ابن عبدالبر المتوفى عام ٤٦٣هـ ١٠٧١ م بأنه أفسد كتابه بما ضمنه من أخبار الموءرخين(٢).

و كذلك وُضعت الأصول التى يبنى عليها نقد الحديث و تكامل بناؤها فى القرن الرابع، و أخذت مصطلحاتها من هذا العصر أيضا. وقد رتب ابن أبى حاتم المتوفى عام ٣٢٧هـ ٩٣٩ م ألفاظ الجرح و التعديل مراتب فأعلاها: « ثقه » أو « مُتقن » أو « ثبّت » أو « حجه » أو « عدل » أو « حافظ » أو « ضابط »، و الثانية « صدوق » أو « محلّه الصدق » أو « لا بأس به »(٣).

و يقال إن الخطابى المتوفى عام ٣٨٨هـ ٩٩٨ م هو أول من عين أقسام الحديث الثلاثه الكبرى و هى: الصحيح، و الحسن، و الضعيف؛

ثم حدد الدارقطنى المتوفى عام ٣٨٥هـ ٩٩٥ م معنى التعليق؛ و جاء الحاكم المتوفى عام ٤٠٥هـ ١٠١٥ م فجعل أصول الحديث علماً مستقلاً و وضع هيكله الذى بقى فى جملته إلى أيامنا، بحيث إن القرون التاليه لم تُضف فى هذا الباب لما تمّ فى القرن الرابع الهجرى إلا أشياء ثانويه؛ بل إن تقسيم الرواه إلى

١- كتاب الوزراء ص ٢٠٢ .

٢- التقريب للنووى ١٢٣، S، ١٨، JA، ١٩٠١.

٣- نفس المصدر ١٤٦، S، ١٧، JA، ١٩٠١، و انظر ١٤٢، S، II، Goldziher, Muh. Studien.

أنواع صار هو المستعمل منذ عصر الحاكم(١)؛ و يرجع إلى الخطيب ما جرى عليه كتياب الحديث من وضع نقطه في وسط الدائره التي تكتب في نهايه الحديث بعد التصحيح بمقارنه و المقابله(٢).

أما الدور الثاني في الناحيه العلميه الدينيه فقد قام به مُقرئو القرآن. ونجد أن المقدسى مثلاً لا يغفل في كلامه عن البلاد التي وصفها عن ذكر أصحاب القراءات فيها، و إن كان قد أبان عن عدم محبته للمقرئين بأن وصفهم بأنهم لا ينفكون من الطمع و سوء السمع(٣).

وقد وضع ابن مجاهد حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢ م اصول هذه الناحيه(٤).

وقد قامت حوالى هذا الوقت خلافات شديده حول قراءه القرآن، وقد خلت الحكومه، فاضطهدت بعض أصحاب القراءات؛ فمثلاً ضرب الوزير أبو علي بن مقله ابن شنبوذ المتوفى عام ٣٢٨هـ ٩٣٩ م بالسوط و اضطره أن يتبرأ من قراءات قرأ بها، و أخذ خطه بالتوبه عنها فكتب:

« يقول محمد بن أحمد بن أيوب : قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه و الذى انفتى أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله على قراءته، ثم بان لى أن ذلك خطأ، و أنا منه تائب و عنه مُقلع و إلى الله جل اسمه منه برىء؛ إذ كان مصحف

١- التقريب JA, ١٩٠٠, ١٦, S, ٣٣٠ ff؛ و كذلك فعل ابن حيان المتوفى عام ٣٥٤هـ، انظر نفس المصدر ص ٤٨٧ هامش رقم ١

٢- التقريب للنوى فى JA, ١٩٠١, ١٧, S. ٥٢٨.

٣- المقدسى ص ٤١ .

٤- توفى ابن مجاهد سنه ٣٢٤هـ ٩٤٥ م، وكان وافر اللحيه عظيم الهامه، و كان يدعو الله فى دبر كل صلاه أن يجعله ممن يقرأ فى قبره؛ وقد رآه بعض الناس فى المنام يقرأ (المنتظم لابن الجوزى ص ٥٦) .

عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا يقرأ غيره» (١).

ولكن ابن شنبوذ خلف تلاميذ منهم محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج الشنبوذى المتوفى عام ٣٨٨هـ ٩٩٨م (٢).

على أن قراءات ابن شنبوذ وغيره التي اتهمت إلينا لا خطر فيها مطلقاً (٣).

ولكن كانت مسأله القراءات مسأله خطيره؛ لأن العتقاد بأن القرآن كلام الله من شأنه أن يحتتم هذا.

وفى سنة ٣٥٤هـ ٩٦٥م توفى أبوبكر العطار المقرئ؛ وكان قد قرأ بحروف تخالف الإجماع؛ واستخرج لها وجوهاً من اللغه ذكرها فى كتابه الاحتجاج للقراء؛ وقراءاته تقوم على تصحيف الكلمات واستخراج وجوه بعيدة لها؛

وزعم العطار أن كل ما صح فى العربيه من كلمات توافق خط المصحف فقراءتها جائزه؛ و شاعت عنه هذه القراءات الغريبه، فأنكرها أهل العلم و وصل الأمر إلى السلطان، فأحضره واستتابه بحضره القراء و الفقهاء، فأذعن بالتوبه و كتب محضر بتوبته، و أثبت جماعه من الحاضرين خطوطهم فى المحضر بالشهاده؛ وقيل إنه لم ينزع عن تلك الحروف، وكان يقرأ بها إلى حين وفاته، و

١- الأوراق للصولى ص ٨٢، و الفهرست لابن النديم ص ٣١ ج ٣٢، و الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٣٠٠ و ما يليها, Nildeke, Gesch. d. Korans S. ٢٧٤.

٢- طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٨ من طبعه Meursinge، و مسكويه ج ٥ ص ٤٤٣ و المنتظم ص ٥٤.

٣- و لكنها تحرف القرآن عن معانيه الظاهره المعقوله . (المترجم) .

استغوى بعض أصاغر المسلمين من أهل الغفلة و الغباوه(١).

وفى سنة ٣٩٨هـ ١٠٠٨ م أظهر بعض الشيعة مصحفا ذكروا أنه مصحف ابن مسعود؛ وكان مخالفا للمصاحف، فأشار الفقهاء و القضاء بإحراقه، و أحرق بمحضرهم، ثم ورد إلى الخليفة كتاب بأن رجلا من أهل جسر النهروان حضر المشهد ليله النصف من شعبان، و دعا على من أحرق المصحف و سبه، فقتل(٢).

و كما أن المذاهب الفقهية الأربعة حلت محل غيرها، فكذلك حلت الحروف السبعة الشرعية المتفق عليها محل القراءات الشاذة فى القرن الرابع الهجرى(٣)؛ و فى هذا القرن أيضا ظهرت كتب فيما سمي بالقراءات الثمان(٤).

على أن جواز تفسير القرآن لم يكن أمراً مسلماً به فى القرن الرابع دون استيفاء شروطه؛ فيحكى لنا الطبرى من أمثله التحرُّج فى ذلك أن الشعبي مرَّ على السُّدى، و هو يفسر القرآن فقال: «لأن يضرب على إستك بالطبل خير لك من مجلسك هذا»(٥).

و يخبرنا السمرقندى أن عمر بن الخطاب رأى فى يد رجل مصحفاً، و قد

١- المنتظم ص ٩٨، و الإرشاد ج ٦ ص ٤٩٩ .

٢- المنتظم ص ١٥٢ ب، و طبقات السبكى ج ٣ ص ٢٦ .

٣- Noldeke, Gesch. d. Korans, S. ٢٧٥ و الفهرست لابن النديم ص ٣١ و ما و بعدها؛ و بستان العارفين للسمرقندى ص ٧٣ .

٤- Noldeke, Gesch, d. korans, S. ٢٩٩ و قد كتب أبوغنم المصرى المتوفى عام ٣٣٣هـ فى الاختلاف بين القراءات السبع، و كذلك ألف مصرى آخر، وهو فارس ابن احمد الحمصى المتوفى عام ٤٠١هـ كتاب المنشأ فى القراءات الثمان. انظر حسن المحاضر للسيوطى ج ١ ص ٢٣٢، ٢٣٤ .

٥- تفسير الطبرى ج ١ ص ٣٠ طبعه المطبعه الميمنيه بمصر .

كتب عند كل آيه تفسيرها، فدعى بمقراض فقرضه(١).

ونقل للسيوطى عن الأصمعى مثلاً أنه كان شديد التأله، فكان لا يفسر شيئاً من القرآن ولا شيئاً من اللغة له نظير و اشتقاق فى القرآن، و كذلك الحديث تحرجاً(٢).

على أن الطبرى قد ذكر أمثله تدل على أن الصحابه، و خصوصاً ابن عباس، كانوا يفسرون القرآن تفسيراً محموداً(٣).

ولكن نقده(٤) يدل على أن الفريق الذى كان يحجم عن تفسير القرآن كان قويا جداً.

وقد روى عن النبى عليه السلام حديثٌ من شأنه أن يوفق بين الفريقين، و هو قوله « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »؛ فكان تفسير يجب أن يستند إلى أثر وارد عن النبى، ولا يجوز أن يعتمد فيه على الرأى؛ ولا يكون القول بالرأى إلا فى التفسير اللغوى للألفاظ(٥).

على أننا نجد فى تفسير الطبرى نفسه دليلاً على أن المفسر يستطيع رغم هذه القيود أن يقول فى تفسيره بحذق و مهاره أشياء كثيره ينبغى ألا تقال فى التفسير(٦)؛ هذا مع العلم بأن العلماء يقولون عن تفسير الطبرى إنه لم يوءلف مثله،

١- بستان العارفين ص ٧٤ ج ٧٥ .

٢- المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٢٠٤ انظر أيضاً : Goldziher, SWA, Bd. ٧٢, S. ٦٣٠.

٣- التفسير للطبرى ج ١ ص ٢٦ .

٤- ص ٢٦ ج ٣٠ .

٥- تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٧ .

٦- مثلاً ج ١ ص ٥٨ عند الكلام عن القدر .

لأن صاحبه جمع فيه بين الروايه و الدرايه، ولم يشاركه في ذلك أحد لا قبله و لا بعده(١).

على أن السمرقندى مع حريته الكبرى في الرأى، و مع كونه حنيفاً، قد تكلم في هذه المسأله بلا لبس، و منع كل تفسير بالرأى؛ و كل ما أجازته هو أن يحكى المفسر ما سمعه من بعض الأئمه على سبيل الحكايه؛ و إذا أراد أن يستخرج حكماً من الآيه فلا بأس أن يقول المراد من الآيه كذا و كذا؛ أعنى أن التفسير عند السمرقندى يكون على صورته الفصول المتعلقة بتفسير القرآن عند البخارى و مسلم، و هو ما يفعله الفريق الثانى من المفسرين عند السيوطى؛ و هم المفسرون المحدثون الذين صنفوا التفاسير مسنده مورداً فيها أقوال الصحابه و التابعين بالإسناد(٢).

ثم إن السمرقندى يسمح بأن تستنبط التفاسير الفلسفيه و الآراء الفقيهيه فى الأحكام و الأوامر من ذلك(٣).

و الجديد الذى نلاحظه فى تفسير القرآن فى هذا القرن و فى القرن الذى تقدمه هو تعاون المعتزله و اجتهادهم فى تفسير القرآن. و ممن ألف فى التفسير منهم أبوعلى الجبائى؛ و يقول الأشعرى تلميذه و خصمه و ابن زوجته إنه فى هذا التفسير ما روى حرفاً و احداً عن المفسرن، و إنما اعتمد على ما وسوس به

١- طبقات المفسرين للسيوطى طبعه Meursinge ص ٣٠.

٢- نفس المصدر ص ٢.

٣- بستان العارفين ص ٧٥ و ما بعدها؛ ولم أستطع أن أحقق إلى أى حد عمل السمرقندى بهذه الأحكام فى تفسيره الذى لا يزال مخطوطاً.

في صدره و شيطانه(١)

على أن أهل المغرب السنين تردّوا في اتباع الأشعري في تفسيره للقرآن؛ و كانوا يتركون التأويل و يمرّون المتشابهات كما جاءت اقتداءً بالسلف، حتى جاء ابن تومرت و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذهب الأشعريه(٢)

وقد ألف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى عام ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م، و هو عالم بالكلام و الفقه و النحو و اللغه، تفسيراً للقرآن؛ وقد بلغ من قيمه هذا التفسير أنه قيل للصاحب ابن عباد: هلاً صُنِّفَ تفسيراً! فقال: و هل ترك لنا علي ابن عيسى شيئاً(٣)؟ وكذلك ألف أبو بكر النقاش المعتزلي المتوفى ببغداد عام ٣٥١ هـ ٩٦٢ م، تفسيراً كبيراً يقع في اثني عشر ألف ورقه(٤)؛ و «كان يكذب في الحديث»(٥).

و كذلك صَنَّفَ أبو بكر الإدفوي المصري المتوفى عام ٣٨٨ هـ ٩٩٨ م تفسيراً يقع في مائه و عشرين مجلد(٦).

ولم يزد عليه في عظم التأليف إلا عبد السلام القزويني شيخ المعتزله ببغداد المتوفى عام ٤٨٣ هـ ١٠٩٠ م (٧) فإنه ألف تفسيراً في ثلثمائه مجلد منها سبعة

١- W. Spitta, Zur Gesch. Abul Hassan al Ascharis, Leipzig, ١٨٧٦, S. ١٩٧. ١٢٨ -١

٢- Goldziher, ZDMG, ٤١, S. ٥٦. نقلا عن تاريخ البربر لابن خلدون ج ١ ص ٢٩٩.

٣- المعتزله لابن المرتضى ص ٦٣؛ و المفسرين للسيوطي ص ٢٤.

٤- الفهرست لابن النديم ص ٣٣؛ و الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٤٩٧.

٥- السيوطي ص ٣٠.

٦- حسن المحاضره للسيوطي ج ١ ص ٢٣٣.

٧- في أحد التاريخين اشتباه.

مجلدات في الفاتحة(١).

و نستطيع أن نكون لأنفسنا فكره عن طريقه هوء لاء المفسرين إذا عرفنا أن عبيدالله الأسدي المعتزلي المتوفى عام ٣٨٧هـ ٩٩٧ م صنف تفسيراً للقرآن ذكر فيه في بسم الله الرحمن الرحيم مائه و عشرين وجهاً(٢).

و لما كانت كل فرقه من الفرق في هذا العصر تعتدّ بالقرآن و ترجع إليه بحيث كان مصدرها الأكبر للاستشهاد و مستودعها الذي تتسلح به في أدلتها فقد كان لا بدّ للقرآن، ككل كتاب مقدّس، أن يتعرض لكثير من التكلف في التفسير. وقد اشتهر الصوفيه و الشيعة بأنهم أصحاب تأويلات؛ وقد جروا على عادته مألوفه من قبل و هي الخروج عن ظاهر القرآن بالتأويل البعيد لإثبات دعاويهم(٣).

و حاول بعض الشيعة أن يوءولوا كثيراً من الأسماء الواردة في القرآن بأنها أسماء أشخاص؛ فقالوا إن البقره التي أمر قوم موسى بذبحها(٤) هي عائشه، و إن الجبت و الطاغوت(٥) هما معاويه و عمرو بن العاص(٦).

أما المفسرون العلماء فكانوا على خلاف ذلك؛ و منهم أبو زيد البلخي (المتوفى عام ٣٢٢هـ ٩٣٤ م) الذي تتلمذ للكندي ببغداد، و أخذ

١- السيوطي ص ١٩؛ و يقول السبكي (الطبقات ج ٣ ص ٢٣٠) إن هذا التفسير سبعمائه مجلد .

٢- السيوطي ص ٢٢؛ ويرى ابن قتيبه خصم المعتزله أنهم في تفسيرهم للقرآن ردوه إلى مذاهبهم و حملوه على نحلهم و جاءوا في إثبات صحه تأويلهم بشواهد لا تعرف (تأويل مختلف الحديث ص ٨٠ و ما بعدها) .

٣- Gold iher, Zahiriten, S. ١٣٢ نقلا عن ابن حزم ج ٢ ص ١٤٠ .

٤- سورة البقره آيه ٦٧ .

٥- سورة النساء آيه ٥١، ٦٠ .

٦- و هذا هو تفسير الروافض للقرآن عند ابن قتيبه في مختلف الحديث، ص ٨٤ و ما بعدها .

عنه الفلسفه و التنجيم و الطب و علوم الطبيعیه. كان البلخي يتنزه عما يقال في القرآن من تأويل بعيد و لا- يقول إلا- بالظاهر المستفيض من التفسير و التأويل؛ وقد بين ذلك في كتابه المسمى نظم القرآن(١).

ثم صنف كتابا في البحث عن التأويلات أغضب فيه رجلا قرمطيا، فقطع هذا القرمطي عن البلخي صلواتٍ كان يجريها عليه(٢).

و كذلك كان لابد للغويين من التدقيق في الألفاظ حتى أمكن وضع مصطلحات دينيه خاصه تتميز عن اللغه المألوفه(٣).

على أنه و إن كان أصحاب المذهب الظاهري بأجمعهم قد جعلوا أساس مذهبهم الأخذ بالظاهر في تفسير كتب الشريعة، و أولها القرآن، فإن أحداً منهم لم يصنّف تفسيراً للقرآن، و ذلك لأسباب بينه، و هي أن التفسير الحرفي للقرآن لم يكن يروق المسلمين في ذلك العهد كما أنه لا يروقنا اليوم.

وقد كانت القصص القديمه العربيه و اليهوديه و المسيحيه المذكوره في القرآن ميداناً خاصا لاختلاف و نزاع شديد؛ و كانت هي النقطة التي يواجه العلم فيها مشكله الخوارق، لأن هذه القصص لاتعرف من تقدم محمداً عليه السلام من الأنبياء عليهم السلام إلا بأنهم أصحاب معجزات؛

و لذلك نجد أن أشهر الكتب التي ألفها أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى عام ٤٢٧هـ ١٠٣٦ م، والذي كان أوحد زمانه في علم القرآن، بعد تفسيره المشهور للقرآن، هو كتابه المسمى العرائس في قصص

١- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ١٤٨؛ و لم يذكر صاحب الفهرست هذا الكتاب .

٢- الفهرست ص ١٣٨ و الإرشاد لياقوت ج ١ ص ١٤١ ج ١٤٢ .

٣- Goldziher, Zahiriten, S. ١٣٤.

الأنبياء (١).

وقد أولع البعض بالغرائب ليقصوها على الناس؛ و تكلم المطهر المقدسى عن هذا الفريق، فوصفهم بأن « الحديث لهم عن جمل طار أشهى إليهم من الحديث عن جمل سار، و روعياً مُرّيه آثر عندهم من روايه مَرويه» (٢).

و أنكروا قوم العجائب رأساً، و صرفها آخرون إلى تأويل منحول (٣).

وقد أَلَّفَ الرازى الطبيب المشهور حوالى عام ٣٠٠هـ كتاباً سماه مخاريق الأنبياء لم يستجز المطهر ذكر ما فيه « فإنه المفسد للقلب، المذهب للدين، الهادم للمروءه، المورث البغض للأنبياء صلوات الله عليهم» (٤).

وقد حاول البعض أن يوفقوا بين ما فى القرآن و بين العقل، فكان ما وصلوا إليه توفيقاً مضحكا غير مُحكم كالذى تأدى إليه البروتستانتيون الذين فسروا الإنجيل تفسيراً عقلياً فمثلاً تألم بعض العقليين من أن يكون الأطفال قد غرقوا مع آبائهم فى الطوفان بغير ذنب؛ فقالوا إن الله أعقم أرحام النساء قبل الطوفان، فلم تحمل منهن واحده خمس عشره سنه، حتى لم يأت الغرق إلا على مستحق للعذاب (٥).

و ذهب آخرون إلى أن سفينه نوح إنما هى مَثَلٌ للدين الذى جاء به؛ فأمالبه

١- طبقات المفسرين للسيوطى ص ٥؛ وقد أَلَّفَ أبو رجاء الأسوانى من قبل (توفى فى سنه ٣٣٥هـ ٩٤٦ م) قصديه ذكر فيها أخبار العالم و قصص الأنبياء بلغت مائه ألف و ثلاثين ألف بيت (طبقات السبكى ج ٢ ص ١٠٨، و أبوالمحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٣١٩) .

٢- كتاب البدء و التاريخ للمطهر بن طاهر المقدسى طبعه هوار ج ١ ص ٤ .

٣- نفس المصدر ج ٣ ص ١٧ .

٤- نفس المصدر ج ٣ ص ١١٠ .

٥- نفس المصدر ج ٣ ص ١٧ .

فى قومہ ألف سنہ إلا خمسين عاما فهو مثلا لبقاء شريعته(١)

و زعم قوم أنه يجوز أن يكون خروج الناقة المنسوبه لصالح عليه السلام من الصخره معناه حجه دامغه و سلطان قاهر أذعن له القوم، و أن يكون شربها ماء العين معناه إبطال تلك الحجه جميع ما خالفها.

وقال البعض يشبه أن يكون خبأها تحت الصخره، ثم أخرجها؛ و زعم آخرون أن اسم الناقه كناية عن رجل و امرأه(٢).

و زعم غير هؤلاء أن إبراهيم عليه السلام سحر القوم الذين أوقدوا له النار و طرحوه فيها، و أطلّى ببعض الأدوية التى يبطل معها عمل النار؛ و ساق هؤلاء قصه لبعض الهند و شبهوا إبراهيم بها(٣).

أما أصحاب الفيل الذين أهلكهم الله بحجاره ألقته عليهم طيرٌ أبايل، فقد أولّ البعض هذا بأن القوم أحرقتهم ثمار اليمن، و أوبأهم ماؤها و هوؤها، فحصبوا، و جدروا فهلكوا(٤).

أما عين القطر التى وردت فى قوله تعالى: « وَ أَسِيلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ »(٥)، فهى إشاره إلى ما اهتدى سليمان إلى استخراجه من معدنه كسائر الجواهر و الهدهد الذى لم يرّه حين تفقد الطير(٦) كناية عن رجل، و كذلك أول النمل

١- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٢، و انظر أيضا التفصيل فى مجله ١٩٠٤، Bd ٥٠، RHR، فى مقاله لهوار عنوانها: Le Rationalisme Musulman a u IVsicle

٢- البدء و التاريخ للمطهر المقدسى ج ٣ ص ٤٢.

٣- نفس المصدر ج ٣ ص ٥٥.

٤- نفس المصدر ج ٣ ص ١٨٧.

٥- سورة سبأ آيه ١٢.

٦- سورة النمل آيه ٢٠.

فى قوله تعالى : حتى إذا أتوا على وادى النمل .. الآية(١)، بأنهم قوم ضعاف خافوا خبط عسكر سليمان؛ و الجن و الشياطين الذين سُخِّروا لسليمان هم عتاه الناس و أشدَّاءوهم و حُذاقهم و عرفاءوهم بالأمر الغامضه(٢).

أما المعجزات الوحيدة التى وَّجَّه العلماء إليها اهتمامهم، فيما عدا القرآن، فهى معجزات محمد عليه السلام ؛ و هى ، و إن لم ترد فى القرآن، فقد ذكر فى الأحاديث التى جُمعت فى القرن الثالث الهجرى نحو المائتين منها.

وقد حاول بعض العقليين أن يوءولوا هذه المعجزات؛ فمثلا قالوا إن أبصار من اجتمع من قريش ليله الدار للفتك بالنبى لم تعم حقيقه، بل هم أعماهم الحقد و الغيظ و الغضب.

ولم يكن إبليس هو الذى كلّم المت آمرين ليعينهم بالرأى، بل هو رجل ممن يعمل بعمل إبليس، فسُمى بذلك(٣).

على أنه كان بين المسلمين المثقفين طائفة ممن حسن إسلامهم قالوا بهذا المعجزات من غير أن تطمئن قلوبهم لذلك. وقد ألف المطهر بن طاهر المقدسى حوالى عام ٣٥٥هـ ٩٦٦م كتابه المسمى البدء و التاريخ ليحمى الإسلام ممن يشحنون صدور العامه بتّرهات الأباطيل، و يقصون عليهم غرائب العجائب، معتقدين كل غريب و حاكين كل أسطوره، و ليحميه أيضا من الشكّاك الذين لا- يوءمنون بشىء. و هو لا- يمل من الإعراب عن رأيه بالتصديق بما نزل به الوى و بما جاءت به السنّه الصحيحه، وهو كذلك لا يستطيع إخفاء سروره حينما يوفّق إلى

١- سورة النمل آيه ١٨ .

٢- البدء و التاريخ ج ٣ ص ١٠٩ .

٣- نفس المصدر ج ٤ ص ١٧٣ و الصفحات التاليه .

تأييد إحدى المعجزات بأدله العقل الذى يعتبره « أم العلوم كلها ». و هو يجيب على من ينكر ما ورد فى الحديث من رفع إدريس إلى السماء بأن « أعظم منه هذا الغيم الراكد فى الجو، و هذه الأرض فى ثقلها واقفه فى السماء كما ترى » (١).

و أما من أنكر قصه يونس و أحال إمكان بقاء روح حى فى بطن حيوان، فإن المطهر يرد عليهم بقوله : « أو ليس الجنين فى بطن أمه بمتنفس (٢) حى؟ فهل يعجز من أبقى الأجنه فى ظلم الأرحام أن يبقى الأرواح فى أجسام المحبوسين حتى لا يصل إليهم الهواء؟ » (٣).

و هذا نوع من الدفاع عن الدين قد ألفناه نحن من قبل؛ و نستطيع أن نستشف ما تنطوى عليه نفس المطهر من سرور خفى، حينما يعالج المعجزات النبويه بطريقه عقليه، و يبين جريانها على سنن الطبيعه؛ و قد تحمس لوضع مبدأ يقوم على أن الشىء قد يكون معجزه فى وقت، و يكون بعينه غير معجزه فى وقت آخر، و يكون معجزه لقوم و غير معجزه لقوم آخرين (٤).

و يروى عن النبى عليه السلام أنه وعد أمته بقوله : « يبعث الله على رأس كل مائه سنه رجلا من أهل بيتى يبين لهم أمر دينهم ». و قد أحصى العلماء المتأخرون هوءلاء « المجددين » الذين يموت كل واحد منهم فى أوائل قرنه؛ و قد اختار العلماء فى حوالى عام ١٤٠٠هـ ثلاثه رشحوهم

١- البدء و التاريخ ج ٢ ص ١٣ .

٢- فى الأصل متنفس؛ و أظنها خطأ. (المترجم) .

٣- نفس المصدر ج ٣ ص ١١٢ ج ١١٣ .

٤- نفس المصدر ج ٤ ص ١٧٥ ج ١٧٦ .

لهذه المهمة، و كلهم لم يكونوا ذوى شأن عظيم(١)؛ وفي حوالى عام ٣٠٠هـ لم يقع اختيارهم إلا- على الأشعرى المتوفى عام ٣٤٣هـ ٩٣٦م (٢)

ويدلّ هذا على قله العلماء بين جمهور أهل السنه، لأن أعظم مفكرى الإسلام فى ذلك العهد كانوا جميعاً بين صفوف المعتزله الذين كانت تنبعث من عندهم جميع المسائل التى يعالجها المتكلمون.

ولم يكن المعتزله من حيث هم فرقه لها مذهبها الخاص أشد مخالفة لأهل السنه من الشيعة فى ذلك العهد، ذلك أن من الفريقين، كما قال ابن حزم، من يخالف أهل السنه الخلاف البعيد، و منهم من يخالفهم الخلاف القريب(٣).

وفى القرن الرابع الهجرى كانت مخالفة المعتزله لجمهور المسلمين مخالفة كلاميه محضه لاتخرج عن حدود مسائل علم الكلام، وهى شبيهه بخلاف الصوفيه؛ لأن هوءلاء اعتبروا فرقه إلى جانب الفرق الأخرى الكبيره(٤).

أما فى العبادات فقد كان المعتزله فى الغالب متفقين مع أهل السنه؛ هذا إلى أنه كان بين المعتزله شيعه كالزيديه؛ و كان من هوءلاء بعض أهل البيت مثل أبى

١- لما ألف متر كتابه لم يكن القاضى أبوبكر الباقلانى، أعظم متكلمى القرن الرابع، معروفاً للباحثين، كما ينبغى له؛ وقد اعتبر المجدد الموعود به على رأس المائه الرابعه؛ راجع مقدمه كتاب التمهيد ط. القايره ١٩٤٧ ص ٩، و الملحق ص ٢٤٤. (المترجم) .

٢- Goldziher, Zur Chatakteristikes Suyutis SWA, Bd. ٦٩, S. ٨ tf - وقد اختلف العلماء هل لكل قرن مجدد واحد أم له مجدد فى كل علم من علوم الدين؟ كان الذهبي يذهب إلى هذا الرأى الأخير، و يقول كان على رأس المائه الثالثه ابن سريج فى الفقه و الأشعرى فى أصول الدين و النسائى فى الحديث. (انظر طبقات السبكى ج ٢ ص ٨٩) .

٣- الفصل لابن حزم ج ٢ ص ١١١ .

٤- البدء و التاريخ للمطهر المقدسى ج ١ ص ١٦ .

عبدالله الداعي، و هو أحد تلاميذ أبي عبدالله البصرى (١).

و كان من الشيعة المعتزلة المشهورين إلى جانب من تقدم أبوالحسين الراوندى (٢) والرماني اللغوى (٣) المتوفى عام ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م، و كان أستاذتهم كلهم تقريباً فرسا هاجروا إلى العراق أو استوطنوا أصفهان؛ بل يقال إن الجبائى المتوفى عام ٣٠٣ هـ ٩١٥ م أَلَّف تفسيراً للقرآن بالفارسيه (٤).

وكان موضوع بحث المعتزلة علم العقائد بمعناه المحدود، و أول ما عالجوا من ذلك مسأله القدر و ما يتصل بها من وصف أفعال الله بالخير و الشر. وكانت هذه المسأله أكبر ما أثار اهتمام أدمعتهم التى تأثرت بمذهب زرادشت. و كان إمام المعتزله فى عصر المأمون أبو الهذيل العلاف و أكبر ما ظهرت فيه مقدرته و انتصاراته ردوده على الثنويه (٥).

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى أخرج المعتزله أكبر مدافع عن مذاهب الثنويه، و هو ابن الراوندى الذى كان من المعتزله، ثم انسلخ عنهم، و شنع عليهم حتى استعانوا بالسلطان على قتله (٦).

١- المعتزله لابن المرتضى ص ٦٣.

٢- انظر فيما يتعلق به مقدمه نيرج لكتاب الانتصار للخياط ط. القاهره ١٩٢٥، و ما كتبه عنه ريتز فى مجله Der Islam مجلد ١٩ (١٩٣١) من ص ١ ج ١٧، و كراوس فى مجله الدراسات الشرقيه (RSO) التى تصدر فى روما، مجلد ١٤ (١٩٣٤) ص ٩٣ ج ١٢٩، ٣٣٥ ج ٣٧٩. (المترجم).

٣- طبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٤.

٤- Spitta, el-Aschari, ٨٧.

٥- المعتز بن المرتضى ص ٢٥ ج ٢٧.

٦- نفس المصدر ص ٥٣ ج ٥٤.

وفى القرن الرابع الهجرى كان نصيب المعتزله فى أصفان على الأقل^(١) نصيب الصوفيه من أنهم دخل فيهم بعض الشيعة فانتسبوا بسبب ذلك لعلى وردوا سند مذهبهم إليه^(٢).

ويذكر الخوارزمى أن المعتزله يعتدّون بالحسن البصرى الذى يعتد الصوفيه به و يدّعونه لأنفسهم ج اعتداد الشيعة بالوصى، و اعتداد الزيديه بزيد بن على، و الإماميه بالمهدى^(٣).

ونجد آثاراً متفرقه تدل على أثر مذاهب الغنوسطيين فى المعتزله مثل ما يحكى عن أحمد بن حائظ من قوله إن للعالم خالقين : أحدهما قديم و هو الله تعالى؛ والآخر حادث، و هو كلمه الله عزوجل، عيسى بن مريم، التى بها خلق العالم^(٤).

وكان بعض المعتزله فى القرن الرابع يتكلمون فى القدر وفى تحديد معنى الفسق و الإيمان. ولكن كانت عمدتهم التى يتمسكون بها هى الكلام فى التوحيد و ما يوصف به الله تعالى؛ ثم يزيد بعضهم غير ذلك^(٥).

١- نفس المصدر ص ٦١ ج ٦٢ .

٢- نفس المصدر ص ٥ ج ٦ .

٣- اليتيمه للثعالبي ج ٤ ص ١٢٠ .

٤- الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩٧ .

٥- كان هوءلاء القليلون الذين لم يزالوا يعالجون البحث فى مسأله الاختيار و القدره الإنسانيه يسمون « القدريه »؛ وليس من السهل بيان معنى هذه الكلمه؛ فالقدره عند ابن قتيبه هم الذين أضافوا القدر إلى أنفسهم (تأويل مختلف الحديث ص ٩٨)، يعنى أنهم أصحاب الاختيار، وهم الذين يخالفون الجبريه؛ ولكن هذا التفسير متناقض؛ لأن لفظ القدره كان يطلق قديماً على القائلين بالقدر من الله خير و شره. و يحكى عن زيد بن على أنه قال : « أبرأ من القدره الذين حملوا ذنوبهم على الله، و من المرجئه الذين أطمعوا الفساق فى عفو الله » (كتاب المعتزله لابن المرتضى ص ١٢). أما فى القرن الثالث فكانوا يقولون على وجه التدقيق إن الله تعالى يخلق الخير و إن الشيطان يخلق الشر (ابن قتيبه مختلف الحديث طبعه القايره ١٣٢١هـ ص ٥، و الأشعري فى الإبانه كما ذكر ذلك (Spitta S. ١٣١)، و بسبب هذه الاثنينيه، سمي المعتزله « مجوس الأمه الإسلاميه » (ابن قتيبه ص ٩٦)؛ و يحكى عن أحدهم أنه قال لرجل من أهل الذمه : ألا تسلم يا فلان؟ فقال : حتى يريد الله؛ فقال له : قد أراد الله. ولكن إبليس لا يدعك؛ فقال له الذمى : فأنا مع أقواها (ابن قتيبه ص ٩٨ ج ٩٩). و بسبب هذه الاثنينيه أيضاً، سمي القائلون بالاختيار قدره فى حين أن أصحاب الاختيار يقولون : إن إطلاق اسم القدره على من يقول بالقدر خير و شره من الله أولى (الشهرستانى على هامش ابن حزم ج ١ ص ٤٥، و ابن قتيبه ص ٩٧). وفى القرن الرابع، يقول المقدسى : إن المعتزله غلبوا على القدره (ص ٣٧)، و يقول الأشعري (Spitta ١٣١) ما يدل على أن القدره هم المعتزله، و يقول المقدسى ج إلى جانب ما تقدم من غلبه المعتزله على القدره ج إنه لا يميز إحداهما من الأخرى إلا كل تحرير (ص ٣٨). وقد حاول القاضى عبدالجبار بالرى، حوالى أول القرن الخامس، و كان القاضى أكبر شيوخ المعتزله فى عصره، أن يثبت من الأحاديث أن اسم القدره لا ينبغى أن يطلق على المعتزله، بل على القائلين بالقدر خير و شره من الله (انظر مقاله الأستاذ شرينر : Schereiner, ZDMG

ولا- يخلو ذلك من تأثير الفلسفه اليونانيه التي كان لها أثر فَعَال في تحريك الخواطر في أثناء القرن الثالث، و إن كان تأثيرها مقصوراً على الطبقة العليا من المتكلمين كالنظام و الجاحظ(١)، و من تأثير علم العقائد المسيحي الذي كان طول تلك المده مهتما ببيان وحده الذات و تنزُّهاها عن الكثره(٢).

ولما كان المعتزله قد جعلوا عمده بحثهم الكلام في ذات الله و صفاته، فلم

١- S. Horovits :p uber en Einfuss der griechishcsen philosophie auf die Entwicklung des

١٩٠٩ Kalam, Breslau؛ [ولكن الاشتغال بالمباحث الفلسفيه والتأثر بها، شمل كثيرين غير الجاحظ و أستاذه النظام.

المترجم].

٢- Becker, ZA. Bd ٢٦. ١٧٥ ff.

يقتصر الأمر على أن صارت هذه المسألة أهم مسائل العقائد الإسلاميه حتى اليوم، بل أدى كلامهم فى هذه المسألة إلى طبع الفلسفه العربيه بطابع خاص، كما أن مباحثهم فى هذا الموضوع كان لها أثر فى مذهب سبينوزا، ونفذ التأثير من مذهب سبينوزا إلى الفكر الأوربى. و يقول ابن حزم إن المعتزله هم الذين اخترعوا لفظ الصفات، و كان المستعمل قبل ذلك هو كلمه « النعوت » أو « الأسامى »^(١).

أما ما يمتاز به المعتزله من الخصال فيقول المقدسى^(٢): إنهم لا ينفكون من أربع خصال: اللطافه و الدرايه و الفسق و السخرية. ومما يدل على أن المعتزله كانوا مولعين بالمناظره و الجدل^(٣) أن مذهبهم كله يقوم على الجدل^(٤)، و لذلك قال المعتزله إن المختلفين كلاهما على صواب^(٥).

و مع ذلك كانوا متكاتفين حتى إن تكاتفهم فى القرن الرابع كان مضرب المثل، و حتى تمثل الخوارزمى باعتداد المعتزلى بالمعتزلى^(٦).

و كان المتكلمون ينظرون فى كل شىء، « و أرادوا معرفه كل شىء »^(٧).

و كان من يسمون بالفلاسفه ينظرون إليهم بعين التصغير، كما ينظر الباحث فى

١- البخارى : كتاب التوحيد نقلا عن جولد زيهر ١. Anm. ١٤٥, S. Goldziher, Zahirten.

٢- المقدسى ص ٤١ .

٣- يتيمه الدهر ج ٣ ص ١٠٦ .

٤- وقد كان القفال أبوبكر الشاشى، المتوفى عام ٣٣٦هـ (أو ٣٣٥)، أحد أئمه الشافعيه، أول من صنف فى الجدل (أبوالمحاسن ج ٢ ص ٣٢١ طبعه ليدن).

٥- بستان العارفين للسمرقندى ص ١٥ .

٦- رسائل الخوارزمى ص ٦٣ (٩) .

٧- الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٠٩ (٩) .

علم النفس التجريبي إلى صاحب ما بعد الطبيعة»^(١)

وكان الفلاسفة يرمون المتكلمين بالتعصب و استحسان التقليد و اللجاج، و أنهم «انفتح باب الحيره عليهم و شيدَّ باب اليقين عنهم، و لهذا قل تألهم و تنزههم، و صاروا يقولون بتكافوء الأدله»^(٢)

ولما كان المتكلمون ينكرون السحر بجميع صورته و التنجيم، بل أنكروا كرامات الأولياء^(٣) فإننا نستطيع أن نعتبرهم من دعاه حريه الفكر و الاستناره، رغم مذهبهم الكلامي، و ما كان لهم فيه من تدقيقات. جاء في كتاب الإرشاد لياقوت: « اتفق أهل صناعه الكلام على أن متكلمى العالم ثلاثه: الجاحظ، و على بن عبد الله اللطفي، و أبوزيد البلخي، و الأول و الثالث من هوء لاء الثلاثه ج و لا أعرف من أمر الثانى شيئاً ج رجلان يمثلان الفكر الحر على نحو جدير بالتقدير؛

أما الجاحظ « فيزيد لفظه على معناه»؛ و أما أبوزيد « فيتوافق لفظه و معناه»^(٤)؛

١- كتاب المعانى النفس Goldziher, AGGW, N. F, ١٠, S. ١٣ ff

٢- انظر Goldziher, ZDMG, Bd, ٦٢, S, ٢ ff، نقلا- عن التوحيدى فى المقابسات (طبعه بمباى ص ٥٢). على أن المتكلمين من جانبهم يطعنون فى الفلاسفه، فيحكى أن رجلا- سوفسطائياً أنكر الضروريات فى مجلس أبى القاسم البلخي. و ألحقها بالخيالات؛ فقام البلخي إلى بغل جاء السوفسطائى راكباً عليه و خبأه، ثم قام السوفسطائى من غير أن يقتنع، فلما لم يجد البغل، رجع إلى أبى القاسم، فقال له أبو القاسم: لعلك تركته فى غير هذا الموضع، أو لعلك لم تأت راكباً، و خيل إليك ذلك تخيلاً؛ و جاءه بأنواع من هذا الكلام، حتى رجع عن مذهبه (المعتزله لابن المرتضى ص ٥١).

٣- لم يكن هذا مذهب المتكلمين جميعاً. (المترجم).

٤- الإرشاد ج ١ ص ١٤١ ج ١٤٨ .

والجاحظ يشبه فولتير **Voltare**؛ أما أبو زيد (وقد توفي عام ٣٢٢ هـ ٩٣٣ م، وقد جاوز الثمانين) فقد كان أثبت و أكثر انزاناً، و هو يشبه الإسكندر همبولت **Alexander Humboldt** بين دعاه الفكر الحر فى القرن التاسع عشر. وقد جمع إلى دراسه الفلسفه دراسه التنجيم و الطب و الجغرافيا و علوم الطبيعه؛ و ألف كتاباً سماه نظم القرآن، تكلم فيه بكلام لطيف، و كان يتنزه عن التأويل البعيد للقرآن. و كان الحسين بن على المروروزى يجرى عليه صلوات دائمه، فلما أملى كتابه فى البحث عن التأويلات قطعها عنه؛ و كان الجيهانى يجرى عليه صلوات أيضاً، فلما أملى كتاب القرايين و الذبائح حرمه إياها، و كان الحسين قرمطيا و الجيهانى ثويا. وهاك مثالا- من نظر خصوم الجاحظ إليه فيما كتبه ابن قتبيه : « هو آخر المتكلمين، و المعايير على المتقدمين، و أحسهم للحجه استشاره، و أشدهم تطفافاً لتعظيم الصغير حتى يعظم و تصغير العظيم حتى يصغر؛ و يبا به الأقتدار إلى أن يعمل الشىء و نقيضه، و يحتج لفضل اسودان على البيضان، و تجده يحتج مره للعثمانيه على الرافضه و مره للزيديه على العثمانيه و أهل السنه، و مره يفضل عليا رضى الله عنه و مره يوءخره؛ و يقول : قال رسول الله صلى الله عليه و آله ، و يتبعه : قال الجماز، و قال إسماعيل بن غزوان كذا و كذا من الفواحش. و يجلُّ رسول الله صلى الله عليه و آله عن أن يذكر فى كتاب ذكرا فيه، فكيف فى ورقه أو بعد سطر و سطرين؟ و يعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصرارى على المسلمين؛ فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز فى الحججه، كأنه إنما أراد تنبيههم على مالا يعرفون تشكيك الضعفه من المسلمين. و تجده يقصد فى كتبه للمضاحيك و العبث؛ يريد بذلك استماله الأحداث و شراب النبيذ؛ و يستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل

العلم، كذكره كبد الحوت، وقرن الشيطان، وذكر الحجر الأسود، وأنه كان أبيض فسوّده المشركون، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا؛

ويذكر الصحيفه التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشه، فأكلتها الشاه، و أشياء من أحاديث أهل الكتاب في تناؤم الديك و الغراب، و دفن الهدهد أمّه في رأسه، و تسييح الضفدع، و طوق الحمامه، و أشباه هذا .. و هو مع هذا من أكذب الأمم و أوضعهم لحديث و أنصرهم لباطل» (١).

وقد زُويت عن المعتزله أقوال أخرى يقشعر لها جلد المسلم الحق و يمجها قلبه، فيذر ابن قتيبه أن ثمامه بن أشرس كان ينتقص الإسلام و يرسل لسانه بما لا- يون من رجل يعرف الله و يوء من به، « و من المحفوظ عنه المشهور أنه رأى قومًا يتعادون يوم الجمعة إلى المسجد لخوفهم فَوَت الصلاة فقال : انظروا إلى البقر! انظروا إلى الحمير! ثم قال لرجل من إخوانه : ما صنع هذا العربي بالناس!» (٢).

وفي القرن الثالث الهجري كان أهل السنه ينظرون إلى المعتزله بعين الكراهيه و الاحتقار؛ ثم خرج الأشعري حوالى آخر القرن الثالث على المعتزله، بعد أن كن منهم، وبدأ يحاربهم بسلاحهم؛

و على هذا نشأ في القرن الرابع الهجري المذهب الكلامى الرسمى القائم على العلم و النظر العقلى، و كان مذهب الأشعري مذهب توفيق، و ذلك شأن كل مذهب رسمى، ولذلك سمي مذهباً أوسط (٣)؛

١- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه ص ٧١ ج ٧٢ طبعه مصر ١٣٢٦ هـ .

٢- ابن قتيبه ص ٦٠ .

٣- ٤٦، Spitta, Aschari، و كان أسلاف الأشعريه الأقربون بين المتكلمين هم : الكلابيه الذين اندمجوا في الأشاعره في القرن الرابع، و كانوا ينكرون الجبر (مقدسى ص ٣٧) .

وقد حسب الأشعري أن في قدرته أن يوفق بين مذهب أهل السنه و بين العقل، و أعلن فيما كتبه تمسكه بمذهب الحنابله؛ يقول الأشعري : « قولنا الذى نقول به، و ديانتنا التى ندين بها، التمسُّكُ بكتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله ، وما روى عن الصحابه و التابعين و أئمه الحديث؛ و نحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل، نضر الله وجهه و رفع درجته و أجزل مثوبته، قائلون، و لمن خالف قوله قوله مُجَانِبُونَ؛ لأنه الأمام الفاضل و الرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال»(١).

ولكن الحنابله كانوا يخاصمون الأشعري(٢)، فيقول ابن الجوزى إن الأشعري ظل معتزليا دائما(٣)؛ وقد قُدِّرَ لمذهب الأشعري ما يقدر عادة لغيره من المذاهب التى تميل إلى التوسط و التوفيق بين ما اختلف؛ فانحرف عنه أهم تلاميذ الأشعري مائلين إلى رأى الخصوم العقلين، و أكبر ما نجد ذلك عند الباقلانى المتوفى عام ٤٠٣هـ ١٠١٢ م؛ فإنه أدخل فى علم العقائد مسأله الجزئ الذى لا يتجزأ، و الخلاء، و غير ذلك من الأشياء الغريبه عنه(٤).

و كان القاضى عبد الجبار بالرى (توفى سنه ٤١٥هـ ١٠٢٤ م) فى ابتداء حاله يذهب فى الأصول مذهب الأشعريه، ثم انتقل إلى خصومهم - المعتزله - و

١- Spitta, ١٣٣

٢- نفس المصدر ص ١١١ .

٣- المنتظم ص ٧١ ب، على أن ابن الجوزى إنما قال : إن الأشعري ظل على مذهب المعتزله زماناً طويلاً (أربعين سنه) ثم تركه و أتى بمقاله خبط بها عقائد الناس . (المترجم) .

٤- Schreiner, Or. Konger. Stockholm, ١, ١, S. ٨٢ ، نقلا عن ابن خلدون (المقدمه، الفصل الخاص بعلم الكلام)؛ راجع مقدمه كتاب التمهيد للباقلانى، طبعه القايره ١٩٤٧ ص ١٣ و ما بعدها ج المترجم .

إليه انتهت الرياسه فيهم حتى صار شيخهم و عالمهم غير مدافع (١).

وكان الصاحب بن عباد قد أحسن إليه و قدّمه و ولّاه القضاء؛ فلما تُوفى الصاحبُ قال عبد الجبار: لا أرى الترحم عليه، لأنه مات من غير توبه ظهرت منه؛ فنسب عبد الجبار إلى قله الوفاء (٢).

نرى من هذا أن المعتزله لا يستحقون كل ما ينسب إليهم من أنهم أصحاب الفكر الحر.

وفي غضون القرن الرابع الهجري كان أصحاب مذهب السنّه القدماء يحاربون الشيعة الذين صغّروا خدودهم ببغداد، بو يضيقون على متكلمي المعتزله في سائر البلاد، حتى نغصوا عليهم العيش؛ ولكنهم على الرغم من استهوائهم للعامه و إثارتهم لهم لم ينجحوا في ذلك إلا قليلا، ولا نسمع من أمثله هذا الضطهاد إلا قليلا (٣)؛ ولم يكن مذهب الأشعري قد قوى في ذلك العهد بحيث يعتبر خصما و يهاجم، فإنه لم ينشر في العراق إلا منذ نحو سنه ٣٨٠هـ (٤)، وعند ذلك بدأت تظهر آثار الضطهاد له؛ وقد حاول الحنابله أن يمنعوا الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ ١٠٧١ م من دخول المسجد الجامع ببغداد، لأنه كان يذهب مذهب الأشعري (٥)؛ وكان أكابر الأشاعره في ذلك العهد يضطهدون و ينفون في أيام طغرل بك. وقرب أواخر القرن الرابع تحاملت الحنابله على رجل من كبار

١- المعتزله لابن المرتضى ص ٦٦ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ٧٧ .

٣- Zwei besonders characktsristichw... bei Goldziher, ZDMG. ٦٢ S.٨ .

٤- الخطط المقریزی ج ٢ ص ٣٥٨ .

٥- كان الخطيب البغدادي يتعصب على الحنابله (المنتظم ص ١١٨ ب) .

الأشاعره ذوى النفوذ، و هو القشيري المتوفى عام ٥١٤ هـ ١١٢٠ م؛ و وقع بسبب تهيج الحنابله قتالاً فى الشوارع، و اضطر القشيري إلى ترك بغداد(١).

و من هذه الحادته أرخ ابن عساكر مبدأ وقوع الانحراف بين الحنابله و الأشاعره(٢).

و لم ينتشر مذهب الأشاعره، و هو المذهب الكلامى الجديد الذى قَدَّر له أن يصير مذهب جمهور المسلمين إلا انتشاراً بطيئاً فى المملكه الإسلاميه؛ ففى أقصى المشرق كان الماتريديه ينافسون الأشاعره، و ذلك على الرغم مما بين الفريقين من تشابه فى أصل المذهب، و كان لابد للأشاعره أيضاً أن يدرأوا هجمات الحنابله الذين كلن شيخهم حوالى عام ٤٠٠ هـ ١٠١٠ م يلعن أبا الحسن الأشعري أما الملاء و ينال من الأشاعره(٣).

و أن يقاموا أيضاً هجمات الكراميه الذين تحزَّبوا على الأشاعره، و رفعوا أمرهم إلى السلطان محمود بن سبكتكين مدَّعين أن الأشاعره يعتقدون أن النبى صلى الله عليه و آله ليس نبيا اليوم و أن رسالته انقطعت بموته، و لم يكن هذا مُعتقداً للأشاعره(٤).

أما فى المغرب فقد انتشر مذهب الأشاعره من بلد إلى آخر، فقامت لهم سوق فى صقلية و القيروان و الأندلس، « ثم رق أمرهم و الحمد لله رب العالمين »(٥).

١- Goldziher, ZDMG, ٦٢, S.٨.

٢- Spitta. Aschari, S. ١٤٥.

٣- طبقات السبكي ج ٣ ص ١١٧.

٤- نفس المصدر ج ٣ ص ٥٤.

٥- الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٢٠٤.

ولم يكن مذهب الأشاعره معروفاً قط في شمال إفريقيا حتى حملة إليها محمد بن تومرت حوالى عام ٥٠٠هـ ١١٠٧ م (١).

و كانت الحكومه فى أوائل القرن الخامس الهجرى تتدخل نوعاً من التدخل الرسمى لفض المنازعات المذهبيه، ففى عام ٤٠٨هـ ١٠١٧ م أصدر الخليفه القادر كتاباً ضدّ المعتزله، فأمرهم بترك الكلام و التدريس و المناظره فى الاعتزال و المقالات المخالفه للإسلام، و أنذرهم ج إن خالفوا أمره ج بحلول النكال و العقوبه. و امثل السلطان محمود فى غزته أمر أميرالمؤمنين واستنّ بسنته فى قتل المخالفين و نفيهم و حبسهم، و أمر بلعنهم على المنابر، « و صار ذلك سنه فى الإسلام » (٢).

و صدر فى بغداد كتاب آخر سُمى الاعتقاد القادري، و ذلك فى سنه ٤٣٣هـ ١٠٤١ م و قرئ فى السدواوين، « و كتب الفقهاء خطوطهم فيه أن هذا اعتقاد المسلمين و من خالفه فقد فسق و كفر »، و كان هذا أول اعتقاد رسمى يعلنه الخليفه (٣)، و كان معنى ذلك نهايه تطور علم الكلام؛ و يستطيع الرجل الثاقب النظر أن يتبين فى كل كلمه من هذا الاعتقاد جراثيم المنازعات التى مضت عليها قرون، و هاك نصه : « على الإنسان أن يعلم أن الله عزّوجلّ وحدّه لا شريك له، « لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد »، لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، و لم يكن له

Goldziher, ZDMG, ٤١, S. ٣٠ ff -١

٢- المنتظم ص ١٦٥ ب .

٣- على أن ما حدث فى أيام المأمون من أمر المحنه، و إصدار الكتب بعضها تلو البعض فى العقيدته التى يجب أن يحمل الناس عليها، هو أيضاً اعتقاد رسمى أصدره الخليفه، و هو أول اعتقاد. (المترجم).

شريك في الملك، و هو أوّل لم يزل، و آخر لا- يزال، قادرٌ على كل شيء، غير عاجز عن شيء، إذا أراد شيئاً قال له : كن، فيكون، غنى غير محتاج إلى شيء، « لا- إله إلا- هو الحي القيوم، لا تأخذه سنه و لا نوم » « يطعم ولا يطعم »، لا يستوحش من وحدته ولا- يأنس بشيء، و هو الغنى عن كل شيء، لا- تُخلقه الدهور و الأزمان، و كيف تغيره الدهور و هو خالق الدهور و الأزمان، والليل و النهار، و الضوء و الظلمه، و السموات و الأرض، و ما فيها من أنواع الخلق، و البر و البحر و ما فيهما، و كل شيء حتى أو موات أو جماد؟ كان ربنا وحده لا شيء معه، ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته، و خلق العرش لا لحاجته إليه، فاستوى عليه كيف شاء و أراد، لا استقرار راحه، كما يستريح الخلق؛ وهو مدبر السموات و الأرضين و مدبر ما فيها و من في البر و البحر، لا- مدبر غيره، ولا- حافظ سواه، يرزقهم و يمرضهم و يعافهم و يميتهم و يحييهم؛ و الخلق كلهم عاجزون، الملائكة و النبيون و المرسلون و الخلق كلهم أجمعون، و هو القادر بقدره، و العالم بعلم أزلّ غير مُستفاد، و هو السميع بسمع، و المُبصر بَبَصِيرٍ، يعرف صفتها من نفسه، يا يبلغ كنهها أحد من خلقه، متكل بكلام، لا ب آله مخلوقه ك آله المخلوقين، لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه عليه السلام ؛

و كلُّ صفه وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله فهي صفة حقيقه لا مجازيه؛ و يعلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق، تكلم به تكليماً، و أنزله على رسوله صلى الله عليه و آله على لسان جبريل بعد ما سمعه جبريل منه، فنلاه جبريل على محمد، وتلاه محمد على أصحابه، و تلاه أصحابه على الأمه، ولم يصتر بتلاوه المخلوقين مخلوقاً، لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به، فهو غير مخلوق فبكل حال

متلّوا و محفوظاً و مكتوباً و مسموعاً؛

و من قال إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافّرٌ، حلالُ الدم بعد الاستتابه منه؛

و يعلم أن الإيمان قولٌ و عملٌ و نيّةٌ: قولٌ باللسان، و عملٌ بالأركان و الجوارح، و تصديقٌ به، يزيد و ينقص، يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية، و هو ذو أجزاء، فأرفع أجزائه لا إله إلا الله، و أدناها اماطه الأذى عن الطريق؛

و الحياءُ شُعبَةٌ من الإيمان، والصبرُ من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد؛ و الإنسان لا يدرى كيف هو مكتوب عند الله، ولا بماذا يخبئ له، و لذلك نقول إنه موء من إن شاء الله، و أرجو أن أكون موءمناً، ولا يضرّه الاستثناء و الرجاء، ولا يكون بهما شاكا ولا مُرئاباً، لأنه يريد بذلك ما هو مغيبٌ عنه من أمر آخرته و خاتمته؛

و كلُّ شيء يتقرَّبُ به إلى الله تعالى و يعمل لخالص وجهه من أنواع الطاعات فرائضها و سننها و نفاثلها فهو كَلِّه من الإيمان منسوب إليه، ولا يكون للإيمان نهايه أبداً، لأنه لا نهايه للفضائل و لا للمتوَع في الفرائض أبداً. و يجب أن نُحبَّ أصحاب النبي صلى الله عليه و آله كلَّهم، و نعلم أنهم خيرُ الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، و أن خيرَهم كلَّهم و أفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفَّان، ثم على بن أبى طالب، رضى الله عنهم، و نشهد للعشره بالجنه، و نترخَّم على أزواج رسول الله صلى الله عليه و آله ؛

و من سبَّ عائشه فلاحظ له في الإسلام، و لا نقول في معاويه إلا خيراً، و لا ندخل في شيء شجر بينهم، و نترخَّم على جماعتهم، قال الله تعالى: « و الذين جاءوا من بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان،

ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم(١)»، وقال فيهم « و نزعنا ما في صدورهم من غلٍّ، إخواناً على سُرُرٍ منقابلين(٢) » ولا- يكفّر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها، فإنه من تركها من غير عذر و هو صحيح فارغ، حتى يخرج وقت الإخرى فهو كافر، و إن لم يجدها، لقول النبي صلى الله عليه و آله : بين العبد و الكفر ترك الصلاة؛

فمن تركها فقد كفر، ولا يزال كافراً حتى ندم و يعيدها، فإن مات قبل أن يعيد لم يصلّ عليه و حُشِر مع فرعون و هامان و قارون و أبى بن خلف. و سائر الأعمال لا يكفّر بتركها، و إن كان يفسق حتى يجدها؛ ثم قال : هذا قول أهل السنه و الجماعه الذى من تمسك به كان على الحق المبين، و على منهج الدين و الطريق الواضح و رُجى به النجاه من النار و دخول الجنة إن شاء الله، و قال النبي صلى الله عليه و آله : الدينُ النصيحة، قيل : لمن يا رسول الله؟ قال : لله و لكتابه و لرسوله و لأئمه المسلمين و عامتهم؛ و قال عليه السلام : أيما عبد جاءته موعظه من الله تعالى فى دينه فإنها نعمه من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر، و إلا كانت حجه عليه من الله تعالى ليزداد بها إثماً و يزداد بها من الله سخطاً، جَعَلْنَا الله لآلائه شاكرين و لنعمائه ذاكرين و بالسنه معتصمين، و غَفَرَ لنا و لجميع المسلمين(٣)».

وكان تسامح المسلمين فى حياتهم مع اليهود و النصارى؛ و هو التسامح الذى بم يسمع بمثله فى العصور الوسطى سبباً فى أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، و هو علم مقارنه الملل؛ و لم تكن نشأه هذا

١- سورة الحشر، آيه ١٠ .

٢- سورة الحجر، آيه ٤٧ .

٣- المنتظم ص ١٩٥ ب ج ١٩٦ .

العلم من جانب المتكلمين؛ ذلك أن النوبختي، و هو مؤلف أول كتاب له شأن في الآراء و الديانات، كان من نَقَله كتب اليونان إلى لسان العرب(١).

و كذلك أَلَف المسعودي كتابين في الديانات(٢).

ولم يكن المسعودي متكلماً؛ ثم جاء المسبّحي المتوفى عام ٤٢٠ هـ ١٠٢٩ م، وكان ممن اشتغل في الدواوين، و من مؤلفاته كتاب دَرَك البغيه في وصف الأديان و العبادات، وهو كتاب مطول على طريقه المسبّحي، و يقع في ثلاثه آلاف و خمسمائه ورقه؛ و إذن فقد عنى هذا المؤلف الأديب العالم بالبحث في الأديان إلى جانب اشتغاله بأمور الدوله؛ و هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي يتصل بعلوم الدين من بين كتب المسبّحي؛ و مرجع عنايته بذلك إلى أن أسرته من حزان، و لذلك عنى بما كان يعنى به الصابئه(٣).

ثم أقبل على البحث في الملل بعض المتكلمين الميالين إلى معرفه ما غاب عنهم، فمن ذلك كتاب الملل و النحل، (وقد صار هذا الاسم شائعاً بين المؤلفين في هذا الباب) لأبى منصور البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ - ١٠٣٨ م(٤)؛ ثم جاء ابن حزم الأندلسى المتوفى عام ٤٥٦ هـ ١٠٦٤ م فألف كتاب الفصل في الملل و الأهواء و النحل، ورد فيه على مختلف المذاهب متحمساً في ذلك للدفاع عن الإسلام، و في أوائل القرن الخامس الهجرى ألف أبوالريحان البيرونى المتوفى عام ٤٤٠ هـ ١٠٤٨ م كتابه المسمّى « تحقيق ما للهند من مقوله مقبوله في العقل

-
- ١- الفهرست ص ١٧٧، مروج الذهب ج ١ ص ١٥٦ .
 - ٢- مروج الذهب ج ١ ص ٢٠٠ ج ٢٠١ .
 - ٣- المغرب لابن سعيد ص ٩٦ و ما بعدها .
 - ٤- طبقات السبكي ج ٣ ص ٢٣٩ .

أو مردوله»، و جعله كتابَ حكاية لمذاهب الهند على وجهها لا كتاب حجاج وجدل، ولذلك لم ينقاض الخصوم، ولم يتخرج من حكاية كلامهم، و إن باين الحق^(١)، فكان هذا الكتاب كتاب بحث علمي نزيه. و مما ينبغي أن نلاحظه أن عقيدة موءرخى النحل كانت فى الغالب موضعاً لشكوك الشاكين و طعنهم؛ وقد نقل ياقوت^(٢) عن صاحب تاريخ خوارزم ما اتهم به الشهرستانى^(٣) من التخبُّط فى الاعتقاد، و الميل إلى الإلحاد لأنه ج فى زعم موءرخ خوارزم ج مع وفور فضله و كمال عقله أعرض عن نور الشريعة و اشتغل بظلمات الفلسفه، ولم يكن فى مجالس وعظه « قال الله » ولا « قال رسول الله صلى الله عليه و آله » و لا جوابً من المسائل الشرعيه^(٤).

-
- ١- كتاب الهند للبيرونى طبعه سخاو ص ٤ .
 - ٢- معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٣ من الطبعه الأوربيه، و انظر Goldziher, SWA, ٧٣, S. ٥٢٢.
 - ٣- المتوفى عام ٥٤٨هـ و هو صاحب الكتاب المشهور المسمى الملل و النحل .
 - ٤- و كتاب اشهرستانى المشهور، أعنى كتاب الملل و النحل، خير ما يذكر فى باب علم مقارنة الملل و تاريخها و أصولها عند المسلمين. (المترجم) .

تعليقات الفصل الثالث عشر

[*١] يدلنا تقدم متكلمي الشيعة كعيسى (١) بن روضه التابعى مولى بنى هاشم صاحب المنصور (و هو اول من صنف فى علم الكلام و له كتاب فى الامامه) المتقدم على عمرو بن عبيد و على واصل بن عطا (روؤس المعتزله) و مثل ابى هاشم بن محمد بن على بن ابيطالب عليه السلام (الامام فى علم الكلام بالاتفاق) و كميث بن زيد (٢) عده إلجاحظ اول من ناظر فى التشيع، و قال: اقام فيه الحجج و لولاه لما عرفوا وجوه الاحتجاج، و يرى صاحب تأسيس (٣) الشيعة ان الفضل و التقدم لابي ذر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله فتشيع بسببه جماعه كثيره فى الشام و فى جبل عامل (لما اخرج فى زمن الخليفه عثمان إلى الشام) يدلنا ما ذكرنا على عدم تحقيق للمصنف ولا يبقئ ثقه بما اورده هنا، و كم للشيعة فى العلوم الاسلاميه لا سيما علم الكلام من علماء و محققين و باحثين و مؤلفين، فمن مشاهيرهم على بن اسماعيل (٤) بن ميثم التمار (فعن ابن اسحاق فى الفهرست) هو اول من تكلم فى مذهب الاماميه، و ان كان فيه نظر، و له مناظرات فى الامامه مع ابى الهذيل، بل التقدم (٥) لاثنى عشر من الصحابه الذين انكروا على ابى بكر تقدمه على

١- تأسيس الشيعة ص ٣٥٠.

٢- تأسيس الشيعة ص ٣٥١.

٣- تأسيس الشيعة ص ٣٥١.

٤- تأسيس الشيعة ص ٣٥٣، تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٧٠.

٥- تأسيس الشيعة ص ٣٥٣، تنقيح المقال ج ١ ص ١٩٨.

امير المؤمنين عليه السلام، احدهم خالد بن (١) سعيد بن العاص و هو اول من قام اليه، و منهم سلمان و ابوذر و المقداد و عمار، و من المشهورين فى التابعين صعصعه بن (٢) صوحان و ميثم (٣) التمار و سليم (٤) بن قيس و الحارث (٥) الاعور الهمداني و اصبح (٦) بن نباته، و فى اصحاب الأئمة السجاد و الباقر و الصادق عليهم السلام من المتكلمين ابو جعفر (٧) مؤمن الطاق، له فى ذلك كتب متعددة و قيس الماصر و له مناظره بحضور ابى عبدالله الصادق عليه السالم مع شامى فى حديث طويل، و منهم فضال (٨) بن الحسن بن فضال الكوفى ناظر ابا حنيفة و قطعه، و منهم هشام (٩) بن سالم، و اشهر من اولئك هشام (١٠) بن الحكم و بلغ من مرتبه و علوه انه لما دخل على ابى عبدالله الصادق عليه السلام بمنى و هو غلام اول ما اختط عارضه قدمه و رفعه الامام على شيوخ الشيعة، و قال عليه السلام لما رأى ان ذلك كبر على اصحابه، هذا ناصرنا بقلبه و لسانه و يده (١١) و ناظر هشام بن الحكم اهل الفرق و المقالات بالكوفة و البصره و بغداد و لم يبق احد منهم إلا افحمه و له كتب متعددة فى

١- تأسيس الشيعة ٣٥٣ الى ٣٥٥، تنقيح المقال ج ١ ص ٣٩١.

٢- تأسيس الشيعة ٣٥٥، تنقيح المقال ج ١ ص ٩٨-٩٩.

٣- تأسيس الشيعة ٣٥٥-٣٥٦، تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٦٢-٢٦٣.

٤- تأسيس الشيعة ٣٥٧، تنقيح المقال ج ٢ ص ٥٢-٥٤.

٥- تأسيس الشيعة ص ٣٥٧، تنقيح المقال ج ١ ص ٢٤٥.

٦- تأسيس الشيعة ص ٣٥٨، تنقيح المقال ج ١ ص ١٥٠.

٧- تأسيس الشيعة ص ٣٥٨، تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦٠-١٦٣.

٨- تأسيس الشيعة ص ٣٥٩، تنقيح المقال ج ٢ ص ٥.

٩- تأسيس الشيعة ج ٣٦٠، تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠١-٣٠٢.

١٠- تأسيس الشيعة ص ٣٦٠-٣٦٢، تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٤ الى ٣٠١.

١١- و للمولى صدر الدين الشيرازى المعروف بملاصدرا أو هام حول بعض ما يتعلق بهذه الحكاياه نبه عليها المحدث النورى فى المستدرک ج ٣ ص ٤٢٤ و ٢٠-٢ ص ٢٤٥-٢٤٧ من اراد راجعه.

الكلام والرودود و مناظرته (١) فى مجلس يحيى بن خالد بن برمك و هارون يسمع من وراء الستر مع اهل المقالات والفرق معروفه، فغضب هارون، و خرج هشام إلى الكوفه و مات هناك خوفاً و فرقا.

و كذا مناظرته (٢) عمرو بن عبيد فى الامامه بمسجد البصره، و لما نقلها للامام الصادق عليه السلام بطلب منه عليه السلام، قال: هذا والله مكتوب فى صحب ابراهيم و موسى، أوردتها شارحاً لها العلامة المجلسى فى المرآت (٣) والمسعودى (٤) ناقلاً عن ابى عيسى محمد بن هارون الوراق بتغيير فى مواضع.

و فى آل (٥) نوبحث جماعه كثيره و اما الشيخ المفيد والسيد المرتضى فاشهر من ان يذكر ولست بصدد الاستقصاء فكيف لا يشار إلى هؤلاء الاعلام من المتكلمين والمناظرين والباحثين والمؤلفين.

ولكن العجب منه كيف نسب إلى هشام (٦) التجسم بل عبر عنه بشيخ المجسمه والرافضه فى وقته، و عد فى محكى (٧) الملل و النحل الهاشميه اصحاب هشام بن الحكم صاحب مقاله فى التشبيه و تبعهم فى ذلك بعض (٨) جهله الكتاب فى عصرنا، فصرح بكون

١- تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٥-٢٩٦، معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٧٦-٢٧٨.

٢- التنقيح ج ٣ ص ٢٩٧، مرآه العقول ج ٢ ص ٢٦٥-٢٦٨، معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٨٢-٢٨٣.

٣- مرآت العقول ج ٢ ص ٢٦٥ الى ٢٦٨.

٤- مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٥.

٥- تأسيس الشيعة ٣٦٢ إلى ٣٧٤، تنقيح المقال ج ١ ص ١٣٩-١٤٠-٣١١-٣١٢- ج ٣ ص ٢٥٥.

٦- مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٣.

٧- تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٠ و ما بعدها، معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٩١ و ما بعدها.

٨- بيان الاديان ص ٤٦٧.

هشام بن الحكم من اصول رجال التشبيه و انهم يعتقدون لله تعالى صوره و شمائل و مكاناً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و اعتماد هذا الكاتب على روايات (١) مختلقه كاذبه حالها و جوابها معلوم مذکور فى محله.

و هذا الكاتب قد غره بعض ما وجدته فى بعض الكتب فنسب إلى زراره بدعه و انه كان فطحياً و غفل أولم يرد التحقيق فيراجع كتب رجال الشيعة كخلاصه الأفعال للعلامه و رجال الكشي و ساير الكتب الرجاليه المؤلفه للشيعة قبل زمانه فيعرف مكانه زراره و الجواب عن ما قرفوه به، ففى احدى (٢) هذه الروايات مسنده إلى الصادق عليه السلام قوله (بشر المخبتين بالجنه بريد بن معاويه العجلي و ابو بصير ليث بن البخترى المرادى و محمد بن مسلم و زراره، أربعة نجباء امناء الله على حاله و حرامه. لولا هولاء انقطعت آثار النبوه و اندرست، و فى اخرى (٣) كذلك عنه عليه السلام زراره و ابوبصير و محمد بن مسلم و بريد من الذين قال الله تعالى و السابقون السابقون اولئك المقربون.

ذكل المامقانى قدس سره (٤) روايه ان زراره كان عامياً ثم اهتدى إلى الحق.

[*٢] هو صاحب كتاب قوت القلوب محمد بن عطيه الحارثى الجمى المكى نشأ بمكه و تزهد و سلك و لى الصوفيه و صنف و عظم، و كان صاحب رياضه و مجاهده، و قال ابن خلكان كان رجلاً صالحاً مجتهداً فى العباده، قال: و كان يستعمل الرياضه كثيراً حتى قيل انه هجر الطعام زماناً و اقتصر على أكل الحشائش المباحه فاخضر جلده من كثره تنهاولها و قدم بغداد فوعظ الناس و خلط فى كلامه فهجروه و تركوه. قال محمد بن طاهر

١- بيان الاديان تعليقات ٤٧٤.

٢- تنقيح المقال ج ١ ص ٤٣٩. روضه المتقين ج ١٤ ص ١١٩. معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٢٢٢.

٣- معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٢٢٢-٢٢٤.

٤- روضه المتقين ج ١٤ ص ١١٩-١٢٠.

المقدسى فى كتاب الأنساب حفظ من كلامه (أبى طالب) فى مجلس الوعظ انه قال ليس على المخلوقين اضر من الخالق فبعده الناس و هجروه(١).

[*٣] فى الشذرات الامام زين الدين حجه الاسلام أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى، أحد الأعلام تلمذ لامام الحرمين، ثم ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد و خرج له أصحاب و صنف التصانيف مع التصون والذكاء المفرط والاستبحار فى العلم، و بالجمله ما رأى الرجل مثل نفسه، أرخ وفاته سنه ٥٠٥ و ذكر عن الاستوى فى طبقاته، الغزالى امام باسمه تنشرح الصدور و تحيا النفوس و برسمه تفتخر المحابر و تهتز الطروس و بسماعه و تخشع الأصوات و تخضع الرؤوس، و أطال فى ترجمته إلى أن قال: و هو قطب الوجود و البركه الشامله لكل موجود و روح خلاصه أهل الايمان و الطريق الموصله إلى رضا الرحمن، يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق إلى آخره (ترهات تصدر من أمثال هؤلاء المصنفين و كلمات لا تقال إلا فى حق الأنبياء والمرسلين نعوذ بالله من قله العقل والحماقه والتعصب (٢).

و أفرط فى وصفه فى الروضات و قال: اما فضله فهو فوق أن يجرى عليه منا الاقلام و حسبه فى الفخر على ساير أفاخم الأعلام تسلم العامه والخاصه له لقب حجه الاسلام و أطال فى ترجمته و تشيعه و رجوعه و منعه من لعن يزيد بل جوز الترحم له(٣).

كما أطال فى ترجمته القاضى رحمه الله فى مجالس المؤمنين (٤).

[*٤] هو محمد بن خفيف أبو عبد الله الشيرازى شيخ اقليم فارس و صاحب الأحوال

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٠-١٢١.

٢- شذرات الذهب ج ٤ ص ١٠-١٢.

٣- روضات الجنات ج ٨ ص ٣-١٢.

٤- مجالس المؤمنين ج ٢ ص ١٩١-٢٠١.

والمقامات، و عن السلمى هو اليوم شيخ المشايخ و تاريخ الزمان، إلى، و عن السبكي شيخ المشايخ و ذو القدم الراسخ فى العلم والدين، كان سيداً جليلاً و اماماً حفيلاً، يستمطر الغيث بدعائه و يؤدب المصر بكلامه عن اغوائه إلى آخره. (١)

[٥*] له و لغيره من امثاله ترهات كثيره لا يغتر بها إلا جاهل مخدوع، واشتبه الامر على القاضى نور الله قدس سره (٢) حيث عد ذنبه الذى قتل عليه انتسابه إلى الشيعة واعتقاده بالمهدى عجل الله فرجه، والثوره ضد العباسيين (حيث اجمع علماء بغداد على هدر دمه، و امر المقتدر بتسليمه إلى صاحب الشرطه ليضربه الف سوط. فان مات والا يضر به حتى يموت الفاً آخر ثم يضر به عنقه.

فتسلمه الشرطى و ضربه الف سوط فلم يتأوه و قطع اطرافه ثم حز رأسه، و احرق جثته و نصب رأسه على الجسر، و ناقش (٣) المامقانى قدس سره فى ما اوجب اجماع اهل بغداد، و نقل عن الفهرست انه كان رجلاً محتالاً مشعبداً يتعاطى مذهب الصوفيه يتحلى الفاظهم و يدعى كل علم و كان صفرأً من ذلك و يدعى عند أصحابه الاليهيه، و يقول بالحلول و يظهر مذهب الشيعة للملوك و مذاهب الصوفيه للعامه، و فى تضاعيف ذلك يدعى ان الاليهيه قد حلت فيه و انه هو، و لما قبض سلم إلى ابى الحسن على بن عيسى فناظره فوجده صفرأً من القرآن و علومه و من الفقه و الحديث و الشعر و علوم العرب، فقال له على بن عيسى تعلمك لظهورك و فروضك اجدى عليك من رسائل لا تدرى انت ما تقول فيها، كم تكتب و يلك إلى الناس، ينزل ذوا النور الشعشانى الذى يلمع بعد شعشعته، ما احوجك إلى ادب.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٧٦-٧٧.

٢- مجالس المؤمنين ج ٢ ص ٣٦-٣٩.

٣- تنقيح المقال ج ١ ص ٣٤٦-٣٤٧.

و ذكره الشيخ الطوسي قدس سره (١) في عداد المذمومين الذين ادعوا البايه والسقاره (اي لصاحب الزمان عجل الله فرجه) كذباً و افتراء، وورد التوقيع بلعنهم والبرائه منهم، و تعرض له المجلسي قدس سره (٢) في البحار و صابح الاحتجاج (٣) واورد صاحب بيان (٤) الاديان قسماً من حيله و شعبذاته و اشار اليه في المعجم (٥) باختصار.

و في الروضات (٦) بعد أن نقل عن الوفيات: ان جده كان مجوسياً، قال: و يا ليته كان على دين جده، و أطال في ترجمته، و نقل أقوال المدافعين و الثاقدين و قسماً من ترهات الصوفيه خذلهم الله و روايات كاذبته و بعض ما ورد من الروايات المعتمره في ذمهم و لزومه انكارهم.

و في الشذرات (٧) عن العبر فيها (سنه ٣٠١ ادخل الحلاج بغداد مشهوراً على جمل و علق مصلوباً، الي، ثم حبس و ظهر انه ادعى الاليه و صرح بحلول اللاهوت في الاشراف و كانت مكاتباته تنبىء بذلك فاستمال أهل الحبس باظهار السنه فصاروا يتبركون به.

[*٦] هو جنيد (٨) بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري البغدادي، اصله من نهاوند و مولده و منشأه العراق. كان فقيهاً على مذهب ابي ثور الشافعي او سفيان الثوري. و من كلامه (على ما ذكره القشيري) الطرق كلها مسدوده على الخلق إلا على من اقتفى اثر

١- الغيبه للشيخ الطوسي ٢٥٨-٢٦١.

٢- البحار ج ٥١ ص ٣٦٧ و ٣٦٩-٣٧١ إلى ٣٨١.

٣- الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠.

٤- بيان الاديان ٦٣ إلى ٦٦.

٥- معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٩٦.

٦- روضات الجنات ج ٣ ص ١٠٧-١٥٠.

٧- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٣.

٨- روضات الجنات ج ٢ ص ٢٤٧-٢٤٩-٢٥٠.

الرسول صلى الله عليه و آله.

و قال قد مشى رجال باليقين على الماء و مات بالعطش افضل منهم يقيناً.

توفى سنة ٢٩٧ و دفن ببغداد فى المقبره الشونيزيه، يعنى بها مقابر قريش المعروفه الآن بالكاظمين عليهما السلام.

لكن فى الشذرات (١) ذكر وفاته سنة ٢٩٨ و عبر عنه بشيخ الصوفيه، تاج العارفين أبو القاسم، الجنيد بن محمد القواريرى الخزاز، و قال صحب خاله السرى والمحاسبى و غيرهما من الجله، و ذكر عن الكعبى المعتزلى لى بعض الصوفيه، رأيت لكم ببغداد شيخاً يقال له الجنيد، ما رأيت عينى مثله، كان الكتبه يحضرونه لألفاظه و الفلاسفه لدقه كلامه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه و كلامه، ناء عن فهمهم، و عن بعضهم، لو أرسلنا عنان القلم لسودنا أسفارنا من مناقبه. أقول: نعوذ بالله من الغلو.

[٧*] هذا اصطلاحنا عليه بالوجوده و فى جواز الاتكال عليها خلاف بين اهل الحديث.

[٨*] هو الحافظ البارع أبو سعيد (٢) بن يونس و هو عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى (بفتحتين وفاء) نسبه إلى الصدف بكسر الدال المهمله (قبيله من حمير) المصرى صاحب تاريخ مصر، و قال ابن ناصر الدين: كان من الأئمه الحفاظ والاثبات والايقاز، و بذلك ظهر ان الصدفى فى المتن غلط و الصحيح الصدفى.

[٩*] الظاهر ان مراده به هو (٣) محمد بن اسحاق بن محمد بن منده ابو عبدالله الاصفهانى احد الحفاظ المكثرين والمحدثين والجوالين من بيت الحديث والفضل.

صنف التاريخ والشيوخ.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٨-٢٣٠

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٥.

٣- الوافى بالوفيات ج ٢ ص ١٩٠-١٩١.

قال كتبت عن الف شيخ.

قال الشيخ شمس الدين: بقى ابن منده فى الرحله نيفاً و ثلاثين سته: توفى سنه ٣٩٦ و محمد بن منده ابو عبدالله (١) هو محمد بن يحيى بن منده العبدى الحافظ صاحب كتاب تاريخ اصبهان احد الحفاظ الثقات توفى ٣٠١ و هو (محمد بن اسحاق) جد ابى (٢) زكريا يحيى بن عبدالوهاب من الحفاظ المشهورين و احد اصحاب الحديث المبرزين وفاته ٥١٢ باصفهان محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث.

و فى الشذرات (٣) ذكر وفات أبى عبدالله بن منده الحافظ العلم، محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى العبدى الاصفهاني الجوال صاحب التصانيف سنه ٣٩٥. قال طوف لدنيا و جمع و كتب ما لا ينحصر، وسمع من ألف و سبعماته شيخ، و عن شيخ الاسلام الأنصارى، أبو عبدالله بن منده سيد أهل زمانه (عن العبر) و عن ابن ناصر الدين أبو عبدالله الامام أحد شيوخ الاسلام و هو امام حافظ جبل من الجبال، و عن ابن خلكان هو الحافظ المشهور صاحب كتاب تاريخ اصبهان، و كان أحد الحفاظ الثقات.

[*١٠] هو جبريل (٤) بن الفضل بن مجاع. ابو حاتم السمرقندى ورد بغداد حاجاً سنه ٢٩٢ حدث عن غير واحد (سماهم الخطيب) و كان ثقه عاش جبريل إلى سنه ٣٠٦.

اقول: لا ينافى تاريخ وفاته ما ذكر فى المتن.

١- وفيات الاعيان ج ٢ ص ٦٢.

٢- وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٦٦-٣٦٧.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٦.

٤- تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٦٤-٢٦٥.

[*١١] هو الحافظ (١) القراب اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن عبدالرحمن، ابو يعقوب السرخسى ثم الهروى القراب (بالقال و الرء المشدده) الامام الجليل، محدث هراه، له مصنفات كثيره و شيوخه تزيد على /١٢٠٠ شيخ و له تاريخ السنين و كتب اخر توفى ٤٢٩.

وزاد فى الشذرات (٢)، كان زاهداً صالحاً مقللاً من الدنيا.

[*١٢] هو أبوالفرج على بن الحسين الأموى الاصبهانى الكاتب الأخبارى، كان أدبياً نسابه علامه شاعراً كثير التصانيف. و من العجائب انه مروانى بتشيع. و عن ابن خلكان جده مروان بن محمد آخر خلفاء بنى اميه. و روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم. و كان عالماً بأيام الناس والانساب والسير. قال التنوخى: و من المتشيعين الذين شاهدناهم أبوالفرج الاصبهانى، الى، يقا انه جمعه (كتاب الأغانى) فى خمسين سنه و حمله إلى سيف الدوله بن حمدان، فأعطاه ألف دينار و اعتذر اليه، و حكى عن الصاحب بن عباد انه كان من اسفاره يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إلى كتاب الأغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها. (٣)

و وصفه فى الروضات بالشيخ المتفنن الجليل و الحبر المتتبع النبيل، و ذكر عن العلامة الحلى رحمه الله عدده شيعياً زيدياً و كذا صاحب الأمل عدده من علماء الشيعة. و قال هو كان شيعياً خبيراً بالأغانى و الآثار والأحاديث المشهوره والمغازى و علم الجوارح و البيطره

١- الوافى بالوفيات ج ٨ ص ٣٩٤.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٤.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٩-٢٠.

والطب والنجوم والأشربة و ذكر عن ابن عباد ما سبق عن الشذرات (١).

[١٣*] هو الحافظ (٢) ابوبكر بن الحافظ ابى داود السجستاني محدث العراق وابن محدثها ولد بسجستان سنه ٢٣٠ و رحل به ابوه، وطوف به البلاد شرقاً و غرباً، و استوطن بغداد و صنف السنن و المسند والتفاسير والقراءآت والناسخ والمنسوخ و غير ذلك، و غن الخطيب انه سمع الحسن بن محمد بن الحافظ الخلال، يقول كان ابوبكر بن ابى داود احفظ من أبيه، قال فى النجوم و ابوه ابو داود و هو صاحب السنن احد الكتسب السنه، و عن الذهبى يذكر وفاته فى هذه افسنه سنه ٣١٦ كصاحب النجوم و له ٨٦ سنه.

و فى الشذرات (٣) حدث باصبهان من حفظه بثلاثين ألف حديث. و ذكر عن ابن شاهين انه كان ابن أبى داود يملى علينا من حفظه، و كان يقعد على المنبر بعد ما عمى، و يقعد تحته بدرجه ابنه أبو معمر و بيده كتاب. يقول له: حديث كذا، فيسرد من حفظه حتى يأتى على المجلس، و عن المغنى عبدالله بن سليمان السجستاني ثقه، كذبه أبوه فى غير حديث. و فى الروضات (٤) ذكره ذيل ترجمه أبيه. و قال من أكابر الحفاظ ببغداد عالماً متفقاً عليه. امام بن امام وله كتاب المصايح و شارك أباه فى شيوخه بمصر و الشام.

[١٤*] هو الحافظ (٥) احمد بن محمد بن سعيد بن عبدالرحمن مولى عبدالرحمن بن سعيد ابن قيس السبيعي الهمداني.

- ١- روضات الجنات ج ٥ ص ٢٢٠-٢٢١.
- ٢- النجوم الزاهره ج ٣ ص ٢٢١-٢٢٢.
- ٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٣.
- ٤- روضات الجنات ج ٤ ص ٨٠.
- ٥- فهرست الشيخ ٢٨. رجال الشيخ ٤٤٢، تنقيح المقال ج ١ ص ٨٥-٨٦، سفينه البحار ج ٢ ص ٢١١، روضات الجنات ج ١ ص ٢٠٨، تأسيس الشيعة ٢٥٦، معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٧٤ و مابعده.

امره فى الثقة والجلاله و عظم الحفظ اشهر من ان يذكر، كان زيدياً جارودياً و على ذلك مات.

له كتب كثيره منها كتاب السنن و هو عظيم.

قيل انه بهيمه لم يجتمع لاحد، و قد جمعه هو، قال الشيخ الطوسى سمعت جماعه يحكون انه قال احفظ مائة و عشرين الف حديث باسانيدها و اذا كر بثلمائة الف.

[١٥*] ذكر فى الشذرات (١)، توفى الحافظ ابوبكر الجعابى محمد بن عمر بن احمد بن سلم التميمى البغدادى سنه ٣٥٥ إلى و كان مكثراً و ذكر عن القاضى ابى عمر الهاشمى أنه سمع الجعابى يقول احفظ /٤٠٠ الف حديث و اذا كر /٦٠٠ الف.

[١٦*] عن المسبحى (٢) انه ذكر عن حفظه اشياء و كان معه درج طويل طوله ٨٧ ذراعاً مملوء الوجهين فيه اوائل ما يحفظه، و كان يحفظ سبع عشره الف ارجوزه و عشره آلاف بيت من الهجاء، و مثلها فى الغزل، و مثلها فى التشبيهات، و مثلها فى التهانى و غير ذلك (اقول لقد اتعبنى البحث والفحص عن حاله لم اجد ذكر حاله إلا فى كتاب سكردان السلطان للامام العارف شهاب الدين التلمسانى).

[١٧*] هو الحافظ (٣) احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمدانى .

كان من اجلاء شعراء الاماميه و كتابهم.

صاحب المقالات الرائعه والمقالات الفائقه، صلب الصاحب بن عباد و صار من خواصه و ندمائه.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧.

٢- سكردان السلطان بهاش المخلاه للشيخ البهائى قدس سره طبعه المطبعه اليمنيه ١٣١٧.

٣- روضات الجنات ج ١ ص ٢٣٨-٢٣٩، سفينه البحار ج ١ ص ٦٤ رياض العلماء ج ١ ص ٣٦-٣٧-٣٨.

توفى سنة ٣٩٨، و نقل انه قتل بالسم، و قيل انه صار مسكوتاً فعجل في دفنه، و لما افاق سمعوا صراخاً منه بالليل من تحت الرس فنبشوا قبره فوجدوه قابضاً على لحيته و قد مات من هول القبر.

[١٨*] في الشذرات (١) فيها (أى سنة ٤٦٣ ماتت) كريمه بنت أحمد بن محمد بن حاتم ام الكرام المرزويه المجاوره بمكه روت الصحيح عن الكشميهنى و روت عن زاهر السرخسى و كانت تضبط كتابها و تقابل بنسخها. لها فهم و نباهه و ما تزوجته قط، و عن العبر، قيل: انها بلغت المائة.

[١٩*] كان المصنف لم يسمع باسم الشيعة او لا يرى تبعاً لاصحاب كثير بل اكثر مصادره لهم علماً و لا يقيم لهم وزناً.

اوليس المحدث الا-كبر ثقه الاسلام محمد بن يعقوب الكلينى مؤلف كتاب الكافى من محدثى القرن الرابع، و من اكثرهم حديثاً، و اكبرهم شأنًا حتى جعلوه (٢) و عدوه مجدد المذهب على رأس المائة الثالثه، اوليس الشيخ الصدوق محمد بن على بن موسى بن بابويه القمى من علماء ذاك القرن و محدثيهم، توفى الاول سنة ٣٢٩، والثانى ٣٨١ يقول فى حقه الشيخ (٣) الطوسى قدس سره: كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للاخبار لم ير فى القميين مثله فى حفظه و كثره علمه، له نحو من ثلاثمائه مصنف و عد منها كتاب مدينه العلم، و قال: اكبر من كتاب من لا يحضره الفقيه.

[٢٠*] تقدمت ترجمته. تعليقات الفصل الثانى عشر (٣٠).

[٢١*] تقدمت ترجمته، تعليقات الفصل الثانى عشر (٢٤).

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣١٤.

٢- تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٠٢ روضات الجنات ج ٦ ص ١١٠-١١١.

٣- فهرست الشيخ الطوسى ١٥٦-١٥٧.

[*٢٢] و خلف الصدوق فى ذاك القرن شيخ الطائفة الشيخ محمد بن الحسن الطوسى قدس سره. له مصنفات كثيره فى الاحاديث و الفقه و الاصول و العقائد و الكلام و الرجال و الادعيه و المقتل و التفسير.

[*٢٣] تقدمت ترجمته. تعليقات الفصل الثانى عشر (١٢).

[*٢٤] فى الشذرات (١) و فيها (أى مات فى سنه ٣٩١) جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الفرات. أبوالفضل ابن حنزابه البغدادي. وزير الديار المصريه و ابن وزير المقتدر أبى الفتح، قال: و كان صاحب حديث. قال الحافظ السلفى، كان ابن حنزابه من الحفاظ الثقاة، يملى فى حال وزارته و لا يختار على العلم و أهله شيئاً، و حنزابه بكسر الحاء المهمله و سكون النون و فتح الزاى و بعد الألف موحده ثم هاء الساكنه هى ام أبيه الفضل بن جعفر بمعنى المرأه القصيره الغليظه.

[*٢٥] لم اعثر على من (٢) اسمه يحيى و ابوه كتان على رغم الفحص المتعب و اكاد اظن الاشتباه فى اسم ابيه فى اصل كتاب او ترجمه بالانجليزيه و تبديل القطان بالكتان فان يحيى بن سعد الكتان وفاته ١٩٨ و كان من المعروفين من العلماء بل عدوه اماماً، و فى التهذيب، اتفقوا على امامته و جلالته و وفور حفظه و لمه و صلاحه، قال ابو زرعه و هو من الثقاه الحفاظ، و عن بعضهم هو الذى عقد لاهل العراق رسم الحديث و الفن فى البحث عن الثقاة و ترك الضعفاء.

[*٢٦] هو الامام الحبر أبو عبدالله محمد بن سعد الحافظ كاتب الواقدي و صاحب الطبقات و التاريخ، قال أبو حاتم صدوقريال قال ابن الاهدل، قيل انه مكث ستين سنه يصوم يوماً

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٥-١٣٦، و ذكر وفاته سنه ٣٩١ فى الكامل ج ١٠ ص ٥٥٠.

٢- تهذيب الاسماء ج ٢ ص ١٥٥-١٥٤ و ذكره اليعقوبى ج ٣ ص ١٧٩ و صاحب الكامل ج ٧ ص ١٤٧.

و يفطر يوماً (١).

[٢٧*] و عن الشذرات (٢) ان وفاته ٤٠٥.

[٢٨*] عبر عنه في الروضات (٣) بأوحد المجتهدين، سيف المناظرين، فريد المتكلمين، حبر الامه، قدوه الأئمه، حجه الفضلاء، قاضى القضاء، أبو الحسن، على بن عبد الكافى بن على بن تمام الأنصارى الخزرجى المصرى السبكى الشافعى الأشعرى، المفسر المقرى، المحدث الاصولى، الفقيه المنطقى الخلافى النحوى اللغوى، الملقب تقى الدين السبكى، و نقل عن تلميذه صلاح الدين الصفدى له مدحاً بليغاً منها كتاب رداً على ابن تيميه.

و فى الشذرات (٤) أرخ وفاته لسنه ٧٥٦ و نقل عن السيوطى انه برع فى الفنون و تخرج به خلق فى أنواع العلوم، و أقر له الفضلاء، و ولى قضاء الشام بعد الجلال القزوينى فباشره بعفه و نراهه غير ملتفت الى الأكابر و الملوك، إلى، و صنف نحو ١٥٠ كتاب مطولاً و مختصراً الخ.

[٢٩*] الف الحافظ (٥) ابن عقده المتقدم ذكره كتاب اسماء الرجال الذين رووا عن الصادق عليه السلام اربعة آلاف رجل، و اخرج لكل رجل الحديث الذى رواه (لعل المراد من الذين رووا حديثاً واحداً و من غيرهم واحداً من احاديثهم) و لعله مراد الشيخ فى الفهرست حيث عد من كتبه كتاب الرجال و قال هو كتاب من روى عن جعفر بن

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٦٩.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٦.

٣- روضات الجنات ج ٥ ص ٢٩٤-٣٠٠.

٤- شذرات الذهب ج ٦ ص ١٨٠-١٨١.

٥- تأسيس الشيعه ٢٥٦ الفهرست ٢٨.

محمد عليه السلام.

[* ٣٠] فى الروضات (١) عند ترجمه ابى اسحق ابراهيم بن احمد بن اسحق المروزى الفقيه الشافعى، قال: كان و ممن اخذ منه الفقه و صار كمثلته بارعاً فيه هو القاضى ابو حامد احمد بن عامر بن بشير المروودى الشافعى الفقيه، و عد له بعض الكتب، وقال و قد نزل هو البصره و درس بها، و عنه اخذ فقهاؤها، و توفى ٣٦٢، و ذكره فى الوافى (٢): احمد بن بشر بن عامر ابو حامد.

و فى الشذرات (٣) عنونه بعالم البصره، أبو حامد المروزى (بفتح الميم والواو الاولى و ضم الراء الثانیه المشدده آخره معجمه، أحمد بن عامر بن بشر الشافعى، صاحب التصانيف، قال: و كان اماماً لا يشق غباره، تفقه به أهل البصره الخ.

[* ٣١] الكرايسى لقب جماعه منهم صاحب (٤) الامام الشافعى المتوفى ٢٤٨/ و هو ابو على (٥) الحسين بن على بن يزيد مات سنه ٢٤٥ او ٢٤٨ و منهم محمد بن (٦) بشر الكرايسى مات سنه ٣٧٨ (و صفه صاحب الشذرات بالبصرى ثم النيسابورى الكرايسى و قال: كان ثقه صالحاً) و منهم (٧) ابو محمد ابن ابى بكر الكرايسى النيسابورى من فقهاء ابى محمد البانى مات فى النصف الثانى من القرن الرابع و منهم

١- روضات الجنات ج ١، ص ١٦٩.

٢- الوافى بالوفيات ج ٧ ص ١٠.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠.

٤- تهذيب الاسماء ج ٢ ص ٢٨٤.

٥- الوافى بالوفيات ج ١٢ ص ٤٣١ طبقات الشافعيه ج ١ ص ٢٦ لابی بكر بن هدايه الحسينى طبع بيروت ١٩٧١.

٦- شذرات الذهب ج ٣ ص ٩٢.

٧- طبقات الشافعيه ج ١ ص ١١٣.

ابو احمد (١) الحاكم محمد بن محمد بن احمد النيسابورى المعروف بابى احمد الحاكم.

قال الذهبى هو الامام الحافظ صاحب التصانيف المشهوره، عمى قبل موته بستين توفى سنه ٣٧٨ و منهم محمد بن (٢) الحسن الكرايسى عدده فى طبقات الفقهاء الشافعيه من الطبقة الثالثه و منهم محمد (٣) بن شيرويه ابو سعيد الكرايسى المروزى، وفاته سنه ٣٧٨ و منهم ابو حفص (٤) الكرايسى و منهم ابن (٥) حسين محمد و منهم احمد بن (٦) الوليد مات سنه ٢٥٩ و منهم احمد بن (٧) محمد بن الفضل ابو سعيد المروزى الفقيه قدم بغداد حاجاً سنه ٣٨٣ والمذكور فى المتن اما ابو احمد والظاهر هو الاول وانكان الثانى غير بعيد.

ثم انه ولا- يخفى (٨) تقدم علمائنا فى هذا الشأن، فاول من صنف فى هذا الشأن ابو محمد عبدالله بن جبله بن حيان ابن ابحر الكنانى، صنف كتاب الرجال كما عن النجاشى، قال السيد حسن الصدر (٩) لم اعثر على من تقدمه فى ذلك، مات سنه ٢١٩.

وقال السيوطى فى كتاب الاوائل، اول من تكلم فى الرجال شعبه و انت خير بان شعبه مات سنه ٢٦٠ فبعد الله متقدم عليه إلى آخر كلامه.

١- طبقات الشافعيه ج ١ ص ٤٢٠.

٢- طبقات الفقهاء الشافعيه طبعه ليدن ١٩٦٤ ص ٧٠.

٣- طبقات الشافعيه ج ٢ ص ٣٤٠.

٤- طبقات الفقهاء الشافعيه طبعه ليدن ١٩٦٤ ص ٧٠.

٥- طبقات الشافعيه ج ٣ ص ٢٨٢.

٦- تاريخ بغداد للخطيب ج ٥ ص ١٨٧.

٧- تاريخ بغداد للخطيب ج ٥ ص ٨٢.

٨- تأسيس الشيعة ص ٢٣٣.

٩- تأسيس الشيعة ص ٢٣٣.

[٣٢*] هو محمد بن (١) اسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمه من بنى المطلب يكنى ابا عبدالله و فى رجال الشيخ، يكنى ابابكر و بين انه مولى فاطمه بنت عتبه.

هو صاحب السيره عامى له محبه و ميل شديد كما عن الكشى الظاهر ان مراده محبته و ميله إلى إئمه أهل البيت عليهم السلام. و قال السيد الصدر (٢) بتشيعه و نص عليه الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر فى التقريب.

مات سنه ١٥١ و قيل ١٥٢ كما ذكر فى المروج موته /١٥٠ ذكره، الشيخ فى اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام و فى الموضوع الأول قال. عامى و قد تفرد اليعقوبى بذكره فى الفقهاء ج ٣ ص ١٠٣ تاريخ اليعقوبى.

[٣٢*] الزنجى اثنان والمذكور هنا هو اسماعيل بن محمد بن اسماعيل، و محمد (٣) بن اسماعيل بن زنجى ابو عبدالله الكاتب من عليه الكتاب و مشايخهم، معروف بجوده الخط، و له تصانيف، و كان من الانبار توفى سنه ٣٢٤، و اما اسماعيل (٤) فهو ابن محمد بن اسماعيل بن صالح ابوالقاسم المعروف بابن زنجى الكاتب، حدث عن غير واحد و عن ابى القاسم الازهرى انه قال فى حقه لا يسوى شيئاً توفى ٣٧٨.

[٣٤*] هو من (٥) عدول الصحابه او احد الصحابه العدول، راهب اصحاب محمد صلى الله عليه و آله كما عن الحاكم، من افاضل الصحابه و كبارهم مع صغر سنه مستجاب الدعوه كما عن

١- رجال الشيخ ١٣٥-٢٨١، مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥، معجم رجال الحديث ج ١٥ ص ٧٣-٧٤.

٢- تأسيس الشيعة ص ٢٣٣.

٣- الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٢١٠.

٤- تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٠٨، طبعه دارالكتاب العربى بيروت.

٥- الغدير ج ١١ ص ٥٣-٥٤.

الاستيعاب، و كان ثقه معروفاً كما عن ابن سعيد و ذكر عن ابن الجنيد دعائه فانكسيت له سحابه بالماء عن ما طلب من موكله شرابه ليتطهر به من الجنايه (أيام كان هو و أصحابه موقوفين بمرج عذراء) فامتنع فأخذ منها الذى احتاج اليه. وقالت عائشه لمعاويه: اما، والله، ان كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً و قالت لمعاويه قتلت حجراً و أصحابه، أما والله لقد بلغنى انه سيقتل بعذراء سبعة رجال.

و فى لفظ اناس (١) يغضب الله و اهل السماء لهم، و عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام يا اهل الكوفه سيقتل فيكم سبعة نفر هم نم خياركم بعذراء، مثلهم كمثل اصحاب الاخدود، و فى لفظ حجر بن عدى و اصحابه كاصحاب الاخدود، و ما نقموا منهم إلا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد و كان من (٢) الابدال من اصحاب على عليه السلام و من اصحاب الحسن سلام الله عليه قتله معاويه بترغيب زياد بن ابيه و شهاده ملفقه مزوره بغياً و عدواناً مع سته، تعرض لترجمته و ما يتعلق بقتله السيد المنقب الباحث مرتضى العسكرى و كذا العلامة الامينى الاول فى كتاب عبدالله (٣) بن سبا و الثانى فى الغدير (٤) و تعرض اليعقوبى (٥) والمسعودى (٦) لقتله و اصحابه.

١- الغدير ج ١١ ص ٥٤.

٢- رجال الشيخ ٣٨-٦٧، جامع الرواه ج ١ ص ١٨٠، معجم رجال الحديث ج ٤ ص ٢٣٧، تنقيح المقال ج ١ ص ٢٥٦-٢٥٧، أحاديث ام المؤمنين عايشه ٢٥٨ إلى ٢٦٠ سفينه البحار ج ١ ص ٢٢٣*٢٢٤، مجالس المؤمنين ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٤.

٣- عبدالله بن سبا ج ٢ ص ١٩٣ إلى ٢٢١.

٤- الغدير ج ١١ ص ٣٧ إلى ٦٠.

٥- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢١٨-٢١٩-٢٢٠.

٦- مروج الذهب ج ٣ ص ١٢-١٣.

[*٣٥] فى الشذرات (١) و فىها (أى مات سنه ٤٦٣) العلم الحافظ أبو عمر بن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمرى القرطبى أحد الأعلام و صاحب التصانيف، و يروى عن أبى القاسم البغوى، و لىس لأهل المغرب احفظ منه مع الثقه والدين والنزاهه و التبجر فى الفقه و العربيه والأخبار (عن العبر) و عن ابن خلكان امام عصره فى الحديث و الأثر و ما يتعلق بهما و تعرض لتأليفاته.

و فى الروضات (٢) صاحب كتاب الاستيعاب فى بيان ترجمه الآل والأصحاب، كان حافظ ديار المغرب، سنياً أشعرياً متعصباً ناصبياً بن قىل و يظهر من مطاوى كتابه (الاستيعاب) و اشارات بعض أعاضم الأصحاب، انه كان من جمله غرائب النصاب و عجائب المعاندين مع آل محمد صلى الله عليه و آله الأجله الأطياب نظير أبى محمد بن أعثم الكوفى المورخ المشهور، فقد نقل من شده نصبه و عداوته، انه يقول فى كتاب الفتوح بعد ايراده لأحاديث أصحابه هذه نهايه ما روته أهل السنه و الجماعه، ولا اكتب سائر الروايات حذراً من أن يقع بأيدي الشيعة فيقيمون بها حجه علينا أو اطلع على مضامينها أحد من العوام.

[*٣٦] قال فى النجوم (٣) الزاهره و فىها (أى سنه ٣٢٧ توفى عبدالرحمن (بن محمد) بن ادريس ابو محمد بن ابى حاتم الرازى الحافظ ابن الحافظ.

كان اماماً صنّف الجرح والتعديل.

قال احمد بن عبدالله النيسابورى: كنا عنده و هو يقرء علينا الجرح و التعديل الذيل صنّفه فدخل يوسف بن الحسين الرازى، فجلس، و قال يا ابا محمد ما هذا؟ فقال: الجرح

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣١٤-٣١٥.

٢- روضات الجنات ج ٨ ص ٢٢٢.

٣- النجوم الزاهره ج ٣ ص ٢٦٤-٢٦٥.

والتعديل، قال: و ما معناه؟ قال اظهر احوال العلماء من كان ثقه و من كان غير ثقه.

فقال له يوسف: اما استحييت من الله تعالى، تذكر أقواماً قد حطوا رواحلهم في الجنة او عند الله منذ مائة سنة او مائتى سنة تغتابهم.

فبكى عبدالرحمن، و قال: يا ابا يعقوب، والله لو طرق سمعى هذا الكلام قبل ان اصنفه ما صنفته والتعد وسقط الكتاب من يده، و لم يقرأ فى ذلك المجلس، و ذكر وفاته عن الذهبى أيضاً بعنوان عبدالرحمن بن ابى حاتم الرازى فى المحرم تلك السنه.

و ذكره فى الشذرات (١) بعنوان الحافظ العلم الثقه أبو محمد ابن الحافظ الجامع التميمى الرازى و عن أبى يعلى الخليلى، كان بحراً فى العلوم و معرفه الرجال. و قال و كان زاهراً يعد من الأبدال، و ذكر عن ابن الاهدل، انه قال يوماً من بينى ما تهدم من سور طبوس وضمن له عن الله الجنة، فصرف فيه رجل ألفاً، فكتب له رقعه بالضممان، فلما مات دفنت معه، فرجعت إلى ابن أبى حاتم، و قد كتب عليها قد وفينا عنك ولا تعد.

أقول: ما أقل عقل من يصدق هذا.

[*٣٧] هو احمد (٢) بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابى، ابو سليمان، من ولد زيد بن الخطاب، و عن ياقوت ان الثعالبي و ابا عبيد الهروى كانا معاصريه و تلميذيه، سمياه احمد و ابن البيع (الحامك) سماه حمداً، و سئل ابو سليمان (اى الخطابى) عن اسمه، فقال اسمى الذى سميت به حمد، لكن الناس كتبوه احمد فتركته عليه (ذكره السمعانى) و عنه كان (اى الخطابى) حجه صدوقاً و كان يتجر فى ملكه الحلال و ينفق على الصلحاء من اخوانه توفى ٣٣٨.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٨-٣٠٩.

٢- الوافى بالوفيات ج ٧ ص ٣١٧.

[٣٨*] تقدم الكلام فى ترجمه الحافظ النيسابورى.

[٣٩*] تقدم الكلام. تعليقات ١٢ (٣٠).

[٤٠*] ذكره فى الشذرات (١) بعنوان الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادى بن عبدالحميد بن عبدالهادى بن يوسف بن محمد بن قدامه المقدسى الجماعىلى الأصل الفقيه الحنبلى المقرئ الحافظ الناقد النحوى المتقن الجبل الراسخ، ذكر انه لازم الشيخ تقى الدين بن تيميه مده و قرء عليه قطعه من الأربعين فى اصول الدين للرازى، و أخذ عن الذهبى و غيره، و عن الذهبى انه اعتنى بالرجال و العلل و برع و تصدى للافاده و الاشتغال فى الحديث و القراءات و الفقه و الاصلين و النحو و له توسع فى العلوم و ذهن سيال، و عد ابن رجب فى طبقاته ما يزيد على سبعين مصنفاً يبلغ التام منها ما يزيد على ١٠٠ مجلد و ذكر وفاته سنة ٧٤٤. و فى الروضات (٢) وصفه ابن حجر المكى فى ما نقله عنه السيوطى بأحد الأذكياء و عن الصفدى لو عاش لكان اماماً.

[٤١*] هو (٣) ابوبكر احمد بن موسى بن مجاهد عده الطيبى فى شرح المصاييح مجدداً على رأس المأه الثالثه من القراء. ذكره فى الشذرات فقال: (٤).

و فيها (أى مات سنة ٣٢٤) ابن مجاهد مقرئ العراق، أبوبكر بن أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، و قال كان ثقه بصيراً بالقراءات و عللها عديم النظر.

[٤٢*] هو محمد (٥) بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ البغدادى، كان من

١- شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤١.

٢- روضات الجنات ج ٨ ص ٨٩.

٣- روضات الجنات ج ٦ ص ١١٠.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٢.

٥- وفيات الاعيان. باختصار منه ج ٢ ص ٦٥-٦٦.

مشاهير القراء و اعيانهم. و قيل انه كان كثير اللحن قليل العلم و تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرئها في المحراب، فانكرت عليه، و استحضره الوزير ابو على بن مقله الكاتب و اعتقله في داره اياماً. و نوظر يحضره جماعه ثم اقيم و ضرب سبع درر، فدعا و هو يضرب على الوزير بان يقطع الله يده، و ان يشئت شمله، فكان الام كذلك، و اعترف بزياده كلمات في آيات من القرآن و تبديلها كقوله تعالى تب يدا ابى لهب وقد تب.

و كان امامهم ملك يأخذ كل سفينه صالحه غصباً. و كالصوف المنفوش. فاليوم ننجيك يندائك إلى غير ذلك و تاب عن ذلك توفي ٣٢٨.

و وصفه بالشذرات (١) عن العبر بأحد أئمه الأءاء. و قال عنى بالقراءات أتم عناية و كان مجتهداً فيما فعل، و عن ابن خلكان: كان من مشاهير القراء و أعيانهم و كان ديناً و فيه سلامه صدر و فيه حمق، و قيل انه كان كثير اللحن قليل العلم و تفرد بقراءات شواذ، و ذكر زيادته عما تقدم من شواذ القراءات موارد اخر وانه تاب.

[٤٣*] في الشذرات (٢) و فيها (أى مات في سنه ٣٨٨) أبو الفرج الشنبوذى، محمد بن أحمد بن ابراهيم المقرى، غلام بن شنبوذ، و قال تصدر للاقراء و كان عارفاً بالتفسير و كان يقول احفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن. تكلم فيه الدار قطنى.

[٤٤*] ابوبكر العطار اثنان احدهما هو الحافظ محمد بن (٣) ابراهيم بن على بن ابراهيم. ابوبكر العطار الحافظ الاصبهانى، كان عظيم الشأن ببلده، عارفاً بالرجال و المتون، و هو اما ثقه توفي ٤٦٦، والثانى و هو المراد فى المقام محمد بن (٤) الحسن بن يعقوب بن

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٣-٣١٤.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٩.

٣- الوافى بالوفيات ج ١ ص ٣٥٥.

٤- الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٣٣٤-٣٣٨، روضات الجنات ج ٧ ص ٣٣٣-٣٣٤.

الحسن بن الحسين بن مقسم، ابوبكر العطار المقرئ و لم يكن له ما يعاب به إلا انه قره بحروف خالف فيها الاجماع.

و نقل عن ياقوت انه استخرج لها وجوهاً من اللغه و المعنى كقوله فلما استتياً سوا منه خلصوا نجياً. قال نجبا بالباء.

و استتابه السلطان بحضور الفقهاء فتاب و لم يرجع، و قيل انه لم ينزع عنها و كان يقرأ بها إلى ان مات، له تصانيف توفى ٣٥٤ و عن طبقات النحاه وفاته ٣٥٥.

[٤٥*] الكلام فى هذا الموضوع يرجع إلى تواتر القراءات السبع، و إلى جواز القرائه باى منها فى الصلاه و إلى عدم جواز القرائه بغيرها من العشر او الازيد، و إلى صحه ما ورد ان القرآن نزل على سبعة احرف، و حيث لا مجال للتفصيل فنشير إلى ما ذكره اجمالاً، اما تواتر القراءات (١) السبع ذهب اليه جمع من علماء السنه كجمع من علماء الشيعة، و التحقيق عدمه، و اما جواز القرائه (٢) باى منها فى الصلاه فلا اشكال فيه و اما عدم (٣) جوازها بغيرها فصريح غير واحد من علمائنا بالجواز اذا وافق القواعد، و اما ما ورد من النزول على سبعة احرف و حمل على القراءات السبع. قال فى غيث (٤) النفع فى القراءات السبع فى الفائده الاولى قبل الشروع فى المقصود. (تواتر عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، انه قال ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقراءوا ما تيسر منه إلى، و كان اولاً

١- الحدائق الناضره ج ٨ ص ٩٥ إلى ٩٩، جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩١-٢٩٩، البيان فى تفسير القرآن ١٦٥-١٨٢.

٢- الحدائق الناضره ج ٨ ص ٩٩ إلى ١٠٤، جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩١-٢٩٩، البيان فى تفسير القرآن ١٨٢-١٨٣.

٣- الحدائق الناضره ج ٨ ص ١٠٠ إلى ١٠٤، جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩١-٢٩٩، البيان فى تفسير القرآن ١٨٣.

٤- سراج القارى و بهامشه غيث النفع الطبعة الاولى ص ٤.

أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ان الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على حرف واحد، فقال أسئل الله معافاته و معونته و إن امتى لا تطيق ذلك. ثم اتاه الثانيه على حرفين. فقال له مثل ذلك. ثم اتاه الثالثه بثلاثه، فقال له مثل ذلك. ثم اتاه الرابعه. فقال ان الله يأمرك ان تقرء امتك القرآن على سبعة احرف، فأى حرف قرءوا عليه فقد اصابوا) فيرد عليه اشكالات(١):

الاول: فى صحته عن النبى صلى الله عليه و آله لتكذيبه صريحاً فى روايتنا، و ان ادعى تواتره عنه صلى الله عليه و آله بل فى ذيل ما يكذب السبعه قوله عليه السلام (لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد).

الثانى: على قرض التسليم. فى دلالتة و تنزيهه على القراءات السبع تأمل واضح للاختلاف فى معناه حتى إلى اربعين (٢) قولاً، اشهرها الحمل على القراءات اسبع على قول بعض العلماء.

نعم ورد فى رواياتنا نزول القرآن على سبعة (٣) احرف، تاره بلا تفسير و لا ذيل، و اخرى مع تذييله بقوله عليه السلام (٤) و أدنى ما للامام ان يفتى على سبعة وجوه، ثم قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب، والاول ضعيف الاسناد والثانى مضافاً إلى ضعف السند لا ربط له بالقراءات كما هو واضح، كما ورد عن (٥) الحاكم فى مستدرکه صحيحاً على شرط الشيخين عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه و آله نزل القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجراً و آمراً و حلالاً و حراماً و محكماً و متشابهاً و امثالها فاحلوا حلاله، و فى روايه

١- الحدائق الناضره ج ٨ ص ٩٥-١٠٤، جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩١-٢٩٢، البيان ص ١٩٣-٢١١.

٢- الحدائق الناضره ج ٨ ص ٩٥-١٠٤، جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩١-٢٩٩، البيان ص ١٩٥-٢١١.

٣- وسائل الشيعه ج ٤ الباب ٧٤ من ابواب القرآته فى الصلاه ح ٦.

٤- البحار ج ٩٢ باب ما جاء فى كيفية جمع القرآن ح ١٠-١١ ص ٤٩.

٥- آلاء الرحمن ج ١ ص ٣٠.

اخرى (١) مرسله عنه صلى الله عليه وآله عمرو زاجر و ترغيب و ترهيب و جدل و قصص و مثل، وورد على (٢) اربعة احرف و عشره (٣) احرف ايضاً.

الثالث مخالفه (٤) غير واحد منعلمائهم كالجزرى المقرئ فى النشر فى القراءات العشر فعنه (فكل ما وافق وجه نحوى و كان للرسم احتمالاً يحوى و صح اسناداً هو القرآن. فهذه الثلاثه الاركان) و نسبه إلى الحافظ ابى عمر و عثمان بن سعيد الدانى و للامام ابى محمد مكى بن ابى طالب و غيرهما).

و خلاصه القول انه لم يثبت ايه حجه على كنى القرائه الصحيحه هى هذه السبع من القراء السبعه المشهورين، و قد فصل القول فى ذلك العلامه المجلسى قدس سره فى البحار (٥) و علامه الخوئى فى البيان (٦) فليراجع.

ولابأس بايراد بعض ما اورده المجلسى قدس سره عن الجزرى فى النشر: قال (٧) بلغنا عن بعض من لاعلم له ان القراءات الصحيحه هى التى عن هؤلاء السبعه، و ان السبعه التى اشار اليها النبى صلى الله عليه وآله هى قرائه هؤلاء السبعه، بل غلب على كثير من الجهال ان القراءات الصحيحه هى التى فى الشاطبيه و التيسير و انها هى المشار اليها بقوله صلى الله عليه وآله انزل القرآن على سبعة احرف حتى ان بعضهم يطلق على ما لم يكن فى هذين الكتابين انه شاذ. ثم قال و انما أوقع هؤلاء فى الشبهه كونهم سمعوا انزل القرآن على سبعة احرف، و سمعوا القراءات

١- آلاء الرحمن ج ١ ص ٣٠.

٢- آلاء الرحمن ج ١ ص ٣١.

٣- آلاء الرحمن ج ١ ص ٣١.

٤- البيان ١١٩ إلى ١٣٥، سراج القارى و بهامشه غيث النف الطبعه الاولى ص ٤٠.

٥- بحار الانوار ج ٨ ص ٣٠٨ إلى ٣١٠ الطبع القديم.

٦- البيان ١١٩ إلى ١٣٥.

٧- بحار الانوار ج ٨ ص ٣٠٨ إلى ٣١٠ الطبع القديم.

السبعة، فظنوا ان هذه السبعة هي تلك المشار اليها، و لذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء خطأوه في ذلك، و قالوا الاقتصر على دون هذا العدد اوزاده او بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة. ثم نقل مثل هذا الكلام عن امامه ابى العباس المهدي انتهى ما اورده فى البحار بلفظه.

[٤٦*] ذكر فى الشذرات (١) فى حوادث سنة ١٠٠٤، فيها و قيل قبلها و قيل بعدها توفى فجأه الامام الحبر العلامظ أبو عمرو عامر بن شراحيل بن معبد الشعبى و هو من حمير و عداده فى همدان و نسب الى جبل باليمن نزله حسان بن عمرو الحميرى هو و ولده و دفن فيه فمن كان منهم بالكوفة قيل لهم شعبيون، قال: و كان نحيفاً ضئيلاً، و كان كاتب عبدالله بن مطيع العدوى و كاتب عبدالله بن يزيد الخطمى عامل ابن الزبير على الكوفة و كان مزاحماً. و قال أدركت خمسمائة من الصحابه أو أكثر، و عنه اذ دخل مع زياد على هند بنت النعمان فى ديرها و هى جالسه مع اختها عليهما ثياب سود، قال لها زياد حديثى عن ملككم و ما كنتم فيه و سئلهما الاجمال، قال أصبحنا و كل من رأيت عبد لنا و أمسينا و عدونا ممن يرحمنا.

و فى الروضات (٢) عن بعض المواضع انه لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام من عنده (حارث الهمداني) دخل عليه الشعبى الملعون الذى هو أحد فقهاء أهل السنه و رابع أربعه لم يؤمنوا بعلى عليه السلام فسأله عن حاله فشرح له حديث أمير المؤمنين عليه السالم و ما قال له، فقال الشعبى اما ان جبه لا ينفعك و بغضه لا يضرک.

[٤٧*] الامام أبو محمد اسماعيل بن عبدالرحمن أبى كريمه السدى الكوفى المفسر

١- شذرات الذهب ج ١ ص ١٢٧-١٢٨.

٢- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٣٩-٣٤٠.

المعروف المذكوره أفواله فى التبيان وغيره من التفاسير، كان من جمله المفسرين المشاهير و المحدثين النحارير نظر مجاهد و قتاده والكلبى و الشعبى و مقاتل و الجبائى و فى طبقاتهم أيضاً، و قد ذكره الشيخ الطوسى رحمه الله من جمله من روى عن الصادق عليه السالم من كتاب رجاله الا- ان لنا الى الان لم يثبت روايته منه ولا من امثاله المذكورين عن أحد من أهل البيت المعصومين، الى، و قد نقل عن شيخنا الطوسى فى كتاب التبيان عده ممن ذمت مذاهبه من المفسرين و عن ابن الحجر فى تقريبه وصفه بالأكبر قبال السدى الأصغر (و هو محمد بن مروان بن عبدالله بن اسماعيل السدى الكوفى) و كان متهماً بالكذب ريال ذكره و فياه الأول حدود سنه ١٢٨ (١)، و فى الشذرات أرخ و قاته مردداً بين ١٢٧ و ١٢٩ (٢).

[٤٨*] مرت ترجمته. هذا الفصل (١٠).

[٤٩*] هو جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبوبكر السيوطى له ترجمظ ضايفظ فى تصدير كتابه الاتقان و أرخ وفاته سنه ٩١١ (٣). و فى الشذرات عبر عنه بالحافظ جلال الدين أبى الفضل عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين أبى بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب ابن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى السيوطى الشافعى المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعه، و عن تلميذه الداودى نافظ عده مؤلفاته على خمسمائه مؤلف، و قال كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث و فنون رجالاً- و غريباً و متناً و سنداً و استنباطاً للأحكام منه، و أخبر عن نفسه انه يحفظ مائتى ألف حديث، قال ولو وجدت أكثر لحفظته، و رأى النبى صلى الله عليه و آله فى المنام و الشيخ السيوطى

١- روضات الجنات ج ٢ ص ٩.

٢- شذرات الذهب ج ١ ص ١٧٤.

٣- الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٣-٧.

يسألهم بعض الأحاديث والنبى صلى الله عليه وآله يقول له هات يا شيخ الحديث و رأى هو بنفسه هذه الرؤيا و النبى صلى الله عليه وآله يقول له هات يا شيخ الحديث، و ذكر عن كتاب عبدالقادر الشاذلى انه كان يقول رأيت النبى صلى الله عليه وآله يقظه فقال لى يا شيخ الحديث، فقلت له يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم، الى، وقال الشيخ عبدالقادر، قلت له كم رأيت النبى صلى الله عليه وآله يقظه؟ فقال بضعاً و سبعين مره، و ذكر خدمه انه أخذ بيده و قال غمض عينيك فغمضتهما، فرحل بى نحو ٢٧ خطوه، ثم قال لى: افتح عينيك فاذا نحن بات المعلاه فزرنا امنا خديجه (و جمعاً اخر ذكر بعضهم) و دخلت الحرم و ذكر الطواف و شرب ماء زمزم، و ذكر رجوعه بتغميض عينيه و هروله ٧ خطوات و فتح عينيه، فاذا نحن بالقرب من الجيوشى، أقول: لعن الله الغلو والكذب و من يصدق امثال هذه الهذيانات(١).

[* ٥٠] هذا بعيد عن الاصمعى، فانه كان (٢) يرتجل كثيراً من الاخبار المضحكه والاقاصيص المستغربه فى مجلس الرشيدى و غيرها لينال بذلك إلى بغيه منهم، و عن كشكول شيخنا البهائى قدس سره قال اصمعى دخلت الباديه و معى كيس فاودعته امرأه منهم فلما طلبته انكرته، فقدمتها إلى شيخ من الاعراب فقامت على انكارها، فاحلفها فحلفت. فقال قد علمت انها صادقه و ليس عليها شىء. فقلت كانك لم تسمع بهذه الآيه.

و لا تقبل لسارقه يميناً*** ولو حلفت برب العالمينا

فقال صدقت ثم تهددها فافتت و ردت على مالى.

ثم التفت إلى الشيخ، فقال و فى اى سوره هذه الآيه؟ قلت فى سوره.

الا هبى بصحنك فاصبحينا*** و لا تبقى خمور الاندرينا

١- شذرات الذهب ج ٨ ص ٥١-٥٤.

٢- روضات الجنات ج ٥ ص ١٤-١٥١-١٥٧-١٥٩.

فقال سبحانه الله انى ظننت انها فى شوره انا فتحنا لك فتحاً مبيناً.

نعم، قال ابن معين (كما عن طبقات النحاه للسيوطى) و لم يكن ممن يكذب، و قال ابو داود صدوق و كان يتقى ان يفسر الحديث كما يتقى ان يفسر القرآن: و عن ابن خلكان ان جده على بن اصمع سرق بصفوان فقطع على بن ابى طالب عليه السلام يده من اشاجعه، و انه الذى قال للحجاج بن يوسف لما قدم البصره ايها الامير ان ابوى عقانى فسميانى علياً فسمنى انت.

و ذكره ابن (١) ابى الحديد بتفاوت.

مات الاصمعى سنه ٢١٥ او ٢١٦ عن ٨٨ سنه و اسمه عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن على بن اصمع.

و عن كامل (٢) المبرد انه كان اصمع بن مظهر جد الاصمعى قطعه على عليه السلام فى السرقة، فكان الصمعى يبغضه.

و فى السفينه (٣) عن كتاب الاضداد لابن الانبارى أو معجم الادباء ان الاصمعى كان ناصبياً.

اقول: ولذلك عده واحد منهم صدوقاً، و آخر بالتأله و الشده فيه، و ثالث بانه لا يكذب فسبحان الله و عن (٤) ابن خلكان عن ابى العينا ان ابا قلابه جيش بن عبدالرحمن الجرمى الشاعر انشدنى لنفسه (كنا فى جنازه الاصمعى).

لعن الله اعظماً حملوها *** نحو دار البلى على خشبات

اعظماً تبغض النبى و اهل *** البيت و الطيبين و الطيبات

١- شرح النهج الحديد ج ٤ ص ٥٨ سفينه البحار ج ٢ ص ٥١.

٢- بحار الأنوار ج ٨ ص ١٥١، سفينه البحار ج ٢ ص ٥١.

٣- سفينه البحار ج ٢ ص ٥٢.

٤- روضات الجنات ج ٥ ص ١٥٨-١٥٩.

و ابوقلا (١) به كان شيعياً كما فى السفينه عن احد الكتابين المتقدمين:

[* ٥١] هو عبدالله بن عباس تلميذ امير المؤمنين عليه السلام.

والمدافع عنه حياً و ميتاً حبر الامه (٢) و ترجمان القرآن، قيل ولادته قبل الهجره فى الشعب بثلاث سنين، و موته بالطائف سنه ٦٨ أو ٦٩، دعا له النبى صلى الله عليه و آله بالفقه و الحكمه و التأويل، و فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه و آله ضمه اليه، و مسح على صدره، و قال: اللهم فقهه فى الدين، و جلاله قدره و اشتهاه ولائه لامير المؤمنين عليه السلام تمنع من سوء الظن به و تصديق ما قيله فيه، و ان طال القيل و القال و كثر الكلام و المقال فما بين مصدق لاخذه بيت مال البصره و اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام فى كتاب (٣) له و انه المعنى به و قائل انه اخوه عبيدالله الذى كان و اليه عليه السلام على اليمن و ما بين متوقف...

[* ٥٢] ورد النهى (٤) عن تفسير القرآن بالرأى والذم عليه فى روايات (٥) متعدده، كما ورد عن الله تعالى بقول (٦) رسول الله صلى الله عليه و آله. ما آمن بى من فسر برأيه كلامى.

وورد عنه صلى الله عليه و آله من (٧) تكلم فى القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ، و من قال فى القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار.

-
- ١- سفينه البحار ج ٢ ص ٥٢.
 - ٢- تنقيح المقال ج ٢ ص ١٩١ إلى ١٩٥، تأسيس الشيعة ٣٢٢-٣٤١، سفينه البحار ج ٢ ص ١٥٤ شرح النهج الحديدى ج ١٦ ص ١٦٩ إلى ١٧٢.
 - ٣- نهج البلاغه ج ٣ ص ٧٢.
 - ٤- مقدمه تفسير البرهان ج ١ ص ١٦.
 - ٥- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٧ و بعدها باب تفسير القرآن بالرأى و تفسيره، الاحاديث ١-٢-٥-١١-١٣-١٥-٢٠.
 - ٦- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٧ ح ١.
 - ٧- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١١ ح ٢٠.

و فى مجمع البيان (١) الخبر قد صح عن النبى صلى الله عليه وآله و عن الأئمة القائمين مقامه ان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالاثـر الصحيح و النص الصريح، و روت العامه أيضاً عن النبى صلى الله عليه وآله انهقال من فسر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ، و نحوه فى مقدمه (٢) تفسير البرهان (كتاب مرأه الانوار) و فى ما كتبه (٣) العلامة المجاهد المفسر الحجة الشيخ محمد جواد البلاغى فى المقامين الأول و الثانى من الفصل الرابع من تفسيره ما لاغنى لمحقق باحث عنه، فليراجع.

[*٥٣] هذا غلو فى حق الطبرى، بل كتب فى التفسير قبله و بعده شىء كثير: هذا مع تقدم الشيعة فى علوم القرآن و تأليف كتبها (يراجع (٤) تأسيس الشيعة) و ان علياً عليه السلام امامهم أول من جمع القرآن و فسره و أورد فى ذلك ما عن ابن النديم و ما أورده السيوطى فى الاتقان، فقد كتبوا فى التفسير و أشبعوا، و كثير منهم لم يقتصر على تأليف واحد، و ذكر الشيخ (٥) آقا بزرگ الطهران قدس سره، جماعه لهم تصانيف متعددة فى التفسير وحده او فيه و فى غيره من علوم القرآن كما ذكر تفاسير كبيره لغير واحد منهم، فعد من الذين لم يكتفوا بتأليف واحد بل ألف اثنين أو أزيد، أبان بن تغلب بن رباح، و أبا زيد أحمد بن سهل السجستانى، و الشيخ فخر الدين احمد بن عبدالله بن سعيد بن المتوج، والعلامة الحسن بن يوسف الحلّى، والراغب الاصفهانى، و قطب الدين الراوندى، و السيد عبدالله الشبر، و الشريف السيد المرتضى على بن الحسين و الشيخ الطبرسى فى

١- مجمع البيان ج ١ ص ١٣.

٢- تفسير البرهان ج ١ ص ١٦.

٣- الآء الرحمن ٣٢ إلى ٤٣.

٤- تأسيس الشيعة ٣١٦- إلى ٣٤٧.

٥- الذريعة ج ٤ ص ٢٣٣.

جمع آخرين، و من كبار التفاسير تفسير الأئمة (١). يقال انه فى ٣٠ مجلداً و تفسير الكلبي (٢) فعن الكامل للكلبي أحاديث صالحه و خاصه عن أبى صالح و هو معروف بالتفسير و ليس لاحد تفسير اطول منه و لا اشبع و بعده مقاتل بن سليمان إلا ان الكلبي يفضل عليه لما فى مقاتل مذاهب رديه، و تفسير ابى حنيفه (٣) الدينورى (وحكى عن ابى حيان التوحيدى النيسابورى ان فى المتقدمين و المتأخرين ثلاثه لو اجتمع الثقلان على تقريرهم مدى الدنيا إلى زوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم، واحد الثلاثه ابو حنيفه الدينورى إلى قوله: و قد قيل لى ان له فى القرآن كتاباً يبلغ ١٣ مجلداً) و التفسير (٤) البسيط للامام المفسر ابى الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى المتوفى ٤٦٨ فى نحو ١٦/ مجلداً و تفسير (٥) العسكرى من املائه عليه السلام و المراد به الامام الهادى عليه السلام الملقب بصاحب العسكر و بالعسكرى فى ١٢٠ مجلداً كما عن ابن شهر آشوب و تفسير المنشى (٦) كبير اكثر من ثلاثين مجلداً عربى و فارسى.

أقول (٧): لمحبي الدين ابن العربى تفسير كبير جداً قيل انه بالغ ٩٠/ مجلداً.

هذا بعض ما ذكره فى باب التاء بعنوان التفسير و لم نستقص البحث فى ساير الأبواب إلا انه

-
- ١- الذريعه ج ٤ ص ٢٣٦-٢٣٧.
 - ٢- الذريعه ج ٤ ص ٢٤٤.
 - ٣- الذريعه ج ٤ ص ٢٥٢.
 - ٤- الذريعه ج ٤ ص ٢٦٤.
 - ٥- الذريعه ج ٤ ص ٢٨٣.
 - ٦- الذريعه ج ٤ ص ٣١٦.
 - ٧- روضات الجنات ج ٨ ص ٥٢.

ينبغي التنبيه على نكته، و هي وجود اقدم تفسير موجود من تفاسيرنا (غير ما عن امير المؤمنين [\(١\)](#) على بن ابيطالب عليه السلام من املاء ستين نوعاً من علوم القرآن، و ذكر أمير المؤمنين عليه السلام لكل نوع مثلاً يخصه، أخرجہ المجلسی قدس سره فی البحار و هو (بروايه [\(٢\)](#) النعماني قدس سره في تفسيره و هو تفسير [\(٣\)](#) ابن همام الصنعاني الحافظ الكبير المتوفى ٢١١، قال في الذريعه و يعد من مفاخر الشيعة و آثارها الخالده الباقية حتى اليوم يخبر عن وجوده بعينه فهرس بعض مكتبات مصر و يذكران هناك نسخه منه يحظ يكتمر بن عمر كتابتها سنه ٧٢٤.

و لأهل السنه تفاسير كبار كتفسير الفخر والآلوسی و الطنطاوی والمنار و عندنا في هذه الآونه تفسير الميزان في ٢٠/ مجلداً و تفسير الفرقان لمعاصرين من علمائنا رحمهم الله تعالى.

[*٥٤] تقدمت ترجمته. تعليقات ١٢ (٥٤).

[*٥٥] هو امام الشاعره ابوالحسن على بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم. يتصل نسبه إلى أبي موسى الأشعري، قال صاحب [\(٤\)](#) الروضات في وصفه قدوه المجبره من طوائف الجمهور، و كان تلميذاً لأبي علي الجبائي، قرأ عليه و تمذهب بمذهبه و أبو علي كان زوج امه، و نقل عن بعضهم انه كان اولاً عدلياً معتزلياً ثم تاب من القول بالعدل و خلق القرآن في مسجد الجامع بالبصره يوم الجمعة.

و مات ٣٣٠ أو ٣٣٤ و كان له كتب، و عن أبي بكر الصيرفي انه قال: كانت المعتزله قد رفعوا

١- تأسيس الشيعة ٣١٨.

٢- بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣-٩٧.

٣- الذريعه ج ٤ ص ٢٥٠-٢٥١.

٤- روضات الجنات ج ٥ ص ٢٠٧ و ما بعدها.

رؤسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في اقماع السمسم. و له مناظره (١) مع استاذه أبي علي الجبائي في ثلاثة صبيه اخوه، و بالاخير انقطع أبو علي و لم يحرجوا أباً و صارت تلك المناظره سبباً لمفارقة الجبائي و سائر فرق المعتزله، و في الشذرات و فيها (أى مات في سنه ٣٢٤) و عن بعضهم سنه ٣٠ و قيل بعد الثلاثين، الامام العلامه البحر الفهامه أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل بن أبي بشر المتكلم البصرى، صاحب المصنفات و بعد ذكر مناظرته التي (كما في الشذرات بها قضم ظهر كل مبتدع مرائى) و لها دلالة علي ان الله تعالى خص من شاء برحمته و خص آخر بعذابه، قال والى أبي الحسن انتهت رياسه الدين في الكلام و كان في ذلك المقدم المقتدى الامام. و ذكر عن كتابه الابانه في اصول الديانه و هو آخر كتاب صنفته طي ديانته التي يدين بها، ان الله مستو على عرشه (كمال قال: (الرحمن على العرش استوى) و ان له وجهاً كما قال: (و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام) و ان له يدين بلا كيف، كما قال (بل يدها مبسوطتان) و ان له عينين بلا كيف، كما قال (تجرى بأعيننا) و قال ندين بان الله يقرب القلوب بين اصبعين من اصابع الله عزوجل يضع السموات على اصبع والأرضين على اصبع (و نسب ذلك الى الروايه عن رسول الله صلى الله عليه و آله) و بين تصديق النزول الى السماء الدنيا، وان الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفافاً صفافاً) إلى آخر ما قال، مما هو خلاف ضروره العقل والنقل الصحيح، ولكن من يضل الله فلا هادى له (٢).

[*٥٦] أرخ وفاته في الشذرات سنه ٣٨٤، قال: و قيل سنه ٨٢ و وصفه بشيخ العربيه و له قريب من مائة مصنف، منها تفسير القرآن العظيم، قال و كان متقناً لعلوم كثيره (٣).

١- روضات الجنات ج ٥ ص ٢٠٩.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٣-٣٠٥.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٩.

و فى الروضات الحبر العماد والمتمهر الاستاد على بن عيسى بن على بن عبدالله أبو الحسن الرمانى الواسطى الاخشيدى النحوى المشهور، كان اماماً فى العريظ علامه فى الأدب فى طبقه الفارسى و السيرافى معتزلياً، و عن أبى حيان التوحيدى، لم ير مثله قط علماً بالنحو و غزاره بالكلام و بصراً بالمقالات و استخراجاً للعويص و أيضاً للمشاكل مع تأله و تنزه و دين و فصاحه و عفاف و نظافه. أرخ وفاته سنه ٣٨٤ (١).

[*٥٧] هو أبوبكر النقاش محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى ثم البغدادى المقرئ المفسر صاحب التصانيف فى التفسير و القراءات، قال و مع جلالتة فى العلم و نبلة فهو ضعيف متروك الحديث، و ذكر عن الذهبى فى المغنى (مشهور التهم بالكذب و قد أتى فى تفسيره بطامات و فضائح و هو فى القراءات امثل) (٢).

[*٥٨] فى الشذرات فيها (أى مات سنه ٣٨٨) أبوبكر الادفوى محمد بن على بن أحمد المصرى المقرئ المفسر النحوى (وادفو بضم الهمزه و سكون المهمله و ضم الفاء قريه بصعيد مصر قريب اسوان، و كان خشاباً، و قال الف التفسير فى ١٢٠ مجلداً، و كان شيخ الديار المصرية و علمها و كانت له حلقة كبيره للعلم) (٣).

[*٥٩] و فى الحاشيه اسنده إلى النقل عن ابن حزم، يقول العلامة الأمينى قدس سره فى حقه انه لم يلتزم (٤) بهذا الواجب (أى ما أوجه على من يكتب فى الملل والنحل قبل كل شىء من الالتزام بالصدق و الامانه إلى آخر كلامه قدس سره) بل التزم بضده فى كل ما يكتب، ثم أورد من كتابه الفصل احد عشر من تحكماته و افتراءاته على الشيعة، ثم أجاب عنها قدس سره بأجوبه

١- روضات الجنات ج ٥ ص ٢٣٠-٢٣١.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٨-٩.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠.

٤- الغدير ج ٣ ص ٩٢.

كافيه شافيه، و أورد شواهد من كتب العامه لرد بعض ما أنكره نسردها سرداً و نحيل إلى مواضعه من أراد فليراجع.

١- ان (١) الروافض ليسوا من المسلمين إلى، و هي طائفه تجرى مجرى اليهود و النصرى فى الكذب و الكفر (٢).

٢- كذب من قال بدن علياً أكثر الصحابه علماً (٣).

٣- من قول الاماميه (٤) كلها قديماً و حديثاً ان القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه و نقص منه كثير و بدل منه كثير.

حاشا على بن الحسن بن موسى بن محمد و كان امامياً بظاهر بالاعتزال الخ (و اشار فى ذيل الصفحه كذا فى الفصل و المحكى عنه فى كتب العامه، و الصحيح على بن الحسين و هو الشريف علم الهدى المرتضى) (٥).

٤- من الاماميه من يجيز نكاح تسع نسوه، و منهم من حرم الكرنب لأنه نبت على دم الحسين و لم يكن قبل ذلك (٦).

٥- وجدنا علياً رضى الله عنه تأخر عن البيعه سته أشهر، فما أكرهه أبوبكر على البيعه حتى بايع طائعاً مراجعاً غير مكره (٧).

١- الغدير ج ٣ ص ٩٣.

٢- الغدير ج ٣ ص ٩٢.

٣- الغدير ج ٣ ص ٩٥.

٤- الغدير ج ٣ ص ١٠١.

٥- الغدير ج ٣ ص ١٠١.

٦- الغدير ج ٣ ص ١٠١-١٠٢.

٧- الغدير ج ٣ ص ١٠٢.

٦- الرافضة تجيز امامه المرأه و الحمل فى بطن امه (١).

٧- ان محبه النبى صلى الله عليه و آله لمن أحب ليس فضلاً لأنه قد احب عمه و هو كافر (٢). و ان كان رسول الله صلى الله عليه و آله احب أبا طالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك و نهاه عن محبته و افترض عليه عداوته.

٨- لسنا من كذب الرافضة فى تأويلهم، و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و اسيراً و ان المراد بذلك على رضى الله عنه.

بل هذا لا يصح، بل الآيه على عمومها و ظاهرها لكل من فعل ذلك (٣).

٩- قال رسول الله صلى الله عليه و آله لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبابكر خليلاً، ولكن اخى و صاحبي و هذا الذى لا يصح غيره، و اما اخوه على (عليه السلام) فلا تصح إلا مع سهل بن حنيف (٤).

١٠- قال جمهور متكلمي الرافضة كهشام بن الحكم الكوفى و تلميذه ابى على الصكاك و غيرهما يقول، ان علم الله تعالى محدث، و انه لم يكن يعلم شيئاً حتى احدث لنفسه علماً و هذا كفر صحيح (٥).

و قد قال هشام هذا فى عين مناظرته لأبى الهذيل العلاف، ان ربه سبعة اشبار بشبر نفسه و هذا كفر صحيح، و كان داود الجوازى من كبار متكلميهم يزعم ان ربه لحم و دم على صورته الانسان (٦).

١- الغدير ج ٣ ص ١٠٤.

٢- الغدير ج ٣ ص ١٠٥.

٣- الغدير ج ٣ ص ١٠٦.

٤- الغدير ج ٣ ص ١١١.

٥- الغدير ج ٣ ص ١٢٥.

٦- الغدير ج ٣ ص ١٢٥.

١١- قال: الرافضه لا يختلفون فى ان الشمس ردت على على بن ابيطالب عليه السلام مرتين.

و فى موضع آخر، أقل الروافض غلواً يقولون ان الشمس ردت على على بن ابيطالب عليه السلام مرتين (١).

و فى الشذرات (٢) ذكر عن ابن خلكان، انه كان كثير الوقوع فى العلماء المتقدمين، لا يكاد أحد يسلم من لسانه فنفرت عنه القلوب واستملى من فقهاء وقته، فمالوا على بغضه، وردوا قوله، وأجمعوا على تضليله و شنعوا عليه و حذروا سلاطينهم من فتنته، و نهوا عوامهم عن الدنو إليه و الأخذ عنه، فاقصته الملوك و شردته عن بلاده. و قال ابن العرف و كان لسان ابن حزم و سيف الحجاج شقيقين.

و أورد الأمينى قدس سره (٣) فى نهايه الكلام عن أجوبته عنه (بان حزم) قوله فى نبى العظمه انه عليه السلام ولد كافر و كافر.

سبحان الله. سبحان الله.

وابن حزم هذا توفى ٤٥٦.

ثم ان من هذا الذى ذكره المؤلف هنا و أمثاله (و كم له من نظير) نعرف مدى المؤامره ضد الشيعة حتى قرنوهم الصوفيه.

والذى جرئهم على ذلك اضطهاد الشيعة طوال القرون المتماديه فى أغلب البلدان الاسلاميه، و كانوا فى تقيه و اختفاء و لم تسمح لهم الفرص بابداء آرائهم و ابلاغها و دفع الافتراءات و الأكاذيب المفتعله عليهم الا فى فترات يسيره قصيره فى محدوده بلاد لهم حريه الاظهار و ابراز العقيده، ولا ننكر ورود بعض التأويلات أو ما يسمى بالبطون

١- الغدير ج ٣ ص ١٢٦.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩-٣٠٠.

٣- الغدير ج ٣ ص ١٤١.

فى مذهبنآ فى مؤآرد من القرآن لآىنفى ظآهره، و لآ- ىمنع عن الآخذ بآآ هو المتفآهم منه بل هو على حجآته و للبطون مقامهآ الآص.

[* ٦٠] لآته عآن هذآ البعص كى ىعلم مقدار صدقه فى دعواه.

[* ٦١] ابن قآآبه، هو ابو محمد (١) عبءالله بن مسلم بن قآآبه الءىنورى و قىل المرورى اللغوى النحوى له كآآب المعارف فى التآرىخ و آءب الكآآب، و له تصآنىف آخر.

و ثقه ابن آلكآن، قآل: و كآن فآضلاً سكن بعءآء ءوفى سنه ٢٧٠ فجآه صآح صآآه سمعت من بعء ثم آغمى علىه و مآء.

و فى السفآنه (٢) ذكر من آءءآه بعء قآآبه مسلم بن عمرو البآهلى، و قآل: كآن آآمل عهد ىزآء لابن ىزآء و سبق له ذكر.

ثم لآ ىآفى الآآمل و الآعصب على الشآعه فى هذآ الكآآم.

[* ٦٢] هذآ آعبآر من لآ ىرى للشآعه علمآً و لآلهم عالمآً، فآ آفآ هذآ الآآمل و الآعصب و مآ هذآ الآعمى عن الآمآآه و الشآعه من مآآر علمآه و ءآآبه.

[* ٦٣] هو آآء (٣) بن سهل. صنف كآبآ آمه فى النحو و اللغه و الشعر و الآءب و الآفسآر، ذكر فى الروضآء انه كآن فآضلاً قآمآً بآآمع العلوم القءآمه و الآءآه، ىسلك فى مصنفآه آرآق الفلاسفه مآء سنه ٣٢٢.

[* ٦٤] هذآ من عءم الآءبر و الآطلع الكآمل على هذه القصص، فقء طآل فىهآ بآآن الآآآآآء و المآءآلآء التى وقعت بآنهم علىهم السلام و بآن آممهم و وعظهم و آرشآءهم و ءعوتهم إلى الآوآآء و رفض الآنءآء و آآآب الظلم و سآئل القبآآع و المفسآء و آءكرهم

١- روضآء الآنآء آ٥ ص ١٠٥-١٠٦.

٢- سفآنه البآآر آ٢ ص ٤٠٤.

٣- روضآء الآنآء آ٤ ص ٥٠.

بالتوبه والرجوع إلى الله و المعاد والحشر و النشر و أهوال يوم القيامة و أحوال المجرمين و تنعم المؤمنين و الخلود في دار الجزاء و الاعتبار بالمثلثات التي نزلت بالطاغين قبلهم.

[*٦٥] هو أبو اسحق الشاعلي أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المفسر. و عن العبركان حافظاً و اعظماً رأساً في التفسير العربيه متين الديانه. و عن ابن خلكان كان أوحد زمانه في علم التفسير و صنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير. و له كتاب العرائس في قصص الأنبياء و غير ذلك. ذكه السمعاني و قال: يقال له الثعلبي و الثعالبي و هو لقب له و ليس بنسب، قاله بعض العلماء، و قال أبو القاسم القشيري رأيت رب العزه عزوجل في المنام و هو يخاطبني و اخاطبه، فكان في أثناء ذلك، ان قال الرب تعالى اسمه: اقبل الرجل الصالح، فالتفت فاذا أحمد الثعالبي مقبل. انتهى ما قاله ابن خلكان مختصراً. أقول: لعن الله حماقه و من يقبل، و يصدق هذه الخرافات(١).

و في الروضات (٢) وصفه بالمفسر المشهور، أوحد زمانه في علم التفسير و أوثق الناس في نقل الحديث و صنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، و مال صاحب الروضات الى القول بتشيعه، و ذكر عن المجلسي قدس سره ذلك و ذكر انه لتشيعه و او لقله تعصبه كثيراً ما ينقل من أحاديثنا.

[*٦٦] في الشذرات (٣) و فيها (أى توفي سنه ٣١١) محمد بن زكريا الرازي الطبيب العلامه صاحب المصنفات في الطب و الفلسفه، و عن العبر و انما اشتغل بعد أن بلغ الأربعين و كان في صباه مغنياً بالعود.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٣٠-٢٣١.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ٢٤٥-٢٤٦.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٦٣.

و فى الروضات (١) هو صاحب كتاب من لا يحضره الطبيب و عن بعضهم كان بدء أمره صائغاً ثم اشتغل بعلم الاكسير فرمدت عيناه بسبب أبخره العقاقير فذهب الى طبيب ليعالجه و أخذ منه ٥٠٠ دينار للعلاج، فقال له هذا هو الكيمياء لا ما اشتغلت به فترك الاكسير واشتغل بالطب. و نقل ذمه عن ابن سينا و غيره. و له حكاية فى تأليف كتاب فى صنعه الكيمياء فأعجب منصوراً الملك و شكره و جباه بألف دينار و لما لم يمكنه العمل امر الملك بضرب الكتاب على رأسه حتى يقطع.

[*٦٧] قد ورد فى ضمن روايه عن ابى (٢) عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، انه لما أراد الله عزوجل اهلاك قوم نوح عليه السلام عقم ارحام النساء أربعين سنه فلم يلد فيهم مولود (الصحيح لم يولد).

و ورد عن الرضا عليه السلام (٣) فى حديث، انه قال: ما كان فيهم الأطفال لان الله عزوجل أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام و أرحام نسائهم أربعين عاماً فقطع نسلهم فغرقوا ولاط طفل فيهم و ما كان الله عزوجل ليهلك بعذابه نم لا ذنب له.

و ما أدري لاي سبب استبعد المطهر بن طاهر المقدسى ما اورده، اما نحن فلا نقبله لعدم قيام حجه فيه.

و على أى حال فلا- مانع من وقوع ما فى الروايتين عن الامامين المعصومين عليهما السلام ولا معارض لهما ولا سيما بعد قوله تعالى حكاية عن قول نوح عليه السلام (٤) رب لا تذر على

١- روضات الجنات ج ٧ ص ٣٠٠-٣٠٢.

٢- البحار ج ١١ ص ٣١٢.

٣- عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٧٥. بحار الأنوار ج ١١ ص ٣٢٠.

٤- سوره نوح الايه ٢٦.

الأرض من الكافرين دياراً، وقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا (١). فدعائه عليه السلام كان على الكبار اذ الصغار والاطفال لم يبلغوا حد ما يقال لأحدهم مسلم او كافر (إلا تبعاً) نعم في المراهق من أولاد الكفار تحقيق في قبول اسلامه عن بصيره، واما ساير ما ذكره من التأويلات في قصص نوح وغيره من الأنبياء عليهم السلام فتحريف للقرآن واخذه على غير ما أنزل الله تعالى و في التحقيقه انكار له.

[٦٨*] هذا الكلام لا يصدر إلا ممن يسخر من الأنبياء العظام سلام الله عليهم ولا يؤمن بالبعث والمعاد ولا يرى لهم قيمه كأكثر من بعثوا اليهم وكذا من جعل الناقه كناية عن رجل وامرأه.

[٦٩*] انما يصدر هذا الكلام و امثاله من الملاحده و منكرى النبوه والبعث، و كذلك ما اورده في توجيه الطير، ابابيل.

[٧٠*] ليس في هذا كثير مخالفه لظاهر القرآن، و إن كان الارجح المناسب لظاهر الآيه والذي يعطيه كلمه الاسله والعين ما اشار اليه في مجمع البيان و تفسير الجواهر و تفسير الميزان، ففي الاول (٢) (اذبنا له عين النحاس و اظهرنا هاله قالو اجرت (اجريت) له عين الصفر ثلاثه ايام بليالهن جعلها الله كالماء. وفي الثاني (٣) النحاس المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينوع فسماه عيناً، و في الثالث (٤) اذبنا له القطر فسالت كالعين الجاربه و يحتمل قريباً كون سبب الاساله شده الحراره في معدن القطر بحيث أوجبت ذوبه و سيلانه و نبعه كنبع العين، والمنه في ذلك ترجع إلى دلالة سليمان عليه السلام

١- سورة نوح الايه ٢٥.

٢- مجمع البيان ج ٤ ص ٣٨٢.

٣- تفسير الجواهر للطنطاوى ج ١٦ ص ١٧.

٤- تفسير الميزان ج ١٦ ص ٣٨٥-٣٨٦.

عليه للعناية الالهيه الظاهره من الايه المباركه.

[*٧١] هذا ايضاً خروج عن ظاهر الآيه و تحريفه، و كذا ما يقوله في المراد بالنمل و التأويل في الجن والشياطين يرجع إلى انكارهما و لا ينكرهما إلا من لا يؤمن بالله.

[*٧٢] بل بلغ عدد المعجزات المنقوله عنه صلى الله عليه و آله آلافاً، فقد ذكر صاحب (١) المناقب ان له أربعة الاف و أربعمأه و أربعين معجزه، و ذكر النووى (٢) ان له صلى الله عليه و آله معجزات ظاهرات و اعلاماً متظاهرات تبلغ الوفاً و هى مشهورات إلى آخره.

[*٧٣] تأويل بارد دلاداعى اليه، و لا مصحح له كتأويل ابليس مرجعه إلى انكار القضييه كما حكيت و وقعت، و فى الثانى يؤل إلى انكار ظاهر القرآن.

[*٧٤] رواه ابو (٣) داود فى صحيحه و ابن الاثير فى كتاب النبوه من جامع الاصول فى أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله كما (٤) أورده الطيبى فى شرح المصابيح، و تلکم فيه، و توسع، و عن ابى هريره عنه صلى الله عليه و آله انه قال: يبعث الله لهذه الامه على رأس كل مئه سنه من يجدد لها دينها، و فى لفظ آخر فى رأس كل مئه سنه رجلاً من اهل بيتى يجدد لهم امر دينهم، طبقات الشافعيه للسبكي الطبقة الاولى ج ١ ص ١٩٩.

وورد فى رواياتنا عن ابى عبدالله عليه السلام بطريق فيه ضعف، ان فىنا اهل البيت فى كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، و رواه (٥) الأمينى عنه صلى الله عليه و آله هكذا فى كل خلوف من امتى عدول من اهل بيتى ينفون من هذا الدين

١- البحار ج ١٧ ص ٣٠١.

٢- تهذيب الأسماء ج ١ ص ٣٣.

٣- مرآت العقول ج ١ ص ١٠٤ إلى ١٠٦ تأسيس الشيعة ص ٥.

٤- روضات الجنات ج ٦ ص ١٠٩.

٥- الغدير ج ٣ ص ٨١ نقلاً عن ذخائر العقبى والصواعق.

تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، إلا ان ائمتكم و فدكم إلى الله عزوجل فانظروا بمن توفدون:

[٧٥*] هذا من ادل الشواهد على تأثر المؤلف بما ذكره عن ما ألفه العامه و الفقوه فى كتبهم بلا تحقيق و لا تنقيب عن الشيعة الاماميه، فان لهم القدر المعلى فى كل فن و لهم التقدم فى كل علم و قد أشرنا فيما سبق إلى عذر المؤلف فى ذلك.

[٧٦*] الاخرى بالمجدد فى ذاك القرن الكلينى أو المفيد و الصدوق أو السيد المرتضى قدس الله أسرارهم.

نعم لو كان المراد تجديد المذهب رأس المأه فلا ينطبق على بعضهم، و عن ابن الاثير (١) فى جامع الأصول و الطيبي فى شرح المصابيح عد على بن موسى الرضا عليه السلام المجدد على رأس مأه الثانيه والكلينى قدس سره على رأس المأه الثالثه و السيد المرتضى قدس سره على رأس المأه الرابعه.

[٧٧*] هذا اشتباه تقدم بيان سببه.

[٧٨*] هو النقيب (٢) ببغداد أبو عبدالله محمد بن الحسن الداعى الاصغر بن القاسم بن الحسن بن على ابن عبدالرحمن الشجرى ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام كذا أورده ابراهيم بن ناصر صاحب كاب المنتقله. و مثله فى جعل الداعى هو الحسن ابا محمد صاحب (٣) العمده، و وصفه باناه ملكك الديلم، و كان احد أئمه الزيديه، و ذكر كونه شجرياً (اى ينتهى نسبه إلى عبدالرحمن الشجرى) ابونصر البخارى والناصر الكبير

١- خاتمه المستدرک ج ٣ ص ٥١٦. رياض العلماء ج ٤ ص ٢٠. روضات الجنات ج ٦ ص ١١٠-١١١.

٢- منتقله الطالبية ٥٦.

٣- عمده الطالب ٦٩ إلى ٧٣ باقتضاب منه.

الطبرستاني وان النقيب تاج الدين بن معيه يقوى هذا القول، و يقول ان العجم اخبر بحاله، ولكن يظهر منه (صاحب العمده) ان الداعي ابا محمد الحسن هو ابن القاسم بن على بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام و هذا البطحاني اخو عبدالرحمن الشجرى.

و كيف كان فابو عبدالله محمد هو ابن الداعي هذا، ولى نقابه النقباء ببغداد زمن معز الدوله بن بويه الديلمى و قبل ذاك ورد من بلده اليه بالاهواز و قصد تعلم العلم و الفقه والكلام، و بلغ طرفاً من ذلك و بايعه بعد دهر قوم من الديلم، فقبض عليه معز الدوله و على اولئك الديلم، و كل من دخل فى البيعه، فنفاهم و شردهم، و قيد ابا عبدالله زماناً طويلاً، ثم انفضه إلى فارس و حبس مده سنه و شهرين، و اطلق و خرج إلى كرمان و افلت هناك من الحرب، و مضى إلى منوجان إلى مكران فبايعته الزيديه هناك فقبض عليه، و نفذ إلى عمان و بايعه الزيديه سراً هناك، فنفاه صاحب عمان إلى البصره، فقام بها مختفياً و بايعه من كان هناك من الجبل و الديلم، فبلغ ذلك ابا يوسف الزيدى فطلبه و اخذه و اقطعه بخمسه الآف درهم ضياعاً، و اسكنه داره، و اقام سنين ثم خرج إلى الاهواز و بغداد و الحج و عاد، فاقام ببغداد ولزم ابا الحسن الكرخى و تفقه عليه، و بلغ فى الفقه مبلغاً عظيماً و درس الكلام قبل ذلك و بعده على ابي عبدالله الحسين بن على البصرى و الفقه و برع فيها و راسله معز الدوله فى الدخول عليه فأبى و ألح عليه، فاشترط ان يدخل عليه بطيلسان فاذن له فلبس و دخل عليه فآكرمه، و ولاه النقباء بعد اباءه و خرج متقلداً لها، فما توفرت على الطالبين اموالهم و ارزاقهم و بساتينهم كما توفرت عليهم ايام نقابته، و مرض معز الدوله فاستدعاه و سأله ان يقرأ عليه فجاء مع جماعه من الطالبين فقرءوا عليه و ابو عبدالله يقرء و يمسح يده على وجهه، فلما فرغ اخذ معز الدوله يده التى كان

يمرها على وجهه (وهي اليمنى) فقبلها استشفاء.

قال و كان شبيه الخلقه بامير المؤمنين على عليه السلام و خرج متخفياً معه ابنه الاكبر، و خلف عياله و من بقى من ولده و زوجته و كلما تحويه داره.

و عليه جبه صوف بيضاء و فى صدره مصحف منشور قد علقه و سيف قد علق حمائله فى عنقه حتى لحق بهوسم من بلاد الديلم (على زى الطالبين هناك اذا ظهر و ادعاه إلى الله تعالى) و با يعوه بالامامه و اقام فيهم يدعو إلى سبيل ربه و يقيم الحدود بنفسه و يتكشف التكشف التام لا يأكل إلا خبز الازر والسمك و ما يجرى مجراهما.

مات بهوسم، و يقال ان اميركا انفذ إلى اخته (زوجه ابى عبدالله) سماً فسقته اياه، وفاته ٣٥٩ و خلف ولده أبا الحسن علياً و ابناً صغيراً.

[٧٩*] كما تقدم عن عمده الطالب.

[* ٨٠] هو احمد (١) بن يحيى بن اسحق الراوندى العالم المشهور و له مقام (مقاله) فى علم الكلام، و كان من الفضلاء فى عصره، و له من الكتب المصنفه نحو من ١١٤ كتاباً، منها كتاب فضيحه المعتزله و كتاب التاج و كتاب الزمرزد و كتاب القصب و له مجالس و محاضرات مع جماعه من علماء الكلام، و قد انفرد بمذاهب نقلا أهل الكلام عنه فى كتبهم توفى سنه ٢٤٥ و تقدير عمره، ٤٠ و قيل توفى سنه ٢٥٠ و هو نسبه إلى راوند قريه من قري كاشان (قاسان) بنواحي اصفهان.

و وصفه السيد الروضاتى (٢) بالشيخ الفاضل الفائق و المتكلم الحكيم الحاذق و ذكر بعض ما تقدم عن ابن خلكان، و قال كان يرمى عند الجمهور بالزندقه والالحداد و ينسب اليه

١- وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٨.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ١٩٣-١٩٤.

بزعمهم الفاسد ابداع القول بوجود النص الجلى على امامه على عليه السلام و اختلافه لما يدل على ذلك من الروايات، و ذكر عن ابن شهر اشوب فى كتابه المعالم انه مطعون عليه جداً، ولكنه عن السيد الاجل المرتضى فى الشافى انه انما عمل الكتب التى قد شنع بها عليه مغايظه للمعتزله ليبين لهم عن استقصاء نقصانها و كان يتبرأ منها تبرأً ظاهراً، و له كتب سداد مثل كتاب الامامه و العروس.

و نقل صاحب (١) الرياض عن الشيخ عماد الدين الطبرى فى كتابه اسرار الامامه انه صنف علماؤنا كتباً جمه فى معجزاتهم (اى الأئمه عليهم السلام) و خاصه ما ذكره عماد الدين الطوسى و السعيد ابن بابويه و ابن الراوندى و ابوجعفر الطوسى و علم الهدى و اضرابهم.

لكن استظهر فى رياض العلماء كما فى الروضات (٢) كونه غير ابن الراوندى المرمى بالزندقه والالحد، و كانه استشهد لذلك بما فى الرياض (ظنى ان السيد المرتضى ايضاً نص على تشيعه و حسن عقيدته فى مطاوى الشافى أو غيره و ذكر الشيخ (٣) الكراجكى قدس سره ان الراوندى قد صنف كتاب فضائح المعتزله و اورد فيه جملاً من اعتقاداتهم و آراء شيوخهم مما ينافر العقول و يضاد شريعه الرسول صلى الله عليه و آله).

و يشعر كلام (٤) بعض الاعلام و يصرح كلام (٥) آخر بكون ابن الراوندى هذا هو القائل بامامه العباس بن عبدالمطلب، و يظهر من (٦) المسعودى ان الراونديه شيعه ولد العباس من

١- رياض العلماء ج ١ ص ٢٦٩.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ١٩٥.

٣- كنز الفوائد ص ٥١، بحار الأنوار ج ٥ ص ٨.

٤- ذل فرق الشيعه للنوبختى ٣٤.

٥- روضات الجنات ج ١ ص ١٩٤.

٦- مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٢.

أهل خراسان وغيرهم ولم يشر (١) إلى ابن الراوندى هذا عند ذكر وفاته برحبه مالك بن طوق أو ببغداد سنة ٢٠٥ (و قد ذكر ابن (٢) الراوندى هذا فى كتاب ألف تحت رعايه جمع من المستشرقين و ترجمه أحد الكتاب الايرانيين. و كناه بابى الحسن (٣) و اطال فيه الكلام و ماجرى عليه فى بغداد كيف فر من القتل هارباً من بغداد و قبله مباحثاته و مكالمته المتوكل العباسى فى كتاب (مغز متفكر جهان شيعه) ص ١٧٤-١٨٥.

و يستنتج مما ذكره تأثر ابن الراوندى بحريه التفكير فى المذهب الجعفرى.

[*٨١] تقدمت ترجمته فى هذا الفصل (٥٦).

[*٨٢] تقدمت ترجمته. تعليقات الفصل الثانى عشر (٢١).

[*٨٣] هو محمد بن الهذيل (٤) بن عبدالله بن مكحول العبدى البصرى عن ابن خلكان شيخ البصريين فى الاعتزال، و من اكبر علمائهم و له كتاب يعرف ميلاس على اسم رجل مجوسى اسلم بسبب مباحثه ابى الهذيل مع جماعه من الثنويه، جمع بينهم و بين ابى الهذيل فقطعهم ابو الهذيل.

توفى سنة ٢٣٥، و قال المسعود (٥) عن ابى الحسن الخياط سنة ٢٢٧ ذكر فى الروضات و كان قد كف بصره و خوف فى آخر عمره.

[*٨٤] ربما يؤيد ما ذكره هنا كلام صاحب الروضات الدال على تعدد ابن الراوندى لتصريحهم بموت ابن الراوندى المعروف سنة ٢٤٥ أو سنة ٢٥٠ لا بالقتل أواخر القرن

١- مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٣-١٠٦-١٠٥-٢٥٢.

٢- مغز متفكر جهان شيعه ص ٢٢ إلى ١٨٥ و ما بعدها.

٣- مغز متفكر جهان شيعه.

٤- روضات الجنات ج ٧ ص ٢٧٣-٢٧٤.

٥- مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٣.

الثالث، نعم ذكر في العبر (١) تعجب ابن عقيل و كيف لم يقتل و قد صنف الدافع يدفع به القرآن و الزمره يزرى به على النبوات، و عن ابن الجوزى كنت اسمع عنه بالعظائم.

و قال بعد وصفه بالاحاد كان يلزم الرفضه و الزنادقه.

و أرخ وفاته حدود /٣٠٠.

[٨٥*] ما اشبه هذا بالاجتهاد من صاحب المصدر.

[٨٦*] هو الحسن بن يسار أبو سعيد بن أبي الحسن البصرى الأنصارى، و عن التقريب ثقه فقيه فاضل مشهور، و كان يرسل كثيراً و يدلّس، و كان يروى عن جماعه لم يسمع منهم و يقول حدثنا، و ذهب المامقانى الى كونى مذموماً عندنا (٢). و بالغ فى مدحه فى الشذرات (٣) و قال امام أهل البصره و خير أهل زمانه، و ذكر عن ابن سعد فى طبقاته كان جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً حجه مأموماً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً، ارخ وفاته لسنه ١١٠.

[٨٧*] الغنوصيه (٤) أو الادريه، مذهب دينى، كان يدعى أتباعه معرفه طبيعه الله بأسمائه معرفه تامه و ساميه.

[٨٨*] ورد ذم (٥) القدرية فى غير واحد من رواياتنا و روايات أهل السنه، و فى بعض ما ورد ان القدرية مجوس امتى أو مجوس هذه الامه، و قد تطلق على المجبره كما تطلق على المفوضه (و هم المعتزله) و أما الاماميه فلا إلى هولاء، و لا إلى هولاء ولكن فى اصطلاح

١- العبر فى خبر من غير طبعه الكويت ج ٢ ص ١١٦.

٢- تنقيح المقال ج ١ ص ٢٧٠-٣٥.

٣- شذرات الذهب ج ١ ص ١٣٦-١٣٧.

٤- المنجد ٩٥١ الطبعه الحاديه و العشرون.

٥- بحار الانوار ج ٥ لاسيما ص ٨٢-٣٠.

أهل الفن تطلق القدرية على المعتزله و للتفصيل محل آخر، راجع الكتب الكلاميه أو الحديثيه.

[*٨٩] هو (١) ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني الليثى البصرى اللغوى، اليه تنسب (٢) الفرقة الجاحظيه من المعتزله.

و كان تلميذ ابى اسحاق ابراهيم بن سيار البلخى المعروف بالنظام المتكلم المشهور.

كان الجاحظ مشوه الخلق، وقيل له الجاحظ لان عينيه كانتا حاجظتين (والجحوظ التواء) و كان يقال له (الحدقى) لذلك.

و عن شيخنا البهائى قدس سره فى الكشكول كان الجاحظ قبيح الصورة جداً حتى قال الشاعر:

لو يمسح الخنزير مسخاً ثانياً *** ما كان الا دون قبح الجاحظ

قال يوماً لتلامذته ما اخجلنى إلا امرأه أتت بى إلى باب صايغ، فقالت مثل هذا الشيطان، فبقيت حائراً فى كلامها، فلما ذهبت سألت الصايغ فقال استعملتنى ان اصنع لها صورة جنى.

و فى روايه صورته الشيطان، فقلت لا ادرى كيف صورته، فأتت بك.

و عن الشهرستانى انه افضل الزمان لغه و فصاحه و اكثرهم تصنيفاً طالع كتب الفلاسفه كثيراً و خلط انفراد عن اصحابه بخمس مسائل.

توفى سنه ٢٥٥ بالبصره و قد نيف على تسعين سنه، و من تصانيفه كتاب البيان والتبيين و كتاب الحيوان.

و قال المسعودى (٣) فى وفاته قيل سنه ٢٥٦، و قال لا يعلم احد من الرواه و اهل العلم اكثر

١- روضات الجنات ج ٥ ص ٣٢٤ و ما بعدها.

٢- بيان الاديان ص ٣٣.

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ١٩٥-١٩٦.

كتباً منه مع قوله بالعثمانيه، و قد كان ابوالحسن المدائني كثير الكتب إلا- ان ابالحسن المدائني كان يؤدي ما سمع، و كتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلوا صداء الازهان و تكشف و اضح البرهان، لانه نظمها احسن نظم و وصفها احسن وصف، إلى، و كان غلام ابراهيم بن سيار النظام، و عنه اخذ، و منه تعلم، و ذكر عن يموت بن المزرع (و كان الجاحظ خاله) انه يطلى نصفه (في العله التي مات فيها) الايمن بالصندل و الكافور لشده حرارته و النصف الاخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره و برده.

اصابه الفالج في اواخر عمره.

[* ٩٠] هذا خلاف ما عليه تعاليم المسيحيه و ما أوردوه في كتبهم و تأليفهم من القول بالثثليت و قد وردت الاشاره إليه في القرآن الكريم (ولا تقولوا ثلثه).

[* ٩١] سپينوزا Spinoza (باروك) ١٦٧٧-١٦٣٢ فيلسوف هلندي من أصل يهودي. ولد في امستردام عرف فلاسفه العرب واليهود و مؤلفات ديكارت، امتاز باستقامه أخلاقه و خط لنفسه نهجاً فلسفياً يؤدي الى الحلوليه الفكرية فالله في نظره جمله صفات لاحد لها نعرف منها الفكر و المكانيه أما العالم فمجموعه اشكال هاتين الصفتين (١).

[* ٩٢] هو أبو محمد بن حزم. العلامه على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموي مولا هم، الفارسي الأصل الاندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات، مات مشرداً عن بلده من قبل الدوله بباديه لبله، و كان اليه المنتهى في الذكاء وحده الذهن و سعه العلم بالكتاب و السنه والمذاهب و الملل والنحل و العرييه والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانه و الحشمه و السؤدد و الرياسه و الثروه و كثره الكتب، و عن ابن خلكان: كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث مستنبطاً للأحكام من الكتاب

والسنه، بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، و ذكر من تأليفه قسماً.

أقول: سبق بعض الكلام فيه رقم (٥٩) من التعليق.

[٩٣*] بل ورد في خطبه امير المؤمنين عليه السلام الاولي: قال (١) اول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الاخلاص له، و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، لشهاده كل صفه انها غير المصوفو و شهاده كل موصوف انه غير الصفه.

[٩٤*] في هذا الانفاق نظر: فقد كان هشام بن الحكم أكبر متكلم من الشيعة و كذلك مؤمن الطاق و نظائهما في القرن الثاني، و هما أعرف من أن يعرفا، فالشيخ المفيد و السيد المرتضى في القرن الرابع و قد اسلفنا شيئاً من مناظراه و حالات هشام.

[٩٥*] تقدمت ترجمته.

[٩٦*] همبولت Hemboldt (اسكندر) (١٧٦٩-١٨٥٩) عالم آلماني ولد في برلين سافر إلى اميركا ١٧٩٩-١٨٠٤ و آسيا ١٨٢٩ نشر كتاباً حول رحلته الاستكشافية الى اميركا في ٣٠ مجلداً، من رواد علوم المناخ و الجغرافيه النباتيه و المحيطات (٢).

[٩٧*] كبد الحوت قد ذكر في روايه ثوبان، ان يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه و آله فقال (٣) يا محمد اسئلك فتخبرني فيه، فرفسه ثوبان برجله، قال: قل يا رسول الله؟ فقال لا ادعوه إلا باسماء اهله.

قال ارايت قول الله عزوجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات: اين الناس يؤمنئذ؟

١- نهج البلاغه ج ١ ص ٧-٨.

٢- المنجد في الأعلام. الطبعة السابعة ص ٧٣٤.

٣- تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٢٢ تفسير الميزان ج ١٢ ص ٩٣، البحار ج ٩ ص ٢٩٢-٢٩٣.

قال: فى الظلمه دون المحشر، قال فما اول ما يأكل اهل الجنه اذا دخلوها؟ قال: كبد الحوت قال فما شرابهم على اثر ذلك؟ قال السلسيل.

قال صدقت يا محمد.

و اما قرن الشيطان فقد ورد فى روايات (١) دلت على النهى عن الصلاه بعد صلاه الفجر حتى تطلع الشمس و بعد صلاه العسر حتى تغرب تعليلاً له بقول رسول الله صلى الله عليه و آله ان الشمس تطلع بين قرنى الشيطان، و تغرب بين قرنيه، و الجمع بينها و بين ما ورد (٢) عن محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه (احد نواب الصاحب عجل الله فرجه فى زمن الغيبه الصغرى عنه عليه السلام) بحمل تلك على التقيه.

و اما بالنسبه إل الحجر الاسود و انه كان ابض ففیه روايات (٣) لاماى عقلى و لا شرعى لصدق مضمونها و ان لم يكن انكار ما فيها كفراً، ولكن من المسلم شهادته (٤) يوم القيامة كما شهد للامام (٥) زين العابدين عليه السلام بالامامه فى الدنيا عند محاجته عمه محمد ابن الحنيفه عنده.

[٩٨*] تقدم بيان حاله فى تعليقات هذا الفصل (٥٥).

-
- ١- وسائل الشيعة ج ٣ الباب ٣٨ من أبواب المواقيت، الحديث ٩-٧-٤-١.
 - ٢- الوسائل ج ٣ الباب ٣٨ من أبواب المواقيت.
 - ٣- وسائل الشيعة ٩ الباب ١٣ من أبواب الطواف الحديث ٦- بحار الأنوار ٩٩، باب فضل الحجر و عله استلامه ص ٢١٧-٢١٩-
 - ٢٢٤-٢٢٥-٢٢٧، حج و عمره ص ٤٨-٥٢. بحار الأنوار ج ٩٩ الباب السابق، الأحاديث ١-٣-٩-١٤-١٥-١٩-٢٤-٢٧.
 - ٤- وسائل الشيعة ج ٩ الباب ١٣ من أبواب الطواف الاحاديث ١٥-١٣-١١-٩-٧-٥-٤.
 - ٥- البحار ٤٦ باب معجزاته و معالى اموره و غرائب شأنه صلوات الله عليه، الحديث ١-٢٠ ص ٢٩-٢٢-٣٠.

[*٩٩] هذا خلاف ما هو المعروف المسلم عن الاشعريه من انكار الحسن والقبح العقليين كما لا يخفى على من راجع الكتب الكلاميه.

انظر كشف المراد ص ٣٢٧ شرح التجريد للقوشجى ص ٣٣٧ و ما بعدها. دلائل الصدق ج ١ ص ٢١٤ إلى ٢٣٢ بل و ما بعدها.

[*١٠٠] هو القاضى ابوبكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى الاشعري البصرى المتكلم المشهور.

فى الروضات عن ابن خلكان: كان اماماً على مذهب الشيخ ابى الحسن الذى هو رئيس الاشاعره.

قال: و صنف التصانيف الكثيره المشهوره فى علم الكلام إلى و كان فى علمه اوحده زمانه و انتهت اليه الرئاسة فى مذهبه و غيره. توفي آخر يوم السبت و دفن يوم الاحد لسبع بقين من دى القعدة سنه ٤٠٣.

و ذهب إلى (١) ان الفاظ العبادات او مطلق ما يستعمل فى السنه المتشرعه باقيه على معانيها اللغويه والخصوصيات الزائده عليها معتبره فى موضوع الأمر لا- فى المستعمل فيه فنسبه المعانى المستحدثه إلى المعانى اللغويه نسبه المقيده إلى المطلق. و له مع شيخنا الاجل الشيخ المفيد المتقدم ترجمته مناظرات يفحمه الشيخ، ذكر منها فى الروضات قول الباقلانى (٢) الحمد لله لذى يفعل فى ملكه ما شاء معرضاً على الشيخ رحمه الله فاجابه الشيخ سريعاً سبحان من تنزه عن اللغو والفحشاء. و قد سبق نظير هذه الحكايه بين القاضى عبدا لجبار المعتزلى و ابى اسحق الاسفراينى الاشعري و قال المفيد رحمه

١- حقايق الاصول ج ١ ص ٥٤.

٢- روضات الجنات ج ٦ ص ١٦٠-١٥٩.

الله للباقلاني لما قال للشيخ بعد مناظره افحمه فيها، لك ايها الشيخ في كل قدر مغرفه. نع ما تمثلت به ايها القاضي من اداه ابيك، فضحك الحاضرون و خجل القاضي.

[*١٠١] تقدمت ترجمته في تعاليق الفصل الثاني عشر (٢٩).

[*١٠٢] الذي يغلب على الظن كذب هذا الاعتذار، بل اراد منه ان ينخلع عن مذهب اهل البيت، و الا فالصاحب قبل ان يتصدى للاملاء تاب كما ذكره المصنف ص ٣٢١.

[*١٠٣] هو أبو نصر عبدالرحيم بن الامام عبدالكريم أبي القاسم بن هوازن القشيري، كان اماماً مناظراً مفسراً أديباً علامه متكلماً، و هو الذي اصل الفتنة ببغداد بين الأشاعره و الحنابله ثم فتر أمره و أصابه فالج من آخر أمره عن العبر (١).

[*١٠٤] هو الشيخ الفاضل الحافظ البارع المجدد أبو الفضل و قيل: أبو اليمن أحد بن هبه الله بن أحمد بن محمد بن الحسن، المعروف بابن عساكر الدمشقي الشامي الشافعي و يقوى جداً انه الشيخ أبو القاسم بن عساكر المشهور صاحب كتاب تاريخ دمشق المعروف الكبير و اسمه على بن الحسن بن هبه الله، عبدالله بن الحسين المشتهر بابن عساكر الدمشقي الشافعي، و كتاب تاريخه المشار اليه كبير جداً في نحو ٥٧ مجلداً و عن الوافي بالوفيات ان وفاته ٥٧١ و عده شيوخه ١٣٠٠ شيخ و ٨٠ امرأه. قال في الروضات ما معناه ان كنيه ابن عساكر حيثما تطلق تنصرف الي هذا الرجل المتبحر الغطريف (٢). و في الشذرات (٣) ذكر وفاته في التاريخ المذكور و وصفه بصاحب التاريخ الثمانين مجلده و روضات حسنه.

١- شذرات الذهب ج ٤ ص ٤٥

٢- روضات الجنات ج ١ ص ٣٢٩-٣٣١.

٣- شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٣٩.

[*١٠٥] قال في المنجد الماتريدي (١): محمد ابو منصور السمرقندى ٣٣٣/هـ ٩٤٤ م فقيه حنفى اصولى من ائمه علماء الكلام ولد و تولد فى سمرقند، دافع عن عقائد النسبه ضد المعتزله. والفرق الاخرى كافقرامطه ثم ذكر من مؤلفاته شرح الفقه الاكبر، التوحيد.

[*١٠٦] قال ابن ابى الحديد (٢) و اطلقت الكراميه عليه سبحانه لفظ اليدىن و الوجه، و قالوا لا نتجاوز الاطلاق، و لا نفسر ذلك، و لا نتأوله، و انما تقتصر على اطلاق ما ورد به النص.

قال، و ذهبت الكراميه و الحشويه إلى ان الله تعالى فى جهه فوق، و اليه ذهب هشام بن الحكم و على بن منصور و يونس بن عبدالرحمن و هشام بن سالم الجوالقى و كثير من اهل الحديث.

اقول ما (٣) نسبه إلى هشام و اضرايه لا اصل له.

و قبله المسعودى (٤) فى مروج الذهب اطلق عليه عنوان شيخ المجسمه و الرفضه و يتفاوت ما نقله فى (٥) محاجه عمرو بن عبيد شيخ المعتزله فى الامامه مع ما اورده اصحابنا عنه و ذكره هو للصادق عليه السلام بطلب منه. فراجع كتب الرجال كالتنقيح (٦) والمعجم (٧) و كتب الحديث كالبحار (٨) و مرآه العقول (٩) لأنه اكبر المتكلمين من أصحاب الصادق

١- المنجد فى الأعلام ص ٦٢٥ الطبعة السابعة.

٢- شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٢٢٨-٢٢٩.

٣- تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٤-٣٠٢. معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٧١-٣٠٥.

٤- مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٣.

٥- مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٥.

٦- تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٧.

٧- معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٨٢-٢٨٣-٢٩٠-٢٩١.

٨- بحار الانوار ج ٢٣ ص ٦-٨.

٩- مرآه العقول ج ٢ ص ٢٦٥ الى ٢٦٨.

والكاظم عليهما السلام و المناضل أعدائهم.

و قد ورد فى مدحه و مقامه عند الصادق عليه السلام، و تقديمه على شيوخ اصحابه و قوله فيه ناصرنا بقلبه و لسانه و يده ما لا يبقى محلاً للريب فى عظمته و ديانتته و استقامته و ثقته مع علو أمره فى الكلام و اشتهاه فى ذلك بحيث رضى به المتكلمون من اصحاب الديانات فى مجلس يحيى بن خالد حكماً، و مناظراته مع خصماء الاماميه فى الامامه المذكوره مشهوره و ربما أورد شيئاً من ما نسب اليه الزاماً للخصم فنسبوه اليه جهلاً او عناداً. و طبيعى لمثل هذا الشخص ان يصير غرضاً لسهام التهمه كأمثاله من العلماء الأبرياء.

و عن الرضا عليه السلام حيث سأله سليمان بن جعفر الجعفرى عن هشام بن الحكم فقال رحمه الله كان عبداً ناصحاً و اودى من قبل اصحابه حسداً منهم له.

و عن ابى الحسن الثانى عليه السلام الامر بتوليته و على بن منصور احد تلاميذه، و هشام بن سالم ثقه ثقه فى قول النجاشى و عده الشيخ المفيد، هشام بن الحكم من الاعلام المأخوذ منهم الحلال و الحرام الذين لا يطعن عليهم بشىء و لا طريق الى ذم واحد منهم.

و التفصيل المذكور فى كتب رجال اصحابنا. و على اى فالكراميه كما عن الشهرستانى (١) فى الملل والنحل من الصفاتيه و اهل السنه، اصحاب ابى عبدالله محمد بن كرام، و هم طوائف يبلغ عددهم ١٢ فرقه كما قال: نصب ابو عبدالله على ان لمعبوده على العرش استقراراً و على انه بجبهه فوق ذاتاً، و اطلق عليه اسم الجوهر، فقال فى كتابه المسمى عذاب القبر انه احدى الذات احدى الجواهر و انه مماس للعرش من الصفحه العليا، و يجوز عليه الانتقال و التحول و النزول انتهى و عد الكراميه (٢) من المشبهه.

١- دلائل الصدق ج ١ ص ١٣٥.

٢- بيان الأديان ٢٧.

[*١٠٧] هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت العلوى الحسنى، قبيلته من المصادمه تعرف بهرغه فى جبل السوس، من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير، قد رحل فى شيبته الى بلاد المشرق فى طلب العلم و كان فقيهاً فاضلاً عالماً بالشريعه حافظاً للحديث عارفاً باصولى الدين و الفقه متحققاً بعلم العربيه و كان ورعاً ناسكاً، ذكر قضاياه و انه بايعوه على انه المهدي (١).

[*١٠٨] تعرض المتكلمون من الاماميه لعينه (٢) الصفات، و عدم زيادتها على الذات و اقاموا على ذلك براهين قبال (٣) الاشاعره و جمع من المعتزله الذين ذهبوا إلى زياده الصفات على الذات و انه عالم بعلم قادر بقدره الخ.

و ذهبت الاشاعره (٤) إلى انها معانى قديمه قائمه بذاته و ابوهاشم اثبت احوالاً غير معلومه يعلم الذات عليها.

و التفصيل يطلب من مظانه من الكتب الكلاميه.

[*١٠٩] و خلاصه الكلام فى ذلك ان لا خلاف بين اهل الملل فى كونه تعالى متكلماً و اختلف اهل الاسلام، فالاماميه قائلون بحدوثه، و الاشاعره والحنابله بقدمه، و ذلك لاعتقادهم بالكلام النفسى قال الفضل (٥) من روزبهان الكلام عندهم (اى الاشاعره) لفظ مشترك تاره يطلقونه على المؤلف من الحروف المسموعه، و تاره يطلقونه على المعنى القائم بالنفس الذى يعبر عنه بالألفاظ و يقولون هو الكلام حقيقه و هو قديم قائم بذاته.

١- الكامل فى التاريخ ج ١٢ ص ٥٦٠ و ما بعده ارخ وفاته سنظ ٥٢٤. شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٠.

٢- شرح القوشجى ج ١ ص ٣٢٧، دلائل الصدق ج ١ ص ١٦٢، كشف المراد ج ١ ص ٣٢١.

٣- شرح القوشجى ج ١ ص ٣٢٧، دلائل الصدق ج ١ ص ١٦٢، كشف المراد ج ١ ص ٣٢١.

٤- دلائل الصدق ج ١ ص ١٦٣.

٥- دلائل الصدق ج ١ ص ١٤٥.

مسئله خلق قرآن يا مخلوق نبودن آن دورانى در خلافت عباسيان موجب فتنه هاى شده. وحدث فى مسئله خلق القرآن او انه غير مخلوق فتن فى الحكومه العباسيه، فترى (١) المأمون لما صار إلى دمشق سنظ ٢١٨ كتب فى اشخاص الفقهاء من العراق و غيرها فامتحنهم فى خلق القرآن، و اكفر من امتنع ان يقول القرآن غير مخلوق، و كتب ان لا تقبل شهادته، فقال: كل بذلك إلا نفرأ يسراً. إلى ان انتهت النوبه إلى المعتصم، فامتحن (٢) احمد بن حنبل فى خلق القرآن، فقال احمد انا رجل علمت علماً و لم اعلم فيه بهذا، فاحضر له الفقهاء و ناظر عبدالرحمن بن اسحاق و غيره، فامتنع ان يقول ان القرآن مخلوق، فضرب عده سياط.

يقول المسعودى ٣٨ سوطاً (٣) و زاد فى الروضات على الضرب الحبس، و هو مصر على الامتناع (٤).

فقال اسحاق بن ابراهيم: ولنى يا اميرالمؤمنين مناظرته، فقال شأنك به.

فقال اسحاق: هذا العلم الذى علمته نزل به عليك ملك او علمته من الرجال؟

فقال: بل علمته من الرجال.

فقال: شيئاً بعد شىء دو جمله؟

فقال: عملته شيئاً بعد شىء.

قال: فبقى عليك شىء لم تعلمه؟

قال: بقى على.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٢٠٢.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٢٠٦.

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ٥٢.

٤- الروضات ج ١ ص ١٨٤.

قال: فهذاذا مما لا تعلمه و قد علمكه أميرالمؤمنين.

قال: فانى اقول بقول اميرالمؤمنين.

قال فى خلق القرآن؟

قال فى خلق القرآن.

قال: فاشهد عليه و خلع عليه و اطلقه إلى منزله.

و تولى الواثق بالله الحكم على الناس و امتحنهم (١) فى خلق القرآن، فكتب إلى القضاة ان يفعلوا ذلك فى سائر البلدان و ان لا يجيزوا إلا شهاده من قال بالتوحيد، فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً.

لكن المتوكل (٢) نهى الناس بعد ان بويع بالخلافه عن الكلام فى القرآن و اطلق من كان فى السجون من اهل البلدان و من اخذ فى خلافه الواثق فخلاهم جميعاً و كساهم جميعاً و كتب إلى الآفاق كتباً ينهى عن المناظره و الجدل و امسك الناس و امرهم (٣) بترك ما كانوا عليه ايام المعتصم والواثق (والمأمون) و امر الناس بالتسليم و التقليد و امر شيوخ (الشيوخ) المحدثين بالتحديث و اظهار السنه و الجماعه، و لكن يظهر من (٤) التاريخ وجود النزاع غير ناشط إلى زمن المهدي فعدل عن هذا القول كما يحدثنا المسعودى لمناظره جرت فى مجلسه بين شيخ فقيه محدث شامى مقيد طوال و بين احمد بن ابى دؤاد. و فى تاريخ الطبرى (٥) تعرض للمسئله بتفصيل و كذلك فى الكامل لابن

١- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٢١٥.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٢١٧-٢١٨.

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ٨٦.

٤- مروج الذهب ج ٤ ص ١٩١-١٩٢.

٥- تاريخ الطبرى ج ٧ ص ١٩٥-٢٠٦.

و قال القوشجى (٢) الحنابله قالو: كلامه تعالى حروف و اصوات يقومان بذاته، و انه قديم و قد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلاً الجلد و الغلاف ايضاً قديماً فضلاً عن المصحف و الاماميه انار الله براهينهم قائلون بحدوثه كالمعتزله و منكرون للكلام النفسى، لكن يابون عن اطلاق المخلوق على القرآن بارشاد من ائمتهم عليهم السلام لا- لموافقه الاشاعره بل لثلاث- يتوهم من اشتراك المخلوق ان القرآن مختلق مفترى مكذوب.

قال زرارہ (٣) (و هو احد اعلام الشيعة و علمائها من اصحاب الامامين الباقر و الصادق عليهما السلام)

سألت ابا جعفر عليه السلام عن القرآن. فقال لى لاخالق و لا مخلوق و لكنه كلام الخالق.

و قال (٤) عبدالرحيم كتبت على يدى عبدالملك بن اعين إلى ابى عبدالله عليه السلام جعلت فداك اختلف الناس فى القرآن، فزعم قوم ان القرآن كلام الله غير مخلوق، و قال آخرون، كلام الله مخلوق.

فكتب عليه السلام القرآن كلام الله محدث غير مخلوق، و غير ازلى مع الله تعالى ذكره و تعالى عن ذلك علواً كبيراً، كان الله عزوجل و لا شىء غير الله معروف و لا مجهول، كان عزوجل و لا متكلم و لا مرید و لا متحرك و لا فاعل، جل و عز ربنا، فجميع هذه الصفات محدثه غير حدوث الفعل منه. جل و عز ربنا و القرآن كلام الله غير مخلوق الى آخره و فى روايه (٥) عن الرضا عليه السلام و قد سئله الراوى عن القرآن أخالق أو مخلوق؟

١- الكامل لابن الأثير ج٧ ص ٢٢٢ إلى ٢٢٥.

٢- شرح التجريد للقوشجى ج ١ ص ٣١٦.

٣- البحار ج ٩٢ ص ١٢٠.

٤- البحار ج ٩٢ ص ١١٨.

٥- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١١٧.

فقال: ليس بخالق و لا مخلوق و لكنه كلام الله عزوجل.

[*١١٠] استدلال ضعيف لا يثبت المدعى.

[*١١١] ليس التكفير سهلاً إلا ان يخالف الانسان ضروره الاسلام و ينكره.

كيف و فى القرآن ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (واى فرق بين المخلوق و المحدث).

[*١١٢] هذا لا ربط له بالايمان لصدوره من غير المؤمن ايضاً.

[*١١٣] بل الانسان عل نفسه بصيره و لو القى معاذيره.

الانسان كما يكون فبعينه هو كذلك عند الله.

[*١١٤] حتى ابى هريره الدوسى الكذاب الذى ضربه الخليفه الثانى بالدره (١) لذلك و صادر أمواله (٢) كأموال غير واحد من عماله بل كلهم بالنصف الا قنفذ (٣) العدوى لضربه فاطمه سلام الله عليها بالسوط فماتت و فى عضدها أثره كانه الدمليج، و يجب أن نحب حتى سمره بن جندب و معاويه و عمر و بن العاص و اضرابهم من المنافقين. ان هذا الا اختلاق. و هذه الكليه خلاف القرآن الكريم.

[*١١٥] لا دليل على هذه الكليه. بل اننا معاشر الشيعة الاماميه نعتقد ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله على و فاطمه و الأئمه الاحد عشر من ولدهما صلوات الله عليهم اجمعين، و ها هى كتبنا الكلاميه منتشره فى ارجاء العالم و نواحى المعموره، و دلائلنا العقلية و النقلية مذكوره فيها مفصله مشفوعه بالرد على شبهات المخالفين.

[*١١٦] اقوار العشره، المعروفه بالمبشره هم على عليه السلام (٤) و ابوبكر و عمر و عثمان و طلحه

١- شرح النهج الحديدى ١٢ ص ٤٢-٤٣.

٢- شرح النهج الحديدى ١٢ ص ٤٢-٤٣.

٣- سليم بن قيس الكوفى ص ١٣٤.

٤- الغدير ج ١٠ ص ١١٨.

والزبير و عبدالرحمن بن عوف و سعد بن ابى وقاص و سعيد بن زيد و ابو عبيده الجراح. و ما تمسك به لاثبات هذا المدعى ما اخرجه (١) احمد فى المسند باسناده عن عبدالرحمن بن حميد عن ابيه عن عبدالرحمن بن عوف، ان النبى صلى الله عليه و آله قال ابوبكر فى الجنة و عمر فى الجنة و على فى الجنة عثمان فى الجنة و طلحه فى الجنة إلى آخر العشرة على الترتيب المذكور و بهذا الاسناد أخرجه الترمذى فى صحيحه، و عن عبدالرحمن بن حميد عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه و آله نحوه.

والبغوى فى المصايح.

و اخرجه ابو داود فى سننه من طريق عبدالله بن ظالم المازنى عن سعيد بن عمرو، و شهادته على التسعة انهم فى الجنة (و عداهم) قلت و من العاشر؟ فتلكأ هنيئه، ثم قال: انا (و هذه شهاده لا روايه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و لسعيد هذا روايه سماع عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى كون كل واحد من العشرة فى الجنة، و ذيلها قريب من ما ذكرنا، اخرجه ابوداود فى سننه و الترمذى فى جامعه و ابن الربيع فى تيسير الوصول.

قال الامينى قدس سره و ذكره المحب الطبرى بالطريقين فى الرياض النضرة.

والتقاش فى هذه الروايه سنداً و دلالة و اسع المجال، لاسيما و لم تنقل إلا عن اثنين منهم و الراوى لنفسه متهم، مع ما ثبت عن اولئك العشرة كل بالنسبه إلى غير واحد من الآخرين من المخالفات و المناومات و ما سود تاريخ غير عليه عليه السلام منهم، على ان لغير اولئك وردت روايات مقبولة عند القوم واضح الاسناد معتبره من رجال ثقات معروفين عن النبى صلى الله عليه و آله فى بشارته و شهادته انه من اهل الجنة و التفصيل فى الغدير (٢).

١- الغدير ج ١٠ ص ١١٨.

٢- الغدير ج ١٠ - ص ١١٩ - ١٢٨.

[*١١٧] الثابتات على منهاجه والباقيات فى بيوتهن لم يخرجن لاثاره حرب ولا لسوق عسكر ولا على ولى الله اميرالمؤمنين عليه السلام الذى حربه حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمه سلمه.

[*١١٨] الخروج عن الاسلام لا يتحقق بسب عائشه. لعدم دليل لا سيما مع ما ثبت عنها و عن حفصه فى قضيته انبائها و افشائها سر النبى صلى الله عليه وآله حسب ما ورد فى تفسير الآيه (ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) الخ و خروجها على اميرالمؤمنين عليه السلام بالعساكر فى فتنه حرب الجمل.

[*١١٩] لانه الذى عارض الامام الحق و نكص عن بيعته و افترى و الفتعل الأكاذيب عليه و سبب حرب صفين التى قتل فيها من الفريقين مات الوف و قتل حجراً و أصحابه و سم الحسن عليه السلام باغراء زوجته جعده و قتل عمرو بن الحمق الخزاعى و سب أميرالمؤمنين عليه السلام و عدداً من أولاده و أصحابه و فتح بابه و طال إلى أمد بعيد و ادعى زياد ابن سمييه انه ابن أبى سفيان مع ما رواه الفريقان عن النبى صلى الله عليه وآله الولد للفراش و للعاهر الحجر و كم له من مخازى حتى ان المغيره بن شعبه معلوم الحال لا يرى له ديناً و ايماناً كما يحدثنا بذلك ابن بكار (١) فى (الموفقيات) عن مطرف بن المغيره بن شعبه الثقفى قال: سمعت المدائنى يقول: قال مطرف بن المغيره: و فدت مع أبى المغيره إلى معاويه فكان أبى يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلى فيذكر معاويه و يذكر عقله و يعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليله فأمسك عن العشاء فرأيته مغتماً مند الليله؟ قال: يا بنى انى

١- النصائح الكافيه ج ١ ص ١١٧-١١٨، دلائل الصدق ج ٣ ص ٢٢٥-٢٢٦ و ٢٨٣-٢٨٤، شرح النهج لابن أبى الحديد ج ٥ ص ١٢٩-١٣٠ و فيه مكان ما غدا، فما عدا، مروج الذهب ج ٤ ص ٤١ و فيه أيضاً مكان ما غدا، ما عدا.

جئت من عند أخبث الناس، قلت له: و ما ذاك؟ قال: قلت له: و قد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً و بسطت خيراً فانك قد كبرت، و لو نظرت إلى اخوتك من بنى هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات، ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل فوالله ما غدا ان هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل: أبوبكر، ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمر عشر سنين، فوالله ما غدا ان هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل: عمر (١) ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل و عمل به، فوالله ما غدا ان هلك فهلك ذكره و ذكر ما فعل به وان أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله فأى عمل يبقى مع هذا لا ام لك، والله إلا دفناً دفناً. انتهى.

و أعظم من هذا كله أخذ البيعه لجروه يزيد الهاويه و تمهيد صعوته على كرسى الملك و قتل السبط الشهيد و أولاده و أقرائه و أصحابه عطاشاً بأمر و اليه على الكوفة عبدالله بن زياد ابن المرجانه و سبى نساءهم و ذرايهم و الطواف بهم في البلدان كاسارى الترك و الديلم و فعله بالرأس الطاهر و هو و اليه عبدالله ما لا يخفى على مسلم و غيره و هدمه لبيت الله الحرام و واقعه يوم الحره بأمره التي يقول فيها المورخون قتل عدد كثير من عباد الله المهاجرين و الأنصار و الأدهم و اباحه مدينه الرسول صلى الله عليه و آله و هتك حرمة و ايصال الخزي بنات و نساء المسلمين حتى انه ولد فيهم ألف مولود حرام، فراجع.

[* ١٢٠] لا مسامس لهذه الآيه بمعويه و أمثاله اذ أى ايمان له و ذويه بل يرمى بالزندقه كما قال ابن أبى الحديد (٢): و معاويه مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله و يرمى بالزندقه

١- و في الشرح ج ٥ ص ١٣٠ بعده و ان ابن أبى كبشه ليصاح به في كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) فأى عمل يبقى و أى ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك، لا والله إلا دفناً دفناً.

٢- شرح النهج لابن أبى الحديد ج ١ ص ٣٤٠.

بل و ذكر (١) عن روايه الواقدي ان معاويه عاد من العراق إلى الشام إلى قوله، فلما كان من الغد كتب كتاباً ثم جمعهم فقرأ عليهم هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاويه صاحب وحى الله الذى بعث محمداً نبياً و كان امياً لا يقرأ و لا يكتب فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً اميناً فكان الوحي نزل على محمد صلى الله عليه و آله و أنا أكتبه و هو لا يعلم ما أكتب، فلم يكن بينى و بين الله أحد من خلقه، فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أمير المؤمنين.

[*١٢١] هذه الآية راجعه إلى يوم القيامة.

[*١٢٢] الكف ربتك الصلاة كفر عملي لا عقائدي كما ورد نظيره في القرآن لترك الحج قال الله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً و من كفر فإن الله غني عن العالمين) (٢)

[*١٢٣] لم يثبت صحيحاً قول النبي صلى الله عليه و آله و على فرضه فهو بالنسبه لمن تركها مستحلاً و حينئذ يكون واجب القتل إن كان مسلماً فطرياً و إلا فبعد امتناعه من التوبه ثلاثه أيام و لا يقتل المرثه بذلك بل تحبس و تستخدم و تضرب اوقات الصلاة حتى تتوب أو تموت و التفصيل في كتاب الحدود (٣).

[*١٢٤] هذا غير صحيح.

[*١٢٥] هذا اجتهادهم.

[*١٢٦] على فرض كونه قول النبي صلى الله عليه و آله فالمراد بأئمه المسلمين هم أئمه الحق و أهل بيت النبوه و العتره الطاهره الذين من تمسك بهم فاز و نجا و من تخلف عنهم هوى و ورد في الخبر المتواتر بين الفريقين انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى اهل بيتى و انهما لن

١- شرح النهج ج ٤ ص ٧٢.

٢- آل عمران: ٩٧.

٣- كتاب الحدود ج ٢ ص ٢٧٩-٢٨٢.

يفترقا حتى يردا على الحوض.

[*١٢٧] ذكر فى تأسيس (١) الشيعة ان الحسن بن موسى النوبختى أول من صنف علم الفرق فى الاسلام و ذكر ان له كتاب فرق الشيعة و كتاب الآراء والديانات و تعرض (٢) لكتب له كثيره نقلاً عن فهرست ابن النديم و أكثره عن النجاشى.

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٢٣٤، ٣٧٠.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٢٣٤، ٣٧٠.

الفصل الرابع عشر: المذاهب الفقيهه

إشاره

كان القرن الرابع أهم نقطه فاصله فى تاريخ التشريع الإسلامى؛ فيقال إنه فى

هذا القرن وقف التكوين المستقل للتشريع الإسلامى المبنى على الجتهاد المطلق و على الحكم بالرأى فى فهم القرآن و الحديث(١)

و مضى عصر الابتكار فى التشريع، و اعتُبر العلماء الأولون كالمعصومين، و أصبح الفقيه لا يستطيع إصدار حكمه الخاص إلا فى المسائل الصغيره؛ و هذا يشبه ما حدث عند اليهود من مجىء الربانيين الذين كان قصاراهم التناقش فى آراء القدماء، و ذلك بعد مضى عهد علماء الكتاب الذين يعلمون الكتاب و يحق لهم الاجتهاد.

ولكن هذا إنما هو اعتبار المسأله من وجهه النظر الإسلاميه(٢)

و الواقع أنه ظهر فى هذا الميدان الفقهى ما ظهر فى غيره من الميادين، و أهم ما حدث هو تسرب آراء فى التشريع مما كان قبل عهد الإسلام إلى الفقه الإسلامى، كما حييت من جديد بعض النظريات اليونانيه و الرومانيه القديمه. و كان يمثلها

١- Snouck Hurgronje, RHR, ٣٧, S. ١٧٦-١

٢- راجع مثلاً ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن الفقه. (المترجم).

الفقهاء، و يخالفهم أصحاب الحديث المتمسكون بالسنة القديمه و الذين يقيسون الحياه بمقياس نصوص الوحي و السنه النبويه. ولم يشأ هوءلاء المتمسكون بالقديم أن ينزلوا عن مكانهم بسهولة. فقد كانت لهم الغلبه فى إقليمين من أهم أقاليم المملكه الإسلاميه و هما فارس و الشام؛ و كذلك كانت لأهل الحديث غلبه فى السند، كما كانت همذان و أجنادها أصحاب حديث(١).

و كان أهم المذاهب بين أصحاب الحديث : الحنابله، و الأوزاعيه و الثوريه(٢).

ولم يكن الحنابله فى ذلك ج خلافاً لما صار إليه الحال فيما بعد ج يعتبرون من جمله الفقهاء، وفى سنه ٩١٨٣٠٦ م ذكر أصحاب المذاهب فكانوا : الشافعيه و المالكيه و الثوريه أصحاب سفيان الثورى، و الحنفيه و الداووديه(٣).

و فى أواخر القرن الرابع كانوا : الحنفيه و المالكيه و الشافعيه و الداووديه(٤).

ولم يذكر الحنابله بين الفقهاء فى هاتين المديتين؛ ولما توفى محمد بن جرير الطبرى عام ٣١٠ هـ ٩٢٣ م دُفِن بداره ليلاً لأن العامه اجتمعت و منعت من دفنه نهراً؛ و كان ذلك بتأثير الحنابله؛ وقد تعصب عليه هوءلاء، لأنه جمع كتاباً ذكر فيه الختلاف الفقهاء، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فُسِّل فى ذلك فقال : لم يكن فقيهاً، و إنما كان محدثاً(٥).

١- المقدسى ص ١٧٩، ٣٩٥، ٤٣٩، ٤٨١ .

٢- الفهرست لابن النديم ص ٢٢٥ و ما بعدها، و المقدسى ص ٣٧ .

٣- طبقات السبكي ٢ ص ٣٠٧ .

٤- المقدسى ص ٣٧ .

٥- المنتظم لابن الجوزى تحت عام ٣١٠ هـ نقلا- عن ثابت بن سنان، و ابن الأثير ج ٨ ص ٩٨ نقلا- عن مسكويه ؛

.Wustefeld, AGGW, ٣٧, Nr. ٨٠.

ولم ينل الحنابلة الاعتراف بأنهم فقهاء إلا أخيراً^(١).

أما مذاهب غيرهم من أصحاب الحديث فلم تستطع البقاء، ففي القرن الثالث الهجري غلب المالكية على أصحاب الأوزاعي في الأندلس^(٢).

وكان قاضي دمشق المتوفى عام ٣٤٧ هـ ٩٥٨ م أوزاعي المذهب^(٣)؛ وكان للأوزاعية على عهد المقدسي مجلس بجامع دمشق^(٤).

و يرى المقدسي أيضاً أن مذهب الأوزاعي لم ينتشر أكثر من ذلك لأنه كان مُتَطَرِّفًا، فقلَّ الواردون عليه و الناقلون عنه؛ « ولو كان على سابله الحج لَنَقَلَ مذهبُه أهلُ الشرق و الغرب^(٥)»؛ و كذلك يُعَدُّ المقدسي مذهبَ سفيان الثوري بين المذاهب المندرسه، بعد أن كان لهذا المذهب جَلْبَةٌ في أصفهان والدينور^(٦).

وفي سنة ٤٠٥ هـ ١٠١٤ م توفى أبوبكر عبد الغفار بن عبدالرحمن الدينوري، ولم يكن بيغداد مُفْتٍ على مذهب سفيان الثوري غيره، و هو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوري^(٧).

١- حوالى عام ٥٥٠٠ كما يقول الغزالي (انظر كتاب اختلاف الفقهاء لمحمد بن جرير الطبرى، طبعه كرن (Kren)، مصر ١٣٢٠هـ ١٩٠٢ م، ص ١٤).

٢- انظر فيما يتعلق بهذا كتاب ١٠٨. S. Fanan, Homenaje a Don Fr, Codera, Zaragoza, ١٩٠٤.

٣- أبو المحاسن ج ٢ ص ٣٤٧ طبعه ليدن .

٤- المقدسي ص ١٧٩ .

٥- المقدسي ص ١٤٤ .

٦- المقدسي ص ٣٧، ٣٩٥ .

٧- أبوالمحاسن طبعه كليفورنيا ص ١٢٠، ويقول أبوالمحاسن : لعل هذا بالشرق، و أما بالغرب فدام مذهب الثوري بعد هذا التاريخ عدة سنين. (المترجم) .

ولم تكن المذاهب قد استقرت على رأس المائة الثالثة، رغم ما قيل من أنه في هذا التاريخ كان قد بطل نحو من خمسمائه مذهب(١).

وقد أسس داوود الأصفهاني (المتوفى عام ٢٧٠ هـ ٨٨٣ م) مذهباً كان له شأن، وهو مذهب الظاهريه؛ وقد عَظُم شأن هذا المذهب في الشرق في القرن الرابع الهجري، و كان بين أتباعه كثير من أصحاب الجاه بإيران(٢).

وكان الداووديه بعارس يتقلدون الأعمال و القضاء، وكانت لهم الغلبه، لأن السلطان عضد الدوله كان يتقلد هذا المذهب(٣).

وقد أنكر الظاهريه أشد الإنكار ما فعله الشافعي من محاوله التوفيق بين المنهج الفقهي القديم الذى انتهى إليه و بين المنهج الجديد(٤)؛ وكان مذهب الظاهريه سبباً في وضوح المناهج، شأن غيره من مذاهب المتطرفين، وكانت القاعده الكبرى التى استندوا إليها هي النمسك بحرفيه النصوص تمسكاً دقيقاً. ولكن هذه قاعده علميه، و سرعان ما أدركوا أن الفقه ليس علماً نظرياً، بل هو عمل؛ ولم يكن الأثر الأكبر لمنهجهم القائم على محو اللبس، في الفقه، بل كان في المباحث التاريخيه و اللغويه. و يرى المقدسى أن أكبر خصال أصحاب داود هي : الكبر، والحده، و الكلام، و اليسار(٥).

١- كتاب اختلاف الفقهاء للطبرى ص ١٤، نقلا عن كتاب عمده العارفين؛ وكانت مذاهب أصحاب الحديث كثيره جداً، وإنما كان ذلك لكثره ما في الأحاديث من غموض .

٢- Goldziher, Zahiriten S. ١١٠.

٣- المقدسى ص ٤٣٩ .

٤- مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٨، ولا توجد هنا مطابقه تامه، و إنما ينسب للظاهريه إنكار القياس. (المترجم).

٥- المقدسى ص ٤١ .

وقد أسس أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ المتوفى عم ٣١٠هـ ٩٢٣ م مذهباً خاصاً به، وقد ظل الناس بعد موته عدة شهور يجتمعون للصلاه على قبره ليلاً و نهاراً^(١).

وكان للطبري صاحبٌ يسمى ابن شجره و توفى سنة ٣٥٠هـ ٩٦١ م، وقد ناهز التسعين؛ وكان جريري المذهب، ثم خالف أستاذه و أصبح يختار لنفسه، ولا يضع لأحد من الأئمة أصلاً؛ و مع هذا تقلد قضاء الكوفه^(٢)، وهذا دليل على مرونة الظروف و عدم التعصب بسبب الاختلاف في الرأي؛ وكذلك كان ابن حربويه الشافعي المذهب، قاضي مصر المتوفى عام ٣١٩هـ ٩٣١ م بعد أن جاوز المائة، يختار في أحكامه، « و حكم بما لو حكم به غيره ما سكتوا عنه؛ فلم ينكر عليه أحدٌ، لأن أبا عبيد (كنيه ابن حربويه) كان لا يطعن عليه في علم، ولا تلحقه تهمة في رُشدِه، ولا يحيف في حكم^(٣)».

و بالإجمال استقرت المذاهب الفقهيه الكبرى في ذلك العصر و توطدت أركانها على النحو الذي نجده اليوم، إذا استثنينا البلاد التي آل أمرها إلى الشيعة و لم يبرز مذهب الإمام أحمد خارج العراق إلا في القرن الرابع الهجري^(٤).

وفي هذا القرن فتح مذهب الشافعي ج و هو أهم المذاهب اليوم _ البلاد التي

١ - ٨٠، Nr. ٣٧، AGGW, Wustefeld, و يذكر أبوالمحسن (طبعه كليفورنيا ص ١٢٦ تحت سنة ١٠١٩٤١٠ م، وفاه عالم، كان يتفقه على مذهب الطبري. و مما صنفه القاضي عبدالله بن محمد بن الخصيب المعروف بالقاضي الخصبي، المتوفى عام ٣٤٧هـ ٩٥٨ م، كتاب في الرد على الطبري (ملحق القضاء للكندي ص ٥٧٧)؛ انظر أيضاً طبقات السبكي ج ٢ ص ١٣٩ و ما يليها .

٢- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ١٨ .

٣- ملحق الكندي ص ٥٢٨؛ و طبقات السبكي ج ٢ ص ٣٠١ ج ٣٠٢ .

٤- حسن المحاضره للسيوطي ج ١ ص ٢٢٨ .

يحتلها اليوم، و كان أكبر مراكزه مكة و المدينة(١).

ويقول السبكي : « و أما بلاد الحجاز فلم تَبْرَحْ أيضاً منذ ظهور مذهب الشافعي، و إلى يومنا هذا، في أيدي الشافعية القضاء و الخطابه و الإمامه بمكة و المدينة، و الناس من خمسمائه و ثلاث و ستين سنه يخطبون في مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله ، و يصلون على مذهب ابن عمه محمد بن إدريس، يفتنون في الفجر، و يجهرون بالتسميه، و يفردون الإقامه إلى غير ذلك، و هو صلى الله عليه و آله حاضرٌ يبصر و يسمع، و في ذلك أوضح دليل على أن هذا المذهب صواب عند الله تعالى(٢)؛ و لم يكن للشافعي أتباع كثيرون في العراق، و كان الغالب على فقهاء هذا الإقليم و قضاته أصحاب أبي حنيفه(٣)، و إن كان قد ولى قضاء القضاء ببغداد أحد الشافعية سنه ٣٣٨ هـ ٩٤٩ م(٤)؛ و قد أفلح الشافعيه في التغلب على الحنفيه بالمشرق(٥)، و كان أكبر حصن لهم في الشام و مصر.

و كان أبو زرعه محمد بن عثمان الدمشقي (المتوفى عام ٣٠٢ هـ ٩١٤ م) أول من ولى قضاء مصر من الشافعيه، و هو أول من أدخل في دمشق مذهب الشافعي و حكم به، و لم يلِ بعده قضاء مصر ولا قضاء الشام إلا شافعي المذهب، بعد أن

١- رسائل الخوارزمي ص ٦٣، و لم يقل المقدسي شيئاً في هذه المسأله .

٢- طبقات السبكي ج ١ ص ١٧٤ .

٣- المقدسي ص ١٢٧ .

٤- طبقات السبكي ج ٢ ص ٢٤٤ .

٥- يقول السيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٦ من الطبعه الأوربيه ٩ إن الإمام أبابكر الشاشي الفقيه الشافعي، المعروف بالقفال، المتوفى عام ٣٦٥ هـ ٩٧٨ م هو الذي نشر فقه الشافعي فيما وراء النهر، و يقول المقدسي (ص ٤٦٨ ج ٤٦٩) إن الغلبه بكرمان لأصحاب الشافعي .

كان الغالب على أهل دمشق مذهب الأوزاعي (١).

وكان ينافسهم في مصر المالكيه الذين استولوا على مصر منذ منتصف القرن الثاني الهجرى. وفي سنه ٣٢٦ هـ ٩٣٨ م كان للمالكيين في المسجد الجامع خمس عشره حلقه و للشافعيين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفه ثلاث حلقات فقط (٢).

وفي عهد المقدسى تولى إمامه مسجد ابن طولون أحد الشافعيه لأول مره، ولم يقدّم في محراب هذا المسجد إمام قط قبله إلا و هو يتفقه لمالك (٣)، و كان معظم الفقهاء بمصر من أصحاب مالك. و يقول السيوطى إن أبا بكر النعالى المتوفى عام ٣٨٠ هـ ٩٩٠ م كان إمام المالكيه بمصر، و كانت حلقتة في الجامع تدور على سبعة عشر عموداً لكثرتة من يحضرها (٤).

ولهذا اشتدت الدوله الفاطميه في محاربه المالكيه؛ ففي سنه ٣٨١ هـ ٩٨٩ م مثلاً ضرب رجل بمصر وطيف به في المدينه، لأنه وُجد عنده كتابُ الموطأ لمالك بن أنس (٥)؛ ولما زالت دوله الفاطميين و حلت محلها دوله الأيوبيين، و هم من الأكراد الشافعيه، أكملوا انتصار هذا المذهب بإيثارهم للفقهاء الشافعيه؛ ولكن الصعيد بقى في الجمله مالكي المذهب إلى أيامنا، ولم ينتشر مذهب الشافعي

-
- ١- ملحق القضاء للكندى ص ٥١٨؛ و طبقات السبكي ج ٢ ص ١٧٤، و حسن المحاضره للسيوطى ج ١ ص ١٨٦؛ ولكن قاضى دمشق، المتوفى عام ٣٤٧ هـ كان أوزاعى المذهب (أبوالمحاسن، طبعه ليدن ج ٢ ص ٣٤٧، و طبقات السبكي ج ٢ ص ١٧٤).
 - ٢- المغرب لابن سعيد ص ٢٤ .
 - ٣- المقدسى ص ٢٠٢ ج ٢٠٣ .
 - ٤- حسن المحاضره للسيوطى ج ١ ص ٢١٢ .
 - ٥- الخطط للمقرئزى ج ٢ ص ٣٤١ .

غرباً أكثر من ذلك؛ وقد اقتسم المالكيه و الحنفيه بلاد المغرب؛ و كان مذهب الحنفيه بفضل مرونته أكثر ملاءمه للحكومه الفاطميه من مذهب مالِك، ولكن لما خرجت بلاد المغرب من يد الفاطميين سنة ٤٤٠هـ ١٠٤٨ م لم يقتصر البلاء على مذهبهم الشيعي فقط بل شمل مذهب الأحناف السنيين الذين كانوا يظلمونهم برعايتهم، و انتقل المغرب إلى مذهب مالِك، ولا يزال عليه إلى اليوم (١)؛ أما في الأندلس فكانت السيادة المطلقة لمذهب مالِك (٢).

أما في بغداد نفسها فقد كان الحنابله، دون سائر أهل السنه، أكبر من أقلق بال الحكومه؛ ثم إنهم اشتدوا في محاربه الشيعة ببغداد؛ وقد بنوا ببغداد مسجداً « و جعلوه طريقاً إلى المشاغبه والفتنه (٣) »؛ ثم عظم أمرهم حتى أرهجوا بغداد، و استظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد، و كانوا مثلاً في عام ٣٢٣هـ ٩٣٥ م إذا مربهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيتهم حتى يكاد يموت (٤).

و لكنهم ادّخروا أشد غضبتهم للشيعة، و لمن خاصمهم من المتكلمين؛ و كان الشافعيه أشد الفقهاء قدره على النظر و الشغب، و هاتان الخصلتان من ضمن الخصال التي وصفهم بها المقدسي (٥).

١- مقدمه جوالد زيهير لكتاب محمد بن تومرت ص ٢٣ .

٢- المقدسي ص ٢٣٦، و يقول المقدسي : « أما في الأندلس فمذهب مالِك و قراءه نافع، و هم يقولون : لا نعرف إلا كتاب الله، و موطأ مالِك؛ فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نقوه، فإن عثروا على معتزلي أو شيعي أو نحوهما ربما قتلوه ». (المترجم) .

٣- كتاب الوزراء ص ٣٣٥ .

٤- ابن الأثير ج ٨ ص ٢٢٩ ج ٢٣٠ .

٥- المقدسي ص ٤١ .

والمؤرخ عرضه للخطأ في هذه المسائل لأن معظم معارفنا عن هذه الحركات مستقاه من مصادر شافعيه؛ ولكن الشافعيه كان لا يخلو منهم نزاع فقهي، وكانوا خصوصاً لمن عداهم لا يعدلون عن الخصومه، على حين كان خصومهم يتصالحون و يبحثون عن طريق للوفاق؛ على أن المذاهب كانت في الجمله على وفاق و مسالمة تامه في القرن الرابع. و نجد العلماء ج كالمقدسي ج يوصون بترك الخلاف، و لزوم أحد المذاهب، و ترك الغلو في الدين، و كف اللسان عن تمزيق المسلمين(١).

ولم يكن الانتقال من مذهب إلى آخر بالأمر العسير: فيحكى أن أحمد بن فارس، أكبر اللغويين المتوفى عام ٣٦٩هـ ٩٨٠ م كان شافعيًا، فصار مالكيًا و قال: دخلتني الحميمه لهذا البلد، يعني الري، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الألسنه(٢).

وقد اختير لإمامه مسجد ابن طولون بمصر أحد الشافعيه بعد أن كان لا يقدم فيه إلا مالكي؛ و كان ذلك لسبب بسيط، و هو أنه لم يوجد أطيّب منه(٣).

ولما سئل المقدسي عن سبب تفقهه لأبي حنيفه، مع أنه شامي و أهل ناحيته أصحاب حديث يتفقهون للشافعي، أجاب بأنه استحسّن مذهبه لخلال ذكرها(٤).

١- نفس المصدر ص ٣٦٦.

٢- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٧.

٣- المقدسي ص ٢٠٣.

٤- المقدسي ص ١٢٧، يقول المقدسي: إن هذه الخلال ثلاث: أولها اعتماد أبي حنيفه على قول علي رضي الله عنه، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: أنا مدينه العلم و علي بابها؛ و ثانيها أن أباحنيفه كان أقدم الأئمه، و أقربهم إلى الصحابه، و أورعهم و أعبدهم، و قد رويت التوصيه بالعتيق؛ و الثالثه أن المقدسي رآه أصاب عياناً في مسأله أخطأ فيها الجميع، و هي أنه كان لا يجوز أخذ الأجره على القرب. فقال السائل للمقدسي: دقت النظر يا مقدسي و احتطت لنفسك. (المترجم).

ولم تظهر المنافسه بين المذاهب فى صورته شديده إلا فى القرن التالى عند ما فنيت المذاهب الصغرى، و بقيت المذاهب الكبرى وحدها فى ميدان الخلاف؛ عند ذلك قويت المنافسه، وصار أصحاب المذاهب يستعين بعضهم على بعض بالسلطان، خصوصا فى المشرق(١).

١- انظر نصوص ابن الأثير التى ذكرها سنوك هورجرونى، فى (مجله ج تاريخ الأديان): Sniuck Hurgronje, RHR, ٣٧, S. ١٧٨.

تعلقات الفصل الرابع عشر

[١*] أما الشيعة الاماميه فلهم مكانتهم و سمو مقامهم فى الفقه و الحديث و مصادرهم الغنيه و اتصالهم بمبدأ الوحى بواسطه أهل بيت النبوه امناء الله ساده الخلق.

[٢*] نسبه إلى الأوزاعى عبدالرحمن (١) بن عمرو أحد الفقهاء فى أيام أبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس.

[٣*] أصحاب سفيان الثورى مات سنه ١٦١ق، فى الشذرات (٢) فى شعبان منها (١٦١) توفى الامام أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثورى الفقيه سيد أهل زمانه علماً و عملاً و له ست و ستون سنه ذكر عن شعبه و يحيى بن معين و غيرهما (ان سفيان أمير المؤمنين فى الحديث، و ذكر فى كتاب العهد على امضاء الكوفه من ناحيه المهدي فى دجله و هرب و طلب فلم يقدر عليه و مات بالبصره متوارياً و كان صاحب مذهب الخ.

[٤*] بل لهم انحراف تام فى الاصول فترى يعتقدون (٣) بأن الله تبارك و تعالى جسم يجلس على العرش و يفضل عنه كل جانب سته أشبار بشبره و انه ينزل فى كل (ليله) جمعه على حمار ينادى إلى الصباح هل من تائب، هل من مستغفر، و نقل عن داود الظاهرى انه قال اعفونى عن اللحيه والفرج و أسألونى عما وراء ذلك، و منهم الوهابيه و عقيدتهم فى سائر المسلمين انهم ليسوا على حقيقه الاسلام.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٠٣.

٢- شذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٠.

٣- دلائل الامامه ج ١ ص ١٣٢.

[٥*] هذا افتراء على هذا السلطان بل هو من الشيعة الاماميه المخلصين وعده القاضى السيد نور الله الشهيد (١) فى سبيل الدفاع عن حريم ولايه أهل البيت من الشيعة و نقل عن الجلال السيوطى فى كتاب طبقات النجاه انه فاضل نحوى شيعى وعده صاحب الشذرات (٢) غالياً فى التشيع.

[٦*] فى هذه النظرية نقاش واضح.

[٧*] الذى فى الشذرات (٣) القاضى أبو عبيد بن جويريه البغدادى على بن الحسين بن حرب الفقيه الشافعى قاضى مصر و هو من أصحاب الوجوه و أرخ وفاته ٣١٩.

[٨*] لأن محمد بن ادريس الشافعى ينتهى نسبه إلى عبدالمطلب بن عبد مناف جد الرسول الكريم صلى الله عليه و آله هكذا أبو عبدالله محمد بن ادريس (٤) بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن عبدالمطلب (٥) بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه و آله والسائب جده صحابى أسلم يوم بدر و كذا ابنه شافع لقي النبى صلى الله عليه و آله و هو متر عرع.

لطيفه:

ذكر صاحب مقامع الفضل (٦) أكثر حمل الآدمى عند أكثر الاماميه تسعه أشهر و عند بعضهم

١- مجال المؤمنين ج ٢ ص ٣٢٧.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٧٨.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨١-٢٨٢.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٩، روضات الجنات ج ٧ ص ٢٥٧.

٥- الظاهر زياده كلمه عبد والصحيح المطلب. تاريخ أبى الفداء ج ١ ص ١٦٦.

٦- مقامع الفضل ج ١ ص ٤٧٧-٤٧٩. قال الشيخ الطوسى قدس سره فى الخلاف ٢ فى المسئله ٩ من كتاب العده اذا طلقها فاعتدت ثم أت بولد لأكثر من سته أشهر من وقت انقضاء العده لم يلحقه و به قال أبو حنيفه و أصحابه و أبو العباس بن سريح و قال أصحاب الشافعى اذا أت به (بولد) لأقل من أربع سنين و أكثر من سته أشهر وقت الطلاق لحق به.

و بعض أهل السنه سنه و قال بعضهم سنتان و عند الشافعيه و جميع أتباعه أربع سنين قال و قال ليث بن سعد الذى هو من فضلائهم سبع سنين و قد اجمع العامه العمياء على ان الامام الشافعى بقى فى بطن امه أربع سنين انتظاراً لموت امامهم الأعظم أبى حنيفه فولد فى يوم وفاته و عدوا ذلك من كرامتهما، بل المشهور عندهم كما تقدم ان مده حمل امامهم المالك أيضاً كانت ثلاث سنين الخ.

و فى الفقه على المذاهب الأربعة (١) و اعلم ان أقل مده الحمل عند الشافعيه سته أشهر كغيرهم و أكثرها أربع سنين و قال الخرقى (٢) (و لو طلقها أو مات عنها فلم تنكح حتى أتت بولد بعد طلاقه أو موته بأربع سنين لحقه الولد و انقضت عدتها به).

و قال ابن قدامه فى شرحه ظاهر المذهب ان أقصى مده الحمل أربع سنين و به قال الشافعى و هو المشهور عن مالك، و روى عن أحمد ان أقصى مدته سنتان، و روى ذلك عن عائشه و هو مذهب الثورى و أبى حنيفه، و قال قال الليث أقصاه ثلاث سنين، قال: و قال عباد بن العوام خمس سنين و عن الزهرى قال قد تحمل المرأه ست سنين و سبع سنين و قال أبو عبيد ليس أقصاه وقت يوقف عليه.

أقول: من أعرض عن أهل بيت العصمه والطهاره واستبد بأرائه اتبع المنحرفين عن بيت الولايه والامامه فلا عجب منه لمثل هذه الفتاوى.

[*٩] أقول: فليضحك العاقل و ليعتبر ذوو اللب من مثل هذا الاستدلال، أليس كل فاسق و كل لاعب بالدين من خليفه كمعاويه و من امراء كمروان و أمثالهم فعلوا ما فعلوا فى المسجد النبوى و أتوا بأعظم من هذا

١- الفقه على المذهب الأربعة ج ٤ ص ٥٢٥.

٢- المغنى ج ٧ ص ٤٧٧.

[* ١٠] المنقول عنه خلاف ذلك كله فانه (١) كما نقل رد على رسول الله صلى الله عليه وآله أربعاً حديث أو أكثر منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله للفرس (للفرس) سهمان وللرجل سهم واحد، قال أبو حنيفة لا أجعل سهم بهيمه أكثر من سهم المؤمن و اشعر رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه البدن و قال أبو حنيفة الاشعار مثله، قال صلى الله عليه وآله البيعان بالخيار ما لم يفترقا، قال أبو حنيفة اذا وجب البيع فلا خيار و ذكر عن ابن خلكان عن امام الحرمين فى كتابه مغيث الخلق صلاه القفال المروزي عند السلطان محمود بن سبكتكين على مذهب أبى حنيفة بلبس جلد كلب مدبوغ و لطح رأسه بالنجاسه و توضأ بنبذ التمر و كان فى الصيف واجتمع عليه البعوض والذباب واحرم بالصلاه بالفارسيه و قرء (دو برگ سبز) ترجمه مدهامتان ثم نقر نقرتين كنقر الديك من غير فصل و لا ركوع و لا تشهد و شرط فى آخره و ان السلطان قال لو لم تكن هذه الصلاه صلاه أبى حنيفة لقتلتك لأنه لا يجوز مثله ذودين، فأمر السلطان نصرانياً بقراءته كتب أبى حنيفة فوجدت الصلاه على ما حكاها القفال.

و عن تاريخ بغداد قال سفيان و مالك و حماد و الأوزاعي و الشافعي، ما ولد فى الاسلام أشأم من أبى حنيفة: قال مالك: كانت فتنة أبى حنيفة أضر على الامه من فتنة ابليس، عن الغزالي فى كتابه المنحول فى علم الاصول، فأما أبو حنيفة فقد قلب الشريعة ظهر البطن و شوش مسلكها و غير نظامها و أردف جميع قواعد الشرع بأصل هدم به شرع محمد المصطفى صلى الله عليه وآله و من فعل شيئاً من هذا مستحلاً كفر، و من فعله غير مستحل فسق.

الفصل الخامس عشر: القضاء

إشارة

لم يفكر المسلمون إلا قليلاً في المبدأ الذي يقضى بالفصل الأساسى بين السلطتين : القضائيه و التنفيذيه، وكان هذا أيضاً هو شأن أوروبا المسيحيه حتى أحدث العصور. فقد كان النبى هو القاضى الأعلى للمسلمين، و كذلك كان خليفته من بعده، وكان ولائه على ابلاد يباشرون هذه السلطه بالنيابه عنه؛ ثم إن كثره الواجبات تطلبت الاستعانه ببعض القضاة، كما يحكى عن المختار، فإنه كان يجلس للقضاء بنفسه، وقد نشط فى ذلك و أحسن، حتى كثر عليه الأعمال فاضطر إلى تعيين القضاة(١).

ولهذا السبب نفسه لم يحدّد اختصاص القاضى بالنسبه لاختصاص الوالى تحديداً دقيقاً. وقد احتفظ الوالى لنفسى بما كان « يعجز عنه القاضى »(٢)؛ وإذا لم يقبل الوالى حكم القاضى لم يكن أمام القاضى إلا أن ينصرف عن الحكم و يعتزل أو يجلس فى منزله مضرّباً على الأقل(٣).

ولكن مثل هذا الإهمال لحكم القاضى لم يكن كثير الوقوع؛ فلم يذكر الكندى

١- Wellhausen, Die relegios politischen Oppositionspartlrn in alten Islam, S ٧٨ - ١

٢- الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٢٠٧ .

٣- القضاء للكندى ص ٣٢٦ ج ٣٢٧، ٣٥٦، ٤٢٧ .

صاحب تاريخ القضاء بمصر من أمثله التصادم بين حكم القاضى و بين الوالى فى مسائل مما يمسّ الأحوال الشخصيه إلا حادثين طوال القرون الأولى؛ و كانت إحدى هاتين الحادثتين مسأله هامه جداً من حيث المبدأ؛ و ذلك أن امرأه تزوجها رجل ليس من أكفائها، فقام بعض أوليائها و أنكروا الزواج، و ترفعوا إلى القاضى ليفسخ النكاح، فأبى؛ فذهبوا إليها الأمير فأمر القاضى بفسخ النكاح، فامتنع أيضاً؛ ثم فرق الأمير بينهما(١).

و نجد هنا اصطداماً بين مبدأين : المبدأ العربى القائم على الأرسقراطيه و الدم، و مبدأ الإسلام الديمقراطى الذى يحكم على الناس لا بعتبار الدم بل على قاعده « إن أكرمك عند الله أتقاكم ».

و كان من أثر القضاء على الإدارة الإقطاعيه فى عهد العباسيين أن خرج القاضى من سلطان الوالى، و صار يعينه الخليفه مباشره أو يقرّ تعيينه على الأقل. و كان أبو جعفر المنصور أول خليفه ولى قضاء الأمصار من قبله(٢).

ولما قدم هارون بن عبدالله قاضياً على مصر من قبل المأمون (١٩٨ ج ٢١٨ هـ ٨١٣ ج ٨٣٣ م) جلس معه صاحبُ البريد فى مجلسه، فأخرجه منه، و قال :

١- الكندى ص ٣٦٧، والمثال الآخر فى ص ٤٢٧ .

٢- تاريخ اليعقوبى، طبعه هو تسما ج ٢ ص ٤٦٨. و كان عبدالله بن لهيعه الحضرمى، الذى ولى قضاء مصر فى مستهل عام ١٥٥هـ ٧٧٢ م، أول قاض ولى مصر من قبل الخليفه (القضاة للكندى ص ٣٦٨). و كان أول قاض قضى بالمدينه من قبل الخليفه هو عبدالله ابن عمران التميمى من قبل الخليفه المهدي (تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٨٤). و أما فيما يتعلق بقضاة الإسلام الأولين الذين يحكى أن الخليفه هو الذى كان يعينهم، فالظاهر أن حكاياتهم موضوعه، كما هو الحال الخطابات التى ينسب لعمر أنه كان يوجهها إلى القضاة و الولاة .

هذا مجلس أميرالموء منين، ليس يجلس فيه أحد إلا بأمره(١).

و ظل تعيين القضاة من حق الخليفة حتى فى العصور السيئه، باعتبار أن القضاء آخر ما بقى من المناصب الهامه؛ و لما بوىع للمستكفى عام ٩٤٤٣٣٣ م، و جلس على عرش لخلافه، سأل عن القضاء و كشف عن أمر الشهود بالحضرة، فأمر بإسقاط بعضهم و قبول بعضهم، فامثل القضاء ما أمر به و قال العامه ساخرين: « إلى هنا بلغ سلطانه و انتهى فى الخلافه أمره و نهيه » (٢)؛ و فى سنه ٣٢٤هـ ٩٣٥ م سلم الأخشيد قضاء مصر إلى أبى بكر بن الحداد، فألف البعض فيه الأشعار متهكمين، لأنه تولى القضاء من قبل الأخشيد لا من قبل الخليفه(٣).

وفى سنه ٣٩٤هـ ١٠٠٤ م قلد السلطان بهاء الدوله النقيب أبأ أحمد الموسوى والد الشريف الرضى نقابه العويين بالعراق و قضاء القضاء و الحجّ و المظالم، فلم ينظر فى قضاء القضاء لا متناع الخليفه القادر بالله من الإذن له بذلك، هذا مع عظم سلطان بهاء الدوله(٤).

ولا يزال من الحقوق القليله الباقيه التى يمتاز بها الخليفه اليوم تعيينه قاضى القضاء بمصر(٥).

وقد عظم شأن القضاء و قى مركزهم منذ عهد الخلفاء الأولين من

١- الكندى ص ٤٤٤ .

٢- مروج الذهب للمسعودى ج ٨ ص ٣٧٨ .

٣- طبقات السبكى ج ٢ ص ١١٤ و ما بعدها .

٤- المنتظم لابن الجوزى ص ١٤٩ ب، و ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٩ .

٥- ٣. S. ٧, Anm. ١٩٠٨, Gottheil, The Cadi, SA der REES, (وقد بطل ذلك من عهد قريب) .

بين العباس؛ فقد كانت العاده أن الواله يحضرون القضاء إلى مجالسهم؛ فلما قدم محمد بن مسروق الكندي قاضياً على مصر من قبل الرشيد عام ١٧٧هـ ٧٩٣م أرسل إليه الأمير عبد الله بن المسيب يأمره بحضور مجلسه، فقال: لو كنتُ تقدمتُ إليك في هذا لفعلت بك وفعلت يا كذا و كذا، فانقطع ذلك عن القضاء من يومئذ (١).

بل نجد أن الآيه قد انعكست في القرن الثالث الهجري، فكان الولاه يحضرون مجلس القاضي في كل صباح (٢) إلى أيام القاضي ابن حربويه عام ٣٢٩هـ ٩٤١م، فكان آخر من ركب ذليه الأمراء، لأنه كان لا يقوم للأمير إذا أتاه (٣).

وكان هذا القاضي مثلاً أعلى للعدالة، لا يطعن في حكمه ولا تلحقه تهمه، وكان لا يوءر أحدًا من ولاء مصر، بل كان يدعوهم بأسمائهم؛ ويحكي من تصميمه أن موءنساً الخادم، وهو أكبر أمراء المقتدر، وكان في خدمته سبعود أميراً سوى أصحابه، وكان يخطب له على جميع المنابر مع الخليفه، عرض له بمصر مرض، فأرسل إلى القاضي يطلب شهوداً يشهدهم أنه أوصى بوقف على سبيل

١- الكندي ص ٣٨٨، وقد ذكرت المحاولتان الوحيدتان اللتان أريد فيها الجمع بين القضاء والإمراه لرجل واحد، و هما تتعلقان بالقاضي الأندلسي أسد، المتوفى عام ٣١٣هـ، و بالقاضي شريك بن عبدالله في عهد المهدي (١٥٨ ج ١٥٩ هـ)؛ كتاب العيون ص ٣٧٢ والموءلف يشير إلى الجزء الذي طبعه من هذا الكتاب دي غوى بليدن سنه ١٨٧١، المترجم .

٢- ٩١. Nr. ٣٧, AGGW, Wustefeld. (و طبقات السبكي ج ٢ ص ٣٠٢). (المترجم).

٣- حسن المحاضره للسيوطي ج ٢ ص ١٠١، و ملحق الكندي ص ٥٢٨؛ و يحكي مثل هذا عن الوزير الصاحب بن عباد، ذلك أنه قصد القاضي أبا السائب. فتناقل في القيام له، و تحفز تحفزاً، أراه به ضعف حركته، فأخذ الصاحب بضبعه، و أقامه، و قال: نعين القاضي على قضاء حقوق إخوانه، فخرج أبو السائب و اعتذر للصاحب، و تحكى القصة بعينها بين القاضي و رجل آخر؛ و يقال: إن الصاحب انتحلها لنفسه، لأنه كان يحب الفخر و انتحال الفضائل (الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣٣٨).

البر، فقال القاضي: لا أفعل حتى يثبت عندي أن موعناً حراً، وقال: إن لم يرد على كتاب المقتدر أنه أعتقه، وإلا فلا أفعل. و لما وصل الكتاب إلى القاضي إلا- أن يشهد عدلان أنه كتاب أميرالمؤمنين، هذا و موعن أكبر أمراء الإسلام. و كان ابن حربويه مهيباً وافر الحرمة، لم يره أحدٌ يأكل و لا- يشرب و لا يبلس و لا يغسل يده، و إنما يفعل ذلك في خلوه. و لا رآه أحد يتمخّط و لا يبصق و لا يحك جسمه، و لا يسمح وجهه؛ و كان إذا ركب لا يلتفت و لا يتحدث مع أحد، و لا يصلح رداءه، و كان عليه من الوقار و الحشمة ما يتذاكره أهل بلده؛ و كان يختار في أحكامه، و يرى أن من قلده فهو متعصب أو غبي؛ و حكم بما لو حكم به غيره ما سكتوا عنه، فلم ينكر عليه أحد، و لم يكن يلحق علمه طعن، و لا رشده تهمة. و كان لا يحيف في حكم(١).

و قد اختصم عنده رجلان، و كان المدعى عليه قد سبق إليه و جعل نفسه المدعى صاحب الحق، فضحك خصمه متعجباً؛ و عند ذلك صاح ابن حربويه صيحه ملأت الدار، و قال: «مّمّ تضحك، لا أضحك الله سنك، تضحك في مجلس، الله مطلع عليك فيه، و يحك! تضحك و قاضيك بين الجنة و النار؟»؛ فأرعب القاضي الرجل، و مرض ثلاثة أشهر، و كان إذا عاد صاحبه يقول له: صيحه القاضي في قلبي إلى الساعة و أحسبها تقتلني(٢).

و كان القاضي أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرائيني قاضي بغداد المتوفى عام ٤٠٦هـ ١٠١٥ م رفيع الجاه في الدنيا؛ و قد وقع من الخليفة ما أوجب أن كتب إليه الشيخ أبو حامد: اعلم أنك لست بقادر على عزلي عن

١- طبقات السبكي ج ٢ ص ٣٠٢ و ما بعدها، و ملحق الكندي ص ٥٢٨.

٢- طبقات السبكي ج ٢ ص ٣٠٥ ج ٣٠٦.

ولايتى التى و لانيها الله تعالى، و أنا أقدر أن أكتب إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك عن خلافتك(١)

و مما يدل على رهبه منصب القضاء و احترامه فى ذلك العهد أننا نجد الأمراء و الوزراء كثيراً ما يساقون إلى السجن، ولا يحكى مثل ذلك إلا عن قليل من القضاة، ولم يمت فى أثناء السجن إلا قاضٍ واحد، ولا يعلم أن قاضياً مات فى السجن سواه، و هو القاضى أبو أميه المتوفى عام ٣٠٠هـ، وكان أمر هذا القاضى غريباً؛ فإنه كان قليل العلم، و كان يتجر فى البز ببغداد، باستتر عنده الوزير ابن الفرات أيام محنته، وقال له : إن وُليتَ الوزارة فأى شىء تحب أن أصنع بك؟ فقال : تقلدنى شيئاً من أعمال السلطان، قال : و يحك ! لا يجىء منك عاملٌ ولا أميرٌ ولا قائدٌ ولا كاتبٌ ولا صاحب شرطه، فأيش أقلدك؟ قال : لا أدرى، قال : أقلدك القضاء، قال : قد رضيت. ثم خرج ابن الفرات، وولى الوزارة و أحسن إلى أبى أميه، وولاه قضاء البصره و واسط و الأهواز؛ وربما أراد بذلك أن يغيظ الفقهاء؛ ولكن عفه أبى أميه و تصوّنه غطياً على نقصه فى العلم، و كان يتيه على أمير البصره، ولا يركب إليه، حتى ورد على الأمير كتابٌ مع طائر بنكبه ابن الفرات و القبض عليه، فقبض على أبى أميه و أدخله السجن؛ فأقام فيه مدته، ثم مات(٢).

على أن دوائر الفقهاء لم تكن من الناحية النظرية ترمق منصب القضاء بعين الرضا؛ و نجد الكلام فى قبول القضاء و عدم قبوله يمتد حتى إلى القرن الرابع

١- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٦؛ و انظر أيضاً. ٢٨٧، ٣٧.Nr, Wustefeld, AGGW.

٢- المنتظم لابن الجوزى ص ٧ ب .

الهجرى، و يقول السمرقندى المتوفى عام ٩٨٥٣٧٥ م : اختلف الناس فى قبول القضاء : قال بعضهم : لا ينبغي أن يقبل القضاء، و قال بعضهم : إذا وُلِّي رجل بغير طلب منه بأس بأن يقبل إذا كان يصلح لذلك الأمر(١).

وقد احتج من كره ذلك بأحاديث رُويت عن النبى عليه السلام من شأنها أن تُرهب القضاء حتى العادل منهم(٢).

و لما كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يجعل كعب بن ضننه على القضاء أرسل إليه عمرو بكتاب أميرالموءمين، فقال كعب والله لا- ينجيه الله من أمر الجاهليه و ما كان فيها من الهلكه، ثم يعود فيها أبداً إذا أنجاه الله منها، و أبى أن يقبل القضاء(٣).

وفى سنة ٥٧٠ ٦٨٩ م تولى قضاء مصر عبد الرحمن بن حجيره، فلما بلغ أباه ذلك قال : إنا لله و إنا إليه راجعون، هلك الرجل، و يروى أنه قال : هلك ابنى و أهلك(٤).

ولا- أعلم كيف كان موقف المسيحيين الأولين من مسأله القضاء؛ أما المسلمون فإنهم تمسكوا بالوصيه التى جاءت فى خطبه الجبل (إنجيل متى) من عدم التعرض للحكم على الناس.

١- بستان العارفين ص ٣٨ .

٢- من أمثله ذلك ما ذكره السمرقندى، عن عائشه رضى الله عنها، أن النبى صلى الله عليه و آله ، قال : « يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شده الحساب ما يود أن لم يكن قضى بين اثنين»، وعن أبى هريره : « من جعل قاضياً فكأنما ذبح بغير مكين». (المترجم).

٣- الكندى ص ٣٠٢ .

٤- الكندى ص ٣١٥ .

و يحكى لنا من ورع المسلمين و خوفهم من ولايه القضاء أن أبا قلابه مثلاً دُعي للقضاء، فهرب من العراق حتى أتى الشام، فوافق ذلك عزل قاضيها؛ فهرب و اختفى حتى أتى بلاد اليمامة؛ وروى عن سفيان الثوري أنه دعى إلى القضاء، فهرب إلى البصره حتى مات و هو متوار؛ وروى عن أبي حنيفة أنه ابتلى بالضرب و الحبس فلم يقبل حتى مات (١)؛ و قد حكى الطبرى أن قوماً من أهل الحديث تحاموا حديث أبي يوسف القاضي من أجل غلبه الرأى عليه مع صحبه السلطان و تقلده القضاء (٢).

وفى عهد الخليفه المهدي ألزم قاضى المدينة ولايه القضاء بعد أن أشرف عليه والى المدينة بضرب السياط (٣).

وكان القاضى شريك قد ولى القضاء حوالى هذا العصر بعد تأبُّ، وذهب إلى الصيرفى ليأخذ رزقه، فضايقه فى انقد فقال له الصيرفى : إنك لم تبع به بزاً، فقال له شريك : بل والله بعث أكثر من البز، بعث به دينى (٤).

بل يحكى عن بعض العلماء أنه أظهر الجنون هرباً من تولى منصب القضاء (٥).

و كان الصوفيه بنوع خاص يقفون من القضاء الذين يسمونهم علماء الدنيا على طرف نقيض، و يقولون : « إن العلماء يحشرون فى زمره الأنبياء، و القضاء

١- بستان العارفين للسمرقندى ص ٣٩؛ و تجد أمثله أخرى فى كتاب كشف المحجوب، ترجمه نكلسون ص ٩٣ .

٢- وفيات الأعيان لابن خلكان ترجمه رقم ٨٣٤ من طبعه فستنفلد .

٣- تاريخ بغداد ، ٥٤ ، ١٩١٢، JRAS، ج ١١ ص ٢٨٦ ج ٢٧٧ طبعه مصر ١٩٣١ .

٤- ابن خلكان ترجمه رقم ٢٩٠ .

٥- تجد أمثله أخرى ذكرها أمدروز فى مقاله عن منصب القضاء فى الأحكام السلطانيه، و ذلك فى مجله : S. JRAS, ١٩١٠،

يحشرون في زمره السلاطين»؛ و يحكى لنا أبوطالب المكي أن إسماعيل بن إسحاق القاضي كان من علماء أهل الدنيا، و من ساده القضاء و عقلائهم؛ و كان موءاخياً لأبى الحسن بن أبى الورد، و كان هذا من أهل المعرفه، فلما ولى إسماعيلُ القضاء هجره ابن أبى الورد، ثم إنه اضطر إلى أن دخل عليه في شهاده، فضرب ابن أبى الورد على كنف إسماعيل القاضي، و قال : يا إسماعيل ! علمٌ أجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيراً منه؛ فوضع إسماعيل رداءه على وجهه و بكى حتى بله (١).

و كان الحنفية فيما يتعلق بالقضاء أول من خضع لما اقتضته ظروف الحياه، و هذا شأنهم بالإجمال فيما عدا ذلك؛ و يحكى عن الفقيه الشافعي ابن خيران المتوفى عام ٣١٠هـ ٩٢٢ م أنه كان يعيب صاحبه ابن سريج على تولى القضاء، و يقول له : هذا الأمر لم يكن في أصحابنا، إنما كان في أصحاب أبى حنيفه. و كان ابن خيران قد امتنع من تولى قضاء بغداد، فوكل الوزير به في داره، و ختم الباب بضعه عشر يوماً (٢).

١- قوت القلوب ج ٢ ص ١٥٧ طبعه مصر ١٣١٠هـ .

٢- ٨١، Nr. ٣٧، AGGW.، وهكذا وقع لابن سريج، المتوفى عام ٣٠٦هـ ٩١٨ م؛ فقد أراد الوزير على بن عيسى أن يوليه القضاء، فامتنع، فسمر عليه بابه؛ فلما عوتب في ذلك، قال : إنه أراد أن يتسامع الناس أن رجلا من أصحاب الشافعي يعامل بمثل هذا لتقلد القضاء، فيصر على الامتناع، ويزهد في الدنيا. و كان ابن سريج قاضياً على شيراز من قبل (انظر طبقات السبكي ج ٢ ص ٩٢)، و يقول السبكي (ج ٢ ص ٢١٣) إن الوزير كان يقصد من ختم دار ابن خيران أن يقال : إنه كان في زمانه من يوكل به ليقلد القضاء فلا يفعل؛ و يحكى السبكي (ج ٢ ص ٢١٤) عن ابن زولاق الموءرخ المصري، المتوفى عام ٣٨٧هـ ٩٩٨ م أن الناس كانوا يأتون بأولادهم الصغار ليشاهدوا باب ابن خيران، وهو مسمور و يقولون لهم : انظروا حتى تحدثوا بهذا .

ولكن أبابكر الرازي المتوفى عام ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م، و كان إمام أهل الرأى فى عصره، خوطب فى أن يلى قضاء القضاء فامتنع و أعيد عليه الخطاب فلم يفعل(١).

و كانت العاده حتى أواخر القرن الرابع تقضى ألاً يقبل أحد منصب القضاء إلا بعد إحجام و تردد.

ولما صُيرف أبو عمرو بن عبد الواحد عن قضاء البصره، و حل محله أبو الحسن ابن أبى الشوارب و ذلك فى عام ٣٩٩ هـ ١٠٠٩ م قال العصفرى الشاعر(٢):

عندى حديثٌ طريفٌ *** بمثله يتعنى

من قاضيين يعزى *** هذا، وذاك يهنى

فذا يقول : اكرهونا *** وذا يقول : استرحنا

و يكذبان جميعاً *** فمن يصدق منا

وقد اختلف هل يأخذ القاضى عن القضاء رزقاً؟ و يقال إن عمر بن الخطاب منع من ذلك(٣)

أما الخصاف الفقيه الحنفى المتوفى عام ٢٦١ هـ ٨٧٤ م فقد حاول أن يثبت جواز أخذ القاضى لرزق من بيت المال مستنداً فى ذلك إلى أحاديث نبويه و إلى أمثله جرت فى الصدر الأول(٤).

ولما ولى القضاء بمصر ابن حجيره سنة ٥٧٠ هـ ٦٨٩ م كان رزقه فى السنه من القضاء مائتى دينار، و كان لابن حجيره إلى جانب ولايه القضاء القَصص و إداره

١- المنتظم لابن الجوزى ص ١١٧ ب .

٢- نفس المصدر ص ١٥٤؛ وابن الأثير ج ٩ ص ١٤٩؛ و أبو المحاسن، طبعه كلفورنيا ص ١٠٣ .

٣- Gottgeil, The Cadi, S. ٨ .

٤- كتاب أدب القاضى مخطوط ليدن رقم ٥٥٠ ص ٢٥ .

بيت المال؛ وكان رزقه من القصص ومن إداره بيت المال أربعمائه دينار، وكان عطاؤه مائتي دينار، و كانت جائزته مائتي دينار، فكان مجموع رزقه في السنه ألف دينار(١)، وفي سنه ١٣١ هـ ٧٤٨ م كان رزق قاضى مصر عبدالرحمن بن سالم عشرين ديناراً فى الشهر(٢)، ولكن هذا المبلغ كان فيما يظهر لا يكاد يكفى للإنفاق على كُتاب القاضى و على غير ذلك مما يتطلبه ديوانه؛ و مع أن القاضى ابن حجيره كان يأخذ ألف دينار فى كل سنه، فكان لا يحول عليه الحول و عنده منها شىء يفضل على أهله و إخوانه(٣).

وقد دخل رجل على قاضى الفسطاط فى سنه ٩٠ هـ ٧٠٩ م وقد تغدّى، فقال : أتغدّى؟ قال : نعم، فأنت الجاربه بعدس بارد على طبق خوص و كمك و ماء، فقال أبلل، و كل، فلم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز(٤).

وكان القاضى خير بن نعيم الحضرمى الذى تولى القضاء و القصص بمصر عام ١٢٠ هـ ٧٣٨ م يتّجرج إلى جانب منصبه ج بالزيت، فقال له رجل حديث السنّ من حضرموت كان يلازمه : و أنت أيضاً تتّجرج! يحكى لنا هذا الحضرمى الصغير فيقول : «فضرب (خير بن نعيم) بيده على كتفى، ثم قال انتظر حتى تجوع ببطن غيرك، قلت فى نفسى كيف يجوع إنسان ببطن غيره؟ فلما ابتليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم(٥)».

١- الكندى ص ٣١٧ .

٢- الكندى ص ٣٥٤ .

٣- نفس المصدر ص ٣١٧ .

٤- نفس المصدر ص ٣٣١ .

٥- نفس المصدر ص ٣٥٢ .

وكان القاضي أبو خزيمة إبراهيم بن يزيد الرعيني الذي ولي قضاء مصر عام ١٤٤هـ ٧٦١م، متحرّزاً جداً فيما يتعلق برزقه، « فكان إذا غسل ثيابه أو شهد جنازة أو اشتغل بشغل لم يأخذ من رزقه بقدر ما اشتغل، وقال: إنما أنا عاملٌ للمسلمين، فإذا اشتغلت بشيء غير عملهم فلا يحلُّ لي أخذ مالهم»؛ « وكان يعمل الأرسان، كل يوم رسنين، واحداً ينفقه على نفسه وأهله، و آخر يبعث به إلى إخوان له من هل الإسكندرية، لكل واحد منهم رسن، وكان ذلك في سبيل الله(١)» .

وكما أن العباسيين جعلوا للقاضي منصباً رفيعاً مستقلاً فإنهم رفعوا رزقه أيضاً، فكان رزق عبدالله بن لهيعة الذي ولي القضاء على مصر من قبل المنصور عام ١٥٥هـ ثلاثين ديناراً في كل شهر(٢)؛ وكان رزق المفضّل بن فضاله قاضي مصر من قبل المهدي ثلاثين ديناراً في كل شهر أيضاً، وكان يأخذ عسلاً بدل عشره منها(٣).

أما في عصر المأمون بما كان فيه من كرم فقد أجرى والي مصر على القاضي الفضل بن غانم الذي ولي القضاء عام ١٩٨هـ مائه وثمانية وستين ديناراً في كل شهر؛ وكان الفضل أول قاض أجرى عليه هذا الرزق الكبير(٤).

ولما تولى مصر عبدالله بن طاهر، كان مشهوراً بالكرم، قلّد عيسى بن المنكدر

١- الكندي ص ٣٦٣ ج ٣٦٤ .

٢- نفس المصدر ص ٣٦٩ .

٣- نفس المصدر ص ٣٧٧ ج ٣٧٨ .

٤- نفس المصدر ص ٤٢١، وفي ص ٤٣٥ أن رزقه كان مائه و ثلاثة و ستين ديناراً، و في ص ٥٠٧ أن المتوكل أجرى على خلفه مثل رزقه .

القضاء عام ٢١٢هـ؛ و لما عرف أنه مُقِلُّ أجرى عليه سبعة دنائير كل يوم، « فجرت في القضاء إلى اليوم (١) ».

و يحدثنا المسعودي عن إبراهيم بن جابر القاضي أنه كان ببغداد « يعالج الفقر و يتلقاه من خالقه بالرضا ناصراً للفقر على الغنى، فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من جند قنسرين و العواصم من أرض الشام، و ذلك في سنة ٣٠٩ هـ ٩٢١م، وإذا هو بالضد مما عهدته متولياً للقضاء على ما وصفنا، ناصراً و مشرفاً للغنى على الفقر .. وقد أخبرت أنه قطع لزوجته أربعين ثوبا تستريا و قصبا و أشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد، و خُلف

مالا عظيما لغيره (٢).

وقد أراد الخليفة الحاكم أن يحول بين القضاء و بين أخذ الأموال بغير حق، فأمر بأن يضعف للحسين بن علي بن النعمان رزقه و صلاته و إقطاعه، و شرط عليه ألا يتعرض من أموال الرعيه لدرهم فما فوقه (٣).

و يحدثنا الرحاله الفارسي ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري أن رزق فاضى القضاء بمصر ألفا دينار في الشهر (٤).

ويذكر في ملحق أخبار القضاء للكندي أن دخل القاضي عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في السنه كان يزيد على عشرين ألف دينار (٥).

١- نفس المصدر ص ٤٣٥؛ وفي نصوص أخرى: أن رزقه غير ذلك، و يحكى السبكي (ج ٢ ص ٣٠٢) نقلا- عن ابن زولاق المتوفى عام ٣٨٧ هـ ٩٩٨ م أن رزق القاضي ابن حربويه الذي عزل عن القضاء سنه ٣١١ هـ ٩٣٣ م كان مائه و عشرين دينارا في الشهر .

٢- مروج الذهب للمسعودي ج ٨ ص ١٨٨ ج ١٩٠ .

٣- الكندي ص ٥٩٧ .

٤- ناصر خسرو ص ١٦١ .

٥- الكندي ص ٦١٣؛ أما ما ذكر في س ٤٩٩ من أن دخله كان خمسين ألف دينار في السنه، فيجب أن يوءخذ على أنه ما يحصل عليه بغير حق. و نجد في بيان المقریزی (الخطط ج ١ ص ٤٠١) لنفقات الفاطميين أن رزق قاضي القضاء كان مائه دينار في الشهر .

وكان القاضى فى المشرق يعطى رزقه من بيت المال(١)، ولكن عندنا من النصوص ما يدل على أنه كان لا يأخذ شيئاً من رزقه، إما لأنه كان لا يكفيه أو رغبه عن رزق القضاء على سبيل اتقاء الشبهه و الرغبه فى التحرز؛ و يظهر أن الأمر الأخير هو الحق، فإن الحسن بن عبد الله (المتوفى عام ٣٦٩هـ ٩٧٨ م) لبث على قضاء مدينه سيراف خمسين عاماً، و مع أن هذه المدينه كانت مدينه تجاريه كبيره، فقد كان الحسن يعيش مما يبيعه من منسوخاته المشهوره بجوده خطها(٢).

وقد امتنع قاضى المدينه فى عهد المهدي أن يأخذ رزقا، لأنه لم يرد أن يصيب مالا من هذا المنصب الذى يكرهه(٣).

ولما ولى قضاء القضاء ببغداد محمد بن صالح بن أم شيان الهاشمى فى سنه ٣٦٣هـ ٩٧٢ م وكان يتفقه لمالك اشترط عند تولى منصبه شروطا منها ألا يتناول على القضاء أجراً، ولا يقبل شفاعه فى فعل مالا يجوز ولا فى إثبات حق، ولا يغير ملبوسه(٤).

وكان على بن المحسن التنوخى المتوفى عام ٤٤٧هـ ١٠٥٥ م قد تقلد قضاء عدّه نواح، وكان دخلفه كل شهر من القضاء و دار الضرب التى كان يتولاها

١- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١١٥ .

٢- Huart, Calligr. S. ٧٧.

٣- تاريخ بغداد ٥٤، S. ١٩١٢، JR. A. S. و ج ١١ ص ٢٧٧ من طبعه القاهره سنه ١٩٣١ .

٤- ملحق القضاء للكندى ص ٥٧٣، و ابن الجوزى فى المنتظم ص ١٠٥ ب، ولذلك حكايه أخرى عند السبكي فى طبقاته ج ٣ ص ٨٤ .

مع القضاء ستين ديناراً في الشهر (١).

وفي سنة ٣٣٤هـ ٩٤٥ م كبس اللصوص دار أحد القضاة ببغداد، وأخذوا جميع ما كان في منزله ولم يكن شيئاً مذكوراً، لأنه كان مشهوراً بالفقر؛ وكانوا يقدرون أن للقاضي مالا، فضربوه ليستخرجوه منه، فهرب إلى السطوح ورمى بنفسه إلى ما جاوره فسقط فمات (٢).

وفي سنة ٣٥٢هـ ٩٦٣ م تقلد أبو بشر عم بن أكثم القضاء ببغداد، على ألا يأخذ رزقا (٣).

و كان للقاضي أبي الطيب الطبري عمامة و قميص بينه و بين أخيه، إذا خرج ذاك قعد هذا في البيت، و إذا خرج هذا احتاج ذلك أن يقعد (٤).

و كان أبو بكر محمد بن المظفر الشامي قاضي قضاة بغداد المتوفى عم ٤٨٨هـ ١٠٩٥ م زاهداً ورعاً؛ وقد شرط عند تولى القضاء ألا يأخذ رزقا؛ وكان له كراء بيت قدره في الشهر دينار و نصف، و كان من ذلك قوته، و كان له عمامة من الكتان و قميص من القطن الخشن؛ و كان له كيس يحمل فيه فتيت الخبز، فإذا أراد الأكل جعل من الفتيت في قصعته، و وضع عليه قليلا من الماء و أكل منه (٥).

و كذلك كان أحمد بن يحيى القاضي الأندلسي يختلف إلى غله كان يعمرها

١- الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٠٢ .

٢- المنتظم ص ٧٥ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٥٧ .

٤- ابن خلكان ترجمه رقم ٣٠٦ من طبعه فستفلد .

٥- طبقات السبكي ج ٣ ص ٨٤ .

بالعمل ليعيش منها(١).

ويحدثنا بيترمان (Petermann) وهو في دمشق عام ١٨٥٢ م: « في كل سنه يرسلُ قاضٍ جديدٌ من القسطنطينيه يختاره شيخ الإسلام و يرسله؛ وهو يأخذ نصيباً ثابتاً من تركه كل من يموت (قيل لى إنه الربع، و هو كثير بالطبع)، و يأخذ نصف العشر عن كل قضيه يحكم فيها، و هذا هو المقدار الذى يدفعه كل فرد من رعايا الباب العالى عن القضيه التى يتقدم بها (ولو خسرها).

أما الرعايا الأوربيون فإنهم يدفعون خمس العشر(٢).» .

وفى مراکش اليوم يأخذ القضاء، باعتبارهم عمّالاً- دينيين، أرزاقهم من الحبوس (الأوقاف الخيرية). ولما كان هذا نادراً فإنهم يتركون لقبول الهدايا من المتحاكمين إليهم(٣).

وفى سنه ٣٥٠هـ ٩٦١ م تقلد أبو العباس بن أبى الشوارب قضاء بغداد، بعد أن وافق على أن يحمل إلى خزانه الأمير معز الدوله مائتى ألف درهم فى كل سنه. و كان هذا القاضى « مع قبح فعله قبيح الصوره مشوّها(٤)»، و قد أتهم « بالغلما و الشهوات و الخمر»(٥)؛ ولكن الأمور لم تسر معه على عادتها، فقد

١- ابن بشكوال ج ١ ص ٦٠ .

٢- Petermann, Reisen im. Orient, S, ٩٨ .

٣- انظر ٥١٧ S. XIII Revue du monde Musulman.

٤- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٩ ج ٢٥٠ .

٥- تذكره ابن حمدون عند أمدرود (فى ٧٨٩ S. ١٩١٠, Amedroz JRAS)؛ وكان الولع بالغلما من رذائل القضاء المعروفه (يتيمه الدهر ج ٢ ص ٢٨٨)؛ و من القضاء : من كان مشهوراً باللواط، و منهم من كان مشهوراً بالأبنة (محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٢٥، و المستطرف ج ٢ ص ١٩٩)؛ وكان يحيى بن أكثم قاضى قضاء المأمون لواطاً مشهوراً؛ و قد هجا اليحترى (الديوان ج ٢ ص ١٧٥ من طبعه القسطنطينيه) ابن أبى الشوارب قاضى القضاء بمثل هذه الرذيله. وقد ذهب ابن خلدون فى مقدمته إلى نفى ما اتهم به القاضى يحيى بن اكثم من الميل إلى العلمان فليرجع القارىء إلى ذلك إذا أراد .

خُلع عليه من دار السلطان و امتنع الخليفة من أن يصل إليه، ولم يأذن له الخليفة أن يصل إليه في يوم موكب ولا غيره؛ ثم عُزل من منصبه بعد عامين، وتولى مكانه أبو بشر عمر بن أكثم المتقدم الذكر و أعفى مما كان يحمله ابن أبي الشوارب، و أمر بالألمى شياً من أحكام ابن أبي الشوارب و سجلاته، لأنه اشترى منصبه شراء (١).

وقد كان القاضى توبه بن نمر الحضرمى المتوفى عام ١٢٠ هـ ٧٣٨ م أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس؛ و إنما كانت الأحباس فى أيدى أهلها و أيدى أوصيائهم، فأراد توبه أن يضع يده عليها حفظاً لها، « فلم يمت حتى صارت الأحباس ديواناً عظيماً » (٢)؛ وكان القاضى إلى جانب هذا يتولى أموال اليتامى؛ و منذ عام ١٣٣ هـ ٧٥١ م أورها القاضى خير بن نعيم بيت المال و سَجَل فى كل مال منها سجلاً بما يدخل منها و ما يخرج (٣).

وفى سنة ٣٨٩ هـ ٩٩٩ م توفى القاضى محمد بن النعمان، فوجد عليه من أموال اليتامى ستة و ثلاثون ألف دينار، فأمر الخليفة الحاكم بأمر الله أن تُصادر أمواله، و أرسل فهد النصرانى، كاتب الوزير، فاحتاط عليها، و شرع فى البيع و فى تغريم الشهود الذين كانت الودائع تحت أيديهم (وهم خيار أهل البلد) إلى أن

١- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٩، ٢٥٧، و ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٠، ٤٠٧.

٢- الكندى ص ٣٤٢.

٣- نفس المصدر ص ٣٥٥.

تحصل نصف الدين؛ و أمر الحاكم ألا يودع بعد ذلك عند أحد الشهود مالٌ يتيم و لا غائب؛ و أفرد موضع يوضع فيه المال و يختم عليه أربعة من الشهود لا يفتح إلا بحضورهم(١).

ولم يدخل في اختصاص القاضى النظر فى الموارىث بصوره نهائيه إلا فى القرن الرابع الهجرى(٢)، ثم صار إليه أخيراً الإشراف على سجون البلاد التى يلى قضاءها، و اختص القضاء من ذلك بما سُمى « حبوس القضاء »، وهى الخاصه بمن يحبس لدين عليه، و ذلك فى مقابل حبوس المعونه التى يحبس فيها أصحاب الجنایات. وفى سنه ٤٠٢ هـ ١٠١١ م أمر فخر الدوله ليله الفطر بتأمل من فى حبوس القضاء، فمن كان محبوساً على دينار إلى عشره أطلق، و ما كان أكثر من ذلك كُفّل، و أخرج ليعود بعد التعييد، و أوعز بتمييز من فى حبس المعونه، فمن صَغُرَت جنائته أطلق و وقعت توبته(٣).

و كانت عاده المتحاكمين أن يتقدموا للقاضى برقاع فى الرقعه منها اسم المدعى و اسم خصمه و أبيه؛ و كان الكاتب يأخذ هذه الرقاع عند باب المسجد قبل مجيء القاضى، و لا يزال يأخذها حتى يحضر القاضى؛ و إذا كانت الرقاع كثيره لا يقدر القاضى أن يدعو بها كلها فى يوم، فَرَقَّها فى كل يوم خمسين رقعه أو أكثر من ذلك على قدر طاقته فى الجلوس و الصبر(٤).

و كانت جلسات القاضى للحكم عنيه؛ و قد خاصم رجلٌ المأمون مره، و أذن

١- ملحق الكندى ص ٣٩٥ .

٢- انظر الفصل الخاص بالأمر المالى (الفصل الثامن) .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٥٧ ب .

٤- كتاب أدب القاضى مخطوط بمكتبه ليدن رقم ٥٥٠ ص ٩ .

المأمون للقاضي يحيى بن أكثم في القضاء بينهما في دار الخلافه؛ فقال القاضي : فإنى أبدأ باعامه أولاً ليصح المجلس للقضاء، ثم أمر بفتح الباب وقعد في ناحيه

من دار الخلافه، و أذن للعامه في الدخول و نادى المنادى و أخذ الرقاع و دعا بالناس؛ ثم قضى بين الخليفه و خصمه(١).

ومن أجل أن جلسات القضاء كانت عليه، فقد كان القاضي في أول الأمر يجلس في مكان لا يمنع أحد من المسلمين من الدخول إليه، و هو المسجد الجامع حيث كان يجلس مستنداً إلى أسطوانه من أساطين المسجد(٢)؛ و كذلك كان القاضي يجلس أحياناً للقضاء في داره، و يحكى عن خير بن نعيم الذى تولى قضاء مصر عام ١٢٠ هـ ٧٣٨ م أنه كان له مجلس يشرف على الطريق على باب داره، فكان يجلس فيه فيسمع ما يجرى بين الخصوم من الكلام(٣).

وقد ولى قضاء مصر إبراهيم بن الجراح سنه ٢٠٥ هـ ٩١٩ م، وقد سخط المصريون عليه، و كان مُصَلَّاه موضوعاً في المسجد الجامع. فجاء المصريون و ألقون في الطريق. فجلس للحكم في منزله، ولم يعد للمسجد الجامع حتى صُيرف. ولم يكن هذا القاضي بالمدموم في أول الأمر، حتى قدم عليه ابنه من العراق؛ فأفسد أموره و خدعه و أخذ الرشا من الناس، فسخط المصريون على القاضي(٤).

ولما ولى القاضي هرون بن عبدالله قضاى مصر سنه ٢١٧ هـ ٨٣٢ م جعل

١- المحاسن و المساوىء للبيهقى طبعه شقالى ص ٥٣٢ .

٢- الأغانى ج ١٠ ص ١٢٣ .

٣- الكندى ص ٣٥١ .

٤- الكندى ص ٤٢٨ .

مجلسه فى الشتاء فى مقدم المسجد، و استدبر القبلة، و أسند ظهره بجدار المسجد، « و منع المصلين أن يقربوا منه، و باعد كتابه عنه، و باعد الخصوم، و كان أول من فعل ذلك ». و اتخذ مجلساً للصيف فى صحن المسجد و أسند ظهره للحائط الغربى (١).

وقد رأى أهل السنة بعد انتصارهم حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى أن جلوس القاضى فى المسجد ينافى ما يجب

لبوت الله من الحرمه، فأمر المعتضد سنة ٢٧٩هـ ألا يقعد القضاء فى المسجد (٢).

ولكن هذا الأمر لم يثمر إلا قليلاً، فقد كان قاضى القضاء ببغداد حوالى عم ٣٢٠هـ ٩٣٢ م يجلس للقضاء فى داره (٣)؛ أما فى مصر فكان القاضى يجلس للقضاء فى داره أحياناً، و فى الجامع أحياناً أخرى (٤).

و لما تولى أبو عمر محمد بن الحسين البسطامى (المتوفى عام ٤٠٧هـ ١٠١٦ م) قضاء نيسابور أجلس فى مجلس القضاء فى المسجد فى الساعه التى قرىء فيها عهده (٥).

١- نفس المصدر ص ٤٤٣ ج ٤٤٤ .

٢- أبو المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٨٧. غير أن كلمه قاض فى هذا النص محرفه عن كلمه قاصّ، بدليل أن القصاص هم الذين منعوا من القعود فى المساجد؛ و فى النص أيضاً أنه منع معهم أصحاب النجوم؛ و يوءيد هذا تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٣١، ٢١٦٥ من الطبعة الأوربيه (عام ٢٧٩، ٢٨٤هـ) (المترجم) .

٣- طبقات السبكى ج ٢ ص ١٩٤ .

٤- نفس المصدر ج ٢ ص ١١٤ .

٥- نفس المصدر ج ٣ ص ٥٩ .

يقول المعرى شاكياً حال العدول و سوء فعلهم(١):

فى البدو خُرَابُ أذواد مسوّمهٍ *** وفى الجوامع والأسواق خُرَابُ

فهوء لاء تسموا بالعدول أو التجار *** واسم أولاك القوم أعرابُ

ويقول فى العدول فى موضع آخر(٢):

عدول لهم ظلم الضعيف سجيّه يسمون أعراب القرى و الجوامع

أما فى عصر الفاطميين فكان قاضى القضاة بالقاهرة يجلس السبت و الثلاثاء بزياده جامع عمرو بن العاص على طراحه و مسند حرير. وكان الشهود يجلسون حواله يمنه و يسره بحسب تاريخ عدالتهم؛ و بين يديه خمسة من الحجاب، اثنان بين يديه، و اثنان على باب المقصوره، و واحد ينفذ الخصوم إليه؛ و أمامه كرسى الدواه، وهى دواه محلاه بالفضه تُحمل إليه من خزائن القصور(٣).

وكان المتحاكمون إلى القاضى فى العصر الأول يبسطون قضيتهم و هم وقوف بين يديه، وقد أنى الأمير الأموى عبدالملك بن مروان النصيرى إلى القاضى خير ابن نعيم يخاصم ابن عم له، فقعد على مفرش القاضى، فقال له القاضى: قم مع ابن عمك، فغضب الأمير، وقام ولم يخاصم(٤).

ثم صار الرسم أن يجلس المختصمون بين يدي القاضى صفًا متساوين.

وقد وقع بين أم المهدي و بين أبى جعفر المنصور خصومه؛ فقالت لا أرضى إلا بحكم غوث بن سليمان، وكان هذا قاضيا على مصر من قبل المهدي؛ فحمل

١- Kremer, ZDMG, ٣٠ S. ٤٩

٢- Kremer, ZDMG, ٣١ S. ٤٧٨

٣- الخطط للمقرئى ج ١ ص ٤٠٣.

٤- الكندى ص ٣٦٥.

إلى العراق للحكم بينهما، فوكت أم المهدي عنها وكيلا، جلس أمام القاضي، فطلب القاضي من أميرالمؤمنين أن يساوى خصمه في مجلسه فانحط عن فرشه، و جلس مع الخصم؛ و بعد النظر في القضية حكم القاضي لأم المهدي على أميرالمؤمنين (١).

وقد جاء في مصدر أن المأمون شكاه رجل إلى القاضي يحيى بن أكنم، فنودي الخليفة ليجلس مع خصمه، فأقبل، و معه غلام يحمل مُصَلَّى، فأمره القاضي بالجلوس، فطرح المصلى ليقعد عليه، فقال له يحيى: يا أميرالمؤمنين! لا تأخذ على خصمك شرف المجلس، فطرح للخصم مصلى آخر فجلس عليه (٢).

وقد خوصم مولى السيدة زبيده، زوجه الرشيد، ووكيلها إلى القاضي محمد بن مسروق؛ فأمر بإحضاره، فجلس متربعا، فأمر به ابن مسروق فبطح و ضرب عشرا (٣)؛ هذا مع أنه وكيل السيدة ذات النفود العظيم.

وقد تعرض أهل النظر للبحث في جميع الأمور الصغيره التي قد توءثر على عداله القاضي؛ هل يجوز للمتخاصمين أن يسلموا على القاضي؟ إذا سلم عليه أحد الخصمين فقال: « السلام عليكم » ينبغي للقاضي أن يقول: « وعليكم »، ولا يزيد على ذلك شيئا، لأن هذا يكفي؛ أما إن قال: « وعليكم السلام » فإن كلمه السلام زياده في الجواب. ولهذا ذهب قوم إلى أنه لا ينبغي للخصوم أن يسلموا على القاضي (٤).

١- نفس المصدر ص ٣٧٤ ج ٣٧٦ .

٢- المحاسن و المساوىء للبيهقى ص ٥٣٣ .

٣- الكندي ص ٣٩٢ .

٤- أدب القاضي مخطوط ليدن رقم ٥٥٠ ص ٢٢ .

وكذلك شدد أهل العدالة على القاضى فى ألا يوءثر على المتخاصمين أقل تأثير، فلا يصيح على أحدهم ليستخرج منه الإجابة التى يريد^(١).

وقد كانت هذه المعاملة اللينه من القضاء لمن يختصم إليهم و عجز القضاء أحياناً عن إلزام أحد الخصمين بإعطاء المال لصاحبه، سبباً فى أن اخترعت عند أهل الفكاهه بمصر قصه القاضى النطاح الذى ثبت فى قلسوته قرنى ثور لينطح بهما المعاند من المتخاصمين. وقد سمع الخليفه الحاكم بذلك، فلام القاضى على ما فعل، فطلب القاضى من الخليفه أن يجلس وراء الستار فى مجلس القضاء ليرى بنفسه مقدار بلاده الناس؛ فحضر الخليفه، و مثل بين يدى القاضى خصمان يطالب أحدهما الآخر بمائه دينار؛ فاعترف المدعى عليه بالدين، ولكنه طلب أن يدفعه مقسطاً؛ فاقترح القاضى فى أول الأمر دن يدفع عشره دنانير فى كل شهر، ولكنه اعترض فخفض القاضى ذلك إلى خمسه دنانير، ثم إلى دينارين، ثم إلى دينار، ثم نصف دينار، فأظهر العجز؛ و أخيراً سأله القاضى أن يبين ما يستطيع أن يدفعه، فقال إنه يدفع ربع دينار فى كل عام؛ و لكنه شرط أن يبقى خصمه فى السجن، لأنه إن أطلق و عجز هو عن أداء ما عليه فر بما قتله. عند ذلك سأل الحاكم القاضى : كم نطحته؟ فقال : واحده، فقال الحاكم : انطحه مرتين، أو انطحه مره و أنا أنطحه الأخرى^(٢).

١- فلا يضحك فى وجه أحدهما أو يساره، أو يومىء إليه بشيء دون خصمه لئلا ينكسر قلب أحدهما و يقعد عن الحجه تاركا الحق لصاحبه؛ و يجب عليه أن يدنى الضعيف حتى يشد قلبه، و يتعهد الغريب حتى يقوى فى المطالبه بحقه، هذا و لا يجوز له أن يمازح الخصوم، ولا أن يفعل ما ينافى هيبه القاضى. (المترجم).

٢- de Sacy, Relegio des Druss, CCCXXVIII.

وكان القاضي يلبس السواد على هيئته عمّال بنى العباس؛ وكان المفضل بن فضاله قاضي مصر من قبل المهدي عام ١٦٨هـ ٧٨٤م يعتّم بعمامه سوداء على قلنسوه طويله (١).

ولما ولي الحارث بن مسكين قضاء مصر عام ٢٣٧هـ ٨٥١م طُلب إليه أن يلبس السواد، فامتنع فخوّفه أصحابه سطوة السلطان به، وقالوا به: يقال إنك من موالى بنى أمية، فأجابهم إلى لباس كساء أسود من الصوف (٢).

وفى غضون القرن الثالث الهجري كانت القلنسوه، وتسمى أيضاً الدّنيّه في لغه للمستهزئين، هي لباس القضاء الذي يميزهم؛ وكانت تلبس مع الطيلسان (٣).

ولما صُيرف القاضي أحمد التنوخي عن القضاء، ثم أعيد إليه قال: أحب أن يكون بين الصرف و القبر فرجه، ولا- أنزل من القلنسوه إلى الحفره (٤).

وقد شبّه أحد الكتّاب رجلا فقد الملاحه فقال مثل قاض بلا دنيّه (٥).

و كان ببغداد في سنه ٣٦٨هـ ٩٧٨م قاض يعرف بأحمد بن سيار، و كانت له هيبه وجبّه مهوله و لحيه طويله، فقدم إليه امرأتان ادّعت إحداهما على

١- الكندي ص ٣٧٨.

٢- نفس المصدر ص ٤٦٩. وكان محمد بن بشير قاضي قرطبه في عهد الخليفه الحكم حسن الهيئه نظيف الملبس، و كان يخرج إلى المسجد و يقعد للحكم في إزار مورد و لمه مفرقه، (أخبار مجموعه ص ١٢٧، البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي ج ٢، ص ٨١ طبعه ليدن).

٣- الأغاني ج ١٠ ص ١٢٣ و الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٣٧٣، ج ٦ ص ٢٠٩، و رسائل الهمذاني ص ١٦٨ و ملحق الكندي ص ٥٨٦.

٤- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٩٢.

٥- كتاب الديارات للشابشتي ص ٨١.

الأخرى، فقال لهذه: ما تقولين في دعواها؟ قالت: أفزع، أيد الله القاضى. قال: مماذا، قالت: «لحيه طولها ذراع، ووجه طوله ذراع، ودينه طولها

ذراع، فأخذتني هيبتها؛ فوضع القاضى دينته، وغطى بكمه لحيته، و قال:

قد نقصتك ذراعين، أجيبنى عن دعوتها(١).

و كان قضاة الفاطميين يحملون سيفاً(٢).

و كان موظفو ديوان قاضى القضاة ببغداد فى سنة ٣٣٦هـ هم:

الكاتب، وقد رُتب له فى كل شهر ثلثمائه درهم.

الحاجب، وورزقه مائه و خمسون درهماً فى الشهر.

و من يعرض الأحكام، و راتبه فى الشهر مائه درهم.

و خازن ديوان الحكم و من معه من الأعوان، و لهم ستمائة درهم(٣).

و منذ عهد الخليفة المنصور ظهر أكبر ما يستتفت النظر فى النظام القضائى، و هو إيجاد جماعه من الشهود الدائمين أمام القاضى؛ و يخبرنا الكندى و هم مؤرخ ثقه، عن نشأة الشهود، فيقول: كان القضاة إذا شهد عندهم أحد، و كان معروفاً بالسلامه، قبله القاضى؛ و إن كان غير معروف بها أوقف، و إن كان الشاهد مجهولاً

١- تاريخ الإسلام المذهبى فى مجله الجميعه الأسيويه الملكيه (JRAS, ١٩١١ p.٦٦٩, Note, I) والظاهر أن قضاة مصر فى النصف الأول من القرن الرابع كانوا يلبسون طيلساناً أزرق (كتاب الديارات ص ١٣١)؛ و كذلك كان أحد القضاة ببغداد حوالى عام ٤٠٠هـ يلبس طيلساناً أزرق (الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٢٦١)، و كذلك كان العدول يلبسون قلانس سوداء طويله، و يسخر أحد شعراء القرن الرابع من القلانيس، فيشبه قلنسوه القاضى بأنها غراب نوح بلا جناح (انظر محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٢٩).

٢- ملحق الكندى ص ٥٨٩، ٥٩٦، ٥٩٧.

٣- نفس المصدر ص ٥٧٤، و المنتظم لابن الجوزى ص ١٠٥ ب.

لا يعرف سِيئِل عنه جيرانه، فما ذكروه به من خير أو شر عَمِل به؛ حتى كان غوث بن سليمان في خلافه المنصور، فكان أول من سأل عن الشهود بمصر في السرّ، و كان سبب ذلك كثره شهادة الزور في زمن غوث، و كان من عُدَل عنده قبله، ثم يعود الشاهد واحداً من الناس، ولم يكن أحد يوسم بالشهادة ولا يشار إليه بها(١).

ثم إن القاضي المفضل بن فضاله عين رجلاً يسمى صاحب المسائل ليسأل عن الشهود و يشهد عليهم؛ و كان المفضل أول من استعمل هذا العامل، فتحدث الناس أنه كان يرتشى من أقوام ليذكرهم بالعدالة(٢).

ثم جاء القاضي العمري على قضاء مصر من قبل الرشيد سنة ١٨٥ هـ ٨٠١ م فاتخذ الشهود «وجعل أسماءهم في كتاب، و هو أول من فعل ذلك، و دوّنهم و أسقط سائر الناس؛ ثم فعلت القضاء ذلك من بعده حتى اليوم»(٣).

وقد سخر الشعراء من هذا القاضي لأنه اتخذ من أهل المدينة من موالى قريش و الأنصار و غيرهم نحواً من مائه شاهد(٤)، ثم أسقط جمعاً منهم، و حط عليهم نحواً من ثلاثين رجلاً ممن ألب عليه من الفرس(٥).

و من الشهود نشأت بطانه القاضي، وقد أمر القاضي لهيعة بن عيسى الذي تولى القضاء بمصر عام ١٩٩ هـ صاحب مسائله أن يجدد السوءال عن القود و الموسومين بالشهادة في كل ستة أشهر، ليقف من حدثت له جرحه؛ و اتخذ من

١- الكندي ص ٣٦١ .

٢- نفس المصدر ص ٣٨٥ .

٣- نفس المصدر ص ٣٩٤ .

٤- الكندي ص ٣٩٥ ج ٣٩٦ .

٥- نفس المصدر ص ٤٠٢ .

بين الشهود قوماً جعلهم بطانته، و كانوا نحواً من ثلاثين رجلاً(١).

وقد اهتم أحد القضاة، و هو عيسى بن المنكدر الذى تولى القضاء عام ٢١٢هـ، بأمر الشهود اهتماماً كبيراً، فكان يتنكر بالليل، و يغطى رأسه، و يمشى فى السكك ليسأل عن الشهود(٢).

و نجد فى عهد بولايه القضاء فى كتاب الخراج لقدامه بن جعفر أن التثبت فى شهاده الشهود و المبالغه فى المسأله عنهم، و الفحص عن وجوه عدالتهم، و البحث عن حالاتهم، من أهم واجبات القاضى(٣).

و كان عضد الدوله لا يجعل للشفاعات طريقاً، و يحكى أن مقدّم جيشه شفع فى بعض أبناء العدول ليتقدم إلى القاضى لىسمع تزكيتهم، و يعدّله، فقال عضد الدوله : «ليس هذا من أشفالك»، إنما الذى يتعلق بك الخطاب فى زياده قائد و نقل مرتبه جندى و ما يتعلق بهم، و أما الشهاده و قبولها، فهو إلى القاضى و ليس لنا و لا لك الكلام فيه(٤).

و يحكى أن الخليفه الحاكم جرى فى هذه المسأله، مسأله العدول، على ما عرف عنه من فعل الشىء ثم نقضه؛ ففى سنه ٤٠٥هـ ١٠١٤م سأله جماعه من المصريين أن يوءهّلهم للعداله، فأذن لهم فى ذلك، و تشبه بهم غيرهم فى سوءاله، حتى بلغ عدد العدول ألفاً و مائتين و نيفاً؛ فأعلمه قاضى القضاء أن كثيراً منهم لا يستحقون العداله، و لا يوثق بهم فى شهاده؛ فأذن له، على حسب عادته،

١- نفس المصدر ص ٤٢٢ .

٢- نفس المصدر ص ٤٣٧ .

٣- مخطوط باريس رقم ٥٩٠٧ ص ١٢ ب .

٤- ابن الأثير ج ص ١٥٩ .

بتصفحهم و إقرار من برى إقراره منهم(١).

و لما كان هوء لاء العدول يختارهم القاضى و يعدّ لهم بنفسه؛ فإنهم كانوا يقولون بعزله أو موته (٢).

و كان القاضى إسماعيل بن عبدالواحد، قاضى مصر سنه ٣٢١هـ ٩٣٣ م يازم الشهود أن يركبوا معه(٣).

و حوالى ذلك الوقت كان الرسم أن يجلس مع القاضى عند نظره فى القضايا أربعه شهود، اثنان يجلسان عن يمينه و اثنان عن يساره(٤).

و فى القرن الرابع الهجرى نجد الشهود قد أصبحوا نوعاً من العمال الثابتين بعد أن كانوا فى أول الأمر من حاشيه القضاء الأمانه الذين يوثق بشهادتهم. وهذا القرن أيضاً هو الذى أوجد هذا النظام الذى لا يزال باقياً إلى اليوم و أحله محل النظام الإسلامى القديم، بل نجد أن القاضى النمى فى القرن الثالث الهجرى بالبصره قد عين فى أثناء ولايته ستة و ثلاثين ألف شاهد، منهم عشرون ألفاً لم يشهدوا بعد تعيينهم، فلم يحظوا بشرف منصبهم(٥).

١- يحيى بن سعيد مخطوط باريس ص ١٢٤ ج ب، و ملحق الكندى ص ٦١٢.

٢- الأحكام السلطانيه للماوردى ص ١٢٨ .

٣- ملحق الكندى ص ٥٤٥ .

٤- نفس المصدر ص ٥٥٢، ٥٦٠، ٥٦٩، ٥٩٠ .

٥- Amedeo, JRAS, 1910, 779 ff، نقلا عن نشوار المحاضره للتوخى مخطوط باريس. انظر أيضاً رسائل الصابى ص ١٢٢. و يسمى كبير الشهود مقدمهم (كندى ص ٥٨٨، ٥٨٩) و قد تكلم المسعودى (مروج ج ٨ ص ٣٧٨)، وهو بمصر عام ٣٣٣هـ عن الشهود ببغداد، و قد سمي الشهود فى خراسان و المغرب فى النصف الثانى من القرن الرابع بالعدول (يتيمه الدر ج ٣ ص ٢٣٣، و مسكويه فى مواضع كثيره، و قاموس دوزى، و مقدمه ابن خلدون ترجمه دى سلان ص ٤٥٦) و قد بقيت هذه التسميه بمراكش إلى اليوم (انظر مجله العالم الإسلامى Revue du monde musulman, XIII, 517 ff، أما الشهود الذين لا يقومون بالشهاده و يرشحون لها فيسمون الموسومين بالعداله (الكندى ص ٤٢٢ و رسائل الصابى ص ١٢٢).

وكان ببغداد حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢ م نحو من ألف وثمانمائه شاهد.

و فى سنه ٣٢٢هـ ٩٣٤ م أكثر الشهودُ التردّدَ على القاضى محمد بن موسى بمصر، فقال لهم : مالكم معاش عندنا، فلا يجىء أحد منكم إلا لحاجه أو لشهاده(((٢٠١٢))). لكأن الشهود أرادوا أن يكونوا موظفين، ولكن القاضى كان على الرأى القديم فى أمر الشهود.

و فى سنه ٣٨٢هـ ٩٩٢ م بلغ عدد الشهود ببغداد ثلاثمائه و ثلاثه، و لكن هذا العدد كان يعتبر كثيراً(١)، و فى أواخر القرن الرابع أنقص قاضى القضاة بالقاهره عدد الشهود(٢).

وقد أوصى الدمشقى التاجر الماهر أن يحتاط فى شهاده من يشهودون على العقود التى يريد إمضاها، فيسأل عنهم إن لم يكن خبيراً بهم، حتى يعرف المشهورين بالأمانه و النزاهه فى الدين و اليسار فيأخذ بشهاداتهم؛ و ذلك لأنه فى أكثر الأوقات يدخل فى الشهود من لا يستحق منزله العداله لعنايه به أو جاه

١- الكندى ص ٥٤٩، و أمدروز ٧٨٣ S. ١٩١٠. Amedroz, JRAS. نقلا- عن رفع الإصر لابن حجر مخطوط باريس رقم ٢١٤٩ ص ١٢٨ .

٢- رفع الإصر، ص ٢٨، الكندى ص ٥٩٦ .

بعض أقاربه و يلبث مده، ثم ربما حدث أمر آخر فيسقط الشاهد و تضع قيمه الكتاب أو العقد الذى شهد عليه(١).

و كان يتوب عن القاضى شاهداً فى كل محكمه من المحاكم الخمس الصغرى ليحكم فيها باعتباره قاضياً مستقلاً يحكم فى القضايا الصغيره(٢).

و كان الشهود فى عصر لين Lane يجلسون فى دهليز المحكمه الكبرى، و يقدم الشاكي قضيه لمن يجده غير مشغول منهم، فيقيدها هذا، و يأخذ عن تقييدها قرشاً أو أكثر، فإن كانت القضيه صغيره، و رضى المدعى عليه بحكم الشاهد حكم هذا فيها، و إلا أدخل الخصمين إلى القاضى.

وقد أوصى الخليفه الطائع فى عهده لقاضى القضاة(٣) أبى محمد بن معروف، و هو العهد الذى كتبه الصابى فى سنه ٣٦٦ هـ ٩٧٦ م، وصيه متكرره بالإكثار من تلاوه القرآن و أن يتخذ إماماً يهتدى ب آياته، و بالمحافظه

١- الإشارة إلى محاسن التجاره لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ص ٣٥ ج ٣٦ من طبعه مصر ١٣١٨ هـ .

٢- خطط المقريزى ج ١ ص ٣٣٣ (؟) .

٣- يقال إن أول من لقب لهذا اللقب هو أبو يوسف قاضى الرشيد الذى كان يرشح القضاة للتعين بالبلاد(خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٣٣)؛ و كان يحيى بن أكثم قاضى المأمون يمتحن القضاة الذين يراد توليتهم (طيفور فى كتاب بغداد ص ٢٥٨)؛ فكان يسألهم فى مسائل مشكله من الشريعه، و كان مما امتحن به رجلاً أنه سأله : ما تقول فى رجلين زوج كل واحد منهما للآخر أمه، فولد لكل واحد من امرأته ولد، ما قرابه ما بين الولدين، فلم يعرفها، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه (عيون الأخبار طبعه بروكلمان ص ٨٦)؛ و كان يعين قاض من كل مذهب من المذاهب الأربعة و ذلك بعد عصر الحروب الصليبيه ج انظر كتاب زبده كشف الممالك للظاهرى طبعه essivar ص ٩٢ . وفى سنه ٦٦٤ هـ ضم الملك الظاهر بيبرس القضاة الثلاثه إلى الشافعيه، بعد أن كان القضاة للشافعيه مصرأ و شاماً (طبقات السبكي ج ٢ ص ١٧٤) .

على الصلوات فى أوقانها، و بالجلوس للخصوم و فتح بابها لهم على العموم، و أن يوازى بين الفريقين المتحاكمين إليه، و لا يحابى ملياً على ذمى. و أمره بالقصد فى مشيته، و بالغض من صوته، و حذف الفضول من لفظه، و أن يخفف من حركاته و لفتاته، و يتوقر من سائر جنباته و جهاته، و أن يستصحب كاتباً درباً بالمحاضرات و السجلات، ماهرأً فى القضايا و الحكومه غير مقصر عن القضاء المستورين و الشهود المقبولين فى طهاره ذيله و نقاء جيبه، و حاجباً سديداً رشيداً لا يسفُّ إلى دينه و لا يقبل رشوه، و لا يلتمس جُعلاً، و خلفاء يرد إليهم ما بعد من العمل عن مقره و أعجزه أن يتولى النظر فيه بنفسه، و يجعل لكل من هذه الطوائف رزقاً يكفه و يكفيه، و أن يبحث عن أديان الشهود و يفحص عن أماناتهم؛ و أمره أن يضبط ما يجرى فى عمله من الوقوف الثابته فى ديوان حكمه، و يحتاط على أموال الأيتام و يسقدها إلى أعف و أوثق القوام؛ و أمره إن ورد عليه أمر يعيبه الفصل فيه أن يردد إلى كتاب الله، فإن وجد فيه الحكم و إلا - فى السنه، فإن أدركه و إلا استفتى ذوى الفقه و الفهم و أهل الدرايه، و أمره ألا ينقض حكماً حكم به من كان قبله إلا إذا كان خارجاً عن الإجماع و أنكره جميع العلماء، عند ذلك ينقضه نقضاً يشيع و يذيع (١).

و هذا الإجماع الذى ينعقد من جماعه العلماء الذين لا يخضعون للسلطنه

١- رسائل الصابى ص ١١٥ و ما بعدها؛ و فى أوائل القرن الرابع الهجرى حكم القاضى بفسخ زواج بكر كرمت زوجه، لأن أباها لم يكن قد استأذنها عند العقد، فأراد الزوج جمع كلمه الفقهاء على صحه النكاح، و أخذ خطوطهم بصحه العقد، و خشى القاضى من اجتماع كلمه الفقهاء على نداد حكمه، فأشار عليه صديق له أن يسجل حكمه بفسخ النكاح و يشهد بذلك. فأفسد على الزوج و على الفقهاء تدبيرهم (ملحق الكندى ص ٥٦٦).

أخرى هو المحكمه الإسلاميه العليا، وهؤلاء العلماء الذين يبدون رأيهم فى ميدان الأحكام القضائيه الهامه هم المظهر الذى أثبتت فيه الديمقراطيه الإسلاميه وجودها، لأن الحكم الأعلى هنا يصدر عن جماعه المسلمين.

و كان فى الحياه الديوانيه نزعه قويه إلى جعل المناصب وراثيه من الأب إلى الابن؛ و أظهر ما كان ذلك فى مناصب القضاء. فى القرنين الثالث و الرابع تقلد قضاء القضاء من أسره واحده هى أسره أبى الشوراب ثمانيه رجال ببغداد، هذا عداسته عشر قاضياً آخرين من هذه الأسره (١).

و ظل بنو أبى برده منذ حوالى عام ٣٢٥هـ ٩٣٧ م يتقلدون قضاء القضاء بفارس أجيالا كثيره، كما ظلوا قروناً كثيره منذ ٤٠٠هـ قضاء فى غزنه (٢).

و كذلك توارث آل النعمان قضاء القضاء ثمانين سنه فى عهد الفاطميين بمصر (٣).

وقد زات شوكة هذه الأسر التى توارثت القضاء زياده هائله، و ذلك لأن نظام الاستخلاف فى المناصب ظهر فى القضاء، كما كان فى مناصب الولايات و حكم الأقاليم، و نجد فى صور المخاطبات التى ترجع إلى أوائل القرن الرابع الهجرى أنه كان بمصر قاض واحد، و أن فارس و الأهواز كانا يجمعان لقاض واحد (٤).

١- انظر ما حكاه S. ٧٨٠, ١٩١٠, Amedroz, نقلا عن تذكره ابن حمدون، مخطوط لندن؛ و انظر أيضاً المنتظم لابن الجوزى ص ١٧٤ ب .

٢- ابن البلخى S. ١٤٤, ١٩١٢, JRAS.

٣- Gottheil, a distinguished family of fatimide Cadis in the tenth century, JAOS, ١٩٠٦. S. ٢١٧ ff.

٤- كتاب الوزراء ص ١٥٧ .

وكان القاضى عبد الجبار قاضى قضاءه بنى بوريه يجمع بين قضاء الرى و همذان و الجبال(١).

و كان قاضى مكه فى سنه ٣٣٦هـ ٩٤٧ م له قضاء مصر و غيرها(٢).

وفى عهد الفاطميين كان ربما جمع قضاء الديار المصريه و أجناد الشام و بلاد المغرب لقاض واحد(٣).

و نجد فى العهد الذى كتب لقاضى القضاءه محمد بن صالح الهاشمى سنه ٣٦٣هـ ٩٧٤ م ما يجعله قاضياً على المملكه الإسلاميه كلها تقريباً من البلاد الواقعه غرب جبال فارس إلى مصر، و كان تحته حكام فى البلاد عهد إليه فى تصفح أحوالهم و استشراف ما يجرى من الأحكام فى سائر النواحي(٤).

و كان هناك إلى جانب القضاءه النظر فى المظالم، و كان الناظر فى المظالم ينظر فى كل « حكم يعجز عنه القاضى، فينظر فيه من هو أقوى من يداً(٥)».

و كان القضاءه و النظر فى المظالم يقومان جنباً لجنب فى جميع البلاد الإسلاميه(٦).

١- الإرشاد ج ٢ ص ٣١٤.

٢- مروج الذهب المسعودى ج ٩ ص ٧٧.

٣- صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٦ من طبعه دار الكتب المصريه .

٤- المنتظم ص ١٠٥ ب .

٥- الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٢٠٧، و إنى لأنتفع فى هذا المقام مع الشكر ببحث امدروز, S, ١٩١١, JRAS, Amedroz, ٦٣٥ ff.

٦- فيما يتعلق بالتركستان انظر Schwarz, Turekstan, ٢١٠، أما فى مصر فى عهد محمد على ناظر Lane, Manners and Customs... فى أول الفصل التاسع و فيما يتعلق بمكه انظر Snouck Hurgronje, Mekka, ١, ١٨٢.

و لكن اختصاص كل من هذين القضاة لم يحدّد تحديداً دقيقاً؛ و كانت المسألة الهامه دائماً هي هذه: أيهما أقوى: سلطان الإسلام الذي يمثله القاضي أم السلطه الدينويه؟ و كانت الأمور المتعلقة بالحدود تقدم إلى صاحب المظالم (١).

و كان القاضي أحياناً ينظر في المظالم، و كان قاضي القضاة بنوع خاص ينظر في المظالم بدار السلطان (٢).

و كان الوزير هو الذي يعين أصحاب المظالم في البلاد (٣).

و قد حاول رجال الشرع مرتين في القرن الرابع الهجري أن يشرفوا على أعمال الشرطه؛ ففي سنة ٣٠٦ هـ ٩١٨ م أمر الخليفة المقتدر يميناً الطولوني صاحب الشرطه ببغداد بأن يجلس في كل ربع من الأرباع فقيهاً يسمع من الناس ظلاماتهم، و يفتى في مسائلهم حتى لا يجري على أحد ظلم (٤)؛ فكان هوءاء الفقهاء بمثابة أصحاب شرطه من الفقهاء يشرفون على أعمال أصحاب الشرطه لتكون مطابقه لفتواهم، و يقول ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار المتوفى عام ٧٣٥ هـ بعد ذكر هذا النظام: «فضعفت هيبه السلطه بذلك، و طمع

١- ٦٦٤ S. ١٩١١, JRAS, Amedroz.

٢- كان ينظر في المظالم بمصر قاضي الأخشيد الذي ولي القضاة سنة ٣٢٤ هـ ٩٣٦ م، انظر طبقات السبكي ج ٢ ص ١١٣ ج ١١٤. و في سنة ٣٣١ هـ أفرد للنظر في المظالم قاض مستقل (الكندی ص ٥٧٢). و فيما يتعلق ببغداد في سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٤ م انظر المنتظم ص ١٤٩ ب. و في الأهواز تقلد القاضي التنوخي عام ٣١٧ هـ ٩٢٩ م القضاة و المظالم (الأرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٣٢). و عندما لا ينظر القاضي في المظالم كانت ترسل إليه قصص المتظلمين بعد التوقيع فيها (انظر كتاب الوزراء ص ١٥١).

٣- عريب ص ٥٠، و الأرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٣٢.

٤- عريب ص ٧١.

للصوص و العيارون، و كثرت الفتن، و كُبت دور التجار، و أخذت ثياب الناس فى الطرق المنقطعه (١)».

و كذلك نَصَب الخليفه الحاكم بمصر فى الشرطه و فى كل بلد شاهدين من العدول، و أمر ألا يقام على ذى جزيره أو مرتكب جريمه حدٌ إلا بعد أن يصح عند ذينك الشاهدين أنه مستوجب لذلك (٢).

و لكن هاتين المحاولتين لم يكن لهما تأثير، بل نجد الآيه قد انعكست، فكانت ترفع الظلمات من حكم القضاء إلى أصحاب المظالم، و لا سيما إلى الوزير الذى يجلس للمظالم؛ و هذا يخالف النظرية الفقيهيه. و قد جاء وصف لجمهور المستصرخين إلى الوزير الذى كان يقعد للمظالم بأنهم كانوا «قوما كثيرين قد قصدوا من نواح بعيده وأقطار شاسعه مُستصرخين متظلمين، فهذا من أمير وهذا من عامل، و هذا من قاض و هذا من متعزز (٣)».

و قد حدث حوالى سنه ٤٣٠هـ ١٠٣٩ م أن مات رجل بمصر و ترك مالا- جزيلا، ولم يخلف سوى بنت واحده؛ فورثت جميع المال، و تناول الناس لتزوّجها لكثرة مالها، و من جملتهم القاضى عبد الحاكم بن سعيد الفارقى؛ فامتنعت عليه، فخنق عليها، و أقام أربعة شهود بأنها سفيهه، و أخذ مالها؛ فهربت إلى الوزير، و عرّفته بما فعله القاضى، فعمل محضراً برشدها و أشهد عليه، و أمر بإحضار القاضى؛ فأحضر مُهاناً، و أخذ المال منه، و أنيب ولده عنه فى الأحكام، و لزم داره فلم يخرج منها؛ ثم قبض الوزير على الشهود الذين شهودوا بسفهها،

١- زبده الفكره فى تاريخ الهجره مخطوط باريس رقم ٥٧٢ ص ١٨٦ .

٢- يحيى بن سعيد ص ١٢٣ .

٣- كتاب الوزراء ص ١٠٧ .

فأودعهم السجن، و خلع على من شهد لها بالرشد(١).

وقد داوم أحمد بن طولون صاحب مصر النظر في المظالم بكل عنايه، « حتى استغنى الناس عن القاضى »، و حتى كان القاضى ربما نعس فى محله، ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدم إليه أحد. ولم يكن فى مصر قاضٍ فى ذلك العهد سبع سنين، فكان كل شىء يردُّ إلى الناظر فى المظالم(٢).

و كذلك كان كافور الأخشيدى الأسود يجلس للمظالم حتى « كان القاضى كالمحجور عليه لكثرة جلوس كافور للمظالم(٣) ».

و فى سنه ٣٦٩هـ ٩٧٩م وقع نزاع بين صاحب الشرطه و بين القاضى؛ و ذلك أن صاحب الشرطه حكم فى شىء ليس من اختصاصه، فأنكر القاضى حكمه، و اعترض فيه؛ فوقع الوزير بأنه ليس لأحد الفريقين أن يعترض على الآخر فيما حكم به(٤).

و فى حوالى سنه ٤٠٠هـ منع القاضى أصحاب الشرطه من التكلم فى الأحكام الشرعيه، ثم أنهى الخليفه النزاع بأن أضاف للقاضى النظر فى المظالم(٥).

و كانت الظلمات تقدم مكتوبه(٦)، و كان يحدث أحيانا حوالى عام ٣٢٠هـ

١- ٧٩٣، S. ١٩١٠، Amedroz, JRAS، نقلا عن رفع الإصر مخطوط باريس رقم ٢١٤٩ ص ١٦٠ ج ب؛ انظر أيضا، JRAS

٢- ٦٦٣، S. ١٩١١، و ملحق الكندى ص ٤٩٨ ج ٤٩٩، ص ٦١٣.

٣- ملحق الكندى ص ٥١٢.

٤- نفس المصدر ص ٥٨٣، ٥٨٤.

٥- نفس المصدر ص ٥٩١.

٦- نفس المصدر ص ٦٠٤.

٦- كتاب الوزراء ص ٥٢، ١٠٧. و كان على صاحب ديوان المظالم أن يعمل بجميع القصص جامعاً يعرض على الخليفه فى كل أسبوع (انظر كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس ٥٩٠٧ ص ٢٣ ب).

٩٣٢ م أن ترمى الرقعه فى ورق المظالم أمام القاضى فى المجلس(١).

و كانت الأحكام تصدر مكتوبه، و قد جرت بعض هذه التوقيعات مجرى النصوص الأدبيه المشهوره التى توءثر لحسنها، و هى شبيهه بحواشى فريدريك الأكبر التى كان يكتبها على هامش ما يرفع إليه(٢).

و كان يخصّص فى دار الخلافه يومٌ فى الأسبوع لسماع المظالم، و كذلك كان الحال من قبل فى العصر البوزنطى؛ ففى سنه ٤٩٦ م كان حاكم الرها يجلس كل يوم جمعه فى الكنيسه للقضاء(٣).

و فى عصر الخليفه المأمون مثلاً خُصّص يومٌ الأحد للنظر فى المظالم(٤).

و كان أحمد بن طولون بمصر يجلس لذلك يومين فى الأسبوع(٥).

و كان الأخشيد يجلس المظالم بنفسه كل يوم أربعاء(٦)؛ و بعده كان كافور يجلس كل سبت، و يحضر عنده الوزير و سائر الفقهاء و القضاء و الشهود و وجوه البلد(٧).

١- كتاب اوزراء ص ٥٢، و ملحق الكندى ص ٥٤١.

٢- و من هذه التوقيعات طاهر التى ذكرها طيفور فى كتاب بغداد ص ٥٠ ب و توقيعات المأمون عند البيهقى فى المحاسن و المساوى ص ٥٣٤ و ما بعدها، و توقيعات الصاحب ابن عباد عند الثعالى فى خاص الخاص طبعه القايره ١٩٠٩ م ص ٧٣.

٣- Josua stylites, s. ٢٩.

٤- الأحكام السلطانيه للماوردى ص ١٤٣ طبعه إنجر(Enger).

٥- الخطط للمقرئى ج ٢ ص ٢٠٧.

٦- المغرب لابن سعيد ص ٣٩.

٧- ملحق الكندى ص ٥٧٧، و المقرئى ج ٢ ص ٢٠٧.

و أول من جلس من الخلفاء المهدي و آخرهم المهدي (٢٥٥ ج ٢٥٦ هـ ١٦٨ ج ١٦٩ م) (١).

و كان المهدي يجلس للمظالم و ينظر فيها يرفعه إليه العام و الخاص، و قد بنى قبه لها أربعة أبواب كان يجلس فيها و سماها قبه المظالم؛ و كان تقياً فأمر بالمعروف و نهى عن المنكر. و كان يحضر كل جمعه إلى المسجد الجامع فيخطب الناس و يوءم بهم (٢).

و كان إذا جلس للمظالم أمر بأن توضع كوانين الفحم في الأروقه و المنازل عند تحرك البرد؛ فإذا جلس المتظلم « أمر بأن يدفأ و يجلس ليسكن و يثوب إلى عقله، و يتذكر حجته، ثم يدنيه، و يسمع منه، و بقول : متى يلحن المتظلم بحجته إذا لم يفعل به هذا، و قد تداخلته رهبه الخلافه و ألم البرد؟» (٣).

و كان مما وعد به الخليفه القاهر، و هو يطلب الخلافه، أن يعد للنظر في المظالم بنفسه (٤).

و في عهد الخليفه المعتضد قام مقام الخليفه في النظر في مظالم العامه الوزير عبيدالله بن سليمان، و ناب عنه القائد بدر في النظر في مظالم الخاصه؛ و كان يوم المظالم يوم الجمعة (٥).

١- المقریزی نفس النص نقلاً عن الماوردي، و يذكر هنا أن الأخشيد و ابنه كانا يجلسان للمظالم يوم السبت، و اللمحه التاريخيه التي ذكرها المقریزی مأخوذه من الأحكام السلطانيه ص ١٢٨ و الصفحات التاليه .

٢- مروج الذهب للمسعودي ج ٨ ص ٢ .

٣- المحاسن و المساوي للبيهقي ٥٧٧ ج ٥٧٨ .

٤- ٦٥٧، s. ١٩١١، JRAS, Amedroz, و ابن الأثير ج ٨ ص ١٩٣.

٥- كتاب الوزراء ص ٢٢ .

و لكننا نجد الوزير فى أوائل القرن الرابع يجلس للمظالم يوم الثلاثاء، و كان أكثر الكتاب يحضر مجلسه (١).

و فى سنة ٣٠٦هـ ٩١٨ م جلست للمظالم قهرمانه لأم المقتدر تسمى ثمل (٢).

و لما كان النظر فى المظالم غير مقيد بتدقيقات الفقهاء، فقد كان صاحب المظالم أكثر حريه من القاضى. وقد بين الماوردى بما له من قدره على الإحصاء و بيان الفروق أن الفرق بين نظر المظالم و نظر القضاء من عشره أوجه : أهمها أن لنظر المظالم من فضل الهيئه و قوه اليد ما ليس للقضاء بكفّ الخصوم عن التجاحد و منع الظلمه من التغالب و التجاذب، و أنه يستعمل من الإرهاب و معرفه الأمارات و الشواهد ما يصل به إل معرفه المحق من الباطل، و أنه يستطيع رد الخصوم إذا أعضلوا إلى وساطه الأمناء، ليفصلوا التنازع بينهم صلحاً عن تراضٍ، و ليس للقاضى ذلك إلا- عند رضا الخصمين بالرد، و أنه يجوز له إحلاف الشهود عند ارتيابه بهم و الاستكثار من عددهم ليزول عنه الشك، و أنه يجوز له أن يبتدىء باستدعاء الشهود و سوء الهم عما عندهم؛ و عاده القضاء تكليف المدعى إحضار بينه، و لا يسمعون اليه إلا بعد سوء الاله (٣).

و لكن هذا كله لا يعدو الكلام النظرى، و كان يعمل فى كل بلد بحسب قانونها

١- نفس المصدر ص ٦٦ .

٢- عريب ص ٧١؛ و أبوالمحسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٢٠٣؛ و قد اختلف فى المرأه : هل تقضى؟ فقال أبو حنيفه يجوز أن تقضى فيما تصح فيه شهادتها، و أغلب العلماء على أنها لا تقضى، و شد الطبرى المتوفى عام ٣١٠هـ فجوز قضاءها فى جميع الأحكام (الماوردى ص ١٠٧ ج ١٠٨)، ثم اشترط فيما بعد فى القاضى أن يكون ذكراً، أما فى النظر فى المظالم فلم يشترط ذلك .

٣- الأحكام السلطانيه للماوردى ص ١٤١ ج ١٤٢ .

و عاداتها. وكانت الوسائل القديمه التي أثبتت التجربه قيمتها كالضرب مثلا منتشره، و إن كانت محرّمه على القاضي(١).

١- انظر الفصل الخاص بالأخلاق و العادات (الفصل العشرون).

تعليقات الفصل الخامس عشر

[*١] قال اليعقوبى (١) و كان أول من ولى القضاء الامصار من قبله و كان يوليهم أصحاب المعاون ثم عد عدده من قضااته و ما فى الهامش (٢) من كون أول قاض (٢) بالمدينه من قبل المهدي هو عبدالله بن عمران التميمي.

[*٢] ليس الأمر كما ذكر فان شريحاً القاضى و لاه أمير المؤمنين عليه السلام على ما ورد من قول أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى روايه (٣) صحيحه رواها عنه ابن أبى عمير عن هشام بن سالم قال: لما ولى أمير المؤمنين عليه السلام شريحاً القضاء اشترط عليه أن لا ينفذ القضاء حتى يعرضه عليه، كما استقصى (٤) عليه السلام رفاعه على الأهواز، و كتب إليه كتاباً و فوض تعيين القاضى إلى الأشتر (٥) ففى عهده عليه السلام إلى الأشتر اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك ممن لا تضيق به الأمور.

[*٣] كما قدمنا عن عمده الطالب فى النقابه (٦) و قضاء القضاء والحج والمظالم.

[*٤] فيها (٧) (أى سنه ست و أربعمأه ناقلاً عن العبر توفى أبو حامد الاسفرائنى أحمد بن

١- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٢٧-١٢٨.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٣٩.

٣- وسائل الشيعة ١٨ الباب ١/٢ من أبواب صفات القاضى.

٤- مستدرک الوسائل ٣ الباب ٧-١٢-١٥-٤ من أبواب صفات القاضى.

٥- نهج البلاغه ج ٣ ص ١٠٤.

٦- الغدير ج ٤ ص ٢٠١-٢٠٥.

٧- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٨.

أبى طاهر محمد بن أحمد الفقيه شيخ العراق و امام الشافعيه و من اليه انتهت رياسه المذهب، الي، و كان يحضر درسه ٧٠٠ فقيه و كذا نقل عن الخطيب أبى بكر و عن ابن شهبه قال الشيخ أبو اسحاق انتهت إليه رياسه الدين و الدنيا ببغداد و جمع مجلسه ٣٠٠ متفقه.

[٥*] ذكر الطنطاوى (١) القضييه الثامنه لعدل القاضى أبى حازم قال: قال أبو الحسن عبدالواحد الحصيبي حضرت القاضى أبى حازم و قد جاءه طريف المخلدى من أمير المؤمنين المعتضد بالله، و قال: يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال، و قد بلغنا ان غرمائه أثبتوا عندك افلاسه و قد قسطت لهم ماله، فاجعلنا كأحدهم و قسط لنا، فقال أبو حازم قل له، اطال الله بقاءه، اذا كر بما قال لى وقت ان قلدنى القضاء قد أخرجت الأمر من عنقى و جعلته فى عنقك، و لا يجوز ان احكم فى مال رجل مدع الا بينه، فرجع طريف و اخبره فقال له: قله له: فلان و فلان يشهد ان عندى و أسأل عنهما، فان زكيا قبلت شهادتهما و إلا امضيت ما ثبت عندى، فامتنع اولئك من الشهاده فرعاً أن لا يقبل قولهما، و لم يدفع للمعتضد شيئاً قال: فهكذا يكون القضاء السديد.

[٦*] و ذكر الطنطاوى (٢) فى القضييه الثالثه لعدل شريك بن عبدالله قاضى الكوفه. قال روى عمر بن هياج بن سعد، قال اتت امرأه يوماً شريك بن عبدالله قاضى الكوفه و هو فى مجلس الحكم، فقالت انا بالله ثم بالقاضى، قال من ظلمك؟ قالت الأمير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين، كان لى بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبى

١- تفسير الطنطاوى ج ١٨ ص ٩٤.

٢- تفسير الجواهر ج ١٨ ص ٩٠-٩١.

و قاسمت اخوتى و بنت بينى و بينهم حائطاً و جلعت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل و يقوم به فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع اخوتى و ساومنى و رغبتى فلم ابعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام و فاعل فاقتلعوا الحائط فأصحبت لا أعرف من نخلى شيئاً و اختلط بنخل اخوتى، فقال يا غلام احضر طينه فاحضر فختمها، و قال امض الى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينه المختومه، فأخذها الحاجب و دخل على موسى فقال قد اعدى القاضى عليك و هذا ختمه، فقال ادع لى صاحب الشرطه - فدعا به فقال امض الى شريكك، و قل: يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك، امرأه ادعت دعوى لم تصح اعديتها على، قال صاحب الشرطه ان رأى الأمير ان يعينى من ذلك، فقال امض ويلك، فخرج و قال لغلماينه، اذهبوا واحملوا لى الى حبس القاضى بساطاً و فراشاً و ما تدعوا الحاجه اليه، ثم مضى الى شريكك، فلما وقف بين يديه ادى الرساله، فقال لغلماين المجلس خذ بيده فضعه فى الحبس، فقال صاحب الشرطه والله قد علمت انك تحبسنى، فقدمت ما احتاج إليه إلى الحبس، ثم ذكر توجيه موسى الحاجب إليه و أمر شريك بحبسه، و كذلك أمر بحبس جماعه من وجوه الكوفه من أصدقاء القاضى و حبس اسحاق بن الصباح الاشعثى لما بعثهم موسى بعد صلاه العصر إلى شريكك، و ان موسى ركب فى الليله الى باب السجن، و فتح الباب و أرجهم كلهم، فلما أخبر السجن شريكاً دعا بالمقتر فختمه ووجه به إلى منزله و قال لغلماينه الحق بثقلى إلى بغداد، و مضى نحو قنطره الكوفه إلى بغداد، و بلغ الخبر إلى موسى بن عيسى، فلحقه و جعل يناشده الله، الى فأمر موسى بردهم جميعاً إلى الحبس و هو واقف والله مكانه، حتى جائى السجن، فقال: قد رجعوا جميعاً إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم، و جلس فى مجلس القضاء، فجاءت المراءه

المتظلمه، فقال: هذا خصمك قد حضر، وانه سئل موسى اخراجهم من الحبس (لأنه قد حضر و أمر القاضى باخراجهم) و صدق موسى المرأه فيما تدعى فحكم القاضى برد ما أخذ منها و بناء حائطها سريعاً و بيت الرجل الفارسى و متاعه، فلما فرغ أخذ بيد موسى ابن عيسى و أجلسه فى مجلسه، و قال: السلام عليك أيها الأمير، أتأمر بشىء؟ فقال: أى شىء أمر، و ضحكك، فقال له شريك: أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع و هذا القول الآن حق الأدب، فقام الأمير و انصرف إلى مجلسه و هو يقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه.

[*٧] رواه ابن أبى جمهور (١) من علمائنا عنه صلى الله عليه و آله هكذا: يؤتى بالقاضى العادل فمن شده ما يلقاه من الحساب يود أنه لم يكن قضى بين اثنين فى تمره.

و رواه أبى هريره ذكرها الشيخ المفيد قدس سره فى المقنع (٢) مرسلًا عن النبى صلى الله عليه و آله و ابن أبى جمهور (٣) عن ابن عباس عنه صلى الله عليه و آله و زاد (و ما الذبح)؟ قال نار جهنم.

و قد ورد من طريقنا (٤) عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح القاضى: يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه (ما جلسه) إلا نبى أو وصى نبى أو شقى.

وفى صحيحه (٥) سليمان بن خالد عن أبى عبدالله عليه السلام اتقوا الحكومه فان الحكومه إنما هى للامام العالم بالقضاء العادل من المسلمين لنبى (كنبى) أو وصى نبى.

١- مستدرک الوسائل ٣-١٧ - الباب ١٥ ح ٩ من أبواب صفات القاضى.

٢- المقنع ٧٢١.

٣- مستدرک الوسائل ٣-١٧ - الباب ٣ ح ٤ أبواب صفات القاضى.

٤- وسائل الشيعه ٣-١٨-٢٧ - الباب ٣ ح ٢ من أبواب صفات القاضى.

٥- وسائل الشيعه ٣-١٨-٢٧ - الباب ٣ ح ٣ من أبواب صفات القاضى.

و أوجع من هذه كلها ما رواه السكوني (١) عن جعفر، عن أبيه. عن علي عليه السلام: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي ان ملك الموت اذا نزل ليقبض روح الكافر أنزل معه سفوداً من نار فينزع به روحه فيصيح جهنم، فاستوى على عليه السلام جالساً قال: يا رسول الله اعد علي حديثك، فقد أنساني و جعي ما قلت (وقد اشتكى عينه) و عاده رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله ما وجعت و جعاً قط أشد علي منه. فهل يصيب ذلك أحداً من امتك؟ فقال: نعم حاكم جائر و آكل مال اليتيم و شاهد الزور.

و عنه صلى الله عليه وآله: لسان القاضى بين جمرتين من نار حتى يقضى بين الناس، فأما إلى الجنة و إما إلى النار (٢).

[٨*] فى الشذرات (٣) فيها (سنه ٨٣) توفى قاضى مصر عبدالرحمن بن حجيره الخولانى روى عن أبى ذر و غيره و كان عبدالعزيز بن مروان يرزقه فى السنه ألف دينار فلا يدخرها.

[٩*] هذا تسامح، فالاناحيل (٤) كالتوراه بمختلف نسخها ليست بمعتبره الاسناد عند المسلمين و تختلف بالزيادة و النقصان و تشتمل على فضائح تنسبها إلى أنبياء عليهم السلام هم ابرياء منها.

[١٠*] يناسب المقام ذكر القضية (٥) الثانيه فى عدل عاقبه بن يزيد القاضى.

١- وسائل الشيعه ٣-١٨-٢٧ الباب ١٢ ح ١ من أبواب صفات القاضى.

٢- وسائل الشيعه ٣-١٨-٢٧ الباب ١٢ ح ٢ من أبواب صفات القاضى.

٣- شذرات الذهب ج ١ ص ٩٣.

٤- الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ٣٥-٣٨-٢٣٩، ج ٢ ص ١٩-٤٥؛ انيس الأعلام ج ٢ ص ١٢٥ الى آخره، ج ٣ ص ٣-١٧٢.

٥- تفسير الطنطاوى ج ١٨ ص ٩٠.

نقل ان عاقبه بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى، فجاء فى بعض الأيام وقت الظهر للمهدى و هو خال، فاستأذن عليه، فلما دخل عليه استأذنه فى من يسلم ليه القمطر الذى فقيه قضايا مجلس الحكم و استعفاه من القضاء و طلب منه أن يقبله من ولايته فظن المهدى ان بعض الأولياء قد عارضه فى حكمه، فقال له فى ذلك و انه ان عارضك أحد لننكر عليه، فقال القاضى: لم يكن شىء من ذلك، قال: فما سبب استعفائك من القضاء؟ قال: يا امير المؤمنين كان تقدم إلى خصمان منذ شهر فى قضيه مشكله و كل يدعى بينه و شهوداً و يدلى بحجج تحتاج إلى تأمل و تلبث، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا و ان يظهر الفصل بينهما، فسمع أحدهما انى احب الرطب، فعمد فى وقتنا هذا، و هو أول اوقات الرطب، فجمع رطباً لا يتهاى فى وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين، و ما رأيت أحسن منه و رشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على، و لا- يبالى أن يرد عليه، فلما أدخله على أنكرت ذلك و طردت بوابى و أمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى فما تساويا فى عينى ولا قلبى، فهذا يا أمير المؤمنين و لم أقبل، فكيف يكون حالى لو قبلت و لا- آمن أن تقع على حيله فى دينى، و قد فسد الناس، فأقلنى يا أمير المؤمنين اقالك الله و اعفنى عفا الله عنك.

[* ١١] هو شريك (١) بن عبدالله، القاضى بالواسط ثم بالكوفه، عن ابن خلكان انه كان عادلاً فى قضائه كثير الصواب، حاضر الجواب و كان مولده ببخارا سنة ٩٥ للهجره، و توفى يوم السبت مستهل ذى القعدة سنة ١٧٧ و ذكر انه دخل يوماً على المهدى فقال له: لا بد أن تجيبنى إلى خصله من ثلاث خصال، قال: و ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: إما أن تلى القضاء، أو تحدث ولدى و تعلمهم، أو تأكل عندى أكله، الى ثم قال: الأكله أخفها على

نفسى فأجلسه (فاحتبسه عنده) و تقدم إلى الطباخ أن يصنع له ألواناً من المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل و غير ذلك، فعمل ذلك، و قدمه إليه فأكل فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ: والله يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك، و علم أولادهم، وولى القضاء لهم.

و فى المعجم (١) عن الذهبى فى ميزان الاعتدال قال ابن معين: شريك بن عبدالله بن سنان بن علياً عليه السالم و ينقم على معاويه و تردد فى انه هل يفضل علياً عليه السلام على من تقدمه.

و فى التنقيح (٢) جعله من شيعه أمير المؤمنين عليه السلام.

[١٢*] صاحب قوت القلوب محمد بن عطيه الحارثى العجمى ثم المكى، تقدمت ترجمته فى تعاليق الفصل الثالث عشر (٢).

[١٣*] ذكر وفاته فى الشذرات (٣) سنة ٢٨٢. قال: و فيها (٢٨٢) أى مات فيها العلامة أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي مواليهم البصرى الفقيه المالكى القاضى ببغداد فى ذى الحجه فجأه و له ٨٣ سنه و أشهر.

[١٤*] توفى سنة ٣٠٦ (٤) وله ٥٧ سنه و سته أشهر، و كان يقال له الباز الأشهب.

[١٥*] سماه فى الشذرات (٥) أحمد بن محمد بن عبدالله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الاموى، أرخ وفاته لسنة ٤١٧ و قال: قد ولى لقضاء ٢٤ نفساً من أولاد

١- معجم رجال الحديث ج ٩ ص ٢٤-٢٥.

٢- تنقيح المقال ج ٢ ص ٨٤.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٧٨.

٤- نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٧.

٥- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٠٦.

محمد بن عبدالملك بن أبى الشوارب منهم ٨ ولو اقضاء القضاء هذا آخر هم.

[١٦*] لا اشكال فى جواز ارتزاقه من بيت المال. وورد فى عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشر (١) (و أكثر تعاهد قضائه و افسح له فى البذل ما يزيح علته و تقل معه حاجته إلى الناس).

[١٧*] فى صحيح البخارى (٢) ذكر فى باب رزق الحكام و العاملين عليها، و كان شريح القاضى يأخذ على القضاء أجراً، و قالت عائشه يأكل الوصى بقدر عمالته و (أكل أبوبكر و عمر).

[١٨*] كان ينبغى له ان يستجيز الامام الصادق عليه السلام لشغله القضاء و لا يحتاط بعدم أخذ رزقه بقدر ما اشتغل باشغال نفسه و لا يعمل الرسن. هذا ترهد لا زهد ... و ينبغى هنا ذكر ما جرى للقاضى شريك تعرض له فى الجواهر (٣) قال: قال عمر بن اخى خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك، فاتيته يوماً فى منزله باكراً، فخرج إلى فى رداء، و ليس تحته قميص و عليه كساء فقلت له: قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال: غسلت ثيابى أمس فلم تجف، اجلس، فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه، فقال: ما عندك فيه؟ و ما تقول فيه؟ و كانت الخيزران قد وجهت رجلاً نصرانياً على الطراز بالكوفه، و كتبت إلى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمراً بالكوفه و كان مطاعاً بالكوفه فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق و معه جماعه من أصحابه و عليه جبه خز و طيلسان و تحته بردون فاره، و اذا بين يديه رجل مكتوف و هو يصيح و اغوثاه انا بالله ثم بالقاضى، و اذا فى ظهره آثار السياط، فسلم على شريك و جلس إلى جانبه، فقال

١- نهج البلاغه ج ٣ ص ١٠٥.

٢- صحيح البخارى ج ٩ ص ٨٤.

٣- تفسير الجواهر ج ١٨ ص ٩١.

الرجل: انا بالله ثم بك أصلحك الله، انا رجل اعمل هذا الوشى، اجرتى فى كل شهر مأه، أخذنى هذا منذ أربعة أشهر و احتسبى فى طراز يجرى على القوت، ولى عيال قد ضاعوا و هلكوا، واقبلت اليوم نحوهم لاراهم فلحقنى ففعل بظهرى ما ترى، فقال القاضى قم، فاجلس مع خصمك يا نصرانى، فقال أصلحك الله يا أبا عبدالله هذا من خدم السيده مر به الى الحبس، قال قم ويلك واجلس معه كما يقال لك، فجلس معه، فقال ما هذه الآثار التى يظهر هذا الرجل من أثرها؟ فقال أصلح الله القاضى انما ضربته أسواطاً بيدى و هو يستحق أكثر من ذلك، مر به إلى الحبس فألقى شريك كسائه و دخل داره و أخرج سوطاً ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصرانى و هو يقول: لا تضرب والله بعدها المسلمين، فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحى خذوا هؤلاء إلى الحبس، فهرب الأعوان و بقى النصرانى فضربه أسواطاً فجعل يبكى و هو يقول: ستعلم فلما فرغ من ضربه ألقى السوط فى الدهليز، و قال لى: يا أبا حفص ما تقول فى العبد يتزوج بغير اذن مواليه؟ فأذخنا فيما كنا فيه و كأنه لم يصنع شيئاً، قام النصرانى إلى البرذون و لم يكن له من يمسكه، فجعل النصرانى يضرب البرذون، فقال له شريك: ارفق به ويلك فانه أطوع الله منك، ثم قال: خذ فيما كنا فيه، قال عمر: فقلت له: ما لنا و لهذا، لقد فعلت اليوم فعله ستكون لها عاقبه مكروهه فقال لى: اعز أمر الله يعزك الله خذ فيما كنا فيه، فذهب النصرانى إلى موسى بن عيسى، فقال شريك: فعل بى كيت و كيت، فقال له: والله ما أتعرض لشريك فمضى النصرانى إلى بغداد و لم يعد بعدها إلى الكوفه.

[*١٩] ينبغى مراجعه تفسير الجواهر (١) فى قضايا خامسه و تاسعه و عاشره تناسب المقام.

ارخ وفاته فى الشذرات (١) سنة ١٧٤ و وصفه بالحضرمى، قاضى مصر الحافظ، و ذكر عن أحمد بن صالح المصرى انه كان صحيح الكتاب طلابه للعلم. و عن سفیان الثورى عنده الاصول، و عندنا الفروع، و عن أحمد بن حنبل من كان بمصر مثل ابن لهيعة فى كثره حديثه و ضبطه.

[*٢١] فى الشذرات (٢) و فيها (أى مات سنة ١٨١) قاضى مصر أبو معاوية المفضل بن فضاله القتبانى الفقيه، قال: كان زاهداً ورعاً قانتاً مجاب الدعوه.

[*٢٢] أورد صاحب الروضات (٣) ترجمته عن مقامع الفضل، و انه كان جامعاً لجميع العلوم الظاهرية و الباطنية و صاحب اليد البسطه فى الفقه والحديث والمراتب الحكيمه والعرفانيه الى، و نقل أيضاً انه بلغ فى الرياضه إلى حيث كان يتناول الطعام فى كل شهر مره و كانت له مهاره فى تسخير الجن و علم الطلسمات، كانت وفاته سنة ٤٣١.

[*٢٣] فى الشذرات (٤) و فيها (أى مات سنة ٣٦٨) السيرافى أبو سعيد الحسن بن عبدالله ابن المرزبان صاحب العربيه، كان أبوه مجوسياً و أسلم و سمى عبدالله، سماه به ابنه المذكور الى، و كان ورعاً يأكل من النسخ و كان ينسخ الكراس بعشره دراهم لبراعه خطه.

[*٢٤] ذكر وفاته صاحب الشذرات (٥) سنة ٣٦٩ و وصفه بابن ام شيبان قاضى القضاة أبو الحسن محمد بن صالح بن على الهاشمى العباسى العيسوى الكوفى، قال: و تزوج

١- شذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٣.

٢- نفس المصدر ج ١ ص ٢٩٧.

٣- روضات الجنات ج ٨ ص ١٦٢-١٦٣.

٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ٦٥.

٥- نفس المصدر ج ٣ ص ٧٠.

بابنه قاضى القضاء أبى عمر محمد بن يوسف، قال طلحه الشاهر هو رجل عظيم القدر واسع العلم، الى، وقال ابن أبى الفوارس نهايه فى الصدق نبيل فاضل ما رأينا فى معناه مثله.

[٢٥*] ارخ وفاته (١) لسنه ٤٤١ و عنوانه بأبى القاصم التنوخى، على بن أبى على المحسن بن على البغداد، و ذكر عن الخطيب انه صدوق متحفظ فى الشهاده، ولى قضاء المدائن و نحوها قال ابن خيرون قيل كانه رايه الرفض والاعتزال (عن العبر).

[٢٦*] فى الشذرات (٢) و فيها (أى مات سنظ ٤٨٨) قاضى القضاء الشامى أبوبكر محمد بن المظفر بن بكران الحموى الشافعى، كان من أزهد القضاء و أورعهم و اتقاهم لله و أعرفهم بالمذهب، قال و كان من أصحاب القاضى أبى الطيب الطبرى، لم يأخذ على القضاء رزقاً و لا غير ملبسه.

[٢٧*] هو الثامن (٣) من آل ابن أبى الشوارب عبدالله بن حسن بن أبى الشوارب أبى العباس (٣٨٥ق) (٩٩٥م). قعد سنه ٣٥٠ريال ٩٦١م ظاهراً مكان القاضى المتوفى أبى السائب عتبه بن عبدالله على مسند القضاء قبال ٢٠٠٠٠٠ درهم سنوياً يؤدى إلى خزانة الأمير معز الدوله و ذلك بواسطه ارسلان جامه دار.

[٢٨*] عنوانه فى الشذرات بقاضى القضاء (٤) لصاحب مصر، قال أبو عبدالله محمد بن النعمان بن محمد بن منصور الشيعى فى الظاهر الباطنى فى الباطن، ولد قاضى القوم و اخو قاضيهم، و عن ابن زولاق لم نشاهد بمصر لقاض من الرياسه ما شاهدناه له ولا

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٦.

٢- نفس المصدر ج ٣ ص ٣٩١.

٣- دائره المعارف الاسلامى الكبير ج ٢ ص ٦٦٩.

٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٢.

بلغنا ذلك عن قاض بالعراق، و وافق ذلك استحقاقاً لما فيه من العلم و الصيانه و الهيبه و اقامه الحق الخ.

و والده نعمان بن أبي عبدالله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون كما في الروضات (١) عن امل الآمل، و عن الأمير المختار المسجى في تاريخه، كان من الفقه والدين والنبل على ما يزيد عليه و ذكر هو و عن المجلسى في مقدمه البحار انه كان مالكيًا ثم انتقل (أو اهدى) إلى مذهب الاماميه (و صار امامياً) و يظهر من العلامه المجلسى و تبعه العلامه بحر العلوم انه كان امامياً و لم يرد في كتابه الدعائم (الذى قال فيه المجلسى أكثر أخباره موافقه لما في كتبنا المشهوره) من الأئمه بعد الصادق عليه السلام خوفاً من الخلفاء الاسماعيليه و تحت ستر التقيه و ظهر الحق.

أقول: ببالي ان المحدث الكبير الحاج ميرزا حسين النورى ذكر له روايه عن بعد الامام الصادق عليه السلام. و ذكر له القاضى (٢) نور الله الشهيد رحمه الله مدائح له من تاريخ ابن خلكان و ابن زولاق لكن شك صاحب الرياض (٣) و جامع الرواه (٤) في كونه اثني عشرياً، بل صرح الثانى بأنه لم يكن امامياً الا ان صاحب التنقيح (٥) الشيخ المامقانى قدس سره رأى نظر صاحب معالم العلماء في عدم كون القاضى امامياً اشتهاً كما ان عند العلامه الخوئى (٦) لم يثبت مبالغه المحدث النورى في اعتباره و كونه من الاماميه المحقه و يراه

-
- ١- روضات الجنات ج ٨ ص ١٤٧.
 - ٢- مجالس المؤمنين ج ١ ص ٥٣٨-٥٣٩.
 - ٣- رياض العلماء ج ٥ ص ٢٧٨.
 - ٤- جامع الرواه ج ٢ ص ٢٩٥.
 - ٥- تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٧٣.
 - ٦- معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ١٦٧.

مجهول الحال، لكن الانصاف لو لم يثبت ما رآه العلامة المجلسي فلا شبهه في كونه شيعياً.

[*٢٩] اما أمير المؤمنين (١) عليه السلام فكان يحبس في الدين فان كان له مال اعطى الغرماء و ان لم يكن له مال اما ان يستعمله باختيار الخصم ان كان له قدره، و الا فلا، كما اذا تبين افلاسه خلى سبيله حتى يستفيد مالا.

[*٣٠] في الشذرات (٢) و فيها (أى مات سنة ٢٤٢) يحيى بن أكرم أبو محمد المروزي ثم البغدادي أحد الأعلام في آخر السنه بالربذه منصرفاً من الحج و له بضع و سبعون سنه قال، و كان فقيهاً مجتهداً مصنفاً، و ذكر عن طلحه الشاهد انه أحد أعلام الدنيا قائم بكل معضله (عن العبر) و عنه و عن ابن الاهدل غلب على المأمون فقلده القضاء و تدبير مملكته، و عن الأخير ولي قضاء البصره و هو ابن ١٨ سنه.

[*٣١] عنوانه في الشذرات (٣) بأبي يحيى هارن بن عبدالله الزهرى العوفى المكى المالكى الامام القاضى نزيل بغداد، الى، وقال الخطيب انه سمع من مالك و انه ولي قضاء العسكر ثم قضاء مصر و أرخ وفاته سنه ٢٣٢.

[*٣٢] في الشذرات (٤) و فيها (أى مات فى سنه ٤٠٨) أبو عمر البسطامى محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم الفقيه الشافعى قاضى نيسابور و شيخ الشافعيه بها، الى أن ذكر عن ابن شهبه انه كان نظير سهل الصعلوكى حشمه و جاهاً و علماً فصاهره سهل و جاء بينهما جماعه ساده فضلاء.

١- وسائل الشيعه ١٣ الباب ٧ ح ٣-١ كتاب الحجر.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٠١.

٣- نفس المصدر ج ٢ ص ٧٥.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٧.

[*٣٣] ذكر اليعقوبى (١) ان المهدي استعمله على مصر بعد ابن اليسع الكندى من أهل الكوفه و قبله عبدالله بن لهيعة الحضرمى .

[*٣٤] يناسب المقام قضيه للمنصور أوردها الطنطاوى (٢) فى التفسير قال: قال نمير المدنى: قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة و محمد بن عمران الطلحى متولى القضاء بها و انا كاتبه، فحضر جماعه من الجمالين و استعدوه على أمير المؤمنين فى شىء ذكره، فأمرنى أن اكتب إلى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم، فقلت له تعينى من ذلك فانه يعرف خطى، فقال اكتب، فكتبت و ختمت، فقال والله ما يمضى به غيرك، فمضيت به الى الربيع حاجبه و جعلت اعتذر، اليه فقال لا بأس عليك، و دخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع، فقال للناس و قد حضر وجوه أهل المدينة و الاشراف و غيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام، و يقول لكم انى دعيت إلى مجلس الحكم، فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأنى بالسلام، ثم خرج و بين يديه المسيب و الربيع و أنا خلفه و هو فى ازار و رداء، فسلم على الناس فما قام اليه أحد، ثم مضى حتى بدأ بقبر النبى صلى الله عليه و آله فسلم عليه، فلما راه ابن عمران القاضى اطلق رداؤه عن عاتقه ثم أحتبى به، و دعا بالخصوم الجمالين، ثم دعا بالمنصور، فادعى عليه القوم و قضى لهم عليه، ثم انصرف، فلما دخل المنصور الدار، قال للربيع: اذهب، فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه، فلما دعاه و دخل على المنصور سلم عليه، فرد عليه السلام و قال له جزاك الله عن دينك و عن نبيك و عن حسبك و عن خليفتك أحسن الجزاء، قد أمرت له بعشره آلاف صله لك فاقبضها فكانت عامه أموال محمد بن عمران من تلك الصله، فما ابرك

١- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٣٩.

٢- تفسير الجواهر ج ١٨ ص ٨٩.

سلوك السنن القويم و اتباع الصراه المستقيم.

أقول: للجباره امثال معاويه بن أبى سفيان و منصور الدوانيقى و هارون الرشيد افعال تنبئ عن حسن عقيده و ايمان لكن ما سجله التاريخ عنهم من أعمال تكشف عن خبث السريره و شقاوه لازمه و حب للدنيا خصوصاً فى ما فعلوا بآل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله ما لا يدع ريباً فى كون تلك الأفعال الحسنه رياء و استماله للناس تهيئةً لحكومتهم. انظر الى ما فى هامش بحار الأنوار (١) (و كان بلغ معاويه ان بالبصره رجلاً يشبه برسول الله صلى الله عليه و آله فكتب إلى عامله عبدالله بن عامر بن كريز ان يوفده اليه فأوفد كابساً (أحد المشبهين برسول الله صلى الله عليه و آله) فلما دخل إلى معاويه نزل عن سريره و مشى إلى حتى قبل بين عينيه واقطعه المرغاب، ثم قال المعلق (يفعل به ذلك و يقتل الحسن بن على عليه السلام شبيهه النبى صلى الله عليه و آله و ريحانته و سيد شباب أهل الجنه و يحارب أباه أخا الرسول الله صلى الله عليه و آله و زوج البتول و أبا السبطين الذى كان يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله (لعن الله الدهاء والمكر انتهى) و قتل الأبرياء و حبس المنصور جماعه من بنى حسن عليه السلام (٢) حتى ماتوا بالحبس أو خرجوا عليهم المكان حتى ماتوا و أمر بالبناء (٣) على بعض أحفاد الحسن عليه السلام و نفى الكاظم عليه السلام و قتله بالسلم مكرراً من ناحيه هارون الى غير ذلك من الأفعال المنكره و بيتوته على قبل الامام أبى الحسن أمير المؤمنين عليه السلام كما يذكرنا (٤) به روايه المفيد قدس سره فى الارشاد عن محمد بن عايشه نقلاً عن ياسر رحال الرشيد، و انه جاء إلى اكمه فضلى عندها، فكلما صلى ركعتين دعا و بكى و تمرغ على الأكمه ثم يقول يا عم (يابن عم) انا

١- بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٥٠.

٢- مقاتل الطالبين ص ١٢١-٢٣٥.

٣- مقاتل الطالبين ص ١٣٦.

٤- الارشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ٢٧-٢٨.

والله اعرف فضلک و سابقتك و بك والله جلست مجلسى الذى أنا فيه (أنا به) و أنت أنت، ولكن ولدك يؤذوننى و يخرجون على، ثم يقول فيصلى ثم يعيد هذا الكلام و يدعو و يبكى حتى اذا كان فى وقت السحر، قال لى يا ياسر أقم عيسى، فأقمته فقال له يا عيسى، قم فصل عند قبر ابن عمك، قال له و أى عمومى هذا؟ قال: هذا قبر على بن أبى طالب، فتوضأ عيسى و قام يصلى فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر الخ و ان تعجب فعجب من النزعات الامويه من الذين تسموا بالعلم و اشتهروا فى الآفاق، فهذا ابن خلدون (١) المغربى تراه يدافع عن معاويه و يقول (حاشى الله أن يشبه معاويه بأحد ممن بعده فهو من الخلفاء الراشدين، و المناسب للمقام قبال هذه القضايا المذكوره، ما نقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أورده المجلسى قدس سره نقلاً (٢) عن كتاب الغارات لابراهيم بن محمد بن الثقفى عن اسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر، عن سالم الجعفى، عن الشعبي، قال: وجد على عليه السلام درعاً له عند نصرانى فجاء به الى شريح يخاصمه إليه، فلما نظر إليه شريح ذهب يتنحى قال: مكانك، فجلس إلى جنبه و قال يا شريح اما لو كان خصمى مسلماً ما جلست الا معه ولكنه نصرانى، وقال رسول الله صلى الله عليه و آله اذا كنتم و اياهم فى طريق فالجئوهم الى مضايقه و صغروا بهم كما صغر الله بهم فى غير ان تظلموا. ثم قال على عليه السلام ان هذا درعى لم أبع و لم أهب، فقال للنصرانى ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصرانى ما الدرع الا- درعى و ما أمير المؤمنين عندى إلا- بكاذب، فالتفت شريح إلى على عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين هل من بينه؟ قال لا، ففضى بها للنصرانى، فمشى فنيئه ثم أقبل، فقال: اما أنا فاشهد ان هذه أحكام النبيين،

١- تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٦٥٠.

٢- بحار الأنوار ج ١٠٤ ص ٢٩٠.

امير المؤمنين يمشى بي الى قاضيه و قاضيه يقضى عليه، أشهد أن لا أليه إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين فخرج مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين فأخبرني من رآه يقاتل مع علي عليه السلام الخوارج في النهروان.

[٣٥*] ينبغي ملاحظه ما ذكرنا قريباً (القضيه الثالثه).

[٣٦*] هذا رد السلام على أهل الذمه ولا يكفي جواباً للمسلم.

[٣٧*] هذا لا دليل عليه بل السلام مستحب و الجواب واجب، قال في الجواهر (١) ما زجاً كلامه بالمتن في وظائف الحكم و هي سبع، الاولى، تجب التسويه بين الخصمين و ان تفاوتاً شرفاً وضعه في السلام عليهما ورده و الجلوس والنظر إليهما والكلام معهما والانصات والعدل في الحكم الخ و احسن ما ورد في الباب ما اسنده (٢) أبو عبدالله الصادق عليه السلام إلى امير المؤمنين عليه السلام قال: من ابتلى بالقضاء فليواس بينهم في الشاره والنظر و في المجلس، و في روايه سلمه (٣) بن كهيل عن علي عليه السلام فيما يقول لشريح، ثم واس بين المسلمين وجهك و منطقتك و مجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك و لا يياس عدوك من عدلك.

[٣٨*] القتباني (٤) الفقيه تقدم ذكره في تعاليق هذا الفصل و عن ابن سعد منكر الحديث وفاته سنه ١٨١.

[٣٩*] وصفه في الشذرات (٥) بالامام قال أبو عمرو قاضى الديار المصريه، وقال أخذ في

١- جواهر الكلام ج ٤٠ ص ١٣٩.

٢- وسائل الشيعه ١٨ الباب ١، ١ من أبواب آداب القاضى.

٣- نفس المصدر ١٨ الباب ٣ ح ١ من أبواب آداب القاضى.

٤- شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٧.

٥- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١.

المحنة فحبس دهرًا حتى أخرجته المتوكل و ولاه قضاء مصر، و كان من كبار أئمة السنه الثقات.

[٤٠*] فى الشذرات (١) أحمد بن سيار المروزى الحافظ مصنف تاريخ مرو توفى سنه ٢٦٨ وصفه بالامام محدث مرو، و قال و كان يشبه فى عصره بابن المبارك علماً و زهداً.

[٤١*] أحسن ما قيل أو كتب وصيه إلى القاضى ما عن أمير المؤمنين على عليه السلام.

[٤٢*] لا قيمه لهذا الاجماع اذا اذا و افقهم الشيعة الاماميه الذين هم وارثوا الكتاب و السنه حقاً بوساطه أئمه أهل البيت الذين هم أدري بما فيه.

[٤٣*] بنو أبى برده (٢) أبو برده هو عامر بن أبى موسى عبدالله بن قيس الأشعري، قال فى الوفيات: و أبو برده كان قاضياً على الكوفه و ليها بعد القاضى شريح، هكذا ذكره ابن سعد فى (كتاب الطبقات)، قال: و كان أبو موسى تزوج فى عمله على البصره طنيه بنت دمون و كان أبوها رجلاً من أهل الطائف فولدت له أبا برده، الى، و سماه أبو موسى عامراً، الى، و كان ولده بدل قاضياً على البصره، ذكر وفاه أبى برده سنه ١٠٣ بالكوفه و قيل ٤ و قيل ٦ أو ٧.

[٤٤*] تقدمت ترجمته، تعليقات الفصل الثانى عشر (٢٩).

[٤٥*] و وصفه فى الشذرات (٣) بكبير الدوله الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الخطائى الدويدار صاحب التاريخ الكبير و رأس الميسره و نائب مصر قبل ارغون، توفى فى رمضان بمصر عن ٨٠ سنه و أرخ سنه وفاته ٧٢٥، و ذكر السيد الروضاتى (٤) انه فى دوله السلطان ظاهر بيبرس من كبار ملوك قاهره مصر المحروسه عين فيها اربعه قضاة،

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٥٤.

٢- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥-٦.

٣- شذرات الذهب ج ٦ ص ٦٦-٦٧.

٤- روضات الجنات ج ١ ص ١٩٠.

يقضون بين الناس و يفتون لهم، بالحنفيه والمالكيه و الشافعيه و الحنبلية على سبيل التوزيع و منع عن كل ما دون ذلك بمنع بالغ فظيع بحيث قد أخذت له البيعه من كل فريق و شددت عليه العقد و المواثيق و نوديت اليه الخلائق من كل فج عميق فى حدود سنه ٦٦٥، ثم تصرف كل طائفه منهم فى ركن من أركان بيت الله الحرام يقيمون الجماعه فى أتباعهم بحذاء ذلك المقام الى زماننا هذا، الى، لم يتقبلوا منذ اهتم و اصر بعض سلاطين الشيعة الاماميه أن يكون للفرقه الجعفريه أيضاً هناك مقام خامس.

[٤٦*] تقدم ذكره فى تعليقات الفصل العاشر (٨).

[٤٧*] سبق ذكره فى تعليقات الفصل العاشر (١٠).

[٤٨*] هو أبوبكر (١) محمد بن طغج بن جف التركي الفرغانى صاحب مصر و الشام و دمشق و الحجاز و غيرها و صاحب سرير الذهب، والاخشيد لقب لكل من ملك فرغانه، و كان الأخشيد ملكها و ولاه خلفاء العباسيين الامصار حتى عظم شأنه و عن العبر (والأخشيد بالتركي ملك الملوك).

و ذكر عن ابن خلكان نقلاً عن محمد بن عبدالملك الهمداني فى تاريخه عيون السيرانه كان جباناً و له ثمانيه آلاف مملوك يحرسونه فى كل ليله ألفان منهم الخ.

[٤٩*] هو محمد بن عبدالله (٢) المنصور بويج فى اليوم الذى توفى فيه المنصور سنه ١٥٨.

[٥٠*] هو محمد بن هارون (٣) الواثق بويج له يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنه ٢٥٥ و قتل فى رجب سنه ٢٥٦ و كانت دولته سنه و عمره نحو ٣٨ سنه.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٧.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٣٠.

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٢٣٦، شذرات الذهب ج ٢ ص ١٣٢.

[*٥١] تمكن المعتضد (١) أبو العباس أحمد بن الموفق طلحه من الامور، و رأى أمير المؤمنين عليه السلام فى المنام يقول له أمر الخلفه يصل إليك فاعضد بالله و أكرم بنى. ارخ وفاته فى الشذرات سنه ٢٨٩.

[*٥٢] ذكر الطبرى (٢) ان المعتضد بالله بوع له بالخلفه سنه ٢٧٩ و ولى عبدالله بن سليمان الوزاره و ذكر انه وجهه الى الرى سنه ٢٨٢ الى أبى محمد ابنه و انه وافى بغداد قادماً من الرى فخلع عليه المعتضد و فى سنه ٢٨٣ شخص الى الجبل لحرب ابن أبى دلف باصبهان، و فى احداث سنه ٢٨٤ خوف المعتضد من عزمه على لعن معاويه بن أبى سفيان على المناير، و قد كان أمر بانشاء كتاب يقرء على الناس اضطراب العامه والفتنه و انه امر المعتضد باخراج الكتاب الذى كان المأمون أمر بالنشائه بلعن معاويه، فأخذ من جوامعه نسخه الكتاب، الى، و ذكر ان عبدالله بن سليمان احضر يوسف بن يعقوب القاضى و امره أن يعمل الحيله فى ابطال ما عزم عليه المعتضد، الى، فامسك المعتضد، و لم يأمر فى الكتاب بعده بشىء لكن يظهر من المسعودى (٣) انه كان وزيراً قبل المعتضد، قال (اقر عبيدالله بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيدالله).

[*٥٣] فى الشذرات (٤) فيها (أى سنه ٢٨٩) توفى بدر التركى مولى المعتضد و مقدم جيوشه غدر به المكتفى و قتله فى رمضان.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٧٢-١٧٣.

٢- تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٦٤-١٧١-١٨٢-١٨٩-١٩٠.

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٣.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠١.

[٥٤*] كما هو الحق الحقيق عندنا معاشر الاماميه.

[٥٥*] تعرض العلامة (١) الأمينى قدس سره لذكر مختصر ما فى (الأحكام السلطانيه) للماوردى المتوفى سنه ٤٥٠ طى بيان المناصب التى تولها السيد الرضى رحمه الله عليه، فمنها النقابه خاصه و يلزمه فى النقابه على أهله من حقوق النظر ١٢ حقاً عدها واحداً بعد واحد، و عامه يضاف فيها إلى الحقوق المذكوره فى الخاصه خمسه أشياء: ١- الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه. ٢- الولايه على ايتامهم فيما ملكوه. ٣- اقامه الحدود عليهم فيما ارتكبوه. ٤- تزويج الأيامى اللائى لا يتعين أولياهن أو قد تعينوا فعضلوهن. ٥- ايقاع الحجر على من عته منهم أو سفه. وفكه اذا أفاق ورشد، و منها ولايه المظالم و فسرهما بقود المتظالمين الى التناصف بالرهبه و زجر المتناز عين عن التجاهد بالهيبه و ذكر شروط الناظر فيها، و منها الولايه على الحج، و جعلها على ضربين الأول ان تكون على تسيير الحجيج، والثانى على اقامه الحج، و بين ان عليه فى حقوق الولايه الاولى عشره أشياء ذكرها، و فى الثانيه عليه خمسه أحكام متفق عليها و سادس مختلف فيه شرحها.

[٥٦*] هذا خلاف قواعد القضاء.

الفصل السادس عشر: علم اللغة

إشاره

فتح القرن الرابع الهجرى فتحا جديدا فى كل من الناحيتين الرئيسيتين لعلوم اللغة العربيه، و هما : النحو، و عمل المعاجم. و قد تخلص علام اللغة، كما تخلص علم الكلام من طريقه الفقهاء و مناهجهم حتى من الناحيه الشكلييه؛ و يصف السيوطى طريقه علماء اللغة المتقدمين فى تعليمهم فيقول: «وظائف الحافظ فى اللغة أربعة، أحدها ج و هى العلياج الإملاء، كما أن الحافظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء .. و طريقتهم فى الإملاء كطريقه المحدثين سواء : يكتب المستملى أول القائمه : مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا فى يوم كذا، و يذكر التاريخ؛ ثم يورد المملى بإسناده كلاماً عن العرب و الفصحاء فيه غريبٌ يحتاج إلى التفسير، ثم يفسره، و يورد من أشعارالعرب و غيرها بأسانيده، و من الفوائد اللغويه بإسناد و غير إسناد ما يختاره؛ و قد كان هذا فى الصدر الأول فاشياً كثيراً، ثم مات الحفاظ و انقطع إملاء اللغة من دهر مديد و استمرّ إملاء الحديث .. و آخر من عمّلته أملى على طريقه اللغويين أبوالقاسم الزجاجى، له أمالٍ كثيره فى مجلد ضخّم؛ و كانت وفاته سنه تسع و ثلاثين و ثلثمائه، ولم أقف على أمالٍ لأحد

كان هوءلاء العلماء المتقدمون يضعون معارفهم بعضها إلى جانب بعض، مفككه لارباط بينها، و كان اهتمامهم ينصبّ على الجزئيات : على حادثه واحده، أو صوره من صور التعبير واحده، أو كلمه واحده، كما نجد ذلك فى كتاب المبرّد (المتوفى عام ٢٨٥هـ ٨٩٨ م)، بل فى كتب القالى (المتوفى سنه ٣٥٦هـ ٩٦٧ م) و هى كتب موءلفه من علوم اللغه و من القصص و التاريخ، و كان أبو عمر محمد بن عبد الواحد اللغوى المعروف بعلام ثعلب (توفى سنه ٣٤٥هـ ٩٥٦ م) يجعل كلامه بحسب أسئله الحاضرين. فمثلا كان يسأله بعضهم : أيها الشيخ ما القنطره عند العرب(٢)؟.

أما أئمه اللغه فى القرن الرابع الهجرى فقد شعروا بالحاجه إلى منهج يسرون عليه، و إلى تناؤل ماده بحثهم على طريقه منظمه. و قد كان لمعرفه العرب بعلوم اليونان اللسانيه أثر كبير فى ذلك. و كان البحث يدور فى مجلس عضدالدوله (المتوفى عام ٣٧١هـ ٩٨١ م) حول الفرق بين النحو العربى و النحو اليونانى، و أصل استنباطهما؛ و قد ميز أبو سليمان السجستانى النزعه الجديده فى النحو بأن قال : نحو العرب فطره، و نحونا فطنه(٣).

و إذا وجدنا ابن فاروس (المتوفى عام ٣٩٥هـ ١٠٠٥ م) يوءلف لأول مره « مقدمه فى النحو » فينبغى ألا نرى فى هذا سوى وليد للمقدمات (إيساغوجى) التى كتبها علماء اللغه اليونان.

١- المزهرة للسيوطى ج ٢ ص ١٩٩ من طبعه القاهره سنه ١٣٣٥هـ .

٢- المنتظم ص ٨٥، و ليس فى النص ما يدل على أن هذه كانت طريقته. (المترجم) .

٣- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٨٣ من الطبعه الأوربيه .

و أكبر ماتم على أيدي علماء اللغة هو تحديدهُ معاني الكلمات و عملُ المعاجم؛ و نجد هنا حداً واضحاً يفصل بين عهدين و طريقتين؛ و كان حمزه الأصفهاني (المتوفى بين ٣٥٠، ٣٦٠ هـ ٩٦١، ٩٧٠ م) خاتمه اللغويين القدماء الذين كانت كتبهم لا تشمل إلا على عبارات للخطباء و البلغاء و الذين ألفوا كتباً من المترادف و أخرى يستعين بها الخطباء في الخطابه؛ ففي كتاب الموازنه مثلاً- ذكر أربعمائته كلمه في معنى « الشقى »، و كذلك جمع في كتاب الأمثال أكثر ما يعرض في لغه الخطباء من عبارات المفاظله من نحو أبيض من الثلج و أجشع من الفيل، و قد كان جَمعه وافيأ، بحيث لم يضيف علماء القرون التاليه شيئاً إليها؛ و كان سَلفه قد جمع من هذه العبارات ثلثمائته و تسعين فجمع هو ألفا و ثمانمائته، ولم يفعل الميداني (المتوفى عام ٥١٨ هـ ١١٢٤ م) أكثر من نقل ما كتبه حمزه، و استطاع أن يزيد على كل فصل مثلاً- واحداً أو مثلين أو أربعة على الأ-كثر. و كذلك أخذ الميداني كل الشروح عن سلفه (١).

و فيما يتعلق بالأمثال الخالصه نجد أن أكبر كتاب هو الذي ألفه في القرن الرابع الحسن العسكري (المتوفى سنه ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م).

على أن المدرسه الجديده أظهرت بعد جيل ما كانت تعنى، و يتجلى ذلك في كتاب الصالح للجوهري (المتوفى عام ٣٩٢ هـ ١٠٠١ م). و تدل كل مقارنه لهذا المعجم بالمعجم الكبير الذي ألفه ابن دريد (المتوفى عام ٣٢١ هـ ٩٣٣ م) على مقدار التقدم في المنهج و في الوضوح. و يقول ابن فارس المتوفى (عام ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م) في مقدمه معجمه المسمى بالمجمل : « والمقصود من

كتابنا هذا من أوله إلى آخره التقريب و الإبانة عما ائتلف من حروف العربيه فكان كلاما(١)؛ و كان شأن الجوهري عظيما حتى إن الكتب الكثيره ألفت في الطعن فيه و الدفاع عنه(٢)، بل نجد (السيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ ١٥٠٥ م) قد ألف بمكته فى الدفاع عن الجوهري كتاب «اللفظ الجوهري، فى رد خباط الجوجرى»، و كتاب الكثر على عبد البر. و كان السيوطى قاسيا بنوع خاص على الجوجرى معاصره (المتوفى عام ٨٨٩ هـ ١٤٨٤)؛ فقد أفحش فى الكلام عليه و أتى فيه من الزدراء و إساءه الأدب ما يستحق التعزير عليه(٣).

و كل المعاجم التى عملت بعد الجوهري هى أشبه بتوسيع و شرح لقموسه، و هنا نجد أيضا ج أعنى فى علم اللغه ج نهايه عهد قديم و بدايه عهد جديد بقى أثره قرونا متطاوله.

و كذلك ظهرت فى القرن الرابع دراسه جديده للاشتقاق اللغوى، و بقيت عصرأ طويلا و كان أستاذ هذه الدراسه ابن جنى الموصلى (المتوفى عام ٣٩٢ هـ ١٠٠٢ م). و كانت أمه جاربه روميه، و هو الذى ينسب إليه ابتداع مبحث جديد فى علم اللغه، و هو المسمى بالاشتقاق الأكبر(٤)، و هو البحث الذى لا يزال يوءتى

Goldziher, Beitr Zur Gesch. d. Sprachgelehrsamkeit bei den Arabern, SWA. phil, hist. –١

Kl. ٣٧, S. ٥١٨

٢- Goldziher, SWA, ٧٢, S. ٥٨٧: Zur Gauhari Liteatur

٣- طبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٤ ج ٢٥ من إضافات الناشر الأوروبى .

٤- Goldziher, SWA, ٦٧, S. ٢٥٠، نقلا عن المزهر للسيوطى (ج ١ ص ١٦٤). و انظر ج ١ ص ٢٠١ من طبعه مصر سنه

١٣٢٥هـ. و فى الكتاب الثانى (الفصل الثلاثين) من كتاب الخصائص تناول ابن جنى الكلام فى الاشتقاق الأكبر(انظر Studien

. (uber Ibn Ginni, ZA, ١٩٠٩, S. ٢٠

ثمره إلى اليوم، و الذى يختص بماده الكلمه دون هيئتها؛ و لم يكن لعلماء اللغه من العرب إنتاج أعظم من هذا.

و بقيت لغه التخاطب الدارجة إلى جانب لغه الكتابه، و كان الفرق بينهما كبيراً، حتى نجد المؤرخين يذكرون مع العجب أن يكون فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى من يستطيع الكلام الصحيح من غير تكلف للإعراب، بل كأن ذلك له كالطبع (١).

و كان ما ظهر فى الأدب من عنايه بالعامه و بحياتهم مما جعل علماء اللغه يهتمون بدراسه لغه العامه، و ما يعرض فيها من خطأ، فألف أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى (المتوفى عام ٣٣٠ هـ ٩٤١ م) كتاباً فى لحن العامه، ثم ألف ابن خالويه (المتوفى عام ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م) بحلب كتاب « ليس فى كلام العرب (٢) ».

أما ما ترك لعلماء اللغه و خصوصاً للحريرى فهو موضوع لبحث جديد.

١- مروج الذهب ج ٨ ص ١٣١ .

٢- بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره الضى، طبعه مجريط ١٨٨٤ ص ٥٦ .

تعليقات الفصل السادس عشر

[*١] عنوانه فى الشذرات (١) بأبى العباس المبرد، محمد بن يزيد الأزدي البصرى، امام أهل النحو فى زمانه و صاحب المصنفات، أخذ عن أبى عثمان المازنى و أبى حاتم السجستانى الخ و عن ابن خلكان، كان اماماً فى نحو و اللغة، قال: و اكن المبرد المذكور و أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب الفصيح عالمين متعاصرين قد ختم بها تاريخ الأدباء، تقدم ذكره فى تعليقات الفصل الثانى عشر (٥٥).

[*٢] ذكره فى الشذرات (٢) بعنوان القالى أبى على اسماعيل بن القاسم البغدادى اللغوى النحوى الاخبارى صاحب التصانيف و نزيل الاندلس بقرطبه، و قال أخذ الآداب عن ابن دريد و ابن الأنبارى، و قال و ألف كتاب البارع فى اللغة فى خمسة آلاف ورقه لكن لم يتمه، قاله فى العبر، تقدم ذكره فى تعليقات الفصل الثانى عشر (٢٢).

[*٣] تقدمت ترجمته فى تعليق الفصل الثانى عشر (٢٣).

[*٤] محمد بن طاهر (٣) بن بهرام المعروف بالمنطقى كان حياً الى سنة ٣٧٧ او ٣٩١ و كان أعور أبرص، و لهذا كان يبعد عن الناس و كانوا يزورونه فى بيته. و ذكر من آثاره صوان الحكمه. له ترجمه ضافيه فى دائره المعارف. و يظهر من كلماته المنقوله انه كان يرى التأصل للديانه والوحى ولا يرى للعقل أهميه قبال الوحى والشريعه.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٩٠.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٨.

٣- دائره المعارف الاسلاميه الكبرى ج ٥ ص ٥٦٥-٥٧٠.

[٥*] هو أبو الحسين (١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي كان اماماً في علوم شتى خصوصاً في اللغة فانه اتقنها و ألف كتابه الجمل في اللغة. وفاته سنة ٣٩٠، سبق له ذكر في تعليقات الفصل الثاني عشر (٥٤).

[٦*] عنوانه في الشذرات (٢) بعد ذكر تاريخ وفاته سنة ٥١٨ بعنوان أحمد بن محمد الميداني النيسابوري الأديب اللغوي، اختص بصحبه الواحدى المفسر و قرء عليه. و ذكر من تصانيفه المفيدة في اللغة كتاب الأمثال لم يعمل مثله.

[٧*] ذكره في الشذرات (٣) بعد ذكر تاريخ وفاته سنة ٣٨٢ بعنوان أبي أحمد العسكري، الحسن بن عبدالله بن سعيد، الأديب الأخبارى العلامة صاحب التصانيف و عن ابن خلكان له التصانيف المفيدة و عد منها كتاب الحكم و الأمثال.

[٨*] تقدم له ذكر في تعليقات الفصل الثاني عشر (٥٩).

[٩*] تقدم ذكره في تعاليق الفصل الثالث عشر (٤٩).

[١٠*] تقدمت ترجمته.

[١١*] تقدمت ترجمته في تعاليق الفصل الثاني عشر (٥٧).

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٢.

٢- شذرات الذهب ج ٤ ص ٥٨.

٣- نفس المصدر ج ٣ ص ١٠٢.

الفصل السابع عشر: الأدب

إشارة

إن اختلاط دم الأمة العربيه و نضوب قوه الطبقة العليا فيها، التي كانت بيدها القياده، و بروز الشعوب الشرقيه القديمه التي كانت تتألف من أجناس مختلطه، كل هذه تتجلى أوضح ما تكون في الأدب. فمنذ حوالي عام ٥٢٠٠ هـ ٨٠٠ م بدأ الأدب يتحرك بحركات جديده، و أصبحت القصيده التي جرت عاده شعراء العرب القدماء أن يسيروا عليها في التغنى بأسمى ما في حياه البداوه من مشاعر شيئاً طويلاً على الجيل الجديد، و بدت مسرفه في تصوير الشعور، و أخذت تفقد ما كانت تتمتع به من تفرد بالسياده. و عمل أهل المدن، بعد أن صاروا هم الطبقة الممتازه، على تأخير القصائد و ما كانت تتضمنه من ماده شعر البطوله و كذلك على تأخير اللغه القويه البارعه التي تفيض بالحياه و البطوله إلى المحل الثاني شيئاً فشيئاً، و أخذت الأساليب البدويه الخشنه تفسح المجال للعبارات اللينه، و مال الناس إلى الأوزان القصيره ميلاً نندھش له.

و أصبح ميل الشعراء إلى أن يبعثوا في النفوس ما يرفعها إلى آفاق الحياه القويه أقلّ من ميلهم إلى أخذ ألباب الناس بماده جديده للأدب، و بمعان دقيقه و عبارات و أخيله جميله. و تيقظ في الناس ميلٌ إلى الطرائف المستحدثه - وهو أخطر

شئ على شعر البطولة بجميع أنواعه ج وعاد الأدب مره أخرى إلى كشف ما يحيط بالإنسان في حاضره، و أصبح يلذ له البحث فيما حوله من حياه متشعبه النواحي، و إن لم تكن حياه بطوله و روح ساميه و بدأ العامه ج و خصوصاً عامه المدن غير المتعلمين ج يدخلون في الأدب العربى، و هم لم يقتصروا على تعلم القصائد و الحُكم عليها بنظرهم الخاص و على التغنى بها على أوزانهم الشعبيه، بل إن الكلام المرسل أيضاً أصبح عندهم يستعمل فى التعبير عن كل ما جدّ فى الحياه من نواح متنوعه. و هكذا نشأ النثر فى الأدب، بعد أن كان حتى ذلك الحين مقصوراً على العلماء و أهل الدين، أو على الأكثر على كتب شعبيه قليله نقلت عن الفارسيه. و يحكى عن قوم حوالى عام ٢٥٠هـ ٨٦٤م أنهم فضّلوا الكلام المنثور على المنظوم(١).

١ النثر

كان التقدير و الإجلال للكلام المنثور، إلى جانب تقدير الشعر، ذلك التقدير الذى هو مبدأ كل نثر جيد، أكبر فضيله للعرب القدماء؛ و هم قد فاقوا فى ذلك جميع الشعوب، فكان فى كل قبيله خطباء إلى جانب الشعراء يساؤونهم فى المكانه، و كانت ملكه الخطابه تعتبر أشبه بملكه خارقه، حتى نشأ الاعتقاد فى بعض القبائل أنه لا ينشأ فيها خطيب قط إلا مات من قبله(٢).

و كانت ملكه الخطابه تعتبر شيئاً آخر مخالفاً للملكه الشعريه إلى درجه أن المؤرخين يذكرون بالإعجاب من يكون إلى جانب الإحسان فى الشعر مُجيداً

١- مروج الذهب للمسعودى ج ٧ ص ٣٤٧ ج ٣٤٨ .

٢- الأغانى ج ١٨ ص ١٧٣ .

فى الرسائل و الخطب (١).

و قد بلغ من شده تقدير الناس للفظ الحسن أنه أصاب أهل مكه سنه ٢٠٨هـ ٨٢٣ م سيلّ مات بسببه خلق كثير، فكب والى المدينه إلى الخليفه المأمون طالباً عطفه و معونته لمن جرف السيل أموالهم و هدم نباتهم؛ فأنقذ إلى أهل مكه أموالا كثيره، و كتب مع ذلك كتاباً حسن العبارة، فكان كتابه « أسرّ إلى أهل مكه من الأموال التى أنفذها إليهم» (٢).

و أول صورته تجلى فيها اهتمام الأدباء بما يحيط بهم إقبالهم على دراسه أخلاق العامه، فمثلاً حوالى ذلك الوقت ألف أبو عقاب الكاتب كتاباً فى أخلاق العوام، وصف فيه أخلاقهم و شيمهم و مخاطباتهم و سماء الملهى (٣)؛ و كذلك ألف القاضى محمد بن إسحاق الصيمرى، قاضى صيمر (المتوفى عام ٢٧٥هـ ٨٨٨ م)، كتاب مساوى العوام و أخبار السفله و الأغتام (٤).

و كذلك كان وصف حياه المدن من الموضوعات التى أحب الجاحظ معالجتها (٥) و هذا الأديب (المتوفى عام ٢٥٥هـ ٨٦٩ م) و الذى يحكى الكثير من الحكايات الطريقه عن دمامه خلقتة ج كانت عيناه جاحظتين، و كان جدّه أسود (٦) هو أبو النثر العربى الجديد و يعتبره الثعالبى

١- نفس المصدر ج ٢٠ ص ٣٥؛ و كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبه، طبعه بروكلمان ص ٥٤٩.

٢- كتاب المحاسن و المساوى البيهقى ص ٤٧٥ ج ٤٧٦.

٣- مروج الذهب ج ٥ ص ٨٨.

٤- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٤٠١ ج ٤٠٣.

٥- طراز المجالس لشهاب الدين الخفاجى طبعه مصر ١٢٨٤هـ ص ٦٧ و ما بعدها.

٦- الإرشاد ج ٦ ص ٥٦.

أول كتاب النشر (١).

و كان من عادة الوزير ابن العميد أكبر رسائل الديوانيه إذا ورد حضرته أحد من منتحلي العلم و أراد امتحان عقله سأله عن بغداد و عن الجاحظ (٢)؛ و لذلك دُعي ابن العميد الجاحظ الأخير (٣).

و يحكى عن ثابت بن قره العالم المشهور أنه قال : ما أحمد هذه الأمه (الإسلاميه) إلا على ثلاثه أنفس : أولهم عمر بن الخطاب، و الثانى الحسن البصرى، و الثالث أبو عثمان الجاحظ (٤).

وقد صنف أبو حيان التوحيدى ج الذى ربما كان أعظم كتّاب الشر العربى على الإطلاق ج كتابا فى تقرّيب الجاحظ؛ و بلغ من مزيد اهتمامه بذلك أنه ذكر العلماء الذين كانوا يقضلون الجاحظ و بين عظم مكانتهم (٥).

و بلغ من تقديره للجاحظ أنه كان يملك مسلكه فى تصانيفه، و يشتهى أن ينتظم فى سلكه (٦).

و قد كتب الجاحظ فى كل شىء، من الكتابه فى المعلمين (٧) إلى الكلام عن

١- يتيمه الدهر ج ٣ ص ٢٣٨، و قد سمي الباخري للثعالبي نفسه بأنه جاحظ نيسابور؛ انظر مقدمه كتاب الإعجاز و الإيجاز للثعالبي طبعه القاهره ١٨٩٧ م ص ٥ .

٢- لطائف المعارف للثعالبي طبعه أوربا ص ١٠٥، و الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٦٨٦ (٩) .

٣- يتيمه الدهر ج ٣ ص ٣ .

٤- الأرشاد ج ٦ ص ٦٩ ج ٧٠ .

٥- نفس المصدر ج ٥ ص ٢٨٢ .

٦- نفس المصدر ص ٣٨٠ .

٧- المستطرف ج ٢ ص ٢٧٨ ج ٢٧٩ طبعه مصر ١٣٠٢هـ. أما مقدار تأثر الجاحظ فيما كتبه من السخرية بالمعلمين بكتب اليونان الهزليه التى كانت شخصيه للعلم من أكبر صورها فهو موضوع البحث، انظر Reich, Mimus, ١, ٤٤٣ .

بنى هاشم(١)؛ و من ذكر اللصوص(٢) إلى الكلام عن الضباب؛ و من الكلام فى صفات الله إلى الكلام فى قبائح ما يحكى من كيد النساء.

و كان أسلوب الجاحظ مستحدثاً لم يستحكم فى تجربه، و كثيراً ما يشوب طريقته فى الكتابه الثرثره و الاستطراد إلى حد الإملال، و لكن هذا بعينه هو ما كان موضع لذه المعجبين بالجاحظ؛ و كانوا يشعرون بأنه إنقاذ لهم من طريقه العماء السائده إلى ذلك الحين و التى كات ثقيله لكثره ما فيها من الجد و إظهار العلم؛ و كان المعجبون بالجاحظ يعتبرون الثرثره الطبيعيه الجميله فنا تعمّد الجاحظ أن يعالجه. وقد قدر المسعودى حوالى عام ٣٣٢هـ ٩٤٣م قدره الجاحظ على التنسيق و مدّح متانه بناء ت آليفه بقوله: «و كان إذا تخوّف ملل القارئ و س أمه السامع خرج من جدّ إلى هزل، و من حكمه بليغه إلى نادره ظريفه». و يذكر المسعودى كتب الجاحظ فيبدأ بالبيان و التبيين، و يقول إنه أشرف كتب الجاحظ «لأنه جمع فيه من المنشور و المنظوم، و غرر الأشعار، و مُستحسن الأخبار، و بليغ الخطب، مالمو اقتصر عليه مقتصر لا كتنفى به(٣)». و يشبه المسعودى المصنف المجيد بأنه حاطب ليل، لأنه يذكر فى تصنيفه من كل نوع(٤).

١- زهر الآداب للحصرى على هامش العقد الفريد ج ١ ص ٥٦ و ما بعدها .

٢- ذكر التنوخى فى الفرج بعد الشده (ج ٢ ص ١٠٦) كتاباً الجاحظ يسمى كتاب اللصوص .

٣- المسعودى فى المروج الذهب ج ٨ ص ٣٤؛ وقد ظل هذا التنوع بين الجد و الهزل منسويماً للجاحظ عند مؤرخى الأدب؛ وقد ذكره كثير من الأدباء. انظر مثلاً رسائل الخوارزمى ص ١٨٣ .

٤- مروج الذهب مثلاً ج ٤ ص ٢٥ .

ثم إن التصوف الذى جاء حوالى أوائل القرن الثالث الهجرى على أثر اضمحلال الروح العربيه و نضوب قوتها ساعد كثيراً على نشر الأدب و جعله شعيباً و على نشر الكتب بين الجماهير، و صبغها بصبغتهم، و ساعد مساعدات كبيره على تقويه المذهب الواقعى الطبيعى ج كما فعل ذلك أيضاً فى الآداب الأخرى ج هذا إلى أن أهل التصوف كانوا يشنعون على العلماء و علمهم، و يعتمدون فى الغالب على عامه الناس؛ و كان هذا التصوف يتجه إلى وعظ العامه و تحليل حياتهم و العناية بحاجاتهم، و قد تأثر بكلامهم و أساليبهم. و أخيراً فإنه يتضح لنا أنه لولا اضمحلال الطريقه و الروح العربيه القديمه لما دخل السجع فى البلاغه العربيه فى ذلك المصر.

و كان لايزال فى مآثور العرب قليلٌ من النثر الوثنى المسجوع؛ و كان المسلمون ينفرون من هذا السجع نفورَ المسيحين فى الإمبراطوريه الرومانيه من الإوزان القديمه الباقيه عن اليونان و الرومان. و يبين لنا الجاحظ (المتوفى عام ٢٥٥هـ ٨٦٨ م) عله كراهيه الأسجاع، فيقول : « و كان الذى كره الأسجاع بعينها، و إن كانت دون الشعر فى التكلف و الصنعه أن كُهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهليه يتحاكمون إليهم، و كانوا يدعون الكهانه، كانوا يتكهنون، و يحكمون بالأسجاع .. قالوا فوق النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهليه و لبقيتها فيهم و فى صدور كثير منهم، فلما زالت العله زال التحريم(١)».

على أن المسيحين الذين دخلوا فى الإسلام و كان لهم الشأن الأكبر فى ذلك العهد كانوا قد ألفوا استعمال السجع فى مواضعهم الدينيه؛ و كذلك يظهر أنه

« حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى دخل السجع عند المسلمين فى الخطب الرسميه، و نجد كثيراً منه فى كتاب ووجه الخليفه للمسلمين، و إن لم يكن كله مسجوعاً(١)». »

و كانت طريقه كتابه الرسائل مجالاً للتمرين على إظهار صور البلاغه و أساليبها؛ ولم يعد قط بين الأدباء من لم يأبه للاعتبارات الدينيه فى كراهيه السجع، فكان يكتب سجعاً كالسجع العربى القديم الذى كان لا يزال موضع إعجاب : و يحدثنا الجاحظ أن عامه أهل بغداد كانوا يحفظون رساله إبراهيم ابن سيابه إلى يحيى بن خالد البرمكى(٢)؛ و كان فى هذه الرساله شىء من السجع.

على أن الرسائل الديوانيه كانت هى مقياس العرف اللغوى العام؛ و نجد وزير الخليفه المأمون حوالى عام ٢٠٠هـ يكتب كتابه مرسله لاسجع فيها(٣)؛ و قد انتهى إلينا لاملن ثوابه الكاتب (المتوفى عام ٢٧٧هـ ٨٩٠ م) رساله فيها بعض السجع؛ و كان هذا الكاتب معروفاً بالتكف فى كتابته(٤)؛ و كذلك نجد الكتاب الذى أنشئ للعن الأمويين، و كان يراد قراءته على جميع المنابر ببغداد سنه ٢٨٤هـ ٨٩٧ م، نثراً مرسلًا، و إن كان لا يخلو من أثر طفيف السجع(٥).

١- Goidziher, Abhandlungen Philologie, ١, S. ٦٥ f

٢- البيان و التبيين ج ٢ ص ١١٤ .

٣- الكندى ص ٤٤٥ ج ٤٤٥٦، و فى مواضع كثيره من كتاب بغداد لطيفور، و يجد القارئ كتاباً من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر، و هو نثر مرسل لاسجع فيه ج انظر رساله فى الصداقه للتوحيدى ص ٥٤ ج ٥٥ من طبعه قسطنطينيه .

٤- الإرشاد ج ٢ ص ٣٧ .

٥- الطبرى ج ٣ ص ٢١٦٦ و ما بعدها .

و حوالى هذا الوقت كتب أحد المنشئين فى الديوان من غير سجع (١).

على أن السجع قد أصبح حوالى عام ٣٠٠هـ هو الطريقه الجديده المستحدثه عند كبراء بغداد، فوجد الخليفه المقتدر يكتب إلى عمال البلاد سجعاً (٢)؛ و كذلك كان الوزير على بن عيسى يحلى كتبه بالسجع الكثير (٣)؛ ولكن أمر السجع لم يصل فى سائر أجزاء المملكه إلى ما وصل إليه ببغداد؛ فكانت رسائل الوزير ابن خاقان المسجوعه تقع لدى عمال الولايات موقع الشىء الغريب (٤)، و كان أصحاب الدواوين فى البلاد يكتبون على الطريقه القديمه من غير سجع (٥)؛ ثم انتشر السجع. قال ابن خفاجه « من كتّاب المحدثين من كان يستعمل السجع و لا يكاد يخلّ به، و هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى و أبو الفرج المعروف بالببغاء؛ و منهم من كان يتركه و يتجنبه، و هو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد؛ و طريقه غير هوءاء استعماله مره و رفضه أخرى، بحسب ما يوجد من السهوله و التيسير و الإكراه و التكلف (٦)».

و يحكى عن الوزير ابن عباد، وزير البويهيين، أنه كان ولوعاً بالسجع إلى

-
- ١- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٤٦٣. ولكن الرساله التى يشير إليها المؤلف هنا فيها سجع، و كاتبها ابن ثوابه نفسه، و العيب هنا أن المؤلف يعتمد على أمر جزئى يبنى عليه قاعده؛ و قد فعل هذا كثيراً فى أثناء كتابه. و مما يدل على الاضطراب فى استنتاجاته أن ابن ثوابه كان منشئاً فى ديوان المقتدر، و يقول المؤلف إن المقتدر كان يكتب إلى عماله سجعاً. (المترجم).
 - ٢- كتاب الوزراء ص ٣٣٧ و ما بعدها.
 - ٣- الإرشاد ج ٦ ص ٢٨٠، و كتاب الوزراء ص ٢٧٧.
 - ٤- انظر مثلاً من سجعه فى كتاب الوزراء ص ٢٧٧.
 - ٥- انظر مثلاً كتاب صاحب الأخبار إلى بغداد من بلده الدينورج عريب ص ٣٩ ج ٤٠.
 - ٦- ابن خفاجه فى مقدمه كتاب الخطب لابن نباته ص ١٦.

حد الإفراط فيه؛ و يقول التوحيدى عن هذا الوزير: «و كان كلفه بالسجع فى الكلام و القلم عند الجد و الهزل يزيد على كلف كل من رأيناه فى هذه البلاد.

قلت لابين المسيبى. أين يبلغ ابن عباد فى عشقه للسجع؟ قال: يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجعه تنحل بموقعها عروه الملك، و يضطرب بها جبل الدوله، و يحتاج من أجلها إلى غرم ثقيل و كلفه صبعه .. لما كان يخف عليه أن يخليها، بل يأتى بها و يستعملها(١).» و يقول نقلا عن ابن العميد إن الصاحب خرج من الرى متوجهاً إلى أصفهان، فجاوز فى طريقه قريه كالمدينه إلى قريه غامره و ماء ملح، لا لشيء إلا ليكتب قائلاً: كتابى هذا من النوبهار، يوم السبت نصف النهار(٢)؛ و هذا ما حكاه التوحيدى، و كان أثلب أهل زمانه؛ و هو الذى يقول عن ابن عباد أيضاً أنه كان عنده أبوطالب العلوى، فلحقه غشى بسبب كلام ابن عباد المسجوع، فرش على وجهه ماء الورد(٣).

و هذا هو شأن السجع إلى اليوم(٤).

و رسائل القرن الرابع الهجرى هى أدق آيه من ازدهار الفن الإسلامى؛ و مادتها هى أنفس ما عالجت يد الفنان، و هى اللغه؛ ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميله التى صنعتها أيدي الفنانين فى ذلك العهد من الزجاج و المعادن المستطعنا أن نرى فى هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقه الرقيقه، و امتلاكهم لخاصيه البيان

١- الإرشاد ج ٢ ص ٢٩١ .

٢- نفس المصدر ج ٢ ص ٢٩٨ .

٣- الإرشاد ج ٢ ص ٣٠٤ .

٤- مع شواذ قليله جداً، فقد كان وزير مشهور من وزراء المرابطين الأولين يتجنب السجع، «و كان على طريقه قدماء الكتاب»؛ انظر المعجب فى أخبار المغرب للمراكشى طبعه مصر ص ١٠٤ .

فى صورته الصعبه، و تلاعبهم بذلك تلاعباً؛ و ليس من محض الاتفاق أن كثيراً من الوزراء فى ذلك العهد كانوا من أساتذته البيان و أعلامه، ولذلك استطاعت رسائلهم أن تنال من التقدير ما جعلها خليفه أن تنشر كتباً للناس.

وكان من أولئك الوزراء: الخصيبى، و ابن مقله (١)، و المهلبى (٢)، و ابن العميد، و الصاحب بن عباد، و الإسكانى وزير السامانيين. و يحكى أن الإسكانى كان أكتب الناس فى السلطانيات، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قصير الباع (٣).

و هذا يدل على التمييز الدقيق بين نوعى الرسائل. و كانت الرسائل الهامه مثل كتب توليه العمال و نحوها تكتب فى ديوان خاص يسمى ديوان الرسائل، و هود ديوان لم تخل منه حكومه ما. و قد بلغ من العناية بهذا الديوان أنه قلد ببغداد لإبراهيم بن هلال الصابى (المتوفى عام ٣٨٤هـ ٩٩٤ م)، و كان أكبر المنشئين فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى؛ مع أن الصابى ظل طول حياته يعتنق دين الصابئه، و يصر عليه؛ و قد عرضت عليه الوزاره، إن أسلم، فأبى (٤).

ولما مات ألف نقيب العلويين، مع علو منزلته فى الدين، قصيده فى رثاء هذا الذى رفض الإسلام؛ و هذا يدل على أن قيمه الإنشاء الجيد كانت فى نظرهم أعظم من قيمه صحه العقيده. و كان الصابى يعرف قدر نفسه، و هو يقول مفتخراً:

١- رسائل الخوارزمى ص ٣٥.

٢- الفهرست ص ١٣٤.

٣- يتيمه الدهرج ٣ ص ١١٩، ج ٤ ص ٣١، و كتاب الإرشاد ج ٥ ص ٣٣١.

٤- الإرشاد ج ١ ص ٣٢٤.

و قد عَلِمَ السلطان أنى أُمِينُهُ *** و كاتبُهُ الكافى السديدُ الموقِفُ

فيمنأى يميناه، و لفظى لفظه، *** وعينى له عين، بها الدهر يرقى

ولى فقرٌ تضحى الملوكة فقيره *** إليها لدى أحداثها حين تطرق(١).

و تنقسم رسائله كلها قسمين : فى الجزء الأول إجمال للخطاب الذى تراد الإجابة عنه، و هذا القسم كان يتيح المجال لإظهار الأدب فى الثناء على المرسل و امتداحه و الدعاء له؛ فمثلا- كتب الصابى عن الوزير ابن بقيه إلى قاضى القضاة، فقال فى أول الكتاب : « وصل كتاب قاضى القضاة بالألفاظ التى لو مزجت البحر لأعذبته، و المعانى التى لو واجهت دجى الليل لأزاحته و أذهبته(٢)»؛ ثم يمضى فى الإجابة عن الكتاب مبتدئاً بقوله : و فهمته .. و لا تزال رسائل الصابى تقرأ إلى اليوم مع لذه يحس بها القارئ و إعجاب بامتلا- كه عنان البيان : و هى تلبس موضوعها ثوباً من جمال الإنشاء القشيب؛ و حتى لو كان الكتاب يتناول أخباراً علمية رسميه ليس من شأنها أن تناسب ملكه البيان. و كان الصابى يدبج رسائله بعبارات جميله مسهبه مسجوعه فى أولها و آخرها، مليئه بضروب المجازات و الاستعارات و أنواع الجناس؛ و مع هذا لا يختفى المعنى بين ضغط الألفاظ، و لا يغطى عليه جمال الألفاظ و موسيقى السجع، بحيث يستطيع القارئ أن يفهم المراد من غير تلك المشقه التى يعانىها الإنسان فى فهم رسائل من جاء بعده. و حتى لو ترجمت هذه الرسائل، و جردت من كل ما تتحلى به، و عرضت على صورته تفقدُها الكثير من جمالها، فإنها لا تزال خليقه

١- رسائل الصابى طبعه بعبداء بلبنان ١٨٩٨ م ص ٨ .

٢- يتيمه الدهر ج ٢ ص ٢٧٧ .

بالقراءه. و لنذكر من أمثله الرسائل الديوانيه التي كتبها الصابى كتاباً عن عز الدوله إلى ابن عمه عضد الدوله جواباً عن كتاب عضد الدوله الذى أخبره فيه بفتح جبال القفص و البلوص سنه ٣٥٧هـ ٩٦٨ م :

« .. وصل كتاب سيدى الأمير عضد الدوله أدام الله غزه! بما سهل الله على يده و يسره بيمنه و برκτηه من فتح جبال القفص و البلوص، و ما بلغه، أدام الله علوه ! من أهلها المعادين كانوا للمله، العادلين عن سبيل الله، حتى استنزلهم عن معقل بعد معقل، و استبحاهم فى موبل بعد موبل، و قتل حماتهم، و أفنى كماتهم، و أباد خضراءهم و غرباءهم، و عفى معالمهم و آثارهم، و ألجأهم إلى الإذعان و طلب الأمان، و تسليم الرهائن، و الإفراج عن الذخائر، و الاستقامه على سواء الدين، و الدخول فى عصمه المسلمين؛ و فهيمته و حمدت الله على ما منح الأمير عضد الدوله، حمد المتحقق بما أفاء الله عليه، المغتبط بما أزله إليه، المشارك له فيما يخصه، المساهم له فيما يمسه؛ و وجدت الأثر فيه كبيراً موءثره، و التدبير جليلاً كدبره؛ و تلك عادته الأمير، أيد الله ! فى الصمد للفاسد حتى يصلح، و للمعتاص حتى يسمح، و عادته الله عنده فى المعونه الضامنه للنجاح، الكافله بالفلاح؛ فما ترد على من جهته بشرى إلا - كنت متوقفاً لتاليه لها أخرى، ولا - أستقل منها بشكر ماض سالف إلا ارتهننى بترقب حادثٍ مُستأنف، و الله أسأل أن يهنئه نعمته، و يملأه موهبته، و يبلغه فى الدين و الدنيا آماله؛ و يجمل فيهما أحواله، و يجعل رايته منصوره على أعدائه، صغروا أم كبروا، و كلمته العليا عليهم، قلوأ أم كثروا، و يمكنه من نواصيهم، سالموا أم حاربوا، و يقودهم إلى التسليم له، رضوا أم كرهوا؛ ولا أعدمه فيما اختصه به من حياء و كرامه، و ظاهره عنده من إعلاء

و أنافه، مزيداً تتصل مدته إليه، و تحل عائدته عليه بحوله و طوله؛ و الأمير عضد الدوله أطل الله بقاءه ولى مواصلى بما يبهنى من أخباره، و يغبنى من آثاره، و يسرنى من عافيته، و يوءسنى من سلامته، و امثله من أمره و نهيه، و أقف عنده من حده و رسمه، إن شاء الله (١).

ثم انتقل استعمال الأساليب المَحلاه بالسجع من الرسائل السلطانيه إلى الرسائل الإخوانيه؛ على أنه فى القرن الثالث الهجرى كتب الأمير الشاعر ابن المعتز إلى الأمير الشاعر عبيدالله بن عبدالله بن طاهر رساله تعزیه عن وفاه زوجته، و قد ردَّ عبيدالله على ابن المعتز شاكرًا، و كلا الرسالتين نثر مرسل، و لا سجع فيهما (٢).

أما فى القرن الرابع فكان لا يخطر على البال أن تكتب مثل هذه الرسائل من غير أن يكون فيها سجع؛ و قد عظم شأن هذا الفن، فن كتبه الرسائل الجيده، فى أواخر القرن الرابع حتى كان الناس يستطيعون أن يعيشوا من هذه الصناعه، كما عاش الشعراء قديماً من التكبب بالشعر. و كان أبوبكر الخوارزمى، (المتوفى عام ٣٨٣ هـ ٩٩٣ م)، أشهر كتاب الرسائل الإخوانيه؛ و قد ظل زماناً طويلاً أكبر كتاب العرب.

كان أصل الخوارزمى من طبرستان، و مولده و منشوءه بخوارزم؛ و قد تقلب فى البلاد، و شرَّق و غرَّب، و اتصل بجميع الأمراء تقريباً فى شرق المملكه الإسلاميه. فورد بخارى و نيسابور، و هراه، و أصفهان، و شيراز، و غيرها (٣).

١- رسائل الصابى ص ٥٦ ج ٥٨ .

٢- كتاب الديارات للشابشى ص ٤٦ و ما بعدها .

٣- يتيمه الدهر ج ٤ ص ١٢٣ و الصفحات التاليه .

و كانت رسائله توجّه إلى الأمراء و الوزراء و القضاة و العمال و العلماء و اللغويين، و كان موضوعها ما يرد في الرسائل عادة من التهنئة بالأعياد، و بارتفاع المنصب، و بالنجاه من الشر، و التعزية بالوفاه، و الكتابه بعد نكبه أو محنه أو خلع، و الكتابه بمناسبة المرض، أو الخروج لحرب، أو للشكر على هديه. و من رسائله رساله كتبها إلى صاحب ديوان الخراج جاء فيها: «

حيث صرت أَلزُمُ خراجاً التزم بنو المدبّر أضعافه للبحترى، أضايق في ضيعه و هب أمثالها محمد بن الهيثم الغنوى لأبى تمام الطائى . و قد عرف الشيخ أنى لا أقيم على الخسف، و لا أجُلُّ إلا خطه النصف، فإن رأى ألا يفجع خراسان بلسانها، ولا يخليها من سيفها و سنانها، فعل»، فَوَضَعَ صاحب الخراج عنه خراج سنه (١).

و يظهر أن صيت الخوارزمى جذب إليه كثيراً من التلاميذ، و خصوصاً من الفقهاء؛ و نجد في رسائله الكثير موجّهاً إلى تلاميذه الجدد أو القدماء؛ و منها رساله شكر فيها رجلا على اصطناعه فقيهاً من تلاميذه (٢).

و من أمثله ما كتبه لبعض تلاميذه: « كتبك، يا ولدى، عندى تحف و شممامات و أنوار و با كورات، أفرح بأولها، و أنتظر ورود ثانيها، و أشكرك على ماضيها، و أعد الأيام و الليالى على باقيها، فكثرت على سوادها، و وفر على أعدادها، و اعلم أنى أحبك حباً مستكناً و بادياً.

أحُبُّكَ ما لو كان بين معاشر من الناس أعداع لجرّ التصافيا

و أنى آنس بك حاضراً، و أشتاق إليك غائباً، شوقاً لو عرفته لتكبرت على

١- رسائل الخوارزمى ص ٨١.

٢- رسائل الخوارزمى ص ١١٩.

الورى، ولم تَقِم وزناً لأهل الدنيا، و كُنْتَ لا تنظر إليهم إلا بموءخر عينك، و لا تكلمهم إلا ببعض شفيتك (١)».

ولو قارنا بين رسائل الخوارزمى و رسائل الصابى لوجدنا هذه أكثر اتزاناً، و أقل مبالغه، و أقرب إلى الواقع؛ و كان أهم ما عند الخوارزمى المحسّنات البديعيه و السلاسه؛ أما موضوع الرساله فهو بمثابة خيط ينسج الفنان حوله ثمرات خياله و بلاغته، كما يلتف النبات المستلق حول الخيط الذى ينصب له؛ و بين هذا الأسلوب و بين الأسلوب العربى القديم كثيرٌ من وجوه الشبه، من شغف بالألفاظ الجزله ذات الجرس، و التشبيهات الحسنه، و قلق نفس الكتاب؛ غير أن ما كانت تنطوى عليه الفروسية قديماً من نبل العاطفه و قوتها قد تغير و صار موضع سخرية؛ و هذه هى الصوره الوحيدة التى أتاحت له فى مجتمعات المدن.

أما الصفات الرئيسيه التى اتصف بها أسلوب الخوارزمى، فهى أيضاً صفات الأسلوب الساخر : و هى المبالغه و التكرار و الحشو؛ و هو يعمد إليها باعتبارها طريقه فنيه فى الكتابه؛ فمن ذلك فى إحدى رسائله : « فلان أبطأ على، فليت شعرى الريح قلعت، أم الأرض ابتلعت، أم الأفعى نهشته، أم السبا افترسته، أم الغول أغوته، أم الشياطين استهوته، أم أصابته بائقه، أم أحرقت صاعقه، أم رفته الجمال، أم اغتاله الجمال، أم انتكس على ظهر جمل، أم تدحرج من رأس جبل، أم وقع فى بير، أم انهار عليه جرف شفير، أم جفت يده، أم قعدت رجلاه، أم ضرَّ به الجذام، أم أصابه البرسام، أم جمس غلاماً فقتله، أم تاه فى البر، أم أغرق فى البحر، أم مات من الحرّ، أم سال به سيل زاعب، أم وقع فيه سهم من سهام الآجال

صائب، أم عمَلِ عمَلِ أهل لوط، فأرسلت عليه حجاره من طين منضود مسومه عند ربك، و ما هي من الظالمين ببعيداً! (١).

و كتب إلى رجل طلب نسخه من رسائله: «.. و لو قدرت لجعلت الورق من جلدي، بل من صحن خدي، و القلم من بناني، و المداد من أجفاني» (٢).

وقد توءتينا مبالغته في كثير من الأحيان مجموعته قيمه من الأحوال المتعارضة التي قد تعرض في حياه ذلك العصر، كالذي كتبه الخوارزمي إلى أبي علي البلعمي لما فارق الحضرة وورد نيسابور؛ و مما قاله في وصف حاله: «.. حتى لقد ركبت غير دابتي، و أكلت غير نفقتي، و نزلت بيتاً بكرةً، و أكلت خبزاً بسرّاً، و حرمت العيني، و شربت الزبيبي، و لبست الصوف في المصيف، و البردي في الخريف، و كوتبت مواجهه، و خوطبت بالكاف مشاهفه، و أجلس في صف النعال، أعني أخريات الرجال، و ناظرني من كان يدرس علي، و خالفني من كان يختلف إلي، و حتى لقد نشزت علي جاريتي، و حزنت دابتي، و تقدمني في المسير رفيقي الذي جمعني و إياه طريقي، و حتى إنني أخذت الدرهم الجيد، فصار في يدي ستوقاً، و قطعت الثوب المشتري فصار علي بدني مسروقاً، و غسلت ثيالي في تموز، فغابت الشمس و طلع السحاب، و سافرت في حُزيران، فعصفت الريح و سد الأفق الضباب، و فقدت كل شيء ملكته، غير عرضي الذي عهدته الشيخ معي و صبري الذي عرفه مني» (٣) و قد يصل باستعمال الحشو و التكرار إلى ملاطفه من يوجه إليه الخطاب و تملقه، و يذكر لنا مع ذلك

١- رسائل الخوارزمي ص ٨٨.

٢- نفس المصدر ص ١٠٦. انظر أيضاً ص ٦٨.

٣- رسائل الخوارزمي ص ٣٠.

مجموعه من الكتب التي يستطيع الإنسان أن يرجع إليها حينما يريد أن يكتب خطاباً من السجع الحسن؛ فقد جاء في إحدى رسائله: « ذكر السيد أنه كتب جواب كتابي من الظهر إلى العصر؛ ولقد استبطأته على ما أعرفه من بُعد غوره، و غزاره بحره، و لكنني أغلقت لهذا الجواب بابي، و أرخيت له حجابي، و ضمنت إلى نشر كتب أدابي، و جلست من الدواوين بين آل الجراح و آل بويه و بني الخصيب و بني مقله؛ و نشرت من المقابر آل يزداد و آل شداد، و حشرت من الآخره ابن المقفع البصرى، و سهل بن هارون الفارسي، و ابن عبدان المصري، و الحسن بن وهب الحارثي، و أحمد بن يوسف المأموني، و وضعت عن يميني عهد أردشير بن بابكان، و عن يساري كتاب البيان و التبيين، و بين يدي فصول بزجمهر بن البختكان، و قبل ذلك رسائل مولانا صاحب، عين الزمان، و زين الشيب و الشبان؛ فما زلت أسرق من هذا كلمه، و أنظر من ذاك فقره، و أستعير من هناك نادره و ثيقه، أغضب الأحياء على بيانهم، و أنبش الموتى من أكفانهم، و أنا في أثناء ذلك رطبُ اللسان بالدعاء، رطب العين بالبكاء، أدعو الله بالتوفيق و اتسديد، و بالعصمه و التأيد»(١).

على أن الخوارزمي كان في نظر معاصره الهمداني (و كان هذا أصغر سنا من الأول) لا يحسن من الكتابه « إلا هذه الطريقه الساذجه و هذا النوع الواحد المتداول بكل قلم، المتناول لكل يدوفم»(٢).

و كان أبو الفضل الهمداني هو زعيم الطريقه الجديده و المحامي لها؛ فارق

١- نفس المصدر ص ٣٥ .

٢- رسائل الهمداني طبعه بيروت ص ٧٦ .

همذان سنه ٣٨٠هـ و هو مُقْتَبَلُ الشَّيْبِيه، غَضُّ الحَدَاثَه (كان يناهز الثانيه و العشرين)؛ وورد حضره الصاحب فتزود من ثمارها؛ ثم ورد جرجان، و أقام بها مده، و وافى نيسابور سنه ٣٩٢هـ (١)، أى بعد أن فارق وطنه باثنى عشر عاماً؛ ثم شجر بينه و بين أبى بكر الخوارزمى ما كان سبباً فى عُلُوِّ أمره، و بُعِدِ صيته، إذ لم يكن فى الحسبان أن ينبرى للخوارزمى أحد؛ فلما تصدى الهمذانى لمساجلته، و جرت بينهما مكاتبات و مناظرات و مناقشات، و غلب هذا قومٌ و ذاك آخرون، و جرى من الترجيح بينهما ما يجرى بين الخصمين المتصاولين، طار ذكر الهمذانى فى الآفاق، و ارتفع مقداره عند الملوك و الرؤساء؛ ثم أجاب الخوارزمى داعى ربه، فخلا الجو للمهدانى، و تصرّفت به أحوالٌ جميله، و أسفارٌ كثيره، و لم يبق من بلاد خراسان و سجستان و غزنه بلد إلا دخلها، و استفاد خيرها؛ و ألقى عصاه بهراه، ثم صاهر أباه على الحسين بن محمد الخشنامى، و هو الفاضل الكريم الأصل، فانظمت أحوال أبى الفضل بهذه المصاهره، و اقتنى بمعونه صهره و مشورته ضياعاً فاخره، و عاش عيشه راضيه، و حين بلغ أشده و أربى على الأربعين سنه ناداه ربه فلباه فى سنه ٣٩٨هـ، « فقامت عليه نوادب الأدب و انثلم حدُّ القلم » (٢).

كان أبو الفضل مشهوراً بكاء القريحه و قوه الحفظ؛ و كان ينشد القصيده التى

-
- ١- هذا هو الصوب كما فى الإرشاد لياقوت (ج ١ ص ٩٦)، لا ٣٨٢هـ كما فى يتيمة الدهر للثعالبي (ج ٤ ص ١٦٨) .
 - ٢- يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٦٧ ج ١٦٨ . و يذكّر ابن خلّكان (ج ١ ص ٦٨ ج ٦٩ من طبعه فستيفلد) أن بديع الزمان مات من السكته، و عجل بدفنه، فأفاق فى قبره، و سمع صوته بالليل، فنبشوا عنه فوجدوه قد مات من هول القبر .

لم يسمعها قط، و هي أكثر من خمسين بيتاً، فيحفظها كلها، و يوءديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً، و لا يخلّ بمعنى (١).

و كان من العجائب التي يقدر عليها، و يعجز عنها الخوارزمي أنه كان يستطيع أن يكتب كتاباً يقرأ فيه جوابه، أو كتاباً يقرأ من آخره إلى أوله، أو كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً، فإن عكست سطره مخالفه كان جواباً، أو كتاباً لا يوجد فيه حرف منفصل، من راء يتقدم الكلمه أو دال يفصل عنها، أو خالياً من الألف و اللام، أو من الحروف العوامل، أو أول سطره كلها ميم و آخرها ميم، أو كتاباً إذا قرئ معرجاً و سُرد معوّجاً كان شعراً، أو إذا فسر على وجه كان مدحاً، و إذا فسر على وجه كان قدحاً (٢).

و كان هذا و أشباهه يعتبر أعلى درجات القدره على الإنشاء في ذلك العصر.

و كذلك يعيب الهمذاني الجاحظ بأن كلامه سهل، قليل الاستعارات، قريب العبارات، و أن الجاحظ « مُنقادٌ لُغريان الكلام يستعمله، نفورٌ من معتاصه يهمله (٣) ».

غير أن رسائل الهمذاني التي انتهت إلينا ليس فيها لحسن الحظ مثل هذه الإشارات المعتاصه، فهي قد كفتنا مشقه ذلك، ولكنها أكثر التواء و تكلفاً من رسائل الخوارزمي و أحفل بالتشبيهاً البعيده المطلب و بأنواع الجناس.

و قد ظهر شيء جديد تجاوز أسلوب الرسائل، و هو الميل إلى القصص و الحكايه؛ فنجد الأدباء يذكرون في سياق رسائلهم بين حين و آخر حكاياتٍ

١- يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٦٧ .

٢- رسائل الهمذاني ص ٧٤ .

٣- مقامات الهمذاني طبعه بيروت ١٨٨٩ ص ٧٢ .

طويله أو قصيره على سبيل التمثيل؛ فمثلاً يشبّه الهمذاني في إحدى رسائله حال الطامع الذي يذهب به الأمل و الطمع بعيداً، و الخيرُ منه قريب، بحال الرجل البخاري الذي ضاع حمارُه. يقول الهمذاني: « .. ثم لم يكن مثلي معه إلا مثل البخاري الذي ضاع حماره، و خرج في طلبه، حتى عبر جيحون بسببه، يطلبه في كل منهلّه، و ينشده في كل مرحله، و هو لا- يجده، حتى جاوز خراسان، و انتهى إلى طبرستان، و أنى العراق، و طاف الأسواق؛ فلما لم يجده، و أيس، عاد، و قد طالت أسفاره، و لم يحصّل حماره، حتى إذا حصل في بلده، بين أهله و ولده، أحبّ الله أن يلفظ به لطفاً ليعتبر به، فنظر ذات يوم إلى اصطبله فإذا الحمار بسرجه و لجامه و ثغره و حزامه قائماً على المعلف ينش .. »(١).

و هو يقول مدللاً على أن الإنسان يظل هواه دائماً مع وطنه: « إن الإبل على غلظ أكبادها لتحنّ إلى بلادها، و إن الطير لتقطع عرض البحر إلى مظانها».

و يحكى عن ذى اليمينين طاهر بن الحسين أنه « لما ولى مصر و افاها مضروبه قبائها، مفروشه أرضها، مزخرفه جدرانها، و الناس ركبناً و رجالاً و الثّار يمينا و شمالاً؛ فأطرق لا ينطق حرفاً، و لا يرفع طرفاً، و لا يهشّ إلى أحد، فقيل له في ذلك، فقال: ما أصنع بهذا، و ليس في نظاره عجائز بوشنج (و هى بلده)؟! »(٢).

و كذلك يحكى الهمذاني حكاية التاجر مع ولده و يتمثل بها؛ و كان التاجر قد جهز ولده بمال للتجاره، و أوصاه عند ما خرج من بلده بأن يحذر النفس

١- رسائل الهمذاني ص ١٧٤ ج ١٧٥ .

٢- نفس المصدر ص ٣٧٠ .

و سلطانها. و كان مما قاله له ستحدثك النفس بمعنى اسمه القرم، و يخبرك السفهاء عن شىء يقال له الكرم؛ وقد جربت الأول فوجدته أسرع فى المال من السوس، و نظرت إلى الثانى فوجدته أشأم من السوس؛ و دعنى من قولهم: أليس الله كريماً؟ بلى، و لكن كرمه يزيدنا ولا ينقصه، و ينفعنا ولا يضره؛ فأما كرم لا يزيدك حتى ينقصنى، ولا يريشك حتى يبرينى، فهو خذلان؛ فلما فصلت العير لجت بالفتى همه العلم، فأنفق ما معه من المال فى طلبه، « فلما انسلخ من طارفه و تالده رجع بالقرآن و تفاسيره إلى والده، فقيراً لا يملك نقيراً، و قال: يا أبت جئتك بسطان الدهر، و عزّ الأبد، و حياه الخلد؛ جئتك بالقرآن و تفاسيره، و الحديث بأسانيده، و الفقه بأبازيره، و الكلام بأقانيه، و الشعر بغريبه، و النحو بتصاريفه و اللغه بأصولها، فاجن العلم نوراً و نوراً و الآداب حُرّاً و حُوراً؛ فأتى به إلى السوق و قدّمه للصراف و البزاز و العطار و الخباز و القصاب، و انتهى إلى البقال؛ فساومه عن باقه بقل، و قال: انتق تفسير أى سوره شئت، فتنحى البقال، و قال: إنما نبيع بالكسره المكسره لا بالسوره المفسره، فأخذ الوالدُ ترابا بيده، و وضعه على رأس ولده، و قال: يا ابن المشثومه، ذهبَ بقناطير، و جئت بأساطير، لا يبيع بها ذو عقل باقه بقل(١)».

و إذا كنا نجد عند الهمداني ميلا إلى القصص و الحكايه، فقد كان يقابل ذلك عند الصاحب بن عبّاد و من يتصل به اهتمام خاص شديد بالجوّالين المكّدين و حكاياتهم و مخاطراتهم و لغتهم. و كان الصاحب بن عباد نفسه يحفظ « مُناكاه بنى ساسان » حفظاً عجبياً؛ و يعجبه من أبى دُلف الخزر جي الشاعر و فوراً

حظه منها؛ وكانا يتجاذبان أهدابها؛ و كان أبودلف هذا شاعراً كثيراً المُلح و الطرف « أخلق التسعين في الأطراف و الاغتراب، و ركوب الأسفار الصعاب، و ضرب صفحه المجراب بالجراب في خدمه العلوم و الآداب»، و قد دوّخ البلاد، فطاف بالهند و الصين، « و كان ينتاب حضره الصاحب بن عبّاد، و يكثر المقام عنده .. و يتزود كتبه في أسفاره، فتجرى مجرى السفاتج في قضاء أوطاره»^(١).

ولم تقتصر دقه ملاحظته بالعين و الأذن على أحوال البلاد الأجنبيّه، بل شملت أحط طبقات أمته، و هي الطبقة التي يجهلها المثقفون في العاده جهلهم لما ليس في بلادهم؛ و كان الجاحظ أيضاً هو أول من كشف عن هذه الناحيه؛ فقد تكلم قبل ذلك العهد بمائه و خمسين سنه عن المُكدّين، و أسمائهم، و ما يمتازون به، و يحتالون به^(٢)؛ ثم جاء البيهقي في أوائل القرن الرابع فنقل عن الجاحظ، و توسّع في الكلام عن أصناف المُكدين و أفعالهم و نوادرهم^(٣).

أما أبودلف فإنه ألف قصيده طويله في أصناف المكدين و شرحها شرحاً وافياً كافياً و تقدم كثيراً على كل من الجاحظ و البيهقي^(٤).

و يرجع الفضل في حفزه على ذلك إلى الأحنف العكبرى الشاعر؛ فقد كان الأحنف أيضاً جوّالاً، طاف البلاد، و تغنى تغنياً موءثراً بحرمانه من وطن يأوى إليه؛ و لكنه التزم طريقه الشعراء الحقيقيين، فلم يحاول أن يذكر في شعر، كل الألفاظ الصعلوكيه التي تبين أصناف المُكدين و ألفاظهم؛ و إنما ترك بعض ذلك

١- يتيمه الدهر ج ٣ ص ١٧٤ ج ١٧٥ .

٢- كتاب البخلاء للجاحظ، طبعه فان فلوتن ص ٤٧ و ما بعدها .

٣- المحاسن و المساوى ص ٦٢٢ ج ٦٢٧ .

٤- يتيمه الدهر ج ٣ ص ١٧٥ و ما بعدها .

لأبى دُلف (١).

أما الهمداني فقد ظهر في هذا الميدان متميزاً بنزعه خاصه إلى الحكايات القصصيه التمثيليه القصيره التي تغلب عليها الصبغه البلاغيه؛ و كانت ثمره ذلك مجموعه من المقامات، منها واحده تسمى الرصافيه، و هي معرض تجتمع فيه الاصطلاحات المتعلقة بالمكدين، كما هو الحال في قصيده أبى دلف (٢).

و الهمداني نفسه يشير إلى تأثيره في مقاماته بأبى دلف؛ و ذلك بأن أخذ من قصيدته الأبيات التي ذكرها في المقامه الأولى (٣) وقد قدح الخوارزمي في الهمداني بأنه لم يحسن سوى هذه المقامات؛ فثارت لهذه التهمه ثائره الهمداني (٤) و من أسف أننا لانعرف الناحيه التي أعجبت الخوارزمي في هذه المقامات.

أما عندنا فالتقدم الكبير الذي نلاحظه هو أن جميع المقامات تدور كلها حول رجل واحد هو أبو الفتح الأسكندري؛ و بذلك تقوم الحكايات المختلفه الأشكال

١- نفس المصدر ص ١٧٥ . على أنه يقال في هذا النص إنه كان للعكبري قصيده داليه في المناكاه و ذكر المكدين. (المترجم) .

٢- يفتخر الهمداني (رسائل ص ٣٨٩ ج ٥١٦، ٣٩٠) بأنه أملى في الكنديه أربعمائمه مقامه لا مناسبه بين المقامتين لا لفظاً و لا معنى؛ و لكن لم يصل إلينا إلا- نحو من خمسين مقامه منها؛ و ينبغي ألا نعتبر الأربعمائمه رقماً دقيقاً، فإن الهمداني يوء كد في رسائله (ص ٧٤) أنه يقدر على أربعمائمه صنف من الترسل .

٣- اليتيمه ج ٣ ص ١٧٦ . على أن المقامات لم يذكر تاريخ تأليفها، فيقول الحصري (على هامش العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٠) إن المقامه الحمدانيه (ص ١٥٠ و ما بعدها من طبعه بيروت) أمليت سنه ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م .

٤- رسائل الهمداني ص ٣٨٩ ج ٣٩٠ .

على أساس واحد، و هذا تمهيد للكتابه الروائيه على صورته أكبر؛ ولم يكن قد بقى على الهمداني إلا خطوه واحده ليأتى لنا بقصص المحتالين و اللصوص من أخف و أطف نوع لم يصل إليه أحد إلى اليوم. ولكن هذه الخطوه لم تتم مع الأسف؛ و لم يكن ذلك لنقص أو قصور في القدره على نسج القصص و ربط أجزائها؛ فهذه القدره كانت موجوده، و نحن نلاحظها في القصص الشعبيه؛ و لكن السبب هو أن المقامات كانت ولا تزال أدباً يوءلف للبلغاء، و هوءلاء لا يعنون بربط أجزاء القصة بعضها ببعض، و إنما يعنون بالألفاظ و الأساليب البليغه. وقد أوجدت هذه المقامات ميلاً إلى الخطب ذات الأساليب الوضاه التي تشبه « السواربخ » التي تنطلق لأمعه، ثم تفنى و لا تترك أثراً؛ و كذلك أساليب البلغاء لم يكن لها، رغم جمالها، أثر في وضع قصه طويله متماسكه الأجزاء.

على أنه قد جُمعت أشعار الهمداني أيضاً (١)؛ و هي قصائد تدل على أن صاحبها كان بفطرته كاتباً موهوباً، ولم يكن شاعراً؛ فهي أساليب بلاغيه محضه مجردة من كل عاطفه شعريه، و فيها فرط تكلف في الألفاظ و المعاني، فمثلاً يقول الهمداني:

إذا سجع القمري راسلتُ لحنه *** يابقع دمع للغناء موافق (٢).

و هو بتلاعب في شعره بعلم اللسان فيكتب قصيده معرّاه من الواو، و هو ما لم يستطع الصاحب بن عباد أن يفعله، مع أنه استطاع عمل قصائد كل واحده منها

١- طبع ديوانه بمصر عام ١٣٢١هـ، و مخطوط باريس (٢١٤٧) أدق و أوفى .

٢- الديوان ص ٥٩، و الظاهر أن الموءلف لا يعجبه تشبيه الدمع بالإبقع الموسيقى. (المترجم) .

خالیه من حرف من حروف الهجاء (١).

و تدل عنایه الحصری (٢) (المتوفى عام ١٠٦١ هـ ١٠٦١ م) برسائل الهمذاني على أن الهمذاني قد غلب على من تقدمه؛ فالحصرى يذكر أجزاء طويله من رسائل الهمذاني؛ أما الخوارزمي فلا يذكره أصلاً.

و كان أبو العلاء المعرّي (٣٦٣ ج ٤٤٩ هـ ٩٧٣ ج ١٠٥٧ م) أكبر كتاب النثر فى عصر الحصرى. و يقول ناصر خسرو الرحاله الفارسى الذى ورد المعرّه سنه ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م « إن فضلاء الشام و المغرب و العراق يقرون أنه لا نظير له فى هذا العصر، ولن يكون له نظير»، وقد أشاد الرحاله الفارسى إشاده خاصه بوصف كتاب لأبى العلاء « جاء فيه بكلمات مرموزه و أمثله بألفاظ فصيحہ و عجيبة، بحيث لا يقف عليه الناس إلا قليل منهم، و هو لاء يقروءونه عليه أيضاً» (٣).

و كان ذلك هو المثل الأعلى للنثر الجيد فى ذلك العصر؛ وقد اذخر أبو العلاء التعبيرات العويصه لقصائده، و لكننا نجد الأسجاع قد صارت فى رسائله أقصر بما نجده عند الهمذاني، كما أننا نجد تشبيهاه أكثر تكلفاً؛ و كثيراً ما تطغى الساعه و التكلف اللفظيان على الغرض من رساله، حتى يجد القارئ مشقه فى الوصول إلى معرفته؛ و كثيراً ما نجد فى رسائله تشبيهاه متكلفه مطوّله كثيراً بالنسبه لما عرف من قبل، فمن ذلك قوله: « و أسفى لفراق سيدى الشيخ، أقام الله عزه، أسف ساق حرّ، ساقه الطرب إلى الحر، توارى بالوريقه، من حر الوديقه،

١- يتيمه الدهر ج ٣ ص ٢٢٣؛ و الديوان مخطوط باريس ص ٥٤ ج ب .

٢- زهر الآداب المطبوع بمصر على هامش العقد الفريد .

٣- ناصر خسرو ص ١١ من طبعه شيفر . و هذا النص نقلته إلى العربيه عن كتاب سفرنامه ص ١٦ من طبعه كاويانى ببرلين ج المترجم .

كأنه قينه وراء ستر، أو كبير حجب من الهتر، فى عنقه طرق، كرب يفصه الشوق، لو قدر لانتزعه باليد، من المقلد أسفاً على إلف، غادره للكمد، أى حلف، أرسله، فيلك، نوح، فالحمائم عليه تنوح، يسمعك بالغناء أصناف الغناء، و يظهر فى العصون خبى الوجد المصون»، و هلم جرّاً(١).

و نجد الكلام تلمع من ثناياه الإشارات اللطيفه و أنواع الجناس اللفظى، و نكاد نجد فى كل جملة صدى من ذلك قليلاً أو كثيراً. و هذا التعبير عن الشوق للمرسل إليه هو الموضوع الذى تبدأ به الرسائل عادة. على أننا نجد الهمدانى قد عبر عن شوقه بما هو أبسط من ذلك، مثال ذلك قوله: « معاذ الله أن أشتاق إلى حضرته، لكنى أفتقر إليها افتقار الجسد إلى الحياه، و الحوت إلى الفرات»(٢).

أما بعد ذلك فنجد الكتاب يعبرون عن الشوق، و يبالغون فى النمىل بالحمام أو نحوه مما لم تجربه عادة.

فمثلاً يقول أبو العلاء: « و شوقى إليه و إلى الجماعه الذين عرفتهم بمدينه السلام كالنسيم لا يجمد، و نار فارس ليس تخدم؛ و فقرى إلى لقاءه و لقاءهم فقر الذى أملق إلى الصله، و بيت الشعر إلى القافيه المتصله».

و يقول أيضاً: « شوقى إلى مولاي الشيخ المناسب طول الدهر لا ينفد بسنه و شهر، و كلما ذهب زمان صادف، أعقبه من الأزمنه رادف».

و يقول: « شوقى إلى سيدى الشيخ شوق البلاد الممحلّه، إلى السحابه

١- رسائل أبى العلاء نشره مرجلوث ص ٤٦ ج ٤٧، ص ٥٢ .

٢- رسائل الهمدانى ص ٨ .

المنسحله، و انتظاري لقدمه انتظار تاجر مكه وفد الأعاجم».

و يقول أيضاً: « و أنا و الجماعه نبعث إلى سيدى الشيخ مع راكب الطريق و نسيم الريح الخريق، و العقيق المومض، و الخيال المتعرض، سلاماً تأرّج رحال الرفقه إذا استودعته، و تبتهج قلوب النفر إن الأذان منهم سمعته(١)».

أو نجد فى بعض الرسائل مبالغه فى المجامله و الملاحظه لا حد لها؛ فمن ذلك أن أحد الأدباء أهدى إلى أحد الأسراء مختصراً لكتاب مشهور فى النحو، فعبر المعرى عن إعجابه بالمختصر بأن شبّهه فى دقته و إحاطته بما فى الأصل بالفرات، جرى من سمّ الخياط؛ و أول ما نجده فى رسائله رسالته التى بعث بها إلى رجل بمصر، و فى أولها يقول: «إن كان للآداب، أطال الله بقاء سيدنا، نسيم يتضوّع، وللذكاء نار تشرق و تلمع، فقد فغمنا على بعد الدار أرح أده، و محالليلّ عنا ذكاؤه بتلّهبه، و خوّل الأسماع شنوفا غير ذاهبه، و أطلع فى سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربه؛ و ذلك أنا معشر أهل هذه البلده وهب لنا شرف عظيم، و ألقى إلينا كتاب كريم، صدر عن حضره السيد الحبر، و مالك أعنه النظم و النثر، قراءته نسك، و ختامه، بل سائره، مسك؛ و فى ذلك فليتنافس المتنافسون؛ أجلّ عن التقييل، فظلاله المقبله، و نزه أن يبتذل، فنسخه المبتذله؛ و إنه عندنا لكتاب عزيز .. و إنما المنازل التى ينزلها السيد كالشهب الش آميه الموفيه على العشرين بشمانيه، نزل بها الزبرقان فتشهرت، و نسبت العرب إليها كلّ سحابه أمطرت(٢)».

١- رسائل أبى العلاء ص ٣٦، ٤٥، ٥٤، ٨٨.

٢- رسائل أبى العلاء ص ٣ و ما بعدها .

و كتب أبو العلاء إلى رجل أخبره بأنه سيزور بلدته المعرّه، فوصفها له بقوله: « مثله بقدم هذه الناحية مثل النسر الذي هو من ملوك الطير و عظامها، تتصل من أوصاله رائحة المسك، يهبط على نبيه جد و بيله، و هذه جمل من صفه المعرّه: هي ضد ما قال الله عزوجل: (مثل الجنة التي وُعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ..) اسمها طيره، و عند الله ترجى الخيره؛ المورد بها محتبس، و ظاهر ترابها في الصيف يبس؛ ليس لها ماء جار، و لا تغرس بها غرائب الأشجار، و إذا أبرز لأهلها ذبْح، يوءمّل به الريح، تحسبه صبغ بخطر، فكأنما يرمق به هلال الفطر؛ وقد يجيئها وقت يكون إليها جدى المعز في العزه كجدى الفرقد، و مثل حمل الكواكب حمل النقد، و يكبر فقيرها على الهدايه قبل أبى الفرخين ابن دأيه، حتى يقف ببائع الرسل، فكأنما وقف برضوان يستوهبه ماء الحيوان(١)».

و الفن العظيم الذى يتجلى فى هذه الطريقه بما فيها من زخارف كثيره تشبه « السوارىخ ». جعل اللغه سلسله القياذ إلى درجه نادره، قويه التعبير برغم الختصار، و هو الطريقه التى استند إليها كل الذين كانوا يريدون اتعبير عما فى نفوسهم مراعين فى ذلك غاية ما أرادوا من الإيجاز و القوه و الحريره فى التعبير.

وقد بلغ أبو حيان التوحيدى (المتوفى حوالى عام ٤٠٠ هـ ١٠٠٩ م) مرتبه الأستاذ لهذه الطريقه، و كان على ذروه من ذراها. و أول ما نلاحظه أنه كان عالماً بدقائق الأسلوب الرائع؛ وقادراً عليه؛ غير أننا نكاد لا نلاحظ فى أسلوبه ذلك التكلف الذى نجده عند غيره من الأدباء. ولم يكتب فى النثر العربى بعد أبى حيان ما هو أبسط و أقوى و أشد تعبيراً عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان؛

و لكن الجمهور كان يميل إلى طريقه الآخريين في البديع، فيجرى عليها و يعظم أصحابها؛ و لقد كان أبوحيان فناً غريباً بين أهل عصره، و كان يعاني وحشه من يرتفع عن أهل زمانه، و يتقدم عليهم؛ و هو يقول: « فقدت كل موءنس و صاحب، و مرفق و مشفق؛ و الله لربما صليت في المسجد، فلا أرى إلى جنبى من يصلى معى؛ فإن اتفق فيقال، أو عصّار، أو نَداف، أو قَصّاب، و من إذا وقف إلى جانبى أسدرنى بصنانه، و أسكرنى بنتته؛ فقد أمسيت غربب الحال غربب النحلّه، غربب الخلق، مستأنساً بالوحشه، قانعاً بالوحده، معتاداً للصمت، ملازماً للحيره، و محتملاً للأذى، يائساً من جميع من ترى، متوقفاً مالا بد من حلوله؛ فشمس العمر على شفا، و ماء الحياه إلى نضوب، و نجم العيش إلى أفول(١)».

و فى آخر حياته أحرق كتبه، فلما عُذِل فى ذلك قال: « إنى فقدتُ ولدًا نجيبًا، و صديقًا حبيبًا، و صاحبًا قريبًا، و تابعًا أديبًا، و رئيسًا منيبًا؛ فشقّ على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، و يدنّسون عرضى إذا نظروا فيها .. و كيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنه، فما صح لى من أحدهم وداؤ، ولا ظهر لى من إنسان منهم حفاظ؛ ولقد اضطررت بينهم، بعد الشهره و المعرفه، فى أوقات كثيره إلى أكل الخضر فى الصحراء، و إلى التكفّف الفاضح عند الخاصه و العامه، و إلى بيع الدين و المروءه(٢)».

و كتابه فى ذم الوزيرين مشحون بالثلب المقذع، و قد ظل الناس زمانا طويلا يعتقدون أن هذا الكتاب يجلب النحس على من يقتنيه.

١- رساله فى الصداقه و الصديق طبع القسطنطينيه ١٣٠١هـ ص ٥ ج ٦ . و يقول أبوحيان إنه كتب هذه الرساله « لما بلغت شمسه رأس الحائط » (ص ١٩٩) .

٢- الأرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٨٧ ج ٣٨٨ .

و آخر مظهر لضعف الذوق العربى الأصيل أنه منذ القرن الثالث الهجرى بدأت قصص السمر الأجنبيه تحتل مكاناً كبيراً فى الأدب العربى(١).

وكانت الإسرائيليات و قصص البحريين تقوم، حتى ذلك الحين، بحاجه من يريد التسليه، أما منذ القرن الثالث فقد أضيف إلى ذلك ما ترجم من قصص الهند و الفرس، و كان أهمها فى ذلك العصر حكايات ألف ليله و ليله أو « هزار أفسان»، (ألف حكايت)، و هو اسمها الفارسى، و إن كانت هذه الحكايات دون المائتى مسر موزعه على ألف ليله(٢).

غير أن هذه الحكايات لم تكن تروق الأدباء الذين يوءثرون قراءه النثر الفنى، الذى يهز أرجاع النفس و الذى لا يخلو إلى جانب ذلك من زخرفه؛ فكانوا يرون أنها « كتابٌ غثٌ بارد الحديث(٣)»؛ و كذلك نجد أبا العلاء، الفنان الكبير، يتكلم عن كتاب كليله و دمنه كلام من لم يتحمس له؛ فيقول إنه لم يقتن هذا الكتاب، و لم يتمكن علمه بما فيه، و لم يستكمله سماعاً(٤).

١- جاء فى أخبار العرب أن أحسن الناس جواباً و أحضرهم قريش ثم العرب، و و ان الموالى أجوبتها بعد فكره و رويه (أمالى المرتضى ج ١ ص ١٩٧ طبعه القايره ١١٣٠ م).

٢- هل كانت قصص السندباد ضمن حكايات ألف ليله و ليله؟ كانت تلك القصص موجوده قائمه بذاتها، على تفاوت فى طولها؛ و كذلك كان يعرف أنها من كتب الهند (مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ٩٠، و الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥). وقد ذكر الصولى فى الأوراق (مخطوط باريس ص ٩) و ابن الحجاج الشاعر (ديوان ابن الحجاج المتوفى عام ٣٩٠ هـ ١٠٠٠ م) مخطوط مدينه جوتا ص ١١) أن هذا الكتاب، كتاب السندباد من كتب الحكايات المحبويه، التى يميل إليها الناس ميلاً خاصاً. و يقال إن موءلفه طيب هندسى يسمى سندباد، و هو يحتوى على كتاب الوزراء السبعه و المعلم و الغلام و امرأه الملك (مروج الذهب ج ١ ص ١٦٢).

٣- الفهرست لابن النديم ص ٣٠٤ .

٤- رسائل أبى العلاء المعرى طبعه مرجيلوث ص ١٠٢ .

و لكن روح ذلك العصر الجديده التي خرجت عن النزعه العربيه الأولى كانت تتجه إلى ما هو أجنبي، و سرعان ما وجدنا حتى من العلماء و المعترين من الأدباء من لم يجد غضاضه على مكانته أن يوءلف أسماراً من النثر السهل، غيتها مجرد التسليه؛ فمثلا ابتداءً أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، صاحب تاريخ الوزراء، بتأليف كتاب على نسق كتاب ألف ليله و ليله، فاختر ألف سمر من أسمار العرب و غيرهم، و كتب منها أربعمائه و ثمانين سمرًا، ولكن المنيه عاجلته قبل تتميمه الألف. و مما يجب ملاحظته أن الجهشياري لم يهتم لوصل قصصه بعضها ببعض؛ ولهذا الوصل سحره و تأثيره الخاص فينا، لأنه يحبنا في مواصله القراء بل جعل الجهشياري كل سمر قائماً بذاته، و يكفى ليله واحده(١).

و من هذا النوع الكتبُ المسليه التي ألفها القاضي التنوخي (المتوفى عام ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م). و أخيراً جاء الموءرخ الكبير مسكويه (المتوفى حوالي عام ١٠٢٩ هـ ١٠٢٩ م)، و كان أكبر موءرخي القرن الرابع، فألف كتاب « أنس الفريد »، وهو أحسن كتاب صُنّف في الحكايات القصار و الفوائد اللطاف(٢).

و هذه القصص الجديده هي من نوع يغير كل المغايره القصص القديمه التي ألفها ابن قتيبه و صاحب العقد؛ ففيها نجد لأول مره تمام الأسلوب القصص الإسلامى، أعنى طريقه القصص التي ليست عربيه خالصه: و إلى جانبها انتشرت كتبٌ شعبيه كثيره لا يعرّف موءلفوها؛ منها قصص في الفروسيه كالتى تحكى عن

١- الفرست ص ٣٠٤ .

٢- تاريخ الحكماء للفظى ص ٣٣١ ج ٣٣٢ من الطبعه الأوروبيه .

عروه بن عبدالله، و أبي عمر الأعرج، و كتب في النوادر و الحكايات مثل حكايات جحا و حكايات ابن المعالي المغنى المشهور، و كتب هزليه مثل قصه عاشق البقره، و السنور و الفأر(١)، و خرق الطائر، و كتاب ذات الطيب، ثم مجموعه كبيره من القصص الغراميه و خصوصاً حكايات الشعراء المشهورين و أهل الدهاء من النساء العاشقات. و كذلك شغلت قصص الحب بين الآدميين و بين الجن مكاناً كبيراً(٢)؛ وقد ذكر الموءرخ حمزه الأصفهاني حوالى عام ٣٥٠هـ ٩٦١ م أنه كان فى عصره من كتب السمر التى تتداولها الأيدى ما يقرب من سبعين كتاباً(٣).

و كان من بين هذه الكتب القصص التى كان يوءثرها أهل الطبقة الراقية و التى يغلب عليها الوله و اللذه بسفح الدموع؛ و كان يثير توله العشاق ما روى عن بنى عذره من أن أحدهم « كان يموت إذا عشق »، و عن أبطال القصص الغراميه الذين يموتون من شده الفقد، و تتضعض أعضاوءهم من شده الوجد(٤).

و إلى هنا وقف النثر العربى إلى اليوم.

٢ الشعر

كانت مدن العراق الكبرى مهداً لشعر المحدثين؛ أما قائدهم فيعتبر بشار بن

-
- ١- الأوراق للصولى ص ٩ .
 - ٢- الفهرست ص ٣٠٨ .
 - ٣- كتاب تاريخ سنى ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاه و السلام تأليف حمزه بن حسن الأصفهاني طبعه جوثقالد ص ٤١ ج ٤٢ .
 - ٤- الموشى للوشاء، طبعه ليدن ١٣٠٢هـ ص ٦٤ و ما بعدها .

برد الذى نشأ بالبصره، و توفى عام ١٦٨هـ ٧٨٤م (١). (فى التاريخ اشتباه).

و كان أبوه طياناً يضرب اللبن (٢).

وقد وُلد بشار أعمى، و كان ضخماً طويلاً عظيم الخلق و الوجه؛ وقد سخر منه رجل بأن قال له كأنك فيل عرضك أثقل من طولك؛ و ذلك عند ما روى له قول بشار:

فى حُلتي جسمٌ فتى ناكل *** لو هبّت الرِيحُ به طاحا (٣)

و كان بشار إذا أراد أن ينشد شعراً صفق بيديه، و تنحج، و بصدق عن يمينه و شماله، ثم ينشد، فيأنى بالعجيب (٤).

١- ألف المرزبانى (المتوفى عام ٣٧٨هـ) كتاباً كبيراً فى أخبار الشعراء المحدثى و جعل أولهم بشار بن برد و آخرهم ابن المعتز (الفهرست ص ١٣٢). و يقول ابن خلد الشاعر فى شطر بيت له : والآخروى يقودهم بشار (يتيمه الدهرج ٣ ص ٢٣٥)؛ و هو يسمى قائد المحدثين (حمزه الأصفهانى فى ديوان أبى نواس طبعه القايره ١٨٩٨ م، ص ١٠ ج ١١، و الحصرى على هامش العقد ج ٢ ص ٢١) .

٢- الأغانى ج ٣ ص ٢٠ .

٣- نفس المصدر ص ٢٢ و ٦٥. و يحكى عن رجل أنه قال: مررت ببشار، وهو منبطح فى دهليزه كأنه جاموس (نفس المصدر ص ٥٦) .

٤- نفس المصدر ص ٢٢. و كذلك كان البحترى من أبغض الناس إنشاداً، فكان يتشدد و يزاور فى مشيه مره جانباً و مره الفهقرى، و يهز رأسه مره و منكبه أخرى، و يشير بكمه و يقول : أحسنتُ واللّه؛ ثم يقبل على المستمعين فيقول: ما لكم لا تقولون: أحسنت، هذا و الله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله (الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٤٠٤). و كان فى بعض البلاد فى أثناء القرن الرابع الهجرى شعراء يظهرون شذوذ الشعراء كما كان الحال فى العصور المنقدهم؛ و يحكى عن أحدهم أنه دخل على بعض الولاة، وقد طين وجهه بطين أحمر، و لبس لبادا أحمر و عمامه حمراء، و أمسك عكازا أحمر، و لبس فى رجليه خفين أحمرين (كتاب الديارات ص ٨٦ ب) .

ويحكى عن رجل أنه قال: « عهدى بالبصره و ليس فيها غزلٌ ولا- غزله إلا- يروى من شعري بشار؛ ولا- نائحه»، ولا مغنيه إلا تتكسب به، ولا- ذو شرف إلا- وهو يهابه و يخشى معرّه لسانه(١)». على أن بشاراً قصد بغداد و أنشد قصائده أمام الخليفة المهدي؛ و يقال: إنه ألف اثني عشر ألف قصيده من الشعر، و هو من أحسن ما يوءثر(٢).

و كانت لغه شعر بشار هي لغه كل الشعراء القدماء؛ و يذكر أنه كان ينزل بظاهر البصره قومٌ من أعراب قيس عيلان؛ و كان فيهم بيان و فصاحه، فكان بشار يأتيهم و ينشدهم أشعاره(٣)؛ و كان بشار عليماً بأسرار اللغه حتى اعتبره اللغويون حجه. و لكن هذا كله كان على الطريقه القديمه، فلم يتكر الشعراء المحدثون صوراً جديده، ولا هم اكتشفوا ماده جديده إلا نادراً، وإن كانوا قد افتتحو قصائدهم بذكر الورد و النيلوفر و ما أشبههما من أزهار الرياض و البساتين، على حين كان أهل الباديه يفتتحون قصائدهم بذكر الخزامى و البهار و العرار و نحوها من زهر البريه(٤)، و إن كانوا أيضاً تركوا وصف حمار الوحش إلى وصف البهائم، كما فعل

١- الأغاني ج ٣ ص ٢٦ .

٢- و قد قتل بشار، و هو يناهز الستين أو نيف على السبعين؛ و قد نكبه الدهر بفقد جميع أصدقائه قبل ذلك. و قد قال في أشعاره إنه لم يبق إلا الناس الذين لا يعرفون ما هو الكلام؛ و قد ذم المهدي، فسعى به إليه، و قيل له إنه زنديق؛ فأمر بضربه ضرب التلف حتى مات؛ فألقيت حثته بالبطيحه، فحمله الماء إلى دجله البصره؛ فأخذ و دفن، و أخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمه له سواد سنده عجمه ما تفصح؛ روءيت تسير خلف جنازته و تصيح: وا سيداه وا سيداه! (الأغاني ج ٣ ص ٧١ ج ٧٢) .

٣- كتاب الأغاني ج ٣ ص ٥٢ .

٤- العمده لابن رشيق ص ١٥٠ طبعه مصر ١٣٢٥هـ ١٩٠٧ م .

القاسم بن يوسف أخو أحمد بن يوسف الكاتب الذي كان يتولى ديوان الرسائل المأمون(١)، أو إلى وصف القطط المنزليه، كما فعل ابن العلاف (المتوفى عام ٣١٨ هـ ٩٣٠ م) (٢).

أمّا الجديد فكان وهو البحث عن الطرائف البديعه التي تخالف المألوف و التي تسمّى الطيبه(٣)، وهو أثر من آثار تدهور الحضاره التي دخلت في الشعر العربي حينما آلت القياده إلى الأخلاط الذين سكنوا المدن.

وحدث في الشعر ما حدث في النثر؛ ذلك أن الميل إلى الطرائف و للسليات قتل في الناس الميل إلى شعر البطوله القديم؛ وقد امتدح الجاحظ، لأنه كان موءسس الطريقه الجديده التي تجمع بين الجد و الهزل؛ و كذلك نال بشارٌ ج زعيم الشعراء المحدثين ج إعجاب أبي زيد اللغوى و الأصمعى و أول ما أعجبهما فيه أنه كان يجدد و يهزل، على حين أن منافسيه من المتمسكين بمذهب الأوائل لم يكونوا يحسنون إلا واحداً من هذين(٤).

١- الأغاني ج ٢٠ ص ٥٦ .

٢- الدميري ج ٢ ص ٣٢١. لابن العلاف قصيده طويله رثى بها هراً. وقد اختلف في سبب عملها، فقيل : كان له قط حقيقه؛ فقتله الجيران، فرثاه. وقيل: بل رثى بها صديقه ابن المعتز، لم يصرح بذكره خوفاً من المقتدر، فورى بالقط . وقيل: بل هويت جاريه لعلى ابن عيسى لوزير غلاما لابن العلاف؛ ففطن بهما على بن عيسى، فقتلها جميعا. فرثى ابن العلاف غلامه و كنى بالهر (تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٣٦١ ج ٣٦٢ تحت عام ٣١٨)، وقد كتب الصاحب بن عباد مرثيه لقط عارض فيها ابن العلاف (يتيمه الدهرج ج ٣ ص ٢٣) .

٣- أخذت كلمه « طيب » تظهر في صفه ذلك، و هي من الكلمات المحبوه ند الجاحظ؛ انظر Vloten, Livre des Avars, S. ١١١

٤- الأغاني ج ٣ ص ٢٥ .

و كذلك أعجب الأصمعي في بشار أنه كان أكثر تصرفاً في فنون الشعر، و أغزر و أوسع بديعاً من غيره(١).

أما إسحاق الموصلي الذي كان يتحمس لمذهب القدماء فقد كان لا يعتدّ بشعر بشار، و يقول: هو كثير التخليط في شعره، و أشعاره مختلفه لا يشبه بعضها بعضاً، فمنها المتناهي في الجوده و منها غير الجيد؛ و هود يذكر لبشار هذين البيتين.

إنما عظم سليمى حَبَّتِي *** قصب السكر لا عظم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلاً *** غلب المسك على ريح البصل

و يقول إن هذا يزرى بشعره، مهما كان فيه من الجيد(٢).

و كان «طيب» ، و هو البديع المستطرف، في نظر الشعراء القدماء، شيئاً زائناً، لا حقيقه واره؛ و لكنه انتشر عند المحدثين، و كانت الكلمه الجاربه في وصف الشعر الحسن في القرن الثالث هي « البديع »، أي الطريف المستحدث(٣).

وقد كتب ابن المعتز (المتوفى عام ٣٩٦هـ ٩٠٩ م) ج و هو من أكبر الشعراء ج كتاباً خاصاً بهذا المعنى.

وقد تبوأ المعاني المقام الأول، كما هو الحال في كل شعر غايته الجرى وراء المستطرفات و كان الشعراء يتلمسون العبارات ذات المعاني الرائقه و التنوع في تأليف الأبيات الشعريه و فيما تتضمنه من تشبيهات و تصورات. و من هنا جاءت المعاني التي زاداها بشار بن برد و أصحابه، فإنهم أتوا « بمعان ما مرت قط

١- الأغاني ج ٣ ص ٢٤ .

٢- النفس المصدر ص ٢٨ .

٣- بل تتصل كلمه « بديع » من حيث الاشتقاق بمعنى ما هو فريد في بابه أو غريب أو مستحدث .

بخاطر جاعلى و لا مخضرم و لا إسلامى»(١).

وقيل لبشار: بَمَ فقتَ أهل عصرك فى حسن معانى العشر و تهذيب ألفاظه؟ قال: «لأنى لم أقبل كل ما تورده على قريحتى و يناجيني به طبعى، و يبعث به فكرى؛ و نظرت إلى مغارس الفطن، و معادن الحقائق، و لطائف التشبيهات؛ فسرت إليها بفكر جيد، و غريزه قويه؛ فأحكمت سيرها، و انتقيت حرها، و كشفت عن حقائقها، و احترزت عن متكلفها»(٢).

ومن شعر بشار الذى يعتبر «مستحدثاً» و مثالا المعانى المبتكره و الشعر الجيد قوله فى وصف حُبّه، و هو المكفوف البصر، لصوت امرأه تكلمت معه:

يا قوم! أذنى لبعض الحى عاشقه *** والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا ترى تهذى، فقلت لهم: *** الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

و هو يزيد هذا المعنى بساطه ودقه فى صورته أخرى له، حيث يقول:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها *** قلبى، وأمسى به من حبها أثر:

أنبى، ولم ترها، تهذى! فقلت لهم: *** إن الفوءاد يرى ما لا يرى البصر(٣)

١- العمده ج ٢ ص ١٨٥ .

٢- نفس المصدر .

٣- العمده ج ٢ ص ١٨٨؛ و تجد صورته أخرى لهذه الأبيات فى الأغانى ج ٣ ص ٦٧، وقد كان عمر بن أبى ربيعه هو صاحب طريقه قالوا و قلت فى شعر الغزل .

و كانت عادة الشعراء، فيما سلف، أنهم كانوا يشهون الخدود بالورد؛ أما اليوم فإن الورد يشبه بالخدود يضاف بعضها إلى بعض.

وقد أنشد أحد الشعراء أمام رجل هذا البيت:

عشيه حيانى بورد كأنه *** خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

فأعجب السامع حتى زحف إلى المنشد و طلب الزيادة(١).

وقد نال أعظم الإعجاب، و اعتبر من « البديع » قولُ ابن الرومى (المتوفى عام ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م) :

يجذب من نقرته طره *** إلى مدى يقصر عن نيله

فوجهه يأخذ من رأسه *** أخذ نها الصيف من ليله

وهو يشير بالليل و النهار إلى لون الشاعر الأسود و جمال بياض جلد الرأس(٢).

وكان ابن الرومى هذا متطرفاً فى حكمه على الشعراء المحدثين، حتى كان يزعم أن بشاراً أشعر الناس جميعاً ممن تقدم و تأخر(٣)، و هو حكم كأن يقفّ له شعر الأدباء و اللغويين فى ذلك العصر.

على أن ابن رشيق، ناقد الشعر المعروف (المتوفى عام ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م)، قرر بعد ذلك بمائتى عام أن ابن الرومى نفسه أكبر الشعراء المحدثين. و هو يروى له البيت المتقدم و يقدمه بقوله: فقال ابن الرومى، و أحسن ما شاء(٤).

١- كتاب الديارات ص ٥ ب .

٢- العمده ج ٢ ص ١٨٨ .

٣- حمزه الأصفهاني فى ديوان أبى نواس طبعه القايره ١٨٩٨ ص ١٠ .

٤- العمده ج ٢ ص ١٨٨، ١٩٤ (؟) .

وهذه الطريقة الجديدة قوّت ما عند الشعراء الموهوبين من ميل طبيعي إلى الاستقلال في روعيه الأشياء بعيونهم لا- بعيون المتقدمين و إلى الابتكار في عبارتهم، تقويه كبيره، و أصبح لا يحمد لهم أن يسيروا على المناهج السهله المطروقه. ولهذه الطريقه الجديده يرجع الفضل في هذه الملاحه الطبيعيه التي تشبه الكحل من غير تكحل و التي نجدها مثلاً في رثاء بشار لبنييه صغيره له(١):

يا بنتَ من لم يكُ يهوى بنتا *** ما كنت إلا خمسه أو ستا

حتى حلت في الحشى و حتى *** فنتت قلبى من جوى فانفتا

لأنتِ خيرٌ من غلام بتا *** يصبح سكران و يمسى بهتا

أو ما قيل في وداع جاريه(٢):

تقول غداه البين إحدى نسائهم: *** لى الكبدُ الحرى، فسِر! ولك الصبر

وقد خنقتها عبره، فدموعها *** على خدّها بيضٌ وفي نحرها صفر

أو فى أنواع التصوير القويه التي نجدها عند أبى نواس(٣) (المتوفى حوالى عام ١٩٥ هـ ٨١٠ م) و التي تذكرنا بما فى أغانينا الشعبيه من نحو تشبيهه فعل الحب بالقلب يفعل القط بالفأر(٤).

أو فى التمثيل الرفيع الذى نجده عند ابن المعتز (المتوفى عام ٢٩٦ هـ ٩٠٩

١- الأغاني ج ٣ ص ٦٣ .

٢- حله السكيت ص ١٩١ .

٣- نشأ أبو نواس فى البصره، و كثيراً ما كان يتبع بشاراً و يصب على قوالب معانيه، كما يقول حمزه الأصفهاني (ديوان أبى نواس ص ١٠). و يحكى عن الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م أنه قال: لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبى نواس (ديوان أبى نواس ص ٩) .

٤- ديوان أبى نواس، مخطوط فينا رقم ٧٣٤ ص ١٦٧ ب (٤) .

م) فى قوله (١):

و جـلـجـل رعد من بعيد كأنه *** أميرٌ على رأس اليفاع خطيب

أو قوله (٢):

رددتُ إلى التقى نفسى، فقرتُ، *** كما رُدَّ الحسامُ إلى القراب

أو قوله فى إحدى الخمريات (٣):

فانظر إلى دنيا ربيع! أقبلت *** مثل النساء تبرجت لزنانه

و الكمأه الصفراء بادٍ حجمُها، *** فبكلِّ أرض موسمٍ لحياء

أو قوله (٤):

زارنى، و الدجى أصمَّ الحواشى، *** والثريا فى الغرب كالعنقود

و هلال السماء طوق عروس *** بات يجلى على غلائل سود

أو قوله (٥):

أطال الدهرُ فى بغداد همى *** وقد يشقى المسافر أو يفوز

ظللت بها على كرهٍ مقيماً *** كعنين تعانقه عجوز

و كثيراً ما يكون فى شعر هوءلاء الشعراء ابتكارٌ كبير فمن ذلك قول أبى نواسن:

-
- ١- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٥. و كذلك يقول أبو تمام (فى الديوان طبعه بيروت ١٨٨٩م، ص ٣٧٠): فقام فيها الرعد كالخطيب و هنت الريح حنين النوب .
 - ٢- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٦ .
 - ٣- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٣٤ .
 - ٤- نفس المصدر ج ٢ ص ١١٠ .
 - ٥- نفس المصدر ص ١٢٢ .

تقول غداة البين إحدى نسائهم *** لى الكبدُ الحرى فسر! ولك الصبر

وقد خضبتها عبره، فلد معها *** على خدّها خدّ وفي نحرها نحر(١)

أو قول ابن المعتز(٢):

انظر إلى حُسن هلال بدا *** يهتك من أنواره الجندسا

كمنجلٍ قد صيغ من فضه *** يحصد من زهر الدجى نرجسا

أو قول ابن الرومى(٣):

وقد نشرت أيدي السحاب مطارقا *** على الدرّض دُكناً و هى خضرت على الأرض

يطرّزها قوسُ الغمام بأصفر *** على أحمر فى أخضر وسط مُبيضّ

كأذيال خود أقبلت فى غلائل *** مصبّغه، و اللعص أقصرّ من بعض

ونجد هذا الجرى وراء ما هو غير مألوف من المعانى الجديدة يتعشى فى الشعر العربى طول القرن الرابع الهجرى؛ وهو قد أيقظ جميع حواس الشاعر و تبّها تنبيها كبيراً، ليتخرج أعمق ما فى باطن الأشياء من أسرار، و ليكشف عن أغرب خصائصها. و أول ما نلاحظه أن الشعر لم يكن له بدّ من أن يقوم مقام الفن

١- ديوان أبى نواس ص ٨ .

٢- الديوان ج ٢ ص ١٢٢ .

٣- العمده ج ٢ ص ١٨٤ .

التصويرى؛ فالكثير مما يعبر عنه الشعر ما هو إلا-تصوير و رسم لما تجيش به نفس الشاعر و يضطر إلى إبرازه فى صورته من الألفاظ. وقد قويت فى الشعراء رغبه عظيمه للنظر بأعينهم، و قامت فى نفوسهم حاجه إلى النظر فى الأشياء نظره فنيه، وإلى الإبانه عنها إبانه توضحها لهم. و هذا ما لم يعرفه العرب الأولون؛ فقد كان فنههم فنا لغوياً أدواته الألفاظ. وقد اتصل العرب بشعوب أخرى تختلف عنهم اختلافا تاما؛ وقد كان لهذه الشعوب فنونٌ غير الفنون الكلاميه، ولكن العرب لما غلبوا عليهم علموهم الكلام لا التصوير، أى أنهم وضعوا فى أيديهم القلم بدلا من ريشه الرسام المصوّر؛ ولما آل الأمر إلى هذه الشعوب و أصبحت هى القابضه على زمام الفن الأدبى، زاد الشعر التصويرى زياده كبيره، بعد أن لم يجد أبو تمام ما يصلح للاختيار فى باب الأوصاف حتى يذكره فى ديوان الحماسه إلا بضعه عشر بيتاً. و كان شعراء العرب القدماء قد اختصروا دائماً فى وصف الطبيعه المحيطه به مبنوع خاص، و كانوا منذ القدم يذكرون شيئاً من وصفها فى شعر الشراب، و خصوصاً فى وصف الأيام امطره المُدجنه التى كان يحلو لهم فيها اشراب عاده؛ أما الشعراء المتأخرون فقد جاءوا فى هذا الباب بأدق التشبيهات؛ فيقول ابن الرومى مثلاً(١):

يومنا للنديم يوم سرور *** والتذاذ و نعمه و ابتهاج

ذو سماء كأد كن الخز قد *** غيبت و أرض كأخضر الديباج

و يقول الوزير أبو محمد المهلبى(٢):

١- يتيمه الدهرج ٢ ص ٢٠ .

٢- يتيمه الدهرج ٢ ص ٢٠ .

يوم كأن سماءه *** شبه الحصان الأبرش

و كأن زهره روضه *** فرشت بأحسن مفرش

فسماءه دكن الخروز *** و أرضه حصر الوشى

وكان القدماء يفضلون الشراب فى الليل أو عند طلوع الفجر الأول، فى الوقت الذى قال فيه ابن المعتز (١):

حان ركوع أبريق لكأس *** و نادى الديك حى على الصبوح

و كذلك قال أبو نواس فى قصيدتين له شيئاً من هذا، فمن ذلك (٢):

قد هتك الصبح ستور الدجى *** فأنحسرت أثوابه الجون

فأصبح نداماك سخاميه *** أتى لها فى دنّها حين

و بعد ذلك بنحو قرن نجد ابن المعتز قد جاء فى هذا بالكثير المتنوع فمن ذلك قوله (٣):

قم يا نديمى نصطح بسواد *** قد كاد ييدو الصبح أو هو باد

وأرى الثريا فى السماء كأنها *** قدم تبتت فى ثياب حداد

١- الديوان ج ٢ ص ٣٦ .

٢- ديوان أبى نواس ص ٣٤٩؛ وقد افتتح أبو نواس إحدى خمرياته بما هو أكثر تواضعاً: . طاب الزمان و أورك الأشجار و مضى الشتاء وقد أتى آذار . وكسى الربيع الأرض من أنواره وشيا تحار لحسنه الأبصار (ص ٢٩٠) . أما كلامه بعد ذلك عن الجنان الخضراء و غناء الأطييار فلا- يتمشى مع بقيه القصيده، ولعله من وضع المتأخرين؛ و من هذا القبيل ما نسبه المسعودى (مروج الذهب ج ٨ ص ٤٠٧ ج ٤٠٩) لأبى نواس من قتال بين الأزهار فى قصيده له؛ فهو لا يوجد فى الديوان، و أصله يرجع إلى المتأخرين .

٣- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٣٧ .

قد بدت فوق الهلال كرته *** كهامه الأسود شابت لحيته

على أنه فى عصر ابن المعتز نفسه بدأ الناس ينصرفون عن الشراب فى هذا الوقت الغريب، و ابن المعتز يصفه أحياناً بعدم الملامه، فمن ذلك قوله (٢):

إذا أردت الشرب عند الفجر *** والنجم فى لجه ليل يسرى

وكان برد بالنسيم يرتعد *** وريقه على الثنايا قد جمد

وللغلام ضجره و همهمه *** و شتمه فى صدره مجمجه

يمشى بلا رجل من النعاس *** ويدفق الكاس على الجلاس

أعجل من مساوكه وزينته *** و هيئه تنظر حسن صورته

فجاءهم بفسوه اللحاف *** محموله فى الثوب و الأعطاف

فأى فضل للصباح يعرف *** على الغبوق و الظلام مسرف

وعند ابن المعتز نفسه نجد الشعور بجمال الطبيعه و التمتع به يظهر قوياً فى الخمریات؛ فقد بدأ أصحاب الشراب يتمتعون بجمال الجنان و الأشجار، و يشربون بين الورد و النرجس و الجلنار و الأتقحوان و غناء الطيور، و ذلك كله فى الربيع « و موسم الحياه » (٣).

و فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى نبغ شاعران شاميان، و كانا صديقين؛ فأنش آ قصائد تغنياً فيها بالبساتين و ما لها من جمال دانى القطوف متنوع النواحي يخلب الألباب، و بلغا بذلك الشعر إلى الذروه.

١- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ١١٠ .

٢- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ١١٣ .

٣- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٣٤، ٥١، ١١٠ ج ١١١ .

أما أولهما أبو بكر محمد بن أحمد الصنوبري(١). ولد هذا الشاعر بأنطاكية؛ و كان أميناً على خزانه كتب سيف الدوله(٢).

و يدل لقبه، «الصنوبري»؛ على أنه هو أو أباه كان يتجر في خشب الصنوبر(٣).

ولما كان المخروط الشكل يسمى الصنوبى تشبيهاً له مجمل شجره الصنوبر(٤)، فقد يجوز أن يكون هذا الشاعر لقب بهذا اللقب على سبيل الإشاره إلى صفته و صورته. وله لقب آخر هو «الصينى»، وليس فى هذا ما يدعوننا إلى الظن بأنه ذهب إلى الصين؛ فقد كان بالكوفه مثلاً رجلاً يسمى الصينى، لأنه كان يتجر إلى الصين، فنسب إليها(٥). وقد مات الصنوبى فى عام ٣٣٤هـ ٩٤٥ م(٦)، و هو يناهز الخمسين على الأقل(٧). و نعرف من حياته أنه كان صديقاً

١- هكذا فى الفهرست ص ١٦٨، و عند أبى المحاسن(ج ٢ ص ٣١٢ تحت عام ٣٣٤): أحمد بن محمد بن الحسن الضبى الحلبي؛ و عند ياقوت (ج ٢ ص ٣١١): محمد بن مرار، و عند الكتبى (ج ١ ص ٦١): أحمد بن محمد .

٢- مطالع البدور للغزولى ج ٢ ص ١٧٦ .

٣- يذكر ابن حوقل (ص ١٢١) أنه كان على شط البحر مكان يعرف يحصن التينات فيه مقطع لخشب الصنوبر الذى كان ينقل إلى مصر و الشام و الثغور. و يقول الشريف الإدريسى(نزهه المشتاق فى اختراق الآفاق طبعه براندل ص ٢٣) إنه كان لبيروت غيضة أشجار صنوب مما يلى جنوبيها تتصل إلى جبل لبنان، و تكسير هذه الغيضة اثنا عشر ميلا فى مثلها .

٤- مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٢٠٧ .

٥- معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٤٤ .

٦- أبو المحاسن ج ٢ ص ٣١٢ .

٧- معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٦٦٥ .

للشاعر كشاجم، و أن كشاجم وصفه بأنه «بحرٌ ماله شط(١)»، و أنه طلب يد ابنته(٢)، و عزاه عن فقد ابنه أخرى له توفيت بكرًا(٣).

وقد تغنى كثيراً بذكر حلب والرقه، وهما أكبر بلدين كانا مقرًا لسيف الدوله. على أنه سكن الرُّها، و كان يجتمع فى دكان وِزاق يقال له سعد بكثير من أدباء الشام و مصر و العراق(٤).

و كانت له بمدينه حلب حديقته بها قصر فخم حوله الغروس و الرياحين و شجر النارج(٥)، ولذلك يسمى الحلبي.

وكان الصنوبى صغيراً فلم ينل مكانا فى كتاب الأغاني، و كان مسنناً فلم ينل مكانا فى يتيمة الدهر؛ ولذلك بقى ديوانه مفرقا، ولم يوجد منه إلا- أجزاء صغيره؛ و إن كان الصولى قد رتبته على حروف الهجاء، و جمعه فى مائتى ورقه(٦)؛ فلا بد أن تجمع بقاياها من كل ناحيه. يقول الصنوبرى فى وصف سرير من الشقيق أحاط به ورد أبيض(٧).

قد أحرق الورد بالشقيق *** خلال بستانك الأنيق

كأن حوله وجوه *** مستشرفات إلى حريق

ويقول(٨):

- ١- ديوان كشاجم طبعه بيروت ١٢١٣هـ، ص ١١٦.
- ٢- نفس المصدر ص ٧٤ و ما بعدها.
- ٣- نفس المصدر ص ٧١ و ما بعدها.
- ٤- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٣.
- ٥- ديوان كشاجم ص ٧٤.
- ٦- الفهرست ص ١٦٨.
- ٧- كتاب الديارات ص ٩٧.
- ٨- ريحانه الألباب للخفاجى ص ٢٥٦.

و كأن مُجَمَّرَ الشَّقِيقِ *** إذا تصوَّب أو تصعَّد

أعلام ياقوت نشرن *** على بساط من زبرجد

و يقول (١):

ياريم قومي الآن، و يحك! فانظري *** ما للرب قد أظهرت إعجابها

كانت محاسن وجهها محجوبه *** فالآن قد كشف الريح حجابها

وردُ بدا يحكى الخدود و نرجس *** يحكى العيون إذا رأت أحبابها

وثياب باقلاء يشبه نوره *** بلق الحمام مُشيله أذناها

و السرو تحسبه العيون غوانيا *** قد شممت عن سوقها أثوابها

و كأن إحداهن من نفح الصبا *** خودُ تلاعب موهنا أنرابها

و كنتُ أملك للرياض صيانه *** يوما لما وطئ اللثام ترابها

و يعتبر الصنوبرى النرجس ملكا للأزهار، فمن قوله فى النرجس (٢).

١- فوات الوفيات للكتبي ج ١ ص ٦١؛ و كتاب من غاب عنه المطرب للثعالبي، طبعه بيروت ١٣٠٩هـ، ص ٢٥.

٢- فوات الوفيات للكتبي ج ١ ص ٦١ طبعه القاهرة ١٢٩٩هـ.

أرأيت أحسن من عيون النرجس *** أم من تلاحظهن وسط المجلس

درر تشقق عن يواقيت على *** قضب الزمرد فوق بسط السندس

أجفان كافور حففن بأعين *** من زعفران ناعمات المامس

فكأنها أقمار ليل أهدقت *** بشموس أفق فوق غصن أملس

و النرجس هو أعظم أزهار الشام، وهو الذى يجعل مراعيها بيضاء ناصعه (١).

و كذلك وصف هذا الشاعر معركة بين الأزهار فقال(٢):

خجل الورد حين لاحظته النر *** جس من حسنه و غار البهار

فعلت ذلك حمرة و علت ذا *** صفره واعتري البهار اصفرا

وغدا الأقحوان يضحك عجباً *** عن ثنايا لثامهن نضار

ثم ثم النمام و استمع السو *** سن لما أذيعت الأسرار

عندها أبرز الشقيق خدودا *** صار فيها من لطمه آثار

سكبت فوقها دموع من الطل *** كما تسكب الدموع الغزار

فاكتسى البنفسج الغض أثوا *** ب حدا دخانها الصطبار

و أضرَّ السقام بالياسمين الغض *** حتى آذى به الإضرار

ثم نادى الخيرى فى سائر الزهر *** فوافاه جحفل جرّار

١- رحله ناصر خسرو (سفر نامه) ص ٣٩ من ترجمه شيفر (Scheefer). بعد ذلك يذكرنا ناصر خسرو بجزييره النرجس التى فى طرابلس الشام .

٢- فوات الوفيات ج ١ ص ٤١؛ و ينسب المسعودى (ج ٨ ص ٤٠٧) لأبى نواس قصيده يصف فيها قتالا بين الزهور حيث نجد الزهور، الحمراء مثل الورد و الجلنار و تفاح لبنان تحارب الأزهار الصفراء مثل النرجس و البهار و الأترج. و هذه النسبه لا يمكن أن تكون صحيحه لأسباب يقتضيها النقد الداخلى. ولا نجد هذه القصيده فى نسخه الديوان التى طبعت ببيروت، ولا يمكن أن تكون هذه القصيده من قول الصنوبرى لذكر باطنرجى فيها، ولأن الورد فيها يفضل على النرجس .

فاستجاشوا على محاربه النر *** جس بالجحفل الذى لا يبار

فأتوا فى جواشن سابغات *** تحت سجد من العجاج يثار

ثم لما رأيت ذا النرجس الغ *** ض ضعيفاً ما إن لديه انتصار

لم أزل أعمل التلطف للور *** د حذاراً أن يغلب النوار

فجمعناهمو لدى مجلس فى *** ه تغنى الأطيوار و الأوتار

لو نرى ذا وذا لقلت حدود *** تدمن اللحظ حولها الأبصار

و فى القرن الثالث وصف البحترى برکه فى دار الخلافه فقال:

تصبّ فيها وفود الماء مُعجّله *** كالخيل خالرجه من حبل مجريها

كأنما الفضه البيضاء سائله *** من السبائك تجرى فى مجاريها

إذا النجوم تراءت فى جوانها *** ليلا حسبت سماء ركبت فيها

لا يبلغ السمك المحصور غايتها *** لئبعد ما بين قاصيها و دانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحه *** كالطير تنقضّ فى جو خوافيها(١)

والآن تجد الصنوبرى يشبه برکه بموضع يصفه، تشبيها لا يخلو من تطرف و مبالغه، فيقول(٢):

هى الجو من وقه غير أن *** مكان الطيور يطير السمك

ولكن لما كان الصنوبرى شاعراً و صافاً للجنان فهو يقول فى تلك القصيده:

وقد نظم الزهرُ نظم النجوم *** فمفترق النظم أو مشتبك

وكان الصنوبرى، وهو أول شاعر للطبيعه فى الأدب العربى، يجمع إلى ذلك

١- ديوان البحترى ج ١ ص ١٧ .

٢- الحصرى على هامش العقد ج ١ ص ١٨٣ .

ولوعاً شديداً بالسماء و الضياء والهواء مع التطلع إلى أسرارها الجميله، فهو يقول في إحدى أغاني الربيع (١):

إن كان في الصيف ريحاً و فاكهه *** والأرض مستوقد و الجو تُنور
و إن يكن في الخريف النخل مخترقاً *** فالأرض عريانه و الجو مقرر
و إن يكن في الشتاء الغيث متصلاً *** فالأرض محصوره و الجو مأسور
ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا *** جاء الربيع أتاك النور و النور
و الأرض ياقوته و الجو لوء لوءه *** و النبت فيروزج و الماء بلور
تبارك الله! ما أحلى الربيع! فلا *** تغرر فقائسه بالصيف مغرور
من شم طيب جنيات الربيع يقل *** لا المسك مسك ولا الكافور كافور
و كان أول من تغنى بالقصائد الثلجيات، و من ذلك قوله (٢):

ذهب موءوسك يا غلا *** م فإنه يوم مفضض

١- قارن فوات الوفيات للكتبي ج ١ ص ٦١، و نثر النظم ص ١٤٥ .

٢- نثر النظم للتعالي طبعه دمشق ١٣٠٠هـ ، ص ١٣٧ .

والجو يجلى في البيا***ض وفي حلّى الحدّر يعرض

أتظن ذا ثلجاً وذا***ورد على الأغصان ينفض

ورد الربيع ملون***والورد في كانون أبيض

وقد ترك الصنوبرى آثاراً قوية في الأدب العربى، وقد ظهر أول أثر له عند كشاجم(١) شريكه في الوطن و صديقه الحميم؛ وقد عبّر كشاجم عن هذه الصداقه بقوله(٢):

أتنسى زمنًا كنا***به كالماسء في الخمر

ألفين حليفين***على الإيسار و العسر

مكّين على اللذا***ت في الصحو و في السكر

ترى في فلک الآدا***ب كالشمس و كالبدر

وقد سار كشاجم في شعره على الطريق الذى رسمه صديقه الصنوبرى، فاقتدى به، في التغنى بملذات العين، فمن ذلك قول كشاجم(٣):

أقبلت في غلاله زرقاء***زرقه لقيت يجرى الماء

قتأملت في الغلاله نهبا***جسد النور في قميص الهواء

هى بدر، و إنّ أحسن لون***ظهر البدر فيه لون السماء

و هو يصف مليحه في لباس حداد بقوله:

في حداد كأنها***ورده في بنفسج

١- كان كشاجم شاعرا كاتباً؛ وإلى جانب ذلك كان منجماً و صاحب مطبخ لسيف الدوله، (انظر ديوانه و يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٥٧).

٢- ديوان كشاجم ص ٧٤ .

٣- ديوان كشاجم ص ٦ .

و يقول فى غلام:

كلف الفوءاد بشادن أبصرته *** فى مآتم يبكى بطرف أدعج

ما زال يخمش خده ببنانه *** حتى تنقب ورده ببنفسج (١)

وقال يتغزل فى نهر قويق بحلب (٢):

والأرض تكسى بزهرالر *** ياض وشيا معمد

كأن خرد عينا *** بها يضاحكن خرد

....

وحمره فى شقيق *** و خضره فى زبرجد

وأقحوان كعقد *** من لوء لوء قد تبدد

والنرجس الغض يرنو *** إلى البهار النضد

كما أشار حبيب *** إلى حبيب بموعد

والنهر بين اعتدال *** من سيره و تأود

كأفحوان تلوى *** ثم الستوى و تمدد

كأن فيه سيوفاً *** مهندات تجرد

فتاره هى تنضى *** وتاره هى تغمد

كأن لنيلوفر النه *** ر فيه سراج توقد

طوراً تضىء و طوراً *** بشده الريح تخمد

وهو يقول فى وصف نيل مصر (٣):

٢- نفس المصدر ص ٤٨ و ما بعدها .

٣- كتاب الديارات ص ١١٥ .

كأن النيل حين أتى بمصر *** وفاض بها و كسرت التراع

و أحدق بالقرى من كل وجه *** سماوات كواكبها ضياع

و كذلك نظم قصائد في وصف الثلج منها قصديه أولها:

الثلج يسقط أم لجين يسبك *** أم ذا حصا الكافور ظل يقرك

على أنه في هذه القصيده قال ما يدل على عدم انصقال الذوق، و من ذلك قوله في وصف الثلج:

راحت به الأرض الفضاء كأنها *** من كل ناحيه بثغر تضحك (١)

وكان لكشاجم كثير من المعجبين، وقد قال أحدهم:

يابوءس من يمى بدمع ساجم *** يهمى على حجب الفوءاد الواجم

لولا تعلقه بكأس مدامه *** ورسائل الصابى و شعر كشاجم (٢)

و كان كشاجم يلقب في منتصف القرن الرابع الهجرى « ريحانه أهل الأدب » في بلاد الموصل؛ و كان الخالديان: أبوبكر محمد و أبوعثمان سعيد ابنا هاشم شاعر بن كبيرين في الموصل؛ و كان بهذه المدينة من الشعراء السرى بن أحمد الكندى المعروف بالرفاء. و كلهم ج رغم ما كان بينهم من تنابز و عداوه و كيد ج كانوا يسيرون في طريق كشاجم، و ينهجون منهجه. و كان السرى يشنع على الخالديين بغض منهما؛ فكان ينسج ديوان كشاجم، و يدسّ فيه أحسن شعر الخالديين، ليزيد في حجم ما ينسخه من شعر كشاجم، و يظهر صدق ما يدعيه على الخالديين من سرقة شعره، ولذلك يقول الثعالبي: « فمن هذه الجهه وقعت

١- ديوان كشاجم ص ١٤٠ .

٢- يتيمه الدهر ج ٢ ص ٢٤ .

فى بعض النسخ من ديوان كشاجم أشعارٌ ليست فى الأصول مشهوره منها، وقد وجدتها كلها للخالدين»(١).

و كان أبو الحسن محمد بن عبدالله السلامى (المتوفى عام ٣٩٤هـ ١٠٠٤ م) من أشعر أهل العراق؛ وورد الموصل صبياً، فوجد بها أبا عثمان الخالدى و شيوخ الشعراء، فعجبوا منه، و اتهموه بأن الشعر ليس له، فاتخذ الخالدى دعوه، و جمع الشعراء، و حضر السلامى معهم؛ فلما توسّطوا الشراب أخذوا فى ملاحاته و التفتيش على قدر بضاعته، فلم يلبثوا حتى جاء مطر شديد و برّد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجاً كان بين أيديهم على ذلك البرّد، و قال: يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف هذا، فقال السلامى ارتجالاً(٢).

لله درّ الخالدى *** الأوحى الندب الخطير

أهدى لماء المزن عن *** د جموده نار السعير

حتى إذا صدر العتا *** ب إليه عن حنى الصدور

بعثت إليه بعذره *** من خاطرى أبدى السرور

لا تعذلوه فإنه *** أهدى الخدود إلى الثغور

١- اليتيمه ج ١ ص ٤٥٠ ج ٤٥١. و من رسائل الصابى رساله بعث بها إلى الخاديين برّاً فيها نفسه مما ظناه به من مساعده السرى على عداوتهما و الرضا بطعنه عليهما. و قال فيها أيضاً إن السرى سأله استماع شعر مدخه به، فلم يجبه إلى ذلك إلا بعد أن شرط عليه إلا- يعرض فى ذلك ذكر للخاديين بسوء و لا- غمز. و يذكر الصابى أيضاً أن السرى أحضر نفسه من شعره فيها أشعار للخاديين، فأخرج ما عنده من نسخ لشعرهما، و ناظر السرى عليها ليثبت أنها ليست له : انظر رسائل الصابى مخطوط ليدن ص ٣٤ ج ٣٥ ب .

٢- يتيمه الدهر ج ٢ ص ١٥٧ ج ١٥٨ .

وقال أحد الخالدين في وصف الفجر(١):

أرعى النجوم كأنها في أفقها *** زهر الأفاحي في رياض بنفسج

والمشترى وسط السماء تخاله *** و سناه مثل الزئبق المترجرج

مهما تبر أصف ركبته *** في فص خاتم فضه فيروزج

و تمايل الجوزاء يحكى في الدجى *** ميلان شارب قهوه لم تمزج

و تنقبت بخفيف غيم أبيض *** هي فيه بين تحفز و تبرج

كتنفس الحسناء في المرآه إذ *** كملت محاسنها و لم تتزوج

و يقول أيضاً(٢):

و مدامه صفراء في قاروره *** زرقاء تحملها يد بيضاء

فالأراح شمس و الحباب كواكب *** و الكف قطب و الإناء سماء

و كان الوزير المهلبى شاعراً في مرتبه أرقى من مرتبه الطبقة الوسطى من الشعراء؛ وقد أنشأ مجلساً حافلاً للأدباء، و كان يحب الطيبه و الشراب، فنشر طريقه الصنوبرى ببغداد. و يحدّثنا الصاحب بن عباد في كتاب الروزنامجه، و هو يوميات رحلته إلى بغداد، أن الوزير المهلبى كان كثير الإنشاد لشعر الصنوبرى(٣)؛ بل المهلبى ينسج على منوال أستاذه، فيصف الثلج، وهو من الأعاجيب ببغداد، و من ذلك قوله(٤):

الورد بين مضمّخ و مضرّج *** والزهر بين مكلل و متوّج

١- نفس المصدر ج ١ ص ٥١٤ .

٢- نفس المصدر ص ٥١٩ .

٣- يتيمه الدهرج ٢ ص ١٢ .

٤- نفس المصدر ج ٢ ص ٢٠؛ و تجد قصيده أخرى للمهلبى في كتاب من غاب عنه المطرب للثعالبي، طبعه بيروت ١٣٠٩ هـ ، ص ٤٨ .

والثلج يهبط كالنثار، فقم بنا! *** نلتذ بابنه كرمه لم تمزج

و كذلك يقول القاضى التنوخى ج و كان من ندماء المهلبى ج متأثراً بطريقه الصنوبرى فى وصف امرأه مسها خجل، وقد بدت فى رداء مُعصفر(١).

لم أنس شمس الضحى تطالعنى *** و نحن من رقبه على فرق

و جفن عيني بدمعه شرق *** لما بدت فى معصفر شرق

كأنه أمعى ووجنتها *** لما رمنا الوشاه بالحدق

ثم تغطت بكمها خجلا *** كالشمس غابت فى حمرة الشفق

و يقول(٢):

لم أنس دجله و الدجى متصوّب *** والبدر فى أفق السماء مغرب

فكأنها فيه بساط أزرق *** و كأنه فيها طراز مُذهب

وإذا وجدنا سيف الدوله صاحب حلب يشبه نار الكانون و الرماد بوجهه عذراء مسها خجل فاستترت بحجاب أشهب، فهو يرى ذلك بعين الصنوبرى(٣).

و كذلك الواثقى يتأثر بالصنوبرى حين يصف نار فحم الغضا بقوله(٤):

وليله شاب بها المفرق *** قد جمد الناظر و المنطق

كأنما فحم الغضا بيننا *** و النار فيه ذهب محرق

١- الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٣٨ .

٢- يتيمه الدهر ج ٢ ص ١٠٩ و الإرشاد ج ٥ ص ٣٣٥ .

٣- يتيمه الدهر ج ١ ص ٢١ : كأنما النار و الرماد معا و ضوءها فى ظلامه يحجب . و جنه عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر أشهب .

٤- اليتيمه ج ٤ ص ١١٣ .

أو سبج في ذهب أحمر*** بينها نيلوفر أزرق

ولما قال الصاحب بن عباد بخراسان أواخر القرن الرابع في الثلج:

هات المدامه يا غلام معجلاً*** فالنفس في قيد الهوى مأثوره (١)

أو ما ترى كانون ينثر ورده*** و كأنما الدنيا به كافوره

لا حظ أبو بكر الخوارزمي أن هذه و أمثالها من الثلجيات كلها عيال على قول الصنوبري (٢).

و كان الشريف أبو الحسن العقيلي بمصر حوالي عام ٤٠٠هـ تمثل طريقه الصنوبري في الوصف، وكان من أكبر المبرزين في هذا الباب، « وكان له متنزهات بجزيره الفسطاط، ولم يكن يشتغل بخدمه سلطان ولا يمدح أحداً» (٣)، ومن شعره (٤):

و نهر من الأنهار ألقى يد الصبا*** عليه شقيقاً ناره تتضرم

كأن ابيضاض الماء تحت احمراره*** صفيحه سيف قد جرى فوقها الدم

وقد أهمل وصف المسموعات إهمالاً شديداً؛ فمثلاً وصف السلامي الشاعر (المتوفى عام ١٠٤٣٩٤ م) السكر المبني بشيراز من غير أن

١- الظاهر ان الصحيح (مأسوره).

٢- نفس المصدر ج ٣ ص ٩٥ .

٣- المغرب لابن سعيد ص ٥٢ .

٤- نفس المصدر ٧٨ .

يذكر شيئاً عن خريبر المياه أو صوتها(١)؛ ولم أجد من هذا القبيل إلا مثالا في شعر للأمير البويهى عز الدوله، و هو قوله فى سياق قصيده له(٢)، وصفه فيها مجلساً على شاطئ الدجله:

والماء ما بين الغصون مصفق *** مثل القيان و قسن حول الزامر

وفى أواخر القرن الرابع الهجرى أولع الأدباء بوصف جمع الأشياء على اختلافها، فنجد وصف الميزاب إلى جانب وصف الشاعر سورته فى المرآه(٣)، وذلك إرضاء لرغبة الناس فى المستحدث. وقد وصف المأمونى الشاعر ببخارى جميع أصناف الأطمعه من جبن و زيتون و السمك المشوى و ماء الخردل و البيض المفلق و الفالودج و الهريسه و غيرها كثير(٤).

وقال أبو العباس الفضل بن على الأسفراينى من كور نيسابور فى وصف شمعته نصبت فى بركه:

و شمعته وسط أيمن البرك *** تميمس فى الماء ميس مرتبك

كأنها البدر فى السماء سرى *** فحار فى أوجه الفلك

وقال فى فواره أفلت تفاحه:

وفواره سائل ماؤها *** بتفاحه مثل خد العشيق

١- يتيمه الدهر ج ٢ ص ١٧٨ ج ١٧٩ .

٢- نفس المصدر ج ٢ ص ٥ .

٣- كما فعل القصار الشاعر المعروف بصريح الدلاء المتوفى عام ٤١٠هـ . انظر تتمه يتيمه للثعالبي مخطوط فينا رقم ٦٦٨ ص ٢٨ ب (٤) .

٤- يتيمه الدهر ج ٤ ص ٩٤ ج ١١٢ .

كمنفخه من رقيق الزجا*** ج تدار بها كره من عقيق(١).

وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر الحاجب الشاعر المصري (المتوفى عام ٣٨٧هـ ج ٩٩٧ م) فى وصف الهرمين(٢):

أنظر إلى الهرمين إذ برزا*** للعين فى علو وفى سعد

و كأنما الأرض العريضة قد*** ظمئت لطول حراره الكبد

حسرت عن الثديين بارزه*** تدعو الإله لفرقه الولد

فأجابها بالنيل يشبعها*** ريا و ينقذها من الكمد

و مما هو عظيم الدلاله أننا لا نجد فى الشعر العربى مكانا للمكدين الطوائف قبل القرن الرابع، فمن ذلك قول الأحنف العكبرى مفتخرا(٣).

على أنى بحمد الله*** فى بيت من المجد

ياخوانى بنى ساسان*** أهل الجد و الجد

لهم أرض خراسان*** فقاشان إلى الهند

إلى الروم إلى الزبج*** إلى اللبغار و السند

إذ ما أعوز الطرق*** على الطراق و الجند

حذاراً من أعاديهم*** من الأعراب و الكرد

قطعنا ذلك النهج*** بلا سيف ولا غمد

و من خاف أعاديه*** بنا فى الروع يستعدى

وقد دخل فى الأدب على أيدي المكدين شعر حرمزهر ترنموا به، كما دخل

١- نفس المصدر ص ٣١٦ .

٢- الخطط للمقرئى ج ١ ص ١٢١ .

٣- يتيمه الدهر ج ٢ ص ٢٨٥ ج ٢٨٦ .

الشعر العاطفى الغنائى المرح الذى لا تكلف فيه. و أكبر شعراء المكدين و ظريفهم هو الأحنف العكبى، من مدينه عكبى بالعراق؛ و هو لم يعبأ فى خمر ياته بوصف شىء من جمال الطبيعه الذى يلتذ منه الشعراء، فمن قوله(١):

شربت بماخور***على دفّ و طنبور

وصوت الطبل كردم***وصوت الناي طليز

فصرنا من حمى البيت***كأنا وسط تنور

وصرنا من أذى الصفع***كمثل العمى و العور

لقد أصبحت مخموراً***ولكن أى مخمور

وقال يصف آلام المكدين(٢):

عشت فى ذله و قله مال***واغتراب فى معشر أنذال

بالأمانى أقول لا بالمعانى***فغذائى حلاوه الآمال

لى رزق يقول بالوقف فى ال***رأى و رجل تقول بالاعتزال

و قال:

العنكبوت بنت بيتّ على وهن***تأوى إليه و مالى مثله وطن

و الخنفساء لها من جنسها سكن***و ليس لى مثلها إلف و لا سكن

ولا نجد فى هذا الشعر صناعه لفظيه ولا زخرفه ولا عبارات من التى تجرى

١- نفس المصدر ج ٢ ص ٢٨٧، و يروى عن الخليفة المعتمد أنه قال: . ويمضى الأمير أبو أحمد*** و يضرب بالطبل كردم كدم . (انظر كتاب الديارات ص ٤٢ ب) .

٢- اليتيمه ج ٢ ص ٢٨٦، و كتاب الإعجاز للشعالبي ص ٢٣٦، و كتاب ثمار القلوب فى المضاف و المنسوب للموءلف نفسه ص ٣٤٢ .

مجري الأمثال أو الحكم. هذا هو الأسلوب الذي جرى عليه الأدب الفرنسي من عهد فيلون Villion إلى عهد فرلين Verlain. وقد جرى على هذه الطريقة الشاعر محمد بن عبدالعزيز السوسي، أحد شياطين الإنس؛ فقد قال قصيده تربي على أربعمائه بيت، وصف فيها حاله و تنقله في الأديان و المذاهب و الصناعات و قد افتتحها بقوله:

الحمد لله! ليس لي بختٌ *** ولا ثيابٌ يَصْمُها تخت(١)

و إلى جانب هذا الشاعر نجد الشعراء الشعبيين الذين ظهرُوا في مدن العراق الكبرى مثل أبي الحسن محمد بن لنكك البصرى، « و ما أشبه شعره في الملاحه و قله مجاوزه البيتين و الثلاثه إلا بشعر كنيه أبي الحسن بن فارس .. إذا قال البيت و البيتين و الثلاثه أغرب بما جلب و أبدع فيما صنع؛ فأما إذا تصد القصيد فقلما يفلح و ينجح(٢)»؛ و بان سكره الذى كان شاعراً متّسع الباع، إذ يقال إن ديوانه يربى على خمسين ألف بيت، منها أكثر من عشره آلاف بيت قالها فى قينه سوداء يقال لها خمره(٣).

١- تجد القصيده كامله فى اليتيمه ج ٣ ص ٢٣٧ .

٢- اليتيمه ج ٢ ص ١١٦ ج ١١٧؛ وقد جمع ابن لنكك ديوان نصر بن أحمد الخيزارزى البصرى الشاعر المتوفى عام ٣٣٠هـ ج ٩٤١ م (المنتظم لابن الجوزى ص ٧٠ ب)؛ و كانت أشعار الخيزارزى قصائد قصيره فى الغزل، و كانت حرفته خبز الأرز، فكان يخبز و ينشد أشعاره و الناس يزدحمون عليه ليسمعوها؛ و كان معظمها فى الغلمان، و كان أحداث البصره يتنافسون فى ميله إليهم و ذكره لهم، و يحفظون كلامه لقرب مأخذه و سهولته (يتيمه الدهر ج ٢ ص ١٣٢). و يقول المسعودى عام ٣٣٣هـ ج ٩٤٤ م. (المروج ج ٨ ص ٣٧٤) « وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا من شعره». و كان الخبز أرزى محبوباً حتب بعد موته .

٣- اليتيمه ج ٢ ص ١٨٨ .

و كان أكبر هوءاء الشعراء الشعبيين غير مدافع ابن الحجاج الذى كان ببغداد، و توفى عام ٣٩١هـج ١٠٠١ م(١).

و كان نحيفاً ولذلك يقول(٢):

لا تخافى على دقه كسحى *** لا تكال الرجال بالقفزان

وقد قال مدافعاً عن نفسه، لما خرج هارباً من غزائه(٣):

هربت من وطنى إلى بلد *** قد صفر الجوع فيه منقارى

يقول قوم: فرّ الخسيس، ولو *** كان فتى كان غير فرار

لا عيب لا عيب فى الفرار فقد *** فرّ نبى الهدى إلى الغار

و يظهر أنه قال فى ذلك الوقت العصب هذين البيتين الآتين مفتخراً(٤):

قد قلت لما غدا مدحى، فما شكروا *** وراح ذمى، فما بالوا و لا شعروا

على نحت القوافى من معادنها وما على إذا لم تفهم البقر

و كان ابن الحجاج لسخفه ورداءه لسانه مخشى الجانب، مقضى الحاجه،

١- هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد؛ توفى فى طريق النيل بالعراق، و هو عائد منها، فى ٢٧ جمادى الآخرة (وفى كتاب الوزراء ص ٤٣٠ لسبع بقين من سنة ٣٩١هـ)، و دفن إلى جانب قبر جعفر الصادق محبه منه للشيعة؛ وقد أصر أن يكتب على قبره: و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد (سورة الكهف آيه ١٧). انظر الهمذانى مخطوط باريس ص ٣٤٠ ب (٤). و كان يسكن سوق يحيى، وقد تغنى بها فى شعره(انظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ١٩٥).

٢- اليتيمه ج ٢ ص ٢٤٢ .

٣- نفس المصدر ص ٢٢٨ .

٤- نفس المصدر ص ٢٦٠ .

مقبول الشفاعة؛ ولم يزل أمره يتزايد حتى حصّل الأموال، و صار من أهل الجاه؛ وقد قال ابن الحجاج نفسه لبعض الرؤساء، حين كتب إليه يذكر أن سخره جاوز التناهي:

سیدی! سخری الذی قد *** صار یأتی بالدواهی

أنت تدری أنه ید *** فعن مالی و جاهی (١).

وقد كان ابن الحجاج من أولاد العمال، و اشتغل بالكتابة في أول أمره، ثم ضمن فرائض الصدقات بسقى الفرات، و صار أخيراً محتسباً على مدينة بغداد. ولشّد ما حسده ابن سكره، زميله في المذهب الشعري، لأنه كان أقل نجاحاً من ابن الحجاج (٢).

و كان ابن الحجاج في قصائده يستعمل عبارات المكّدين و أهل الشطارة (٣).

وقد أتاح هو أمثاله فرصه لظهور الفحش المستبشع في المدن الشرقيه، فرفع هذا الفحش رأسه بعد أن كانت قد أخدمته الروح العربيه و أخرجته من الأدب العربي؛ لأن الذي كان يسيطر على النزعه الأدبيه هم البدو الذين هم أكثر عفه و اعتدالاً (٤).

و ما أشبه ابن الحجاج برجل كانت تقيده سلطه خارجيه، فتححرر منها و انطلق

١- نفس المصدر ص ٢١١؛ و ديوان ابن الحجاج مخطوط بغداد (مرغائه) نسخه الموءلف ص ٢٥٨ من ج ١٠ .

٢- ديوان ابن الحجاج ج ١٠ ص ٢٤٠، و كتاب الوزراء ص ٤٣٠ و اليتيمه ج ٢ ص ٢١٩ .

٣- اليتيمه ج ٢ ص ٢١١ .

٤- ولو أراد الإنسان أن يفحص عن أصل هوءلاء المجان الذين يجاهرون بالفحش لوجد أكثرهم يقال عنه مثل ما قبل عن ابن الراوندى (المتوفى عام ٢٩٨ هج ٩١١ م): الماجن المنسوب إلى الهزل و الزندقه، و كان أبوه يهوديا فأسلم (أبو المحاسن ج ٢ ص ١٨٤ من طبعه ليدن) .

فى السخف. و كان أساس مبالغته فى ذلك أنه أراد أن يتخذ من الإسراف فى الفحش طريقاً لمعارضه الشعرا الآخرين الذين كانوا يعالجون فى شعرهم الموضوعات الحسنه؛ و هو يقول(١):

وشعري سخفه لابد منها*** فقد طبنا و زال الاحتشام

و هل دار تكون بلا كنيف*** فيمكن عاقلا فيها المقام

و هو يقول :

ترانى ساكناً حانوت عطر*** فإن أنشدتُ ثار لك الكنيف

و من قوله:

و من كل يحوى العطرَ دكان شعره*** فإنى كنّاس و شعري مخرج

ولهذا جاء فى كتاب فى الحسبه لموءلف متأخر ما يقضى بمنع الصبيان من حفظ أشعار ابن الحجاج و انظر فيها و بضربهم على ذلك(٢).

ولكن يظهر أن ابن الحجاج لم يلحقه عند معاصر به ضرر بسبب ذكره للمقاذر و إفصاحه عن السخف و الفحش و المجون. فمثلاً- كان الشريف الرضى نقيب العلويين و أكبر أصحاب المكانه فى الدوله العباسيه من أكبر المعجبين بابن الحجاج و المتعصبين له؛ وقد رثاه بقصيدته، و اختار من شعره السليم أشياء كثيره. وقد حمل إليه الخليفه الفاطمى، صاحب مصر عن مديح مدحه به ألف دينار مغريه على سبيل الصله(٣).

و يحكى أنه كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين. وقد سأل

١- اليتيمه ج ٢ ص ٢١٤ .

٢- مجله المشرق السنه العاشره ص ١٠٨٥ .

٣- كتاب الوزراء ص ٤٣٠، و ديوان ابن الحجاج ج ١٠ ص ٢٣٧ .

الهنكري مُعنى سيف الدوله ابن الحجاج أن يصنع شعراً لينتني به بين يدي سيده، فألف له شيئاً (١).

ويقول ابن الحجاج نفسه (٢).

لو جدّ شعري رأيت فيه *** كواكب الليل كيف تسرى

و إنما هزله مجون *** يمشون به في المعاش أمرى

وكان ابن الحجاج لا يبنى جُلَّ أقواله إلا على سخر، « ولم يرَ كاقْتداره على ما يريد من المعاني مع سلامه الألفاظ و عذوبتها؛ و كان لا يبالي بالوزن و القافيه؛ و قد حوى ديوانه كثيراً من الكلمات غير المعروفه أخذها من لغه العامه ببغداد في القرن الرابع الهجري (٣).

و كان يعرف النماذج الشعريه المأثوره، غير أنه يتجاهلها و يعارضها معارضه سخرية و هزل، فما قاله عند موت سبكتكين.

واستی تبكى بفرد عين *** لفقد عيني سبكتكين

إلى أن قال:

ما لكنيف دفنت فيه *** لا زال يسقى غيث البطون (٤)

ولكننا نرى بين حين و آخر من خلال هذا الضباب الذي يتكون من السخر

١- يتيمه الدهرج ٢ ص ٢١٥، ٢٢٦ .

٢- نفس المصدر ص ٢١٣ .

٣- و من أسف أنها لم تشرح إلا شرحاً جزئياً و ذلك في نسخه الديوان المحفوظه بالمتحف البريطاني .

٤- ديوان ابن الحجاج مخطوط بغداد ص ٨٠؛ و مخطوط دار الكتب المصريه رقم ٧٣٤٢ ص ٦١ ج ٦٢ .

والمجون معاني و ألفاظاً مثل كواكب الليل، و نستطيع أن ندرك لماذا كان معاصر و هذا الماجن يعدونه شاعراً كبيراً.

أمياً المتنبى الذى يرجع أصله إلى العراق أيضاً، والذى نشأ فى الشام، فنجدته يتمسك بطريقه العرب القدماء، خلافاً لهؤلاء الشعراء (١) المحدثين.

كان أولئك الشعراء واقعيين فى نزعتهم الشعرية، فكانوا يتغنون بما يرونه و يحسونه و يشاهدونه؛ أما المتنبى فهو مثال للأستاذ العالم الذى يستهويه المعنى الكلى؛ فمن ذلك أن رجلاً خرج للصيد مره، و كان معه كلب فطرد به ظيماً، ولم يكن معه صقر، فاستحسن صيد الكلب؛ وقال للمتنبى. وَدِدْنَا يَا أَبَا الطَّيِّبِ لَوْ كُنْتَ مَعَنَا! فقال له: أنا قليل الرغية فى مثل هذا؛ فقال له الرجل. إنما اشتيت أن تراه، فتستحسنه، و تقول فيه شيئاً؛ فأجاب المتنبى إنه يستطيع أن يفعل ذلك من غير أن يحضر الصيد أو يرى الكلب؛ وقال قصيده وصف بها الكلب و سرعته، على الطريقة المأثوره (٢).

١- و كذلك كان الشاعران الشاميان أبو تمام (المتوفى عام ٢٣٠هـ ج ٨٤٥ م) و البحتري (المتوفى عام ٢٨٤ هـ ج ٨٩٧ م) محافظين، و قد نهجا طريق أسلافهما من شعراء دمشق و هم الفرزدق و جرير و الأخطل. على أنه قد بلغ من الحس الشعرى عند البستري أنه قال: إن أبا نواس أشعر من مسلم بن لوليد، لأنه يتصرف فى كل طريق، إن شاء جد و إن شاء هرل. و مسلم يلزم طريقاً لا يتعداه؛ فليل له إن ثعلباً لا يوافق فقال: ليس هذا من علم ثعلب و أضرابه ممن يحفظ الشعر و لا يقوله، و إنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه؛ (انظر: Goldziher, Abhandlungen Zur arabischen Philologie S, ١٦٤, Anm,)

٢- على أنه كان بالشام شاعر مشهور هو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى المعروف بابن الرعمق المتوفى عام ٣٩٦هـ. و قد تصرف بالشعر الحزل فى أواع الجد و الهزل، و كان بالشام كابن الحجاج فى العراق (يتيمه الدهر ج ١ ص ٢٣٨ ج ٢٦١)؛ انظر للاستزاده من أحباره معاهد النصيص مخطوط برلين رقم ٧٢٢٤ ص ١٥٦.

٢- ديوان المتنبى طبعه القايره ١٣١٥هـ ج ١٨٩٨ م ص ٩٧ ج ٩٨.

و كان المتنبي كثير الأخذ من ابن المعتز على تركه الإقرار بالنظر في شعر المحدثين (١).

وقد عاداه شعراء العراق كابن سكره و ابن لنكك (٢)، و ابن الحجاج (٣)، و عملوا على ثلبيه و التماجن به و التنادر عليه؛ وقد انتهى إلينا وصف محاوره جرت بينه و بين أحد الشعراء لما ورد المتنبي مدينة السلام. و تدل هذه المحاوره على سوء ما وقع بين المتنبي شاعر الملووك و بين أدباء بغداد؛ ذلك أن المتنبي قدم إلى مدينة السلام، وقد التحف رداء الكبير، و صَعَّر خده؛ فذهب إليه الحاتمي الشاعر، فوجده يلبس سبعة أفييه، كل قباء منهالون، مع أن الوقت كان أحرّ أيام الصيف و أخلقها بتخفيف اللبس؛ فأعرض المتنبي عنه، و تجاهله، ولم يسأله عن قصده، ثم كلمه الحاتمي و أغلظ له القول (٤).

و كذلك كان أبو فراس الشاعر الشمي (المتوفى عام ٣٥٧هـ ج ٩٩٨ م) ينسج على منوال القدماء، لم يحد عن ذلك قط . و أغرب ما نراه فيه قله تعرضه في قصائده، أو بالأخرى أنه لم يرد أن يتعرض في قصائده، لذكر الحروب الشعراء التي كانت ناشبه في غرب المملكةه الإسلاميه؛ و نظراً لأنه كان ابن خال

١- اليتيمه ج ١ ص ٩٨ .

٢- نفس المصدر ج ١ ص ٨٥ ج ٨٦ .

٣- ديوان ابن الحجاج مخطوط بغداد ص ٢٧٠ .

٤- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٥٠٥ و ما بعدها؛ و طراز المجالس للخفاجي طبعه مصر ١٨٩٤ م، ج ٢ ص ٦٥ و ما بعدها و اليتيمه ج ١ ص ٨٥؛ وقد ترك أبو العلاء الشاعر الشامي مدينة بغداد في عام ٤٠٠هـ، وذلك لأن الرضى طعن في المتنبي و مدحه أبو العلاء، فأخرجه الرضى من الغرفه (انظر مقدمه مرجليوث لرسائل أبي العلاء ص ٢٨، وقد ألف أبو العلاء شرحاً كبيراً لأشعار المتنبي سماه كتاب العلائق و الغصون انظر: Kremer, SWA, ١١٧, S. ٨٩.

سيف الدوله الأمير الحمدانى، فلا بد أن يكون قد ذاق الكثير من أثر حوادث ذلك العصر، وإن كان الكثير من شعره فى الفخر ليس إلا-خيالا-لا-حقيقه واره. وقد يستحيل على من لم يكن ملما بحوادث ذلك العصر أن يستنبط من قصائده أن الروم و المسلمين و النصرى كانوا يتحاربون بجيوش جزاره مسلحين بأكمل سلاح حربى عرفه ذلك العصر؛ ولا يزيد وصفه لهذه الحروب الكبيره فى شعره عما يمكن أن يقال فى وصف قتال بين قبيلتين من البدو. ولا أرى فى القصائد التى قالها فى سجنه ببلاد الروم إلا أنها نثر مسجوع؛ و إذا وجدنا من يبالغ فى امتداحها من الموءلفين كالمصاحب و الثعالبى فهذا برهان جدير على ضعف الفارق بين الكاتب و الشاعر.

وقد ولد الشريف الرضى عام ٣٦١هـ ج ٩٧٠ م ببغداد؛ و كان فى الثلاثين من عمره، لما مات ابن الحجاج؛ و كان الرضى شاعراً عظيماً، وقد اختار من شعرا بن الحجاج كتاباً سماه الحسن من شعر الحسين (١).

وكان الشريف الرضى سيداً كبيراً انحدر من شجره عظيمه عريقه النسب، فلم يستطع مخالفه التقاليد و النزول إلى ما نزل إليه ابن الحجاج من إسفاف و معالجه لنواحي الحياه التى لا تليق بالرضى؛ فقد كان أبوه نقيباً للعلويين جميعاً، فلما مات فى سنه ٤٠٠هـ ج ١٠٠٩ م تولى الرضى منصب أبيه و جميع ما كان يتقلده و يعهد به إليه، و إن لم يكن الشريف أكبر إخوته. و كانت داره مثال الأبهره فى المظهر، و قد اتخذ داراً لطلبه العلم سماها دار العلم، و هياً لهم فيها ما يحتاجون

إليه(١).

وكان الرضى مشهوراً بأنه لا يقبل من أحد شيئاً، وقد رفض مره هديه من وزير(٢)؛ و كان فخوراً بأنه قاضٍ على من تحت أمره من العلويين؛ و كان ينسب إلى الإفراط في معاقبه الجاني منهم، وله في ذلك حكايات مشهوره؛ منها أن امرأه علويه شكت إليه زوجها، و أنه يقامر بما يتحصل له من حرفه يعانيها، و أن له أطفالاً، و هو ذو عيله و حاجه؛ و شهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت؛ فاستحضر الرجل، و أمر به فبطح، و أمر بضربه؛ فما زال يضربه، و المرأه تنتظر أن يكف، و الأمر يزيد، حتى بلغ ضربه مائه خشبه، فصاحت المرأه: و ايتم أولادى ! كيف تكون صورتنا إذا مات ! فكلهما الشريف بكالم فظ، و قال : ظننت أنك تشكينه إلى المعلم(٣)؟ و كان الشريف الرضى أول عظيم من عظماء العلويين ألقى سلاح النضل و غير لباس السواد بلباس البياض على الرسم العباسى للعمال و رجال الخلافه تاركا الشعار الذى كان يلبسه آوءه بكبرياء يوازي ما كانوا يشعرون به من حزن. و هو يشير في بعض شعره إلى أن حذره راجع إلى شىء من الك آبه و الهم التى انطوت عليه نفسه؛ فهو يقول مثلاً(٤):

أروم التنصافى من رجال أبعاد *** ونفسى أعدى لى من الناس أجمع

١- نفس المصدر ص ٣ .

٢- نفس المصدر ص ٢، ٣ .

٣- ديوان الشريف الرضى ص ٣ و ص ٩٢٩ .

٤- نفس المصدر ص ٥٠٥، ٥٠٦، و كان الشريف لا ينشد شعره إلا للخلفاء، حتى قال أعداؤه لبهاء الدوله إنه يتكبر عليه بترك الإنشاد بين يديه (الديوان ص ٩٥٤). و مما يجب أن يلاحظ من أسباب ك آبته أنه ولد لأبيه و هو فى الخامسة و الستين من العمر .

و يقول:

إذا لم تكن نَفْسُ الفتى من صديقه *** فلا يحدثن في خله الغير مطلباً

و يقول:

و قالوا: تعلق! إنما العيش نومه *** تقضى، و يمضى طارقُ الهم أجمع

ولو كان نوماً ساكناً لحمدته *** و لكنه نوم مروع مُفَرَّع

ولم يكن يخرج من فم هذا الرجل النبيل حقيقه كلمه واحده من الكلمات القبيحه التى يتلفظ بها العامه، و التى نرى مثلها عند إبراهيم الصابى صاحب ديوان الرسائل و عند الوزير المهلبى، و عند الوزير ابن عياد. و إذا كان غيره من الشعراء قد استباحوا لأنفسهم فى الدم كل قبسح فإننا لا نجد للشريف الرضى فى باب الهجاء أقوى من ذمه لمغنّ بارد قبيح الوجه، و هو(١):

تغفى منظره العيون إذا بدا *** و تقىء عند غنائه الأسماع

.....

أشهى الينا من غنائك مسمعاً *** زجل الضراغم بينهم قراع

و إذا كنا نجد رجلاً كالشريف الرضى قد كلف نفسه مشقه قراءه ديوان ابن الحجاج و انتخاب أشعاره الخاليه من السخف و المجون، ثم ألف مرثيه لهذا الشاعر(٢) فإن فى ذلك شرفاً لهذين الرجلين معاً. على أن الرضى كان أكثر ميلاً إلى المتنبي، لأن ابن جنى صاحب الشرح لديوان المتنبي كان أستاذة؛ و هو يقول الشعر فى كل ما كان يقرض الشعر فيه الشعراء المتمسكون بمذهب القدماء فى

١- ديوان الرضى ص ٥٠٤.

٢- الديوان ص ٨٦٢ ج ٨٦٤.

ذلك العصر كالتهنئة بالنيروز، و عيد الفصح، و بشهر رمضان، و بانتهاء شهر الصوم، و باللمهرجان، و بالتهنئة بمولد بنت أو ولد، و بمدح الخلفاء و السلاطين و الوزراء، و برثاء من يموت من العظماء أو من المقربين إليه، و خصوصاً برثاء الحسين في عيد وفاته، و هو يوم عاشوراء. و هو يفتخر بأهل بيته و بالأشراف، و يشكو الزمان و الشيب. وقد شكى المشيب و هو شغير، كما جرى عرف الشعراء؛ ولحسن الحظ حلق الشريف مقدّم رأسه مره و فاء بيمين، فوجد شعراً أبيض، و كان إذ ذاك في العشرين من العمر، فكان هذا على الأقل سبب شخصي يبرر له أن يبدأ الكلام في المشيب (١).

و يعتبر الشريف الرضى في تاريخ الأدب العربي سيد أصحاب المراثي (٢)، و هو يفعل ذلك متبعاً للطريقه المأثوره تماماً من غير تعرض لشخص المرثي، و هذا غريب و مما لا يكاد يصدق.

و في سنة ٣٩٢هـ ج ١٠٠٢ م فقد الشريف الرضى أستاذه و صديقه ابن جنى اللغوى المشهور وقد بدأ رثاءه له بالشكوى من الفناء، و هو يقول (٣):

كأنا قذى برمى به السيل كلما *** تطارح ما بين الربى و الأبارق

-
- ١- و يروى مثل هذا عن أبي فراس الأمير الشامي الشاعر، وقد لو حظ أنه أخذ ذلك من أبي نواس. أما أبيات أبي فراس فهي: (نقلا- عن كتاب: Dvorak: Abu Firas ١٨٩٥, S. ١٤١): عذيري من طوالع في عذارى ومن رد الشباب المستعار. و ثوب كنت ألبسه أنيق أجرر ذيله بين الجوارى. و ما زادت على العشرين سنى فما عذرى المشيب إلى عذارى.
 - ٢- اليتيمه ج ٢ ص ٣٠٨.
 - ٣- ديوان الشريف الرضى ص ٥٦٤.

ثم يمضى مكثراً من تساوءله أين؟ مثل قوله:

فأين الملوك الأقدمون تساندوا *** إلى جدم أحساب كرام المعارق

.....

وبعد هذا يذكر ما امتاز به الفقيد من المواهب فيقول:

فمن لأوابى القول يبلو عراكها *** و يحذفها حذف النبال الموارق

إذا صاح في أعقابها اضطردت له *** ثواني بأعناق طرد الوسائق

وسومها مُلس المتون كأنها *** نرائع من آل الوجيه ولا حق

تغلغل في أعقابهن وسومه *** بأبقى بقاء من وسوم الأياتق

ومن للمعاني في الأكمه ألقيت *** إلى باقر غيب المعاني وفاتق

يطوح في أثنائها بضميره *** مرير القوى ولاج تلك المضايق

تسئم أعلى طودها غير عاثر *** و جاوز أقصى ضحضها غير زالق

وهنا ينتهى كلام الشريف الرضى عن صفات المرثى؛ أما بقيه القصيده فهو مما يصلح أن يقال فى كل رثاء.

وزعم أن الشريف الرضى كان يقيم ببغداد عاصمه المملكه، و كان عالماً هدياً، فإنه تجاوز حياه المدين، و مضى فى شعر الفروسية الخيالى من كلام فى الحرب و الصحراء و الجمال و كرام الخيل.

على أن الكثير من شعره ثمره لتجربته الخاصه أحس به إحساساً عميقاً، و عبر عنه تعبيراً خاصاً به، بحيث نستطيع أن نستشف من وراء هذه الأشعار التى تجرى على نسق واحد أنه تلميذ لابن الحجاج. و من غرر قصائد الشريف الرضى القصيده التى ألقاها فى مجلس الخليفه القادر، حينما جلس يحتفل بالحجيج من

أهل خراسان و مطلعها(١):

لمن الحدوج تهزهن الأيتق *** والركب يطفو فى السراب و يغرق

يقطعن أعراض العقيق فمشتم *** يحدو ركائبه الغرام و مُعرق

أبقوا أسيراً بعدهم لا يفتدى *** مما يجن و طالباً لا يلحق

يهفو الولوع به فيطرف طرفه *** و يزيد جولان الدموع فيطرق

و من أروع قصائده قوله فى النسيب(٢) بامرأظ جميله فى قافله تسير ليلا:

طلعت و الليل مشتمل *** سابغ الأذيال و الأزرق

من خصائصات الغييط، وقد *** غرّد الحادى على أقر

ورقاب القوم مائله *** من بقايا نشوه السهر

فاستقاموا فى رحالهم *** يتبعون الضوء بالنظر

فامترينا، ثم قلت لهم: *** ليس هذا مطلع القمر

و هكذا نجد الصنوبرى و المتنبى و ابن الحجاج و الشريف الرضى يقفون جنباً لجنب فى القرن الرابع الهجرى، و كل واحد منهم يشبه فى الناحية التى نبغ فيها قمه تشرف على كل القرون التالیه للأدب العربى.

تم الجزء الأول

١- ديوان الشريف الرضى ص ٥٤١.

٢- نفس المصدر المتقدم ص ٣٩٤.

تعليقات الفصل السابع عشر

[*١] سبقت ترجمته في تعليقات الفصل الثالث عشر (٨٩).

[*٢] تأتي ترجمته (الرقم ١١٠).

[*٣] قال في الشذرات \$شذرات الذهب ج ٢ ص ١٩٦-١٩٧. فيها أي سنة ٢٨٨ مات ثابت بن قره بن هرون و يقال: ابن هرون الحاسب الحكيم الحراني، قال ابن خلكان كان صابئى النحلة و له تأليف كثيره فى فنون من العلم مقدار ٢٠ تأليفاً.

[*٤] لقد اشتبه و أخطأ كبيراً، فان امه فيها أميرالمؤمنين عليه السلام و أولاده المعصومين عليهم السلام لا مجال لحسد أمثال من ذكر بل هو عليه السلام النبراس و المقياس فانه عليه السلام جمع بين الأضداد من الخصال، و لقد أجاد ابن أبى الحديد فيما يقول:

فيك يا اعجوبه الكون غداً الفكر قليلاً *** أنت حيرت ذوى اللب و بلبت العقولا

[*٥] تأتي ترجمته فى التعليق (٣٧).

[*٦] فمنه ما حكى عن سطیح \$تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥. الكاهن حين توجه إليه عبدالمسيح رسول كسرى فى حوادث وقعت لمولد رسول الله صلى الله عليه و آله منها رؤيا المؤبدان، كان ابلاً عرباً تقود خيلاً صعباً حتى قطعت دجله و انتشرت فى البلاد، فوجده فى آخر رمق فنادى فى اذنه باعلى صوته، إلى، فقال عبدالمسيح على جمل مشيح نحو سطیح حين اشفى على ضريح، بعثك ملك بنى ساسان، بهدم الايوان، و خود النيران، و رؤيا المؤبدان، رأى ابلاً عرباً تقود خيلاً صعباً حتى قطعت دجله و انتشرت فى البلاد، يابن ذى يزن تكون هنه

و هنات و يموت ملك و ملكات بعدد الشرافات، اذا غاصت بحيره ساوه، و ظهرت التلاوه، بأرض تهامه، و ظهر صاحب الهراوه فليست الشام لسطيح شاماً ثم فاضت نفسه.

[٧*] بالله جعفر بن أحمد، بويح لثلاث عشره ليله خلت من ذى العقده سنه ٢٩٥ و يكنى بأبى الفضل و قتل ببغداد بعد صلاه العصر لثلاث بقين من شوال سنه ٣٢٠ فكانت خلافته ٢٤ سنه و أحد عشر شهراً و ١٦ يوماً و بلغ من السن ٣٨ و ١٥ يوماً.

[٨*] عبر عنه فى الشذرات \$شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٦\$. بالوزير العادل أبى الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب، وزر مرات لمقتدر، ثم القاهر و كان محدثاً عالماً ديناً خيراً كبير الشأن على الاسناد، قال و عاش ٩٠ سنه و كان فى الوزراء كعمر بن عبدالعزيز فى الخلفاء و نقل عنه كسبت ٧٠٠ الف دينار أخرجت منها فى وجوه البر ٦٠٠ الف دينار. أرخ وفاته سنه ٣٣٤.

[٩*] تأتى ترجمته (الرقم ١٧).

[١٠*] البغاء \$نقس المصدر ج ٣ ص ١٥٢\$ الشاعر المشهور أبوالفرج عبدالواحد بن نصر المخزومى النصيبى، مات سنه ٣٩٨ لقبوه بالبغاء لفصاحته و قيل للثغه فى لسانه.

[١١*] أرخ وفاته فى الشذرات \$شذرات الذهب ج ٣ ص ٣١ و ما بعده\$. سنه ٣٦٠ و وصفه بالوزير العلامه، و هو أبوالفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدوله الحسن بن بويه صاحب الرى، كان آيه فى الترسل و الانشاء فيلسوفاً متهماً برأى الحكماء، و كان يقال بدأت الكتابه بعيد الحميد و ختمت بابن العميد، قال و كان الصاحب بن عباد تلميذه و ذكر له قصه طويله مع ابن

نباته حريه بالنظر.

[*١٢] هو أبو القاسم \$شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٣-١١٤-١١٥، رياض العلماء ج ١ ص ٨٤-٩١، معجم رجال الحديث ج ٣ ص ١٠٠-١٠٣، تنقيح المقال ج ١ ص ١٣٥، روضات الجنات ج ٢ ص ١٩-٤٣، الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٥١٠، عمده الطالب ص ١٩٥. \$الصاحب بن عباد اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادريس الطالقاني وزير مؤيد الدوله أبي منصور بن بويه و فخر الدوله و صحب أبالفضل الوزير ابن العميد، قال: و كان من رجال الدهر حزمًا و عزمًا و سوددًا و نبلاً و سخاوه و حشمه و افضالًا- و عدلاً، و أطال في وصفه صاحب الشذرات، و انه كان شيعيًا، و ذكر عن أبي الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي، ان نوح بن منصور أحد ملوك (بنى سامان) كت إليه ورقه في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته و تدبير مملكته و كان من جمله اعذاره اليه، انه يحتاج في نقل كتبه خاصه الى ٤٠٠ جمل فما الظن بما يليق بها من التجمل ذكر وفاته ١٤ صفر بالرى ثم نقل الى اصفهان و لما توفي اغلقت له مدينه الرى و اجتمع الناس على باب الفصر ينتظرون خروج جنازته و حضر مخدومه فخر الدوله و ساير القواد و قد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاحب الناس بأجمعهم صيحه واحده و قبلوا الأرض، و مشى فخر الدوله امام الجنازه مع الناس، و له ترجمه في كل من الرياض والمعجم و التنقيح و الروضات و الكامل و في الرياض نقلًا عن عمده الطالب: ان كتبه تحتاج إلى ٧٠٠ بعير و حكي الشيخ الرافعي انها كانت مأه ألف و أربعة عشر ألفاً و في غير واحد ان الصدوق قدس سره ألف لأجله عيون الأخبار.

و في الروضات \$روضات الجنات ج ٢ ص ٢٢. \$ و سفينه البحار \$سفينه البحار ج ٢ ص ١٤. \$، لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً

من كان فيخرج من داره الا بعد الافطار عنده و كانت داره لا تخلو في كل ليله من ليالى شهر رمضان من ألف نفس مفطره فيها و كانت صلاته و صدقاته و قراته في مقدار الشهر تبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنه.

[١٣*] هو العدوله و لا يقبل شهادته عليه شرعاً و عرفاً مع وضوح مبالغته فيما ذكره و ما سبق عنه نقله انه كذاب.

[١٤*] استوزر (١) المنتصر أحمد بن الخصيب و ندم على ذلك، ركب أحمد ذات يوم فتظلم إليه متظلم بقصته، فاخرج رجله من الركاب، فزج بها في صدر المتظلم فقتله، و ذكر عنه انه قليل الخير كثير الشر شديد الجهل، كناه في الشذرات بأبي العباس و انه وزر للمنتصر والمستعين، ثم نفاه لى المغرب و ذكر وفاته سنه ٢٤٥.

[١٥*] هو (٢) أبو على محمد بن على بن حسن بن مقله الكاتب، صاحب الخط المنسوب، و قد وزر للخلفاء غير مره ثم قطع يده و لسانه و سجن حتى هلك (عن العبر) و عن غيره انه أشار على الراضى بمسك ابن رائق فبلغ ابن رائق، فحبس ابن مقله، ثم أخرج و قطعت يده فكان يشد القلم عليها و يكتب و يتطلب الوزاره أيضاً، و يقول ان قطع يده لم يكن فى حد و لم يعقه عن عمله، ثم بلغ ان رائق دعاؤه عليه و على الراضى، فقطع لسانه و حبس إلى أن مات فى أسوء حال، و دفن مكانه، ثم نبشه أهله فدفنوه فى مكان آخر، ثم نبش و دفن فى موضع آخر، و ذكر انه ولى الوزاره ثلاث مرات لثلاث خلفاء المقتدر والطاهر والراضى، و سافر ثلاث مرات و دفن ثلاث مرات، أرخ وفاته سنه ٣٢٨.

[١٦*] هو أبو محمد (٣) الحسن بن محمد الأزدي من ذريه المهلب بن أبى صفره وزير معز

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٤٩، مروج الذهب ج ٤ ص ١٣٢-١٣٥.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٠-٣١١، الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٢٠٠-٢٠١.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٩-١٠.

الدوله بن بويه، و كان من رجال الدهر حزمًا و عزمًا و سؤددًا و عقلاً و شهامه ورأيًا، و عن ابن خلكان، كان الوزير المهلبى قبل اتصاله بمعز الدوله فى شده عظيمه من الضروره و الضائقه، و كان قد سافر مره لقى فى سفره مشقه صعبه، و اشتهى اللحم فلم يقدر عليه، ثم ذكر له قصه لطيفه، أرخ وفاته سنه ٣٥٢، و كانت (١) مده وزارته ثلاث عشره سنه و ثلاثه أشهر و كان كريماً فاضلاً ذا عقل و مروه فمات بموته الكرم.

[١٧*] هو (٢) أبوبكر محمد بن محمد بن أحمد بن مالك، له جزء مشهور، وفاته سنه ٣٥٢.

[١٨*] هو أبو اسحق (٣) ابراهيم بن هلال الصابئى المشرك الحرانى الأديب، صاحب الترسل و كاتب الانشاء للملك عز الدوله بختيار، الح عليه عز الدين أن يسلم فامتنع و كان يصوم رمضان و يحفظ القرآن، و لما مات عضد الدوله هم بقتله لأجل المكاتبات الفجيه التى كانت يرسلها عز الدوله بانشائه إلى عضد الدوله، ثم تركه لشفاعه، و أمره أن يضع له كتاباً فى أخبار الدوله الديلميه فعمل الكتاب التاجى، فقيل لعضد الدوله ان صديقاً للصابى دخل عليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد و التبييض، فسأله عما يعمل؟ فقال: أبا طيل آنمقها و أكاذيب الفقها فحركت ساكنه و هاجت حقه و لم يزل مبعداً فى أيامه، أرخ وفاته سنه ٣٨٤، و كذا فى الكامل (٤) و قيل ٣٨٠، أقول: الظاهر ان الذى مات هو عز الدوله و هم عضد الدوله بقتله.

[١٩*] هو السيد الرضى (٥) كما فى الشذرات بقصيدته الداليه المشهوره أولها:

١- الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٣٣٠.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١١.

٣- شذرات الذهب جص ص ١٠٦-١٠٧.

٤- الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٥٠٨.

٥- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٧.

أرأيت من حملوا على الأعواد*** أرأيت كيف خبا ضياء النادى

و عابته الناس لكونه شريفاً يرثى صابئياً، فقال انما رثيت فضله.

[* ٢٠] أبو طاهر (١) الوزير نصير الدوله محمد بن محمد بن بقيه بن على، أحد الرؤساء الأجواد تنقلت به الأحوال و وزر لمعز الدوله بختيار، و قد كان أبوه فلاحاً، ثم عزل و سمل، و لما تملك عضد الدوله قتله وصلبه فى شوال سنه ٣٦٧ و لم يزل مصلوباً إلى أن توفى عضدالدوله فأنزل عن الخشبه و دفن فى موضعه، و له و لراثيه قصه ذكرها فى الشذرات.

[* ٢١] هو أبو منصور (٢) بختيار، الملقب بعز الدوله ابن الملك معز الدوله أحمد بن بويه الديلمى، تزوج الطائع ابنته شاه زمان على صداق مبلغه مائة ألف دينار، و كان عز الدوله ملكاً سريعاً شديداً القوى يمسك الثور العظيم بقرنيه قيصره، التقى مع ابن عمه عضد الدوله فقتل فى المصاف و حمل رأسه فى دست وضع بين يدي عضدالدوله فلما راه، وضع منديله على عينيه وبكى، قاله ابن خلكان، ارخ ذلك سنه ٣٦٧.

و فى الكامل (٣) ذكر اسره واحضر عند عضدالدوله فلم يأذن بادخله إليه و أمر بقتله فقتل.

[* ٢٢] أبو العباس (٤) عبدالله، شاعر، أديب، راوى، نقاد الشعر والأدب العربى الكبير فى إلى مكه و لما ان صارت الخلافه بعد سنه إلى المعتمد أرجعهم إلى سامراء و آخر الأمر أضجعوه على الثلج و ملاؤا جوانبه منه ذلى أن مات سنظ ٢٩٦، و عن ابن خلكان أخذه

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٦٣-٦٤.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٥٩.

٣- الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٤٢٨.

٤- دائره المعارف الاسلامى الكبيره ج ٤ ص ٦٣٢-٦٣٥ و شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٢.

المقتدر (و كان مختفياً بعد أن بايعوه بالخلافه متلقباً بالمرتضى بالله أو المنصف بالله، أو الغالب بالله، أو الراضى بالله، و أقام يوماً و ليله) و سلمه إلى مونس الخادم الخازن، فقتله و سلمه إلى أهله ملفوفاً فى كساء.

و فى الكامل (١) انه عصرت خصيته حتى مات، و ذكر له تصانيف.

[*٢٣] ذكره المسعودى (٢) فى قضيه خلع المستعين و البيعه للمعتز (زبير بن جعفر المتوكل) سنة ٢٥٢ و انه قدم على المعتز عبدالله بن عبدالله بن طاهر، و هو أخو محد بن عبدالله بالبرد و القضيبي و السيف و بجوهر الخلافه و معه شاهك الخادم.

[*٢٤] هو (٣) محمد بن العباس الخوارزمى الشاعر المشهور، و يقال له الطبرخى لأن أباه كان من خوارزم و امه من طبرسان، فركب له من الاسمين نسبه و هو ابن اخت أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ.

[*٢٥] عنوانه فى دائره المعارف (٤) بمحمد بن محمد (جمادى الاخره @@) يعنى موته و قال وزير مشهور.

[*٢٦] ذكر ابن أبى الحديد (٥) اجتماعه بالخليل بن أحمد و سمع كل منهما كلام الآخر، فسئل الخليل عنه، فقال وجدت علمه أكثر من عقله، و هكذا كان، و يظهر من كلامه انه كان كاتب عمى المنصور عيسى و سليمان ابنى على بالبصره، و ان المنصور أمر بقتله عامله بالبصره سفيان بن معاويه، و انه قطع أعضائه عضواً عضواً و ألقاها الى النار و هو

١- الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٧.

٢- مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٤.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٥.

٤- دائره المعارف ج ١٢ ص ٢٧٩.

٥- شرح النهج الحديدى ج ١٨ ص ٢٦٩-٢٧٠.

ينظر إليها حتى أتى على جميع جسده، ثم اطبق التنور عليه، الى، و ذهب دمه هدرأ، و ولادته (١) و قتله كما يظهر من دائره المعارف كان ١٠٦-١٤٢ و له ترجمه ضافيه فى هذا الكتاب و لقتله عامل مؤثر و سماه عبدالله.

[٢٧] ذكر المسعودى (٢) خروج أبى تمام حبيب بن اوس الطائى الجاسمى فى أيام الواثق الى سر من رأى، فلما قرب منها لقيه اعرابى، قال فأردت أن أعلم خبير العسكر منه و ذكر انه سئل عن اخى سليمان بن وهب، و بعد أن أجابه، قال قلت: فما تقول فى أخيه الحسن؟ قال عود نضير، غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز لهم حصدوه.

و فى موضع آخر (٣) وصفه بالكاتب قال و كان شاعراً ظريفاً له حظ فى المنثور و المنظوم و ذكر له قصيده و أشعاراً.

[٢٨*] كاتب (٤) و شاعر فى زمن العباسيين، عد من البلغاء العشره، له ارتباط وثيق مع المأمون عد نديماً له و آخر الأمر قيل حبس فى بيته إلى أن مات سنه ٢١٢.

[٢٩*] هو أول (٥) ملوك ساسان و لا خلاف بينهم فى انه من ولد منوشهر و صار الملك اليه بعد الطوائف.

[٣٠*] ابن بختك (٦) وزير حكيم فى زمن خسرو الأول انوشيروان الساسانى ٥٣١-٥٧٩ من الميلاد كان مدرس العلم بكتاب بمرو، و سبب تعليه انه عبر رؤيا لا نوشيروان،

١- دائره المعارف الاسلامى الكبيره ج ٤ ص ٦٦٢-٦٦٤.

٢- مروج الذهب ج ٤ ص ٦٦-٦٧.

٣- مروج الذهب ج ٤ ص ٧٥-٧٦.

٤- دائره المعارف الكبيره ج ٧ ص ١٧-١٨.

٥- مروج الذهب ج ١ ص ٢٧٧.

٦- دائره المعارف ١٢ ص ٨٥-٨٨.

و صار أكرم وزرائه، له ترجمه مفصله فى دائره المعارف.

و قال المسعودى (١) فى كلام له، انه غضب ابرويز و أمر به (بزجرمهر) فضرب عنقه.

و نقل عنه (٢) انه قال لانوشيروان حين جلوسه يوماً للحكماء ليأخذ من آدابهم، سألهم عن حكمه فيها منفعه لخاصه نفسه و عامه رعيته ١٢ كلمه و أمر انوشيروان أن تكتب بالذهب.

[*٣١] البديع الهمدانى (٣) أبوالفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الحافظ المعروف ببديع الزمان، ذكر عن الحاكم أبى سعيد، جامع رسائل البديع عن الثقات، انه مات من السكته و عجل دفنه فأفاق فى قبره و سمع صوته بالليل و نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته و مات من هول القبر.

[*٣٢] و أعجب من هذا ما فعله العلامة الجليل الشيخ ميرزا جمال الدين محمد بن غلامرضا الشريف الكرمان فانه قد ألف كتاباً فى الاصول من الحروف المهمله غير دوات النقطه اسمه، اسس الاصول، يقول عنه الباحثه علامه الكبير الحاج (٤) آقا بزرك الطهرانى قدس سره أبدع فيه المؤلف بيان الدقائق العلميه باستعمال اقل الحروف الهجائيه (الثلاثه عشر) الخاليه عن كلفه الاعجام، مع ان الكتب المتسعين فيها بجميع الحروف الثمانيه و العشرين قد تقصر عن بيان بعض النكات و الدقائق.

و أبدع منه عدم استعماله حرف الألف أيضاً فى الخطبه الموسومه بالاثنى عشرىه لاكتفائه فيها باثنى عشر حرفاً من الثلاث عشره المهمله الى فلايقاس بما أنشأه

١- مروج الذهب ج ١ ص ٢٦٨-٢٦٩.

٢- مروج الذهب ج ١ ص ٢٣٠-٢٤٣.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٥٠-١٥١.

٤- الذريعه ج ٢ ص ٥٧-٥٨.

أمير المؤمنين عليه السلام من الخطبه الخاليه (١) عن الألف ارتجالاً التي هي غايه في فصاحه و حسن الانتظام.

أقول له عليه السلام من الجناس (٢) الخطى ما ذكره الجاحظ في كتاب الغره، كتب على عليه السلام الى معاويه غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاحش فاحش فعلك فعلك تهذا بهذا.

و كلامه عليه السلام ككلام رسول الله صلى الله عليه و آله فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق.

قال ابن أبي الحديد (٣) طى شرح بعض كلامه عليه السلام و اقسام بمن تقسم الامم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبه منذ خمسين سنه والى الآن أكثر من ألف مره و ما قرائها إلا واحداثت عندى روعه و خوفاً وعظه و اثرت فى قلبى و جيباً و فى أعضائى رعدته إلى آخره.

و قال و ينبغى لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه فى مجلس و تلى عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع.

قلم أصاب من الدواه مدادها، فلما قيل لهم فى ذلك قالوا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن.

[*٣٣] كان (٤) مقيماً بالرى من ناحيه المأمون و سمى ذا اليمينين لضربته بيديه جميعاً للعباس بن الليث فى حرب بينه و بين عساكر على بن عيسى الذى سيره الأمين بعد خلعه أخاه المأمون إلى خراسان، فالتقى بعساكر طاهر، و قتل على بن عيسى، و جاء طاهر إلى أن ذبحوا محمداً الأمين من قفاه و أخذوا برأسه و مضوا به الى طاهر، و حمل الرأس إلى خراسان إلى المأمون فى منديل، و القطن عليه و الاطليه، فأمر المأمون بنصب

١- بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٣.

٢- بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٣

٣- شرح النهج الحديدي ج ١١ ص ١٥٣.

٤- مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٨-٤٠٠-٤٢٢-٤٢٣.

الرأس فى ضمن الدار على خشبه واعطى الجند، و أمر كل من قبض رزقه أن يلعنه فكان الرجل يقبض و يلعن الرأس.

ذكر وفاته سنه ٢٠٧.

[٣٤*] ذكره فى الشذرات (١) و وصفه بالأمير و سماه قاسم بن عيسى العجلى صاحب الكرخ أحد الأبطال المذكورين الممدوحين والأجواد المشهورين و الشعراء المجيدين، و قد ولى دمره دمشق للمعتصم، يحكى عنه انه قال يوماً من لم يكن غالباً فى التشيع، فهو ولد زنا فقال له ولده يا أبت لست على مذهبك، فقال له أبوه لما و طئت أمك و علقت بك ما كنت بعد استبريتها فهذا من ذاك، و قال: كان لكثرة عطائه ركبته الديون فلما مات راه ابنه دلف جالساً عرباناً على أسوء حال و أنشده ابياتاً. ارخ وفاته سنظ ٢٢٥.

أقول و فى دعوى ولاده الزنا ذكر المسعودى (٢) عن عيسى بن أبى دلف أن أخاه دلف كان ينتقص على بن أبى طالب عليه السلام و يضع منه و من شيعته و ينسبهم إلى الجهل و انه قال يوماً (و هو فى مجلس أبيه) و لم يكن أبوه حاضراً، انهم يزعمون أن لا- ينتقص علياً أحد إلا كان لغير رشده، و أنتم تعلمون غيره الأمير، يعنى أباه، و انه لا يتهبأ الطعن على أحد من حرمه و انا أبغض علياً، قال: فما كان بأوشك من أن خرج أبودلف، فلما رأيناه قمنا له، فقال: قد سمعت ما قاله دلف، و الحديث لا يكذب، والخبر الوارد فى هذا المعنى لا- يختلف و هو والله لزنه و حيضه، و ذلك انى كنت عليلاً- فبعثت إلى اختى جاريه لها كنت بها معجباً فلم أتمالك ان وقعت عليها و كانت حائضاً فعلقت به فلما ظهر حملها و هبتها لى.

[٣٥*] يطلق (٣) على ابراهيم بن محمد صاحب كتاب المحاسن و المساوى، كان فى زمن

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٥٧.

٢- مروج الذهب ج ٤ ص ٦٢.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٦، دائره المعارف بزرگ اسلامى ج ١٣ ص ٤٧٦.

ابن المعتز، و علي أبي بكر (١) أحمد بن حسين بن علي الخسروجردي ٣٨٤-٤٥٨ من محدثي أهل السنه صاحب السنن الكبرى والصغرى وغيرها.

وقال في الشذرات بلغت تصانيفه ألف جزء و وصفه بالامام العلم و أرخ وفاته سنه ٤٥٨ و علي أبي جعفر (٢) أحمد بن علي بن محمد المعروف ببوجعفر ك من علماء اللغه و النحو والقرائه والتفسير، له كتاب تاج المصادر و المحيط بلغات القرآن.

و علي أبي الحسن (٣) علي بن زيد بن محمد (٤٩٠-٥٦٥) حجه الدين، ظهير الدين فريد خراسان، ينتهى نسبه الى خزيمة ذى الشهادتين، و عد فى كلمات غير واحد من كبراء الشيعة، له كتاب مشارب التجارب، و عد لنفسه أزيد من سبعين أثراً، و علي محمد بن حسين أبي الفضل (٤) (٣٨٥-٤٧١) و عد من الكتاب والشعراء، له كتاب التاريخ المسعودى المعروف بتاريخ البيهقى.

و علي أحمد بن حسين (٥) المحدث الفيه شافعى المذهب (قرن ٥) و علي أبي علي محمد بن سعدويه (٦) من علماء و محدثي الشيعة (قرن ٤) و علي أبي الحسن (٧) عبيدالله بن محمد العالم المحدث شيعى المذهب (قرن ٦) و علي أبي ابراهيم (٨) جعفر بن محمد

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠٤-٣٠٥، دائره المعارف بزرگ اسلامى ج ١٣ ص ٤٧٦.

٢- دائره المعارف ج ١٣ ص ٤٨١-٤٨٤.

٣- دائره المعارف ج ١٣ ص ٤٨٢.

٤- دائره المعارف ج ١٣ ص ٤٨٢.

٥- دائره المعارف بزرگ اسلامى ج ١٣ ص ٤٧٥

٦- دائره المعارف بزرگ سلامى ج ١٣ ص ٤٧٥-٤٧٦.

٧- دائره المعارف الاسلامى الكبيره ج ١٣ ص ٤٧٥.

٨- دائره المعارف الاسلامى الكبيره ج ١٣ ص ٤٧٥.

العلوى الحسينى المحدث و الفقيه الشيعى (قرن ٥) و على الشيخ أبى الحسين (١) زيد بن حسن من محدثى الاماميه (قرن ٦) من أشهر تلاميذ منتجب الدين الرازى من علماء الاماميه والمذكور فى المتن ينطبق قوياً على الأول، كان يعيش فى القرن الثالث و على محمد بن حسين.

[*٣٦] هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى (٢) اللغوى الشاعر، صاحب التصانيف المشهوره و الزندقه المأثوره والذكاء المفرط والزهد الفلسفى ذهب بصره و هو ابن ثلاث سنين و عن العبر لعله مات على الاسلام و تا من كفرياته و زال عنه الشك، و عنه انه سمى نفسه رهين الحبسين للزومه منزله و ذهاب عينيه، و مكث مده ٤٥ سنه لا يأكل اللحم تديناً و قيل و لد أعمى و ترك أكل البيض واللبن واللحم، و أوصى أن يكتب على قبره.

و هذا جناه أبى على *** و ما جنيت على أحد

ارخ وفاته سنه ٤٤٩.

[*٣٧] هو على بن محمد بن عباس (٣)، أديب و فيلسوف، واختلفوا فى انه شيرازى أو نيشابورى أو كان واسطياً أم بغدادياً، قيل فى وصفه بالتوحيدى ان أباه كان يبيع قسماً من التمر يسمى بالتوحيد، و قيل الى التوحيد الذى هو الدين، واختلف فى عقيدته بين من يراه صحيح العقيده و بين من حكم بزندقته، بل عن ابن الجوزى فى تاريخه عده أحد الزنادقه الثلاثه و جعله أشهرهم، و عد فى الروضات (٤) عده من مصنفاته، و قال مات فى

١- دائره المعارف الاسلامى الكبيره ج ١٣ ص ٤٧٥.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٨٠-٢٨٢.

٣- دائره المعارف الاسلامى الكبيره ج ٥ ص ٤١٠-٤١٢.

٤- روضات الجنات ج ٨ ص ٩٢-٩٣.

حدود سنه الثمانين و الثلاثمأه (عن ياقوت الحمودى) ولكن فى دائره المعارف سنه ٤٠٠ و قيل ٤٠٤.

[٣٨*] ذكر فى الكامل (١) فى حوادث سنه ٣٢٤ ان فيها قبض على أبى عبدالله بن عبدوس الجهشياري و صودر على مأتى ألف دينار.

[٣٩*] هو أحمد (٢) بن محمد الرازى، أحمد بن محمد مسكويه، أحمد بن يعقوب مسكويه، أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه الخازن الحكيم الماهر الرزى الأصل الاصفهانى المسكن و الخاتمه، كان من أعيان العلماء و أركان الحكماء، قد صحب الوزير أبا محمدم المهلبى أيام شبانه و كان خصيصاً به الى أن اتصل لخدمه الملك عضد الدوله، ثم اختص بالوزير ابن العميد و ابنه أبى الفتح فى خدمه الملك صمصام الدوله، ذكره فى الروضات و قال كان فى عالى درجه من المعرفه بحث أهل البيت عليهم السلام و الاعتقاد لفرض طاعتهم و لزوم محبتهم و تعرض لقضيه بينه و بين الشيخ الرئيس حينما دخل عليه فى مجلس التدريس، و ذكر كثيراً من تأليفاته و له ترجمه ضافيه فى دائره المعارف (٣).

[٤٠*] فى الشذرات (٤) فيها (أى سنه ١٦٧) قتل فى الزندقه بشار بن برد البصرى الاعمى شاعر العصر، و عن ابن الاهدل، قيل و كان يفضل النار على الطين و يصبوب رأى ابليس فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام، و عن ابن قاضى شهبه زنادقه الدنيا أربعه، بشار بن برد و ابن الراوندى و أبو حيان التوحيدى و أبو العلاء المعرى.

١- الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ١٨٩.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ٢٥٤-٢٥٧.

٣- دائره المعارف الاسلاميه الكبرى ج ٦ ص ٥٦-٦٢.

٤- شذرات الذهب ج ١ ص ٢٦٤-٢٦٥.

[*٤١] هو أبوبكر (١) الحسن بن علي بن بشار بن العلاف البغدادي المقرئ صاحب الدوري و كان أديباً ظريفاً نديماً للمعتضد ثم شاخ و عمى، ابن خلكان كان له هر يأنس به و كان يدخل ابراج الحمام التي لجيرانه و يأكل أفرانها و كثر ذلك منه، فأمسكه أربابها و ذبحوه، فرثاه بهذه القصيده أولها:

يا هرنا فارقتنا و لم تعد، و قد قيل رثى بها عبدالله بن المعتز و خشى من الامام المقتدر أن يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله فنسبها الى الهر الخ.

[*٤٢] أبي زيد اللغوي (٢) ينطبق ظاهراً على أبي زيد الأنصاري سعيد بن اوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري اللغوي الراوى النحوى، أقام مده بين البدو لجمع الأشعار و الأخبار و نوادر العرب، و عدوه من مشاهير العلماء الذين اهتموا بجمع اللغات واللهجات الشاذة. له آثار لم يعثر عليها.

[*٤٣] وصفه فى الشذرات (٣) بالعلامه أبى سعيد عبدالملك بن قريب الباهلى البصرى الأصمعى اللغوى الأخبارى، قال: و كان الخلفاء تجالسه و تحب منادمته، روى عنه انه قال احفظ أربعة عشر ألف ارجوزه، منها المائة والمائتان، و ذكر وفاته لسنه ٢١٦ و فى الروضات (٤) انه حصل فى ليله واحده على ٥٩ ألف درهم و استغنى عن الخلق (حيث دخل على ارشيد و سامره الى الصباح ثم ذهب الى منزل الوزير يحيى أو ولده جعفر البرمكى).

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٧-٢٧٨.

٢- دائره المعارف الاسلامى الكبرى ج ٥ ص ٥٠٠-٥٠٢.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٦-٣٧.

٤- روضات الجنات ج ٥ ص ١٤٩.

و ذكر عن ابن خلكان (١) بيتين عن أبي قلابه حبش بن عبدالرحمن الجرمي الشاعر في جنازه الأصمعي:

لعن الله أعظماً حملوها *** نحو دار البلى على خشبات

أعظماً تبغض النبي و أهل ال *** بيت والطيبين و الطيبات

و قال: كان جده علي بن أصمع سرق بسفوان (كصفوان اسم موضع بين البصره والبحرين) فأتوا به علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عليه السلام جيئوني بمن يشهد انه أخرجها من الرحل، قال فشهد بذلك عبده فأمر بقطع يده من اشاجعه فقيل له يا أميرالمؤمنين، ألا قطعته من زنده؟ فقال: يا سبحان الله كيف يتوكأ، كيف يصلي، كيف يأكل؟

[*٤٤] في الشذرات (٢) فيها (أى سنة ٢٣٥) توفى اسحاق بن ابراهيم الموصلي النديم، أبو محمد، كان رأساً في صناعه الطرب والموسيقا أديباً عالماً اخبارياً شاعراً محسناً كثير الفضائل، و ذكر عن ابن الاهدل انه كان المأمون يقول لولا ما سبق لاسحاق من الشهره بالغناء لوليته القضاء، فانه أولى و أعف و أصدق و أكثر ديناً و امانه من هؤلاء القضاء.

[*٤٥] أبوالعباس عبدالله، شاعر، أديب، راوى، نقاد الشعر والأدب العربى.

[*٤٦] هو أبوالحسن (٣) علي بن العباس بن جريح، و قيل ابن جرجيس المعروف بابن الرومى مولى عبدالله بن عيسى بن جعفر المنصور، صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، و سبب موته ان الوزير أبالحسن بن عبدالله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه و فلتات لسانه، فدش عليه مأكلاً مسموماً فى مجلسه، فلما أحس بالسم، قام، فقال له الوزير أين تذهب؟ قال: الى الموضع الذى بعثتنى إليه، فقال سلم على والدى، فقال ما

١- روضات الجنات ج ٥ ص ١٥٨-١٥٩.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٨٢.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٨-١٨٩.

طريقى إلى النار، و خرج إلى منزله فأقام أياماً و مات و الصحيح موته سنة ٢٨٣.

[٤٧*] هو أبو على الحسن بن رشيق (١) (القيروانى) أحد الأفاضل البلغاء له التصانيف الحسنه، قال ابن بسام فى كتاب الذخيره انه ولد بالمسيله، و تأدب بها قليلاً، ثم ارتحل الى القيروان، و ذكر وفاته فى جزيره صقليه سنة ٤٦٣ و وفات (٢) الحسن بن رشيق العسكرى أبى محمد المصرى سنة ٣٧٠ و عن يحيى بن الطحان ما رأيت عالماً أكثر حديثاً منه.

[٤٨*] سبق ذكره و ترجمته.

[٤٩*] هو الحسن بن هانئ الحكيمى (٣) الأديب شاعر العراق، قال ابن عيينه هو أشعر الناس و قال الجاحظ، ما رأيت أعلم باللغه منه و كنى بأبى نواس لذؤابتين كانتا على عاتقه تنوسان، و عن ابن الفرات وصفه مولى الحكم بن سعد العشيره، سمي سعد العشيره لأنه لم يمت حتى ركت معه من ولده وولد ولده مأه رجل و هو أحد المطبوعين و كان كثير المجون وفاته سنة ١٩٦.

[٥٠*] أحد فحول (٤) الشعراء و اسمه محمود بن حسين، كان من الشعراء المجيدين والفضلاء المبرزين حتى قيل: ان لقبه هذا منحوت من عده علوم كان يتقنها، فالكاف للكتابه والشين من الشعر والألف من الانشاء والجيم من الجدل والميم من المنطق، و كان يضرب بملحه المثل، و عن بعضهم هو أبو الحسين و أبو الفتح بن السندى الكاتب المعروف بكشاجم من أهل الرمله من نواحي فلسطين، و عنه ان الألف من أديب والجيم

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٩٧-٢٩٨.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٧١.

٣- شذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥-٣٤٦.

٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧-٣٨.

من جواد والميم من منجم، و عن بعضهم طلب علم الطب حتى مهر فيه و صار أكبر علمه فزيد فى اسمه طاء من طبيب فقبل طكشاجم ولكنه لم يشتهر، وفاته سنة ٣٦٠.

[٥١*] هو أبو عباده (١) وليد بن عبيد، ولادته حسب الاحتمال ٢٠٦ و عن ابن خلكان انه من كبراء شعراء العرب، وصف بالطائى المنبجى امير شعراء العصر و حامل لواء القريض، وفاته سنة ٢٨٤.

[٥٢] هو (٢) أبو الحسن محمد بن عبيدالله بن الحارث بن محمد بن يحيى، الى، القرشى المخزومى الشاعر المشهور، ذكره فى نسمة السحر فى ذكر من تشيع و شعر، قال و امتدح السلامى، الصاحب بن عباد كفى الكفاه و كان على معتقده الى، و انه هو الذى أرسله الى عضد الدوله، و كان عضد الدوله يقول اذا رأيت السلامى فى مجلسى ظننت ان عطارد قد نزل من الفلك الى و وقف بين يدي، وفاته سنة ٣٩٣، ذكر السيد الصدر رحمه الله له ترجمه طويله حسنه فى تاريخ ابن خلكان و هو من شعراء اليتيمه.

[٥٣*] تقدمت ترجمته (١٦).

[٥٤*] تقدمت ترجمته فى تعليقات الفصل الثانى عشر (٣٦).

[٥٥*] هو (٣) على بن عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبى الجزرى صاحب الشام، مات بحلب سنة ٣٥٦ و له بضع و خمسون سنه، و كان بطلاً شجاعاً كثير الجهاد جيد الرأى، عارفاً بالأدب والشعر، جواداً ممدوحاً، مات بالفالج، و قيل بعسر البول، و أوصى أن يوضع خده اذا دفن على ما جمع من الغبار الذى أصابه فى الغزوات، ما جاء منه لبنه بقدر الكف و سبق له ذكر فى تعليقات الفصل الثانى عشر (٥١).

١- دائره المعارف الكبرى ج ١١ ص ٣٧٤.

٢- تأسيس الشيعة ص ٢٢١.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠.

[*٥٦] سبق ذكره.

[*٥٧] سبق ذكره (٢١).

[*٥٨] يمكن (١) كونه ابا طالب عبدالسلام بن الحسن المأموني من اولاد المأمون، كان فاضلاً حسن العشر ارخ وفاته ابن الأثير سنه ٣٨٣.

[*٥٩] فى الشذرات (٢) وصفه بالشاعر، قال كان ظريفاً له منظر حسن ورث من أبيه مالاً جزيلاً فأنفقه فى اللهو و افتقر، فعمل قصيدته المعروفه بالسوسيه التى أولها

الحمد لله ليس له (لى بخت) *** ولا ثياب يضمها تحت

ذكر وفاته سنه ٥٣٩.

[*٦٠] هو أبو الحسن البصرى (٣) اللغوى النحوى، الشاعر الامامى المشهور ذكر محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فوقه الكوفى فى كتاب تاريخ كوفه المعروف بتاريخ ابن النجار، انه من النحاه الفضلاء والأدباء، النبلاء، و عن الثعالبي فى اليتيمه انه فرد البصره و صدر ادبائها و بدر ظرفائها فى زمانه، و عن الثعالبي فى اليتيمه انه فرد البصره و صدر ادبائها و بدر ظرفائها فى زمانه، و عده السيد الصدر من شعراء الصاحب بن عباد.

[*٦١] ابو على حسين (٤) بن محمد بن فيره بن حيون الصدفى، محدث، فقيه، مالكى، اندلسى، تقلد القضاء بدعوه أهل مرسية، شرق الأندلس، و بعد مده استعفى فلم يقبل منه، فاختمى، و ثانياً حملوه قضاء فاختمى، نقل انه خلف كتباً نفيسه، قتل فى حرب الافرنج سنه ٥١٤.

و فى الشذرات (٥) عن ابن ناصر الدين هو حافظ متقن، كبير، ثقة مأمون، و تعرض لاكراهه

١- الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٥٠٤.

٢- شذرات الذهب ج ٤ ص ١٢٥.

٣- تأسيس الشيعة ص ١١٣.

٤- دائره المعارف الاسلامى الكبرى ج ٦ ص ٢٨-٢٩.

٥- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٦-١٣٧.

على القضاء فوليه، ثم اختفى حتى اغفى.

[*٦٢] هو كما فى الشذرات (١) الأديب أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحجاج البغدادي الشيعي المحتسب، الشاعر المشهور، ذوالمجون والخلاعه والسخف فى شعره، كان فرد زمانه فى فنه فانه لم يسبق إلى تلك الطريقه مع عذوبه ألفاظه و سلامه شرعه من التكلف، و يقال انه فى الشعر فى درجه امرء القيس، و انه لم يكن بينهما مثلهما الى، و كان شيعياً غالباً، توفى سابع عشر من جمادى الاخره بالنيل (سنه ٣٩١) و حمل الى بغداد و دفن عند مشهد موسى بن جعفر عليه السلام و كان أوصى أن يدفن عند رجليه و يكتب على قبره (و كلبهم باسط ذراعيه بالوصى)، و ما فى الهامش من دفنه الى جانب قبر الصادق عليه السلام اشتباه فانه دفن عند مشهد موسى بن جعفر عليهماالسلام.

وصفه الخوانسارى (٢) بالشاعر الماهر، الكاتب المحتسب، الشيعي الامامى النبلى البغدادي المتصنع المشهور، و كان من شعراء أهل البيت المتجاهرين، و عن أمل الآمل يظهر من شعره انه من أولاد الحجاج بن يوسف الثقفى، و ذكر (٣) عن السيد الجليل الفاضل زين الدين على بن عبد الحميد النجفى الحسينى صاحب كتاب الأنوار المضيئه و كتاب الغيبه و غيرهما فى كتابه (الدر النضيد فى تعازى الامام الشهيد) انه كان فى زمان ابن الحجاج رجلاً صالحاً يزديان بشعره كثيراً، و هما محمد بن قارون السيبى و على بن الزرور السورائى، فرأى الأخير منهما ليله فى الواقعه كان أتى الى روضه الحسين عليه السلام و كانت فاطمه الزهراء عليهاالسلام حاضره هناك مستنده ظهرها إلى ركن الباب الذى هو على يسار الداخل و ساير الأئمه الى مولانا الصادق عليهم السلام أيضاً جلوس فى

١- شذرات الذهب ج ٤ ص ٤٣.

٢- روضات الجنات ج ٣ ص ١٥٨.

٣- روضات الجنات ج ٣ ص ١٦٠.

مقابلها فى الزاوية التى بين ضريحى الحسين عليه السلام و ولده على الأكبر الشهيد متحدثين بما لا يفهم، و محمد بن قارون المقدم قائم بين أيديهم، قال السورائى و كنت أنا أيضاً غير بعيد عنهم، فرأيت ابن الحجاج ماراً فى الحضرة المقدسه، فقلت لمحمد بن قارون الا تنظر الى الرجل كيف يمر فى الحضرة، فقال و أنا لا احبه حتى انظر اليه، قال: سمعت الزهراء عليها السلام بذلك، فقالت له مثل المغضبه أما تحب أبا عبدالله؟ احبوه فانه من لا يحبه ليس من شيعتنا، قم خرج الكلام بين الأئمه عليهم السلام بأن من لا يحب أبا عبدالله فليس بمؤمن.

وزاد فى الرياض (١) قال الشيخ محمد بن قارون و لم أرس من قاله منهم، ثم انتبه فرعاً مرعوباً لما فرط منه فى حق أبى عبدالله من قبل ذلك، ثم تعرض للقائه مع جماعه من أصحابه فى طريق زياره الحسين عليه السلام مع على بن الزرزور و حكاية منامه له و حكاية على بن الزرزور ذلك المنام بعينه، الى، ثم اتفقا على مدحه و ايراد أشعاره و له قصه (٢) اخرى فى العتبه العلويه على مشرفها التحيه والسلام مع السيد المرتضى حين ايراد قصيدته الغراء التى أولها:

يا صاحب القبه البيضاء فى النجف *** من زار قبرك واستشفى لديك شفى

عند السلطان مسعود بن بويه الديلمى، لما فرغ من تعمير القبه الزاكية و جلس فى الحضرة الشريفه على حسن الأدب، فلما وصل الى الهجاء الذى فيها قل لابن سكره ... الى.

يابن البغايا الزوانى العاهرات و من *** سلقلياتهم قد حزن من خلف

اغلظ له السيد و نهاه ان ينشد ذلك فى حضره الامام عليه السلام فانقطع عن الايراد... الى أن رأى

١- رياض العلماء ج ٢ ص ١٢-١٣.

٢- روضات الجنات ج ٣ ص ١٦١-١٦٤، رياض العلماء ج ٢ ص ١٣-١٧.

الشاعر فى المنام أمير المؤمنين عليه السلام و هو يقول لا ينكسر خاطرک، فقد بعثنا المرتضى علم الهدى يعتذر إليك، و لا تخرج اليه، فقد أمرناه أن يأتى دارک فیدخل عليك ثم رأى السيد تلك الليله النبى صلى الله عليه و آله والأئمه جلوس حوله، فوقف بين أيديهم، فسلم عليهم فلم يقبلوا اليه فعظم ذلك عنده فقال: يا موالى أنا عبدکم و ولدکم و مولاکم، فبما استحققت هذا منکم؟ فقالوا بما كسرت خاطر شاعرنا أبى عبدالله بن الحجاج، فتمضى الى منزله و تعتذر اليه و تمضى به الى ابن بويه و تعرفه عنايتنا به، فقام المرتضى من ساعته و مضى إليه، ففرع عليه باب حجرته، فقال: يا سيدى، الذى بعثک إلى، أمرنى أن لا أخرج إليك، و قال كذا فقال: نعم سمعاً و طاعة، و دخل عليه معتذراً، و مضى به إلى السلطان و قص القصه عليه كما رأيا فكرمه و أنعم عليه و أمره بالنشاد القصيده فى تلك الحال.

أقول: القصيده مذكوره بتمامها فى الكتابين و هى تبلغ ٦٤ بيتاً و من غرر القصائد.

[*٦٣] المراد به (١) أحد ملوك الدوله العلويه بافريقيه بدأت دولتهم سنة ٢٩٦ وانقرضت بمصر سنة ٥٦٧، أولهم أبو محمد عبيد الله و آخرهم العاضد لدين الله أبو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ابى الميمون عبدالمجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدى المصرى الرافضى خاتمه الخلفاء الباطنيه، و ذكر فى الكامل (٢) من خطب لهم بالخلافه و جميع مده ملكهم من حين ظهر المهدي يسجلماسه سنة ٢٩٩ الى أن توفى العاضد ٢٧٢ سنة و شهر تقريباً.

[*٦٤] الشيخ أبو الطيب (٣) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفى الكندى الكوفى المعروف بالمتنبى، كان من الشعراء المشاهير و الأدباء النحارير و له ديوان شعر

١- الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ١١، شذرات الذهب ج ٢٢٢-٢٢٣.

٢- الكامل فى التاريخ ج ١٣ ص ٢١٩.

٣- روضات الجنات ج ١ ص ٢٢١-٢٣٠.

مشهور كبير شرحوه أكثر من ٤٠ شرحاً، و سمي بالمتنبى لأنه خرج الى بنى كلب و ادعى انه علوى حسينى، ثم ادعى النبوه، و ذلك بباده السماوه، فتبعه خلق كثير من بنى الكلب و غيرهم، فخرج إليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيديه فقاتله، فرق أصحابه و اسره و حبسه بالشام طويلاً ثم استتابه، و اطلقه بعد ما أشرف على الموت، فالتحق بالأمير سيف الدوله بن حمدان، ثم فارقه و دخل مصر و مدح كافوراً الأخشيدى، و لما لم يرضه هجاه، و فارقه و قصد بلاد فارس، و مدح عضد الدوله بن بويه الديلمى و لما رجع من عنده عرض له فاتك ابن أبى الجهل فى عده من أصحابه و كان مع المتنبى أيضاً جماعه من أصحابه و قاتلوهم، فقتل المتنبى و ابنه محمد و غلامه مفلح بالقرب من نعمانيه بغداد سنه ٣٥٤، و ذكر عن الخطيب التبريزى دعواه النبوه و الرساله فى اللاذقيه عند ما قدمها و خلا به أبو عبدالله معاذ بن اسماعيل اللاذقى فى قصه ذكرها، لكن فى الشذرات (١) عن العبر ذكر وفاته بين شيراز و العراق، و نقل فراره و انه بانشاد غلامه بيت شعر منه رجل فقتل و قال فى سبب وصفه بالكندى كون مولده بالكوفه فى محله كنده و ليس من قبيله كنده.

[*٦٥] حارث (٢) بن سعيد بن حمدان شاعر شيعى ابن عم سيف الدوله الحمدانى، قتل أبوه فى ثالث سنوات عمره و تربى فى حجر دمه (امه روميه) و ما قصرت فى تربيته، لكنها ماتت فى زمن اسر أبى فراس بيد الروم، و بعد مده نجا من الأسر و القتل بعد موت سيف الدوله ابن عمه سنه ٣٥٦، من أشهر قصائده ما انشاءها فى جواب ابن سكره و ابن المعتز و هى المعروفه بالشافيه اعترض على حكومه الامويين و العباسيين و يصرح بعلو شأن

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣-١٥.

٢- دائره المعارف الاسلاميه الكبرى ج ٦ ص ١٢٠-١٢٤.

الامامين الكاظم و على بن موسى الرضا عليهما السلام.

و فى الشذرات (١) أرخ وفاته سنه ٣٥٧ و ذكر عن تاريخ ثابت بن سنان الصابى انه قتل فى حرب بينه و بين أبى المعالى ابن سيف الدوله، قتله و أخذ رأسه و بقيت جنته مطروحه فى البريه، إلى أن جاء بعض الأعراب فكفنه و دفنه.

[٦٦*] تقدمت ترجمته قريباً (٥٥) و فى تعليقات الفصل الثانى عشر (٥١).

[٦٧*] الامام (٢) المتبحر المشهور أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي الفراء النيسابورى الأديب اللغوى، صاحب التصانيف الفاخره السائره المدائره مثل كتاب يتيمه الدهر و كتاب فقه اللغه، و الثعالبي منسوب لخياطه جلود الثعالب و عملها لأنه كانه فراء.

أرخ وفاته سنه ٤٢٩-٤٣٠ و فى الشذرات (٣) سنه ٤٣٠ و ذكر غير واحد من تأليفاته.

و فى يتيمه الدهر هو أكبر كتبه و أحسنها و أجمعها.

[٦٨*] تعرض لذلك فى الفصل العاشر المختص بالاشراف، و ذكرنا من تلبس قبله منهم عن العمده.

[٦٩*] ليس مرداه بالعيد ما هو المعروف فى زماننا (يوم الفرح و السرور) بل ما يعاد فيه ذكريات ما سبق فرحاً كان أو حزناً.

تنبيه هام و تكميل

أهمل المصنف ذكر عدده كثيره من رجال الشيعة أنار الله براهينهم فى القرن الرابع فى

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤-٢٥.

٢- روضات الجنات ج ٥ ص ١٦٢-١٦٣.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٦-٢٤٧.

مجالات الفنون المختلفه من الكلام و التفسير والفقہ والأدب و .. إما جهلاً أو غفله أو تغافلاً، فمن الشعراء المشهورين ما ذكرهم العلامة الاميني قدس سره فى كتابه القيم شعراء الغدير (١) ١. أبو الحسن ابن طباطبا الاصفهاني (المتوفى سنة ٣٢٢)، ٢. أبو جعفر أحمد بن علويه الاصفهاني (٣٢٠)، ٣. أبو عبدالله محمد المفجع البصرى نيف و ٣٢٧، ٤. أبو القاسم أحمد بن محمد الصنوبرى (٣٣٤)، ٥. أبو القاسم على بن محمد التنوخى (٣٤٢)، ٦. أبو القاسم على بن اسحاق الزاهى (٣٥٢)، ٧. الناشى الصغير (٣٦٥)، ٨. أبو عبدالله الحسين البشنى (بعد ٣٨٠)، ٩. الجوهرى الجرجانى (٣٨٠)، ١٠. أبو العباس الوزير أحمد الصبى، ١١. أبو حامد أحمد بن محمد الانطاكى، ١٢. أبو العلاء السروى، ١٣. أبو محمد العونى (القرن الرابع)، ١٤. ابن حماد العبدى (القرن الرابع)، ١٥. أبو الفرج الرازى، ١٦. أبو النجيب شداد الظاهر الجزرى.

و قال فى وصف (٢) أبى الحسن ابن طباطبا عالم ضليع و شاعر مفلق و شيخ من شيوخ الأدب و عد بعض تأليفه عن أصحاب المعاجم، و قال (٣) توجد ترجمته والثناء عليه فى غاية الاختصار فى نسمة السحر فيمن تشيع و شعر.

و فى وصف الثانى (٤) أحمد بن علويه الاصبهاني الكرمانى الشهير بأبى الأسود، هو أحد مؤلفى الاماميه المطرد ذكرهم فى المعاجم، و ذكر له كتباً، و قال من أئمة الحديث و من صدور حملته، أخذ عنه مشايخ علماء الاماميه و اعتمودا عليه، و عدده منهم، و ان أخباره مبثوثة فى مثل الفقيه و التهذيب و الكامل و أمالى الصدوق و مجالس المفيد

١- الغدير ج ٣ ص ٣٣٩.

٢- الغدير ج ٣ ص ٣٣٩-٣٤٠.

٣- الغدير ج ٣ ص ٣٤٥.

٤- الغدير ج ٣ ص ٣٤٨.

و أمثالها.

و فى الثالث (١) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله الكاتب النحوى المصرى الملقب بالمفجع، أوحى من رجالات العلم والحديث الى، و من المعدودين من أصحابنا الاماميه.

و أورد (٢) من قصيدته فى مدح على عليه السلام ١٦٠ بيتاً، أبياتاً.

و فى الرابع (٣) أبو القاسم و أبوبكر و أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الجزرى الرقى الضبى الحلبي الشهير بالصنوبرى شاعر شيعى مجيد.

و ذكر (٤) له قسماً من قصيده يمدح فيها علياً عليه السلام، استدل به على مذهبه و رثاء له و الامام السبط الشهيد عليهما السلام.

و فى الخامس (٥) أبو القاسم التنوخى على بن محمد بن أبى الفهم، داود بن ابراهيم الى الحارث بن عمرو (ملك تنوخ) ابن فهم من تيم الله (و هو تنوخ) ابن أسد، الى قضاعه ملك من حمير بن سبا الى سام بن نوح النبى عليه السلام، وصفه بأنه من آغزر عيالم العلم و ملتقى الفضائل و مجتمع الفنون المتنوعه مشاركاً فى علوم كثيره مقدماً فى الكلام، متضعلاً فى الققه و الفرائض، حافظاً فى الحديث، قدوه فى الشعر و الأدب، بصير بعلم النجوم و الهيئه الخ.

١- الغدير ج ٣ ص ٣٦١.

٢- الغدير ج ٣ ص ٣٥٣.

٣- الغدير ج ٣ ص ٣٦٩.

٤- الغدير ج ٣ ص ٣٧١.

٥- الغدير ج ٣ ص ٣٨٠.

و رجح (١) في مذهبه انه زيدي و ان قصيدته البائيه ترجح كفه التشيع في ميزانه.

و في السادس (٢) أبو القاسم علي بن اسحاق بن خلف القطان البغدادي النازل بالكرخ في قطيعه الربيع، الشهير بالزاهي شاعر عبقرى تحيز في شعره الى أهل بيت الوحي و دان بمذهبهم، و أدى بمودتهم أجر الرساله فكان أكثر شعره الواقع في أربعه أجزاء فيهم مدحاً و رثاء بحيث عد في معالم العلماء في طبقه المجاهدين من شعرائهم و صافاً الخ.

و أرخ وفاته سنه ٣٥٢ في روايه عميد الدوله أو بعد سنه ٣٦٠ فيما قاله الخطيب عن التنوخي.

و ذكر من شعره (٣) في مدح أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السلام و رثائهم أبياتاً كثيره فسر بعض ما ورد فيها مشفوعاً بالروايات.

و في السابع (٤) أبو الحسن علي بن عبدالله بن الوصيف الناشي (الصغير) الأصغر البغدادي من باب الطاق نزيل مصر المعروف بالحلاء، كان أبو يعمل حليه السيوف فسمى حلاءً و يقال له الناشي، لان الناشي يقال لمن نشأ في فن من فنون الشعر كما قال السمعاني في الأنساب، وصفه بأنه كان أحد من تزلج في النظر في علم الكلام و برع في الفقه و نبغ في الحديث و تقدم في الأدب، الى، و في الطليعه في علماء الشيعة و متكلميها و محدثيها و فقهاؤها و شعرائها.

و في رجال النجاشي (٥) انه له كتاباً في الامامه.

١- الغدير ج ٣ ص ٣٨٥.

٢- الغدير ج ٣ ص ٣٩١.

٣- الغدير ج ٣ ص ٣٨٩-٣٩٢.

٤- الغدير ج ٤ ص ٢٨.

٥- الغدير ج ٤ ص ٢٩.

والشيخ (١) ذكر له كتباً في الفهرست و آل آخر أمره الى ما استظهره (٢) الأمينى قدس سره ان استشهد حرقاً و قال قبل ذلك هو ممن نبش قبره فى واقعه سنه ٤٤٣ و احرقت تربته.

و فى الثامن (٣) أبو عبدالله الحسين بن داود الكردى البشوى، وصفه بأنه من الشعراء المجاهرين فى مدائح العتره الظاهره عليهم السلام كما عده ابن شهر آشوب فى معالم العلماء، قال وبنهم عن مذهبه قوله:

إليه ربي بالهدى متمسكاً *** باثنى عشر بعد النبي مراقبا

أبقى على البيت المطهر اهله *** بيوت قريش للديانه طالباً

الى شواهد اخر من أشعاره.

و ذكر له كتاب الدلائل (٤) والرساله البشويه (عن معالم العلماء) و عن ابن الأثير، له (ديوان مشهور) و فى التاسع أبو الحسن (٥) على بن أحمد الجرجانى و يعرف بالجوهري، وصفه بأنه مقياس من مقاييس الأدب واحد أعضاء العربيه و من المفلقين فى صناعه القريض.

أورد له أشعاراً (٦) فى مدح أمير المؤمنين عليه السلام (فى قضيه الغدير) و فى رثاء السبط الشهيد.

و أرخ (٧) وفاته بجرجان بعد سنه ٣٧٧ و رجح كونه حدود ٣٨٠.

و فى العاشر (٨) أبو العباس الضبى، وصفه بالكافى الاوحد أبو العباس أحمد بن ابراهيم

١- الغدير ج ٤ ص ٢٩.

٢- الغدير ج ٤ ص ٣٢.

٣- الغدير ج ٦ ص ٣٥.

٤- الغدير ج ٤ ص ٣٦.

٥- الغدير ج ٤ ص ٨٢.

٦- الغدير ج ٤ ص ٨٢-٨٤-٨٦.

٧- الغدير ج ٤ ص ٨٧.

٨- الغدير ج ٤ ص ١٠١.

الضبي الوزير الملقب بالرئيس أحد من ملك ازمه السياسه و الأدب بعد صاحب بن عباد، أورد من أشعاره في الغدير (١) (من معاني مختلفه) أرخ وفاته لسنه ٣٩٨.

و في الحادى عشر (٢) أبو حامد، أحمد بن محمد الانطاكى نزيل مصر المعروف بأبى الرقعمق أحد الشعراء المشاهير المتصرفين في فنون الشعر قال: و يستشهد (٣) بشعره في الأدب كقوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد له طبخه *** قلت اطبخوا لى جبه و قميصاً

و ذكر عن الثعالبي (٤) انه نادره الزمان و جملة الاحسان الى، و هو بالشام كابن الحجاج بالعراق، و أورد من شعره في اليتيمه ٤٩٤ بيتاً، قال الامينى قدس سره و لعل كونه كابن الحجاج (ينم عن تشيعه) فان ذلك أظهر أوصاف ابن الحجاج و أجل ما يؤثر عنه.

و زاد ان صاحب نسمة السحر عده ممن تشيع و شعر ثم استدرك و لم يستبعد جداً أن يكون مرمى كلام الثعالبي تغلب المجون على شعره.

أرخ وفاته سنه ٣٩٩.

و في الثانى عشر (٥) أبو العلاء محمد بن ابراهيم السروى، وصفه بأنه شاعر طبرستان الأوحده و علم الفضيله المفرد. قال و له شعر رائع و ملح كثيره ذكرت في اليتيمه، و أورد له في مدح أهل البيت عليهم السلام قصيده عن ابن شهر آشوب و عده من شعراء القرن الرابع.

١- الغدير ج ٤ ص ١٨٠-١٠٩.

٢- الغدير ج ٤ ص ١١٢.

٣- الغدير ج ٤ ص ١١٣.

٤- الغدير ج ٤ ص ١١٤.

٥- الغدير ج ٤ ص ١١٨.

و قال فى الثالث عشر (١) أبو محمد طلحه بن عبيدالله بن أبى عون الغسانى العونى، و قال لعل فى شهره العونى و شعره السائر و طرفه المدونه فى الكتب غنى عن تعريف و ذكر عبقريته الى، و ما يؤثر عنه من جمل الشعر و مفصلاتته كفايه للباحث عن أدلاء الحجه على تشييعه و تفانيه فى ولاء سادته و أئمه دينه صلوات الله عليهم.

و قال: فتشيع (٢) العونى كان مشهوراً فى العصور المتقدمه على عهده و بعد وفاته، حتى انه لما وقعت الفتنة بين الشييعه و السنه فى بغداد سنه ٤٤٣ واحتدم بينهما القتال، فكانت مما جاءت به يدالجور من الفظايح، انهم نبشوا قبور جماعه من الشييعه و طرحوا النيران فى ترابهم و منهم العونى (المترجم) والناشى على بن وصيف الأنف ذكره الشاعر المعروف بالجدوعى.

أرود من أشعاره (٣) قصيدته المعروفه بالمذهبه رتبها العلامه السماوى فى ما رتبه من شعره و مدائح (٤) أهل البيت عليهم السلام و مرثى، عده من شعراء (٥) القرن الرابع.

و فى الرابع عشر (٤) أبو الحسن على بن حماد بن عبيدالله بن حماد العدوى العبدى البصرى وصفه بأنه علم من أعلام الشييعه و فذ من علمائها و من صدور شعرائها و من حفظه الحديث المعاصرين للشيخ الصدوق و نظرائه، الى، فهو من مشايخ هذا الشيخ المعظم (أبى عبدالله الحسين بن عبيدالله الغضائرى المتوفى سنه ٤١١) الواقعين فى سلسله

١- الغدير ج ٤ ص ١٢٨.

٢- الغدير ج ٤ ص ١٢٩، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٠.

٣- الغدير ج ٤ ص ١٣٠-١٣٧.

٤- الغدير ج ٤ ص ١٣٧-١٤٠.

٥- الغدير ج ٤ ص ١٢٤.

٦- الغدير ج ٤ ص ١٥٣.

الاجازات والعدودين من مشايخ الرواه و اساتذه حمله الحديث، قال: و هو من المكثرين فى أهل البيت عليهم السلام مدحاً و رثاء، و جمع شعره فيهم صلوات الله عليهم مدحاً و رثاء العلامة المساوى فى ديوان يربو على ٢٢٠٠ بيتاً.

و ذكر (١) من شعره عن العمري (فى المجدى) ضمن أشعار:

قلت النصوص على الأئمة جائنا *** حياً من الله العلى الأكبر

ان الأئمة تسعه و ثلاثه *** نقلاً عن الهادى البشير المنذر

و ذكر له قصائد (٢) متعددة فى الغدير و فى مدح الأمير و رثاء السبط الشهيد سلام الله عليهما.

و حدس (٣) تاريخ وفاته اواخر القرن الرابع.

و فى الخامس عشر (٤) أبو الفرج محمد بن هند و الرازى.

قال آل هند و من اسر الاماميه الناهضين بنشر العلم والأدب، و فيهم جمع تحلوا بفنون الفضائل، و لهم فى الكتابه و القريض قدم و قدم، طفحت بذكرهم المعاجم، منهم أبو الفرج محمد بن هند و مؤسس شرف بيتهم، تعرض لشعره فى الغدير و عدده من شعراء القرن الرابع.

و فى السادس عشر أبو النجيب (٥) الطاهر أبو النجيب شداد بن ابراهيم بن حسن الملقب بالطاهر الجزرى و صفه بأنه من شعراء أهل البيت عليهم السلام، نظم فى فنون الشعر و غرد على افانينه، الى، له ديوان شعر، عدده ابن شهر آشوب فى معالم العلماء عداد المجاهرين من

١- الغدير ج ٤ ص ١٥٤.

٢- الغدير ج ٤ ص ١٤١-١٧١.

٣- الغدير ج ٤ ص ١٥٥.

٤- الغدير ج ٤ ص ١٧٢.

٥- الغدير ج ٤ ص ١٧٧.

شعراء أهل البيت عليهم السلام. أرخ وفاته سنة ٤٠١..

و هناك من عاش ردحاً من الزمن في القرن الرابع و توفي قبل نصف القرن والخامس من الشعراء المجاهرين الموالين لأهل البيت، ذكرهم صاحب الغدير رحمه الله عليه في عداد شعراء الغدير كالذين تقدم ذكرهم، منهم أبو محمد (١) الصوري المولود (٣٣٩) المتوفى ٤١٩ أبو محمد عبدالمحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري، عده من حسنات القرن الرابع و نوابغ رجالته، قال و ديوان شعره المحتوى على ٥٠٠٠ بيت تقريباً الحافل بالرقائق والحقائق يتكفل البرهنه على هذه الدعاوى، و هو نص في تشييعه كما عده ابن شهر آشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين، و ذكر له في أهل البيت قصيدتين (٢) و شيئاً من ثالثه ليوم عاشوراء (٣).

و منهم مهيار الديلمي، أبوالحسن (٤) مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادى نزيل درب رباح بالكرخ، وصفه بأنه ارفع رايه للأدب العربى منشوره بين المشرق و المغرب و انفس كثر من كنوز الفضيله و فى الرعيل الأول من ناشرى لغه الضاد و موطدى أسسها و رافعى علاليها و قال: اسلم على يد سيدنا الشريف الرضى سنة ٣٩٤ و تخرج عليه فى الأدب و الشعر توفي ليله الأحد لخمس خلن من جمادى الثانيه سنة ٤٢٨ و ذكر له قصائد غديرييه و رثائيه و مادحه.

و منهم أبو على البصير (٥) (الضير) الحسن بن المظهر النيسابورى المحتد الخوارزمى

١- الغدير ج ٤ ص ٢٢٥.

٢- الغدير ج ٤ ص ٢٢٦-٢٢٨.

٣- الغدير ج ٤ ص ٢٢٨-٢٢٩.

٤- الغدير ج ٤ ص ٢٣٨-٢٣٣-٢٦١.

٥- الغدير ج ٤ ص ٣٠٠-٣٠١.

المولد، قال الأميني ذكره ابن شهر آشوب من المتقين من شعراء أهل البيت عليهم السلام و ذكر له عن بعضهم كتباً عدة و شيئاً من شعره غديري و غيره و أرخ وفاته سنة ٤٢٢.

و من العلماء المتقدمين في الشيعة من ذكرهم السيد حسن الصدر أعلى الله مقامه في كتابه النفيس (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) لبيان كونهم هم المتقدمين في كل فن من فنون الاسلام و علومه و تعرض لمشاهيرهم من أهل المائة الاولى الى السابعة لنكته ذكرها قدس سره و نحن نقتصر على ذكر من عاش في القرن الرابع أو مات في العشر الثاني منه أو في القرن الخامس، و الأحسن سرد أسمائهم على ترتيب حروف الهجاء و هذه هي الأسماء وان سبق ترجمه بعضهم:

١. ابراهيم بن جعفر بن أحمد بن ابراهيم بن نوبخت (١) و صفة بأنه عالم متكلم فقيه و انه في طبقه ابن عمه الشيخ أبي نصر هبه الله بن محمد بن بنت ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري و هما ممند روي عن مولانا الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي المتوفى سنة ٣٢٦، قال: فالشيخ ابراهيم في طبقه الشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ و هما من أهل القرن الرابع.

٢. ابراهيم بن سعد بن الطيب (٢)، أبو الحسن اسحاق الرفاعي النحوي، قال ياقوت كان ضريراً، قدم واسط فتلقي القرآن من عبدالغفار الحصني، ثم أتى بغداد فصحب السيرافي و قرأ عليه شرحه على الكتاب و سمع منه كتب اللغة والدواوين و عاد إلى واسط فجلس بالجامع صدرأ يقرء الناس، ثم نزل الزيدية و هناك تكون الرافضة و العلويون فنسب إلى مذهبهم و مقت و جفاه الناس و مات سنة ٤١١ و لم يخرج في جنازته الا رجلا مع

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٧٤.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٠٢.

غروب الشمس، الى، والعجب من هذا الرجل مع ما عليه من الفضل كانت هذه حاله، و مات بعد وفاته بيوم رجل من حشو العامه فاغلق البلد لأجله و لم يوصل إلى جنازته من كثره الزحام. انتهى.

قال السيد الصدر رحمه الله: لا مورد للتعجب من ذلك، نعوذ بالله من الجهل.

٣. أبو الحسن القناني (١) الكاتب، وصفه بأنه امام أهل اللغة والنحو والأدب، ذكره النجاشي في مصنفى الاماميه، مات سنه ٤١٣.

٤. أبو الحسن بن كثير النوبختي (٢)، كان من علماء آل نوبخت، متكلم، فقه، كثير الحديث، كان فى طبقه الشيخ أبى القاسم بن روح النوبختي، شيخ الشيعه، المتوفى سنه ٣٢٠.

٥. أحمد بن ابراهيم السيارى (٣) أبو الحسن خال أبى عمرو الزاهد، وصفه بأنه كان من أئمه علماء النحو واللغه، و ذكر عن أبى بكر بن حميد، قال: قلت لأبى عمرو الزاهد من هو السيارى؟ قال: خال خالى، كان رافضياً، مكث أربعين سنه يدعونى الى الرفض فلم أستجب له، و مكثت أربعين سنه أدعوه الى السنه فلم يستجب لى، حكاه السيوطى فى الطبقات و ياقوت فى معجم الأدباء، قال: مات (السيارى) قبله (أى قبل أبى عمرو الذى مات سنه ٣٤٥).

٦. أبو بشر، أحمد بن ابراهيم بن أحمد القمى (٤)، ذكره ابن النديم فى متكلمى الشيعه و هو ممن جمع الفقه والكلام وصنف فيهما، توفى بعد ٣٥٠.

١- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ١٤٣.

٢- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ٣٧٣.

٣- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ٩٠.

٤- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ٣٨٠.

٧. ابن عماد أبو العباس (١) أحدم بن عبدالله بن محمد بن عماد الثقفي الكاتب، ذكر عن ابن النديم في كتاب الفهرست انه كان يتوكل للقاسم بن عبيدالله ولولده، توفي سنة ٣١٠ و ذكر في كتبه رسالته في تفضيل بني هاشم و أوليائهم و ذم بني اميه و أتباعهم.

٨. أحمد بن علويه (٢) المعروف بأبي الدسود الكاتب الكراني الاصفهاني الامامي الشيعي، ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي في فهرس مصنفات الشيعة، و قال النجاشي كان يروي كل مصنفات ابراهيم الثقفي، و ذكر عن ياقوت ان له قصيده على ألف قافيه شيعيه عرضت على أبي حاتم السجستاني فأعجب بها، و قال يا أهل البصره غلبكم أهل اصفهان، و عن حمزه انه أنشدني في سنة ٣١٠ و له ٩٨ سنة و ذكره شعره.

٩. أحمد بن علي بن قدامه (٣) أبو المعاني النحوي قاضي الأنبار، قال ياقوت، أحد العلماء بهذا الشأن المعروفين المشهورين به، صنف كتاباً في نحو و آخر في القوافي، و ذكر عده في رياض العلماء من علماء الشيعة و وصفه بالفضل و العلم و انه تلميذ السيد المرتضى و السيد الرضي، أرخ وفاته في التأسيس لشوال سنة ٤٣٦.

١٠. الشيخ الأفضل أحمد بن علي الماهابادي (٤)، فاضل، متبحر، ذكر له كتباً، و انه من طبقه السيد المرتضى و الشيخ أبي جعفر الطوسي و روى عنهما.

١١. أحمد بن محمد بن دول (٥) القمي، مأه كتاب، منها كتاب التفسير، ترجمته في فهرست أسماء الشيعة للنجاشي، مات سنة ٣٥٠.

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٥٢.

٢- نفس المصدر ص ٧٨.

٣- نفس المصدر ص ١٠٩.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١١٦.

٥- نفس المصدر ص ٣٣٢.

١٢. الشيخ أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن عياش بن ابراهيم بن أيوب الجوهري (١) الامام في الأدب والتواريخ و علوم الحديث، ذكر عن النجاشي له كتباً، منها كتاب أخبار الوكلاء للأئمة عليهم السلام، كتاب ما نزل من القرآن في صاحب الزمان، كتاب مقتضب الأثر في امامه الأئمة الاثني عشر.

١٣. أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الاصفهاني (٢) المعروف بالامام المرزوقي، كان فاضلاً كاملاً أديباً ماهراً شاعراً مجيداً، عده ابن شهر آشوب و الشيخ الحر من شعراء أهل البيت، عدله كتباً و قال مات في ذي الحجه سنه ٤٢١.

١٤. أبو العباس أحمد بن محمد بن نوح السيرافي البصري (٣) الامامى الثقه في روايته، صنف كتاب الرجال الذين رووا عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، مات في حياه الشيخ أبي جعفر الطوسى بالبصره في المأه الرابعه.

١٥. اسحاق بن نوبخت (٤) الكاتب الذى شاهد الحجه بن الحسن عليه و على آبائه أفضل الصلاه والسلام، قال: و لعله ابن اسماعيل بن اسحاق بن نوبخت الذى عده الشيخ أبو جعفر الطوسى في كتاب الرجال فى أصحاب أبي الحسن الهادى على بن محمد بن الرضا عليهم السلام و هو ابن صاحب كتاب الياقوت فى الكلام.

١٦. الشيخ المعز (٥) اسماعيل بن على بن الحسين السمان المعاصر للشيخ الطوسى من أهل القرن الرابع و توفى بعده، صنف البستان فى تفسير القرآن فى عشر مجلدات و فى موضع

١- نفس المصدر ص ٢٦٨-٢٦٩.

٢- معالم العلماء ص ١٣٩، تأسيس الشيعة ص ٢١٥.

٣- تأسيس الشيعة ص ٢٦٥.

٤- نفس المصدر ص ٣٧١.

٥- نفس المصدر ص ٣٤٠.

آخر (١) قال عالم فى العلوم العقلية و النقلية واحد فى التفسير والعرييه و عد من كتبه كتاب المدخل فى النحو.

١٧. أبو ابراهيم (٢) جعفر بن أحمد بن ابراهيم بن نوبخت، كان من وجوه المتكلمين، و هو المعنى فى قول أبى نصر هبه الله بن محمد، حدثنى خالى، فان ام أبى نصر بنت أحمد بن ابراهيم بن نوبخت، بنت ام كلثوم بنت أبى جعفر العمرى رضى الله عنه، كان أبو ابراهيم معاصراً للشيخ أبى القاسم بن روح المتوفى سنة ٣٢٦.

١٨. ابن قولويه (٣) جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه، أبو القاسم شيخ الشيعة رضى الله عنه، له تاريخ الشهور والحوادث، و هو صاحب فهرست ما يرويه من الكتب والاصول و كامل الزيارات و هو شيخ شيخنا أبى عبدالله المفيد و مات سنة ٣٦٨.

١٩. حسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني اليماني الصنعاني (٤) مولداً و منشأ، ذكر عن السيوطى عن الخزرجى، هو الأوحد فى عصره والفاضل على من سبقه المبرز على من لحقه، لم يولد لليمن مثله علماً و فهماً و لساناً و شعراً و ريوايه و فكراً، الى ولد بصنعاء و نشأ بها ثم ارتحل و جاور مكة، و عاد فنزل صعده، قال وهاجى شعرائها فنسبوه الى انه هجا النبى صلى الله عليه و آله فسجن، و انما تعصبوا عليه لتشيعة، و له تصانيف فى علوم و ذكر عن كشف الظنون قصيدته الدامغه فى اللغة و شرحها فى مجلدين، قال للحسن بن أحمد اللغوى الهمداني المتوفى سنة ٤٣٤.

٢٠. الحسن بن حمزه بن على بن عبدالله بن محمد بن الحسن بن الحسين بن على بن

١- نفس المصدر ص ١١٥.

٢- نفس المصدر ص ٣٧٢.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٥٦.

٤- نفس المصدر ص ١٠٨-١٠٩.

الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (١) أبو محمد الطبري يعرف بالمرعشي من أجلاء هذه الطائفة و فقهاؤها، كان فاضلاً ديناً عارفاً فقهاً زاهداً ورعاً كثير المحاسن، أديباً نحوياً لغوياً كثير التصنيف، روى عن التلعكبري و كان سماعه من أولاً لسنة ٢٣٨ و له منه اجازة بجميع كتبه و رواياته، و حكى الشيخ أبو جعفر الطوسي ان مشايخه الأربع سمعوا منه سنظ ٣٦٤، و قال النجاشي مات سنة ٣٥٨ و هذا لا يجامع قول الشيخ الطوسي رحمه الله.

٢١. الشيخ أبو علي (٢) الفارسي، في رياض العلماء، الشيخ أبو علي الفارسي، الحسن بن علي بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي الفسوي النحوي الأديب المعروف بأبي علي الفارسي المعاصر للمعتنبي الشاعر، و كانت ولادة أبي علي سنة ٢٨٨ و توفي سنة ٣٧٧ و بالبال انه قرء عليه الرضي في النحو في أوائل حال السيد الرضي و أواخر حال أبي علي قال: بل أبو علي لعله استاذ السيد المرتضى أيضاً، و علي أي حال فأبو علي معاصر للمفيد من علمائنا البته، و كذا للمرتضى و الشيخ الطوسي أيضاً، و السيد الرضي في تفسيره (الموسوم بحقائق التنزيل) مدحه و تعصب له، و من تلامذه أبي علي هذا، الشيخ ابن جني النحوي المشهور، و ذكر عن ابن خلكان انه كان متهماً بالاعتزال، و كذا عن الذهبي في ميزان الاعتدال، و عن السيوطي في الطبقات، و كان مولده سنة ٢٨٨ و توفي يوم الأحد سنة ٣٧٧ ثم استظهر كون المراد بالاعتزال، التشيع، اذ قد اشتهر كون أبي علي من الامامية و العامه لا تفرق بين الخاصة والمعتزله، و ذكر عن السيوطي، قال كثير من تلامذته انه اعلم من المبرد، و برع من طلبته جماعه

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٣٧.

٢- نفس المصدر ص ٧٩-٨١.

كان جنى و و على بن عيسى الربعى و تعرض لتصانيفه، و فى الشذرات (١) فيها (أى توفى سنة ٣٧٧) أبو على الفارسى الحسن بن محمد بن عبدالغفار النحوى صاحب التصانيف ببغداد فى ربيع الأول و له ٨٩ سنة و كان متهماً بالاعتزال، و قد فضله بعضهم على المبرد، و كان عديم المثل، قاله فى العبر، قال: و قال ابن خلكان كان امام وقته فى علم النحو و ذكر كتباً من تصانيفه، قال و كان مولده ٢٨٨.

٢٢٠ الشيخ أبو محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبه الحرانى رضى الله عنه (٢)، شيخنا الأقدم و امامنا الأعظم، له كتاب تحف العقول فى ما جاء فى الحكم و المواعظ عن آل الرسول كتاب جليل لم يصنف مثله، و ختمه بما وعظ الله به موسى و عيسى عليهما السلام، و باب فى مواعظ المسيح عليه السلام، قال و غير خفى على الخبير ان ابن همام (أبو على محمد بن همام) مات سنة ٣٣٢ من عمر طويل، فالحسن ابن شعبه من أهل طبقتة.

٢٣. ابن اشناس أبو على (٣) الحسن بن محمد بن اسماعيل نب اشناس و يعرف بابن الحمامى البزاز مولى جعفر المتوكل، قال الشيخ محمد بن الحسن الحر فى الأمل، فاضل جليل عدده العلامه فى اجازته من مشايخ الشيخ الطوسى من رجال الخاصه، و ذكره أبوبكر الخطيب، و قال كتبت عنه شيئاً يسيراً الا انه كان رافضياً خبيث المذهب، و كان سماعى له بمجلس فى داره بالكرك و يحضره الشيعة و يقرء عليهم مثالب الصحابه و الطعن على السلف، سألته عن مولده فقال فى شوال سنة ٣٥٩ و مات فى الثالث من ذى القعدة سنة ٤٣٩.

و اشناس بفتح الألف و سكون الشيخ المعجمه و فتح النون و فى آخرها السين المهمله اسم

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٨٨-٨٩.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٤١٣، ٤١٤.

٣- نفس المصدر ص ٨٩.

غلام كان للمتوكل. انتهى من أنساب السمعاني ملخصاً.

٢٤. الشيخ (١) أبو محمد الحسن بن محمد بن جعفر التميمي النحوي من كبار مشايخ المفيد (كما يظهر من الارشاد) قال و هو من علماء المائة الرابعة وقبلها.

٢٥. الوزير المهلبى أبو محمد (٢) حسن بن محمد بن هارون من ولد قبيصه بن المهلب الأزدي كان من أحسن الناس أخلاقاً و فضلاً و آدباً و شعراً و من أكملهم عقلاً و سياسته وزير لمعز الدوله أبى الحسين أحمد بن بويه الديلمي، له ترجمه طويله و كانت وفاته فى سنه ٣٥٢ فى طريق واسط.

و فى الشذرات (٣) فيها (فى سنه ٣٥٢) توفى الوزير المهلبى أبو محمد الحسن بن محمد الأزدي من ذريه المهلب بن أبى صفره، وزير معز الدوله بن بويه، كان من رجال الدهر حزماً و عزمًا و سؤدداً و عقلاً و شهامه و رأياً، قال و كان فاضلاً شاعراً فصيحاً حليماً جواداً و قد سبق حكاية فقره و شده حاله فى ما سبق.

٢٦. ابن خالويه (٤) أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمداني، سكن حلب و كان من الشيعة الاماميه، قال النجاشى كان عارفاً بمذهبننا مع علمه بعلوم العربيه و اللغه و الشعر و له كتب، منها كتاب الآل، ذكر فيه امامه أمير المؤمنين و الأحد عشر من أولاده و كتاب مستحسن القراءات والشواذ، و زاد فى مرآت الجنان بعد ذكر الأئمه الاثني عشر من آل محمد عليهم السلام (و تاريخ مواليدهم و وفاتهم و آبائهم و امهاتهم) و ذكر عن الحافظ السيوطى فى الطبقات، كان اما اللغه والعربيه و غيرهما من العلوم الأدبيه الى

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٧١.

٢- نفس المصدر ص ٢١٠.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٩-١٠.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٨٦.

و كان أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام العلم و الأدب، و كانت الرحلظ اليه من الآفاق، توفى بحلب سنه ٣٧١ و ذكر له كتباً عديده، و ذكر السيوطى فى الدانى انه شافعى، و رده فى التأسيس، فان الرجل من مشاهير الشيعة كما فى فهرست النجاشى و الشيخ أبى جعفر الطوسى و خلاصه العلامه الحلى و سائر كتب الشيعة فى الرجال و الفهارس، و فى الشذرات (١) فيها (توفى فيها أى سنه ٣٧٠) ابن خالويه الاستاد أبو عبدالله الحسين بن أحمد الهمداني النحوى اللغوى صاحب التصانيف و شيخ أهل حلب.

٢٧. الحسين بن على بن الحسين بن محمد بن يوسف (٢) الوزير أبو القاسم المغربى من ولد بلاس بن بهرام جور. كان من أوحد أهل زمانه فى العلوم الأدبيه، ترجمه النجاشى فى أسماء مصنفى الشيعة و ذكر له كتاب خصائص علم القرآن و كتباً آخر، قال: توفى رحمه الله يوم النصف من شهر رمضان سنه ٤١٨.

و فى الشذرات (٣) و فيها (أى توفى فى سنه ٤١٨) أبو القاسم بن المغربى الوزير، اسمه حسين بن على الشيعى، قال و له شعر رائق و عده تأليف، عاش ٤٨ سنه و كان من أدهى البشر و أذكاهم.

٢٩. الخالغ النحوى (٤) الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الرافعى، قال الصفدى كان من كبار النجاه، أخذ عن الفارسى و السيرافى و يقال انه من ذريه معاويه.

قال السيد الصدر: ترجمه النجاشى فى كتاب فهرست أسماء مصنفى الشيعة، و قال كان موجوداً فى عشر الثمانين و الثلثمائه.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٧١.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٠٢-١٠٣.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٠.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٩٠.

٢٩. الحسين بن محمد (١) الأزدي أبو عبدالله النحوي، قال النجاشي ثقه من أصحابنا كوفي، كان الغالب عليه علم السير والآداب والشعر، و ذكر له كتباً، قال السيد الصدر رحمه الله و هو فى طبقه الكلينى المتوفى سنه ٣٢٩.

٣٠. أبو يعلى (٢) العلوى حمزه بن القاسم بن على بن حمزه بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن على بن أبى طالب عليه السلام، ثقه جليل القدر من أصحابنا له كتب، قال و هو فى طبقه ثقه الاسلام الكلينى.

٣١. أبو القاسم الكوفى (٣) حميد بن زياد بن حماد بن زياد هوار الدهنان، قال الشيخ أبو جعفر الطوسى فى كتاب الرجال، عالم جليل واسع العلم كثير التصانيف، و نص فى الفهرست على ثقته، و قال النجاشى و كان ثقه واقفاً وجهاً فيهم، مات سنه ٣١٠.

٣٢. ذوبى بن أعين (٤) العالم المتكلم، قال ابن شهر آشوب، انه من غلمان السيد المرتضى رضى الله عنه له عيون الأدله اثنا عشر جزءاً فى الكلام، قال السيد الصدر و لا أعرف كتاباً أبسط منه فى علم الكلام.

٣٣. عبد السلام (٥) بن الحسين أبو أحمد البصرى النحوى شيخ الأدب بالبصره من مشايخ النجاشى ذكره فى فهرست أسماء و مصنفي الاماميه، الى، و ناهيك أن يصف مثل النجاشى أحداً بشيخ الأدب بالكوفه فى ذلك العصر (أعنى المأه الرابعه). أقول: لكن فى ما نقله صدر الكلام شيخ الأدب بالبصره.

١- نفس المصدر ص ٩٧.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٥٦.

٣- نفس المصدر ص ٢٥٧.

٤- نفس المصدر ص ٣٩٣ لكن فى معالم العلماء ص ١٣١ (ابن أعين زربى).

٥- نفس المصدر ص ١٠٢.

٣٤. الجلودى (١) أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودى. قال ابن النديم: كان من أكابر الشيعة الاماميه و الرواه للآثار والسير، و قال الشيخ أبو جعفر الطوسى فى الفهرست: امامى المذهب، له كتب فى السير والأخبار و له كتب فى الفقه و ذكر السيد الصدر كلام النجاشى و العلامه و صرح الثانى فى الخلاصه بوثاقته و انه امامى المذهب. وعد النجاشى عده وافره من كتبه ربما تقرب من مأتين. قال السيد انه فى طبقه الكلينى و فى طبقه مشايخ المفيد قدس سره ممن كان فى مأه الثالثه و بعدها بقليل و ذكره العلامه الخوئى قدس سره فى المعجم (٢) و أورد كلام النجاشى فى ترجمته و ذكر كتبه و ذكر كلام الشيخ و تو ثيقه منه فى رجاله و موته عن ابن النديم بعد ٣٣٠.

٣٥. أبو محمد عبيدالله بن أحمد بن معروف (٣) القاضى البغدادى امام فى علم الأدب و الشعر والكلام والفقه والحديث، ذكر عن الخطيب فى تاريخ بغداد انه ولى القضاء ببغداد بعد أبى بشر عمر بن اكنم، الى، و كان عفيفاً نزهاً فى القضاء، لم ير مثله فى نزاهته و عفته، و مات يوم السبت لسبع خلون من صفر سنه ٣٣١ الى، و وقع لى انه كان متشيعاً. حكى كلام الخطيب فى نسمة السحر. و فى الشذرات (٤) فيها (أى سنه ٣٨١) أى مات أبو محمد بن معروف قاضى القضاء عبدالله بن أحمد بن معروف البغدادى، و ذكر عن الخطيب انه كان من اجلاء الرجال و البائهم الى، قال فى العبر قلت، ولد سنه ٣٠٦ الى و توفى فى صفر.

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٤٤-٢٤٧.

٢- معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٣٩-٤٣.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٩٤.

٤- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠١.

٣٦. أبو محمد عبدالله (١) بن محمد الكاتب الاصفهاني الشاعر الشهير بالخازن، الشاعر المشهور، ذكره في نسمة السحر فيمن تشيع و شعر، قال: فاضل ينظم اللؤلؤ والياقوت من سجعه الى و انما عرف بالخازن لأنه كان خازناً للصاحب كافي الكفاه اسماعيل بن عباد، و كاتباً له، و كان شاعراً مجيداً.

٣٧. أبو الفتح (٢) عثمان بن جنى بسكون الياء معرب كنى، ذكر عن ابن النديم مولده قبل ٣٣٠ و توفي ليلة الجمعة من صفر سنة ٣٩٢.

قال السيد الصدر رحمه الله: كان ابن جنى أحد شيوخ السيد الرضى و أكثر من النقل عنه في مصنفاته، الى و كان من خواص السيدين المرتضى والرضى أيام مقامه ببغداد، و ذكره القاضى المرعشى في طبقات الشيعة و ترجمه، و عقد السيد بحر العلوم المهدي طاب ثراه ترجمظ لابن جنى في كتابه الفوائد الرجالية المبنيه على ما أغفله الرجاليون الاماميه، من الاماميه و ذكر عن ابن النديم عده من مؤلفاته، و أفاد الصدر انه فات الباخزرى و السيوطى جملة من مصنفاته كما فات ابن النديم بعضها.

و فى الشذرات (٣) فيها (سنة ٣٩٢) أى مات أبو الفتح بن جنى، عثمان بن جنى الموصلى النحوى صاحب التصانيف، و كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدى الموصلى، قال و له تصانيف مفيدة ذكر بعضها و عن ابن خلكان جنى بكسر الجيم و تشديد النون و بعدها ياء.

٣٨. على بن أحمد (٤) الكوفى، أبو القاسم العلامة صاحب كتاب الفقه على ترتيب المزنى

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٢٣.

٢- نفس المصدر ص ١٤٣.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٠-١٤١.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٠١.

و ذكر عن النجاشى انه يقول انه من آل أبى طالب، و غلافى آخر عمره، و صنف كتباً كثيره تبلغ ٥٠ و قال: توفى بموضع يقال له كرمى من ناحيه فساو ذكر وفاته فى جمادى الاولى ٣٥٢ و قبره بكرمى. انتهى ما عن النجاشى باقتضاب.

٣٩. العقيقى (١) الرجالى و هما اثنان، الابن، هو أبوالحسن على بن أحمد صاحب كتاب الرجال و هو المراد عند الاطلاق فى لسان أهل الرجال، والثانى عند المحدثين، و هو أحمد بن على بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام، كان أحد أئمه علم الرجال والتاريخ فى الشيعة، قال النجاشى كان مقيماً بمكة و سمع أصحابنا الكوفيين و أكثر منهم، و صنف كتباً وقع إلينا كتاب المعرفة، كتاب فضل المؤمن، كتاب تاريخ الرجال، قال السيد الصدر رحمه الله: و أكثر علماؤنا فى كتب الرجال من النقل عنه واعتمدوا على روايته و جرحه و تعديله و كان يكنى بأبى طالب العلوى و يعرف بالعقيقى الخ.

٤٠. أبوالحسن (٢) على بن أحمد بن نوبخت، الشاعر المشهور، قال ترجمه ابن خلكان ترجمه حسنه فى وفيات الأعيان، توفى سنه ٤١٦ و ذكر عن كشف الظنون (٣) ان له ديوان شعر كبير و آخر صغير.

٤١. على بن أحمد (٤) المهلبى، أبو الحسين النحوى نزيل مصر أيام الخلفاء الفاطميين، و ذكر عن السيوطى فى بغية الوعاة انه كان اماماً فى النحو واللغه و روايه الأخبار و تفسير الأشعار، و قال مات بمصر سنه ٣٨٥.

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٤٣-٢٤٤.

٢- نفس المصدر ص ٢١٥.

٣- نفس المصدر ص ٣٧١.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٩٦.

٤٢. أبو القاسم التنوخي (١) على بن محمد بن أبي الفهم التنوخي الكبير الانطاكي، ذكر عن ابن خلكان انه تقلد قضاء البصره والأهواز بضع سنين، قال و كان معتزلياً، و الصحيح انه كان شيعياً، و ذكر عن ضياء الدين في نسمة السحر عند ذكره له، و قال أبو الفضل بن جبرون، قيل كان رأيه الرفض والاعتزال، و قال شجاع الهندي، كان يتشيع و يذهب إلى الاعتزال، و عن أحمد بن سعد الدين المسعودي اليمني، و كان التشيع دينه و دين أبيه و جده على بن محمد، معتزلي الاصول متشيع جداً.

و عن ابن شهر اشوب (٢) عده في جملة الشعراء المجاهرين بالشعر في مدح أهل البيت.

٤٣. المسعودي صاحب مروج الذهب (٣) أبو الحسن على بن الحسين المسعودي من ذرية عبدالله بن مسعود الصحابي رضي الله عنه، ذكر عن أبي على في منتهى المقال في أحوال الرجال: المسعودي هذا من أجلاء العلماء الاماميه، من قدماء الفضلاء الاثني عشرية، قال: و ممن صرح بذلك أيضاً السيد بن طاوس في كتاب النجوم عند ذكر العلماء القائدين (القائلين) بالنجوم، منهم الشيخ الفاضل الشيعي، على بن الحسين المسعودي مصنف كتاب مروج الذهب، قال و لم أقف إلى الآن على من توقف في تشيع هذا الشيخ و ذكر عن غير واحد من علمائنا تشيعه، منهم النجاشي و ذكر كتبه و منها رساله اثبات الوصيه لعلي بن أبي طالب عليه السلام، مات سنه ٣٤٦. (أنا أقول: بخاطري في بعض كتب الشيعة عده شافعي المذهب) و ذكر السيد الصدر رحمه الله انه أخذ العلم من شيوخها الأعلام (الماءه الثالثه) عد منهم الحميري صاحب قرب الاسناد من أصحاب الامام العسكري أبي محمد عليه السلام، و علان (الكليني) شيخ صاحب الكافي والعباس بن محمد بن الحسين

١- نفس المصدر ص ٩٠ و ما بعدها.

٢- معالم العلماء ص ١٣٧ لكن فيه القاضى أبو القاسم محمد التنوخي.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٥٣-٢٥٤.

و محمد بن عمر الكاتب شيخ الشيعة، و أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي الرازي أحد الأبواب، و حمزه بن نصر غلام الامام أبي الحسن الهادي عليه السلام و الحسن بن محمد بن جمهور عن أبيه محمد بن جمهور القمي الراوي عن الرضا عليه السلام. و قال بعد ذكر تاريخ و فاته و كان يتستر بالشافعية في المذهب مدة اقامته بمصر و الشام، ذكره في الشذرات (١) و أرخ وفاته سنة ٣٤٥ و قال: رحل و طوف في البلاد و حقق في التاريخ ما لم يحققه غيره، و صنف في اصول الدين و غيرها من الفنون، قال و هو غير المسعودي الفقيه الشافعي و غير شارح مقامات الحريري، قاله ابن الدهل.

٤٤. أبو الحسن الربعي (٢) النحوي علي بن عيسى بن الفرغ بن صالح الربعي النحوي، قال ابن كثير الشامي: قرء في ابتداء أمره في السيرافي علوم العربية ثم علي أبي علي السيرافي (الفارسي) و لازمه ملازمه تامه عشرين سنة حتى برع في العلم و حاز قصب السبق، قال: و كان يتمشى علي شاطئ دجله ذات يوم و الشريفين (والشريفان) المرتضى والرضي في زورق في دجله و معهما عثمان بن جنى أبو الفتح، فقال لهما علي بن عيسى: من أعجب الأعاجيب ان عثمان معكما و علي بعيد عنكما يسير في شاطئ دجله. مات سنة ٤٢٠، ذكره في الشذرات (٣)، و قال: و فيها (أي مات سنة ٤٢٠) علي بن عيسى البغدادي شيخ النحو ببغداد. أخذ عن أبي سعيد السيرافي و أبي علي الفارسي، الي و قيل: ان أبا علي قال: قولوا لعلي البغدادي لو سرت من المشرق إلى المغرب لم تجد أحداً أنحى منك.

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧١.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٠١-١٠٢.

٣- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٦.

٤٥. أبو الحسن علي بن محمد السميساطي (١) العدوي من عدى تغلب، عدى بن عمرو بن عثمان بن تغلب، قال النجاشي في كتاب أسماء مصنفى الشيعة كان شيخ الجزيره وفاضل زمانه و أديبهم، له كتب كثيره و عد منها قسماً و افراً، قال السيد الصدر رحمه الله آخر ترجمته، فصاحب الترجمة من علماء المأه الرابعه.

٤٦. علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي (٢) الامامى المعروف بابن الكوفى من أئمه العربيه. قال السيوطى فى الطبقات كان نحوياً من أجل أصحاب تغلب وله الخط المشهور بالصحه والضبط و كان جماعاً للكت، ثقه، صادق، حسن الروايه، ثم ذكر له ثلاث مصنفات. أرخ موته بذي القعدة سنه ٣٤٨. ذكره ياقوت فى معجم الأدباء والنجاشى و السيد بحر العلوم الطباطبائى فى الفوائد الرجاليه، و ذكر انه من أعلام الشيعة بالكوفه، و فى موضع آخر كناه بأبى الحسن (٣) و لقبه بالقرشى. شيخ الشيوخ فى الاقراء، راو للاصول الخ. و عبر عنه فى الشذرات (٤) بعلى بن محمد بن الزبير القرشى الكوفى المحدث أبو الحسن و قال و ثقه الخطيب و مات فى ذى القعدة (أى سنه ٣٤٨) و له أربع و تسعون سنه.

٤٧. علي بن محمد العدوي (٥) من عدى تغلب، أبو الحسن الشمشاطى النحوى الشاعر المشهور، كان واحد أهل عصره فى كل فنون الأدب و العربيه، نحوياً لغوياً شاعراً، علامه بأخبار الناس، متوحداً بالفضل، متبحراً فى العلم، و ذكر له كتباً كثيره فى فنون

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٤٧-٢٤٩.

٢- نفس المصدر ص ٨٢-٨٣.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٤٥.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٩.

٥- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٩٨-٩٩.

مختلفه و جعله من علماء القرن الثالث و فى طبقه الكلينى صاحب الكافى.

٤٨. السلطان عضدالدوله (١) فناخسرو بن الحسن بن بويه. قال السيوطى: هو أحد العلماء بالعربيه والأدب. و قال: و كان فاضلاً نحوياً شيعياً، و له مشاركته فى عدّه فنون و أرخ وفاته سنه ٣٧٣ و حكى فى نسمة السحر عن ابن الجوزى فى شذور العقود انه كان من كبار الشيعة، و أخذ عن الشيخ المفيد ابن النعمان فقيه الاماميه و كان يزوره فى موكبه العظيم.

و فى الشذرات (٢) أرخ وفاته فى شوال سنه ٣٧٢، و أظهرت وفاته فى المحرم، و كانت اخفيت حتى أحضروا ولده صمصام الدوله، و قال هو أول من خوطب بشاه شاه (شاهنشاه) فى السلام، و أول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفه. قال: و هو الذى أظهر قبل الامام على كرم الله وجهه بالكوفه و بنى عليه المشهدى الذى هناك، الى، كان غالباً فى التشيع الى، و دفن فى دار المملكه و كتم ذلك ثم حمل بعد ذلك إلى مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه (عليه السلام).

٤٩. محمد بن أحمد بن طرخان بن اوزلغ (٣) أبو نصر الفارابى أول حكيم نشأ فى الاسلام و بلغ فيها مبلغ التعليم حتى عرف بالمعلم الثانى، و هذا لا- يكون الا- للمتقن المبانى، و لولاه لم يكن ابن سينا الشيخ الرئيس فيها، الى، و كان لا يتصل الا بأهل الفضل من الشيعة لجامعيه العقيدة فى المذهب و ذكر له تأليفات كثيره، كما ذكر اتصاله بالصاحب بن عباد والشيعة لما كان فى بغداد، و ذكر انه كان أزهد الناس بالدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن واقتصر عليها لا غير (كل يوم أربعة دراهم أجرى عليه سيف الدوله)

١- نفس المصدر ص ٨٩.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٧٨-٧٩.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٨٣-٣٨٥.

توفى سنة ٣٣٩ بدمشق، و صلى عليه سيف الدولة فى أربعة من خواصه، و قال القاضى نور الدين المرعى فى طبقات الشيعة لم يرد سيف الدولة بذلك إلا ايقاع الصلاة على طريقه الشيعة الاماميه و ما كان يمكنه بهذا الوجه الا فى مقام الخلوه، ذكره فى الشذرات (١) بعنوان (أبو نصر الفارابى) صاحب الفلسفه، محمد بن محمد بن طرخان التركى ذو المصنفات المشهوره فى الحكمة والمنطق والموسيقى التى من ابتغى الهدى فيها أضله الله و كان مفرط الذكاء، و ذكر عن ابن الاهدل، قيل هو أكبر فلاسفه المسلمين لم يكن فيهم من بلغ رتبته، و به أى بتأليفه تخرج أبو على سيناء و بعد ترجمه طويله، ذكر عن الامام الغزالى تكفيره و ابن سيناء، و اليه يميل صاحب الشذرات، لكن السيد الصدر رحمه الله (٢) دافع عنه بأن ما وجد فى كتبه ما يدل فى قدم العالم و انكار المعاد و أمثال ذلك، ترجمه لكتب الفلاسفه بالعربى لا أنه عقيدته له.

٥٠. محمد بن آدم بن كمال أبوالمظفر (٣) الهروى النحوى النيسابورى المتكلم الامامى، كان متبحراً فى جملة من العلوم، قرأ على أديب الشيعة الاستاذ أبى بكر الخوارزمى و تصدر لاقراء النحو و الصرف والتفسير و ذكر له شروحا، قال توفى سنة ٤٢٤.

٥١. الشيخ أبو الحسن محمد بن أحمد بن داود بن على القمى (٤)، كان شيخ القميين فى وقته و فقيهم، له كتب، مات سنة ٣٦٨ و دفن فى مقابر قریش فى جوار الامامين موسى والجواد عليهما السلام، وفى موضع آخر (٥) ذكر له كتاباً فى مسائل اصول الفقه.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥٠-٣٥٤.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٨٥.

٣- نفس المصدر ص ١٠٨.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٦١.

٥- نفس المصدر ص ٣١٢.

٥٢. محمد بن أحمد (١) الوزير، ابن محمد الوزير، أحد أومه النحو واللغه، ذكره الشيخ منتجب الدين ابن بابويه في فهرس علماء الاماميه المعاصرين للشيخ أبي جعفر الطوسي والمتأخرين عنه، وقال محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد العميدى، قال ياقول نحوى لغوى أديب مصنف سكن مصر و ذكر له بعض التصنيفات، وقال مات يوم الجمعة ٥ جمادى الآخرة سنظ ٤٣٣ و عن الكشف ٤٢٣.

٥٣. الشريف أبو ابراهيم محمد بن أحمد (٢) المعروف بالحراني، ذكر عن السيد على بن صدر الدين في الدرجات الرفيعه، كان علماً فاضلاً أديباً لبيباً عاقلاً شجاعاً مقدماً، و ذكر قصيدته التي أرسلها الى أبي العلاء المعرى و أجاب عنها أبو العلاء.

٥٤. الشريف أبو الحسن (٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا ابن اسماعيل الديباج ابن ابراهيم الشبه (الظاهر الغمر) بن الحسن المثنى ابن الحسن بن على بن أبي طالب عليهم السلام، ذكره صاحب نسمة السحر في ذكر من تشيع و شعر، فقال: فاضل لا يعترى مين في فضله البار و نظمه الذى اعترف به من اعترف من معينه كل وارد بالمعين، الى، قال السيد العباسى في معاهد التنصيص هو شاعر مفلق و عالم محقق، و ذكر بعض مؤلفاته و ولادته سنه ٣٢٢.

٥٥. محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فوقه (٤) يكنى بأبى الحسين التميمى النحوى و يعرف بابن النجار الكوفى. قال ياقوت: قدم بغداد و حدث عن ابن دريد و نفطويه و كان ثقة من مجودى القرآن، و ذكره النجاشى في فهرس أسماء مصنفى الشيعة، و أثنى عليه،

١- نفس المصدر ص ١٠٣.

٢- نفس المصدر ص ١٢٣.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٨٠.

٤- نفس المصدر ص ١٠٠-١٠١.

و نص على انه من أصحابنا و انه شيخه و أكثر من الروايه عنه فى كتاب الرجل، و ذكر السيد الصدر رحمه الله له مصنفات، و عن الأندى فى رياض العلماء انه يطلق على رجلين أحدهما من الخاصه و الآخر من العامه.

و فى الشذرات (١) أرخ وفاته سنه ٤٠٢ و عبر عنه بالكوفى النحوى المقرئ آخر من حدث فى الدنيا عن محمد بن الحسين الاثنانى وابن دريد و عن العتيقى هو ثقه.

٥٦. أبو الفتح (٢) محمد بن جعفر بن محمد الهمداني المراغى النحوى، قال ياقوت: كان حافظاً نحويّاً بليغاً. و قال التوحيدى: كان قدوه فى النحو و الأدب مع حدوثة سنه و لم أر مثله. و ذكره النجاشى فى فهرست أسماء مصنفى الشيعة بعنوان محمد بن جعفر بن محمد أبو الفتح الهمداني الوارعى المعروف بالمراغى، و قال كان وجهاً فى النحو و اللغه ببغداد، حسن الحفظ، صحيح الروايه فيما ينقله، و ذكر له كتباً و أرخ وفاته سنه ٣٧١.

٥٧. أبو عبدالله (٣) محمد بن جعفر التيمى القيروانى الفزاز، أحد أئمه اللغه و النحو و ساير علوم العرييه، ذكره صاحب نسمة السحر فى من تشيع و شعر، و نصر على انه من الاماميه و حكى عن ابن خلكان انه أثنى عليه و قال صاحب النسمة توفى بمدينه القيروان سنه ٤١٢.

٥٨. الشيخ محدم بن الحسن بن أحمد بن الوليد (٤) أبو جعفر شيخ الشيخ الصدوق، بل شيخ كل الشيعة فى عصره، كان بقم و اليه الرحله من أطراف الدنيا، كثير التصنيف، له كتاب تفسير القرآن، مات سنه ٣٤٣.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٤.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٩٥-٩٦.

٣- نفس المصدر ص ١٦٥.

٤- نفس المصدر ص ٣٣٢.

٥٩. أبوبكر بن دريد (١) محمد بن الحسن بن دريدى الأزدي، عرفه في رياض العلماء (٢) بالأديب اللغوى صاحب الجمهوره في اللغة وغيره. و عده ابن شهر آشوب (٣) في طبقه الشعراء المجاهرين في أهل البيت عليهم السلام، قال السيد الصدر رحمه الله ولد في البصره سنه ٢٢٣ و نشأ فيها و لما فتحها الزنج هرب مع عمه الحسن إلى عمان و أقام هناك ١٢ سنه، ثم رجع إلى وطنه و أقام بها مده، ثم إلى أرض فارس إلى امراء الشيعة بنى ميكال و لم يكن للمال قيمه عنده فكان يصرف ما يرزق من الخير و يكرم و يحسن، إلى، و عمر ٩٨ سنه حتى مات في شعبان سنه ٣٢١. و في الرياض (٤) مات (أبوهاشم الجبائى المتكلم) وابن دريد في يوم واحد ببغداد، فقال الناس اليوم مات علم اللغة و الكلام بموت ابن دريد و أبى هاشم، و ذكر له مصنفات متعدده و له في الشذرات (٥) ترجمه ضافيه، عبر عنه بالعلامه صاحب التصانيف، و ذكر عن أحمد بن يوسف الأزرق، ما رأيت أحفظ من ابن دريد، و ذكر الثناء عليه من ابن خلكان و المسعودى في مروج الذهب، و ذكر عن بعضهم عليه اتهامات، منها ما عن الدارقطنى حين سئل عنه أثقه هو أم لا؟ فقال: تكلموا فيه، والجواب ما عن الامل حيث استظهر انهم تكلموا فيه بالتشيع.

٦٠. الشيخ أبوبكر الخوارزمى شيخ الأدب و علامه عسره في علوم العرب، محمد بن العباس، ذكر عن السيوطى عن الحاكم انه كان واحد عصره في حفظ اللغة و الشعر

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٥٧-١٥٨.

٢- رياض العلماء ج ٥ ص ٥٥.

٣- معالم العلماء ص ١٣٦.

٤- رياض العلماء، ج ٥ ص ٥٧.

٥- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠.

و كانت قريحته تقصر عن حفظه، و ذكر عن ابن خلكان كان اماماً فى اللغه والأنساب، و عن الثعالبى فى اليتيمه نابغه الدهر و بحر الأدب و علم النظر و النشر.

قال السيد الصدر رحمه توفى فى رمضان سنه ٣٨٣، و كان من شيوخ الشيعة الذين يسميهم الناس رافضه وله رساله مطوله، ذكر فيها شيئاً من المحن التى ابتلى بها أهل البيت صلوات الله عليهم، و تعرض لترجمته فى الشذرات (١) و قال: يقال له الطبرخى لأن أباه كان من خوارج و امه من طبرستان فركب له من الاسمين نسبه و هو ابن اخت أبى جعفر محمد بن حرير الطبرى صاحب التاريخ، و عده أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير كان اماماً فى اللغه والأنساب و ذكر عن الاثير (٢) موته فى سنه ٩٣ أى ٣٩٣.

٦١. محمد بن العباس (٣) بن الوليد أبو الحسين النحوى ذكره الشيخ الطوسى فى باب من لم يرو فى كتاب الرجال. روى عنه التلعكبرى و عده من علماء المأه الرابعه.

٦٢. محمد بن عبدالله (٤) المفجع (٥) و قيل محمد بن أحمد الكاتب البصرى النحوى المشهور، ذكر عن ابن النديم فى الفهرست، انه لقى ثعلب و أخذ عنه و عن غيره، و كان شاعراً شيعياً و له قصيده بالاشباه يمدح فيها علياً عليه السلام. قال السيد الصدر: قال ياقوت كان من كبار النحاه شاعراً مقلقاً شيعياً، و ذكره النجاشى و كان صحيح المذهب حسن الاعتقاد و له شعر كثير فى أهل البيت يذكر فيه أسماء الأئمه و يتفجع على قتلهم حتى سمي المفجع و ذكر له كتباً كثيره و أرخ وفاته سنه ٣٠٢.

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٥-١٠٦.

٢- الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٥٥٧.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٨٩.

٤- نفس المصدر ص ٨٤-٨٥.

٥- قد سبق ذكره عن الغدير.

٦٣. أبو عمرو الزاهد (١) محمد بن عبدالواحد الزاهد الطبري اللغوي النحوي غلام ثعلب اللغوي، ذكر السيد الصدر رحمه الله عن صاحب الرياض (٢) انه من الاماميه، و له كتاب المناقب و ينقل عن كتابه ابن طاوس في كتبه كثيراً من الأخبار، قال السيد الصدر، له كتاب الشورى كما في كشف الظنون، و هذا الكتاب أدل على تشييعه من غيره و عن التنوخي لم أر أحفظ منه، املى من حفظه ثلاثين ألف ورقه و له مصنفات، و عن السيوطي أرخ موته سنه ٣٤٥ ببغداد، و ذكره في الشذرات (٣) و سماه محمد بن عبدالواحد المطرز البغداد اللغوي، قال: قيل انه أملى ٣٠ ألف ورقه في اللغه من حفظه، و كان ثقة اماماً آيه في الحفظ و الذكاء، و عن ابن الاهدل مصنفاته تزيد على العشرين و كان سعه حفظه تكذبه أدباء وقته و وثقه المحدثون في الروايه الخ.

٦٤. محمد بن عمران المرزباني (٤) الكاتب البغدادى المولد الخراسانى الأصل، عن اليافعى في تاريخه: أخذ عن ابن دريد و ابن الأنبارى العلوم العربيه، و هو صاحب التصانيف المشهوره والمجامع الغريبه و روايه الأدب و صاحب التأليفات الكثيره، ثقته في الحديث قائل بمذهب التشيع و شعره قليل و لكنه من الجيد، و ذكر السيد الصدر رحمه الله ابن خلكان ذكره بمثل ما ذكره اليافعى بلا تفاوت حتى في التشي، و وصفه في كشف الظنون بالعلامه و ذكره الشيخ الحر في الأمل و ابن شهر آشوب في معالم العلماء و أثنى عليه، و كذلك علم الهدى السيد الشريف المرتضى أكثر في الغرر والدرر من الروايه عنه بلا واسطه، و أرخ وفاته ٣٨٤ و قيل ٣٧٨ ببغداد في الجانب الشرقى و صلى عليه فاضل

١- نفس المصدر ١٥٨-١٥٩.

٢- رياض العلماء ج ٥ ص ٤٧٩.

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٠-٣٧١.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم السلام ص ٩٤-٩٥.

الشيعة أبوبكر الخوارزمي رحمه الله عليهما، و عنوانه السيد الصدر (١) في موضع آخر بعنوان الامام المرزباني (في الفصل الرابع في ما يرتبط بعلم المعاني والبيان والبديع) وانه صنف كتاب المفضل في علم البيان والفصاحة، و خطأ الجلال السيوطي في كتاب الأوائل حيث قال: أول من صنف فيه عبدالقاهر الجرجاني لأنه توفي سنة ٤٤٤، اللهم الا أن يريد بذلك الأول من علماء السنه والجماعه، لأن المرزباني المذكور من الشيعة الاماميه، ثم ذكر تقدم محمد بن أحمد العميدى المتوفى سنة ٤٢٣ على الشيخ عبدالقاهر في ذلك، صنف تنقيح البلاغه كما في كشف الظنون، و للسيد الصدر رحمه الله كلام في قدامه بن جعفر الكاتب الشيعي حيث صنف كتاب نقد الشعر المعروف بنقد قدامه و هو معاصر عبدالله بن المعتز مؤلف كتاب البديع و انه ليس لادن المعتز الا التسميه بالبديع حري بالمراجعه، و ذكره في الشذرات (٢) و وصفه بالكاتب الأخباري العلامه المعتزلي، و انه صنف أخبار المعتزله و أخبار الشعراء و ير ذلك، و أرخ وفاته سنة ٣٨٤، و ذكر عن ابن خلكان انه كان ثقة في الحديث و مائلاً الى التشيع في المذهب، و هو أول من جمع ديوان يزيد بن معاويه بن أبي سفيان الأموي (لعنهم الله) و اعتنى به، و نقل عن ابن الاهدل انه ثقة في الروايه.

أقول: بعد ما سبق من السيد الصدر ذكر شواهد تشيعه لا مجال لما في الشذرات عن الذهبي في العبر انه كان معتزلياً.

٦٥. الحافظ القاضي (٣) محمد بن عمر بن محمد بن سالم، الي، التميمي يعرف بأبي بكر الجعابي كان من حفاظ الحديث و أجلاء أهل العلم عن النجاشي، و عن ابن النديم في

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٦٨-١٦٩.

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ١١١-١١٢.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٦٢-٢٦٣.

الفهرست كان من أفاضل الشيعة، و عن النجاشي ان له كتباً كثيرة سمي بعضها.

أقول: ولما ذكر من مدح ابن النديم له و ما ذكر النجاشي من انه روى عنه شيخنا أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد و أكثر من الروايه عنه في أماليه خصوصاً من مناقل الائمة الهادين عليهم سلام الله و ملائكته أجمعين.

و ما ذكره في الشذرات (١) من قول القاضي أبي عمر الهاشمي سمعت الجعابي يقول احفظ أربعمائة ألف حديث و اذا كر ٦٠٠ ألف حديث. اتهموه.

قال الدار قطني و هو شيعي، قيل كان يترك الصلاة، و عن ابن ناصر الدين كان شيعياً رمى بالشرب و غيره، و عن ابن بردس كان حافظاً مكثرأ غير انه اتهم بقله الدين من ترك الصلاة و عن المغني مشهور محقق لكنه رقيق الدين تالف، إذ ليس الذنب الا تشييعه فصبت عليه أنواع التهم و الا- فكيف له المام بالحديث مليون حفظاً و مذاكره و يروي عنه رئيس الشيعة و عاملها العيلم شيخنا المفيد قدس سره و هو يترك الصلاة أو يشرب، نعوذ بالله من الحماقه و الحسد.

أرخ وفاته سنة ٣٥٥.

٦٦. محمد بن القاسم (٢) أبو بكر البغدادي كان من مشاهير المتكلمين من أصحابنا، ذكره الشيوخ في الفهارس، و ذكروا انه كان معاصراً لابن همام المتوفى سنة ٣٣٢.

٦٧. محمد بن يزيد (٣) بن محمود بن أبي الأزهر النوشجي النحوي، ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجال الاماميه و ذكره السيد في النقد. روى عن يعقوب بن يزيد بن حماد الأنباري السلمى أبي يوسف من كتاب المنتصر و أصحاب الامام الرضا و الجواد

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٨٠.

٣- نفس المصدر ص ٨٣-٨٤.

والهادى عليهم السلام. وروى عه أبو الفضل ذكره السيوطى فى الطبقات، و عن الخطيب فى تاريخ بغداد، حدث عن المبرد و كان مستمليه و الزبير بن بكار و جماعه و روى عنه أبو الفرج الاصفهانى و المعافا بن زكريا و أبوبكر بن شاذان و الدار قطنى و قال: كان ضعيفاً يروى المناكير و قال غيره كان كذباً قبيح الكذب، و أرخ موته سنة ٣٢٥ عن نيف و تسعين سنة.

أقول: تضعيفه و روايه المناكير و كنه كذاباً (شئنه أعرها من أخزم) ليس الا لتشيعة و الا فما هو الروايه التى هى ضعيفه رواها و أين نموذج من كذبه حتى يكون قبيحاً.

٦٨. العياشى (١) محمد بن مسعود بن محمد السلمى السمرقندى أبو نصر المعروف بالعياشى، عين من عيون أصحابنا المكثرين فى التصنيف، و ذكر له من كتبه كتاب مکه و الحرم و كتباً اخرى، و فى موضع آخر ذكر كتابه فى التفسير يعرف بتفسير العياشى فى مجلدين كبيرين و الموجود منه جزء واحد نصف التفسير.

و قال لهذا الشيخ ما يقرب من ٢٠٠ مصنف كلها جيده حسنه، كان فى طبقه الكلينى من علماء المأه الثالثه.

٦٩. محمد بن هانى الاندلسى (٢) يكنى أبا القاسم المغربى كان أشعر شعراء عصره و أفصح أدباء دهره، و قال الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى فى أمل الآمل: فاضل، شاعر، أديب صحيح الاعتقاد، توفى سنه ٣٦٢ و له شعر كثير فى مدح أمير المؤمنين عليه السلام، و عده ابن شهر آشوب (٣) من شعراء أهل البيت ثم نقل قطعه من شعره الداله على تشيعة و حسن عقيدته.

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٦٠-٣٣٢.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٠٦-٢٠٧.

٣- لم نره فى معالم العلماء و لعله فى مناقبه.

و ذكره ابن خلكان و ذكر ديوانه و قال انه كبير، ولو لا ما فيه من الغلو فى المدح والافراط المفضى الى الكفر لكان من أحسن الدواوين، و أجابه السيد الصدر رحمه الله وقالك هو برىء من كل سوء و غلو، نعم هو رجل شيعى مجاهر بالتشيع مبغض لخصوم على عليه السلام.

ثم ذكر أربعة من أشعاره أولها:

باسياف ذاكل البغى أول سلها *** أصيب على لا بسيف ابن ملجم

قال: حتى قتل على التشيع فى يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ و عمره ٣٦ أو ٤٢ سنة و قال: والحق انه من الآيات الباهرة والنوادر النادرة.

و ذكره فى الشذرات (١) و انه توفى سنة ٣٦٢ و وصفه بحامل لواء الشعر بالاندلس و قال: قيل انه من ولد يزيد بن حاتم، و ذكر انه ولد بمدينة اشبيلية و نشأ بها و اشتغل و حصل له حظ وافر من الأدب و عمل الشعر فبهر فيه، و كان حافظاً لأشعار العرب و أخبارهم، و اتصل بصاحب اشبيلية و حظى عنده و كان كثير الانهماك فى الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة (اتهم الملك) بمذهبه، فأشار عليه بالغيبه عن البلد مده ينسى فيها خبره، فانفصل عنها و عمره يومئذ ٢٧ سنة و يقل، عربدوا عليه (فى مجلس الانس فى برقه) فقتلوه، و قيل خرج من تلك الدار و هو سكران فنام على الطريق فأصبح ميتاً و لم يعلم سبب موته، و قيل وجد فى سانيه من سوانى برقه مخنوقاً بتكه سراويله، و ذكر عن العبر كان منغمساً فى اللذات و المحرمات متهماً بدين الفلاسفة، شرب ليله عند ناس فأصبح مخنوقاً و هو فى عشر الخمسين.

أقول: قد عرفت الجواب و ان قتله كان على التشيع.

٧٠. أبوبكر الصولى (١) قال المولى عبدالله (٢) الاصفهانى المعروف بالأفندى فى رياض العلماء أبوبكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس الكاتب الصولى المعروف بأبى بكر الصولى، يروى عن أبى العباس المبرد وقد كان من القدماء، وقد عدّه بان شهر آشوب (٣) من طبقه الشعراء المتقين فى شعرهم لأهل البيت عليهم السلم و استظهر كونه هو الصولى المشهور الامامى المشهور بلعب الشطرنج، وقال عن ابن خلكان توفى سنة ٥ و قيل ٣٣٦ بالبصره مستتراً لأنه روى خبراً فى حق على بن أبى طالب رضى الله عنه (عليه السلام) فطلبه الخاصه والعامه لتقتله فلم تقدر عليه.

و ذكره فى الشذرات (٤) بعنوان الصولى أبى بكر محمد بن يحيى البغدادي الأديب الأخبارى العلامه صاحب التصانيف، قال أخذ الأدب عن المبرد و ثعلب، و روى عن أبى داود السجستاني و طائفة و روى عنه الدار قطنى و غيره، و قال جده الأعلى هو صول ملك جرجان، و كان الصولى حسن الاعتقاد جميل الطريقه، يضرب به المثل فى لعب الشطرنج و يعتقد كثيرون انه الذى وضعه و انما وضعه صصه ابن داهر، و قيل ابن يلهب، و قيل ابن قاسم، وضعه لملك الهند شهرام (شيرام) واسمه بلهيت و قيل ماهيت و اردشير بن بابك أول ملوك الفرس الأخيره قد وضع النرد، و لذلك قيل نردشير، و قال بعد كلام طويل فى سعه الأرض، صنف الصولى المصنفات الحسان عد جمعاً منها، و أشار الى ما ذكرنا عن ابن خلكان فى روايته و طلبه الخاصه و العامه، و انه توفى مستتراً بالبصره، قال: و كان قد خرج من بغداد لضائقه لحقته.

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٧٧.

٢- رياض العلماء ج ٥ ص ٤٢٥.

٣- معالم العلماء ص ١٤١.

٤- شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٩-٣٤٢.

٧١. ثقة الاسلام شيخ الشيعة (١) محمد بن يعقوب الكليني، صاحب الكافي في الحديث عن طريق أهل البيت، له كتاب الرجال و كتاب ما قيل في الأئمة الاثني عشر من الشعر و أرخ وفاته سنة ٣٢٩ و في موضع (٢) آخر ٣٢٨ و ذكر انه أخرج في الكافي ١٦٠٩٩ حديثاً مسنده من طريق أهل البيت، قال: و هو يزيد على ما في الصحاح الست، لأن أحاديث الصحيحين سبعة آلاف و كسر بنص ابن تيميه في الجزء الرابع من منهاج السنه ص ٥٩ و باقى الصحاح لا تبلغ المتون غير المتكرره منها تسعه آلاف و أنما كثروا عددها باعتبار تعدد الطرق للمتن الواحد كما نص عليه أبوالفرج ابن الجوزى.

قال: ان المراد بهذا العدد الطرق لا المتون. انتهى.

٧٢. الشيخ العدل المحسن (٣) بن الحسين بن أحمد النيسابورى الخزاعى الامامى عم الشيخ المفيد عبدالرحمن النيسابورى، عالم، فاضل، محدث، فقيه، نحوى، لغوى، أديب، متبحر فى العلوم العربيه، له كتاب اعجاز القرآن، كتاب الأمالى فى الأحاديث، كتاب السير كتاب بيان حديث من كنت مولاه فعلى مولاه، و يروى عنه والد الشيخ أبى الفتوح الخزاعى والشيخ أبوالفتوح عن والده عنه، و هو فى طبقه السيد المرتضى و الشيخ أبى جعفر الطوسى.

٧٣. أبوالقاسم (٤) المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبى الجهم القابوسى من ولد قابوس بن النعمان بن المنذر.

قال النجاشى: ثقة من أصحابنا من بيت جليل، وعد له كتباً، قال: و هو فى طبقه ثقة الاسلام

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٦٠.

٢- نفس المصدر ص ٢٨٨.

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١١٨-١١٩.

٤- نفس المصدر ص ٢٦٤.

محمد بن يعقوب الكليني من علماء الماء الثالثه.

٧٤. أبو القاسم (١) نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصرى الخبزارزى الشاعر المشهور ذكره صاحب نسمة السحر فى ذكر من تشيع و شعر، قال فاضل اوتى المعجز و هو امى و فاز من المجد فى القريض بما لم يدركه عكاشه العمى، فهو نقى المعانى و ان كان خباز ارز، ادرك من لو زنج حلاوه الأدب ما لم يدركه الجزار والبلدى و لم يحزه فهو عديم النظر، نضيج خمير المعانى و شعر غيره فطير، و ذكره ابن خلكان، و قال كان يخبز بمربد البصره فى دكان و كان ينظم الشعر البديع مع أنه كان امياً لا يقرء و لا يكتب، و كما ينشد الأشعار الغزليه والناس يزدحمون عليه و ينظرفون باستماع شعره و يتعجبون من حاله و أمره، و كان أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم ينتاب دكانه ليستمع شعره.

قال السيد الصدر رحمه الله: و ذكره الثعالبي فى اليتيمه و أورد له شعراً كثيراً، ثم قال: و كان شيعياً و ن ابن خلكان: انه توفى سنه ٣١٧ بالبصره، و ذكر المسعودى فى مروج الذهب انه خاف من أمير البصره اليزيدى فهرب الى أبى طاهر الجنابى القرمطى الى البحرين، و على حفلى انه ذكر انه مات بهكذا فى نسمة السحر، و اقتصر فى الشذرات (٢) على ذكر تاريخ وفاته و قال و كان امياً و له الأشعار الفائقه ثم ذكر ثلاثه منها.

٧٥. القاضى نعمان (٣) المصرى أبو حنيفه ابن أبى عبدالله محمد بن منصور بن أحمد بن حيران صاحب دعائم الاسلام، له الاقتصار فى الفروع، ذكره فى كشف الظنون و نص على تشيعه و كان فى عصر الخليفه العلوى بمصر، و هو ممن رجع الى الاماميه و صنف

١- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ٢٢٠.

٢- شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٦.

٣- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ٣٠٣.

و اكثر، له ترجمه طويله و أرخ وفاته سنه ٣٦٧.

و انى لأعجب من صاحب الشذرات (١) و ليس عجباً ممن أعمى الله قلبه حيث يتعرض للقاضى نعمان هذا و يصفه بالقيروانى القاضى أبى حنيفه الشيعى ظاهراً، الزنديق باطناً قاضى قضاه الدوله العبيديه، صنف كتاب ابتداء الدعوه، و كتاباً فى فقه الشيعة و كتباً كثيره تدل على انسلاخه من الدين، يبدل فيها معانى القرآن و يحرفها... لا ينساق قلم ساحل الشذرات الى ذكر شيخ الشيعة و محدثها الأكبر محمد بن يعقوب الكلينى أعلى الله مقام الذى عدّه بعضهم مجدد المذهب على رأس المئه الثالثه كأنه لم يخلق أو ليس من أهل العلم ولا حدث حديثاً واحداً و لا عجب ممن يعتقد رؤيه الله فى المنام. (٢)

انظر الى نهايه الحماقه والجهل من هذا و فريقه و يتهم القاضى بانسلاخه من الدين، كان الدين انكار ولايه أميرالمؤمنين عليه السلام و تقديم الخلفاء الثلاثه عليه و انكار كون معاويه باغياً و ظالماً على أميرالمؤمنين عليه السلام، و يقيم الشواهد على ان البغى بمعنى الطلب حيث ان معاويه طلب دم عثمان، كانه لم يقرء التاريخ و لم يسمع

١- شذرات الذهب ج ٢ ص ٤٧.

٢- قال طى ترجمه عالم همدان [شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥١] عبدالله بن عبدان، حكى عنه شيرويه فى كتاب المنامات، انه قال رأيت الحق فى النوم، فقال ما يدل على انه يخاف على الاعجاب، قاله ابن الأهدل أيضاً فانظر إلى هذا و أضعافه مما وقع لكبراء الامه كالامام الأعظم والامام أحمد والامام الشقىرى و صاحب هذه التجرمه و أضعافهم من أخبارهم برؤيته تعالى فى المنام و قول المتكلمين بجوازها حتى قال اللقانى فى شرح الجوهره، و أما رؤيته تعالى فى مناماً فجاززه اتفاقاً و هى حق، فان الشيطان لا يتمثل به تعالى كما لا- يتمثل بالأنبياء والى قول بعض الحنيفه رضى الله عنهم و يكفر من قال رأيت الله فى المنام. انتهى قال: ولكن لا ينبغى اطلاق اللسان فى التكفير فى مثل هذا إلى آخر كلامه.

اذناه ما ورد فى عمار من انه يقتله الفئه الباغيه(١)، أو لم يقرع سمعه ما عن ابن

١- و تبع هذا المؤلف عمرو بن العاص الشانى و معاويه بن أبى سفيان اذ جعلاه- شهاده عمار ظلماً و بغياً على عاتق جيش أمير المؤمنين عليه السلام تمويهاً على البسطاء ضعفاء العقول، فنعى الحمك الله والخصيم محمد صلى الله عليه و آله والموعده القيامه و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. يذكر النجاد [شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٦-٣٧] الصغير الحسين بن عبد الله البغدادي الحنبلي قال النجاد (القائل صاحب الشذرات أو ابن أبى ليلى فى طبقاته) جاء فى رجل و قد كنت حذرت منه انه رافضى فأخذ يتقرب الى ثم قال: لا نسب أبابكر و عمر، بل معاويه و عمرو بن العاص، فقلت: و ما لمعاويه؟ قال لأنه قاتل علياً، قلت له: ان قوماً يقولون انه لم يقاتل علياً و انما قاتل قتله عثمان، قال: فقول النبى صلى الله عليه و آله فعمار تقتلك الفئه الباغيه، قلت: ان أنا قلت لم يصح و قعت منازعه، ولكن قوله عليه السالم تقتلك الفئه الباغيه يعنى به الطالبه لا اظالمه لأن أهل اللغه تسمى الطالب باغياً و منه بغيت الشىء أى طلبته و منه قوله تعالى: « يا أبانا ما نبغى » و قوله عز وجل: « وابتغوا من فضل الله » و مثل ذلك كثير فانما يعنى بذلك الطالبه لقتله عثمان رضوان ... عليه. أقول فما معنى قوله تعالى: فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله؟ لعن الله العناد و الحماقه، والشربوا حب العجل فى قلوبهم. تنبيه: تراه يذكر [شذرات الذهب ج ٢ ص ٦] فى ترجمه على بن موسى الرضا عليه السلام عن المغنى قال ابن طاهر يأتى عن آباءه بعجائب، قلت الشأن فى صحه الاسناد اليه فانه كذب عليه و على جده الخ لكن لما وصل الى ترجمه عبد الله [شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٤] بن أحمد بن حنبل، يذكر طى كلامه كرامه لأبى ابراهيم السائح حيث يحتمله السبع الى الدير فاسلم من هذا ٤٠٠ راهب و ينقل عن أحمد انه يرى قبل الحج بخمس ليال أو أربع ليال النبى صلى الله عليه و آله فى المنام، و يقول له يا أحمد، حج فينتبه ثم يأخذه النوم فيقول النبى صلى الله عليه و آله يا أحمد حج فيقصد السفر، فيقصد الكوفه، فلما انقضى بعض النهار، فاذا هو بالكوفه، الى، أن يلتقى برجل يريد الحج و شاب فلم يزالو يسيرون، فقال الذى معه رحمك الله ان رأيت أن ترفق بنا، فقال له الشاب: ان كان معنا أحمد بن حنبل فسوف يرفق بنا، فوقع فى نفسى انه الخضر، الى، ولما أصبنا من الطعام غاب الشاب من بين أيدينا ثم رجع بعد فراغنا فلما كان بعد ثلاث اذا نحن بمكه. أقول: تلك اذا قسمه ضيزى، كما ينقل قضيه [شذرات الذهب ج ٢ ص ٢١١-٢١٣] المرءه التى لم تأكل و لم تشرب منذ سنوات متعدده لما رأت زوجها القليل فى المنام، فناولها كسر خبز باذن أصحابه تأكلها أشد بياضاً من الثلج واللبن و أحلى من العسل و السكر و ألين من الزبد والسمن فأكلتها و قضيه دمرأه غيرها و أمثال ذلك من المناكير فى كتابه كثير.

خلكان (١) من عده من الفضلاء المشاهير اليهم و ذكره الأمير المختار المسيحي في تاريخه فقال كان من العلم والفقه والدين و النبيل على ما لا- مزيد فيه وله عده تصانيف منها كتاب اختلاف اصول المذهب قال صاحب كشف الظنون اختلاف اصول المذاهب لأبي حنيفه نعمان بن أبي عبدالله الامامى ألفه نصره لمذهبه، قال السيد الصدر رحمه الله و ترجمه اليافعى فى مرآت الجنان بأحسن ما يكون، و نصل على ما ذكره ابن خلكان و كان مالكي المذهب ثم انتقل الى مذهب الاماميه، و قال ابن ذولاق فى ترجمه ولده على بن النعمان، كان أبوه النعمان ابن محمد القاضى فى غايه الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانيه، و عالماً بوجوه الفقه و اختلاف الفقهاء واللغه والشعر و المعرفه بأيام الناس مع عقل و انصاف، و ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف و أملح سجع، و عمل فى المناقب و المثالب كتاباً حسناً، و له ردود على المخالفين له، و له رد على أبي حنيفه و على مالك و الشافعى و على بن شريح و كتاب اختلاف ينصر فيه لأهل البيت الى آخر ما فى وفيات الأعيان قال السيد الصدر رحمه الله و نص على تشييعه العلامة فى بحار الأنوار و السيد بحر العلوم الطباطبائى فى الفوائد الرجاليه و العلامه النورى فى فوائد المستدرک. أرخ وفاته سنه ٣٦٧.

٧٦. الشيخ الشريف هبه الله (٢) بن أحمد بن محمد الكاتب أبو نصر المعروف بابن برنيه (بالباء المنقطه تحتها نقطه والراء والنون المكسوره بعدها و الياء المنقطه تحتها نقطتان المشدده) كانت امه ام السیده ام كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، كان

١- تأسيس الشيعة ص ٣٨٢-٣٨٣.

٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٨٠.

متكلماً ماهراً و له كتاب فى الامامه و كتاب فى أخبار أبى عمرو و أبى جعفر العمرين.

قال النجاشى و سمع الحديث كثيراً و كان أبوالعباس بن نوح يعول عليه فى أخبار الوكلاء قال و كان هذا الرجل كثير الزيارات و آخر زياره حضرها معنا يوم الغدير سنظ ٤٠٠ بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

٧٧. هبط الله (١) بن الحسن، أبوالحسين الحاجب النحوى الامامى الفاضل العالم الأديب الشاعر اللغوى، ذكره ابن بابويه منتجب الدين فى الفهرست و وصفه بما ذكرنا، و قال ياقوت ذكره الكمال ابن الأنبارى فى النحويين و كان من أفاضل أهل الأدب شاعراً مليح الشعر، مات فجأه سنه ٤٢٨.

٧٨. الشيخ أبو محمد يحيى (٢) بن محمد الأرزنى اللغوى كان من أكابر قدماء الأدباء مات سنه ٤١٥ فى خلافه المقتدر، قال الملا عبدالله (٣) الأفسدى انه من الخاصه، قال السيد الصدر رحمه الله قال السيوطى فى الطبقات يحيى بن محمد الارزنى أبو محمد النحوى اللغوى، قال ياقوت امام فى العريه.

فهرس تفصيلى بمحتويات هذا الكتاب

صفحه

لم يكن من السهل عمل فهرس أعلام و أماكن لهذا الكتاب الطويل وقد اكتفينا بهذا الفهرس التفصيلى لمحتوياته و على من يريد التفتاح به أن يقرأه كله لما فى ذلك من الفائده الأكيده.

الفصل الأول: المملكه الإسلاميه ١

أجزاء المملكه ص ١؛ سياده الخليفه ص ٢ ١؛ تعدد الخلفاء ص ٣ ٢؛ حدود المملكه ص ٤؛ الوحده الاجتماعيه و الدينيه ص ٤؛ الفاطميون و العباسيون ص ٥ ٤؛ النزاع حول مكه و المدينه ص ٦ ٥؛ العلويون ص ٦؛ زحف الروم ص ٨ ٦؛ منديل المسيح ص ٧؛ ضعف المسلمين و اختلافهم ص ٩؛ الحدود الجنوبيه ص ١٠؛ اتساع المملكه نحو الشرق ص ١١ ١٠؛ نظره إلى انقسامها ص ١؛ تدهور مدينه بغداد ص ١٤ ١١.

الفصل الثانى: الخلفاء ١٥

الاعتبارات الخفيه فى اختيار الخلفاء ببغداد ص ١٥؛ أم المقتدر و سلطانها ص ١٦ ١٥؛ شخصيه المقتدر و استشهاده ص ١٧ ١٦؛ القاهر و خلعه ص ١٨

١٧؛ الراضى و صفاته و أعماله ص ٢٠ ١٨؛ المتقى و ملازمه البوءس له ص ٢١ ٢٠؛ المتكفى ص ٢٢ ٢١؛ الخلفاء المتأخروى:المطيع، الطائع، القادر ص ٢٤ ٢٢.

خلفاء الفاطميين ص ٢٤؛ شخصيه العزيز ص ٢٥ ٢٤؛ الحاكم يأمر الله ص ٢٦ ٢٥.

الفصل الثالث: الأمراء ٢٧

لقب الأمراء و علامتهم الرسميه ص ٢٧؛ الخليفه و إداره العراق ص ٢٨ ٢٧.

بنو حمدان و خصالهم: على بن حمدان و ناصر الدوله بن حمدان ٢٩ ٢٨؛ البريديون ص ٣٠؛ قواد الشمال: السمامانيون ص ٣١؛ عضد الدوله و تعرضه للسامانيين ص ٣٢ ٣١؛ قواد الجبل: مرداويج و آماله و مشروعاته ص ٣٤ ٣٢.

بنو بويه و خصالهم ص ٣٧ ٣٤، عماد الدوله ص ٣٨ ٣٥ على بن بويه، ركن الدوله ص ٤٠ ٣٦؛ فخر الدوله ص ٣٦، معز الدوله ص ٣٧، ٤١، ٤٠، ركن الدوله ص ٤٠ ٣٦؛ ابن العميد ص ٣٩؛ عز الدوله بختيار ص ٤٢ ٤١؛ حكم عضد الدوله ص ٤٩، ٣٧، ٣٦. ٤٢.

أمراء الترك: بحكم ص ٥٢ ٥٠؛ الإخشيد محمد بن طنجج ص ٥٦ ٥٢.

الفصل الرابع: اليهود و النصارى ٥٧

أهل الذمه و بناء الدوله ص ٥٧؛ التسامح و نشوء علم مقارنة الأديان ص ٥٧؛ تغيير الدين ص ٥٨ ٥٧؛ الزواج و الميراث ص ٦٠؛ الصابئون ص ٦٠؛ حمايه المجوس ص ٦٠؛ الحكم بين اليهود و النصارى ص ٦١ ٦٠؛ عهد توليه الجاثليق و البطريق ص ٦٢؛ رأس الجالوت ص ٦٣ ٦٢؛ توزيع اليهود و عددهم فى المملكه الاسلاميه ص ٦٥ ٦٣؛ عدد النصارى ص ٦٧ ٦٥؛ عدد المجوس ص ٦٧؛ الصابئه ص ٦٨ ٦٧؛ أهل الذمه و العمل ص ٦٩ ٦٨؛ دم الذمى ص ٦٩؛ حريه أهل الذمه فى شعائرهم، أديرتهم و ازدهارها ص ٧١ ٦٩؛ الإسلام أكثر تسامحاً مع طوائف النصارى من الدوله الرومانيه الشرقيه ص ٧٢ ٧١؛ الدوله الاسلاميه تحمى بعض طوائف النصارى من البعض الآخر ص ٧٣ ٧٢؛ بناء الكنائس ص ٧٤ ٧٣؛ معامله الذميين فى المستشفيات ص ٧٤؛ دفن المسلمين و النصارى معاً ص ٧٥ ٧٤؛ لم يكن للذميين أحياء خاصه ص ٧٥؛ قضاء النصارى منهم ص ٧٦ ٧٥؛ قضاء بعض قضاة الإسلام بين النصارى ص

(٣٦٣)

٧٦؛ نوع العقوبه بين النصارى ص ٧٧ ٧٦؛ نصارى الأندلس يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم ص ٧٧؛ شهاده الذمى ص ٧٧؛ الجزيه من أهل الذمه و من المسلمين ص ٨٠ ٧٨؛ مقدار الجزيه و تقسيطها ص ٨١ ٨٠؛ أصل علامه دفع الجزيه أو الضريبه ص ٨٢ ٨١؛ الإعفاء من الجزيه ص ٨٣ ٨٢؛ لباس أهل الذمه و ارتفاع بيوتهم ص ٨٦ ٨٣؛ حكم المسلمين على الذميين بحسب المثل

الأعلى لهؤلاء ص ٨٧ ٨٦؛ كثره العمال و المتصرفين من أهل الذمه ص ٨٨ ٨٧؛ كانت مقاومه النصارى درءاً لتسلطهم على المسلمين ص ٨٨؛ سلطان النصارى ص ٩١ ٨٨؛ رد فعل من جانب المسلمين ص ٩٤ ٩١؛ تسامح الفاطميين و سببه و سلطان النصارى فى عهدهم ص ٩٧ ٩٤؛ عهد الحاكم ص ٩٩ ٩٧؛ سلطان اليهود ص ١٠٠.

الفصل الخامس : الشيعة ١٠١

التشيع من مميزات القرن الرابع ص ١٠١؛ التشيع ليس رد فعل إيرانى ص ١٠٢ ١٠١؛ مراكز الشيعة: الكوفه، البصره، الشام، طرابلس، جزيره العرب، فارس، قم، أصفهان، نيسابور، قهستان، هراه ص ١٠٦ ١٠٢؛ الشيعة و المعتزله ص ١٠٦؛ الفاطميون، الزيديه ص ١٠٦؛ الشيعة و الزندقه ص ١٠٧ ١٠٦؛ لاهوتيه على ص ١٠٨ ١٠٧؛ ملابس الفرق ص ١٠٩ ١٠٨؛ على مصدر الأخبار ص ١١٠ ١٠٩؛ وضع الأخبار ص ١١٠؛ وضع حديث لرفع شأن معاويه ص ١١٠؛ المتوكل يبغض عليا ص ١١١ ١١٠؛ الهمداني و التشيع ص ١١١؛ تبادل الاضطهاد بين الشيعة و غيرهم ص ١١١؛ العلويون ص ١١٢؛ صيحه أهل السنه ص ١١٣ ١١٢؛ اعتدال الفاطميين ص ١١٤ ١١٣؛ الخليفه الحاكم ص ١١٤؛ التشيع لم ينتشر ص ١١٥؛ مكانه بغداد ص ١١٥؛ جميع الحركات الروحيه فى الإسلام تتلاطم أمواجهها فى بغداد ص ١١٥؛ الحمدانيون ص ١١٨؛ الديلم ص ١١٨؛ استغلال الأعياد فى المنافسات المذهبيه ص ١٢١ ١١٨؛ مشاهد الشيعة و قبر على ص ١٢٣ ١٢١؛ الفرق بين الشيعة و أهل السنه ص ١٢٦ ١٢٤؛ أخطاء فى الحكم على الشيعة ١٢٨ ١٢٦.

الفصل السادس : الإدارة ١٢٩

دوله الخلفاء أشبه باتحاد ص ١٢٩؛ الإدارة مركزيه ص ١٢٩؛ أقسام الديوان ص ١٣٠ ١٢٩؛ أهم الدواوين: ديوان الجيش، ديوان النفقات، ديوان بيت المال، ديوان المصادرين، ديوان الرسائل، ديوان البريد، ديوان التوقيع، ديوان الخاتم،

(٣٦٤)

ديوان الفض، ديوان الجهبذه، ديوان البر و الصدقات ص ١٣٧ ١٣٠؛ طبقات أصحاب الدواوين و أرزاقهم ص ١٣٨ ١٣٧؛ روءساء الولايه ص ١٣٩ ١٣٨؛ كبره عدد العمال ص ١٤٠ ١٣٩؛ أول ترتيب الرواتب ص ١٤٠؛ العمال فى العهد الفاطمى ص ١٤١ ١٤٠؛ كثره العمال من الفرس ص ١٤٢ ١٤١؛ الفرق بين العمال و العلماء ص ١٤٣ ١٤٢؛ سطحيه عمال الواوين ص ١٤٣؛ شروط عمر على العامل ص ١٤٣؛ المال يلعب دوراً سيئاً فى حياه عمال الدواوين ص ١٤٤ ١٤٣؛ مسلك المتورعين إزاء العمال ص ١٤٦ ١٤٤؛ أول مصادره العمال ص ١٤٦؛ ظهور الألقاب ص ١٤٨ ١٤٦؛ الحاكم بأمر الله يحاول إلغاء الألقاب ص ١٤٨؛ إغلاق الدواوين فى يومى الجمعه و الثلاثاء فى عهد المقتدر ص ١٤٩.

الفصل السابع: الوزاره و الوزراء ١٥٠

نشأه الوزاره ص ١٥٠؛ الوزير و القواد ص ١٥١ ١٥٠؛ لباس الوزير ص ١٥٢ ١٥١؛ حفل تقليد الوزير ص ١٥٢؛ العمل اليومى

الوزير ص ١٥٣ ١٥٢؛ السجلات ص ١٥٣؛ دارالوزير ص ١٥٣؛ حرس الوزير ص ١٥٤ ١٥٣؛ الوزير و دار الخلافة ص ١٥٥ ١٥٤؛ تعيين الوزير ص ١٥٥؛ الوزارة في الأسر الأرستقراطية ص ١٥٦ ١٥٥؛ أثر البويهيين ص ١٥٧؛ الفاطميون و استوزارهم لليهود ص ١٥٨؛ مهمة الوزير في إمارات الأطراف ص ١٥٩ ١٥٨؛ سقوط هيبة الوزراء ص ١٦٠ ١٥٩؛ الوزراء النصارى ص ١٦١؛ مساومه حول الوزارة ص ١٦٢ ١٦١؛ الألقاب ص ١٦٣ ١٦٢؛ القرن الرابع الهجري: علي بن الفرات ص ١٧١ ١٧٠؛ علي ابن عيسى ص ١٦٩ ١٦٧؛ الخاقاني ص ١٧١ ١٧٠؛ حامد ابن العباس ص ١٧٣ ١٧١؛ ابن مقله ص ١٧٥ ١٧٣؛ الخصبي ص ١٧٥؛ المهلبى ص ١٧٩ ١٧٥؛ الصاحب بن عباد ص ١٨٠ ١٧٩؛ الصاحب و التوحيدى ص ١٨٥ ١٨٠؛ ابن العميد ص ١٨٨ ١٨٥.

الفصل الثامن: المسائل الماليه ١٨٩

تشعُّب التشريع في أمر الضرائب ص ١٨٩؛ الضرائب الثابته ص ١٨٩؛ موعد افتتاح الخراج ص ١٩١ ١٨٩؛ دواوين الخراج تقوم مقام الخزائن ص ١٩٢ ١٩١؛ دفاتر الدواوين و مواضعاتها ص ١٩٣ ١٩٢؛ أبواب ميزانيه عام ٣٠٦ هـ ٩١٨ م ص ١٩٤ ١٩٣؛ الإقطاع ص ١٩٦ ١٩٤؛ خراج التكملة ص ١٩٦؛ الضياع السلطانيه ص ١٩٧ ١٩٦؛ إحاء الأرض إلى الأقوياء ص ١٩٧؛ بعض

(٣٦٥)

الأخماس التي ترد إلى بيت المال ص ١٩٨ ١٩٧؛ التركات التي لا وارث لها ص ١٩٨؛ ديوان الموارث ص ١٩٩؛ تعرُّض الأقوياء للتركات ص ٢٠١ ١٩٩؛ الاستغلال و المصادرات للعمال: الأخشيد، معز الدوله، فخر الدوله، المتقى و مصادروهم ص ٢٠٥ ٢٠١؛ الرسوم الجمركيه ص ٢٠٧ ٢٠٥؛ ضرائب الصادرات ص ٢٠٩ ٢٠٧؛ استقلال بيت المال العام عن خزانه الخليفه (بيت مال الخاصه) ص ٢٠٩؛ بيت مال الخاصه و مهامه و ما يحمل إليه ص ٢١٤ ٢٠٩؛ تشعُّب ديوان فارس ص ٢١٥ ٢١٤؛ الضرائب غير القانونيه ص ٢١٦ ٢١٥؛ استمرار الوسائل القديمه و ثقلها ص ٢١٧ ٢١٦؛ الاحتكار ص ٢١٨ ٢١٧؛ شمول الضرائب لأدوات الترف و الضروريات ص ٢١٩ ٢١٨؛ الضرائب في الشام ص ٢٢٠ ٢١٩؛ بيت المال في المسجد ص ٢٢١ ٢٢٠؛ جور بنى حمدا ص ٢٢٣ ٢٢١؛ عدل السامانيين ص ٢٢٤ ٢٢٣؛ خراج مصر ص ٢٢٥؛ أذربيجان ص ٢٢٥، العراق ص ٢٢٦ ٢٢٥؛ إقراض الحكومه ص ٢٢٨ ٢٢٦؛ وسائل تحصيل الخراج ص ٢٢٨، ٢٣٣ ٢٣١؛ تضمين الخراج ص ٢٣٠ ٢٢٨، و صورته ظهوره ص ٢٣١ ٢٣٠؛ التعذيب لاسترداد أموال الدوله المنهوبه ص ٢٣٦ ٢٣٣.

الفصل التاسع: رسوم دار الخلافة ٢٣٧

لون شعار الخلفاء و لباسهم ص ٢٤٠ ٢٣٧؛ ظهور ألقاب الخلفاء ص ٢٤١ ٢٤٠؛ ألقاب الأمراء ص ٢٤٢ ٢٤١؛ لقب السلطان ص ٢٤٣ ٢٤٢؛ لقب ملك الملوك ص ٢٤٣؛ شراء الألقاب و قيمتها ص ٢٤٤ ٢٤٣؛ صور الأدب في الخطاب ص ٢٤٥ ٢٤٤؛ تقبيل الأرض ص ٢٤٦ ٢٤٥؛ حفله تتويج عضد الدوله ص ٢٤٧ ٢٤٦؛ إجلال خلفاء الفاطميين ص ٢٤٨ ٢٤٧؛ أدب أحد رجال الحاشيه ص ٢٤٩ ٢٤٨؛ كلام الأمراء عن الخليفه ص ٢٤٩؛ ضعف الخلافة و سقوط هيبتها ص ٢٥٢ ٢٥٠؛ طبقات الحاشيه ص ٢٥٤ ٢٥٢؛ زواج الخلفاء بأجنبيات و نتائجه ص ٢٥٥ ٢٥٤؛ الندماء ص ٢٥٧ ٢٥٥؛ نفقات دار الخلافة ص ٢٥٩ ٢٥٧؛ الخليفه و رياسته

الروحيه كالبايا ص ٢٦٠ ٢٥٩.

الفصل العاشر: الأشراف ٢٦١

أصل الشرف عند العرب ص ٢٦١؛ خصال الشريف و علاماته ص ٢٦٢ ٢٦١؛ طبقات الناس ص ٢٦٢؛ إهمال مسأله الدم ص ٢٦٢؛ شرف مصدره الدين

(٣٦٦)

ص ٢٦٢؛ أهل البيت: الطالبون، الهاشميون وغيرهم، روايتهم و أحوالهم ص ٢٧٠ ٢٦٢؛ الحمدانيون و البويهيون و الخشيدون و احترامهم لأبناء النبي عليه السلام ص ٢٧١؛ وساطه العلويين في الخصومات بين الأمراء ص ٢٧٢ ٢٧١؛ أبناء الخلفاء الراشدين الثلاثة ص ٢٧٣ ٢٧٢؛ أشرف ما قبل الإسلام ص ٢٧٤ ٢٧٣؛ المهالبة، البنيون ص ٢٧٥ ٢٧٤؛ أصل بعض البيوت ص ٢٧٦ ٢٧٥.

الفصل الحادي عشر: الرقيق ٢٧٧

الرقيق عند جميع أهل الديانات ص ٢٧٨ ٢٧٧؛ ولد الأمه و أم الولد و حقوقها ص ٢٧٨؛ الاسترقاق بين الديانات الأخرى ص ٢٧٨؛ أكبر أسواق الرقيق ص ٢٧٩ ٢٧٨؛ قيمه الغلمان و الجوارى ص ٢٨١ ٢٨٠؛ القرامطه و رأيهم في الاسترقاق ص ٢٨٢ ٢٨١؛ طرق جلب الرقيق ص ٢٨٤ ٢٨٢؛ وصف سوق للرقيق ص ٢٨٤؛ خداع النخاسين ص ٢٨٥ ٢٨٤؛ خصائص أنواع النساء ص ٢٨٨ ٢٨٥؛ تسميه الرقيق في الإسلام و توصيه النبي بحسن معاملته ص ٢٨٩ ٢٨٨؛ الإسلام و النصرانيه و الرقيق ص ٢٩٠ ٢٨٩؛ ترف الجوارى و منزله بعض الغلمان ص ٢٩٣ ٢٩٠؛ علو شأن العبيد ص ٢٩٤ ٢٩٣؛ حال العبيد بالإجمال و ثورتهم ص ٢٩٥؛ الحرب و نشأه الرقيق ص ٢٩٦؛ من العبد في الإسلام؟ ص ٢٩٦؛ الرق عند بني إسرائيل ص ٢٩٧ ٢٩٦؛ الرقيق عند البابليين ص ٢٩٨؛ معامله الرقيق في الإسلام ص ٢٩٩ ٢٩٨؛ تحرير العبيد في الإسلام ص ٣٠٠ ٢٩٩.

الفصل الثاني عشر: العلماء ٣٠١

نشأه التمييز بين الأدباء و العلماء ص ٣٠١؛ تكوّن المناهج العمليه ص ٣٠٢ ٣٠١؛ الفقهاء و العلماء على الحقيقه و قيمه علم الفقه في الحياه العمليه ص ٣٠٢؛ نهوض علم الكلام و ارتفاع شأن العلماء ص ٣٠٣ ٣٠٢؛ لباس الكتاب و لباس العلماء ص ٣٠٤ ٣٠٣؛ المكتبات و تنافس الملوك في اقتناء الكتب ص ٣٠٥ ٣٠٤؛ مقارنة مع مكتبات الغرب ص ٣٠٦ ٣٠٥؛ عشاق الكتب: الجاحظ، الفتح بن خاقان، إسماعيل ابن إسحاق، السجستاني، البرقاني، أبو يوسف القزويني، على بن يحيى المنجم، محمد بن نصر الحاجب، ابن العميد، الصاحب بن عباد، أبو المطرف قاضي قرطبه ص ٣٠٩ ٣٠٦؛ تزيين الكتب عند المانويه و أصحاب الحلاج ٣٠٩؛ زخرفه خطابات الملوك و عهدهم ص ٣١٠ ٣٠٩؛ تأسيس دور العلم و الكتب للطلبه ص ٣١٤ ٣١١؛ التدريس في المساجد ص ٣١٥ ٣١٤؛

(٣٦٧)

كثرة طلاب الفقه ص ٣١٦ ٣١٥؛ الإملاء ص ٣١٨ ٣١٦؛ نشأة المدارس ص ٣١٨؛ نيسابور ص ٣١٩ ٣١٨؛ و صف المدرس ص ٣٢٠ ٣١٩؛ احترام علم الحديث ص ٣٢٢ ٣٢٠؛ السن عند التصدي للتدريس أو سماع الحديث ص ٣٢٣ ٣٢٢؛ حرفه النسخ ص ٣٢٥ ٣٢٤؛ حرفه التعليم ص ٣٢٨ ٣٢٥؛ الفقهاء والعلماء من أهل الأرزاق ص ٣٢٩؛ العلماء والصناعه ص ٣٣١ ٣٢٩؛ ألقاب العلماء ص ٣٣١؛ خصال بعض العلماء ص ٣٣٢.

الفصل الثالث عشر علوم الدين ٣٣٣

تحرر علم الكلام من الفقه ص ٣٣٣؛ عداة الصوفيه للفقه و للعلم الدينوى: ابن خفيف، الحلاج، الجنيد ص ٣٣٥ ٣٣٣؛ دراسه القرآن و الحديث؛ روايه الحديث دون لقاء رجاله حلول دراسه الكتب محل الأسفار: ابن، يونس الصفدى، ابن منده، السرخسى، الغزالي، أبو الفرج الأصفهاني ص ٣٣٧ ٣٣٥؛ شأن علماء الحديث وسعه حفظهم ص ٣٣٨ ٣٣٧؛ الخطيب البغدادي، الدارقطني، الحاكم النيسابوري و ت آليفهم الجديده: المستدركات، و المخترجات، معرفه الرجال و الجرح و التعديل، تواريخ المدن و نحوها ص ٣٣٨ ٣٤١، قيمه الدراسات التاريخيه ص ٣٤١؛ أصول نقد الحديث و ألفاظه ص ٣٤٢ ٣٤١؛ مقرئو القرآن: ابن مجاهد، ابن شنبوذ، أبو بكر العطار و القراءات الشاذه ص ٣٤٤ ٣٤٢؛ تفسير القرآن و اتجاهاته: ابن عباس، الأصمعي، الشعبي و السدي، الطبري، السمرقندي، الجبائي، الأشعري و قبول تفسيره فى المغرب، ابن تومرت، الرمانى، النقاش، أبو بكر الأدفوى، القزوينى، الأسدى ص ٣٤٨ ٣٤٥؛ تأويلات الشيعة و الصوفيه ص ٣٤٨؛ المفسرون العلماء، أبو زيد البلخى ص ٣٤٩ ٣٤٨؛ الظاهريه ص ٣٤٩؛ التأليف فى المعجزات ص ٣٤٩؛ الولوع بالغرائب ص ٣٥٠ ٣٤٩؛ الرازى الطيب و إنكاره للمعجزات ص ٣٥٠؛ التأويل العقلى ص ٣٥١ ٣٥٠؛ معجزات النبى و تأويلها ص ٣٥٢ ٣٥١؛ المطهر المقدسى و دفاعه عن بعض المعجزات ص ٣٥٣ ٣٥٢؛ مجددو المله ص ٣٥٣؛ خلاف المعتزله مع أهل السنه ص ٣٥٤ ٣٥٣؛ بعض رجال الاعتزال و الشيعة ص ٣٥٥ ٣٥٤؛ أثر الغنوسطيه فى بعض المعتزله ص ٣٥٥؛ المعتزله و الفلسفه و النصرانيه ص ٣٥٥ ٣٥٤؛ أثر الاعتزال فى سبينوزا ص ٣٥٦؛ اختراع

(٣٤٨)

المعتزله للفظ الصفات ص ٣٥٦؛ خصال المعتزله ص ٣٥٧ ٣٥٦؛ نقد الفلاسفه للمتكلمين ص ٣٥٧؛ المتكلمون دعاه إلى حريه الفكر و الاستناره ص ٣٥٨ ٣٥٧؛ كبار المتكلمين : الجاحظ، اللطفى، البلخى و نظراوءهم من الأوربيين ص ٣٥٩ ٣٥٨؛ ثمامه بن أشرس ص ٣٥٩؛ ظهور الأشعري ص ٣٦٠ ٣٥٩؛ معاداه الحنابله للأشعري ص ٣٦٠؛ ميل تلاميذ الأشعري إلى المذهب العقلى : الباقلانى، عبد الجبار ص ٣٦١ ٣٦٠؛ اضطهاد مذهب الأشعري و انتشار مذهبه ببطء ص ٣٦٢ ٣٦١؛ تدخل الحكومه لفض المنازعات المذهبيه: القادر و كتبه المعتزله، الاعتقاد القادري ص ٣٦٦ ٣٦٣؛ تسامح المسلمين مع اليهود و النصرارى، و ظهور علم مقارنة الملل: النوبختى، المسعودى، المسبّحى، البغدادي، ابن حزم، البيرونى ، الشهرستاني ص ٣٦٨ ٣٦٦.

الفصل الرابع عشر: المذاهب الفقهيه ٣٦٩

مسأله ركود الاجتهاد ص ٣٦٩؛ أثر التشريع الأجنبي و معارضه أصحاب الحديث ص ٣٧٠ ٣٦٩؛ أهم مذاهب أصحاب الحديث: الحنابلة الأوزاعي، الثوريه ٣٧١ ٣٧٠؛ الحنابلة غير فقهاء ص ٣٧٠؛ إحصاء المذاهب و أحوالها ص ٣٧٠؛ اضطهاد الطبري ص ٣٧٠؛ الظاهرية و خصالهم و نقدهم للشافعي ص ٣٧٢ ٣٧١؛ الطبري و ابن شجره ص ٣٧٣ ٣٧٢؛ ابن حريويه ص ٣٧٣؛ استقرار المذاهب ص ٣٧٣؛ انتشار مذهب الشافعي و مركزه ص ٣٧٤ ٣٧٣؛ المالكيه و الشافعيه و تنافسهم بمصر ص ٣٧٥ ٣٧٤؛ محاربه الفاطميين للمالكيه و نصر الأيوبيين للشافعي ص ٣٧٥؛ مركز مذهب أبي حنيفه ص ٣٧٥؛ مذهب مالك في المغرب ٣٧٦ ٣٧٥؛ الحنابلة يرهجون بغداد و يعادون الشيعة ص ٣٧٦؛ التنقل بين المذاهب ص ٣٧٧ ٣٧٦؛ تنافس المذاهب بعد المسالمة ص ٣٧٧.

الفصل الخامس عشر: القضاء ٣٧٨

عدم الفصل بين السلطين التفيديه و القضائيه ، اصطدام الوالي و القاضي ٣٧٩ ٣٧٨؛ القضاء على الإدارة الإقطاعيه و تعيين الخليفه للقضاء ص ٣٨٠ ٣٧٩؛ عظم شأن القاضي و خروجه عن السلطان الوالي ص ٣٨١ ٣٨٠؛ ابن حريويه و قوه شخصيته و عدالته ص ٣٨٢ ٣٨١؛ أبو حامد الاسفرائيني ص ٣٨٢؛ رهبه منصب القضاء و ندره تعرض القاضي لما يتعرض له الأمراء و الوزراء ص ٣٨٢؛ أبو أميه القاضي ص ٣٨٤ ٣٨٢؛ رهبه من تولى القضاء : ابن ضنه، ابن حجيره،

(٣٦٩)

أبو قلابه، سفيان الثوري، أبو حنيفه، أبو يوسف، شريك، إسماعيل ابن إسحاق و ابن أبي الورد و غيرهم ص ٣٨٥ ٣٨٤؛ قبول الحنفية للقضاء ص ٣٨٧ ٣٨٥؛ هل يأخذ القاضي رزقاً؟ ص ٣٨٧؛ مرتب القاضي ص ٣٨٧؛ اشتغال القاضي بمناصب أو أعمال أخرى ص ٣٨٨؛ تحرز بعض القضاء، أبو خزيمه ص ٣٨٨؛ رفع العباسيين لمنصب القاضي و ززقه ص ٣٨٩ ٣٨٨؛ تغير القيم عند قاض ص ٣٨٩؛ الحاكم و رفع رزق القضاء ص ٣٩٠ ٣٨٩؛ دخل القاضي بمصر و غيرها ص ٣٩٠؛ تعفف بعض القضاء عن الرزق: الحسن ابن عبدالله، محمد بن صالح الهاشمي و غيرهما ص ٣٩٢ ٣٩٠؛ مرتب القاضي في عهد الترك و في مراکش ص ٣٩٢؛ قاض سييء السير يدفع مالا لأجل منصبه: ابن أبي الشوارب ص ٣٩٣ ٣٩٢؛ تولى القاضي؟؟؟ و؟؟؟ الأجناس و لأموال اليتامى ص ٣٩٤ ٣٩٣؛ ضياع مال؟؟؟ ص ٣٩٤؛ القاضي ينظر في الموارث و يتولى الإشراف على السجون و على؟؟؟ للدين ص ٣٩٤؛ رفاع الدعوى و قبولها ص ٣٩٥ ٣٩٤؛ الجلسات عليه ص ٣٩٥؛ رجل يخاصم المأمون فيقضى يحيى ابن أكتم بينهما في دار الخلافه في جلسه عليه يقضى فيها للعامه أولاً ص ٣٩٥؛ مكان القضاء: المسجد، دار القاضي ص ٣٩٥؛ علامه اسخط على القاضي ٣٩٦ ٣٩٥؛ العدول (الشهود) ص ٣٩٧؛ مجلس القضاء في مصر الفاطميه ص ٣٩٧؛ المتحاكمون يبسطون قضيتهم و قوفاً ثم جلوساً؟؟؟ حتى لو كان الخليفه نفسه خصماً ص ٣٩٨ ٣٩٧؛ نفاذي ما يوءثر على عداله القاضي : التحيه، الكلام، المسارّه، المزاح ص ٣٩٨؛ القاضي يتجنب كل تأثير على المتخاصمين ص ٣٩٩؛ لباس القاضي ٤٠١ ٣٩٩؛ قضاء الفاطميين يحملون سيوفاً ص ٤٠١؛ موظفو مجلس القاضي ص ٤٠١؛ ظهور جماعه الشهود الدائمين و السوءال عنهم ص ٤٠٢ ٤٠١؛ بطانه القاضي ٤٠٢؛ عيس بن المنذر القاضي و اهتمامه بالشهود ص ٤٠٣؛ عضد الدوله و الشفاعات ص ٤٠٣؛ الحاكم بأمرالله و مسأله العدول ص ٤٠٣؛ عزل العدول بعزل القاضي ص ٤٠٤؛ جلوس الشهود مع القاضي ص ٤٠٤؛ القاضي التميمي يعين سنه و ثلاثين ألف شاهد بالبصره ص ٤٠٤، الشاهد ينوب عن القاضي في القضايا الصغيره ص ٤٠٥؛ وصيه الخليفه الطائع في عهده لقاضي القضاء ص

٤٠٧ ٤٠٦؛ توارث منصب القضاء: أسره ؟؟؟ ؟؟؟، بنو أبي برده، آل النعمان ص ٤٠٨ ٤٠٧؛ الدوائر القضائية ص ٤٠٩ ٤٠٨؛ النظر في المظالم و اختصاص القاضي ص ٤٠٩؛ الفقهاء والإشراف على

(٣٧٠)

أعمال الشرطه ص ٤١٠؛ الوزير يجلس للمظالم ص ٤١٠؛ اصطدام القاضي بصاحب المظالم ص ٤١٠؛ اين طولون و الأخشيد يجلسان للمظالم ص ٤١١؛ النزاع بين صاحب الشرطه و القاضي ص ٤١٢ ٤١١؛ تقديم الظلامات و إصدار الأحكام كتابه ص ٤١٢؛ الخلفاء يجلسون للمظالم ص ٤١٤ ٤١٢؛ قهرمانه تجلس للمظالم ص ٤١٤؛ مقارنة بين القاضي و صاحب المظالم ص ٤١٥ ٤١٤.

الفصل السادس عشر: علم اللغة ٤١٦

الفتح في علوم اللغة كان في النحو و عمل المعاجم ص ٤١٦؛ الإملاء ص ٤١٦؛ معارف المتقدمين مفككه ص ٤١٧ ٤١٦؛ أثر علوم اليونان و تأليف « مقدمه في النحو » ص ٤١٧؛ تحديد معاني الكلمات و عمل المعاجم ص ٤١٨ ٤١٧؛ الجوهرى و شأنه، ابن جنى و الاشتقاق؛ دراسه لغه العامه ص ٤٢٠ ٤١٨.

الفصل السابع عشر: الأدب ٤٢١

أثر المجتمع الجديد في الأدب ص ٤٢١.

أولاً: النشر ص ٤٢٢ فما بعدها؛ قيمه النثر قديماً ص ٤٢٢؛ الخطاب و الرسائل ص ٤٢٣ ٤٢٢؛ دراسه أخلاق العامه و وصف حياه المدن كموضوعين للأدب ص ٤٢٣؛ مكانه الجاحظ و أسلوبه ص ٤٢٥ ٤٢٤، ٤٥٤؛ أبو حيان و مكانته ص ٤٢٤؛ أثر التصوف في نشر الأدب بين العامه ص ٤٢٦ ٤٢٥؛ ظهور السجع نشأ عن اضمحلال الروح العرييه ص ٤٢٦؛ أسباب كراهيه السجع ص ٤٢٧ ٤٢٦؛ الرسائل الديوانيه مقياس العرف اللغوى ص ٤٢٧؛ السجع منذ حوالى

عام ٣٠٠ هو الطريقه الحديده ص ٤٢٧ ج ٤٢٨؛ و لع ابن عباد بالسجع ص ٤٢٨ ج ٤٢٩؛ قيمه رسائل القرن الرابع من حيث ما فيها من فن، و كبار كتاب الرسائل ص ٤٢٩ ج ٤٣٠؛ ديوان الرسائل و شأنه، ابن هلال الصابى ص ٤٣٠ ج ٤٣٢؛ استعمال الأساليب المحلاه في الرسائل الإخوانيه و استقرار السجع فيها ص ٤٣٢ ج ٤٣٣؛ أبوبكر الخوارزمى أشهر كُتّاب الإخوانيات ص ٤٣٣ ج ٤٣٤؛ الخوارزمى و الصابى ص ٤٣٤؛ صفات أسلوب الخوارزمى و نموذج من رسائله ص ٤٣٤ ج ٤٣٦؛ رأى الهمذانى في الخوارزمى ص ٤٣٦ ج ٤٣٧؛ أبو الفضل الهمذانى: حياته و فنه و رأيه في الحاحظ ص ٤٣٧ ج ٤٣٨، بعض التجديد على يده (التمثيل و القصص) ص ٤٣٩؛ مقارنة الهمذانى بالصاحب ص ٤٠٠؛ الاهتمام

(٣٧١)

بالحوالين و المكدين ص ٤٤٠ ج ٤٤١ أبو دلف و قصيدته في أصناف المكدين، و تأثير الأحنف العكبرى في ذلك ص ٤٤١ ج ٤٤٢؛ مقامات الهمداني و التهميد للكتابه الروائيه ص ٤٤٢ ج ٤٤٣؛ شعر الهمداني ص ٤٤٣ ج ٤٤٤؛ أبو العلاء و نثره و خصائصه ص ٤٤٤ ج ٤٤٧؛ التوحيدى ص ٤٢٤؛ ٤٤٧ ج ٤٤٨؛ ضعف الذوق العربى و دخول قصص السمر الأجنبي فى الأدب و نقد الأدباء لذلك ص ٤٤٨ ج ٤٤٩؛ الاتجاه إلى ما هو أجنبي، و التأليف فى قصص السمر: الجهشياري و التنوخى و ابن مسكويه و قصصهم و مخالفتها للمتقدمين ص ٤٥٠؛ كتب السمر الشعبيه ص ٤٥٠ ج ٤٥١.

ثانيا: الشعر ص ٤٥١ فما بعدها؛ مدن العراق مهد الشعراء المحدثين ص ٤٥١؛ بشار بن برد ص ٤٥١ ج ٤٥٦ ظهور الطرائف البديعه الطيه بسبب تدهور الحضاره على أيدي أخلاط المدن ص ٤٥٤ ج ٤٥٦؛ بعض الملاحه فى طريقه الحديده ٤٥٦ ج ٤٥٧؛ ناحيتها الابتكاريه و ظهور الشعر التصويرى على يد غير العرب ٤٥٧ ج ٤٥٨؛ أمثله من ذلك ٤٥٨ ج ٤٦٢؛ شاعران شاميان: أبوبكر الصنوبرى و تغنيه بالبساتين و الزهور و الطبيعه ص ٤٦٣ ج ٤٦٨؛ الصنوبرى أول منشىء للثلجيات ص ٤٦٨؛ كشاجم و ترسمه لأثر صديقه الصنوبرى ص ٤٦٨ ج ٤٧١؛ الحالديان و السرى الرفاء و سيرهم على طريقه كشاجم ص ٤٧١؛ أبو لحسن السلامى و الحالديان ص ٤٧١ ج ٤٧٣؛ الوزير المهلبى كشاعر، نشره طريقه الصنوبرى ببغداد، و تأثر آخرين كالقاضى التنوخى و سيف الدوله و الصاحب بن عباد بطريقه شعراء الشام ص ٤٧١ ج ٤٧٥؛ إهمال وصف المسموعات ص ٤٧٥؛ اتساع دائره الموصوفات، أمثله ص ٤٧٥ ج ٤٧٧؛ الأحنف العكبرى و وصف المكدين ص ٤٧٧ ج ٤٧٨؛ ماده شعر المكدين و مقارنته بالأدب الفرنسى ص ٤٧٨؛ الشاعر محمد ابن عبدالعزيز السوسى و قصيدته ص ٤٧٨؛ الشعراء الشعبيون: ابن لنكك و ابن سكره و ابن الحجاج، ابن الحجاج و الفحش الغريب عن الروح العربيه ص ٤٧٩ ج ٤٨٣؛ المتنبى و أبو فراس ممثلان لطريقه القدماء ص ٤٨٣ ج ٤٨٥؛ الشريف الرضى ص ٤٨٥ فما بعدها؛ نشأته و مانتته ص ٤٨٥ ج ٤٨٧، عفه أسلوبه ص ٤٨٧ ج ٤٨٨، مقارنه بينه و بين إبراهيم الصابى ص ٤٨٧، ميل الشريف الرضى للمتنبى بتأثير ابن جنى ص ٤٨٨، الشريف الرضى سيد أصحاب المراثى ص ٤٨٩، رثاؤه لابن جنى ص ٤٨٩ ج ٤٩٠، شعره فى الفروسيه ص ٤٩٠، تأثير ابن الحجاج فى شعره ص

(٣٧٢)

٤٩٠، شذرات من غرر قصائده ص ٤٩٠ ج ٤٩١، الشريف الرضى أحد أربعه ص ٤٩١.

استدراكات

ص ٣٨٨ س ٥ كان بدل كان

ص ٤٠٨ س ١٤ الشهود بدل القود

ص ٤١٠ س ١٥ المستصرخين بدل الستصرخين

١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ١٠٧.

٢- نفس المصدر ص ١٦٦.

٣- رياض العلماء ج ٥ ص ٣٧١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩